
تاريخ
الأدب
الغربي
تأليف
نخبة من الأساتذة المختصّين
علي
Ali moula
مولا



لدراسات والترجمة والنشر
الجمهورية العربية السورية
دمشق
بوابة الصالحية ـ دار المهندسين
هاتف ٢٢٨٨٥٥ ـ ٢٢٨٢٥٥

ريع الدار مخصص
لمدارس ابناء الشهداء
في القطر العربي السوري

تاريخ

الأدب العربي

تاريخ
الأدب العربي

(في جزءين)

الجزء الأوّل

نخبة من الأساتذة المختصّين

المقدمـــة

تاريخ الأدب الغربي

تستخدم كلمة « أدب » للدلالة على معان كثيرة مختلفة لدى شعوب الأرض كافة وهي مرادف لكلمة (Literature) [1] في اللغات الأوربية وترجمة لها بالعربية وان اختلفت عنها في أصلها واشتقاقها .

فلفظة « الأدب » في لغة العرب من الالفاظ التي تطور معناها بتطور حياة الامة العربية وانتقالها من طور الترحل والبداوة الى أطوار الاستقرار والحضارة . . . وكانت تدل في أول امرها ـ ولا تزال ـ على سمات الخلق النبيل والطبع الرضي ، وكل ما أضفى عليها الاسلام من معان سامية في قول الرسول الكريم « أدبني ربّي فأحسن تأديبي » ، حين قصد من قوله هذا رياضة النفس على مكارم الأخلاق والتهذيب القويم والتزود بالمعارف والحكمة . ومن ثمّ اتسع مدلول الكلمة حتى صارت تعني اكتساب الثقافة بالتعلم ، وبخاصة ما يتعلق بأشعار العرب وخطبهم وأمثالهم وأخبارهم وانسابهم وأيامهم الى أن غلب عليها معنى النثر وما يتصل به من لغة ونقد وفصاحة وبلاغة كما قال الجاحظ في مقدمة كتابه البيان والتبيين : « هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منشور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة » .

ويكاد ينطبق مدلول القول هذا على ما تعنيه كلمة (Literature) في اللغات الاوربية واللاتينية كالفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية ، وقد جاء في المعجم الموسوعي العالمي أن هذه الكلمة تعني كتابات لها صفتان متميزتان أو معلمان أساسيان هما التعبير والاسلوب تربط بينهما أفكار مثيرة للاهتمام . والأدب بمعناه الواسع يشمل أي نوع من الكتابة ، في أي موضوع كان ، (كأدب الطب مثلا) وهو

---

١) هكذا بالانكليزية وبالفرنسية (Littérature) .

يعني عموما مجموعة الكتابات الفنية التي تخص بلدا ما أو عصراً ما وتميزت بجمال المبنى وسمو المعنى وكان لها أثر عاطفي أو عقلاني او شامل .

وقد حدد في موسوعة بريتانيكا أن كلمة (Literature) مشتقة من اللاتينية وأصلها (Littera) وهي تعني حرفاً من حروف الألفبائية فالأدب على هذا النحو هو أبداً كل ما خطه انسان ، وهو بعد ذلك مجموعة الكتابات التي تخص لغة بعينها أو شعباً بذاته ، وهو في خاتمة المطاف كل قطعة فنية من كتابات مفردة ، ويعرف معجم اكسفورد كلمة (Literature) انها الكتابات التي تنطوي قيمتها على جمال شكلها وتأثيرها العاطفي « بينما يرى الناقد والتربيتر في القرن التاسع عشر ان « الادب كتابة لا تشتمل على الحقيقة مجردة وانما تشتمل على الحقيقة في أشكالها المتنوعة تنوعاً يصعب حصره . ولا بد هنا من تصنيف هذه الأقوال وتحديد مجالها ، اذ ان استخدام كلمة « الكتابة » في التحدث عن الأدب قول فيه بعض التضليل لأن ذلك قد يستثنى من ذهن القارىء أدب الخطابة أو المشافهة الأدبية أو أدب شعوب ما قبل عصر الكتابة ، فالأدب ليس محصوراً في كلمات مسطورة على صفحة ورق أو في تنميق الخط وتهذيبه ، وانما هو كلام منظم يمنح سامعه او قارئه المسرة والبهجة ، وينقل اليه الخبرة وينميها من خلال كلماته ، فيؤثر في المجتمع وقيمه ، ضمن منظومة نقد مستمرة . وهو شكل من أشكال التعبير الانساني ، ولكنه ليس كل ما يُعبر عنه الانسان بالكلام حتى ولو كان منظوماً ومكتوباً .

نلمس مما سبق شمول لفظة « الأدب » العربية وتميزها عن لفظة (Literature) الأجنبية اسلوباً ومضموناً ، الا أن المعنى الذي تنطوي عليه الكلمتان يكاد يكون متطابقاً في مفهوم العصر الحالي . ويقول كارل بروكلمان انه يمكن اطلاق لفظة « الادب » بأوسع معانيه على كل ما صاغه الانسان في قالب لغوي ليوصله الى ذاكرة الانسان ، حتّى ان أغسطس بوخ (A. Bockh) اعتبر النقوش الباقية لشعب من الشعوب داخلة ضمن دائرة أدبه ، واذا كان تاريخ احدى اللغات الميتة ينبني على أساس آثار محدودة لها ، فالاولى ان نعد ، من أدب هذه اللغة ، وثائقها ورسائلها وما أشبه ذلك . لكن اذا رن صدى لغة من اللغات في ثروة لفظية ضخمة ، فلن يسمى أدباً من نتاجها حينئذ ، إلاّ ما اتجه مباشرة الى دائرة أوسع من السّماع والقّراء ليؤثر في مشاعرهم ويزيد من معارفهم ، على أن ظواهر هذا النتاج تزداد وتتكاثر عند شعوب الثقافة الحديثة الى حد يضطر معه مؤرخ الادب الى الاقتصار على باب

واحد منه هو « الشعر » ، فالذي يعد أدباً ، على وجه العموم ، عند شعوب الثقافة الحديثة هو نماء الشعر بأوسع معانيه ، أما فلهلم شيرر (W. Scherer) فيرى أن يدخل تاريخ العلوم في دائرة البحث الأدبي التاريخي ، لأن علم اللغة القديم يجمع تحت مدلول الادب آثار المعرفة الى جانب آثار فن القول . الاّ ان تنوع الحياة الحديثة تنوعاً لا نهاية له هو الذي يحول دون تحقيق هذا المطلب . وعلى هذا نقول انه ينبغي على مؤرخ الادب أن يدخل كل ظواهر التعبير اللغوي في دائرة عمله ، ولا يجوز له الاقتصار على فن القول في نطاقه الضيق ، إلاّ في عصرنا الحديث .

يتضح مما سبق ان دلالات كلمة «أدب» تتمخض عن معنيين متباينين ضيقاً واتساعاً . أولهما أن الكلمة تشمل ، بمعناها الواسع ، ما نرمي اليه اليوم من كلمة « الثقافة » او « المعرفة » ، ولا سيما ما يدور منها في فلك العلوم الانسانية التي تضم ألوان المعرفة وفنون القول وقضايا الفلسفة ، بل وبعض المهارات الفكرية والفنية كأدب الشطرنج وأدب الموسيقي وغيرهما ، مما له صلات بالمجتمع المتحضر والبراعة والموهبة . والأديب في هذا المعنى الموسع هو الرجل المثقف والمستنير والطليعي والعارف بالكثير من أنماط النشاط الفكري والفني ، أمّا المعنى الآخر والأضيق لكلمة « أدب » فهو أقرب الى الاصطلاح المحدد بالمأثور من فنون القول من منظوم ومنثور أي ما اشتمل على فنون الشعر وألوان النثر من رجز وقصيد وموشح وخطبة ومقال ورسالة ومقامة وقصة ، وهاتان الدلالتان لا تزالان سائرتين على نحو متواز في أيامنا هذه .

فعلم الادب ـ بمعناه الاسمى ـ يهدف الى العناية بفهم ما كتبه شعب من الشعوب ، على انه حلقة من حضارة ذلك الشعب ودوره في التراث العالمي ، كما يهدف الى تفهم ما يشمله الكتاب الواحد من خصوصية المؤلف ومؤثرات المحيط الذي يعيش فيه . إلاّ أن من يشرع في عرض المادة بتمامها يجد نفسه مضطرا الى الاقتصار على الحياة الظاهرة للأدب كما تصورها حياة المؤلفين ومؤلفاتهم فقط . وقدأشار «تين» (Taine) الى مؤثرات المحيط الخاص بالمؤلف وضرورةبذل الجهد لتحديد أثرها في استعداده الشخصي ، كما اتجه النظر الى البحث في آثار الشاعر والمفكر وملاحظة تأثيره في نمو الحياة العقلية برمتها ، من حيث اتصال هذا النمو بتلك الآثار والكشف عن القوى المؤثرة فيها وهذا ما ليس ممكناً إلاّ في حدود الأسس الكبرى للبحوث المتفرقة بعيدة الارتباط .

ولما كانت الحضارة التي يقوم عليها عالمنا الحديث وليدة تراث ضخم أسهمت فيه الانسانية جمعاء إسهاماً تختلف اهميته وآثاره باختلاف شعوب الارض ومناطق عيشها ، وكان لكل من تلك الشعوب دوره الخاص والمميز في دفع عجلة الحضارة نحو الرقي والتقدم ، فقد توجب على دارسي الأدب ومؤ رخيه تصنيف آثاره في فترات وعصور زمنية ومناطق جغرافية ، وتخصيصه بكل شعب وأمة ، فعرفنا الادب القديم والادب الحديث الجاهلي والادب العربي والآداب الغربية وآداب شرقي آسية وغيرها ، وقد تقاربت هذه الآداب جميعها مع اشراقة فجر النهضة الحديثة واقتراب انحاء العالم بعضها من بعض ، فتهيأت لتبادل الأفكار وتفاعل الثقافات فرص ، لم تكن لتسنح للبشرية الا بفضل ما اتصل به العلم العالمي من تقدم في العصر الحديث ، على هدى خطوات الاولين ، ولا يزال عالم الناطقين باللغة العربية يتصل منذ نهاية القرن التاسع عشر اتصالا مضطرد التقارب بدائرة الثقافة الغربية ، مما فتح للعرب عالم التفكير الغربي ، وما انتهت اليه جهود العلم والفن والادب سواء عن طريق الترجمة أو الدراسة او العرض المستقل .

وفي الكتاب الذي نحن بصدده سعينا لاعطاء صورة متكاملة ومختصرة لتطور العلوم والفنون والآداب الغربية ، مع فكرة عن تراجم مشاهير الكتاب والأدباء الذين ساهموا في تطوير مجموع ما يسمى « بالأدب الغربي » في مختلف أزمنته وأمكنته وفنونه منذ نشأته وحتى عصرنا الحاضر ، ومع محاولة القاء الضوء على التأثير المتبادل بين ثقافات الشعوب الغربية وأثرها في نمو ثقافة العالم وحضارته وما عمل حولها من ترجمات وبحوث ودراسات ، وما أسهمت به قديماً وحديثاً في تربية العقول وتنمية المعارف وتوليد الافكار وقيادة ركب المدنية ورفع منار الثقافة في العصور الحديثة . وهو خطوة في سبر الجهود الأدبية ومتابعة خطاها في تأسيس ثقافة العالم وتنمية حضارته ، وحصر ما تشتت واحصاء ما تفرق من تراث العالم الغربي ، والدور العالمي الذي اضطلع به الادب الغربي في دفع موكب الحضارة مع وصف تاريخي لأساليب الكلام ومنازع انشائه وصياغته ومذاهبه ومدارسه ومناهجه ومغارسه في مختلف العصور الادبية ولكل شعب من الشعوب التي تنتمي الى عالم الغرب ، في عقد الموازنات والمفاضلات ، بين ذلك كله من حيث النوازع والأغراض والمعاني والألفاظ والبواعث والأسباب ، شاملا أسماء الأدباء من كتاب وشعراء وعلماء وفلاسفة وأشهر ما كتبوه باللغات الاوربية ، بدءا من الاغريقية

القديمة وانتهاء باللغات التي تتحدث بها شعوب أوربة والامريكتين ، بالاضافة الى شواهد مختصرة وفقرات مترجمة عما تركه هؤلاء من تراث لبني البشر .

وقد عهدت الى لجنة تولت اعداد هذا الكتاب واخراجه والاشراف على طبعه شملت كلا من السادة الدكتور عادل عبد الله والدكتور فؤاد شعبان والعميد صبحي الجابي والعميد وليد الجلاد والأستاذ نديم مرعشلي بمشاركة عدد من الأساتذة والأدباء المتخصصين واستعين على ذلك بعدد كبير من المراجع والمصادر والموسوعات «يجدها القارىء في ثبت المصادر» وجرى انتقاء الشواهد والنصوص من مصادرها مع ترجمة ما لم يسبق أن ترجم منها الى العربية وروعي في اختيارها اثبات ما ذهب اليه متن الكتاب من شرح لها .

والكتاب في ذاته مجرد دليل يتلمس به الطالب والدارس طريقه للوصول الى معرفة بالآداب الغربية وأخذ فكرة عنها يساعده في انتقاء مصادره للاستزادة من العلم في هذا المجال كما أنه تسلية مفيدة للمثقف المحب للاطلاع ، يفتح افاقه على مواطن الأدب ومناهله في الغرب بما يكفيه من علم ، والله من وراء القصد .

الشام في ١٨/ ١/ ١٩٨٤

العماد

مصطفى طلاس

تمهيد

تعتبر الآداب الغربية على اختلاف ضروبها أجزاء من تراث مشترك ، شأنها في ذلك شأن اللغات الأوروبية ، فاليونانية واللاتينية والألمانية والبلطيقية والسلافية والكلتية والرومانية أفراد أسرة واحدة هي أسرة اللغات الهندية الأوروبية (أما اللغتان الفنلندية والهنغارية فليستا هندية أوروبية رغم عرضهما هنا) نظراً لكونهما على صلة وثقى باللغات الأوروبية الرئيسية) .ينبع التراث الأدبي المشترك لهذه اللغات جميعاً من روما واليونان القديمتين ، وهو تراث صانته المسيحية ونشرته بعد أن حورته ، وانتقل على هذا النحو الى اللغات المحلية في القارة الأوروبية والى العالم الجديد ومناطق اخرى استوطن فيها الاوروبيون .

ما انفكت تلك المجموعة من الكتابات تتكشف عن وحدة في ملامحها الرئيسية التي تميزها عن آداب بقية العالم . ولقد نهجنا في معالجة هذا الموضوع بتقسيمه تاريخياً الى اقسام سبعة تبعاً للمراحل السبع التي مرَّ بها وهي : الفترة القديمة ، القرون الوسطى ، عصر النهضة ، القرن السابع عشر ، القرن الثامن عشر ، القرن التاسع عشر ، وفترة القرن العشرين . وقسمنا كل باب الى فصول يدور كل منها حول الأنماط الأوروبية التي ازدهرت عهد ذاك .

انقضت المرحلة القديمة الأولى بسقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب عام ٤٧٦ م . وفي الردح الممتد ما بين عام ٨٠٠ ق .م وسقوط تلك الامبراطورية تكوّنَ في إطار الحضارات القديمة عدد من الاشكال الأدبية وانماطها الرئيسية كالملحمة والمأساة والملهاة والقصيدة الغنائية والهجاء والتاريخ والسيرة والنثرالقصصي ،وقد قدّر لها ـ في المستقبل ـ أن تقرر الكثير من التطور التقليدي الرسمي للأدب الغربي ، كما

أهدت الى ما جاء بعدها مجموعة غنية من الميثولوجيا والأدب الفلسفي المعقد حددت سلفاً المسار الذي نهجه الفكر الغربي .

تتميز المرحلة الثانية ، وهي فترة العصور الوسطى التي امتدت حتى نهاية القرن الخامس عشر برسوخ اقدام المسيحية ، وهيمنة وجهة نظرها عن الكون ـ عمقاً وامتداداً ـ في الاصقاع التي كانت تكوّن جزءاً من الامبراطورية الرومانية السابقة . ومع أن اللاتينية لم تحتفظ بشكلها الكلاسيكي النقيَ فقد ظلت لغة عالمية في الغرب ، على حين تطورت اللغات العامية الدارجة لتصبح فيما بعد ذات كيان خاص بها كوسائل تعبير عن الأدب المكتوب ، حتى اذا ما تقضت نهاية تلك الفترة اخذت سبيلها الى الوجود أعمال أدبية هي من الرفعة في المقام الأسمى ، كما ظهر كتّاب بارزون كتبوا بمعظم اللغات العامية الأوروبية الرئيسية .

وفي حوالي منتصف القرن الخامس عشر تجلت روح جديدة في بعض الكتابات الأروبية، بيد أن نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة ليستا حادثة يمكن تقييدها بتاريخ واحد محدد لها ، لأن ما مردت عليه الكاثوليكية من نظرة الى الوجود خامره التغير تدريجياً مخلياً السبيل لوجهة نظر أخرى عن الكون والانسان أكثر علمانية . وتميزت هذه الفترة الثالثة باهتمام مجدد بالعلم ، وبخاصة باحياء العلوم الكلاسيكية (الحركة الانسانية)، كما تمخض أدب عصر النهضة عن حركة الاصلاح البروتستنتي وروح التوسع الثقافي كحصيلة لتحريات العصر وكشوفاته .

أما الفترات المتبقية والتي قسمت حسب القرون بدءاً من القرن السابع عشر وحتى العشرين فهي ـ الى حد ما ـ تقسيمات اعتباطية تبررها بعض التطورات الاساسية التي تركت بصماتها على أدب كل فترة منها .

يتميز القرن السابع عشر في معظم الاصقاع الاوروبية بالاضطراب السياسي والديني . ولقد استجاب الادب لهذه القلاقل كما استجاب لاتجاهات متزايدة من التشكيك والعقلانية رافقت تجلي العلم كأسلوب فكري دارج وسائد في الغرب . وتوصف المرحلة الثالثة عن حق ، وهي حقبة القرن الثامن عشر بأنها عصر العقل والتنور ، إذ انعكس مظهرها العقلي على أدب يتسم بالفكاهة الساخرة العقلانية

اللفظية ، وبالجدل والهجاء . وفي الوقت نفسه أوحى الاهتمام بالعواطف والاحاسيس وغيرها من الصفات اللاعقلانية في الانسان بانواع اخرى من الكتابة كالنثر القوطي Gothic الذي ارتكز على الهول ومظاهر ما وراء الطبيعة ، والشعر الذي اهتم بتعهد العواطف والاحتفال بتصورها وبما هو رفيع ، فضلاً عن الرواية التي صبت اهتمامها على الناحية النفسية .

تجلت آثار الثورة الفرنسية (١٧٨٩) والثورة الصناعية بدورها في كتابات القرن التاسع عشر ، وهي فترة تم فيها سبراغوار اهتمامات أدبية درجت سابقاً على معارج التطور متمثلة بمؤلفات شعراء ابداعيين (رومانسيين) وروائيين عظماء من القرن التاسع عشر . .

بينما تبدت الملامح المميزة لأدب القرن العشرين في ظهوره بعد الحرب العالمية الأولى ، لأن الاشكال والموضوعات الرئيسية للكتابات الحديثة تتبدى واضحة في طور النمو والتكاثر انطلاقاً من العام ١٩٢٠ فصاعداً .

الباب الاول

الادب القديم

ميزات الادب القديم

إن الحقيقة الصارخة عن الأدب الغربي القديم هي اندثار الجزء الأكبر منه ، إذ نسي بعضه قبل أن يغدو في المستطاع تدوينه ، وأتت النار والحرب وعوادي الزمن على معظم ما تبقى منه . أما ما يعثر عليه الببليوغرافيون وعلماء الآثار بين الفينة والفينة فنزر يسير . ومع ذلك تشمل الكتابات المتبقية في اللغتين اليونانية واللاتينية ـ إلى حدّ كبير ـ أوج ما وصل إليه عقل العالم القديم وخياله ، بشهادة ذاك العالم .

كانت هناك أربع حضارات في الشرق الأدنى وفي الغرب ، هي حضارات بابل وآشور ، ومصر ، واليونان ، وروما ، على اتصال ببعضها بعضاً ، ومع أن الحضارتين الأكثر قدماً : الأشورية ـ البابلية برقمها الفخارية المصدوعة ، ومصر بلفافات برديها المتآكلة لا تؤثر مباشرة على العصر الحديث فمما لا مرية فيه أن بابل كانت المجلية في إنتاج أول مجموعة قوانين كاملة وملحمتين كانتا نموذجين رائدين لميثولوجيا تردد صداها ، وأعيد ترديده في الآفاق بعيداً عن البلد الأم ، كما أثر حدس مصر الصوفي لعالم ما وراء الطبيعة على خيال اليونان والرومان . أما الثقافة التوراتية التي ظلّت منفصلة الى حد ما عن العالم اليوناني والروماني حتى انتشار المسيحية فيه فكان لها تأثيرها الأدبي الأكبر على الغرب لما لكتاباتها الأولى من مكانة كالعهد القديم من الكتاب المقدس المسيحي . وكان لها أثرها العميق على الوعي الغربي عبر ترجمات هذه الكتب إلى اللغات العامية والدارجة وإلى اللاتينية نفسها منذ أيام القديس أوغسطين (St. Augustine of Hippo) (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) فصاعداً .

ومع أن الأدب الأغريقي تأثر بالأساطير الدينية لما بين النهرين وآسيا الصغرى ومصر فليست له جذور أدبية مباشرة ، ويبدو أنه ينبع من ذاته . ولقد اعتمد

الكتّاب الرومان المفاهيم اليونانية ـ كأساس ـ في شعرهم وأوزانه وموضوعاته وطرق معالجتها . وقامت رومة ـ في آخر المطاف ـ بنقل تلك الشعلة الأدبية إلى أوائل العصور الوسطى في وقت انضوت فيه الثقافة اليونانية تحت لواء التقاليد الأدبية الرومانية ولم يصر الى كشفها كشيء مستقل إلا في عصر النهضة . ومنذئذٍ اعتبرت التقاليد الكلاسيكية تهديداً للتطور الأدبي الطبيعي وبخاصة عندما شرع بعض نقاد القرن السابع عشر يصرون على ضرورة مطابقة الكتابة المعاصرة مع الأساليب والموضوعات التي استعملها الكتّاب اليونان والرومان .

لقد أرسى اليونان والرومان أسس الضروب الأدبية الرئيسية كافة، حتى ليمكن القول إن ما تلا ذلك من تطورات كان بشكل عام مجرد امتدادات ثانوية لها . فملحمة هوميروس اليونانية كانت نموذجاً لملحمة فيرجيل اللاتينية ، وشعر كتلوس (Catullus) وأوفيد (Ovid) الغنائي هو رجع الصدى لمقطوعات الكيوس (Alceaus) وصافو (Sappho) الغنائية ، وتاريخ ليفي (Livy) وتاسيتوس (Tacitus) كان الخلف الصالح لثيوسيديس (Thucydides)، إلا أن المأساة اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد لم تجد لها الرديف الكفء في مسرحيات سينيكة (Seneca) الروماني ، شأنها في ذلك شأن أفلاطون وكتابات أرسطو الفلسفية ، لأن الرومان العمليين لم يكونوا فلاسفة . وعلى حين تفوق الكتّاب الاغريق في الأمور المجردة كان للرومان رؤى حسية غير عادية ، وكانوا شديدي الاهتمام بالفردية الانسانية كما تدل على ذلك صورهم .

إن أعمال هؤلاء الكتّاب وغيرهم ـ وربما أعمال المؤلفين الإغريق أيضاً ـ تعبّر عن المزاج الأخلاقي للرجل الغربي ونوعية خياله ، مما ساعد على تكوين قيمه وبالتالي نقل تقاليده إلى الأجيال البعيدة. وعلى سبيل المثال وسعت ملحمات هوميروس من اهتماماتها بدءاً من مجرد المعاملة الحسنة للأغراب وانتهاء بمواقف سلوكية عميقة التشابك بين الأبطال المتنافسين من جهة، وأعدائهم من جهة ثانية والالهة المهيمنة من جهة ثالثة . كما ان مآسي أسخيلوس (Aeschylus) وسوفوكليس (Sophocles) تعبر بشكل رفيع عن نفاذ الإنسان الى فهم موقفه من الكون خلقياً . بله أننا نجد بين المؤلفين الرومان رواقية سامية تؤكد على الشعور بالواجب بدءاً من

نافيوس (Naevius) واينوس (Ennius) وامتداداً الى فيرجـل (Virgil) وهـوراس (Horace) وسينكة (Seneca) . كما نتلمس في نقد جوفنـال (Juvenal) الشرير وأغاني اناكريون (Anacreon) عن الحب والخمرة صورة نموذجية للانسان تعكس بوضوح فكر أفلاطون وأرسطو الفلسفي . لقـد عبّـر الخـورس (الـكورس) في أعمال سوفكليس عن هذه الصورة بقولهم : « إن العجائب جمّة ، لكن الانسـان أكثرها روعة إذ هو القوة التي تعبر البحر الأبيض » .

وهكذا قدر للصورة النموذجية عن الانسان ـ التي انعكست جليـة في الأدبين اليوناني واللاتيني ، والتي تكونت بعد أن خرج الانسان من عهـــود البربرية ـ ان تتحول وتتبدل ـ إلى المثل الروحي الذي عبرت عنه الديانتان اليهـودية والنصرانية مجتمعتين ، ـ قبل أن يسدل الستار على العالم القديم ـ ، في حـين مهّـد كتـابها لأدب العصر الوسيط وكانوا إرهاصاً له .

الفَصْل الأول

الأدَب البَابلي الآشوري

تعتبر الأكادية لغة بابل وآشور القديمتين وأساس الثقافة الآشورية البابلية التي ازدهرت على ضفاف دجلة والفرات . وهي أقدم لغة سامية حفظتها السجلات ، ولذا فهي بالغة الأهمية لعلماء اللسانيات . وقد أخذت نظامها الكتابي عن السومرية ، أقدم لغة عالمية مكتوبة ،عندما حلّت محلها كلغة تخاطب في الألف الثالث قبل الميلاد . إلاّ أن السومرية ظلّت تستعمل في الكتابة حتى القرن الأول الميلادي الذي يمثل نهاية فترة الاستعمال النشط للاكادية .

أن الكثير من سجلات هذه الحضارة ذو أهمية تاريخية ولغوية أكثر من قيمته الادبية . فهناك العديد من قوائم الكلمات الدالة على أسماء الآلهة والمفردات العادية ، الهدف منها معجمي ، إذ تكون مجموعات نموذجية لكل الكلمات والمفاهيم الممكنة . ولربما أفادت هذه القوائم الطلاب والباحثين كدليل لتهجئتها . وأستخدمت تلك القوائم ، التي تعطي العلامة أو العلامات الدّالة على الكلمة ، وبجانبها اللفظ السومري وما يقابله من لفظ أكادي مرتبة في أعمدة كمفردات ظلت أنواع عديدة منها قيد الاستعمال حتى نهاية فترة النشاط العلمي البابلي ، وتعتبر أقدم النقوش الملكية ذات أهمية تاريخية ولغوية ، وتشتمل على إهداءات أو تكريسات لأشياء أو لأبنية حسب النموذج التالي مثلاً : لقد اهدى « أ » ابن « ب » ملك مدينة « ي » هذه المزهرية ، أو بنى هذا المعبد الى الاله « س » . وطور الآشوريون هذا النموذج الى ما يعرف بالسجلات التاريخية ، وهي تقارير مفصلة لمنجزات ملك ما في كل عام ـ حوليات . ومع ان بعض القصص الشعبية او الاسطورة وردت ضمن هذه السجلات فان اهميتها تاريخية في المقام الأول وبشكل رئيسي .

هذا وقد وجدت بعض النصوص الأشورية البابلية الأدبية على لوحات ترقى بتاريخها الى حوالي ٢٥٠٠ ق. م. وتشمل أساطير وملاحم عن أعمال الملوك الأوائل ، وترانيم دينية وأدب الحكمة كالأمثال .

وهناك ملحمتان لهما أهمية أدبية عظمى ، أولاهما ملحمة أنيومة اليش (Enuma Elish) (ملحمة الخلق) وتروي كيف أن مردوك (Marduk) إلّه مدينة بابل ذبح التنين تيامات (Tiamat) وخلق من جسمه العالم فكافأته الآلهة على صنيعه هذا بأن وهبته حكماً عالمياً . أما الملحمة الثانية فهي جلجامش (Gilgamesh) ـ وقد تكون أهم إنتاج أدبي باللغة الأكادية ـ وتروي قصة البطل السومري جلجامش ورفيقه أنكيدو (Enkidu) . وأكمل نص لها ذلك المكتوب على لوحات وجدت في بينوى بمكتبة آشور بانيبال (Ashurbanipal) ملك آشور (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق . م .) . والملحمة من إبداع مخيلة البابليين ، وتتضمن قصصاً سومرية عن جلجامش وصديقه أنكيدو ، وتضيف عنصراً قصصياً جديداً هو سعي جلجامش ليظل خالداً بعد وفاة صديقه . ومما يثير الاهتمام في هذه الملحمة ـ الرواية البابلية لقصة الطوفان المشابهة لطوفان نوح الواردة في التوراة ، والتي يقصها على جلجامش أحد الناجين من الغرق واسمه أوتنابشتيم (Utnapishtim) . ويعتقد أن قصة جلجامش الشائعة بآسية الصغرى في لغات أخرى غير الأكادية كان لها أثرها على الأوديسة اليونانية ، كما نجد مواضيع منها متناثرة في القصص الشعبي الباسيفيكي .

الفَصْل الثّاني

الأدَب المصْري القدِيم

انتهت إلينا نصوص « هيروغليفية » على ورق البَرْديِّ ، أو نسخ مدرسية مكتوبة على ألواح كسر من الأواني الفخارية وصفائح الحجر الكلسي عرف منها حوالي ٧٠ عملاً أدبياً أغلبها غير كامل وهي لا تمثل سوى جزء من أعمال أدبية لقدماء المصريين ضاع معظمها . ويمكن تصنيفها نصوصاً ابداعية - (رومانسية) أو شعبية ، أو أسطورية المعين أو تاريخية دينية أو علمانية أو نماذج لرسائل ومجموعات لمفاهيم أو تعليمات أخلاقية .

وفي عداد ما وصلنا من القصص الشعبي قصة « الملك خوفو والسحرة » ، وهي مجموعة من الحوادث زاخرة بالحيوية عن ملوك قدماء مشهورين . وقصة « البحار الذي تحطمت سفينته » ، فتقاذفته الأمواج حتى رمت به في جزيرة ما حيث تعهدته بالرعاية أفعى غريبة الشكل . « وقصة الأخوين » التي تتلاقى وأسطورة أوزريس إله العالم السفلي وموضوعها الصراع بين الشر والخير . وقصة « مباريات هورس (Horus) وسيث (Seth) » وفيها تلعب الآلهة أدواراً شبه هزلية . وهناك قصص شعبية أخرى لا تنطوي على عناصر ما وراء الطبيعة ، منها « قصة الفلاح النصيح » وهي تروي حكاية فلاح نال العدالة بفصاحة مرافعته . « وقصة سنوهي (Sinuhe) » التي تروي كيف أن فارّاً منفياً فاز بعفو فرعون وعاد الى وطنه، « وتقرير ويناموني » (Wenamun) ، ويصف مغامرات مبعوث مصري إلى فينيقيا ليشتري الخشب . وتصنَّف الأمثال والحكم في باب الأدب التعليمي ، أو أدب الحكمة ، شأن مأثورات بتاحوتب (Ptahhotep) وكاجمني (Kagemni) وآني (Ani) وآمنيموب (Amnimope) . وهي في معظمها نصائح يسديها أب عجوز لابنه

الشاب ، أو ملك لوريثه . ويتضمن بعضها ما يماثل أدب الحكمة التوراثـي . وهناك النصوص المنقوشة على جدران القبور وهي سوداوية متشائمة مثل « أغنيات عازفي القيثارة » . وأبرزها نص الرجل الذي أثقلت كاهليه الحياة فتوجه بالنصح إلى رجل يفكر في الانتحار . وفي مقابل هذه المؤلفات قصائد في مدح إله الشمس وآلهة غيره . ومع أن القليل من الأساطير الأدبية وصلتنـا كاملـة ، إلاّ ان هنـاك نصوصاً طقسيةً طويلة النفس ، غالباً ما تكون ذات محتوى أسطوري ، وقد نقشت على جدران المعابد ، مثل « كتاب الموتى » الذي هو خليط من السحر والأسطورة ويشتمل على إشارات كثيرة لعالم الآلهـة . والجـدير بالـذكر ان الكتّـاب اليونـان واللاتـين عالجـوا ، وبشـكل كامـل ، الأساطير المصرية استجابـة منهـم لغناهـا وقدمها .

الفصل الثالث

الأدب الاغريقي القديم

يتألف الإغريق القدامى من مجموعات عرقية عدة ، وفدت على شكل موجات ، واستقرت في اليونان وعلى ساحل آسيا الصغرى ، وفي جزر عديدة من بحر إيجه بما فيها جزيرة كريت وفي صقلية وجنوبي ايطالية (وعرفت مجتمعة باسم بلاد الاغريق الكبرى) . وقد وجدت حوالي عام ١٠٠٠ق.م ثلاث مجموعات تتكلم كل منها لهجتها الاغريقية الخاصة بها، إذ استقر الدوريون جنوباً في اسبارطة مدينتهم الرئيسية ، كما استقرّ الإيوليون في أواسط اليونان وشمالها وكان انطلاقهم منها لاستعمار لسبوس (Lesbos) والساحل المجاور من آسيا الصغرى . أما الإيونيون فاستوطنوا أتيكا(Attica) ، وهي المنطقة المحيطة بأثينا وجزر أواسط إيجه ، وأطلقوا على مستعمراتهم القائمة على سواحل آسيا الصغرى المقابلة اسم إيونية ، وأصبحت لهجتهم ـ بشكلها الخاص بأتكا ـ اللغة الأدبية لكل الإغريق .

يؤلف الأدب اليوناني تاريخاً مستمراً يمتد من الألف الأول قبل الميلاد وحتى اليوم الراهن وفيه نجد معظم الأشكال الأدبية المعترف بها حالياً ، كالملحمةوالدراما والشعر الغنائي والأنماط المختلفةمن الأعمال النثرية . ولم يكن مؤلفوها من الإغريق يعيشون في البداية ،في اليونان المتعارف عليها حالياً فحسب، بل ويقطنون الأصقاع المجاورة لها والمذكورة آنفاً . ثم اتسعت رقعة الأدب الأغريقي إثر فتوحات الاسكندر الأكبر عندما اصبحت الإغريقية اللغة العامة المشتركة في منطقة شرقي البحر المتوسط ، وفي الامبراطورية البيزنطية من بعد ، ونهض بالكتابة من لم تكن الإغريقية لغتهم الأم . وانتقل المركز الثقافي للعالم الناطق بالأغريقية تدريجياً وعلى مر القرون من بلد إلى آخر . إذ سيطرت ـ بادىء ذي بدء ـ مدن المنطقة الساحلية من

آسة الصغرى حتى القرن الخامس قبل الميلاد ، ثم غدت أثينا المركز في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، لينتقل النشاط الأدبي الإغريقي بعد ذلك إلى الاسكندرية ، وبقي فيها إلى أن ضمت المنطقة بأسرها إلى الامبراطورية الرومانية . لم يصل إلينا من أدب الإغريق القديم سوى جزء ضئيل نسبياً ، إلا أن أثره على غيره من الآداب خلال العصور كان عظيماً ورائعاً .

١ ـ الفترات الأدبية أسلوبياً :

يقسم تاريخ الأدب الإغريقي القديم إلى ثلاث فترات هي :

فترة ما قبل الكلاسيكية (حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد) والفترة الكلاسيكية (القرنان الخامس والرابع قبل الميلاد) والعهد الهيليني مع الدور الروماني الاغريقي (القرن الثالث قبل الميلاد وما بعده) . وفيما يلي تلخيص لهذه المراحل ، ودراسة للأنماط التي نشأت فيها ، والكتّاب ذوو العلاقة بها .

فترة ما قبل الكلاسيكية حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد: جادت قرائح الإغريق بالشعر وأبدعوا فيه قبل ان يستعملوا الكتابة للأغراض الأدبية وقصدوا من شعرهم في البداية الغناءوالانشاد ـ كان الالمام بفن الكتابة ضئيلاً قبل القرن السابع قبل الميلاد، وليس معروفاً ما إذا كان الخط المستعمل في كريت ومسينة (Mycenae) (النوع B) قد استخدم لأغراض غيرإدارية ـ ونسي كلية بعد دمار المدن المسينية وتدور موضوعاته حول الأساطير، التي هي مزيج من خرافات بنيت على ذكرى باهتة لأحداث تاريخية ومن القصص الشعبي ومن تأمل ديني بدائي . وبما ان الأساطير غير وثيقة الارتباط بالطقوس الدينية، رغم أنها كثيراً ما تتحدث عن الآلهة أو أبطال غير خالدين ، فهي غير جازمة أو ملزمة وبمقدور الشاعر ان يأخذ بأطرافها تنويعاً ليعبر عن مفاهيم جديدة . وهكذا كان الفكر الاغريقي متقدماً ، منذ العهود الأولى نظراً لأن العديد من الشعراء كانوا يعيدون صياغة أشعارهم .

تنتمي ملحمتا هوميروس، الإلياذةوالأوديسة، اللتان أعادتا بالسرد رواية بعض

أحداث العصر المسيني مختلطة بأساطيره، الى هذه المرحلة من الأدب ما قبل الكلاسيكي. وأرست هاتان الملحمتان العظيمتان في بداية الأدب الاغريقي أسس معظم التقاليد والمصطلحات الأوروبية المتعلقة بالملحمة الشعرية. ولربما كان شعر هسيود (Hesiod) (حوالي ٧٠٠ ق.م.) التعليمي قد نظم في فترة تلت ملحمتي هوميروس، ورغم انه يختلف عنهما موضوعاً ومعالجة إلاّ أنه يعد استمراراً للتقاليد الملحمية.

تعود الأنماط المتنوعة للشعر الغنائي الاغريقي بجذورها الى فترة ما قبل الكلاسيكية اذ انطلقت على السنة شعراء جزر بحر ايجة، وفي ايونية على سواحل آسية الصغرى . وكان أرخيلوخس (Archilochus) من مواطني باروس (Paros) الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد أول شاعر رثائي يتناوب في قصيدته البيت الملحمي والبيت الأقصر فضلاً عن صيغ الشعر الغنائي الذاتي. وأنزل الإغريقيون القدامى شعره مقاماً رفيعاً من مراتب التقدير ، بيد أنه لم يصل إلينا من نتاجه سوى مقطوعات وقصائد غير كاملة . إلا ان أشكاله وأنماطه العروضية كالمزدوجة المرثاوية وبحور شعره الغنائي المتنوعة غدت نماذج حذا حذوها الشعراء الأيونيون الواحد إثر الآخر . وفي أوائل القرن السادس نهض شاعران ينظمان باللهجة الأيونية لمدينة لسبوس (Lesbos) ، هما الكيوس (Alcaeus) وصافو (Sappho) ، ويتسم شعرهما بغنائية خاصة وبإيقاعية مبتكرة مستعملين بحوراً سميت باسمهما ، ثم كيّفها هوراس (Horace) بما يتطابق والشعر الروماني . ولم يقدّر لأي من الشعراء اليونانيين الآخرين القدامى أن يتغلغل في وجدان القارىء ويخامر شخصه صنيع الكيوس وصافو وأرخيلوخس ، وانما مضى على نهجهم أناكريون (Anacreon) من تيوس (Theos) الذي نظم سلك قصائده الغنائية باللهجة الأيونية شأنه في ذلك شأن ارخيلوخس . أما القصيدة الغنائية الكورالية التي تصاحبها الموسيقى فمردها التقاليد الدورية ولهجتها . ويعتبر الشاعران ألكمان (Alcman) الإسبارطي وستسخورس (Stesichorus) الصقلي خير من يمثل هذا النوع من الشعر.

ان أصل المأساة وكذلك الملهاة هو اليونان . ويقال ان مهد الكورس المأساوي

اليونان الدورية حوالي ٦٠٠ ق. م. ومن ثم غدت المأساة جزءاً من احتفال مدينة أثينة بالعيد السنوي لديونيسوس حوالي ٥٣٤ ق. م. وكذلك الحال بالنسبة للملهاة التي نشأت جزئياً في اليونان الدورية، وتطورت في أتيكة حيث اعترف بها رسمياً في وقت تال للمأساة. وكلتاهما مرتبطتان بعبادة ديونيسوس (Dionysus) إله الخصب والتلبس الشيطاني.

كانت مجموعات القوانين اول شكل من أشكال النثر المكتوب، وظهرت أول ما ظهرت في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، عندما أخذ الإلمام بالكتابة يصبح اكثر انتشاراً .ويعتبر فريسيديس (Pherecydes) من سيروس (Syros) حوالي ٥٠٠ ق.م. اول ناثر، وقد كتب عن بداءات الكون. الا ان أعرق مؤلف كبير هو هيكاتيوس (Hecataeus) من ميلتيوس (Miletus) الذي تصدى للكتابة عن الماضي الأسطوري وجغرافية البحر المتوسط والأراضي المحيطة به. ويعزى الى ايسوب(Aesop) الشخصية شبه الاسطورية وشبه التاريخية من جيل منتصف القرن السادس ق.م. كتابة خرافات الحيوان التعليمية التي نسخها كتاب أتوا من بعده.

الفترة الكلاسيكية في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد: كان اسخيلوس (Aeschylus) أول من ألّف المأساة الحقيقية التي بلغت الأوج على ايدي سوفكليس (Sophocles) ويوربيدس (Euripides) في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد. اما اريستوفان (Aristophanes)، أعظم الشعراء الهزليين، فقد عاش حتى القرن الرابع. إلا أن الملهاة القديمة انتهت بسقوط اثينة عام ٤٠٤ ق . م .

وتمثل الأورستية (Oresteia)، ثلاثية اسخيلوس الوحيدة التي وصلتنا كاملة في مسرحياتها الثلاث ، المواضيع الرفيعة للمأساة الأسخيلية. وفيها يواجه الانسان الآلهة، ومنهم يتلقى درساً يحلّيه ببعد نظر هو من الرهبة بمكان في أهدافهم ومراميهم . أما مأساة سوفكليس فتعد خطوة متقدمة بالنسبة للتعقيد المسرحي والواقعية المسرحية، بينما ظلت متزمتة في معالجتها للمسائل الدينية والأخلاقية. بينما عالج يوربيديس ، الذي هو أصغر المؤلفين التراجيديين الثلاثة الكبار سناً، موضوعاته على صعيد الشك المستنير ، وبذلك ألقى ظلالاً من الشك على الصورة

التقليدية للآلهة . ورافق تغيّر هذه الرؤ ية تطور مماثل في عدد الممثلين ، إذ ارتفع عددهم الى ثلاثة ، واصبح كل منهم قادراً على القيام بعدة أدوار .

ومع أن الملهاة القديمة لاريستوفان تأسست بعد المأساة بقليل ، إلا انها بطقوسها احتفظت بآثار اوضح عن اصلها ، لأن القوة والفكاهة والبذاءة التي ترسلها بسلاطة لنقد القضايا العامة والشخصيات البارزة تشير بوضوح الى اصلها الذي نبعت منه ، وهو الهرج والمزاح البذيء والبدائي بالشكل الذي اتسمت به أعياد ديونيسوس . وتظهر ملاهي اريستوفان الأخيرة انتقالاً نحو الكوميديا الوسطى (Middle Comedy ، يشير اليه تضاؤ ل أهمية الكورس ولم يصل الينا منها أية ملهاة . لقد تبع هذا الطور طور آخر في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد ويسمى بالكوميديا الجديدة (New Gomedy) التي أدخلها ماناندر (Menander) والتي أولت اهتمامها العالم القصصي الخاص بالناس العاديين ، وانتقل أثرها الى العصور الوسطى والحديثة فكان اقتباسها وتحويرها على أيدي الكتّاب اللاتينيين أمثال بلوتوس (Plautus) وترنس (Terence) .

وفي القرن الخامس قبل الميلاد وقف أعظم الغنائيين الكوراليين الإغريق خارج التيار الأيوني الأتيكي الرئيسي ، ليجسّد في قصائده الغنائية من نوع الأود (Ode)' رؤ ياه عن العالم عبر قيمه الارستقراطية التي كانت آنئذ تؤ ذن بالانقراض . وفي هذه الفترة بلغ النثر الاغريقي مرحلة النضج . وكان الكتّاب الأوائل - مثل الفيلسوف انكساغوراس (Anaxagoras) والسفسطائي بروتاغوراس (Protagoras) - قد استخدموا اللهجة الأيونية التقليدية ، شأنهم في ذلك شأن المؤ رخ هيرودوتس (Herodotus) . اما خلفاؤ ه في كتابة التاريخ أمثال ثيوسديدس (Thucydides) وكزنفون (Xenphon) فقد كتبوا باللهجة الاتيكية . وثيوسديدس هو ألمع الثلاثة فكرياً لروعة أسلوبه وأمانته الموضوعية ، مما بوأه منزلة أول مؤ رخ يوناني . إن أقدم قطعة نثرية اتيكية كانت مقالاً ضد الديمقراطية حول الدستور في أثينة وعُزيت خطأ الى كزنفون ، لأنها تعود بتاريخها ، الى حوالي ٤٣٠ ق. م.

تعتبر مؤ لفات أفلاطون وارسطو العائدة الى القرن الرابع قبل الميلاد أهم ما أنتجته الثقافة الاغريقية في التاريخ الفكري الغربي ، فقد شغلتها الأخلاقيات

والميتافيزيقيات السياسية ايضاً التي اعتبراها أرفع دراسة للانسان. واتسع مدى نشاط أرسطو الفكري ليشمل الفيزياء والتاريخ الطبيعي وعلم النفس والنقد الأدبي. وقد ارسى هذان الفيلسوفان قاعدة الفلسفة الغربية، ويمكن القول ان الأثنين معاً حددا لأجيال تلت مسار تطور الفكر الأوروبي.

كان هذا العصر ذهبياً بالنسبة للبلاغة والخطابة ، وكان رائدهما كوراكس (Corax) السيراقوسي في القرن الخامس قبل الميلاد . وثمة دراسات تتعلق بالبحث عن الحقيقة والأخلاق في الجدل كانت تحظى باهتمام الفيلسوف والمحامي والسياسي ، وكان الأساتذة يتوسعون في شرحها والاستزادة منها وفي طليعتهم ايسوقراطس (Isocratés) . وتشتهر خطب ديموستين (Demosthenes) ، وهو أحد سياسيي أثينة في القرن الرابع ق.م. ، بقوتها وعنفها .

الفترات الهلينية واليونانية الرومانية : ألّف الإغريق والمكدونيون الطبقة الحاكمة الجديدة في امبراطورية الاسكندر الكبير المترامية الأطراف ، وغدت اليونانية لغة الإدارة فيها . وكانت هذه اليونانية لهجة مركبة تستند الى حد ما على اللهجة الأتيكية وتسمى كوين (Koine) أو اللغة المشتركة . وكانت الدويلات المدينية التقليدية - أنّى كانت - في تقهقر مستمر ، وأصبح الفرد مدركاً لانعزاله ، لذا أخذ يفتش عن الرضا النفسي والتماسك خارج مجتمعه المشترك . كما خضع الخلق الفنّي للرعاية الفردية . وباستثناء الكوميديا الأثينية اتجهت المؤلفات نحو جمهور ضيق مختار يؤخذ إعجاباً بالصقل ، والعلم الغزير والمهارة الفنية .

والحادثة ذات الأهمية الكبرى في هذه الفترة التي أثرت في تطوير الاتجاهات الجديدة تجلت بتأسيس المتحف، اومقام عرائس الفن، مع مكتبته الضخمة في أثينا. وكان قيِّم المكتبة الرئيسية أحياناً شاعراً او مربياً لولي العهد. وأول من شرع بجمع المعرفة من مظانها وحفظها هم السفسطائيون ، ثم جاء أرسطو وأتباعه فقضوا على آثارهم، وكرّس الاتجاه على الوجه الصحيح بتأسيس المكتبة والمتحف. وعبر بحوث علماء الاسكندرية حفظت نصوص المؤلفين القدماء. وغالباً ما كان العلماء هم

شعراء العصر الهليني الذين تركت بحوثهم آثارها على شعرهم. وامتدت الفترة الهلينية بين نهايتي القرنين الرابع والأول قبل الميلاد . ومنذ هذا التاريخ ولقرون ثلاثة ـ والى ان اصبحت القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ـ كان الكّتاب الأغريق يدركون انهم يمتون الى عالم تشكل رومة مركزه .

٢ ـ الفنون الأدبية

الملحمة وتقاليدها : برزت في فجر الأدب اليوناني ملحمتان عظيمتان هما الألياذة والأوديسة ، وتمتدان بجذورهما الى العصر المسّيني ، أو ربما ترجعان الى عام ١٥٠٠ ق.م. بيد أنهما تقليدياً تعزيان الى هوميروس ، وربما عادتا بشكلهما الراهن الى القرن الثامن قبل الميلاد . كانت الألياذة القصة المأساوية المكرسة لغضب اخيل (Achilles) من بيليوس (Peleus) وابن الالّهة تيتس (Thetis) ، وكان آخيل يتصف بكل السجايا التي تجعل الانسان مثار الاعجاب . وعندما يستخف به القائد الاغريقي آغا ممنون (Agamemnon) يرفض الإسهام بخوض غمار الحرب ضد طروادة ، ولكن عندما يشتد الضغط على الاغريق يجهد آغا ممنون ـ دونما طائل ـ لاصلاح ذات البين بينه وبين آخيل بعروض مسرفة . تزداد ـ بطبيعة الحال ـ حالة الاغريق السيئة تردياً ، فيشفق آخيل على بني جلدته ويبعث بصديقه بتروكلس (Patroclus) لشد أزرهم بعد أن يسربله بدرعه ، وينجح بتروكلس في إنقاذ الاغريق إلا انه يلقى مصرعه . وفي موجة جنونية من الحزن يدفع آخيل بنفسه الى حومة الوغى ويقتل البطل الطروادي هكتور (Hector) الذي كان قد قتل بتروكلس ومثّل به. ويرضى أخيل في النهاية بأن يعيد جثة هكتور الى والده بريام(Priam) وتنتهي الملحمة بالصلح . أما موت آخيل ونهايته فليسا جزءاً من الملحمة ، ولكن ظلال الموت المبكر تُرين على البطل اللامع ، وهو يجسد المثل الاغريقي الأعلى للبطولة ، لأنه استعد للتضحية بكل شيء في سبيل الشرف . إن المقارنة بين سجاياه الرائعة وحياته القصيرة المفعمة بالمتاعب تعكس الروح المأساوية التي تسود الفكر الاغريقي . وعلى حين ان الالياذة صرف مأساوية فالأوديسة مأساوية هزلية بآن معاً ، وفي الواقع ليست الأخيرة الا نسخة من القصة الشعبية القديمة التي تروى

عودة المغامر التائه وانتصاره على أولئك الذين اغتصبوا حقوقه واضطهدوا زوجه في بيته، لكنها أكثر غنى أدبياً وفنياً من مجرد قصة شعبية). يمثل أدويسيوس (Odysseus) بدوره مثلاً يونانياً أعلى، ومع أنه ليس ضعيفاً بل ند نزال وقتال يظل سلاحه الرئيسي الحيلة والمكر بالخصم. وبهذه الوسيلة الوحيدة ظهر على العمالقة الذين يفوقونه قوة، كما تغلب على الكثرة العددية لخطاب زوجته الذين احتلوا قصره. وخلال رحلته التي دامت عشرة اعوام، في طريق عودته من طروادة الى منزله، نراه يفقد جميع رفاقه وسفنه ويتنقل في اتاكا (Ithaca) متخفياً في زي شحاذ حتى في قصره. وفي غمرة هذه المخاطر جميعاً لا يبعثه على التشبث بالحياة ونشدانه النجاح سوى رجاحة عقله. ترتكز الملحمتان على حبكة تأخذ بانفاس القارىء وتستحوذ على اهتمامه، وتجريان سرداً بلغة سهلة بسيطة ومباشرة، لكنها فصيحة بليغة. ومع أن الملحمتين أقدم الشعر الاغريقي تاريخياً، فليستا بدائيتين، وتشيران الى انهما أوج الأدب الملحمي لا بدايته. وكانتا أساساً قصيدتين تناقلهما الناس شفوياً وأخذوا بتطويرهما والاضافة اليهما عبر حقبة طويلة، واسهم بتلك الاضافات ارتجالاً العديد من الشعراء المجهولين. ذلك لان العالم الذي يعكسانه مشحون بالمتناقضات. ويمت بعض اسلحة القتال فيهما الى العصر البرونزي، وبعضها الآخر الى العصر الحديدي، وأشياء منها الى العصر المسيني، وتتدافع متلاقية مع غيرها مما يعود الى القرون الخمسة التي تلت. كل ذلك، بله بعض الامور الغامضة، ومنها تاريخ الشاعر او الشعراء العظام الذين تمخضت قرائحهم عن تلك البنية والشكل الحاليين للملحمتين ووظيفتهما الاجتماعية، نظراً لأنهما تحتاجان لعدة ايام لانشادهما، ناهيك بالطريقة التي تم بها تدوينها كتابة، والتي قد تعود الى القرن السادس قبل الميلاد.

وقديماً أنزل الناس الالياذة والأوديسة مقاماً لم ينزلوه اية ملاحم اخرى على كثرتها. وعرف منها العديد فيما بعد بمجموعة أو بدورة الملاحم، وهي تغطي قصة سائر احداث حروب طيبة وطروادة، كما أنها تغطي الأساطير الأخرى الشهيرة. وهناك طائفة من القصائد الاقصر مكتوبة حسب الاسلوب الملحمي، تعرف بالترانيم الهومرية (Homeric Hymns) وتتحلى بالروعة والجمال.

لم يكن الشعر التعليمي في نظر الاغريق ليختلف عن الشعر الملحمي ، بيد أن عالم الشاعر هسيود مغاير بل مناقض لدنيا هوميروس . فقد عاش في بيوتية (Boeotia) في أواسط اليونان حوالي عام ٨٠٠ق.م، وفي كتابه «أعمال وأيام» يصف انماط حياة الفلاحين ويتطرق عرضاً لوصف سهول بيوتية الموحشة ، بعد ان دهمها الجفاف والصقيع وطغيان الارستقراطية الشرهة . وكان على راسخ الاعتقاد بأن زيوس (Zeus) يحفل بالخطأ والصواب ، وان العدل ابنته . اما قصيدته الاخرى وعنوانها تيوغومية (أصل الآلهة وتحدرهم)(Theogomy) ، فيحاول فيها تتبع أصل الآلهة ـ بشكل منظم ـ ويعيد فيها رواية العديد من الاساطير ذات الصلة بخلق العالم . وبوضوح يمكن مشاهدة أثر الشرق الأوسط فيها ، ولا سيما في بعض التأملات البسيطة عن أصل الكون . وفي نهاية القرن السادس فقدت التقاليد الملحمية نضارتها ، وظلت على حالها من الخمود حتى انتعشت من جديد في الفترة الهيلينية ، أما الشعراء القلائل الذين نظموا ملاحمهم فلم يخلفوا وراءهم سوى النزر اليسير باستثناء اسمائهم .

الشعر الغنائي : يعطينا هيسيود صورة عن نفسه ، على عكس هوميروس ، شأنه شأن الشعراء الغنائيين . وإذا استثنينا بندار وبكيليدس (Bacchylides) اللذين كتبا في نهاية الفترة الكلاسيكية ، لم يصلنا من الأعمال الغنائية لهذه الفترة سوى اجزاء ضئيلة . وكان في اليونان شعر غنائي تدور موضوعاته حول سائر حوادث الحياة الكبرى وجميع مشاغلها . وهنا كذلك نجد الطريق معبداً للانتقال من الشاعر المجهول الى الشاعر الفردي.

تشمل كلمة غنائي أنواعاً عديدة من القصائد، فهناك القصائد التي تغنى أحياناً بمصاحبة المزمار(الفلوت)سواء غناها أفراد أو مجموعات وقد سميت ملك(Melic) وهناك المراثي التي يتناوب فيها بيت من البحر الملحمي المعروف بالسداسي (سداسي التفاعل) مع بيت أقصر . واقترن هذان البيتان تقليدياً بالندب ومصاحبة المزمار، الا انهما استعملا كذلك للشعر الشخصي سواء انشد أو ردد . وهناك البحر الرباعي المسمى «أيامباك» (Iambic) (بحر الوحدات العروضية المؤلفة بشكل رئيسي من

أربع وحدات ، يتألف كل منها من مقطعين اولهما قصير وثانيهما طويل) وقد استعمل تقليدياً للتهكم اللاذع أو الهجاء المقذع ، أو النقد الساخر ولم يستعمل للغناء بشكل اعتيادي.

وإذا كان ارخيلوخس من سكان باروس (Paros) قد كتب حقاً حوالي عام ٧٠٠ ق .م ، فهو ولا مرية أول شاعر أتى في فترة ما بعد الملحمة . وتدل الأجزاء من قصائده القليلة على شخصيته اللاذعة التي اطلقها على سجيتها ، كما تعكس الحياة المضطربة لمغامر خائب جياش العاطفة ثائرها ، مر اللسان بالناس ، ذماً وقدحاً ، ساخر بالتقاليد . وبالرغم من ان شعره غير تعليمي فقد اعتبره القدامى شاعراً رئيسياً .

أما الشعراء الذين خلفوا أرخيلوخس ، أمثال سيمونيدس (Semonides) من أمورغوس (Amorgos) وهيبوناكس (Hipponax) من أفسوس (Ephesus) فهم أقل شأناً . وبشكل عام ، انحدر شعراء المراثي ، شأنهم شأن شعراء التهكم والنقد الذين نظموا على البحر الرباعي ، من الجزر والاقاليم الأيونية من آسيا الصغرى . ومن اشهرهم كلينوس (Callinus) من افسس وممنرمس (Mimnermus) من المدينة المجاورة كولوفون (Colophon) وهو معاصر للسياسي الأثيني صولون (Solon) . وعلى البر اليوناني استثار ترتايوس (Tyrtaeus) همم الاسبارطيين في نضالهم المرير ضد الثائرين الميسينيين في السنوات التي تلت عام ٦٥٠ ق.م، وتعتبر قصائده الحماسية ذات قيمة تاريخية اكثر منها أدبية ، وينطبق هذا الى حد ما على الشعر المفرغ في بحور مرثاوية أو هزلية أو تروكية (Trochaic) (يتألف هذا البحر من أربع وحدات قوام كل منها مقطع طويل يتلوه مقطع قصير) صاغ بها صولون شعره الدعائي . ونحا كزنوفانيس (Xenophanes) المولود حوالي عام ٥٦٠ ق .م في قصائده المنحى نفسه لنشر افكاره الثورية والدينية والأخلاقية . ويبدو ان قصائد المراثي التي تعزى الى ثيوجنيس (Theognis) ذات تواريخ متنوعة ، وتصلح للأداء على الموائد الخضراء، وقد نظم معظمها حوالي ٥٤٠ق.م الا ان بعضها يعبر بشكل صارخ عن

كره الحكام الذين قفزوا من الحضيض ليحلوا محل الطبقة الارستقراطية في ميغارة (Megara) . وما خلا هذا النمط من شعره فمجرد قصائد غزل موجهة للصبي سيرنوس (Cyrnus) واقوال مأثورة ومجرد حكم واخلاقيات يونانية شائعة . ومع بدء القرن السادس ظهر نوع جديد من الشعر في جزيرة لسبوس (Lesbos) نظمه باللهجة الايونية المحلية افراد من الطبقة الارستقراطية المتحزبين المشاغبين ، ومن أعلامه الكيوس (Alcaeus) (المولود حوالي ٦٢٠ ق . م) الذي انغمس في التحريات السياسية والحرب الاهلية مندفعاً بالتعبير عن مشاعره بشكل مباشر أخاذ تنفيساً للكره الاعمى والفرح اللذين لا حدود لهما . وبالاداء المباشر ، والرشاقة المتناهية نفسهما ، تحدثت صافو (Sappho) المعاصرة والاكثر حداثة - والتي يبدو انها تمتعت بحرية لم تعرفها نساء البر الاغريقي - تحدثت عن أولئك الذين كرهتهم او شغفت بهم حباً رغم ان ما شاع من اخبار علاقتها بالبنات اللواتي ذكرتهن في قصائدها قليل لا يروي غليلاً . أما القصائد التي وصلتنا من شعر خلفها أنكريون (Anacreon) من تيوس (Teos) فتوحي غزلياً بطابع اكثر بهجة .

ويقترن الشعر الغنائي الكورالي بالاجزاء الدُورية (Dorian) من البر اليوناني والمستوطنات في صقليةوجنوبي ايطاليا ، على حين كان الشعر الغنائي الفردي من نتاج الساحل الأيوني وجزر بحر إيجة . وهكذا نرى أن الاغاني الكورالية التي تصاحبها الموسيقى بالغة التعقيد في تركيبها لانها لم تستعمل البحور الشعرية التقليدية ولا مجموعاتها وانما كان لكل قصيدة منها بحرها الخاص الذي لا تشاركها به قصيدة أخرى ، مع ان الوحدات العروضية التي تتألف منها المقاطع او الاستروفية كانت تغرف من معين واحد . وبدوره كان شكل «الاستروفية» يتكيف مع الرقصة التي توافقها . وبالنسبة لبندار ، ارتبط نمط هذا الفن المعقد بشكل رئيسي بمراسيم عبادة الآلهة ، او بمراسيم الاحتفال بالمنتصرين في الألعاب الهيلينية .

وكان ألكمان (Alcman) من اسبارطة (عاش حوالي ٦٢٠ ق . م) اول شاعر نظم قصائد كورالية وصلتنا . وبعد فترة نرى ستسيكورس (Stesichorus) يعمل في صقلية ، ويعيد من رواية الاساطير العظيمة وصياغتها شعراً غنائياً ، وهذه مرحلة هامة في تطور القصص الشعري . أما سيمونيدس (Simonides) من كيوس (Ceos)

في ايونية فكان ـ من بين الشعراء الاغـريق ـ الاكثـر تنويعـاً في الشعر ، تلتهب العواطف على ايقاع كلماته ، وان اشتهـر بمراثيـه ، وبخاصة قصائده التي رثى بها الجنود اليونان في حربهم ضد فارس .

وكان بندار من ثيبة في بيوتية (المولود عام ٥١٨ أو عام ٥٢٢ والمتوفى بعد عام ٤٤٦ ق .م) اعظم شعراء الغنـاء الـكورالي ، واشتهـر بشـكل خاص بقصائـده الغنائية التي نظمها تكريماً للمنتصرين في حفلات الألعاب الكبرى التي كانت تقام في اولمبيا ودلفي وبرزخ كورنثـة (Corinth) ونيمية (Nemea) . وكان مؤمنـاً بأنـه يستعمل موهبته استعمالا مشرفاً بتكريمه الرياضيين ساعة انتصارهم ، اذ يرفعهم الى مستوى الابطال القدامى الذين يزعمون انهم تحدروا عنهـم . امـا آخـر الشعـراء الغنائيين فكان بكيليديس (Bacchylides) (اشتهر في القرن الخامس ق.م) وتتصف اعماله الادبية بضحالة المعنى والتصنع المتقـن شكلاً ، كما تعـكس انحـدار قيمـة الاساطير .

المأساة : يعتقد بشكل عام ان المأساة تطورت من الترانيم الكورالية الحماسية المعروفة باسم «ديتيرامب» (Dithyramb) وهي أناشيد دينية كورالية تتجه بالانشـاد لعبادة ديونيسوس . وأول من تصدى جدياً للنظم في هذا المجال هو أريون (Arion) من لسبوس، وكان يعمل في كورنثة حوالي ٦٠٠ ق.م، ثم جاء تسبس (Thespis) (القرن السادس قبل الميلاد) الذي ربما ابتكر المأساة بمزجه الترانيم الحماسية ببعض مراسيم العبادة الاتيكية للاله ديونيسيوس من اليوثيرة (Eleutherae) ، وذلك بأن أدخل ممثلاً يتحدث مع قائد الكورس . وبذا غدت هذه العروض ظاهرة منتظمة من ظواهر الاحتفال العظيم بديونيسوس في أثينة حوالي ٥٣٤ ق.م أما اسخيلوس (٥٢٥/ ٥٢٤ ـ ٤٥٦ ق.م) فهو وجه المأساة الحقيقية، لأنه أدخل ممثلاً ثانياً ، رغم ان التركيز في مسرحياته ظل على الكورس الذي يتوجه اليه ممثلوه بأحاديثهم، وليس الى بعضهم بعضاً . .

وكان كل من الشعراء المتبارين الثلاثة في احتفالات ديونيسيوس يقدم ثلاث مسرحيات مأساوية ومسرحية هزلية عربيدة أو مسرحية هزلية الشكل جدية المحتوى تتضمن كورساً تزيا بزي الساطير (Satyr) (وهو إله يوناني من آلهة الغابات نصفه

إنسان والنصف الآخر حيوان) . وعلى عكس الشعراء الـذين أتـوا بعـده افـرغ اسخيلوس مآسيه الثلاث بوحدة درامية متكاملة تعالج قصة واحدةكما هي الحال في الأورسيتا (Oresteia) الثلاثية الوحيدة التي وصلتنا كاملة . ولم يكن هدفه الرئيسي الاثارة الدرامية ورسم الشخصيات ، بل عرض العمل الانساني وعلاقته بمشيئـة الآلهة ذوي الكلمة المهيمنة على مصير الانسان .

وخلف اسخيلوس سوفوكليس حوالي (٤٩٦ ـ ٤٠٦ ق .م) والذي غالباً ما تخلى عن ممارسة الكتابة بالثلاثيات ، وقلل من شأن الكورس وأدخل ممثلاً ثالثاً . وكان عمله هو الآخر مبنياً على الاساطير ، وبينمـا حـاول اسخيلوس ان يوضح كيف تمارس مقدرات الآلهـة تأثيراً على حياة الانسـان ، كان سوفـكليس اكثـر استعداداً لتقبل الآلهة كما هي ، وكشف عن قيم الحياة كما يمكن ان يعيشها الناس ضمن الاطار التقليدي للمقاييس الاخلاقية ، وكرس مهارته في السيطرة على الحركة المسرحية والتمكن من ادارة الحوار لعرض الساعات الحاسمـة والمأسـاوية في حياة رجال ونساء هم بطوليون وبشر بآن معاً أمثال أوديب (Oedipus) .

كان يوربيديس (حوالي ٤٨٠ ـ ٤٠٦) ، آخر الشعراء المأساويين الثلاثة ، يمت الى عالم مختلف ، لانه عندما بلغ طور الرجولـة كانـت المعتقـدات التقليدية للاغريق ـ كما طالب السفسطائيون بحق ـ قد محصت على ضوء العقل . وتلك تجربة قاسية بالنسبة للكثير مما في الديانة الاغريقية التي اثبتت انها سهلة المأخذ . وقد عم التساؤ ل كل بنية المجتمع وقيمه ، ولم تكن هذه الحركة ـ في غالبيتها من النقد الهدام ـ غير مناسبة لطبيعة يوربيديس . الا انه ـ ككاتب مسرحي ـ كان مضطراً لان يستقي حادثة من الاساطير التي فقدت معناها الى حد كبير بالنسبة له ، ويكيّفهـا بحيث تغدو متنفساً لعرض المشاكل المعاصرة التي كانت محور اهتمامه الحقيقي . ومع ان العديد من مسرحياته ، يعاني نوعاً من عدم الانسجـام الـداخلي ، فان رهف احساساته وعمق تصويره النفسي ونفاذ بصيرته جعلتـه أقـرب الكتـاب المسرحيين الاغريق الى الذوق الحديث . وهناك دراسات رائعة عن العاطفـة في أعمال غـير عاطفية كلياً كمسرحيتي ميدية (Medea) وهيبوليتوس (Hippolytus) ، وتصوير حي للجمال والروعة المتعلقين بالتصوف الديني في مسرحية باخي (Bacchae) ، وتقليل من

شأن القيم الى درجة سخيفة في اسطورة تبرر قتل الام فيمسرحية الكترا (Electra) ، ومليودراما ذات طابع رومانسي في مسرحيتي «هيلين»(Helen) «وافجينية في طورس» (Iphigenea in Tauris) .

__الملهاة__: نشأت الملهاة ـ شأنها شأن المأساة ـ من طقوس تكرم ديونيسوس، وهي مشحونة بالذم والبذاءة دفعاً للشر وتشجيعاً للخصب. ولربما كان الجزء من المسرحية الذي يقطع فيه الكورس العمل المسرحي ، ويخاطب الجمهور معلقاً على حوادث الساعة وعلى الشخصيات المعاصرة ، تقليداً انحدر من مثل هذا المسرح الصاخب . اما العنصر المسرحي فلربما أخذ من المسرحية الدورية (Dorian) العلمانية الخالية من الكورس . ويقال انها نشأت في ميغارة (Megara) وتطورت في سرقسطة على أيدي ابيكارموس (Epicharmas) حوالي ٥٣٠ ـ ٤٤٠ ق .م) وهي تشبه المسرحية القديمة التي تألفت من مشاهد قصيرة واقعية مأخوذة من الحياة اليومية والمسماة مايم(Mime) . وقد كتب سوفرون السرقسطي (Sophorn) مثل هذه المشاهد في وقت لاحق ولم يبق منها الا اجزاء قليلة . ومع ذلك فهي هامة لتأثيرها على صيغة حوار أفلاطون وعلى «المايم» الهيلينية وفي أثينة اصبحت الملهاة جزءاً رسمياً من احتفالات ديونيسوس بعد عام ٤٨٦ ق. م، وكان كرتينوس(Cratinus) أول شاعر كوميدي عظيم . وبعد حوالي ٥٠ عاماً هذب أرستوفانس (Aristophanes) ويوبولس(Eupolis) من خشونة الشعراء الاوائل . ومع ذلك فقد ظلت الكوميديا القديمة لأرستوفانس لا تبارى لما اتسمت به من خيال جامح ، وقدح لا يعرف الشفقة ، وبذاءة عديمة الخجل ، وحرية في النقد السياسي . وسوفكليس هو المسرحي الوحيد الذي وصلتنا مؤلفاته، ومن ضحايا لاذع نقده كليون (Cleon) السياسي وسقراط الفيلسوف ويوربيدس الشاعر وقد ظهر الأول منهما في ملهاة الفرسان(The Knights) ، والثاني في ملهاة الغيوم(The Clouds)، والثالث في ملهاة تيسموفوريازوسي (Thesmophoriazusae) والضفادع (The Frogs) بينما تسخر مسرحية الطيور(The Birds) بشكل مهذب ـ من الديمقراطية الاثينية .

لقد عاش أرستوفانس الى ما بعد سقوط أثينة ، الا ان الملهاة القديمة فقدت مكانتها في الديمقراطية التي بعثت للحياة مجدداً . حدث الانتقال من الكوميديا القديمة الى الكوميديا المتوسطة في مطلع القرن الرابع قبل الميلاد ، لكن لم يصلنا اي نموذج كامل التطور عن هذه الكوميديا ، ويبدو أنها تميزت باختفاء الكورس والنقد السياسي المكشوف ونمو النقد الاجتماعي والتقليد الهزلي . وكان انتيفانيس (Antiphanes) والكسيس(Alexis) ابرز من جلّوا في هذا المجال ، وقد أدت الحيل الفنية المعقدة التي تضمنتها بعض مسرحياتهم الى تطوير الكوميديا الجديدة في نهاية القرن ، ويمثلها ميناندر(Menander) أحسن تمثيل . ولم يصلنا من أعمال هذا الأخير البالغة (١٠٥) مسرحيات سوى مسرحية واحدة كاملة هي كوميديا ديسكولس (Dyscolos) وأجزاء من مسرحيات أربع اخرى . تعود الكوميديا الجديدة في بعض أصولها الى تراجيديا يوريبيدس، وتدور حبكتها المميزة حول قصة قديمة سربلت حلة مدينية للعذراء التي نازعها العفاف أحد الآلهة فحملت منه سرّاً ، ثم تخلت عن مولودها لتتعرف عليه فيما بعد بوساطة حلية بسيطة تركتها في مهده . ويتحول الآله في القصة الى واحد من شباب اللهو في المدينة ، أما الطفلة فيتعشقها واحد من شباب المدينة ، ويعقد عليها بسرور عندما يتبين انها سليلة ابوين من الاحرار .

التـاريخ : يعتبر هيرودتس (Herodotus) من هليكارناسوس (Halicarnassus) أول مؤرخ اغريقي، وهو الى جانب ذلك جغرافي وعالم اجتماعي وموضوع تاريخه الذي كتب معظمه للقارىء الأثيني هو الصدام ما بين أسية وأوروبة الذي بلغ الأوج في الحروب الفارسية . أما وقائع الحرب نفسها التي تكاد تملأ النصف الثاني من كتابه فيبدو أنه الفها بعد تحقيقات مضنية بمشافهة من تذكروا الحرب التي جرت وقائعها عندما كان هيرودتس في طور الطفولة او ربما قبل ذلك . وتاريخ هذا المؤرخ بمجموعه عمل رائع في شموله مع انه سيىء التلاحم في بعض أجزائه التي يوحد فيما بينها الشعور بقوة مهيمنة تكبح جماح الكون والبشرية ، وتضفي بساطة نثره وانسيابه على الكتاب سحراً خاصاً به .

ربما كان ثيوسيديدس (Thucydides) (حوالي ٤٦٠-٤٠٠ ق.م) أول رائد من الطراز الأول يمحص عقلياً وبشكل مسهب طبيعة القوة الأساسية والعوامل التي تقرر سياسة الدول . واكتسب باعتباره عضواً في هيئة القيادة علماً عملياً في الطريقة التي تمارس بها السياسة . وبعد أن فشل في انقاذ امفيبولس (Amphipolis) عام ٤٢٤ ق.م قضى عشرين عاماً في المنفى احتسبها فرصة مناسبة للوقوف على الحقيقة من كلا الطرفين المتنازعين . وكانت الحصيلة تاريخاً حربياً وسياسياً ضيق النطاق ولكنه من نوع ثاقب . لقد تحرى ثيوسيديدس أثر المميزات النفسية والصدف على الأفراد والأمم . ويمكننا أن نستنتج ما توصل اليه عبر الأحاديث العديدة التي وضعها على ألسنة شخصياته التاريخية . وهو قليل التعصب ولكننا نرى اعجابه بالسياسي الأثيني بركليس (Pericles) وكرهه لخصمه كليون (Cleon) .

وكما ابتدأ ثيوسيديدس تاريخه من حيث انتهى هرودوتس وصل كزنوفون (Xenophon) (٤٣١ - وتوفي قبل ٣٥٠ ق.م) بتاريخه هلينيكة (Hellinica) ما انقطع عنده تاريخ ثيوسيديدس غير الكامل عام ٤١١ ، وامتد حتى عام ٣٦٢ ق.م . ويتسم تاريخه بالسطحية اذا ما قورن بثيوسيديدس، لكنه كتب كتابة العالم في القضايا الحربية ، وعلى ذلك فأفضل انتاجه كتابه «اناباسيس» (Anabasis) وفيه يصف اشتراكه في المغامرة كجندي في جيش يوناني مرتزق استأجره الامير الفارسي قورش كي يزيح اخاه عن العرش ، ولكن القائد اليوناني لقي مصرعه واضطر جيشه للانسحاب منكفئاً من قرب مدينة بابل حتى شواطىء البحر الاسود . وكتب كزنوفون مؤلفات اخرى بمديح سقراط ، ولكن تقويمه وتقديره له كان ناقصاً. ولم تصلنا أية كتابات تاريخية من القرن الرابع باستثناء قطعة من ورق البَرْديّ تضم سجلاً هو حوليات لاحداث ٣٩٦-٣٩٥ ق.م . اما ما اعقب تلك الفترة من كتب فمتدنية المستوى حتى لكأنها مجرد كلمات جوفاء طنانة .

البلاغة والخطابة : قليلة هي المجتمعات التي أعطيت القدرة على الخطاب الطلق والمقنع حق قدره اكثر مما أعطى اليونانيون ، وحتى في مؤلفات هوميروس هناك خطابات كاملة البلاغة ، لكن قيام اشكال من الحكم الديمقراطي زاد في زخم

دراسـة فن الاقنـاع وتعلمـه ، وكل ذلك ضروري للنقـاش السياسي في الجمعية العامة ، وللمرافعات في محاكم القضاء . ويبدو ان الدراسة الرسمية للبلاغة نبعت في سرقسطـة حوالي ٤٦٠ ق . م . ومـن اعلامهـا كوراكس (Corax) وتلميذيه تيسياس (Tisias) وجـورجياس (Giorgias) (المتـوفي حوالي عام ٣٧٦ ق . م) وكان الأخير بالغ الأثر كذلك في أثينا . ويشتهر كوراكس بأنه اول من كتب مرشداً في علم البلاغة وعالج مواضيع عدة كالنقاش بدءاً مما هو معقول القول وممكنه والأجزاء التي يجب ان تقسم اليها الخطب . ونسب معظم السفسطائيين لأنفسهم أنهم اساتذة فن الكلام وبخاصة بروتاغوراس (Protagoras) الذي ادّعى أنّ وجهة النظر الضعيفة في النقاش يمكن ان تكون لها الغلبـة بتوسـل المهـارة في الحـديث ـ وبـروديكوس (Prodicus) من كيوس (Ceos) الذي ميز بين خمسة ظلال من المعاني .

كان انتيفون(Antiphon) (حوالي ٤٨٠ ـ ٤١١ ق . م) ، وهو أول كاتب خطب محترف ، خصماً للديموقراطية ذو نفوذ . وانتهى الينا من اعمإله ثلاثة أحاديث تتعلـق بقضايا القتل . كما وصلتنا ثلاث رباعيات ، وهي مجموعات عمادها زوجـان من الخطب ، في اطار من الحجم التي يستخدمها الطرفان المتحاوران في حالات قتل وهمية . وفيها عبَّر الكاتب عن آرائه متوسلاً افكاراً بدائية ، بتصور ذنب سفـك الدم وواجب الانتقام . ويتصف اسلوب انتيفـون بالوضـوح والاعتماد على توازن الجمل والتعبير الذي ينقصه الصقل . اما جورجياس الصقلي الذي زار أثينـة عام ٤٢٧ ق . م فأسلوبه يعتمد على توازن الجمل ، والتنسيق المنتظم فيها والتعقيد ، والتنقل ما بـين القـافية والسجعـة . واسهـم تراسياخـوس (Thracymachus) من كاليدونيا (Chalcedon) مساهمة أكبر بفن البلاغة ، وذلك بتطويره اسلوباً خطابياً رناناً يعتمد التوقع وتعليق الاخبار في جُمَلِهِ .

كتب اندوسيديس(Andocides) (ولـد حوالي ٤٤٠ ق . م وتـوفي بعـد عام ٣٩١) الذي قضى شطراً طويلاً من حياته منفياً في أثينا ثلاث خطب تتخللها قصص حية ، الا أنه باعترافه كان هاوياً كخطيب . أما ليسياس(Lysias) (ولد حوالي ٤٥٥ ق . م وتوفى بعد عام٣٨٠ ق . م)فقد عاش في أثينا كأجنبي يكسب عيشه بعد أن فقد

ثروته ، بما يدبج من خطب . ولاسلوبه البسيط السلس سحره البين ، وتبين خطبه التي كتب بعضها لمترافعين من الطبقات الدنيا ، كيف يتكيف الاداء ليتناسب وشخصية المتكلمين ، مع ان أمتع خطبه وأهمها تتمحور على مهاجمة إيراتوستين (Eratosthenes) احد الثلاثين طاغية الذين فرضتهم اسبارطة على أثينا عام ٤٠٤ ق .م . وتتضمن هذه الخطبة وصفاً رائعاً لحكم الرعب الذي مرت به أثينا خلال حكمهم .

نشط أسايوس (Isaeus) في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد . وتلقي خطبه الاثنتا عشرة التي وصلتنا الضوء على نواح من القانون الاثيني . اما ايسوقراط (Isocrates) ـ الذي كان بليغ الاثر في أثينا سحابة نصف قرن قبل وفاته عام ٣٣٨ ق .م فقد اتقن اسلوباً نثرياً خطابياً قوبل بالرضا العام عندما طبق على اللاتينية . كما ساعد على تبوّؤ البلاغة منزلة السيادة في النظام التعليمي للعالم القديم . ويكشف ايسوقراط في كتاباته ، التي هي أقرب الى الكتيبات ، وان اتخذت شكل خطب ، عن عمق اطلاعه على خفايا القلاقل السياسية التي انتابت المدن اليونانية غير القادرة على التعاون فيما بينها ، مما أسفر عن خصومات لا نهاية لها . ومع ذلك تنقص ايسوقراط حرارة النبرة ونبضها . وأسلوبه على الغالب رتيب .

وكان ديموستين (Demosthenes) (٣٨٤ـ ٣٢٢ ق .م)أعظم الخطباء قاطبة . رغم ما ينقصه من بعض المهارة البلاغية المرهفة الدقيقة ـ متفوقاً بعنفه وشدة مراسه . وكانت خطبه سياسية بشكل رئيسي . وخير ما يذكر به معارضته ، مجسدة في الفيلبّينات ، مطامع مقدونية تحت حكم ملكها فيليب الثاني ، باخضاع البر اليوناني . وبعد وفاته ذوت الخطابة مع اضمحلال الخلفية السياسية التي بلغت بفضلها هذه المنزلة من الأهمية . وفي هذا المجال لا بد من ذكر خطيبين اثنين عاشا في القرن الرابع قبل الميلاد ، وهما هايبريديس (Hayperides) (ولد حوالي ٣٩٠ ـ ٣٢٢ ق.م) وليكورغس (Lycurgus) (ولد حوالي ٣٩٠ ـ ٣٢٤ ق.م) .

الفلسفة : يتمثل نبع النثر الفلسفي ،وهو أكبر انجاز أدبي في القرن الرابع بسقراط (الذي لم يكتب شيئا) بأسلوبه المتميز في التعليم والجاري على شكل سؤ ال

وجواب ، والآيل حكما الى الحوار . كان اليكسامينوس(Alexamenus) من تيوس (Teos) وانتيستينيس(Antisthenes) ـ وكلاهما من تلامذة سقراط ـ أول من استعمل الحوار. ولكن رافع رايته الاعظم هو افلاطون الاثيني (حوالي ٤٢٨ ـ ٣٤٨/ ٣٤٧ ق .م) الذي كتب بعد وفاة سقراط مباشرة عام ٣٩٩ ق .م بعض الحوار ، ومعظمه قصير . وتحت هذا النوع من الكتابة تصنف مؤلفاته التالية : اعتذار(Apology) وبروتاغوراس(Protagoras) وجورجياس(Gorgias) وفي نهاية العقد الذي تلا عام ٣٨٥ ق .م دفع للتراء بسلسلة من الاعمال الرائعة مثل فيدو(Phaedo) وفيدرس (Phaedrus) وسمبوزيوم(Symposium) والجمهورية(The Repuplic) . وتعتبر كتاباته عن سقراط اكثر الشخصيات المرسومة بعناية في الأدب الاغريقي . اما حواره الذي تلا ذلك فهو أكثر فلسفة وأقل طلاوة ، اذ تحول سقراط فيها الى مجرد ناطق بفلسفة افلاطون . وفي آخر مؤلفاته «القوانين»(The Laws) انقلب الى مجرد شخص اقل تنميقاً في كتاباته . ويتميز اسلوب افلاطون بجماله الذي لا يضارع ومع ان النقاد القدماء الذين قيدوا أنفسهم بالقوانين التي ابتدعوها وجدوه شاعرياً اكثر مما يجب ، فليس هناك من تجربة إنسانية لا تقع في مداه . وهو يتلاءم مع كل خطوة من خطوات النقاش المتطور ، بالغاً بالفصاحة الاوج في كلمته عن مصير الانسان ، وعاكساً بصدق مماثل ومرح حفلات الشراب وطلاوتها وعظمة سقراط في زنزانته .

أما أرسطو تلميذ افلاطون (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق .م) فقد حظي باعجاب العالم القديم لفصاحة أسلوبه . الا ان سائر مؤلفاته التي وصلتنا تعتبر وقفاً على فئة خاصة من الناس وكتبت لتستعمل في مدرسته الفلسفية والعلمية المسماة بالليسيوم (Lyceum) . فهي خالية من الرشاقة الادبية ، وتقارب في شكلها احياناً رؤوس الاقلام التي تؤخذ في المحاضرات . وكان لكتابيه البلاغة (Rhetoric) وشاعريات (Poetics) اللذين طرحا مواضيع ادبية ـ وبخاصة كتابه الثاني ـ أثر بالغ على النظريات الأدبية في القرون التي تلت عصر النهضة وفي العالم القديم . وعرفت مبادىء ارسطو ـ بشكل رئيسي ـ عبر مؤلفات خلفه تيوفراستس(Theophrastus) (حوالي ٣٧٢ ـ ٢٨٨/ ٢٨٧ ق . م) التي ضاعت كلها باستثناء كتابين عن النباتات ، ومجموعته الشهيرة عن الثلاثين شخصية . وهي صورة لنماذج بشرية نهج

على تقليدها الكتاب الانكليز في القرن السابع عشر . وبزوال تيوفراستوس ، خمد النثر الايتيكي بعض الوقت . اما النثر الفني في هذه الفترة فغزير ، لكن البلاغة غدت مجرد كلمات منمقة بعد ان تحولت الى محض تمرين ادبي لا صلة له بالسياسة .

الأشكال الشعرية المتأخرة : انحصرت الفترة الخلاقة للعصر الهيليني بالقرن الثالث قبل الميلاد تقريباً . واليها يرجع ثلاثة من الشعراء البارزين هم ثيوقريطس (Theocritus) وكاليماخوس (Callimachus) وأبولونيوس(Apollonius) من رودس (Rhodes) . واشتهر ثيوقريطس (حوالي ٣١٠ - ٢٥٠ ق.م) المولود في سرقسطة بأنه مبتكر التقليد الرعوي او الشعر الرعوي ، الذي عرض فيه مشاهد من حياة الرعاة في صقلية وجنوبي ايطالية ، والى جانب ذلك وصر مشاهد من حياة الطبقة المتوسطة . وفي انشودته الرعوية الثانية التي يصور فيها شخصية سيماثة (Simaetha) التي تحاول - متوسلة السحر - ان تستعيد حب الرجل الذي هجرها يبلغ حدود المأساة . كما استعمل شكلاً آخر من أشكال الأدب الهيليني المسمى ابليون (Epylion) وهو عبارة عن مشهد قصير من الشعر القصصي البطولي ، يتسم بالواقعية المرحة ، والوصف النفسي الدقيق ، الأمر الذي ينقص من شأنه البطولي . وعلى يديه بلغ بحر السداسي (سداسي التفاعيل) صفاء وحلاوة غنائية لا تضاهى . لقد كان أول شعراء الطبيعة ، وخلفه في ذلك موسخس (Moschus) وبيون (Bion) .

اما كاليماخوس(Calimachus) الذي اشتهر حوالي ٢٦٠ ق .م فكان عالماً الى جانب كونه شاعراً. وأهم عمل أدبي له وصلتنا منه أجزاء كبيرة قصيدة تأملية عنوانها آيتية (Aitia)، وتصف أصول بعض الطقوس والعادات مثقلة بالعلم . الا ان منثورات تخللتها من القصص الممتع تضفي عليها صبغة التنوع . وتدل ترانيمه الست على خبرة شعرية راسخة دونما شعور ديني ، لأن آلهة جبل الاوليمب قد بادوا منذ عهد بعيد . كما كتب قصائد قصيرة من النوع الذي يطلق عليه شعر الحكمة (Epigram) وصلتنا أجزاء منها منظومة على بحر الايمب (Iambic) ، وهو بحر يتألف من مقطع صغير يتلوه مقطع طويل في التفعيلة ، وقد شاع جداً في القرن الثالث

لشجب خيلاء هذه الحياة وأباطيلها . ولهذه المقطوعات التي داخلها النثر احياناً صلة بالنقد اللاذع ، وكان المع من اشاعها بيون البورستيني (Bion The Borysthenite) ومنيبوس (Menippus) من غادارا (Gadara) وسيرسيداس (Cercidas) وفينكس (Phoenix) من كولوفون (Colophon) .

وجانب كاليماخوس الملحمة مركزاً على القصائد الاقصر ، وكان خلفه في الاسكندرية ابولونيوس (Appolonius) (ولد عام ٢٩٥ ق . م في رودس) آخر من نظم ملحمة يونانية وصلت إلينا ، إلا ان وصفه لرحلة أبطال السفينة آرغو Argonauts المغامرين مشحون بالاساطير لدرجة افقد القصيدة ترابطها . وتتصف قصة غرام ميديا (Medea) المدلهة بجاسون (Jason) قائد زعيم أولئك الأبطال بنوع جديد من الادراك الابداعي الذي يتحقق بشكل كامل في حادثة هيام ديدو (Dido) باينياس (Aeneas) في اينادة (Aeneid) فيرجيل .

هذا وقد أدت الرغبة في ربط العلم بالشعر الى احياء الشعر التعليمي . فقصيدة فينومينا (Phaenomena) للشاعر اراتوس (Aratus) من صولي (Soli) حوالي (٣١٥ - حوالي ٢٤٠ ق . م) ليست سوى نظم شعري لمقال عن النجوم كتبه ايودوكس (Eudoxus) من كنيدوس (Cnidus) (حوالي ٣٩٠ - حوالي ٣٤٠ ق . م). وحالفنا الحظ بحفظ قصيدة نيكاندر (Nicander) (ربما كان من القرن الثاني قبل الميلاد) وهي قصيدة لا يتوقع النظم بموضوعها الذي يدور حول عضات الحشرات والحيوانات ، وطرق العلاج منها ، وحول البلاسم المستعملة ضد السموم .

اما القصائد الهزلية من نوع «المايم» لهيروداس (Herodas) من القرن الثالث ق . م فواقعية مختزلة للحياة الدنيا ، ومنظومة على بحر «الايامب» ، وهي قريبة الصلة بقصائد ثيوقريط الهزلية وغير الرعوية ، وربما اعطتنا تلميحاً الى شخصية أدب الترفيه الشعبي الذي فقد معظمه . فقد كانت المحاكاة وبخاصة الصامتة منها التسلية الرئيسية خلال الفترة الاولى من الامبراطورية الرومانية .

اضمحل النشاط الشعري بعد منتصف القرن الثالث قبل الميلاد بشكل عام مع ان الفترة الكبرى للبحث العلمي في الاسكندرية وبرغاموم (Pergamum) لم تحن

بعد . وانتهت الينا اسماء بعض الشعراء أمثال يوفوريون (Euphorion) المولود عام ٢٧٥ في تشالسس (Chalcis) وبارثينيوس (Parthenius) (نشط في القرن الاول ق .م) استاذ فيرجيل . وبعد هذه الفترة جمد الادب اليوناني تقريباً باستثناء احياء متقطع في القرن الرابع بعد الميلاد . والاستثناء الوحيد في هذا الصدد هو الشعر الحكمي (القصائد القصيرة ذات الصبغة التعليمية) المنظوم في مزدوجات تأملية ، وقد وصلنا في مجموعتين هما المجموعة البلانودية (Planudean) والمجموعة البلاطينية (Palatine) .

الأشكال المتأخرة من النثر : عبثت يد الضياع بمعظم نثر الفترة الهيلينية وما بعدها ، سواء كان تاريخياً أو علمياً أو تعليمياً . ومن المؤرخين يمكننا أن نذكر بوليبيوس (Polybius) (حوالي ٢٠٠ - ١١٨ ق .م) وهو أبرزهم ولم يصلنا من أعماله سوى اجزاء قليلة ، لأنه كان في رومة عندما خضعت لتباشير تأثيرات الأدب اليوناني ، وهي تحدثنا عن الحوادث التي خبرها مباشرة بكثير من العمق ونفاذ البصيرة . وغطت مؤلفاته الفترة ما بين عامي ٢٦٤-١٤٦ ق.م - أما التاريخ العام لديودوروس سيكولس (Diodorus Siculus) (القرن الاول قبل الميلاد) فتنبع أهميته من المصادر التي استشهد بها . وأهم المؤرخين الذين ضاعت مؤلفاتهم هو تمايوس (Timaeus) (حوالي ٣٥٠ - ٢٥٠ ق .م) الذي اعطى بكتابه عن تاريخ اليونان في الغرب حتى عام ٢٦٤ ق .م نقطة البدء لبوليبيوس (Polybius). ومن المؤرخين المتأخرين الذين جاءوا بعده يمكننا ان نذكر ديونيسيوس (Dionysius) من هليكارناسوس (Hallicarasus) (ازدهرت اعماله حوالي ٢٠ ق .م) وأبيان (Appian) من الاسكندرية (القرن الثاني بعد الميلاد) الذي كتب عن رومة وفتوحاتها ، وأريان (Arrian) (حوالي ٩٦ - حوالي ١٨٠م) من بيثينية (Bithynia) ويعتبر أهم مصدر قيم عن الاسكندر الكبير .

أما أهم المؤلفات في النقد الادبي التي وصلنا القليل منها فكتبها ديونيسوس من هليكارناسوس ، ولونجانوس (Longinus) الغامض السيرة الذي تتميز مقالته

«حول السمو في الأدب»(On The Sublime) (حوالي ٤٠م) ، بأنها فريدة في تحليلها العميق للادب الخلاق. وفي هذا الصـــدد لا منــاص من ذكر كتــاب البيبليوتيكا (Bibliotheca) الـذي يعـزى الى ابولـودورس (Appolodorus) حوالي ١٨٠ ق .م وينطوي على خلاصة مفيدة للأساطير. اما بالنسبة للأعمال العلمية كالجغرافية وعلم الفلك لايراتوستينس (Eratosthenes) (حوالي ٢٧٦ ـ حوالي ١٩٤) من الاسكندرية فمعروفة بشكل رئيسي من ملخصات أخذت فيما بعد . وقد وصلنا الكثير مما كتبه علماء الـرياضيات وبخاصـة اقليدس (Euclides) (ازدهـرت اعمالــه حوالي ٣٠٠ ق .م) وأرخميدس (Archimedes) (حوالي ٢٨٧ ـ ٢١٢ ق .م). كما وصلنا العديد من مؤلفـات الـطبيب غالن (Galen) (١٢٩ ـ ١٩٩م) . أما معاصره سكستوس امبريكوس (Sextus Empricus) فمصدر هام لتاريخ الفلسفة الاغريقية ، وحفظ مسح سترابو للبحر المتوسط في عهد أغسطس الكثير من المعلومات القيمة ، شأنه في ذلك شأن كتاب بوسانياس (Pausanias) (القرن الثاني الميلادي) وفيه يصف اليونـان ، ولكن في مجال أضيق .وكل ما توصل اليه الاغريق في علمي الفلك والجغرافيا يكثفه بطليموس (Ptolemy) الاسكندراني في القرن الثاني الميلادي .

استخدم يهود الاسكندرية اللغة اليونانية في كتاباتهم الدينية ، فترجمت السبعونية (Septuagint) ، في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد ، وهـي النسخـة اليونـانية للعهد القديم . كما ألف الكثير من القصص الديني المتوارث باللغة الاغريقية وكتب العهد الجـديد بالاغـريقية الدارجـة . بينما كان كلمنت (Clement) مـن الاسكندرية (حوالي ١٥٠م ـ حوالي ٢١٥م) ، وأوريجـين (Origen) حوالي ١٨٥م ـ حوالي ٢٥٤م) بالاضافة الى كلمنت من رومـا واغنـاطيوس (Ignatius) من انطاكية ، من اشهـر الكتاب المسيحيين الاوائل الذين الّفوا بالاغريقية .

ظل كتاب «التراجـم المتقابلـة» (Parallel Libes) عن حياة عظماء الاغـريق والرومان لمؤلفه بلوتارخ (Plutarch) (حـوالي ٤٦م ـ حوالي ١١٩م) من خايرونيـا (Chaeronea) في بيوتية (Boeotia) أحـد المصـادر التـي كونـت عقــول المثقفــين الاوروبيين لقرون عديدة . وفيه يعرض المؤلف شخصيات عظيمة من ماض اعتبر مثالياً لتعليم معاصريه الاقل شأناً . أما الحكايات التي يزخر بها المؤلف فتختلف في

معقوليتها ، وهي مما يصلح للتراجم أكثر منها للتاريخ ، رغم كونها مصدراً هاماً للمؤ رخين . ووصلنا عدد من مؤ لفات اقل حجماً متنوعة المواضيع منها «موراليا» (Moralia) وهي تعكس التيار الفكري الاغريقي في جزره .

وكان هناك اهتمام بالغ في مسألة طالما نوقشت منذ ان توقفت أثينة عن ان تكون مدينة حرة، ومدارها هذا السؤ ال: الى أي حد يمكن اعتبار النثر الايتيكي نموذجاً على الكتاب والخطباء ان يحتذوه؟لقد جانب الكثيرون هذا النثر مفضلين عليه اسلوباً آسيوياً اكثر تنميقاً ، لكن ما لبثت ان حدثت في نهاية القرن الاول الميلادي حركة احياء للهجة أتيكة ، وباطارها دبجت الخطب والمقالات بغرض تعميمها . ويعرف هذا الاحياء بالحركة السفسطائية الثانية ، وفي عداد قادة كتابها ديوكريسوستوم (Diochrysostom) (القرن الاول الميلادي) ، وايليوس اريتسيديس (Aelius Aristedes) (القرن الثاني) وفيلوستراتس (Philostratus) (أوائل القرن الثالث) . وبكل حال يعتبر لوسيان (Lucian) (حوالي ١٢٠/ ١٢٥م - حوالي ١٩٠م) الكاتب الوحيد ذا الأهمية الكبرى . وتتصف كتاباته بالندرة ونكهتها الناقدة، الا ان موهبة النكتة المرحة المتكررة لديه أمر لا يمكن تجاهله . أما كتاب «تراجم عظماء الفلاسفة وآرائهم» (Lives And Opinions Of Famous Philosohers) فسفر قيم من القرن الثالث - لمؤ لفه - ديوجنيس ليرتيوس (Diogenes Laertius) الذي لولا كتابه هذا لما عرف .

ويتميز النشاط الفلسفي في أوائل عهد الامبراطورية ، بشكل رئيسي، بتعليم دروس أخلاقية قوامها مبدأ الرواقية ، تلك الفلسفة التي تدعو الى حياة تنسجم والطبيعة وعدم الاكتراث باللذة والالم . وقد أثر ابكتيتوس (Epictetus) (المولود حوالي عام ٥٥م) بشكل خاص على الامبراطور الروماني ماركوس اوريليوس (Marcus Aurelius) (١٢١ - ١٨٠م) ذي الميل الفلسفي بحيث اتخذ كتابه «تأملات» (Meditations) مكانه جنباً الى جنب مع مؤ لفات العبادة المسيحية الاخرى . ويمكن اعتبار الكثير من كتاب موراليا (Moralia) لبلوتارخ افلاطونية تشوبها نزعات صوفية ، الا ان أفلوطين (Plotinus) حوالي (٢٠٥ - ٢٦٠/ ٢٧٠م) وهو آخر مفكر رئيسي في العالم الكلاسيكي - اضفى اتجاهات جديدة على صوفية افلاطون وبيثاغوراس .

كانت الرواية ، وبالتالي قصص الاثارة الجنسية آخر ما تفتقت عنه العبقرية الاغريقية ، وقد تعود الى أوائل القرن الاول قبل الميلاد ، فهي ترجع بجذورها الى مسرحيات ينتصر فيها الحب ، كمسرحية اندروميدة (Andromeda) التي ضاعت لمؤلفها يوربيديس ، والى الكوميديا الجديدة ، والى أحلام يقظة كزنفون عن تعليم قورش ، والى القصص التي هي الى حد كبير مختلفة وان اعتبرت تاريخياً بدءاً من القرن الثالث قبل الميلاد وخير مثال على النوع الاخير « قصص الاسكندر» تلك الرواية الشديدة التشويه والتزيين لاعمال الاسكندر البطولية ، والتي كانت في العصور الوسطى واحدة من امتع القراءات المفضلة . ولربما ساعد على نشوئها القصائد التأملية الجنسية والقصائد الحكمية القصيرة . كما ردفتها القصص المليزية (Milesian Tales) الضائعة ، والتي ألفها أرستيديس (Aristedes) من ميليتس (Miletus) (حوالي ١٠٠ ق .م) مع ان الأخيرة اعتمدت كما يبدو على الفحش الذي تكاد تخلو منه القصص الاغريقية . ولم تصلنا منها سوى اجزاء من قصة نينوس (Ninos) مؤسس نينوى الاسطوري . وقد ترجع بتاريخها الى القرن الاول قبل الميلاد . بيد انه وصلتنا كاملة مؤلفات شاريتون (Chariton) (القرن الثاني الميلادي) ، وهليودورس (Heliodorus) (القرن الثالث الميلادي) وكزنفون (القرن الثاني او الثالث الميلادي) من افسوس (Ephesus) واخيل طاطيوس (Achilles Tatius) (القرن الثاني الميلادي). وجميع هذه الروايات تروي قصص محبين صادقين تفرق ما بينهم عوائق لا تحصى من الخبث الانساني والكوارث الطبيعية ، ثم يجتمع شملهم في نهاية المطاف . اما قصة « دفنه وخلوي » (Dephnis And Chloë) لمؤلفها لونغوس (Longus) (ما بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين) فتتميز عما سواها بخلفيتها الرعوية بدلاً من الخلفية شبه التاريخية . وتعود اعمال ديكتس كرتنسيس (Dictys Cretensis) وداريس الفريجي (Dares الى الفترة نفسها . ويدعي كل منهما بأنه رصد يراعه لوصف حروب طروادة قبل هوميروس . غير ان اصلها الاغريقي ضاع بكليته تقريباً ، الا ان الرواية اللاتينية لها كانت بالنسبة للقرون الوسطى المصدر الأصلي لقصة طروادة .

الفصل الرّابع

الأدب اللاّتيني القديم

كان الادب اللاتيني نتاج الجمهورية والامبراطورية الرومانيتين ، وبعد سقوط رومة ظلت اللاتينية لغة العالم الغربي الوسيط حتى حل محلها ما تفرع عنها وعن غيرها من اللغات. بدأ الأدب اول ما بدأ بتوسل الترجمة عن الاغريقية، وتلك حقيقة كان لها أكبر الأثر في تطوره، ولقد اعتبر اليونانيون أنفسهم أن الأصالة في طرائق معالجةالأدب أكثر قيمةمن إبداعه. ولقد كان الأدب اللاتيني أكثر تقليدية بما استفاده من الكتاب السابقين كمصدر لحوادث أو مواضيع او مناقشات تتكرر . وبينما نجد الاغريق متفوقين في النواحي التجريدية ، كان للرومان رؤ ية حسية تنير التعتيم الاغريقي بشواهد حية، وتفوقوا كفنانين بصياغة الكلمة اكثر منهم كمفكرين . ولكونهم شديدي الاهتمام بالفردية الانسانية ، تجلت عبقريتهم في المناحي الاخلاقية والسياسية . وكان مثلهم الاعلى مضمون كلمة « انساني » باعتبارها مزيجاً من الثقافة واللطف والرقة ، وتداني مفهومنا لكلمة « متمدن » في الوقت الحاضر كما تطلق على الأفراد. ولا حاجة لقول الكثيرعن الفترة السابقة لعصر الكتابة . فقد وفد الأثر الهيليني من الجنوب والأثر الهيليني الاتروسكي (Etrusco-Hellenic) من الشمال .

ولربما كان الهزل المرتجل وعماده الحركة والبذاءة والشخوص التقليدية المتكررة المقنّعة إبداعاً وطنياً مصدره كمبانية (Campania) (ريف نابلي الحديثة) . وأرجع المؤ رخ ليفي (Livy) العرض المسمى باللاتينيةساتورا (Satura) ،وهو مزيج شبه درامي، إلى الاترسكيين . وقال السياسي والكاتب كاتو (Cato) والعالم فارو (Varro) إن الشعر كان فيما سلف مناطاً بمدح الابطال ويغنى بعد الولائم بمصاحبة المزمار (الفلوت) ، وربما كانت هذه عادة اترسكية . وهذا القول ، ان صدق ، تكون « الاغاني المرحة » (Catmina Convivalia) خلفية لبعض الاساطير التي

وصلت الى ليفي . وهناك كذلك الأشعار غير المنمقة المرتجلة في احتفالات الحصاد والاعراس وبعض الصيغ التي كانت تردد كطقوس دينية . ولكن القليل الذي وصلنا منها يحتوي على الجناس والسجع ، وأقرب الكتابات الى الادب كانت بدون شك السجلات العامة والخاصة والخطب التي دونت .

الفترات الأدبية مقسمة حسب الاسلوب : يمكن تقسيم الادب اللاتيني بشكل ملائم الى اربع فترات هي : الكتاب الأوائل حتى عام ٧٠ ق . م والعصر الذهبي من ٧٠ ق . م ـ ١٨ م والعصر الفضي ١٨ ـ ١٣٣ م والكتاب المتأخرون . وفيما يلي الخطوط العامة لهذه الفترات يتلوها وصف لضروبها الأدبية وأهم كتابها .

الكتاب الأوائل : بدأت مرحلة الاعداد للأدب الروماني بالاستيلاء عام ٢٧٢ ق . م على المستعمرة الاسبارطية تارنتوم (Tarentum) وما تلاه من تدفق العبيد الاغريق الذين استخدم بعضهم لتعليم ابناء النبلاء الرومان ، وكان في عدادهم ليفيوس اندرونيكس (Livius Andromicus) الذي اشتهر بعد ذلك ولمع كأول كاتب لاتيني . وفي عام ٢٤٠ ق . م . ألف مسرحية أصيلة حورها عن الاغريقية ، بمناسبة الاحتفال بالنصر على قرطاجة . وأدى نجاحه الى إحداث تقليد لعرض مثل هذه المسرحيات جنباً الى جنب مع العروض الوطنية الأكثر بساطة وبدائية ، كما قام فضلا عن ذلك بترجمة الأوديسة بعد ان كيف العروض اليونانية لتناسب اللاتينية . ولكنه استعمل وزناً لاتينياً تقليدياً في تلك الترجمة شأنه في ذلك شأن غنيوس نافيوس (Gnaeus Naevius) في ملحمته المكرسة للحرب القرطاجية الأولى (وهي الاولى من ثلاث حروب خاضتها روما ضد قرطاجة) . الا ان العلماء ليسوا على يقين مما اذا كان وزن هذه الملحمة يعتمد على عدد المقاطع أو على النبرات . وتبنى انيوس (Ennius) (٢٣٩ ـ ١٦٩ ق . م) الخلاسي (نصفه يوناني) البحر اليوناني السداسي كوزن لملحمته المسماة « سجلات تاريخية » (Annales) . وكان مدى مواضيعه مترامي الاطراف اذ عرَّف روما بالعالم الهليني ، لكن لسوء الطالع لم تصلنا سوى اجزاء من مؤلفاته . وهكذا نرى ان الشخصية الاغريقية التي فرضت على الأدب اللاتيني جعلته وقفاً على النخبة المثقفة . وتبعاً لهذا برزت في

روما زمر خاصة كالحلقة التي تكونت حول القنصل الروماني الجنرال شيبو اميليانوس (Scipio Ameilianus) (١٨٥/ ١٨٤ ـ ١٢٩ ق . م) الذي قاد روما الى النصر الاخير في الحرب القرطاجية الثالثة . وضمَّت هذه الحلقة فيمن ضمته الخطيب والسياسي غايوس ليليوس (Gaius Laelius) والفيلسوف الرواقي الاغريقي باناتيوس (Panaetius) والمؤرخ الاغريقي بوليبيوس (Polybius) والناقد الهجاء لوسيليوس (Lucilius) والافريقي العبقري الذي ولد عبداً والكاتب الهزلي ترنس (Terence) . وازداد الاثر الاغريقي بعد ضم اليونان كولاية رومانية وما حدث من تدفق العلماء الإغريق إلى روما ، وسرعان ما اصبحت اليونانية اللغة الثانية للرومان المثقفين . وفي أوائل القرن الأول قبل الميلاد تأسست الخطابة اللاتينية ، وبتأثرها بالاغريقية أصبحت أرفع فناً واكثر صقلا .

يعتبر بلوتوس (Plautus) ، وهو اكبر شاعر كوميدي ، احد المصادر الرئيسية للاتينية الدارجة ولكن انيوس الذي نهج نهج ليفيوس سعى الى رفع مستوى الاسلوب الكتابي للملحمة والمأساة بما استعمل من الكلمات القديمة غير الدارجة . وهو أسلوب غدا منذئذ تقليداً متّبعاً في لغة الادب (باستثناء بعض الحالات مثل قصائد كاتولوس (Catullus) القصيرة وقصائد لوسيليوس (Lucilius) وهوراس (Horace) الهجائية وقصائد بترونيوس (Petronius) المسماة « ساتيركون » (Satyricon) التي اصبح جرسها مجافياً للغة الشعب واكثر بعداً عنها حتى أتت ردة الفعل في القرن الثاني الميلادي .

العصر الذهبي ـ ٧٠ ق. م ـ ١٨ م : امتدت الفترة الذهبية للأدب اللاتيني بدءاً من السنوات الأخيرة للجمهورية حتى التأسيس الفعلي للأمبراطورية الرومانية تحت حكم الامبراطور اغسطوس (Augustus) (٢٧ ق.م ـ ١٤ م) وسمي بحق الجزء الاول من تلك الحقبة(من ٧٠ ـ ٤٢ ق.م) الفترة الشيشرونية (Ciceronian) وكان نتاجها كتاباً بارزين اتصفوا باسهامهم في الاحداث أمثال يوليوس قيصر . ويعتبر فارو(Varro) (اعلم الرومانيين) اكثرهم انتاجاً . إلا أن الذي طور اللاتينية لتعبر بوضوح عن الفكر التجريدي والمعقد هو شيشرون السياسي والخطيب والشاعر والناقد والفيلسوف، وتبعاً لذلك اصبح

الاسلوب النثري يتراوح ما بين رد فعل ضد أسلوبه أو عودة إليه . ومع انه لم يكن ملهماً كشاعر ، الا انه كان حاذقاً في أسلوبه وألف كتابه «دي ريروم ناتورا»(De rerum natura) حول الشاعر الفلسفي لوكريتيوس (Lucritius) ، وكان معجباً باينيوس (Ennius) وبالشعر الروماني القديم شأنه في ذلك شأن لوكريتيوس. ورغم كونه مهتماً بالمؤلفات الهلينية بشكل ظاهر، فقد ألمح بسخرية الى أنصارها المتطرفين الذين أطلق عليهم اسم « الشعراء المحدثون». وبعد تدمير قرطاجنة وكورنثة عام ١٤٦ ق.م أدى الرخاء والشعور بالاستقرار والأمن الخارجي الى ظهور مبدأ الفراغ والراحة الشخصية وفكرة العيش لذات الانسان ، ومن هنا نشأ أدب التعبير الشخصي وأدب التسلية . وفي هذا المناخ ازدهرت مدرسة الشعراء الجدد التي ضمت بشكل عام ايطاليين غير رومانيين من الشمال ، ادخلوا مبدأ الفن للفن . ولا يعرف من هؤلاء الشعراء مباشرة سوى كاتولوس (Catullus) من فيرونة (Verona). وكوّن هؤلاء الشعراء ردة فعل ضد التضخيم وتقاليد الوقار الأدبي الذي دعا اليه انيوس ومدرسته ، كما ضاهى شعرهم التلميحي المعقد عن قصد مدرسة كاليماخوس في الاسكندرية ، في القرن الثالث قبل الميلاد . واستمر اثر الشعراء الجدد ماداً رواقه الى الجيل التالي : الى فيرجل مروراً بكرنيلوس غالوس (Cornelius Gallus) .

ولد فيرجيل (Virgil) في مانتوا (Mantua) وتلقى علومه في كرمونة وميلان ، واختار تيوقرطس نموذجه الأول ، وهدف من محاوراته الرعوية (Eclogues) تكرار ايقاعات ثيوقريطس وخلق روائع في النغمة الايقاعية تضاهي جمال الحياة الرعوية للرعيان الذين صُوّروا في مناظر طبيعية خيالية . وتمثل هذه القصائد الأبيقورية هروباً من الواقع ، الا انها مشحونة بالاشارات عن مواضيع الساعة . ويتبدى فيرجيل في القصيدة الرعوية الرابعة بمظهر النبي القومي ، وكان احد اعضاء الحلقة التي كونها ميكيناس (Maecenas) الوزير الأول لأغسطوس . وفي عام ٣٨ ق . م قام بالاشتراك مع فاريوس بتقديم الشاعر الشاب هوراس ـ الذي بدت عليه مخايل مستقبل مرموق ـ الى ميكيناس . وعندما احرز اغسطوس نصره النهائي عام ٣٠ ق .م . توثقت عرى الصداقة بين أعضاء الحلقة ، وفي ظلال حكمه بدأت المرحلة الثانية من العصر الذهبي للأدب اللاتيني المعروفة بالعصر الأوغسطي ، وسميت هذه الحقبة بالفترة الكلاسيكية التي تطلب من الكاتب ان لا يحاول ان يقول

اشياء جديدة بقدر ما يقول الأشياء القديمة بشكل أفضل . وهذا ما ادى الى التمكن من الوسائل البلاغية أسلوباً وفكراً حتى اصبحت سليقة . وأدى هذا الى استعمال السجع ومطابقة الجرس والصوت للمعني ، وهما وسيلتان بيانيتان اشتط شعراء مدرسة انيوس في استعمالها وتجنبها الشعراء الجدد . وكان استخدامها هذه المرة بتعقل وبشكل مؤثر . ويميز هذا الاتقان للصيغة قصائد هوراس الغنائية من نوع « الأود » بما في ذلك المرثاة التي اصبحت اكثر صقلا .

شهد العقد الأول من الدفع الأوغسطي (٢٩ - ١٩ ق . م) نشر كتاب فيرجيل المسمى الجورجيكات (Georgics) وتأليف الاينادة (Aeneid) كاملة عند وفاته كما شهد الكتب الثلاثة الأولى من قصائد هوراس الغنائية المسماة « أود »(odes) والكتاب الأول « الرسائل »(Episteles) . وفي ميدان المرثاة الفت الكتب الثلاثة الأولى لبرُبرتيوس(Propertius) وهو بدوره من حلقة مكيناس الأدبية ، والكتابان الأولان لطيبلوس (Tibullus) بالاضافة الى غيرها من دواوين شعراء حلقة ماركوس فلريوس مسّالا كورنينوس (Marcus Valerius Messalla Corninus) وفضلا عن كل هذا ظهرت الانشادات الأولى لأحد اعضاء الحلقة الشباب الاصغر سناً واسمه اوفيد (Ovid) وفي عام ٢٨ أو ٢٧ ق . م بدأ ليفي (Livy) كتابه التاريخي الضخم .

لم تكن حلقة ميكيناس مكتب دعاية ولو انه كان يقترح احياناً بعض المناسبات العامة التي تستدعي الاحتفال بها . ويشهد بذلك تلك القصائد الرائعة التي يرفض فيها ناظموها الاقتراح بلباقة بينما تدل لهجتها على ان الرفض لم يكن عسيراً ، لأن ميكيناس بقدر ما كان راعياً للادب ، وان مؤهلات الانضمام للمجموعة منوطة بدلائل العبقرية الشعرية وحدها . فعندما قبل بُربرتيوس عضواً في الحلقة كان مجرد شاب ذي خلفية معادية للقيصرية الرومانية ومع ذلك حظي بالقبول والتفضيل ووسيلته تلك القصائد التأملية الغزلية الجياشة العاطفة ، الا انه اشتبك بخصام مع هوراس . وبعد وفاة فيرجيل اضمحلت الحلقة الأدبية مع وجود عدد وفير ممن ودوا الانسلاك فيها من شعراء امثال اتباع هوراس ومن كانوا تحت رعايته ، والذين ترد اسماؤهم في « الرسائل » ، وأمثال

اصدقاء اوفيد الذين تفيض نفسه مسرة لذكراهم في منفاه ، ومنيليوس (Manilius) الذي لا يذكره احد . وكانت القصائد تنشد في الحلقات الادبية وفي الاجتماعات العامة . ومن هنا برزت اهمية تناسق الاصوات ومخملية التركيب الفني ، وجرى التعرف عليها تدريجياً . وقد فسحت دونها فرص التحسين بما يرد عليها من الاقتراحات والردود . وعندما جمعت في أسفار اخيراً لاقت عناية فائقة في ترتيبها الفني ذي المعنى ، دون تركيبها زمنياً .

وفي أثناء ذلك كانت هنالك ردة الفعل بالنسبة للنثر الشيشروني الذي تسامق للأوج ، وقادها سالوست (Sallust) . وفي عام ٤٣ ق . م بدأ سالوست في اصدار سلسلة من المؤلفات التاريخية كتبت بأسلوب مختصر جزل تحليه بعض الكلمات القديمة ، ولكنه تحاشى الاطناب الجرسي لشيشرون . وبعد ذلك انتقلت الفصاحة الخالية من الأثر السياسي في قاعات الاجتماع العامة الى المدارس إذ أضفت عليها المهارة والتركيز قيمة هي أهم من سلاسة الجمل المتتابعة . وهكذا نشأ وتطور الأسلوب الجزل ذو الجمل المحكمة على يد كتاب أمثال سنيكا (Seneca) الشاب آنئذ وتاسيتوس (Tacitus) الذي ضرب في هذا المضمار حتى أبعد الحدود . وعندما انتشر هذا الاسلوب شعرياً أدى الى مزدوجات (Complets) اوفيد الفكاهية الساخرة والى مآسي سنيكا المسرحية ، ونقد جوفنال (Juvenal) الهجائي . وإذ ظل ليفي خارج الحلبة لم تجد الشيشرونية من مدافع حقيقي عنها إلا في شخص استاذ البيان كونتليان (Quintilian) .

العصر الفضي : بعد الدفقة الأولى من الحماسة للمثل الأوغسطية للإحياء القومي، دفع الأدب خلال فترة الأمبراطورية ثمن الأبوة السياسية، فغدا عقيماً بفقد الحرية، وكان أوفيد الأول في عداد الكثيرين من الكتاب الذين تجلى فيهم الكبت وعقل ألسنتهم الخوف فعلاً . اما تاسيتوس وجوفنال اللذان كتبا في ظل حكم أباطرة متسامحين فحولا العواطف المكبوتة عهد حكم الرعب للأمبراطورة دوميسيان (Domitian) الى قوة ساحقة من الأدب العظيم . وأدرك الكتاب ـ أمثال ليفي ـ في اواخر حكم اغسطوس ان روما تخطت القمة جنوحاً للانحدار . لكن عنوان العصر الفضي أُطلق بجدارة على قرن كان نتاجه مؤلفون أمثال تاسيتوس وجوفنال وسنكا الأكبر وابنه وابن اخيه لوكان (Lucan)(وبليني الكبير وبليني (Plinys) وكونتليان

(Quinlilian)، وبترونيوس Petronius) وستانيوس (Stanus) ومارشال(Martial) ،
وكتاب دونهم شأناً أمثال مانليوس (Manilius) وبرسيوس (Persius) وفاليريوس فلاكوس (Valerius Flaccus) وسيليوس أتاليكوس (Silius Italicus) وسويتونيوس (Suetonius) .

الكتاب المتأخرون : أضعف فقدان المركزية في الأمبراطورية الرومانية ـ تحت حكم هادريان(Hadrian) وخلفائه من سلالة أنطونين(Antonine) ـ الكبرياء الروماني وتعشق الرومان للحرية . وهكذا كانت الكتابة بالتالي بالاغريقية واللاتينية . وبدورها أثرت الحركة السفسطائية الجديدة في اليونان على الشعراء الجدد أمثال فلورس (Florus) ، إذ كرست الثقافة العقيمة نفسها للاهتمام بقواعد اللغة وبحورها وتاريخ تطورها ، وأوابد كلماتها وحذلقتها، وانقضى ٢٥٠ عاماً قبل ان ينبغ كتاب أمثال اسونيوس (Ausonius) من بوردو (Bordeaux) (القرن الرابع الميلادي) وكلوديان (Claudian) ـ أخر الكتاب الكلاسيكيين الحقيقيين ـ الذي ازدهرت اعماله حوالي عام ٤٠٠ م ، ولم تنتج الفترة سوى كتاب «يقظة فينوس» (Perivigilium Veneris) المجهول المؤلف الذي أرهص بالقرون الوسطى في حيويته وبحوره العروضية المتواترة النبرات . ورغم ان اسونيوس كتب حسب التقاليد الوثنية فقد كان مسيحياً ومعاصراً لشاعر مسيحي ذي اصالة حقيقية هو الاسباني برودنتوس (Prudentius) . ومنذ ذلك الحين نجد الادب المسيحي يمازج الادب الوثني ويتخطاه بشكل عام .

أما بالنسبة للنثر فكان نتاج هذه القرون اكثر مدعاة للفخر، مع أن أجلّ عمل كان ذاك الذي كتبه روماني صياغة بالاغريقية ، هو سفر « تأملات » للامبراطور ماركوس اوريليوس . أما القصة القصيرة المسماة «Elocutio nouvella» وهي تعتبر مزيجاً شائعاً من الكلمات القديمة واللغة الدارجة فيمثلها أبوليوس (Apuleius) المولود حوالي ١٢٥ م . ومن الكتاب الآخرين البارزين اولوس غاليوس(Aulus Gellius) ومَكروبيوس(Macrobius) ، ومع ان القرن الرابع الميلادي كان عصر اللغويين والمعلقين فإن أهم ما كتب من نثر كان مسيحياً كتبه مؤلفون أمثال ترتليان

، (Augustine)واغسطـين (Jerome) وجروم (Ambrose) وأمبروز (Tertullian) وكذلك بثيوس (Boethius) (حوالي ٤٨٠ ـ ٥٢٤) وهو آخر فيلسوف روماني ـ ربما كان مسيحياً ـ عاش بعد سقوط روما الامبراطورية . وكان كتابه « مواساة الفلسفة » (Consolation of Philosophy) عظيم الانتشار بالغ الشعبية في اوروبا القرون الوسطى .

٢ ـ الأنواع الأدبية :

الملهاة : كانت الملهاة الرومانية مبنية على الملهاة الحديثة الدارجة في اليونان التي كان ميناندر ممثلها الكلاسيكي ، لكنها ، فيما كانت بالنسبة للاغريق تقليداً للحياة ، فهي للرومان هروب إلى الخيال والتقاليد الأدبية . ولربما كان نافيوس (Naevius) ـ خلف ليفيوس (Livius) الذي طور هذا النوع من المسرحية في حلة يونانية ـ أول من أدخل الانشاد والأغنية اليها. فزاد بذلك من عدم واقعيتها، الا انه انزلق نحو تفاصيل الحياة الرومانية ونقدَ رجالاً أقوياء فيها . ولقد أدى حبسُه الى انذار كتّاب الملهاة لتجنب الاشارة الى مواضيع الساعة ولكن النظارة الرومان أضحوا منتبهين الى تطبيق ما سطِّر في الماضي حول الأوضاع المعاصرة وإظهار عواطفهم بالتصفيق المناسب .

وقد تخصص بلوتوس (Plautus) ، على عكس من سبقوه ، بكتابة المسرحيات الهزلية التي تتضمن روح النكتة العالية ، والتجديف ، والتلاعب بالكلمات ، والمرح الذي يعتمد على الحركات والموسيقى وتكييف الايقاع بمهارة ليتناسب مع الموضوع المطروح .

ويجب أن تؤخذ مسرحياته على أنها هزلية تقريبا. ويأتي قسم من المرح نتيجة إدخال عناصر رومانية محدثة إلى العالم اليوناني التقليدي ويتسم الجديد الذي قدمه بلوتس للملهاة بصفة الادخال اكثر من كونه ابتكارات في الحبكة أو الأسلوب وهو مع ذلك لا يعد من الكتاب اللاتينيين المفضلين ، بسبب من شخوصه ومواقفه التي تقولبت فلم تتغير .

وبازدياد الاثر الاغريقي على الثقافة الرومانية اصبحت المسرحية الرومانية اكثر اعتمادا على النماذج الاغرقية . وبالتالي اختلفت ملهاة ترنس(Terence) عن ملهاة بلوتس اذ اختفى الغناء تقريباً من مسرحياته واصبح القسم الانشادي أقل بروزاً، وتعلم مناندر من المسرحي اليوناني طرق ادخال دقائق نفسية لتركيب حبكة تدل على المهارة، لكن كانت تنقصه القوة الهزلية لأنه لم يكن مهتما باضحاك النظارة، وتميز بلغته المهذبة وتجنب البذاءة والغموض واستخدام القسم والكلمات العلمية . وكانت شخوصه اقل تفاوتاً بكلمات حوارها من شخوص بلوتس ، لكن احاديثها تتميز بسحر أنيق . وكان المجتمع الذي رسمه ترنس اكثر حساسية من مجتمع هزليات بلوتس ، اذ كان يميل عموماً الى إبراز الاخلاص لدى المحبين من شخوصه والطاعة وعند الأبناء . وازدادت اهميته التاريخية ـ ولا ريب ـ بسبب ضياع جميع هزليات ميناندر تقريباً .

بعد وفاة ترنس قلما كتبت مسرحيات تتخذ الدراما اليونانية نموذجا لها مع أن هذه المسرحيات غالبا ما كان يعاد احياؤها بين الفينة والفينة . فقد كان العصر الشيشروني عصر التمثيل، وفي عام ٥٥ ق.م شيد بومبي(Pompey) في روما مسرحا دائما فشاعت في هذه الفترة مسرحيات ذات خلفية وملابس ايطالية ولئن كان اطارها الكوميديا الاغريقية الحديثة فموضوعها المجتمع الروماني وفي هذه الفترة بعثت الى الحياة كذلك شكل محلي من الهزل المعتمد على الحركة والبذاءة ، وحل محله في عهد يوليوس قيصر الشعر التقليدي الهزلي من نوع « المايم » ذي الاصل اليوناني والاتجاه الواقعي ، والذي غالباً ما اتصف بالبذاءة ، وان كثرت فيه الحكم والأقوال المأثورة التي تصلح للاقتباس والترديد . واخيراً تسبب المايم في نشوء المشاهد الايمائية التي تعتمد التقليد الأخرس والمحاكاة دون كلام او ما يسمى الايماء البانتومايم (Pantomimus) يصاحبه الكورس ، واصبحت المشاهد الغريبة مطلباً جماهرياً ، مما ادى الى انحطاط الملهاة وزوالها .

المأساة: كان ليفيوس أول من أدخل المأساة والملهاة الاغريقيتين الى اللاتينية، ونحا في هذا السبيل نحوه نافيوس وأنيوس الذي أحب يوربيديس شأنه شأن اليونانيين الهلينيين ،أما باكوفيوس(Placuvius) الذي كان أعظم كاتب تراجيديا فاحب

سوفوكليس، وزاد من رفعة الاسلوب المأساوي اكثر من انيوس. أما خليفته اكيوس (Accius) فاكثر تنميقا لاسلوبه واندفاعا في روحه. والأجزاء التي وصلتنا لهذين الشاعرين تنم عن رفعة الاسلوب الروماني رغم انها تتصف بالخشونة. ولم يستعمل أي منهما الاساطير الاغريقية في جميع ما كتبه وانما استغلا الاساطير الرومانية والتاريخ القريب من عصرهما. ويؤدي الكورس الروماني دوره على المسرح مباشرة على العكس من الكورس الاغريقي، ويعتبر مرتبطا ارتباطا وثيقا بالعمل المسرحي. وبعد اكيوس توقفت المأساة الكلاسيكية فلم تكتب، وإن أعيد احياؤها مراراً. أما المسرحيات، التي كان يقوم العبيد والمحررون بكتابتها عادة فتحولت إلى هواية ومصدر تسلية للهواة الارستقراطيين. وليس مستغرباً ان لا يفكر هؤلاء الكتاب في اخراجها مسرحياً، إذ غدت مسرحيات الفترة التي تلت حكم اغسطوس للقراءة فقط. وواضح أن المسرحيات التسع التي وصلتنا من تأليف سنيكا الاصغر لم تكتب بهدف العرض على الجماهير، فهي ميلودراما رعب وعنف تكشف عن عيوب غير ظاهرة في مؤلفات يوربيدس، وتتسم بواقعية مثيرة ومهارة بلاغية، ويبدو الاجهاد واضحاً في كل نقطة منها . اما التشخيص فينقصه الصقل وهو محشو بالدروس الأخلاقية على الطريقة الرواقية بشكل مصطنع . اما الشعر الذي نظمه على بحر « الأيامب » ـ وان اتسم بالسطحية ـ فيدل على كفاءة صاحبه ، ومع ذلك اتخذه كتاب المأساة في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر ولا سيما في فرنسا مثلهم الأعلى . واذا قرأنا مسرحية ريتشارد الثالث لشكسبير ، ومشاهد الأشباح في مسرحيات يوليوس قيصر هملت ومكبث تذكرنا سنيكا وما جاء في مسرحياته .

الملحمة والقصيدة المسماة ابيليون (Epiyllion) : لقد كانت ملحمة الأودية الرائدة لليفيوس ، رغم بدائيتها ، هامة بالنسبة لفرجيل شأنها شأن ملحمة نيفيوس (Bellum Punicçum) ألغيناها نظراً لكونها تبدأ بالأصول الاسطورية لقرطاجة في فينيقيا وروما في طروادة .

أما ملحمة انيوس « حوليات » (Annales) فقد أتت بعد ذلك وكانت مزيجاً من التاريخ والأساطير كتبها باللاتينية في بحر عروضي مستورد شاعر يتمتع

بالخيال والادراك لعظمة روما الصاعدة. ولا شك أن قصيدته من حيث الشكل سيئة التوازن، إذ يتجاهل تقريبا الحرب القرطاجية الأولى باعتبار أن ناقيوس غطاها، ثم يوغل تفصيلا كلما اقترب من أحداث عصره. الا ان فضائله تبرز بما وصل إلينا من أجزاء تتسم بالأخلاقية ونبل اللغة. وكان أثره عميقا على من تلاه من نفوس منفتحة حساسة سهلة الانطباع كشيشرون ولوكريشيوس وفرجيل وظل مدة قرن ونصف لا ينازع ككاتب ملاحم .

ان ما نعرفه عن الملحمة القوية التي اشتهر بها قاريوس صديق فرجيل قليل الا ان انيادة فرجيل هي بالتأكيد شيء جديد . فالكتابة عن التاريخ المعاصر لفرجيل كان موضوعاً محدداً اكثر مما يجب ، لذلك وكبديل طور فرجيل رواية ناقوس عن رحلة إنياس من طروادة ليؤسس روما . وتبدو القصيدة لأول وهلة أوديسية الترحال تتخللها قصة حب محشورة حشرا ، تتبعها الياذة فتوحات هي في واقعها أكثر من ذلك ، فهي ملحمة رمزية ذات صلة وثيقة وعميقة بعصرها . إذ ان بطل الملحمة هي روما ، واينياس هو النموذج القديم للروماني . ولب الموضوع هو تحوله من قائد فرد إلى خادم يكرس نفسه لخدمة مصير روما . وتعلم ما يجب فعله من تتابع الوعود النبوية التي تزداد وضوحاً ، وخطيئته الوحيدة تلكؤه في قرطاجة . وعندما يتلقى أمر الوحي بوجوب ترك ديدو (Dido) ملكة قرطاجة ، يهتز كيانه بعنف أليم ، لأن معنى ذلك التخلي عن الاغراء الوحيد والأخير الذي يؤمن له السعادة الفردية . لكن قبوله الطوعي للامور لا يتحول إلى حماسة خيالية ، الا عندما يزور الجحيم ، ويرى رؤيا « عظمة روما » المستقبلية . وهو ما يتطلبه المثل ايعلى الاوغسطي من التضحية الفردية ، اما القسم الثاني من القصيدة فيمثل المزج في بوتقة الحرب بين فصائل حضارة الطرواديين وفصائل الرجولة الرومانية ـ وكان سقي الثقافة الرومانية بفولذة الصلابة الايطالية جزء لا يتجزأ من المثل الأعلى الاوغسطي ، شأنها في ذلك شأن احياء الاهتمام بالعادات القديمة واقامة الشعائر الدينية التي تمكن فرجيل من الانغماس فيها بشكل ملائم . ويتميز الشعر في الملحمة كلها بتنوعه الفائق وجرسه الموسيقي ، وملائمته للموضوع وتنميقه وبلاغته .

دشن كليماخوس القصيدة القصصية القصيرة المؤلفة بعناية على البحر السداسي والمسماة ابيليون (Epyllion) بكتابة هيكال Hecal وأراد بها ان تحل محل

الملحمة الضخمة . لقد بدأ « هيكال » تقليداً لادراج القصة القصيرة ، فأدرج كاتولوس قصة « أريادنة » Ariadne في جزيرة نكسوس Naxos ضمن قصة زواج بيليوس Beleus « وثيتس » Thetis . وللقصيدة جمال رتيب إلا أن قصة أرستايوس في نهاية جورجيكات فرجيل تدل مع قصة اورفيوس ويوريديس على المستوى العالي الذي يمكن ان تبلغه « الأبيليون ».

يتألف كتاب أوفيد « مسخيات » من سلسلة مترابطة من خمسين « ابيليونة » تتضمنها حوادث صغيرة . وابتكر أوفيد في الكتاب عالماً خيالياً مقنعاً ذا منطق سحري قائم بذاته . وتعتبر قصيدته التي تنساب باستمرار بدءاً من خلق الكون الى تأليه يوليوس قيصر وكأنها « باروكية » [1] من حيث بنيتها نفذت بأوزان سداسية سريعة واضحة . وهي تتميز بروح النكتة والاشارة الساخرة الآخاذة . وتكاثرت الملاحم بعد هذه القصيدة فهناك ملحمة « ثيبيد » Thebaid وملحمة أشيل (Achilleid) الناقصة لمؤلفها ستاتيوس (Statius) وهناك ملحمة ارغونوتيكا (Argonautica) لقاليريوس Valerius التي قل عدد قرائها الآن . أما ملحمة لوكان الناقصة المسماة « فارساليا » (Pharsalia) فذات موضوع اكثر امتاعاً : وهو النزاع بين قيصر وبومبي الذي يتحيز له الكاتب ، ويترك الآلهة جانباً ، وقد ساعده اسلوبه البليغ في نجاح القصيدة ، وان كانت بادية التوتر ، وتعتمد معالجتها على حوادث ضعيفة الترابط .

الشعر التعليمي : حاول انيوس ان يقرض شعراً تعليمياً في « ابيكارموس » Epicharmus ، وهو مؤلف يبحث في طبيعة الكون مادياً . اما تحفة لوكريشوس « دي ريروم ناتورا » (De — Rerum Batura) فهي بحق خير خلف لخير سلف اذ تتركز قوتها الدافعة على قلق لوكريشوس الذي يحاول ان يعتق نفسه من خوف الموت وقوى ما وراء الطبيعة . بيد انه ليس مفكراً اصيلاً . وان توصل الى مفهوم يشوبه

الباروك (Baroque) في الفن اسلوب ساد في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، يتميز بدقة الزخرف وغرابته ، وبالاشكال المنحرفة وبالتعقيد والزخور بالصور .

الخيال حول تأثير الذرة ـ حسب مفهوم أبيقور لها ـ على كل شيء حوله وبداخله . وقصيدته تعليمية في الواقع ، وبعض أفضل شعره فيه استطرادات كثيرة ، إلا ان عظمة الرؤ يا الاجمالية مفقودة إذا ما أغفلت التفاصيل والحجج المشبوبة بالعاطفة .

ومما لا مرية فيه ان ظهور هذه القصيدة اثر على فرجيل تأثيراً عميقاً ، الا ان ردة الفعل الشعرية لديه تأخرت ١٧ عاماً . ومع أن الجيورجيكات (Georgics) تأثرت تأثراً كبيراً بلوكريشوس فهي ليست تعليمية تماماً . ورغم ان فيرجل ولد في الريف فقد توجه بنتاج قلمه لقراء الادب من امثاله ، واختار كل ما يعطي تفاصيل حية فاتنة لصورته الانطباعية عن الحياة الريفية . تصور «الجيورجكات» ارض ايطاليا التي كانت قد توحدت مؤخراً ، كما علمت القراء ان العصر الذهبي المتسم بالكسل الذي تصوره القصائد الرعوية المسماة (Eclogues) انما هو مجرد سراب ، فالعمل الدؤوب الذي يدخله جوبيتر الابوي الرعاية لشحذ عقول البشر هو الذي يحقق « عظمة الريف السماوي » ويتمثل التعويض الذي يحصل عليه الانسان لقاء هذا الجهد بذلك التنوع اللانهائي للحياة المتحضرة . اما بالنسبة لهدفها السياسي فقد شجعت « الجيورجكات » على احياء الزراعة التي دمرتها الحروب ، وكذلك احياء الفضائل الرومانية القديمة ، وبعث فكرة روما ذات الرسالة الحضارية في ايطاليا والعالم .

كان كتاب اوفيد المسمى «فن الحب» (Ars Amatoria) هزلاً أو نقداً هجائياً بحلة تعليمية ، كما انه تعليق ممتع عن بسيكولوجية الحب . وكان مؤلف «فاستي» (Fasti) تعليمياً لانه عمم التقويم الجديد ، لكن من الواضح ان هدفه الاساسي كان التسلية لان الادب التعليمي الحق كان في تقهقر وتقلص .

ـ **النقد الهجائي** : كانت كلمة ساتورا (Satura) اللاتينية تعنى « المزج » وتطلق على استعراضات متنوعة كان الاتروسكيون اول من أدخلها حسب قول

ليفي . أما النقد الأدبي الهجائي فيبدأ بأنيوس (Ennius) الا ان لوسيليوس هو مؤسس هذا النوع الأدبي . وبعد التجربة استقر على البحور السداسية التفاعيل (Hexameters) ، واعتمدها موازين للهجاء المتعارف عليها . اما الاتجاه نحو الانتقال الى الحوار في هذه القصائد فربما نتج عن آثار دراسية في المقطوعات الهجائية غير الأدبية . واستعمل لوسيليوس هذه الوسيلة للتعبير عن النفس ، منتقداً السلوك الفردي والعام لا يداخل ذاته خوف ولا وجل . وهو مدين بالكثير لمواعظ اتباع المدرسة الرواقية الشعرية والنثرية من اصحاب الشك في النوازع البشرية من الاغريق أمثال بيون (Bion) . ولكن الكاتب الهيليني الذي سبقه الى هذا النوع من الادب وبشر به بوضوح في كتاباته التي وصلتنا اجزاء منها هو كاليماخوس بما نظمه من نوع « الايامب » . اما الهجاء المينبي (Menipean) الذي انحدر من الأصل الاغريقي القديم بكتابات منبوس Menippus ومزج النثر بالشعر ، فادخله فارو Varro الى روما .

أدرك هوراس ان الهجاء كان بحاجة للتحسين ، اذ كان لوسيليوس شاعراً سيء السبك . وتبين المقطوعات الثلاث في كتابه « قصائد هجائية » وبخاصة الجزء الاول منه (Satires I) على انها محاولات هجائية على نمط لوسيليوس . ولما كانت طبيعة هوراس هي الاضحاك وليست سلخ الجلود كانت الشخصيات التي اختارها لاثارة الضحك تافهة أو ميتة وقدر أن الوجه الحقيقي للوسيلوس لم يكن شجب الذات بل تعريتها . وهذا ما شجعه على التحدث عن نفسه وفي مؤلفه « قصائد هجائية » ـ الجزء الثاني ـ (Satires II) طور اجزاء من هجاء المواعظ الاخلاقية التي تشير الى جوفنال . الا انه كان لا يزال يؤلف المواعظ ، على حين كان خلفه برسيوس (Presius) يمزج لوسيليوس وهوراس والمواعظ والشعر التقليدي الهزلي من نوع « المايم » ليكون منها مواعظ شعرية ، مشحونة بأشكال البيان المعاصرة . والمنتقد الاعظم هو جوفنال الذي ثبت فكرة الهجاء للاجيال القادمة . وذهبت الى غير رجعة المعالجة الشخصية التي تميز بها لوسيليوس وهوراس ، ولربما اصبح الغضب ، حبيس القمقم خلال حكم الامبراطور دومتيان ، عادة استمرأها العقل ، او انه استغل لهذا الغرض . وكان جوفنال يهدف من كتاباته بشكل التأثير

بصورة رئيسية ، لكن مقدرته على التركيز في أبيات أو جمل مؤثرة ومحشوة تجعله مثيراً ، فهو ولا مراء لامع في أحسن شعره .

جاء كتاب ابوكولوسينتوسيس (Apocolocyntosis) لمؤلفه سنيكا الاصغر (Seneca) مزيجاً من النثر والشعر ،ولكن هجاءه الساخر ونقده اللاذع لتأليه الامبراطور كلوديوس كان على طريقة لوسليوس (Lucilius) . أما كتاب «ستريكون» (Satyricon) لبترونيوس (Petronius) فكان الهجاء فيه على طريقة مانيبوس (Menippus) نظراً لاحتوائه على استطراد منوع ، وعلى الشعر العرضي (Occasional) لذا يصنف بشكل رئيسي تحت باب أدب الرواية .

هذا ويمكن تصنيف القصص الخرافية القصيرة عن الحيوانات التي كتبها فايدروس (Phaedrùs) عبد اغسطس المحرر والمسمى ايسوب (Aesop) الروماني من الهجاء اللوسيلي لكونه دبج قصصه عن الحيوان بتلميحات سياسية واجتماعية .

الشعر الهزلي والغنائي والحكمي : (Iambic. Lyric and Epigram) أطلق كاتولوس على قصائده القصيرة أسم « توافه » لكنها تختلف عن بعضها بعضاً في طابعها والهدف منها . وهو يستعمل بحر « الايامب » الذي يقترن عادة بالنقد الساخر ليس فقط عند هجائه لقيصر وبومبي ، بل وفي قصيدته الرفيعة التي يصف فيها عودته الى وطنه سرميو (Sirmio) . وبعض شعره هذا قصائد غنائية بديعة . ومما لا شك فيه ان كاتولوس وزملاؤه تركوا أثرهم على من نظم هذا النوع من الشعر .

كان هوراس رائداً في مجموعة القصائد الغنائية «الايبود»[1] (Epodes) واستعمل بحر الايامب ليعبر عن اخلاصه لميكيناس (Maecenas) ، مع انه تبنى بالاضافة الى البحر المذكور موقفاً عدائياً من الشاعر اليوناني أرخيلوخس (Archilochus) الا ان هدفه الاول ظل نظم الشعر ، بينما كان هدف الكتاب الذين

(١) الايبودة(Epode) هي قصيدة غنائية يعقب فيها بين بيت قصير بيتا اطول منه

اتخذهم نموذجاً يحتذى هو الافصاح عن مشاعرهم . وهنـاك عدة قصائـد في هذه المجموعة لا أثر فيها لأي عنصر «ارخيلوخسي» أما مجموعته المسماة قصائد غنائية من نوع «الاود»(Odes) فقد حور فيها بحـوراً عروضية اغـريقية اخـرى . وعـوض الاشكال الشعرية الناتجة عن نقصان العفوية الانسابية في اللاتينية بأن أكسب قصائده هذه اناقة وفخامة فنيتين . وبذا آمن هوراس لنفسه الخلود بصفته أول من أدخل الشعر الغنائي الاغريقي الى اللاتينية . وقلما تُظهر قصائده هذهَ العاطفة التي تقترن الآن بالقصيدة الغنائية . الا ان صفات الأصول التي استقى منها عدلت، وحورت مكونة شيئاً خاصاً بهوراس يكاد يكون كامـلاً كعمـل فنـي مرّ في مرحلـة التأمـل الفكري .

أما مارتيال(Martial) فغالبـاً ما كان يرجـع الى كاتولـوس في بحـور شعـره وفكاهته الساخرة البذيئة . وثبت فكرة قول الحكمة فجعلها ثاقبـة مؤثـرة بشـكل مميز ، لكنه يختلف عن كاتولوس بما اتصف من مراء وصغر النفس ، ورغم ذلك فمعلوماته الاجتماعية قيمة .

الشعر التأملي : تبنـى كاتولـوس المزدوجـة التـأملية من بحـري السـداسي والخماسي التفعيلات ، وأدى به الى الخـروج عن التقليد ، بأن حسر التأمـل في العاطفة الشخصية ، وتصل احدى أشد قصائده عاطفة وهي منظومة على هذا البحر عن لزبيا(Lesbia) الى ٢٦ بيتا ، وهناك قصيدة اخرى طويلة ذات تصميم متشابك يذكر فيهـا عرضـاً حب لاودامية (Laodamein) الأسطـوري لبروتسـلاوس (Protesilaus) كنموذج . وتبوئه هاتان القصيدتان منزلة مبتدع قصيدة الحب التأملية الذاتية التي تتحدث عن عاطفة الشاعر نفسه . وأسس غالوس —Gallus) الـذي ضاعت مؤلفاته هذا النوع الادبي ثم طوره طيبلوس وبروبريتوس اللـذان هذبـا بحره العروضي .

ولا يزال أثركاتولوس واضحاً في كتاب بروبريتوس الاول ، لأنه كما يظهر يتلقى الايحاء بشكل أصيل من عاطفته نحو سينيثيا(Cynthia) . أما تورط طيبلوس فأقل تأكيداً . وفي الكتاب الثاني يبدو ان بروبريتوس هو الآخر بدأ يقرض قصائد حب تأملية بشكل أدبي له تقاليده وأعرافه ، مأخوذة من اشـكال أدبية اخـرى .

وتتألف قصيدة طيبلوس التأملية من أقسام ذات مزدوجات هادئة ، وانتقالات تدل على المهارة والحذاقة . وأسس هذان الشاعران اصطلاح «الشاعر الرقيق» المقدام فقط في حملات الحب ، والخالد عن طريقها ، وعن طريق الحوريات[1] . وبادىء ذي بدء كان بروبريتوس غير قابل للتأثر بالمثل العليا الاغسطية الآخذة بالتشكل آنئذ ، بل وجد المجد في عبوديته للحب ، واباحيته فيه ، مع انه تأقلم فيما بعد ومع حلقة ميكيناس . بينما اتسم شعر طيبلوس المحب للسلام وحياة الريف والتقاليد الدينية القديمة بسحره ورشاقته وروح النكتة الهادئة . وكان بمستطاع بروبريتوس ان يكون ساحراً الا انه كان اكثر من ذلك . وغالباً ما كتب بزخم مستخدماً لغة المتعلق بتداعي المعاني والخواطر المشبوبة بالعاطفة والتلميح الساخر او الخيال المطلق . وكان لأوفيد هدف مغاير ، فلم يتعمد ان يزيح العبء عن روحه ، ولا ان يؤثر في روح القارىء بل سعى الى التسلية والامتاع . وفي مجموعة قصائده عن الحب (Amores) نراه فاضحاً ومسلياً بما اخذ عن بروبرتيوس . وقد تكون شخصية كورينا (Corina) في قصيدته خيالية وخرافية . الا ان قصائده التراجع كانت وسيلته المميزة في السفر ، كما طور المزدوجة الشعرية التي اقتبسها عن اسلافه الى نهايتها المنطقية ، وجعلها متميزة بالتوازي ، وبالمد والجزر المنتظمين ، وباناقة جعلت فكاهيته الساخرة اكثر حدة ـ ولم يخلفه أي كاتب ذي شأن في ذلك .

البلاغة والتعليم : كان التحدث في المجلس والمحاكم أساسياً لكل عمل شعبي في روما ، ولذا كان المران عليه حاجة تعليمية ، وبعد القرن الثاني قبل الميلاد أثر الفن الاغريقي على الخطابة اللاتينية ، وكان الاسلوب الغالب أيام شيشرون الاسلوب الاسيوي المثير والمنمق . وتعلم شيشرون ـ الاسيوي في بادىء الامر ـ ان يخفف من حدة اسلوبه . وعندما انتقده الكتاب الذين احيوا البساطة أصر على ان يكون الاسلوب متنوعاً بتنوع الموضوع ، لكنه اعتقد ان الجماهير عند مخاطبتها أقل تأثراً بالنقاش منه بالعاطفة . فكان سيد المنابر بلا منازع من عام ٧٠ ق .م وحتى وفاته عام ٤٣ ق .م ، وقد شرح في كتابه بروتس (Brutus) تاريخ الخطابة الرومانية ، كما بسط مبادئه وممارساته في دى أوراتور (De oratore) . وأدى

---

(١) الحوريات (Nuses) : إنهن إلهات تسع في اساطيراليونان تخصصن بحماية الآداب والفنون والعلم .

تأسيس الامبراطورية الى سلب الخطابة اهميتها الجماهيرية ومع ذلك ظلت البلاغة تاج التعليم . وبقدر ما علمت البلاغة الطلاب ان يجمعوا مادتهم بوضوح ومنطق ، وان يعبروا عن أنفسهم باقناع بقدر ما حلت محل المقالة المعاصرة . لكنها اصبحت مجهدة متوترة متكلفة تحت ضغط الرغبة في نيل التصفيق فانقلب مفعولها عكسياً .

ودافع شيشرون عن وجهة نظره (من خلال شخصية كراسوس (Crassus) في مقالته (De oratore) مبيناً ان على الخطيب ان يتدرب على جميع الفنون العقلية . ولا بد للتعليم من أن يشمل الخطابة ، لكن ما اقترحه شيشرون هو ان تطعم الخطابة بنظام كامل من التعليم العالي . وعاد كونتيليان ، في كتابه انستيتيو واوراتوريا (Institutio-oratoria) الى شيشرون بحثاً عن الوحي والاسلوب . والكثير مما تضمنه هذا الكتاب تقليدي ، ويظهر من المنطق السليم والانسانية ما يدعو إلى الإعجاب . وأثرت اعماله كل التأثير على التعليم في فترة عصر النهضة .

التاريخ : ألف كونتوس فابيوس بكتور (Quintus Fabius Pictor) كتابه الرائد عن تاريخ روما خلال الحرب القرطاجية الثانية باللغة الاغريقية ، مستخدماً فيه السجلات الدينية والعائلية (يحتفظ القساوسة والعائلات الكبرى عادة بمثل هذه السجلات) ، ومعتمداً عليها في تقرير التواريخ والسنين . وتبعه في هذا السبيل من أتى بعده . وقد بدأت الكتابات التاريخية بكتاب كاتو (Cato) المسمى الاصول (Origines) ليتبعه عدد لا حصر له من المؤرخين التافهين يضاهي عدد مدّعي الشعر الذين ازدارهم شيشرون . اما كتاب يوليوس قيصر « تعليقات »(Commentaries) ، وهو دفاع سياسي يأخذ شكل قصة غير مصقولة ، فيتسم اسلوبه بالوقار والقوة والوضوح ويخلو من البديع .

واتخذ سلوست (Sallust) من تيويديديس نموذجاً له ، ففسر وتبسط مستعملا الأحاديث والخطب والدوافع المسببة . وتخطى اسلوب السجلات التاريخية في رسائله التي وصلتنا (والتي خصص واحدة لكل موضوع) أمثال حرب كاتلين (Bellum Catiline) وحرب جوغرته (Bellum Jugurthinum) مستخدماً التاريخ للتدليل على انحطاط الطبقة المسيطرة ، وتضفي عليه الثورة في الاسلوب الذي دشنه

أهمية عند بحث الأدب اللاتيني . ومع انه قيصري فقد اصطنع موضوعية تيوسديسية (نسبة لِـ ثيو سدِّيس) ولكنه في كتاباته غنى باللائمة على تبذير الجمهورية المحتضرة .

بدأ ليفي عمله الذي دام ٤٠ عاماً عندما تسلم اغسطس مقاليد الحكم ، ارتقى به تقاليد وأعراف كتابة الحوليات . ومع انه لم يبلغ المستوى الحديث في أسلوبه التاريخي إلا انه تحلى بالفضائل الأدبية واستطاع ان يصور الحوادث الماضية ويصفها بحيوية ويفسر وجهات نظر المشاركين فيها بأحاديث هي غاية في الفصاحة . وكما أنه ورث عن شيشرون مفهومه الأدبي عن التاريخ كذلك ورث إطنابه ومبدأه في مطابقته الشكل مع المحتوى وربما كان ليفي عن حق اعظم البيانيين اللاتينيين . وتعتبر كتبه الأولى ـ وفيها اطلق لخياله العنان ـ أمتعها قراءة . اما كتبه التي خطها مؤخراً ، والتي تصف عصوراً أقرب واكثر تاريخية ، بأساليبها الخالية من النقد وبتعصبها الوطني . وهناك اتجاه في الوقت الحاضر لاعتبار اعماله ، أدباً على وجه العموم .

ومن ناحية أخرى نجد ان تاسيتوس (Tacitus) رفع في الوقت الحاضر الى مرتبة لم يتسنها قديماً . ومع ان تعصبه ضد الامبراطورية واضح في تفسيره للدوافع ، فالحقائق التي أشار اليها قلما تقبل الطعن ، ووصفه لرعب الطغيان لا ينسى ، ونقرؤه الآن لتشخيصه الذي يتغلغل في الاعماق ، ولدراميته واقواله المأثورة الساخرة ، وعدم توقع ما سيقوله . واسلوبه تطوير لاسلوب سلست الى أبعد الحدود ، تلونه الكلمات الشعرية القديمة مجانباً ما استطاع استعمال الكلمات الشائعة . واذا وضعنا سويتونيوس (Suetonius) وما شابهها جانباً الفينا ان علم التاريخ قد انحط على مستوى كتيبات من نوع الدليل والملخصات الى ان ظهر اميانوس مارسيلينس (Ammianus Marcellinus) وكان موضوعياً واسلوبه منمقاً نوعاً ما ، ولكنه صالح للقصص والوصف الحي . فأكمل ما كتبه تاسيتوس بدءاً من وفاة دومتيان حتى عام ٣٧٨ م ، وخصص اكثر من نصف عمله لوصف عصره .

السيرة والرسائل : تبنّي صديق شيشرون كور نيليوس نيبوس (Cornelius Nepos) ، فكرة مقارنة الرومان بالأجانب ، ولم يصلنا من كتابه « رجال

مشهـورون » (Deviris illustribus) سوى ٢٤ فقـرة تافهـة عن شخصيات بارزة تاريخية قديمة . وواحـدة أخـرى ذات قيمـة عن أحـد اصدقائـه واسمـه أتيكس (Atticus) والواقع ان قرار الاخير مع صديقه تيرو (Tiro) ان ينشرا ألفا من رسائل شيشرون لدليل على الاهتمام العام بالشعب ، وادى الاعجاب بهذه الرسائل الساحرة إلى فرز أدب الرسائل كنوع أدبي خاص . وتعطينا رسائل بليني الأصغرYounger) (Pliny التي كتبت على أمل النشر صورة براقة عن الحياة المتمدنة . وهي أقل قيمة من مراسلاته العفـوية إلى تراجـان (Trajan) ، بحيث يأخـذ المرء فكرة عن القضـايا الروتينية مثل المؤاخاة بـين المسيحيين وأحـد الحـكام في بيزينية (Bithynia) . اما الرسالة كصيغة شعرية التي كان كانولوس أول من مهـد لهـا فتأسسـت على يدي هوراس . اذ تبدو بعض رسائله الشعـرية في مؤلفـه « رسائـل ـ الجـزء الاول » (Epistles) ، وكأنها رسائل حقيقية ، على حين يبدو بعضها الآخـر وكأنـه مجـرد أحاديث .

يتضمن كتاب سويتيونيوس (Suetonius) عن سير القياصرة والشعراء الكثير من المعلومات القيمة لكونه استطاع الوصول الى الارشيف الامبراطوري ، واتبع فيه أسلوب تسجيل كل ما يجده في قوائم مع ترك هذه المادة الخام لحكم القارىء. ويتألف كتاب « هستوريا أوغسطا » (Historia Augusta) الذي يغطي عهد الاباطرة من عام ١١٧ ـ ٢٨٤ م ـ من مجموعة من السير كتبت حسب طريقة سوتيونيوس في حين يعتبر كتاب « اغـريكولا » (Agricola) لتَسـتيوس (Tacitus) دراسـة تنـم عن اعجاب المؤلف بشخصه دون مبالغة في زهو ألوانها . وكان تأليف بعض اهم السير عرضياً مثل وصف شيشرون لمجرى حياته في حقل الخطابة في « بروتس »(Brutus) ومثل عمل هوراس الأدبي المسمى « رسائـل ـ الجـزء الأول » والـذي هو وصف للكاتب بقلمه ، وينتهي بصورة شخصية مصغرة عنه ، ومثل وصف اوفيد لحياته في « ترستيا ـ الجزء الرابع » وذلك بعد ان خشي أن تنساه روما وهو في المنفى .

الفلسفة والتعلم : لم ينتج العقل الروماني العلمي اية فلاسفة أصلاً ، والاسم الـوحيد الـذي يستحـق الاعتبـار هو شيشرون . فقـد تدرب في أثينـا في الاكاديمية الجديدة ذات الفلسفة الانتقائية ، وواضح أنه بقي انتقـائياً ساعياً وراء

الفلسفة ، لانها تناسبت وبنيته العقلية في الدرجة الاولى ، لا لأنها نظام منطقي يناسب الجميع . وقد توسل صيغة الحوار لأنها باعترافه تجعل الناس يفكرون بأنفسهم بدلا من اتباع أهل الثقة . وكان صحفياً فلسفياً ألف اعمالا أدبية اصبحت احدى الوسائل التي انتقل بوساطتها الفكر اليوناني الى التفكير المسيحي . ويتصف كتابه « دي أوفيكس » (De officüs) بأنه بحث في الاخلاق ، والحوار لا يتبع النمط الأفلاطوني أو الديالكتيكي ، بل ينحو نحو ارسطو الذي يتلخص في أن يفيض المتحدثون في تفصيل آراء كوّنوها مسبقاً .

في مجال العلوم لم يكن الرومان اكثر أصالة منهم في مجال الادب . فعمدوا الى انتاج الموسوعات بدلا من الخلق والابداع كموسوعة فارو (Varo) وكلسيوس (Celsus) وكتاب بليني « التاريخ الطبيعي (Natural History) الذي لا يعدو كونه مجموعة مختلطة جذابة وهامة تختص بتاريخ الفن وتبين الى أي مدى اضطربت المنجزات الهيلينية في مجال العلم وضاعت .

النقد الأدبي : يعطينا كتاب شيشرون « بروتس » (Brutus) والكتاب العاشر من مؤلف كونتليان (Quintilian) المسمى « تعليم الخطابة (Institution oratoriqa) امثلة عن النقد العام وقد ركز شيشرون على أهمية العقل المثقف والفكاهة الاصيلة ضد تكتيك الدليل والكتيب . غدا الوقت اكثر مناسبة أيام هوراس للتأكيد على الأهمية المتساوية للفن . ونجد بعض أفضل نقد أدبي لهوراس في كتابه هجائيات (Satires) (الجزء الاول رقم ٤ و١٠ والجزء الثاني رقم ١) ، وفي الرسالة الموجهة إلى فلورس (Florus) (الجزء الثاني رقم ٢) وفي الرسالة الموجهة الى اغسطس (الجزء الثاني رقم ١) وهي دفاع صريح عن الأوغسطيين ضد دعاة القديم المتزمتين . ولكن رسالته التي وجهها الى بيزو (Piso) وابنائه ودعيت فيما بعد « بفن الشعراء » (Ars Poetica) كان لها أثرها في أوربا القرن الثامن عشر ،وهي مقال مبتكر بمهارة وحذق ، لكنها ترتكز على ناقد هيليني هو نيوبتوليموس (Neoptolemus) من باريوم(Parium) وتدافع عن الفرضية المشكوك فيها ، ومؤداها ان الشعر أفضل بالضرورة عندما يمتزج المفيد منه بالمجتمع (وبخاصة اذا كان درساً في الاخلاق) ولقد شُغل معظم النقد الأدبي بالمسرحية وكان الرومان اكثر اجادة في بحثهم الاتجاهات الأدبية منهم في

بحث المبادىء الرئيسية للمسرح وهنـاك الكثـير الجيد في هذا المجـال في مؤلفـات كونتيال . اما محاورات «Dialogues» تاستيوس فهي بحـث جيد عن انحطـاط من الخطابة .

أدب القصة : لم تعرف روما في عهد الجمهورية وأوائل فجر الامبراطورية أي ادب قصة لاتيني غير ترجمةِ سيزنا (Sisenna) لقصص ارستيديس المعروفة باسم « قصص ميليسيه » (Milesian Tales) إلاَّ ان هناك مؤلفين منذ أيام الأمبراطـورية وصلتنا مقتطفات عنهـم مثـل الجـزأين رقـم ١٥ و١٦ من مؤلف « ستيريكون » (Satyricon) المعزو إلى بترونيوس ، وهي تبين بوضوح أن القصة من حكايا الشطار غير مترابطة الحوادث . ويقوم شخوص القصة ذوو السمعة السيئة بمغامرات متنوعة ويستخدمون حواراً حياً بلاتينية عامية . واشتهر بحق وصف مُحْدَث النعمة السوقي تريمـا لكيو (Trimalchio) وصفـاً نقـدياً . امـا رواية أبـو ليوس « مســخيات » (Metamorphoses) أو (الحمار الذهبي) فبطلها اسمه لوسيوس (Lucius) ويمسخ خطأ على شكل حمار . وبعد مغامرات غريبة تعيده الإلهة ايزيس الى جبلته الأولى . وفي الكتاب مقطوعات متعددة نخص بالذكر منها قصة « كيوبيد وسبايكي » وهي ذات جمال يصل الأوج بظهور شبح ايزيس ، وفي اطّلاع البطل (الذي يتحول الى المؤلف في آخر القصة) على شعائرها الغامضة .

الباب الثاني

العصور الوسطى

ميزات الفترة : يستعمل تعريف « الأدب الوسيطي » للدلالة على أدب أوربا وشرقي البحر المتوسط بدءاً من تأسيس الامبراطورية الرومانية الشرقية او البيزنطية حوالي العام ٣٠٠ م حاوياً بذلك الأدب الاغريقي الوسيط مروراً بالفترة التي تلت سقوط روما العام ٤٧٦ م ليشمل الأدب اللاتيني ، ثم عصر شارلمان وعصر النهضة الكارولنجي الذي بعثه شارلمان في فرنسا حوالي العام ٨٠٠ م وحتى نهاية القرن الخامس عشر متضمناً معظم الآداب الشعبية التي كتبت باللغات العامية الدارجة في أوربا آنذاك . وهكذا نرى ان التعريف هنا أعطي مدلولا أوسع من ذلك الذي يحدد تلك الفترة بالسنوات ما بين ١٠٠٠ ـ ١٤٥٠ م .

وقعت في القرون التي تلت سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية حادثة رئيسية غيرت مجرى التطور الأوروبي ، باستمرار إذ ان توطد أركان الديانة المسيحية في المناطق التي تتكون منها الامبراطورية الرومانية كان يعني تعرض أوربة لطريقة حياة منظمة جديدة وتعلمها لآداب وديانة طورها آباء الكنيسة الأوائل . وشكل الدمج بين الفلسفة المسيحية والكلاسيكية في الغرب أساس العادات الوسيطة لتفسير الحياة رمزياً ، وتم على يدي القديس أغسطين التوفيق ما بين الفكرين الأفلاطوني والمسيحي ، وأعطي النظام الدائم والثابت للكون حسب المفهوم الاغريقي صيغة مسيحية فاصبحت الطبيعة شيئاً مقدساً ، أو اصبحت كشفاً رمزياً للحقيقة المقدسة . وتسربل الأدب الكلاسيكي الحلة نفسها من الرمزية فامتدت الأساليب ، التي استعملت في تأويل الكتاب المقدس ، إلى الكتابات الكلاسيكية والعلمانية . وتعود طريقة المعالجة الرمزية أو المجازية (التي رأت في فيرجيل نبياً سبق المسيحيين ، وفي الانيادة قصة لرحلة الروح خلال الحياة إلى الفردوس (روما)) إلى التقاليد نفسه الذي ينسب اليه مفهوم دانتي المجازي لنفسه ، ولرحلته في الكوميديا الالهية .

لم تحدد الكنيسة هدف الأدب فحسب بل حفظته أيضاً . وأغلقت الطريق دون العلم الاغريقي في أوربا الغربية حتى القرنين الثاني عشر والثالث عشر لاسباب عدة . اذ تأسس دير القديس بندكت في مونت كاسينو (Mont Cassino) في ايطاليا عام ٥٢٩ وتبعته أديرة اخرى كمراكز للعلم ، وبخاصة بعد البعثات التبشيرية الايرلندية إلى الراين وبريطانية العظمى في القرنين السادس والسابع الميلاديين ، والبعثات الغوطية إلى أعالي الدانوب . وتمكنت هذه الأديرة من حفظ الأدب الكلاسيكي الوحيد الذي بقي في متناول الغرب في أوقات كانت تكتسح أوربا موجات الغوط والفاندال والفرنجة والاسكندنافيين على التوالي . وهكذا تمت المحافظة على مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين اللاتين ، كما سيطرت الأعمال التي تكتب باللاتينية على ما يكتب باللغة الدارجة خلال معظم تلك الفترة .

فكتبت باللاتينية مؤلفات هامة أمثال « مدينة الله » (City of God) للقديس أوغسطين « والتاريخ الاكليريكي » (Ecclesiastical History) للأب بيد (Bede) والسجلات التاريخية الدنماركية لسكسو كراماتيكوس (Saxo Grammaticus) شأنها شأن معظم المؤلفات الرئيسية في مجالات الفلسفة واللاهوت والتاريخ والعلوم .

وتكمن القيم الأدبية الرئيسية لهذه الفترة في الأعمال التي ألفت باللغة العامية الدارجة ويرجع أدب ما قبل المسيحيين في أوربا إلى تقاليد شفوية انعكست في الأدّا الشعرية (Poetic Edda) والملاحم البطولية الايسلندية (الساغا) (Sagas) وبيوولف (Beowulf) الانكلوسكسوني واغنية « هيلد براند » الالمانية(Song of Hilde brand) وجميع هذه المؤلفات تعود الى تقليد ألماني جناسي مشترك ، بيد انها جميعاً دونت ولأول مرة على ايدي نساخ مسيحيين في الفترة التاريخية التي تلت حوادثها ، وسربلت عناصرها الوثنية بفكر وشعور مسيحيين . إن صدى الأساطير الايسلندية يتردد في كل لغة جرمانية ، وواضح انها جميعاً تنحدر من مصدر أوربي مشترك ، إلا ان النصوص الاسكندنافية وحدها هي التي تعطينا وصفاً مترابطاً للقصص والشخصيات ذات العلاقة . ويعكس العديد من القصائد الشعبية القصصية

الغنائية القصيرة من نوع البالاد (Ballad) في اقطار مختلفة تقليداً محلياً أقدم زماناً من الانشاد الشفوي . وتعتبر القصص الرومانسية وقصائد الحب الرفيع البلاطي الغنائية تحوي كلتاهما عناصر من التقاليد الشعبية المتناقلة ممزوجة بعناصر من أدب علمي أكثر صقلا وتهذيباً ومصدرهما الرئيسي من فرنسا) من أشهر الأنواع الأدبية المعروفة التي نشأت في الأدب العامي الدارج الوسيط . واستمدت القصص من مصادر كلاسيكية أو آرثرية (نسبة إلى الملك آرثر) وسبكت بقالب شاعري ، لتحل محل الملاحم البطولية التي سادت المجتمع الاقطاعي ، كأغنية رولاند/The Song of) (Roland مثلا ، وهي قصة بطولية تدور حول شجاعة الفرسان ، كما اشتملت تلك القصص على مواضيع معقدة في الحب والاخلاق والنزاهة مع بحث عن الحقيقة الروحية ، وتمثل هذا المزيج في كل أدب أوربي رئيسي من ذلك العصر . وكان لقصيدة الحب الغنائية خلفية متغايرة الخواص والعناصر ، وهناك كبير جدل حول الاصول الدقيقة للجب البلاطي الرفيع ، وحول أثر التقاليد الشعبية في شعر الحب. وواضح في جميع الاحوال ان عنصر المرأة الرفيعة المقام التي تبوأت درجة المثالية وعنصر محبها المدنف ـ وهما ركنان من عناصر شعر شعراء الحب في جنوب فرنسا وشمالها ـ كانا القدوة التي تمت محاكاتها أو أعيدت صياغتها في طول أوربا وعرضها ، ونلقاها في المدرسة العقلية في ايطالية ولدى شعراء الهوى في المانية وفي مجموعة قصائد لاتينية تدعى « كارمينا|بورانا » (Carmina Burana) .

بدأت المسرحية الوسيطية بالاحتفالات الدبنية التي كانت تقام في الكنيسة بالمناسبات الهامة للتقويم المسيحي . ثم توسعت وتطورت الصفة الدرامية للطقوس الدينية فيها وربما كانت باديء ذي بدء على شكل ايماءات ومحاكاة صامتة ثم تطورت بإدخال إضافات درامية على حوادث او أشخاص يرد ذكرهم في الشعائر الدينية . وزاد هذا التوسع والتطور حتى غدت الدرا ما مسألة علمانية تمثل على مسارح أو عربات في شوارع المدينة أو ساحاتها العامة . وكان الممثلون حرفيين تابعين للنقابات الحرفية أو ممثلين محترفين تستأجرهم المدن ليمثلوا في الاحتفالات المحلية أو الدينية . وتطورت عنها ثلاثة أنواع من المسرحية : الأولى تتحدث عن خلق الكون وتسمى مسرحية الغموض (Mystery) ، والثانية تتحدث عن معجزات المسيح وحوارييه وتسمى مسرحية المعجزات (Miracle) ، والثالثة تعالج بشكل مجازي

سعي الانسان لدخول جنة الخلد وتسمى الأخلاقية (Morality) . وبقيت عناوين المسرحية الوسيطة وموضوعاتها دينية ، إلا ان عناوين عناصر مشاهدهـا تشـير إلى طبيعتها الهزلية أو المرحة والبـدائية أحيانـاً . وترجمت إحـدى احسـن المسرحيات « الاخلاقية » التـي وصلتنـا عن الهولنـدية وعرفـت في الانـكليزية بعنـوان « كل انسان » (Everyman) . اما القسـم الانـكليزي من الأدب الوسيطـي فمجهـول التأليف ويصعب تأريخه . بينما جاء بعض أعظم كتاب الأدب الوسيطي امثال دانتي (Dante) وتشوسر (Chaucer) وبترارك (Petrarch) وبوكاتشيو (Boccaccio) في وقت متأخر من تلك الفترة ، وتبين أعمالهم الادبية الطبيعة الانتقـالية لأفضـل ضروب الأدب الوسيطي ، لأنهم بصفتهم معلقين مهرة على ما جرى خلال العصور الوسطى بشروا جميعاً بالانجازات العظمى لأدب عصر النهضة واشكالها .

الفَصْل الأول

الأدب اللاتيني الوَسيط

عكس الأدب اللاتيني في العصور الوسطى مباشرة تاريخ المجتمع الذي ولد فيه . ولم يكن مقدراً للأدب اللاتيني الواسع الذي انتجه الغرب خلال الألف عام التي فصلت نهاية الامبراطورية الغربية عن عصر النهضة أن يرى النور لولا سيطرة روما الواسعة خلال الخمسمائة عام التي سبقت . وما دامت رومة عاصمة ثقافية ظل بالمستطاع وجود أدب كلاسيكي موحد بينما حال الحفاظ على اللاتينية كلغة للطبقة الحاكمة في الامبراطورية دون نمو الادب العامي المنافس لها . وعندما دحرت روما حيال الغزوات البربرية ، وجزئت بقيام بيزنطة في النصف الشرقي المستقل للامبراطورية ، وحلت المسيحية محل الوثنية كان بقاء ما يسمى ادباً لاتينياً رهناً بوجود الكنيسة وحدها . وهكذا اصبحت رومة مركز ثقافة عالمية جديدة . وحفظ العلم والأدب كما أنتجا في الأديرة ومدارسها وفي مدارس الكاتدرائيات ، ومن ثم في الجامعات الناشئة .

تألف النثر اللاتيني في العصور الوسطى : اذا وضعنا جانباً الوثائق الرسمية والسجلات التاريخية والقوانين والمعاهدات والمراسلات الدبلوماسية وما شابهها ـ من المقالات اللاهوتية والفلسفية والعلمية ومن الصلوات وشروح الانجيل والجدل اللاهوتي والتاريخ وسير الاشخاص والقديسين والمراسلات الشخصية . وكان للكتاب في كل هذا أهداف عملية اكثر منها ادبية . ولم يكن الشعر نفعياً أو ديني النزعة الى هذا الحد ، فقد شمل ملاحم علمانية واخرى دينية كما ضم قصائد تعليمية وشعر المناسبات من كل ضرب . لكن لم يكن كل ذلك الشعر ذا قيمة ادبية تذكر باستثناء الترانيم والقصائد الغنائية الرومانطيقية . والمقارنة أخاذة بين الادب الكلاسيكي وذاك الذي تبعه كماً ونوعاً ، كما هي سهلة التعليل ، اذ لم يصلنا من

الأدب الكلاسيكـــي سوى النزر اليسير ،وان كان أفضله ، في حين حفظت كل النصوص الوسيطية ، الجيدة منها والـرديئة ، كما أن أثر المسيحيـة على الأدباء في القرون الوسطى ليس له ما يضارعه في العصور الكلاسيكية ، فقد سيطرت تلك الديانة على حياتهم ولوَّنت افكارهـم ، وتغلغلت الى اعماق كتاباتهم. وكان أثرها ايجابياً ، اذ قدمت المادة والوحي وزودت الشعر بصيغ دينية جديـدة ، لكنها من جهة اخرى كانت سلبية الاثر لاعتبارها الأدب الكلاسيكي نتاجاً وثنياً يقرأ توسلاً للـدراسات الانجيليـة . ومع ذلك درست النصوص الكلاسيكيـة في الأديـرة ونسخت ، الا ان بعضها حور ـ مثل مؤلفات فيرجيل ـ فعمد للاستعمال المسيحي بأن فسر مجازياً ، بينما ظلت العلوم العقلية أو الفنون الحرة قاعدة للتعليم الوسيطي في الثلاثيـة (النحوـ والبلاغة ـ المنطق) والرباعيـة (الهندسة والحساب والفلك والموسقا) . كما صنف الطب وهندسة البناء في عداد الفنون العقلية . وأدى التركيز على هذه الفنون على حساب المؤلفين والمفهوم المتدني للبيان الى تسديد ضربة قاتلة الى نوعية الأدب حتى انتهى الأمر بالشعراء الى الاستغراق في المحسنات البديعية كأن تؤلف اوائل او آواخر مفردات بيت من الشعر كلمة ذات معنى ، الى غير ذلك من الصيغ التافهة والمعقدة التي قدمت المتعة للعقل الوسيطي .

استخدم الأدب اللاتيني المسيحي المكتوب مفردات جديدة ومتنوعة اقتضتها حاجات مسيحية معينة في القرنين الثالث والرابع كان أول من أدخلها مجموعة من الـكتاب الافريقيـين الـذين دربوا في مدارس النحو والبلاغة ، وكـان ترتليـان (Tertullian) ومينوسيـوس فيلـكس (Minucius Felix) وسيبريـان (Cyprian) وارنوبيوس (Arnobius) ولكتانتيوس (Lactantius) أهم هؤلاء الـكتاب . وناقش القديس اغسطيس مطران هبو (Hippo) في كتابه «حول المبدأ المسيحي» (De Doctrin achristiana) مسألة الموقف الذي يجب ان يتخذه المتعلمون المسيحيون من الثقافة الادبية العلمانية ،كما وافق بصفته استاذاً للبيان على مبدأ قبول المسيحيين للعلم الكلاسيكي والـوثني واساليبه بشروط معينة . وقد خلـق أثر الأدب الكلاسيكـي العلماني مشكلة للقديس جيروم ، الا انه انتج تحفة من اللاتينية المسيحية في ترجمته

للكتاب المقدس المعروفة باسم «فلغيت»(Vulgate) كان لها أثرها العميق في العصور الوسطى . وكان معظم نثر القرن الرابع يدور حول مسائل عقائدية ، الا ان كتاب « الاعترافات » (Confessiones) للقديس اوغسطين هو الكتاب الوحيد ذو القيمة الادبية .

شهد أواخر القرن الرابع نهاية الشعر الوثني في احاسيسه ، الكلاسيكي في صيغته ، ولم ترفع له راية بعد أوسونيوس (Ausonios) وكلوديان (Claudian) على حين وقف بولينوس (Paulinus) اسقف نولا (Nola) على مفترق الطرق ، وأما برودنتيوس (Prudentius) الاسباني الذي ابتكر القصيدة الغنائية المسيحية من نوع «الأود» فقد لقح التعاليم المسيحية بنبرات كلاسيكية . واكثر الانتاج الادبي اصالة في القرن الرابع هو الترانيم اللاتينية المسيحية ، التي حلت فيها الاوزان المقفاة وغير المقفاة التي اعتمدت التناسق في المقاطع ، والنبرات والجرس الموسيقي محل البحور الشعرية الكلاسيكية التي عمادها عدد المقاطع . وتعتبر ترانيم القديس أمبروز (Ambrose) أول كشف في هذا المجال ، وأغنى شريان للشعر الوسيطي اللاتيني .

وما بين عامي ٥٠٠ و٧٠٠م كان الاسهام الرئيسي في الادب عبر تأسيس الاديرة التي كونت مراكز لنسخ النصوص الكلاسيكية . ومن بين الأعمال الاصيلة التي تستحق الذكر مؤلفان لكاتبين وثنيين في القرن الخامس الميلادي هما «تعليق مكروبيوس» (Macrobius) على كتاب «حلم شبيو» (Somnium Scipionus) لشيشرون ومؤلَّف مارتيانوس كابلا (Martianus Capella) ويعد مقدمة في العلوم العقلية أو الفنون الحرة تحت عنوان «حول زواج فقه اللغة وميركوري» (De nuptiis Philologiae et Mercurii) ، وهما كتابان أثرا عميقاً فيما بعد بمدارس العصور الوسطى . وخدم كتاب «أصول الكلمات» (Etymologiae) لاسيدور (Isidore) أسقف اشبيلية (Seville) كموسوعة لاجيال عديدة . وتفيض ترانيم فينانتيوس فورتوناتس (Venantius Fortanatus) بشعور مسيحي جياش مصاغ بقالب كلاسيكي . اما كتاب بيذيوس (Boethius) حول مواساة الفلسفة (De Consolatione Philosophiae) وهو سفر فلسفي رفيع صيغ شعراً ونثراً معاً ، فقد سيطر على العالم المتعلم خلال القرون الوسطى وما بعدها .

كان القرنان السابع والثامن الميلاديان فترة عقيمة فنشد العلم ملاذه من الغليان السياسي في البر الاوروبي بالاديرة ومؤسساتها في بريطانية وايرلندة ، ومن هناك اعاد العلماء المبشرون نقله عبر بحر المانش . ونذكر من أبرز العلماء الانكليز ألدهلم (Aldhelm) الذي تميز بعلمه اكثر مما تميز برشاقته الادبية ، والمبجل بيد (Venerablle Bede) الذي يعتبر كتابه «تاريخ الكنيسة الانكليزية» مناراً من العلم والعبقرية التاريخية .

وشهد أواخر القرن الثامن الميلادي حركة احياء للآداب برعاية حكومة شارلمان القوية والمستنيرة ، فسميت الفترة باسمه (كارولنجيةCarolingian) . وقد استدعى ألكوين (Alcuin) الشاعر والعالم منانكلترة كي يساعد في تنظيم المدارس الفرنسية لتثقيف القساوسة المتعلمين . ووفد على بلاط شارلمان مجموعة مزدهرة من الشعراء ، على رأسهم تيودولف(Theodulf) من اورليانز(Orléans) ذلك الكاتب الكلاسيكي الرفيع الثقافة الذي خلف ألكوين بادارة مدرسة القصر في آخن (Aachen) . وهكذا صدر عن الأديرة سيل وافر من الشعر الديني وغير الديني في أوزان كلاسيكية او جرسية . ولقد أظهر شاعران اصالة خاصة في الاوزان الغنائية وهما ولفريد سترابو(Walafrid Strabo) وكوتشوك(Cottshalk) وكلاهما تتلمذ على ربانوس موروس(Rabanus Maurus) وهو راهب عالم من فولدا(Fulda) . وتجلت في تلميذ آخر من تلامذته وهو لوبس(Lupus) من «فيريير»(Ferrières)- بما دبج من رسائل - عاطفة رائعة للادب والكلاسيكيات . واذا كانت النهضة الكارولنجية أهلاً لتسميتها فمرد ذلك بالدرجة الاولى لاهتمامها بالأدب ، وحماستها للعلم ومهارتها في نسخ المخطوطات ، وليس بنتاجها الادبي . وأهم عمل نثري لتلك الفترة ، سفر العالم الاسكتلندي جون سكوتوس اريجينا(John Scotus Erigena) «حول تقسيم الطبيعة » (De Divisione Naturae) وفيه يشرح نظرية فلسفية للكون استقاها من مصادر يونانية . وما خلا ذلك لم يكن هناك أي مؤلف نثري في القرن التاسع يستحق الخلود . ولم ينتج من الأدب ما له أهمية تذكر سوى قلة من بين العديد من اللاهوتيين والمؤرخين وكتاب سير القديسيين والشعراء في القرنين العاشر والحادي عشر سواء كان ذلك الادب دينياً او علمانياً . وتمثل اهم تطور في القرن الحادي عشر

في القصيدة الغنائية العلمانية التي كشفت لأول مرة من حيث وزنها وشكل مقطوعاتها ، عن أهمية « التتابع » الديني الذي هو ابتكار شعري أصيل للأدب اللاتيني في القرون الوسطي الذي نظم ليغني عند الصلاة بين قراءة الرسالة والانجيل . وتضم أغاني كمبردج (Cambridg Songs) ـ وهي مجموعة شعرية تعود الى القرن الحادي عشر وضعت في المانيا ـ عدداً من القصائد التي اغفلت اسماء واضعيها ، وتبين استعمال التتابع في المقطوعات العلمانية .

وفي نهاية القرن الحادي عشر واوائل الثاني عشر أصدرت مدارس الكاتدرائيات الفرنسية كمية وفيرة من الشعر كتبت لمناسبات معينة في نماذج كلاسيكية . نذكر من شعرائها ماربو(Marbod) من رينز (Rennes) وهيلدبرت (Hildebert) من لافاردان(Lavardin) وبودري(Baudry) من بورغيل(Bourgueil) وقد نظم جميعهم الترانيم الدينية بأوزان نبرية .

وفي القرن الثاني عشر أيضاً حلت مدارس الكاتدرائيات التي سبقت الجامعات محل الاديرة كمراكز للادب فانفتح بذلك مدى اوسع للدراسات ، وفيه تأكيد أذكى على المؤلفين. وظهرت في مدرسة كاتدرائية شارتر(Chartre) في فرنسا مجموعة من الكتاب تجلى في كتاباتهم الأثر الافلاطوني ، ومن اشهرهم برنار سيلفستري (Bernard Silvestris) وآلن دوليل (Alain Dellile) . كما استفاد من نتاجهما من أتى بعدهما من مؤلفين كتبوا باللغة العامية الدارجة . أما في انكلترة فظهر جون أوف ساليزبري(John Of Salisbury) ، وهو عالم انساني وسيطي مشهور كتب باللاتينية ، ويدين بالكثير لاساتذة شارتر ، وهناك كاتبان انكليزيان آخران يستحقان الذكر وهما جفري اوف مونماوث(Geoffrey Of Monmouth) كاتب تاريخ ملوك بريطانيا(Historia Regum Britanniae) الذي لاقى نجاحاً منقطع النظير في عصر اهتم كثيراً بالقصص العاطفية ، وولترماب (Walter Map) أحد اعضاء الحلقة الادبية في كنتربري ذاتها التي انضم اليها جون اوف ساليزبري ، وقد كتب مزيجاً من النثرثرة والقصص الشعبي والهجاء في مؤلفه «حول فكاهات رجال البلاط» (De Nugis Curialium) .

ومن الأسماء اللامعة التي عاشت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر نذكر بيتر إبلارد (Peter Abelard) وتوماس اكونيـاس (Thomas Aqiunas) وبرنارد أوف كلـيرفو (Bernard Of Clairvaux) ودنزسكـوتس (Duns Scotus) وروجر بيـكن (Roger Bacon) واشتهر جميعهم باسهامهم الفلسفي والـديني . وكـانت الترنيمات افضل ما جاد به شعرهم . ولقد أظهر إبلارد أصالة في ابتكار اشكال جديدة من المقاطع الشعرية ، بينما بلغت صيغة «التتابع» درجة الكمال على يد آدم اوف سانت فيكتور (Adam Of St. Victor) وفي القرن الثالث عشر عمت الحياة الدينية والادب الـديني بتأثير القديس فرانسيس أوف اسيسي (St. Francis Of Assisi) نزعة من العاطفة الشخصية وجدت متنفسها بالتعبير الرفيع في «المديح» الذي نظمه (Laude) جاكوبون داتودي (Jacopone da Todi) وبالترانيم اللاتينية من مثل «ستابات ماتر» (Stabat Mater) . وفي هذه الفترة ولمدة قرن من الـزمن برزت موجة جديـدة من الاحساس بالشعر العلماني المنظوم باللاتينيـة أو العاميـة الـدارجة وحفظ نتاج هذا الشعر في مجموعة امثال كارمينا بيورانا (Carmina Burana) التي تضم قصائد حب غنائية وأغاني شراب وقصائد تنوعت مواضيعها بتنوع أشكالها ، وتتسم بشكل عام بالحيويـة والعفويـة ، لكنها خلـو من الصيغة الادبيـة وهي بمعظمها نتاج «علماء متجولين» ومؤلفين أغفلت اسماؤهم ، وان كان من الممكن ذكر بعضهم من أمثال ولتر أوف تشاتلون (Walter Of Chatillon) ، وشخص غامض يدعى هيو بريماس (Hugh Primas) ، وشاعر مجهول أطلـق عليـه اسم «الشاعر الـكبير» . ويتصف بعض نتاجهم بأنه مثال جيد لشعر الحانات المرح .

وقبل عام ١٤٥٣ بأمد طويل . عندما انتقلت بسقوط القسطنطينية كموجة عارمة من النصوص الاغريقية وعلماء الاغريقية القادرين على شرحها نحو الغرب- نهض كتاب لاتين في ايطالية رافضين البربرية الوسيطية شكلاً ومفردات ، واتجهوا - تبعاً لذلك - نحو الكتاب الكلاسيكيين كنماذج يحتذونها متحدين الكنيسة التي انكرتها . ومن الأسماء البارزة لكتاب أثروا في عصر النهضة نذكـر البرتينومساتو (Albertino Mussato) (١٢٦١ - ١٣٢٩) وهو كاتب تراجيديـا على نمط سينكـة وبترارك (Petrarch) وهو مدبج رسائل على نمط هوراس ، وناظم ملحمة « افريقية » (Africa) ، وجيوفاني بوكاشيو (Giovanni Bacaccio) مؤلف كتاب «حول أصل آلهة

الوثنيــين» (De Genealogia Deorum Gentilium) وهو موسوعة أساطير . وساعد اساتذة آخرون (مثل غوارينوفيرونيــز) (Guarino Veronese) وفيتورينو دافلتر (Vittorino da Feltre) وقيمو مكتبات وجامعو مخطوطات مثل (كولوتشيو سلوتاتي) (Coluccio Salutati) وبوجيــو براتشيــوليني (Poggio Bracciolini) في خلــق عاطفة جياشة نحو العلم الكلاسيكي والادب الانساني فابتعثوهما حتى تغلغلا في المدارس والجامعات الايطالية في اواسط القرن الخامس عشر . وزاد في اضطرام شعلة هذه العاطفة أنصار اشداء للعلم أمثال (آل مديشي) (Medicci) في فلورنسة (Florence) ، وبلاط آل أراغون (Aragonesse) في نابلي ، والبلاط البابوي في روما في عهد البابا بيوس الثاني (Pius 2) (ارتقى العرش البابوي من عام ١٤٥٨ الى ١٤٦٤ م) بمشاركة رجال الأدب . وأسهمت المطابع التي شاعــت مؤخــراً في نشر مؤلفــات الكتــاب المعاصرين والكلاسيكيين من كتبوا باللاتينية . وفي حوالي عام ١٥٠٠ م ازدهر في ايطاليا أدب لاتيني كتبه رجال أولوا الشكل اهتماماً زاد عن الحد احياناً ، واتخــذوا الانماط الكلاسيكية القديمة نماذج احتذوها ، وأتــى تقليدهــم احيانــاً آلياً اكثــر ممــا يجب ، مستعملين الشعر والنثر اللاتينيين كوسيلة تعبير عن شخصياتهم ، ولنقل وجهة نظر انسانية ناضجة عن الحياة .

الفَصْل الثّاني

الأدَب الفرنسي في العُصور الوسطى - العصر الوسيط -

تم استيطان بلاد الغال او فرنسة ، وبخاصة الاقسام الجنوبية والوسطى منها منذ القدم . وخلال الالف الاول قبل الميلاد غزا السلت معظم البلاد ، وما زالت لقابهم القبلية حية في أسماء المدن الفرنسية ، لكن معرفتنا عن الاساطير والخرافات السلتية جاءت على وجه العموم من مصادر الجزر البريطانية وليس من فرنسا . وكان الرومان هم الذين أدخلوا الادب المكتوب . وظلت اللاتينية لغة الوثائق والأدب المكتوب كله تقريباً حتى القرن الثاني عشر .

أما القاعدة السياسية لفرنسا الحديثة فرسخ أسسها الفرنجة الذين حكموا من البلاد ما يعرف الان بجنوبي بلجيكا ووادي الراين (حوالي ٥٠٠ ـ ٩٠٠م) وسيطروا بالتالي على الكثير من أوروبا الوسطى . وادى احتلال شارلمان (Charlmagne) لسكسونيا (٧٧٢ ـ ٨٠٤م) الى زعزعة استقرار الشمال الوثني ، بيد ان هجمات الفايكنغ «رجال الشمال» (Vikings) التي تلت ، وعدم نضج الطبقة الفرنسية الحاكمة سياسياً ، آذنا بسقوط امبراطورية شارلمان الكارولنجية . وتمخض عن هذا الوضع تدريجياً مملكة غربية اتخذت لنفسها الاسم القديم « فرانسيا » (Franscia) أو فرنسا وفيها نشأ نوعان من اللاتينية العامية او الريفية وهما لغة الويل (D'oil) في الشمال ، والدوك (D'oc) في الجنوب . وهما لفظان مختلفان لكلمة « نعم » في اللهجتين . وهكذا غدت كل لهجة وسيلة ادبية لأدب هام . وتطور الشعر الغنائي في الجنوب بينما نشأ في الشمال أدب اكثر تنوعاً يغلب عليه القصص .

وساهم الكثيرون بالاضافة الى الفرنجة في خلق تراث ثقافي لشمال فرنسا . فبعد انسحاب الرومان احتل السلتيون ما يعرف الآن باسم «بريتاني» (Brittany) .

ومما له دلالته ان تكون افضل المواضيع المطروقة في الأدب الفرنسي القديم - وهي سلسلة حكايات الملك آرثر - سلتية في أصلها ، لان هذا الملك بطل في نظر اهالي كورنول في انكلترا وبريتاني في فرنسا . وارست استيطانات الاسكندنافيين عام ٩١١م اسس دوقيه نورمندي التي تحكمت بمسار فرنسا السياسي حتى عام ١٢١٠م . كما قوى فتح انكلترا او جنوبي ويلز على ايدي حكام نورمانديين من الروابط بين فرنسا والعالمين الاسكندنافي والسلتي. ولذا نجد أن بعض اقدم واجمل القصائد القصصية الفرنسية - وتعود بتاريخها الى القرن الثاني عشر (أمثال «القديس برندان» (St. Brendan) «وترستان»(Tristan) «وهافلوك»(Haveloc) - تصف مغامرات ابطال ايرلنديين وكورنوليين (نسبة الى كورنول) وانكليز اسكندنافيين . وفي عام ١١٥٤ عندما تربع هنري بلانتجنيت - دوق نورماندي وكونت آنجو(Cont Of Anjou) وزوج اليانور (Dleanor) من اكيتين (Aquitaine) - عرش بريطانيا باسم هنري الثاني أدمجت هذه الدولة الانكلونورمندية في إطار امبراطورية واسعة - امبراطورية « انجفان » (Angevin) وتمتد من جنوبي شرقي ايرلندا الى جبال البيرنية(Pyrenees)

مكانة الأدب الفرنسي القديم دولياً :

يعزى استخدام اللغة الفرنسية القديمة وهي لغة الويل(D'oil) في الاغنية والقصة والقانون والادارة في بلاد أبعد بكثير من فرنسا الى تغيير البنية السكانية والفتوحات الاجنبية التي قام بها نبلاء اقطاعيون ، والى احياء الدراسات الأدبية في مدارس الكاتدرائيات في شمالي فرنسا . وخلال الفترة التي تكوّن فيها الادب الفرنسي (١٠٥٠ - ١٢١٠م) كان النبلاء الفرنسيون يبرزون في نوع جديد من الحرب والفروسية عندما نشأت عن الحرب الصليبية الاولى - وفيها هيمن القادة الفرنسيون - مملكة في فلسطين ، وامارات اقطاعية في سورية . وفي عام ١٢٠٤ تسلم عرش بيزنطية حاكم فرنسي . وبينما كان الشعراء الانكلو نورمانديون والانكلو انجفيون ينظمون الثنائيات الشعرية حول الاساطير السلتية والدانماركية كان المستوطنون في الشرق الاوسط يترسلون بالنثر وصفاً لمعاركهم . وامتد رواق الأدب الفرنسي القديم بعيداً ، لكنه اينما نبت كان يعكس اذواق الطبقة المحاربة واهتماماتها وآراءها لأنها المسؤولة عن انتشاره .

الشعر المتناقل وأناشيد البطولة . (Chansons De Geste) -

كـانت النصوص القصيرة المكتوبة في القرنيـــن التاسع والعاشر نادرة وتثير اهتمامنا من ناحية أصول الكلمات وتطور معانيها . اما القرن الحادي عشر فقد خلا من أي نص بالفرنسية القديمة الا ان هناك مخطوط «لاغنيـة رولاند» (Charson de Roland) ، وهي أعظم الملاحم الفرنسية القديمة ، وهو النص الادبي الوحيد والهام الــذي يرجع بالتأكيـد الى تاريخ يسبق ١١٥٠ . والمخطوط في حد ذاته انكلـو نورماندي ، لكن القصيدة المقفاة - المؤلفة من مقاطع كل منها من عشرة أبيات - اوروبية الاصل وتعود الى تقليد قديم للشعر الشفهي المتناقل .

وبعد انهيار السلالة الكارولنجية جرت محاولات أولى لتوحيد الطبقة المحاربة في القرن الحادي عشر ، ونظمت مساعدات عسكرية للادارات المسيحية في شمال اسبانيـا تساندها الاديـرة البندكتيـة المصلحة (Benedictine) تحت اشراف كلــوني (Cluny) . وزحف المحاربون والتجار ورجال الدين على الطرق التي يربطها ممران رئيسيان في جبـال « البـرانس ، (البـيرينية) وهما ممـر رونيفو (Ronnevaux) وممر سمبور (Somport) وكانوا ينطلقون من هناك الى مركــز للحج اسمه سانتيــا غودوكومبستلا (Santiago de Compostela) . ولتسلية الحجيج نشأت مجموعة كبرى من الشعر الملحمي أخذت مواضيعها من جميع انحاء فرنسا وتطورت قصص شفهية حول المواضيع التقليدية على أيدي الشعراء الشعبيين الذين كانوا اما خدماً للنبلاء العظام أو لرجال الدين ، كما كان بعضهم من ذوي رتب الفرسان أو ذوي دراسة اكليريكيـة احيـاناً . وبشكل عام اعتمدت هذه الحلقات في مواضيعها من الشعر الملحمي على ذكريات عميقة عن النزاع في القرن الثامن بين الفرنجة والغاسقونيين (Gascons) والأمراء المستعربين (Mosorabic) بغيـة السيـطرة على جنوب فرنسا ، واندمجت هذه الذكريات في خيالهم الشاعري بأحداث الثورات والخلافات السلالية التي تلت .

يطلق الشعراء احياناً اسم «تأريخيـات سلاليـة» (Chansons de Geste) على حوالي ٨٠ من قصائدهم الملحمية المكتوبة والتي أغفل في الغالب اسم ناظميها . وفي صميم هذه الملاحم أساطير تدور حول شارلمان كامبراطور وحام للمسيحيـة

وبطلها ، مع أن محور الكثير منها أشخاص من النبلاء الكبار أمثال جيرار دو روسيلو (Girart de Rousillon) ودون دوماينس (Doon de Mayence) واوجير الدنماركي (Ogier The Dane) واللوارنيين (Loherains) ورأول دي كامبري (Raoul de Cambrai) . وقاسمها المشترك بشكل رئيسي هو موضوعها البطولي ، وطرق معالجتها وتفصيل خاص لوصف المعارك الكبرى سواء أكانت بين المسيحيين والمسلمين أم بين جيش أحد البارونات ضد بارون آخر ،او بين ابن وابيه او اخ واخيه بله المبارزات بين أبطال منفردين . واتخذت حروب شارلمان ضد المسلمين ، خلفية لاغنية رولان الملحمية (Chanson de Roland) ، وصور فيها رولان بطل معركة رونسيران (Ronceran) كمثل أعلى للمحارب الذي لا يستسلم بل يعد منتصراً ولو اندحر ، كما أخضع موضوع الشرف والانتقام الفردي لموضوع اوروبا في حربها الصليبية ضد المسلمين . وتروي قصيدة «حج شارلمان» (Pèlerinage de Charlemagne) عدة مغامرات له ولنبلائه امثال رولان واولفيه (Olivier) وغيلوم دورانج (Guillaume D'Orange) وأوجير الدانماركي وغيرهم في اطار الرحلة الى القسطنطينية ثم الى القدس . ولمع غيلوم دورانج كبطل رئيسي في حوالى ٢٤ ملحمة تعود الى القرنين الثاني عشر والثالث عشر . ومما لا مرية فيه ان غيلوم هو الشخص المعروف باسم ولهلموس (Wilhelmus) النبيل الفرنجي ، وابن عم شارلمان . أما ملحمة هون دوبوردو (Huon de Bordeaux) ففي تضاعيفها مادة خيالية غريبة ، اذ يساعد ملك الجن او برون (Oberon) البطل فيما هو ذاهب في مغامراته . وهذه الملحمة معروفة لدى ادموند سبنسر (Edmund Spenser) وشكسبير وجون كيتس (John Keats) في ترجمة انكليزية .

الرومانسية : (Romance)

نشأ في فرنسا في القرن الثاني عشر نوع آخر من الأدب القصصي من الصعب تحديده . وفي السابق تميزت القصة عن الملحمة بأن كتبت في مزدوجات ثمانية المقاطع موزونة ، بدلاً من القطع الشعرية المسجوعة . والتقليد المتبع في القصة تبويبها حسب موضوعها . فهناك المجموعة البريطانية وتدور قصصها حول المغامرات الأسطورية لفرسان الملك آرثر . وهناك مجموعة روما أو على الأصح

روايات العصور القديمة (romans d'antiqite) وتتحدث عن الاسكندر الكبير واينياس وأساطير طيبة (ثيبة) وطروادة . وهناك مجموعة ثالثة تعرف باسم « قصص المغامرة » (Romans d'aventure) وتتضمن مواضيع متنوعة ، وأفضل ما يمثلها قصائد أمثال « فلوار وبلانشفلور » (Floir et Blanchefleur) و« لاسكوفل » (L'Escoufle) (حوالي ١٢٠٠) التي كتبها جان رينار (Jean Renart) .

تختلف القصة كشكل أدبي عن الملحمة والقصة الدينية بأنها تروي القصص للمتعة والاثارة وما يلفت النظر خلوها من أي هدف ديني او سياسي او تعليمي أو أخلاقي ، وكانت قصص الحب والفروسية والمغامرة التي ظهرت في البداية بفرنسا حصيلة ابداع كتاب محترفين تثقفوا بعد دراسة الثلاثية الوسيطة (النحو والبلاغة والمنطق) وكتبوا لامتاع مشجعي العلم من الأرستقراطية . واستعملت كلمة قصة (Romanz) ـ ومعناها الأصلي « عامي » بالمقارنة باللغة اللاتينية حوالي ١١٤٠ للدلالة على الترجمات والاقتباسات من اللاتينية في اللغة العامية الدارجة ذات المضمون التاريخي او شبه التاريخي . فمثلاً تعرف ترجمة ويس (Wace) لكتاب جفري أوف مونموث (Geoffrey of Monmouth) المسمى « تاريخ ملوك بريطانيا » (Historia regum Britania) تحت اسم « قصة بروت » (Romanz de Brut) (بالنسبة لبروتس مؤسس بريطانيا الأسطوري) . كما قام مجهول باقتباس انيادة فيرجيل وحورها تحت اسم قصة إينياس (L'Romanz d'Enéas) . ودشنت القصة نشوءها كاسم وشكل أدبيين بهذه المؤلفات وأعمال أخرى مماثلة كقصة الاسكندر الكبير وقصص طيبة وطروادة .

وقد روت قصص الاسكندر ـ وهي في أسلوبها وشكلها ملحمة اكثر منها سرد قصة ـ سيرة هذا الفاتح الأسطورية ، وانتقلت الى العصر الوسيط عن طريق الوسطاء اللاتين ، أما قصة الاسكندر (Romanz d'Alexandre) التي ساهم بكتابتها عدة مؤلفين فقد بدأها إلبرك دو بريانسون (Alberic de Briançon) ـ وتكاملت خلال أكثر من قرن ، وأعطيت شكلها النهائي على يد ألكساندر دوبرناي (Alexandre de Bernai) . ويدور شطرها الأكبر ـ شأنها شأن الأغاني البطولية ـ حول الحروب والمعارك ولكنها قمينة بالاهتمام لما تضمنته من عناصر خيالية بعيدة ،

ولا سيما ذلك الجزء الخاص بأعاجيب الهند والذي كتبه لامبير لاتـور (Lambert le tort) ، وهي مدينة بشعبيتها ـ بشكل رئيسي ـ لهذه المراجع الغريبة والعجيبة .

ألفت قصة طيبـة (Roman de Thebes) وقصـة اينياس (Roman de Enéas) وقصة طروادة (Roman de Troie) في الفترة ما بين الأعوام ١١٥٠ ـ ١١٦٥ واستغل مؤلفوها العالم القديم الكلاسيكي بأن أظهروا محاربيه يتصرفون وكأنهم فرسان من العصور الوسطى . والجدير بالملاحظة تكتيكها الذي عكس اثر البلاغة المعاصرة ، بما ادخلوه من نصوص وصفية مطولة وصفحات من النقاش بين البطل ونفسه ، حول أمور الحب والقلب . وفي قصتي « طروادة » و« إينياس » اهتمام بالغ بالحب مبني على مفهوم أوفيد عن الحب ، على انه مرض يسبب القلق . ناهيك عن أننا نجد في قصة « طروادة » قصة برزيس (Brisis) الخائن الذي تخلى عنترويلـوس (Triolus) ووسع من أطراف هذه القصة جيوفاني بوكاتشيو لتصبح القاعدة التي بنى عليها تشوسر قصيدته ترويلوس وكروسيد (Troillus and Criseyde) كما بنى عليها شكسبير مسرحية « ترويلوس وكرسيدا » (Troilus and Cressida) .

وانفتح أمام كتاب القصة عالم جديد من الخيال هو عالم بريطانيا وبلاط الملك آرثر بفضل كتاب « تاريخ ملوك بريطانيا » لجفري أوف مونمـاوث عام ١١٣٧ . فاقتبسـه ونظّمـه واس (Wace) شعـراً في كتابـه بروت (Brut) عام ١١٥٥ . وكان كريتان دوتري (Chrétien de Triaye) (إزدهرت اعماله ١١٦٥ ـ ١١٨٠) . وهو من أبرز كتاب هذا النوع من الأدب ، ولولاه لفقدت أسطورة آرثر وقصة البلاط اثرهما في الأدب الذي تلا تلك الفترة .

أما قصـص كريتـان الأخرى مثل « اريك وأنيد » (Erec et Enide) التي يروى فيها قصة زواج لوارد من فتاة فقيرة هي اريك ، وقصة كليجية (Cligés) وهي تروي قصة حب فارس شاب لزوجة امبراطور بيزنطة وقصة « فارس العربة » (Le Chevalier de la Charette) وهي تروي كيف أن سير لانسلوت (Lancelot) عشيق جنيفر (Gunivere) زوجة سيده الملك آرثر أنقـذ معشوقتـه من الأسر ، وقصـة

« ايفان » (Yvan) وهي قصة رجل يتزوج أرملة رجل آخر كان قد قتله في مبارزة فردية ويقوم بمغامرات يساعده فيها أسد شاكر للجميل اسمه « ايفان » . وقصة برسيفال (Perceval) أو الكونت دو غرال (Li Conte de Grail) وهي قصة تروي تدرج فارس صغير في الخبرة نحو النضج بالاضافة الى محاولة إدخال موضوع الكأس المقدسة (Grail) إلى عالم قصة الملك آرثر .

ومن بين المواضيع الأخرى التي نجدها في القصة الفرنسية القديمة موضوع الطفل المضطهد الذي يسترد إرثه بعد مغامرات عديدة ، وتعتبر قصة هون دوبوردو (Huon de Bordeaux) التي هي ملحمة من الناحية الفنية شكلاً آخر لهذا الموضوع . بينما تدور القصة ذات الشعبية الفريدة المسماة فلوار وبلانشفلير - والتي ترجمت إلى الانكليزية والاسكندنافية والألمانية الوسطى والعالية والهولندية الوسطى حول موضوع شعبي مطروق هو فراق واجتماع محبين شابين . أما أهم قصة حب وسيطية فهي قصة تريستان وإزوالت (Tristan and Iseult) التي ألفت وبقي نصها بالشكل الذي عرفت فيه أصلاً في الربع الثاني أو الثالث من القرن الثاني عشر ، في المؤلفات الفرنسية فقط ، وحورت عنها في اللغات الأوروبية الأخرى ، كالألمانية والانكليزية والاسكندينافية القديمة والايطالية . وتعدّ القصائد القصصية التي كتبها بيرول (Béroul) وتوماس (Thomas) (أواخر القرن الثاني عشر) وجوتفريد فون ستراسبورغ (Gottfried Von Strassburg) في قصيدته ترستان (Tristan) (حوالي ١٢١٠) من بين أهم روائع العصور الوسطى .

إنه لمن الصعب القول ماذا يقصد كريتان دوتروي بإدخاله عنصر الكأس المقدسة إلى آخر قصصه عن الملك آرثر ، ولكن عمله هذا أدى الى نتائج هامة في تطور القصة . ففي عام ١٢٠٠ أنتج روبرت دو بورون (Robert de Borron) - وهو فارس برغندي قصيدة تتعلق بأصول الكأس . ويبدو أن قصد روبرت الظاهر كان ربط الكأس (التي وصفت بأنها الآنية التي استعملت في العشاء الأخير) بمجيء المنقذ أيام الملك آرثر . وأصبحت فكرة بطل الكأس الموعود زمن الملك آرثر موضوع قصتين نثريتين هما برسيفال (Perceval) وبارلسفو (Perlesvaux) . ويشير هذان المؤلفان الى بداية قصص نثري عن الملك آرثر . ثم أصبح النثر

بعدهما الاسلوب الرئيسي للقصة وتطورت قصة الملك آرثر في مرحلتها الكلاسيكية تطوراً كاملاً في حلقة من القصص مجهولة المؤلف مكتوبة باللغة العامية ، وتشمل التناسق المركب المعهود من القصص المتشابكة عن الملك الصياد (Fisher King) والحربة التي تنزف والأرض الخراب (Waste Land) وحب لانسلوت لجنيفر وأعمال ميرلين (Merlin) السحرية وخيانة موردرد (Morderd) . ومعظم هذه القصص متوفرة لقراء الانكليزية في قصة سير توماس مالوري Sir) (Thomas Malory « وفاة الملك آرثر » (Morte d'arthure) وهي مثل رائع على التكييف العظيم والخلاق الذي ضمن بقاء قصة الملك آرثر في العصر الحاضر .

الشعر الغنائي المبكر :

كان الخيال الشعري للشعراء الجوالين في الشمال « التروفير »(Trouvéres) منطلق الشعر الغنائي الأول في شمال فرنسا ، وتأثر هؤلاء الشعراء الموسيقيون من القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، والذين استعملوا لهجة « الأويل »(d'oil) بالشعراءالجوالين في الجنوب «التروبادور»(Troubadours) . ولربما عنت ملحمة « تروفيري » أول ما عنت صانع المجاز (Tropes) أو « الحشو في الانشاد الديني » . وبينما بلغت مدرسة التروبادور الأوج حوالي عام ١١٥٠ ، نجد أن الشعر الغنائي في الشمال لم يرسخ أقدامه حتى الحرب الصليبية الثالثة عام ١١٨٩ .

وكما هي الحال في بروفنس (Provence) كان معظم هذه القصائد الغنائية تعبيراً عن الحب الرفيع . والسمة الرئيسية لعبارة الحب هذه عبادة المحب محبوبته التي تصورها اكثر روعة منه ، والتي كرمتها عبودية الحب والمعاناة التي يستلزمها . ولقي هذا الموقف الرفيع تأكيداً غير عادي في جميع الشعر الغنائي لهذه الفترة .

تشبه الأشكال الشعرية في الشمال مثيلاتها لدى التروبادور بكل وضوح ، كالقصيدة الغنائية الجدية التي توازي في العصور الوسطى القصيدة الغنائية الكلاسيكية من نوع « الأود » . وكان الشاعر غالباً يخاطب ملهمته في هذه القصيدة ، وإن كانت تعالج أحياناً مواضيع صليبية ، وهي تتميز باللازمة ، شأنها شأن الأنواع المتعددة من أغاني الرقص مثل « الروندو »[1](Rondeau) « والفيريلية »[2] (Virelai) والأغنية الراقصة العاطفية من نوع « البَلاد »

---

(١) الروندو Rondeau قصيدة غنائية مؤلفة من ١٣ بيتاً وقافيتين .

(٢) الفيرلية Virelai شكل قديم من أشكال القصيدة الفرنسية .

(Ballade) ، وكالقطع الشعرية التي صيغت على شكل شبه درامي كالقصيدة « الرعوية » (Postoral) وأغاني « الفجر » (aube) . وكان يفترض « بأغنية النسيج» (Chanson de toile) أن تغنيها سيدة أثناء التطريز وشغل الإبرة أما كلمة « سيرفنتوا » (Sirventois) المشتقة من كلمة « سيرفنت » (sirventes) في لهجة بروفنسال (Provençal) فتعني أغنية هجائية بذيئة تصلح للجندي المرتزق (Servent) وإنما أطلقت في الشمال على الترانيم التي تدل على الورع ، ويغنيها خادم السيدة العذراء . وجميع هذه الأنواع الشعرية نظمت لتغنّى .

هنالك الكثير من القصائد الغنائية مجهولة المؤلفين . إلا أننا نعرف بعض هؤلاء من أمثال غاي دو كوسي (Guy de Coucy) (وبلوندل دونل) (Blondel de Nesle) اللذين تبوءا مركزاً أسطورياً إذ قضى الأول في الحروب الصليبية عام ١٢٠٣ م ، بينما يقرن إسم بلوندل باسم ريتشارد ملك إنكلترا . وأشهر شاعر تروفيري هو ثيبو الرابع من شامبانيا (Thibalt IV of Champagne) ملك نافار (Navarre) . وكان نصف القصائد الغنائية التروفيرية التي وصلتنا من نظم شعراء من مواطني آراس (Arras) ، الذين شكلوا لأنفسهم ما يشبه النقابة او الاتحاد ، وليس من عمل النبلاء الاقطاعيين . وكان آدم دو لا هال(Adam de la Halle) أبرعهم جميعاً ، وقد ادخل تقليد النقاش في الشعر ونقله الى الأجيال التي تلت ، وشاركه في ذلك جان برتال (Jean Bretal) . وكان كولن موسيه (Colin Muset) ـ الذي تقلب في قصور الاقطاعيين بوادي المارن (Marne) ـ أكثر أصالة منه . وميز بوضوح بين مشجعي الشعر من الكرماء والبخلاء وجمع بين مواضيع الشباب التقليدي وبين التصوير الواقعي لذوقه الشخصي ، (نار متأججة في الشتاء ديكة سمينة وخمر قوية) . وتناول روتبف (Rutebeuf) الكثير التنوع الناحية الشخصية في وصفه ، لتذوق الأكل والنواحي المتعلقة بشخص الشاعر ، إلا أن اعماله تضمنت الكثير من الجدل والهجاء الموجه ضد الرهبان . ويُعَدُّ آخر الشعراء التروفيريين وأول شاعر حديث وأديباً تناول قلمه كل شيء .

المسرح

المسرح : يألف المسرحيات الأولى في فرنسا كما هي الحال في اوروبا من مسرحيات ذات علاقة بالطقوس الدينية ، وأشهرها مسرحيات اسمها « ميستيري »

(Mystery) (وتعني أصلاً « فصولا شعائرية ») ولكنها أصبحت في القرن الرابع عشر تعني « عروضاً درامية » وهي ليست مرادفة تماماً للمسرحيات الانكليزية المسماة « ميستيري » (Mystery) . واستمدت هذه المسرحيات مادتها من الكتاب المقدس ، بينما استندت المسرحيات المسماة « المعجزات » (Miracles) على أساطير غير انجيلية عن القديسين . وشعائر الكنيسة الدرامية في حد ذاتها لم تكن بحاجة إلا الى القليل من التطوير على أيدي كتاب الأسرار « الميستيري » ، إذ ساعد المسرح الصاخب للقساوسة الأدنى مرتبة ، مثل « عيد الأغبياء » الذي يحتفل به في عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة ، على تطوير مسرحية متميزة عن تلك التي تركزت في الطقوس الدينية .

كانت اولى الأعمال المسرحية التي استخدمت العامية مسرحيات من القرن الثاني عشر مجهولة المؤلفين أمثال « سبنسوس » (Sponsus) التي وصل جزء منها مكتوباً باللاتينية والجزء الآخر بفرنسية بروفنسال ، ومثل « دانيال »(Daniel) وبوفيه (Beauvais(التي كتبت باللاتينية باستثناء لازماتها التي كتبت بالفرنسية ، و« سر آدم » (Mystère d'Adam) المكتوبة بالفرنسية (ويبدو انها من أصل نورماندي إنكليزي) باستثناء التوجيهات المسرحية والاقتباسات من الكتاب المقدس التي كتبت باللاتينية . وأقدم المسرحيات التي وصلتنا عن معجزات القديسين بالفرنسية ، ومن الأمثلة البارزة على هذا النوع مسرحية « القديس نيقولا »(Jeu de Saint Nicolas) (١٢٠٠ م) لمؤلفها جهان بودل (Jehan Bodel) ومعجزة تيوفيل (Miracle de Theophile) لروتبيف (Rutebeuf) (حوالي ١٢٦١) . وتعتبر مسرحية « كورتوا داراس » (Courtois d'Arras) (قبل عام ١٢٢٨) ، وهي عرض مسرحي لقصة الابن المبذر ذات خلفية معاصرة ، ومسرحية « الولد والأعمى »(Le Garçon et l'aveugle) مثلين لأقدم المسرحيات العلمانية التي وصلتنا وخير ممثل لها . وكان أول عمل هزلي علماني تماماً ذي قيمة أدبية مسرحية كتبها آدم دولا هال(Adam de la Halle) هي مسرحية « ورقة الشجر » (Jeu de la feuillêe) (كتبت بعد عام ١٢٧٥) وفيها يسخر الكاتب من عائلة آدم وأصدقائه ومواطنيه بمزيج من النقد والخيال الغريب ، ويستعمل شخصيات من الفولكلور (مثل الجنيات الثلاث) . أما مسرحيته « روبن وماريو » (Jeu de Robin et Marion) (حوالي ١٢٨٠) فقصيدة

شعرية من نوع « الباستورال » أعطيت شكل المسرحية ، وتضمنت أغاني ورقصات .

وبدءاً من نهاية القرن الثالث عشر أنتجت مسرحيات ناجحة تتعلق بآلام المسيح وكانت مسرحية « آلام سيمور » (Passion de Semur) مميزة لهذا النوع من المسرحيات إذ تألفت من ٩٥٠٠ بيت من الشعر ، واستغرق تمثيلها يومين ، وتبدأ بخلق الكون وتنتهي بالصعود . أما مسرحية طقوس آلام المسيح (Mystére de la passion) (١٤٥٠) التي استغرق تمثيلها أربعة أيام ، فهي أشهر مسرحيات الآلام الشعرية والمأساوية الفرنسية . إلا أن هذه المسرحيات التي ظلت شائعة حتى منتصف القرن السادس عشر أخذت تفسح المجال ابتداء من القرن الخامس عشر للمسرحيات الأخلاقية (Moralités) والهزليات التي تعتمد البذاءة والحركة (Farces) وكذلك هزليات البلهاء (Soties) ، وهي ثلاثة أنواع من الملهاة يصعب التمييز فيما بينها . وكانت المسرحيات الأخلاقية جدية أو هزلية لكن هدفها كان تعليمياً أبداً . ولما كانت مملة في الغالب فقد أدخل إليها الهزل المعتمد على الحركة والبذاءة. وكانت هزليات البلهاء هجائية علنية ويرتدي الممثلون فيها ما يناسب أدوارهم . ولم يكتب لمثل هذه المسرحيات البقاء بسبب التهجم السياسي الذي تتضمنه والمثال على ذلك مسرحية بيير غرانغوار (Pierre Gringoire) المسماة مسرحية « أمير البلهاء ، وأم البلاهة » . (Jeu du Prince des sots et mère sotte) التي كتبها عام ١٥١٢ م والموجهة ضد البابا يوليوس الثاني (Julius 2) والتي منعت فيما بعد ، فانتضى النقاد بعدها سلاح الكتيبات النثرية وأشكالاً أخرى من الهجاء أكثر عمومية . أما الهزلية التي اعتمدت البذاءة والحركة المسماة « فارس »(Farce) فليست بذات هدف أخلاقي أو سياسي ، ولذا لم تكن مهددة بالزوال . ضُمنت مسرحيات الطقوس الدينية مقطوعات هزلية من نوع « الفارس» كما استعملت هذه المقطوعات بهدف إضفاء الحيوية على المسرحيات الأخلاقية . وفي العصور الوسطى شابهت الهزليات في موضوعاتها الحكايا القصيرة الهزلية (Fabliaux) ولا يبعد أن تكون مصدرها الأصلي . أما الطريقة التي عولجت بها هذه الهزليات فقصصية أكثر منها درامية ، وكان الحوار الحي يعوض النقص في التركيب البنيوي للحبكة .

المجاز (Allegory) :

كان رجل العصور الوسطى على معرفة بالمجاز ـ وهو القدرة على ابتكار الأنماط المتكررة في الطبيعة وعلى رؤية التشابهات في مختلف نواحي الخبرة الانسانية ـ أيام دراسته ، (قراءة أوفيد مع تفسير أساطيره تفسيراً أخلاقياً) . ويختلف المجاز عن الرمزية الشعرية بتوازيه مع الواقع (كاعتباره حياة الانسان رحلة تحف بها المخاطر والمُلْهيات) وقد عُرِّف بأنه « صورة واضحة ومرئية زيد في تركيزها باعطائها معنى » . فالكأس المقدسة رمز حسب هذا المفهوم ، وينطبق هذا على المجموعة الكبرى من الأخيلة المقرونة بالورد في مجازية غيلوم دو لوري(Guillaume de Lorris) « قصة الوردة » (Roman de la rose) (حوالي ١٢٣٠) .

تبدإ « قصة الوردة » بحالمٍ يدخل حديقة مسورة ، ويمعن النظر في بركة ماء أو بئر فيرى انعكاس الوردة فيها . وقد تمثل البركة أعين المحبة ، ولكن الشاعر يقول انها البئر التي غرق فيها نارسيسوس (Narcissus) عندما أنعم النظر طويلاً في صورته . وركّب فوق هذا العالم من الرموز المتضادة مجازاً يتصف بالرسمية والشكلية : يحاول الحالم أن يحصل على الوردة يساعده أو يصده أشخاص مجازيون يمثلون مشاعر المحبة أمثال « الترحيب الطيب »(Fair Welcome) والاحتقار (Disdain) وغير ذلك . وقبل أن تتكشف نتيجة بحث المحب يترك غيلوم رومانسيته دون أن يُتمها . وفي حوالي العام ١٢٧٥ م أتمها جان دوميونغ(Jean de Meung) الذي استعملها كمطية لسلسلة من النقاش السفسطائي . تشترك فيه الطبيعة والعبقرية حول هدف الجنس والإنجاب ويقدّم النفاق كوصف لكيد الرهبان المتسولين في جامعة باريس ، كما فحص بعض العقائد السياسية تمحيصاً دقيقاً ، وتتمتع هذه القصيدة بشعبية هائلة ، إلا أنها من أكثر القصائد الوسيطية فوضى ، إذ تبدأ كخيال شاعري رقيق وتنتهي كملخص للعلم الحديث ـ وهي تضع العامة في العصور الوسطى على مفترق الطرق ، فهي أمية سياسياً إلا انها تواقة للمشاركة في تأملات قساوسة جامعات العصور الوسطى واندفاعهم .

الأدب الفرنسي القديم في مرحلته الكلاسيكية :

استهلت بداية جديدة في التاريخ القومي الفرنسي بمؤلف « السجلات التاريخية العظمى للقديس دنيس (Grands Chroniques de Saint - Denis) (عام ١٢٧٤ وما بعد) وبسيرة لويس التاسع التي كتبها رفيقه جان دوجو انفيل(Jean de Joiniville) . والكتاب الثاني وصف جذاب للملك الورع وتجاربه اليومية خلال الحملة الفاشلة على دلتا النيل في الحرب الصليبية (١٢٤٨ - ١٢٤٩) وأعاد الكاتب تنقيحه ما بين عامي ١٣٠٤ و١٣٠٩ بعد أن ضُمَّ راعيه إلى قائمة القديسين .

ازدهر الأدب التعليمي المتنوع في هذه الفترة ، إذ جمع الكاتب فيليب دوريمي سير بومانوار (Philippe de Rémi sire Beaumanoir) (١٢٥٠ - ١٢٩٦) قصص القوانين المطبقة في المقاطعة التي عاش فيها وهي مقاطعة بوفيه (Beauvais) وسمي الكتاب « عادات بوفيه » (Coutume de Beauvaisis) ، وهو الأول من سلسلة طويلة من هذه المحاولات. وكانت الفرنسية تكاد تصبح اللغة الرسمية للقانون في انكلترة ، وفي المدن الساحلية الباقية من مملكة القدس . ولقد كتبت أولى المقالات النحوية في انكلترة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، كما ألفت موسوعات علمية كاملة عن الشعر الفرنسي قام بكتابتها غوتييه دومتس (Gautier de metz) ، والكاتب الايطالي برونتو لاتيني (Brunitto Latini) .

وفي القرن الرابع عشر حدث تنوع ضخم في الأشكال الأدبية التي وجدت آنئذٍ ، فحفظت القصص الشعرية القصيرة من النوع الخرافي(Fabliaux) (وهي مشتقة من الحكاية الجغرافية Fable في الفرنسية) في محفوظات تعود بتاريخها الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر . وتتصف هذه القصائد القصصية القصيرة بتفاصيلها الواقعية ، وبأنها تهدف للتسلية وإثارة الضحك . وكانت القاعدة التي تدور حولها القصة أحياناً مجرد موقف بسيط يمكن رؤيته في الحياة الحقيقية ، وقد اعتمد المرح الذي أثاره الكثير من هذه القصص على مواقف وملاحظات إما غير

محتشمة أو بذيئة بشكل فاضح ، وكان الشعراء المحترفون أشهر مؤلفي هذه القصص أمثال جهان بودل (Jehan Bodel) وروتبوف (Rutebeuf) وجان دو كونديه (Jean de Condé) ، مع انه كان إلى جانب أولئك بعض الهواة الموهوبين أمثال هنري داندلي (Henri d'Andeli) وفيليب دوريمي سير بومانوار . وازدادت شعبية القصص الخرافية مثل قصص الحيوانات التعليمية التي تتبع حلقة « رينار الثعلب » (Reynerd the fox) .

ورغم أن الشعر كان الوسيلة اللغوية المفضلة قبل القرن الخامس عشر فإن الأعمال الأخلاقية والتعليمية كتبت نثراً وفي وقت مبكر . وحفظت كتب منزلية تحتوي بالإضافة الى الحسابات تأريخات عائلية وما شابهها من مادة تعود بتاريخها إلى القرن الثالث عشر . اما قصص الرحالة ولاسيما تلك التي يرويها حجاج بيت' المقدس وبلغت الأوج في رحلات (Voyages) السير جون مندفيل (Sir John Mandeville) (الذي اشتهرت كتاباته عام ١٣٥٦ م) وكتبت بالفرنسية الأنكلونورماندية .. والى الفترة ذاتها (القرن الرابع عشر) يعود كتاب شوفاليه (Chevalier) المسمى « كتاب شوفاليه في رحلاته » (Livre du chevalier de la tour Landry) والذي كتبه لتعليم بناته .

واشتهر يوستاك دو شامب (Eustache De champs) ـ وهو صحفي قرض الشعر وكتب القصيدة الغنائية القصيرة من نوع « بالأد » (Ballada) ليعبر عن المصالح المؤقتة سريعة الزوال لطبقات الفرسان ـ اشتهر بكونه الرائد الأول في موضوع العروض الفرنسي في كتابه « فن الكتابة » (Art de dictier) وقد سبق فيه سلسلة طويلة من كتب فنون الشعر . أما اعظم شاعر وموسيقي في ذلك العصر فهو غيلوم دوماشو (Guillaume de Machaut) بينما يعتبر جان فرويسار (Jean Froissart) نظير دو كامب في النثر ، فكان آخر وأعظم كُتَّاب السجلات التاريخية في العصور الوسطى . ومع كل فضائله ككاتب يوميات في فترة لامعة ـ وإن كانت مضطربة ـ فهو أقل أهمية من الناحية السياسية من مؤرخي العصر السابق بدءاً من غيرن

دوبـون سان ماكسنس (Guernes de Pont — Saint — Maxence) ، وانتهـاء بجوانفيل (Joinville) وفيليب أوف نوفارا (Philip of Novara) اللذين كانا أكثر نقداً وأقرب الى مصادر السلطة .

ويمكن سبر غور مكانة الفرنسية في الأدب الأوروبي في القرن الرابع عشر بدقة أكثر عبر انعكاساتها على كتاب من بلاد متعددة اجتازوا مراحل لا بأس بها في اتجاه النضج الأدبي، إذانغمس في الفـرنسيةكل من جيوفـري تشـوسر (Geoffrey Chaucer) في انكلتـرة ، ودافيد آب غويليم (Dafy d ap Gwilym) في ويلـز ، واركبريست دي هيتا (Arcipreste de hita) في قشتالة (Castile) وجيوفاني بوكاتشيو (Giovanni Boccaccio) في ايطالية . ولقد تعمق كل أولئك في قصصها وبحورهـا الشعرية وأساليبها وبيانها إلا أن كلا منهم احتفظ بمزاجه القومي وأصالته الشخصية ضمن إطار أوروبي هو على مستوى الثقافة العلمانية فرنسي لا لبس فيه .

فترة الفرنسية الوسطى (١٣٨٠ - ١٥٣٠) :

تعتبر المراحل الأخيرة من حروب المائة عام ونفي البابا في أفينيون(Avignon) عصراً جديداً في أوروبا الغربية ، أثربه - باديء ذي بدء - تأثيراً بالغاً حكام عائلة فالوا (Valois) في فرنسة. وتحدته كل من انكلتـرة وفلانـدر (Flanders) . كما تحدته بعد ذلك الأمبراطورية البرغاندية التي تداعت بوفاة شارل الجريء(Charles the Bold) عام ١٤٧٧ . ولكن المطامح الفرنسية ما لبثت أن تجددت في التسعينات من القرن الخامس عشر بأول سلسلة طويلـة من الفتوحـات في ايطاليـة واحتـلال بيدمونت وميلان بصورة متقطعة. ولكن بعد معركة بافيا (Pavia) عام ١٥٢٥ م ، وفيها أُسر فرنسوا الأول ، ضمت أمبراطورية آل هبسرغ (Habsburg) ، بنتيجة المعاهـدة التـي تلـت ، كل منطقـة ارتـوا (Artois) حتـى حدود آراس (Aras) واحتفظت بها سحابة قرن كامل ، كما احتفظت بسيطرتها على الفلانـدرز وهانـو (Hainout) . وخلال هذه الحروب انتقلت مراكز الثقافة الفرنسية جنوباً الى وادي اللوار وليون التي أصبحـت في هـذه الفترة المركز الثقافـي والتجاري لفرنسا ، وفي

هـذا العصر تحولت فرنسا ـ بعد أن فقدت مكانتها كمركز رئيسي للعلم والفروسية الأوروبيين ، إلى دولة أمة تنافس دولا غيرهـا في أوروبـا التـي تغـيرت أساليبهـا العسكرية وجغرافيتها السياسية تغيراً كلياً . إلا أنه من الممكن ملاحظة بعض الولاء للملكية خلال حكم شارل الخامس ، وأوائل حكم شارل السادس . عندما نرى مجموعة من الانسانيين تحت ظل رعاية البلاط ـ مثل المترجمين العظيمين بيير برسوير (Pierre Bersuire) ونيقول دورزم (Nicole d'Oresme) وجان دو مونتريل Jean) de Montreuil) وجونتيه كول (Gontier Col) ، بالاضافة الى أول كاتبة عميقـة العلم في أوروبا وهي كرستـين دوبيزان (Christine de Pisan) وهـذا ما يدل على الجذور الحقيقية للنهضة في فرنسا . وأدى جنون الملك شارل السادس عام ١٣٩٢ م إلى سلسلة من المصائب لحقت بفرنسا تبعتهـا نزاعـات عشائـرية . وفي أجنـكور (Agincourt) عام ١٤١٥ ذبح رماة السهام الإنـكليز أبطـال الفـروسية الفـرنسية وتسلمت حكومة لندن ، على هذا النحو زمام الأمور ، ونظم آلان شارتيه Alain) (Chartier سكرتير ولي العهد المبعد وأكثر كتاب عصره تنوعاً قصيدة درامية تصف تعاسة أربع سيدات قتل محبوهن ، أو أُسروا ، أو فقدوا ، أو هربـوا من ساحـة المعركة يسربلهم العار .

وفي مجتمع ما بعد الحـرب الـذي ران عليه الجـزع ، والـذي استحـوذ فيه البرجوازيون على ثروات هائلة ، أضحت النسوة في بعض الدوائر أكثر عدداً من الرجال . فقد دمرت الأسلحة الجديدة طبقة اجتماعية قديمة ، وساد موقف تجريبي حديث غريب ،وظهر هناك رجال جدد يدعون فروسية وورعاً لم يعهدها أسلافهم أو أعرافهم . وسعوا إلى إثبات أهليتهم في مبارزات كثيرة التكاليف ونصب تذكارية غريبة الشكل. كما انتشرت أزياء صارخة في الملبس ، وآراء شاذة عن العلاقـات الجنسية ، وهذا ما قاد إلى جدل أدبي صاخب كذلك الذي ابتدأته كريستين دوبيزان (Christine de Pisan) بنقدها المرِّ والأنثوي « رواية الوردة » واستمر فيه آلان شارتيه بحواره اللامع بين سيدة متعجرفة عزباء ومحبها اليائس في مؤلفه « السيدة الجميلة العديمة الرحمة » (La Belle Damme sans merci) .

كان آلان شارتيه بالنسبة لمعاصريه شاعر العصر الأكبر ، لكن معظم النقاد الحديثين يعتبرون شارل دورليان (Charles d'Orlean) شاعراً متفوقـاً ذا قصائـد

رشيقة ذات جرس موسيقي (حتى في القصائد التي لم تنظم للغناء) ساعد عليها نموذج ، مصطنع لاعداد والتنفيذ من النظم الشعري بما فيه من تكرار في الأبيات وتعديل في الايقاع .

ومع أن قصائده البطولية الغنائية من نوع « البلاد » أدنى شاعرية من قصائد فرنسوا فيلون (Francois Villon) إلا أن قصائد شارل من نوع « الروندل » (١٣ بيتاً يتبعها قافيتان) لا تجاري . ولقد مات فيلون بعد عام ١٤٦٣ إلا أنه كان شخصية لا مثيل لها في الأدب الفرنسي الوسيط المتأخر . فقد نظمت مؤلفاته الرئيسية « العهد » (Le Testament) « والعهد الصغير » (Le petit Testament) في قطع قوامها أبيات ذات ثمانية مقاطع ، تشيع فيها قصائد غنائية من نوع « البلاد » أو « الروندل » . وقليل من الأدب الفرنسي القديم ما يضاهي أفضل هذه القصائد ، إذ تتسم أعماله الأدبية بشكل عام بقوة السبك ودافق العاطفة .

وعدّلت اللغة بتأثير الاتجاه الانساني والترجمة عن الأدب اللاتيني الاغريقي الكلاسيكي والأثر الإيطالي . وهناك عامل جديد حاسم ، وهو استعمال الفرنسية لأغراض إدارية في سائر أنحاء المملكة . وأدى جلاء الانكليز النهائي عن المحافظات التي سيطروا عليها طيلة ثلاثة قرون الى تأسيس المحاكم المحلية العليا أو المجالس النيابية التي كان موظفوها من الطبقة القانونية البالغة الولاء للملكية والتي استعملت الفرنسية في مناقشاتها العامة واللهجة المحلية (التي كانت غالباً إما برفنسالية أو غاسقونية) في حياتها اليومية . وهكذا اختفت الرشاقة الرقراقة التي تميزت بها الفرنسية القديمة في مرحلتها الكلاسيكية ، كما اختفى نقاء ايقاعها الصوتي ودقة معانيها ، وذلك عندما اصبحت الفرنسية اللغة العامية لدولة امة في المهد .

وعبّرت المدرسة العظيمة للمؤرخين المعاصرين التي ازدهرت في بلاط بيرغندي عن النواحي الفردية لعصر النهضة ، والهوس بالنجاح امام المجتمع وصعود القادة العسكريين وسقوطهم . وفي عداد أبرز أفراد هذه المدرسة جورج شاستيلان المتوفى عام ١٤٧٤ (Georges Chastellain) وجان مولينيه (Jean Molinet) المتوفى عام ١٥٠٧ وأوليفيه دو لا مارش Olivier de la Marche المتوفى عام ١٠٥٢ . وأعظم

هؤلاء الكتّاب جميعاً فيليب دوكومين (Philippe de Commynes) المتوفى عام ١١٥١ والذي اعتزل خدمة شارل الجريء ليلتحق ببلاط لويس الحادي عشر ١٤٧٢ . وبعد أن اضطلع بعمل دبلوماسي معقد انتهى به المطاف ليكون سفير بلاده للبندقية خلال الاكتساح الفرنسي لايطاليا ما بين عامي ١٤٩٤ ـ ١٤٩٥ . وحاز على لقب أول مؤرخ فرنسي حديث « بمذكراته» (Memoires) التي تغطي فترة أربعين عاماً .

ان عصراً من الحداثة المدركة ذاتها ينتج بشكل عام أدب افكار ، ومصيره آيل الى الزوال السريع ولذا لم يلق أدب القرن الخامس عشر احتفاء القراء والدارسين واقبالهم عليه حتى العلماء منهم ؛ على حين ظل الأدب الوسيطي القديم بما فيه من انسانية وفكاهة عميقة محببة حيّاً في القصة القصيرة المسماة « نوفل »(Nouvelle) ، والتي خلفت القصة المرحة من نوع « الفابليون »(Fablion) ، وفي الأدب المسرحي والهزليات من نوع « الفارس » ومسرحيات الطقوس الدينية من نوع « المستري » وهي جميعا أدب العصر الحي . وحفظ الشعر الغنائي بتزاوجه مع الموسيقا التقليد « التروفيري » القديم بل طوره وارتفع به الى مستويات لم يبلغها من قبل . وتسنمت الموسيقا المتعددة الاصوات بعد ماشو (Machault) قمما سامقة التركيب الرياضي وكان مألوفا أن تُغَنىًّ في آن واحد نصوص بلغات مختلفة في مواضيع متنوعة ، كما هي الحال في بعض مشاهد الأوبرا الحديثة . ودخلت فرنسا وانجلترا وفلاندرز وبيرغندي وشمالي ايطاليا مرحلة من التكامل الثقافي ظل متماسكا حتى فترة الإصلاح الديني عندما بدأت حقبة أدبية جديدة بعد انشقاق الشمال عن روما ، والانتقال الحاسم للثقافة الفرنسية الى مركز « ليوني » (Lyonnese) جديد .

الفَصْـل الثّالث

الأدَب الانغلونورماندي

يعرف الأدب المكتوب باللهجة الفرنسية لانكلترا العصـور الوسطى كذلك باسم الأدب الفرنسي النورماندي ، والادب الانكلوفرنسي . ورغم أن الفـرنسية النورماندية أدخلت دوائر البلاط الانكليزي زمن الملك ادوارد المعترف(Edward the Confessor) فإن تاريخها يعود في الحقيقة الى الفتح النورماندي لبريطانيا عام ١٠٦٦ م ، عندما اصبحت اللغَة الشائعة في البلاط والقانون والمدارس والجامعات والمجلس النيابي وغدت فيما بعد لغة البلديات والتجارة . بل أضحت بالنسبة للارستقراطيين اللسان المكتسب الذي يدل على النبل ؛ الاّ أنها كلما زاد انتشارها زادت اعجميتها . ثم تسربت الى ويلز وايرلندا واستعملت بشكل محدود في اسكتلندا قبـل حروب الاستقلال وخلالها . وتعود اولى النصوص الأدبية التي وصلتنا الى عهد الملك هنري الأول وآخرها الى حكم هنري الرابع . وأدى تقلص العلاقات الطيبة مع فرنسـا خلال حروب المائة سنة الى زيادة استعمال الانكليزية وكان آخـر معاقـل اللهجـة الفرنسية يتمثل في المجلس النيابي والقانون ، وما تزال حية في كليهما بصيغ قليلة .

ومُثِّلَت معظم الأشكال الادبية في اللغة الانكلونورماندية ؛ كما مُثِّلت في الفرنسية ، لكن باختلاف طفيف في مواضيع التأكيد . وشذّت الأغاني البطولية من نوع « الشانسون دوجيسـت » (Chanson de geste) عن هذا التعميم ، لكن ذلك لا يعني ان هذا النوع من الأدب لم يكن معروفا في انكلترا (فالمخطوط الوحيد الذي وصلنـا متضمنـا نسخـة مسجوعـة من اغنية رولان (Chanson de Roland) مكتوب باللغة الانكلونورماندية) . بل يبدو أنه لم يكتب نتاج أصيل بهذه اللغة . ومن ناحية اخرى كانت الاعمال الادبية الانكلونورماندية معروفة في القـارة حيث نسخت أو قلدت . والفارق الهام الوحيد بين الادب الفـرنسي في القـارة والأدب

الانكلونور ماندي هو أن المجلس اللِّتراني الرابع (Fourth Lateran Council) لعام ١٢١٥ تسبب بتدفق أعمال عقائدية وتعبدية للعلمانيين في انكلترا لا يوازيه اي شيء في فرنسا ، وقد يفسر ذلك ان انكلترا كانت في الغالب متقدمة على اوروبا في الفترات الأولى بتطوير اشكال أدبية جديدة .

أما النتاج التاريخي فكان منتشراً في كل من نورمانديا والقارة الاوروبية . ومع أن اللاتينية حلت محل الانكليزية في السجلات العادية والتاريخية فهناك امثلة من كلتيهما في اللغة الانكلونورماندية اذ أكّبت البيوتات الدينية على كتابة سير القديسين المحليين ، وكان للنبلاء ميل للقصص المتحدرة عن الاسلاف الانكليز الخياليين . وهكذا نرى أن الاختلافات الاجتماعية والسياسية بين البلدين حالت دون الأدب الانكلونورماندي من أن يكون مجرد تقليد للأدب الفرنسي .

المؤلفات الدينية والتعليمية :

وفي انكلترا ، كان اقدم مؤلف نثري كبير في القرن الثاني عشر واسمه « كتاب الملوك » (the Book of Kings) مكتوباً باللغة الانكلونورماندية كما ترجمت « المزامير » عدة ترجمات ، وقام سانسون دو نانتيل (Sanson de Nanteuil) بترجمة أمثال سليمان شعراً وعلق عليها، وفي القرن الثالث عشر كتب روبرت اوف كريتام (Robert of Greatham) اناجيل الاحد لسيدة نبيلة ، وشهد نفس القرن بدء السلسلة الرائعة من اسفار الرؤيا الانكلونورماندية المشهورة بصورها الايضاحية والتزيينية التي استخدمت كنموذج لسلسلة من الصور المطرزة على القماش في انجيه (Angers) بفرنسا . وفي القرن الرابع عشر بديء بكتابة كتاب مقدس انكلونورماندي ، مع انه لم يكمل البتة . وكان الادب الانكلونورماندي غنياً بأساطير القديسين . ولربما كانت رحلة القديس براندان(Voyage of St. Brendan) إلى بنديت (Benedeit) أقدم قصيدة فرنسية قصصية صرفة مسبوكة في المزدوجة الثمانية المقاطع . ونهض ويس (Wace) في طليعة مؤلفي سير القديسين بشكل اعتبر نموذجاً قفّى على أثره كتاب انجلونورمانديون في القرن الثاني عشر كتبوا سيراً عديدة يربط الكثير منها المؤسسات الدينية بحماتها من القديسين .

أمـا « أسرار آدم » (Mystère d'Adam) أقـدم مسرحية فرنسية ، فهي انكلونورماندية . ولربما عادت مسرحية البعث المسماة « لا سينـت ريزركسيون » (Le Seint Resureccion) الى القرن الثاني عشر ، بيد ان كتابتها أعيدت أكثر من مرة في القرن الثالث عشر ، وهي فريدة في نوعها بمـا اتسمـت من خلفية مناظرهـا ، وعملها المسرحي الذي تصفه نصوص شعرية يبدو أن الغرض من وجودها أن تقرأ خلال العرض ، وهناك بعض القصائد الدينية المجـازية وأهمهـا قصيدة « قلعـة الحب »(Castle of love) بالفرنسية .

وتمخض اجتماع المجلس اللتراني(Lateran) الرابـع (١٢١٥) عن جمـع اعمال أدبية تعليمية أقدمها واكثرها جاذبية « مرآة الكنيسة المقدسة » (Merure de Seinte église) التـي كتبهـا القـديس ادمونـد اوف ابنجـدون (St. Edmund of Abingdon) . وظهرت في القرنين الثالـث عشر والرابـع عشر مقـالات عديدة في مواضيع تكنيكية : أدلة للاعتراف ، الزراعة ، القانـون ، الطـب ، النحـو ، والعلوم ، تمدها مؤلفات اخرى تتعلق بالعـادات والصيد باستخـدام الصقـور ، والشطرنج . اما المقالات المتعلقة بتهجئـة الـكلمات ، والتـي انتجـت في اواخـر القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فتكمن قيمتها بما تلقيه من أضواء على فرنسية القارة الأوروبية بل الانكلونورماندية .

القصة :

كان الأدب الانكلونورماندي مشحوناً بالقصص . ففي القرن الثانـي عشر كتب شخص يدعى توماس نسخة رفيعة لقصة ترستان(Tristan) وقد وصلت هذه القصة على شكل قطع مبعثرة . واستعملها جوتفريد فون ستراسبورغ (Gottfried Von Strassburg) في قصصـه ترستـان وايسولد(Tristan and Isolde) ، كما كانت مصدراً للنسخ الاسكندنافية القديمة والايطالية والانكليزية المتوسطة لنفس القصة . وربما كتبت في انكلتـرا قصـة بيـرول (Béroul) المسماة « ترستان »(Tristan) ، والتي تعود الى القرن الثاني عشر . ولكن كاتبها كان نورمانـدياً . وتحـوى قصـة « والدف » (Waldef) وهي رواية طويلة مشوشة تتحدث عن ملك خيالي من ملوك

شرقي أنكليا (East Anglia) وعن ابنائه في مقطوعات ذات أصالة رائعة . وألفت بعض القصص في القرن الثاني عشر على شكل الاغنية البطولية(Chanson de geste) مثل « هورن » (Horn) لمؤلفها ماستر توماس (Master Thomas) وهي ترتبط بالانشودة المكتوبة بالانكليزية الوسطى والمسماة « الطفلة هورن والعذراء رمينلد » (Horn Childe and Maiden Rimnild) . ومع ذلك قام توماس آخر بكتابة « قصة كل الفروسية » (Roman de toute Chevalerie) وهي نسخة مستقلة لقصة الاسكندر ، وأصل لتلك المكتوبة بالانكليزية الوسطى (Mildle English) المسماة « الملك اليزوندر » (King Alisaúder) . وفي القرن الثالث عشر عادت القصص الاكثر رفعة وصلة بالبلاط الى الظهور وذلك في قصة « أدامس إدوان »(Adamas et Idoine) وفي قصة « آمي واميلو » (Amis et Amilon) التي نهلت من نفس المنبع الذي استقت منه القصيدة المكتوبة في الانكليزية الوسطى والمسماة « أميس وأميلون » (Amis et Amilon) .

القصة الهزلية القصيرة من نوع الفابليو(Fabliau) والقصة الواقعية الخرافية من نوع « الليه » (Lai)

كتبت ماري دوفرانس(Marie de France) ـ أول من سميت شاعرة فرنسية ، والتي لا نعرف عنها الا القليل ـ قصصاً خرافية قصيرة مبنية على مصدر انكليزي واثنتي عشرة قصة من نوع يسمى « ليه »(Lay) (يحتمل انها مهداة الى هنري الثاني ملك انكلترا) في مزدوجات مقفاة بثماني تفعيلات. وادعت أن لها أصولا بريطانية (Breton) . وهذا الضرب من القصص يجمع عناصر واقعية الى أخرى خرافية عن الجنيات . واتصفت مؤلفتها بالمهارة بتحليل قضايا الحب ، وغالبا ما أظهرت اهتماماً بالغاً بالحياة المعاصرة . ووجد عدد قليل من القصص الهزلية القصيرة منسوخاً في مخطوطات من البيوتات الدينية وغالباً ما كان هدفها شواهد تعليمية .

الكتابات السياسية والتاريخية :

نادرة هي القصائد الغنائية الانكلونورماندية ، وغير ذات اصالة في شكلها ، لكن عديدة هي القصائد الهجائية والأغاني . وفي مؤلف عنوانه « التاريخ »

(Chronicle) لـ بيتر لانغتوفت (Peter Langtoft) وجدت اجزاء من أغان سياسية.

ويبدأ هذا المؤلف على أنه سجل كامل للتاريخ البريطاني ، ولكنه أصبح مصدراً لعصر ادوارد الأول(Edward I) . أما الناثر نيقولا ترفيه الدومنيكاني(Dominican Nicholas Trevet) فقد كتب عرضاً تاريخياً للتاريخ الاوروبي ، ومنه استقى تشوسر قصة عنوانها « قصة رجل القانون » . (Man of law's Tale) لكن الكتاب الذي سبق هذه المؤلفات والذي نظم شعراً هو « تاريخ الانكليز »(Histoire des Englais) لمؤلفه جفري كيمر (Geffrei Caimer) حوالي ١١٤٠ م) ويعتبر أول عرض تاريخي بالفرنسية . وكُتبت سيرتان رائعتان احداهما سيرة ايرل بمبروك الأول(1 ST Earl of Pembrok) (وليام مارشال) (William Marshal) ، والثانية لأدوارد الملك الاسود (Edward the Black Prince) ، وقد كتبهما اجانب لمشجعي الادب من الانكليز . كتبت السجلات الرسمية بالانكلونورماندية غالباً . اما الحوليات (Year Books) ـ وهي تقارير غير رسمية لقضايا مرافعات عامة ـ فقد امتدت من عهد ادوارد الأول الى أيام هنري الثامن . وفي القرن الرابع عشر شرع باستعمال الانكليزية جنباً الى جنب مع الفرنسية في المجلس النيابي .

التاريخ الطبيعي والعلوم :

ألف فيليب دوتاون (Philippe de Thaon) احد اوائل الكتاب بالانكلونورماندية كتاباً سماه التقويم (The Computus) ، وهو أول مؤلف رمزي عن الحيوانات بالفرنسية ، وكتب سفراً آخر عن الاحجار الثمينة . اما سيمون دوفرين (Simund de Freine) فقد استند الى بيذيوس (Boethius) عندما ألف كتاباً سماه « قصة الفلسفة » (Roman de Philosophie) وله يدين بالشيء الكثير مؤلف « الفلسفة الصغيرة » (Petite Philosophie) من القرن الثالث عشر . وجميع هذه المؤلفات مجازية أو تعليمية .

الفَصْل الرّابع
الأدَب البروفنسالي الوَسيط

يمكن تقسيم الادب الذي كتب باللهجة الفرنسية الجنوبية المسماة «أوك» ولأمد قصير في الاقاليم الايطالية والاسبانية التي اعتمدت ثقافياً على فرنسا الى ثلاث مراحل ، اثنتان منها تقعان خارج نطاق هذا الجزء ، وتتميز الاولى بأنها فترة وحدة كتبت خلالها بشكل شامل لغة أدبية عرفت باسم « بروفنسال الاتباعية الكلاسيكية » الا ان التكلم بها لم يكن بنفس الشمول ، وامتدت ما بين القرنيين الحادي عشر والخامس عشر . اما المرحلة الثانية فكانت فترة تفرق تطورت خلالها لهجات محلية متعددة (١٦٠٠ ـ ١٨٠٠) اما المرحلة الثالثة فكانت فترة انتعاش جزئي : القرن التاسع عشر ـ القرن العشرين .

الشعر : ان اقدم مقطوعة وصلتنا من الشعر البروفنسالي هي لازمة موجودة بمخطوط في الفاتيكان ربما تعود الى القرن العاشر ، والأهم منها قطعة من شعر تعليمي محفوظة في مخطوط من اورليان (Orleans) ، ومطلع لمنظومة تستند الى مقال بيذيوس المشهور «حول مواساة الفلسفة» (On The Consolation Of Philosophy) . وفي نهاية القرن الحادي عشر كانت قصائد وليام التاسع (William IX) دوق آكيتين (Aquitaine) أو (غليوم السابع من بواتية (Guilhem VII Of Poitiers) واحدى عشرة قطعةستروفية[1] في شكل قطع (Stanza) بأبيات متكررة قصد لها ان تغنى ، وفي تضاعفها اغاني حب ، وأهمها ما يعبر فيه عن أسف الكاتب لتفاهة ماضيه وجزعه من فراق بلده وولده . وبالمقارنة بين قصيدة بيذيوس (Boethius) وقطع وليام التاسع الشعرية نرى أنه في حوالي القرن الحادي عشر كان الشعر البروفنسالي يتطور في اتجاهات متعددة ، ويبدو أن الشعر الابداعي (الرومانسي) نشأ من اصول شعبية ترجع الى ايام الرومان . وبالتدريج صقل هذا الشعر ليتناسب واذواق مستمعيه الارستقراطيين . أما أصول الشعراء فدل عليها المؤرخون اللاتين الذين يذكرون « الجوكلير » (Joculares) انهم رجال من طبقة متواضعة المنبت مهنتهم تسلية النظارة

---

(١) الاستروفية : هي الجزء من القصيدة اليونانية الذي تنشده المجموعة .

بحيل الحواة ، عارضين حيوانات مهـرة بأداء الالعاب او الانشاد أو الغناء . وقد دعوا بالبروفنسالية « جوكلار » وبالفـرنسية « جونكلـير » ، ونشـأ من صفوفهـم التروبادور الذين قد يكونون بأصلهـم « جوكلار » علا كعبهم في الشعر .

وعكست اغاني الحب الاوضاع الاجتماعيـة في جنوبي فرنسا تحت سيـطرة الاقطاعية . وكانت بنات اللوردات الاقطاعيين يزوجن لاسباب سياسية ، ولـذا كن يرحبن باحتفال رجال البلاط بهن ، وتوجه هؤلاء بدورهم اليهن بأغاني الحب ، ولما كان الشعراء عادة دونهن في المنزلة الاجتماعية ، لذا احتاطوا بالغ الحيطة بانتقاء الكلمات واسلوب الاداء ، وهكذا اصبحت المهنة في حب البلاط أو الحب الفروسي مسألة عرف وتقليد ، ولـكن من الخطأ الافتراض ان التجارب الفعليـة كانت عذرية افلاطونية بنفس الدرجة التي صورت بها شعراً .

التروبادور (The Troubadours) **الشعراء ، الجوالون)** : وفي نهـاية القـرن الحادي عشر ميز بين الطبقة الادنى من الشعراء المسمين الجوكلار (Joglars) والطبقة الاعلى منهم ، وهم شعراء التروبادور سواء أكانوا من الطبقـات العليا أم الـدنيا للمجتمع ، اذا كان وليام التاسع اول التبروبادور . وفي أوائل القرن الثاني عشر ألف سيركامـون (Cercamon) الغسكونـي شعـراً رعـوياً ونظـم تلميذه ماركابـرو (Marcabrun) حوالي ٤٠ قطعة يتعلق العديد منها بالتاريخ المعاصر . كما أن جفري رودل (Jaufre Rudel) من بليه (Blaye) ، مغني الحنين في الحب البعيد لم يكن أقل شهرة . وفي نفس القرن ، وإنما بعد هؤلاء الشعراء بقليل نظم برنارد دو فنتادور (Bernart de Ventadour) اغاني اتسمت ببساطة أنيقة يمكن اعتبار بعضهـا نمـاذج مثالية للشعر البروفنسالي ، واشتهر معاصره برتـران دوبـورن(Bertran de Born) بالدور الذي يقال بأنه لعبه بسيفه وبقصائده في النزاع الدائـر بـين هنـري الثانـي الانكليزي وابنائه الذين ثاروا عليه . ويمكننا ان نذكر من الشعـراء التروبـادورد ارنودانيال (Arnaut Daniel) الذي جلي بقرض الشعر المعقد والصعب ، وغيرو دو بورنيل (Guiraut de Boneil) واشتهر بالاسلوب المتلاحم الذرية (Trobar Clus) مع انه الف اغاني ساحرة ببساطتها وعذوبتها ، وآرنو دو ماريل(Arnaut de Mareuil) شاعر العاطفة الرقيقة والرفيعة ، وبير فيدال (Pier Vidal) من طولوز(Toulouse)

ذلك الانسان الغريب الاطوار ، والشهم رامبو دو فاكيرا (Raimbaut de Vaqueyras) وفولكيه دو مارسيل (Folquet de Marseille) (وهو الراهب الذي غدا فيما بعد أسقف طولوز) وراهب مونتادو (Mantaudon) اللاذع ، والناقد الهجاء بيير كاردينال (Piere Cardenal) .

لكن عندما أتت الحرب الصليبية الالبجنسية (Albigensian) في العقود الاولى من القرن الثالث عشر على عدد جم من نبلاء جنوبي فرنسا لم تعد مهنة التروبادور مجزية، وشد الكثير منهم الرحال ليقضوا أخريات ايامهم في شمالي اسبانيا وايطاليا حيث لاقى الشعر البروفنسالي التقدير والاحترام . وحذا شعراء آخرون حذوهم وطفقوا ينظمون بالبروفنسالية لكنهم شرعوا منذ منتصف القرن الثالث عشر يهجرون اللغة الاجنبية ، وينصرفون الى النظم باللهجات المحلية . ويتوافق ذلك الوقت واحتضار الشعر في جنوبي فرنسا باستثناء اماكن قليلة . وفي القرن الرابع عشر نظمت المؤلفات للتوجيه والتعليم ، وبهذا ذوت دوحة شعر التروبادور .

الشعر البطولي (Chansons de Geste) والقصائد التاريخية :

يتضمن الادب البروفنسالي بعض النماذج الهامة جداً من الشعر البطولي (وهو قصائد في مقطوعات غير محددة الطول ذات قافية واحدة) ويشغل المركز الأول في هذه القصائد قصيدة بعنوان « جيرا دو روسيون » (Girat de Roussillon) . تتألف من عشرة آلاف بيت ، وتروي قصة نزاع شارل مارتل (Charles Martel) ضد تابعه جيرار دو روسيون . ويبدو انها مجرد اعادة صياغة لقصيدة أطول لم تصلنا من أصل فرنسي او برغندي . وفي منتصف السبيل بين الاسطورة والتاريخ تقع الانشودة البروفنسالية عن حصار انطاكية . وهناك قصيدة تاريخية حول الحملة الصليبية ضد الالبجنسيين (Albigensians) تتألف في شكلها الراهن من قصيدتين اولاهما من تأليف غيلهم دو توديلا (Fuilhem de Tudela) ، اما الثانية التي تختلف بالاسلوب واللغة والآراء فتحفة من روائع الادب البروفنسالي .

القصائد القصصية :

لم تصلنا الا ثلاث قصص من المغامرات وهي جوفرية (Jau Fré) وبلاندا دو كورنولها (Blandin de Cornoalha) وغيلم دو لابارا (Guillem de la Barra) وارتبط بقصص المغامرة ضرب آخر من القصص هو الحكاية (Novel) التي كانت في الأصل وصفاً لحادثة وقعت مؤخراً . ويمكن رفع بعضها الى مصاف أكثر الاعمال الادبية البروفنسالية رشاقة ، وقد كتب اثنتين منها المؤلف الكتالي (Catalan) راموفيدال دو بيسالـــو (Raimon Vidal de Besalu) وهما «كاستياغيلـــوس» (Castia Gilos) وهي معالجة انيقة لقصة الزوج الذي يتخفى كعشيق لزوجته ، والثانية صياغة شعريـة لمسألة قانون الحب . ويمكننا أن نشير الى قصيدة «نوفاس دل باباغاي» (Novas del Papagai) لأرنو دي كاركاسيه (Arnaut de Carcasses) التي يؤدي دور الشخصيـة الرئيسية فيها ببغاء فصيح يساعد في مغامرات سيده الغرامية . اما القصائد فطولت الى حجم القصـــص ، فقصيـدة «فلامنكا» (Flamenca) تزيد على ٨٠٠٠ بيت ، وفيها تتخلص سيدة من مراقبة زوجها الغيور بوسائل غاية في المهارة ، ولا يعادلها اي كتاب في الادب الوسيـــطي سرعة خاطر ورجاحة عقل ، وبما تضمنت من ارشادات حول عادات المجتمع الراقي في القرن الثالث عشر وتصرفه .

الشعر التعليمي والديني

كانت المؤلفات الأهم شأناً تتألف من قصيدة لبويثيوس (Boethius) ذكرت سابقاً ، ومن ترجمة شعريـــة قديمة لكتاب ديستيشادو موريبوس (Disticha de Moribus) لديـــوينيسوس كاتو (Dionysius Cato) وكتاب أوزل كاسادور (Auzels Cassadors) لمؤلفه دود دو براد (Daude de Prades) وهو مصدر لدراسة البزدرة[1] . وهناك بعض المؤلفات الاكثر اصالة والتي كان هدفها العام تعليم سيدات الـطبقة النبيلة . ولقد وصلتنا اثنتا عشرة قصيدة تدور حول سير القديسين ، وتتضمن سيرة

١) فن رياضة الصقور .

القديس فيد(Fide) وحيـاة القديس ايميـا(Eimia) لبرتران المـارسيلي(Bertran Of Marseilles) ، وسيرة القديس اونوراتس اوف لوران(St. Honoratus Of Lerins) التي تتميز بتنوعها وأناقة نظمها ، ولكنها بمجموعها تقريباً ترجمة من اللاتينية قام بها ريمون فيرو(Raimon Feraut) .

المسرحية : تألف الادب الدرامي لجنوبي فرنسا من مسرحيات حول الخلق ومعجزات القديسين من نوع الاسرار « الميستري » والمعجزات « والميراكل » قلما تجاوزن ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠٠ بيت . وترجع بشكل عام الى القرنـين الخـامس عشر والسادس عشر ـ ويبدو ان اقدمها مسرحية تدور حول القديس « أنْييس »(Agnes) كتبت في آرل (Arles) وتليها مسرحية « آلام المسيح » واخرى « زواج العـذراء » والاخيرة تكييف وتحوير لقصيدة فرنسية من القرن الثالث عشر .

النثر : كتبت في القرن الثاني عشر في لغة الأوك (Langue d'oc) عظات ذات أهمية لغوية أكثر منها أدبية . وفي حوالي نفس الوقت ترجم انجيل القديس يوحنا في ليموزان (Limousin) . وفي لغتي الأوك والبروفنسال ظهرت عدة ترجمات للعهد الجديد ولبعض اسفار العهد القديم خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر . والى القرن الثالث عشر تعود سير لبعض شعراء التروبادور قصد منها ان تكون مقدمة لاشعارهم وتفسيراً لها . وكتب الكثير قبل عام ١٢٥٠ عندما صنفت المجموعـات الأول لشعراء التروبادور . وتعود الى نفس الفترة قصيدة عنوانها لارازو دوتروبار (Las Razos de Trobar) للشاعر التروبادوري رامـون فيدال دو بيسالـو(Ramon Vidal de Besalu) (وهي مقالة مدارهـا فن الشعـر وعـدة نقـاط نحـوية) . ومـن المؤلفات النثرية الرئيسية في هذه الحقبة مقالة حول الشعر والنحو والبيان تعـرف باسم « ليه دامور » (Lays D'amour) ، ألفت في طولـوز . وكان تفسُّخ الأدب البروفنسالي بسبب الظروف السياسية اسرع مما يتوقع وهكذا لم يفسح المجال لتطور كامل للنثر .

الفَصْل الخامِس

الأدَب الانكليزي الوَسيط

فترة الانكليزية القديمة :

نتيجة لآثار الفتح النورماندي على الادب الانكليزي التي بدأت بالظهور في اوائل القرن الثاني عشر تنقسم الكتابات التي سبقت تشوسر - تسهيلاً للدراسة - الى حقبة انكليزية قديمة انكلوسكسونية ، والى فترة انكليزية متوسطة مبكـرة . وخط الفصل هو عام ١١٠٠م .

الشعر :

كان لقبائـل الانـكليز والسكسـون والجـوت (Angles, Saxons, Jutes) التي استقرت في بريطانيا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين تقاليد شعر شفهي ، لكن لم يصلنا أي من اشعارهم يعود للفترة التي سبقت المسيحية باستثناء مقطوعات من قصائد تتضمن اقوالاً مأثورة وحكماً أو بطولات نظمت في العصور المسيحية . فجذور البحر العروضي للشعر الانكليزي القديم - بأسلوبه الغني بما هو شاعري ، والذي يصلح للمواضيع البطولية - عميقة ممتدة الى الماضي الوثني . وكان هذا الشعر يغنى احياناً بمصاحبة القيثارة : لم يغنه الشعراء او المغنون الشعبيـون المتجولـون فحسب ، بل اشخاص أكثر تواضعاً امثال الفلاحين ، كما تذكـر قصة كادمون (Caedmon) للكـاتب القس المبجل بيـد (Bede) الـذي يقول في كتابه «التاريخ الاكليريكي للشعب الانكليزي» (Ecclesiastical History Of The English Alation) - الذي يعتبر مصدراً رئيسياً للتاريخ الانكلوسكسوني - ان فلاحاً من نورثمبريا ، واسمه كادمون ، هو أول من استعمل البحر والاسلوب التقليديين للشعر المسيحي الديني . لقد دخل دير وتيبي (Whitby) حيث نظم قصائد كثيرة ، لكن لم تصلنا من اشعاره سوى الابيات التسعة الاولى من ترنيمة عن الخلق . وتتضمن مخطوطة جونيـوس كادمون (Junius Caedmon) قصائد ذات مواضيع انجيليـة ، وثلاث قصائد تعرف مجتمعة باسم «المسيح والشيطان» (Christ And Satan) وهذه المخطوطة

واحدة من أربع مجموعات من المخطوطات للشعر الانكليزي القديم كتبت جميعها حوالي ١٠٠٠م . أما المخططوطات الاخرى فهي مخطوطة «بيـوولف» (Beowulf) «وكتاب فرسلي» (Vercelli Book) «وكتاب اكـزتر» (The Exeter Boock) ويـرجع تاريخ معظم الشعر فيها الى القرنين الثامن والتاسع . وفضلاً عنها هنالك مقطوعات شعرية قليلة متنوعة المصادر تعود بشكلها الى القرن الثامن .

وبما أن البيوتات الدينية هي التي حفظت الأدب الانكليزي القـديم برمتـه تقريباً فليس مفاجأ ان الشعر الذي وصلنا بمعظمه دينـي . فبالاضافـة الى الشعـر التعليمي ولبعض المعالجة الدقيقة لمواد انجيلية كسفر التكوين وسفر دانيال (مخطوطة جونيوس Junius) توجد من سفر الخروج (Exodus) صورة بطولية لموسى كتبها شاعر أصيل ذو خيال مجنح (نفس المخطوطة) . أما «جودث» (Judith) (من مخطوطة بيو ولف) فتبسط لنا قصة ابوكريفية (١) زاهية الألوان . وأثر العرف والتقليد البطوليين على قصيدتي «الين» (Elene) «وجوليانا» (Juliana) للشاعر كنيولف (Cynewulf) . وقد وصلتنا هاتان القصيدتان بالاضافة الى قصيدتين آخريين هما «مصير الرسـل» (The Fases of The Apostles) «والصعـود» (The Ascension) (Crist II) . ويتميز شعره بالنصاعة والمهارة العروضية واستعمال القافية كزينة اضافية . وكانـت أهـم قصيدة دينية هي «حلم الصليب» (The Dream of Rood) لوصفها المؤثر للصليب . وهذا الوصف جزء من حلم يرى فيه الحالم الصليب يسيطر على الكون . وهـذه القصيدة احدى اعظم الخرائد الدينية لما فيها من عمق الشعور وصدق التعبير .

يطلق تعبير غنائي وتأملي على قصائد «كتاب اكزتر» ، وهي «المتجول» (The Wanderer) «والبحار» (The Seafarer) «والخراب» (The Ruin) «وتذمـر الزوجـة» (The Wife's Complaint) «ورسالـة الـزوج» (The Husband's Message) «وديور» (Deor) . وهي جميعاً قصائد كتبت بجزالة بالغة وتحدثت عن مشاعر افراد في مواقف نمـوذجية . وقـد استخدمـت «ديور» الاساطـير البطـولية ، لأن المغنـي الشعبـي الاسطوري فيها ، يعزّي نفسه لفقدان وظيفته بتذكره كيف أن ابطالاً عديدين قد

---

(١) الابوكريفيا : هي اربعة عشر سفراً ملحقة بالعهد القديم لا تعترف بها بعض المذاهب المسيحية شأن مذهب الانجيليين .

نفذوا عبر المصائب الى ظروف أفضل . ولو أن «كتاب اكزتر» قد ضاع لما شك احد في وجود كل هذه الكمية من القصائد الغنائية الحساسة والمؤثرة .

لم يصلنا سوى قطعتين من «والدير»(Waldere) «والقتال عند فينزبرغ»(The Fight at Finnesburg) لتعطيانا لمحة عن الصفة الدرامية للشعر البطولي القصصي . واستعملت الاشارة الى مثل هذه القصص لأغراض متعددة في «ديور»(Deor) «وبيوولف» . وفي هذه القصيدة التي تعتبر أهم قصيدة وصلتنا وصف لقصة مغامرات البطل ومنجزاته ضد الوحوش الغريبة في مضمون الماضي البطولي . وتعتبر «بيوولف» اكثر من قصيدة بطولية ، لأنها ذات دلالة دينية عميقة ، فقد صورت الوحوش على انها اعداء الله ، واظهرت الاعمال البشرية العنيفة والخيانة والمطامع على انها مجلبة للعقاب . وهي تحتل - فيما وصلنا من شعر هذا العصر - المرتبة الاولى لما تزخر به من جذالة اسلوب وحيوية وطاقة قصصية .

وأخيراً كان هناك بعض الشعر حول المواضيع التاريخية وأبرزها معركتا «برونانبر»(Brunanburh) «ومولدن»(Maldon) (كتبت مباشرة بعد عام (٩٩١) التي لم يصلنا سوى مقاطع منها ، وهي قصيدة درامية وقصصية جزلة المبنى تبين أن المثل البطولية من الاخلاص والشجاعة كانت ما تزال حية .

النثر :

بدأت كتابة النثر بالانكليزية القديمة بعد التحول الى المسيحية مباشرة ، وأثر الحملة التبشيرية التي قادها القديس اغسطين من كانتربري الى جنوب شرقي انكلترا في الفترة ما بين ٥٩٦ - ٥٩٧ . وقد كتبت قوانين اثيلبرت الأول (Aethelberht I) حوالي ٦٠٢ - ٦٠٣ مع أنها وصلتنا فقط في مخطوطة من القرن الثاني عشر . ولقد كان تحويل صلاة الرب (Lord's Prayer) والعقيدة المسيحية الى الانكليزية مبكراً . كما أصدر ملوك كنت(Kent) الانكليز في القرن السابع دساتير قانونية باللغة الانكليزية ،وفي القرن التاسع كان من المألوف بالنسبة للوصايا وغيرها من العقود ان تكتب بالانكليزية أيضاً . وادعى الملك الفرد(Alfred) قبل انقضاء القرن بأن اشخاصاً عديدين يمكنهم قراءة الانكليزية . ويعود أول نثر أدبي وصلنا الى فترة حكمه (٨٧١ - ٨٩٩) ومع أن الكثير مما كتب استند الى أصول لاتينية ، الا انه من الخطأ وضعه جانباً على انه غير ممتع . وحتى ترجمة ورفيرث(Werferth) لمحاورات(Dialogues) القديس غريغوري وترجمة الفرد(Alfred) «للعناية الرعوية»

(Cura Pastoralis) تضمنت نصوصاً ليست في المؤلفات الاصلية . فقد احتوت نسخة بيد(Bede)من كتاب «تاريخ بريطانيا الاكليريكي» المترجم عن اللاتينية اجزاء كتبت بنثر حي طبيعي . والكتابات الاكثر أهمية من الناحية الادبية هي نسخة الفرد من كتاب بيذيوس «مواساة الفلسفة» المترجمة بتصرف ، ونسخة من كتاب القديس اغسطين المسمى « مناجات » (Soliloquies) . وفي كليهما استعملت مصادر اخرى ، وأدخلت نصوص ذات قيمة ادبية رفيعة . اما ترجمة كتاب اوروسيوس (Orosius) المسمى « التاريخ ضد الوثنيين » (Historia Adversus Paganus) والتي تعزى الى الفرد فكانت مكثفة جداً ، الا انها احتوت موضوعاً عاماً عن العمل ضد ارادة الله في التاريخ ، وكشفت عن وجهة نظر فردية متأثرة بالتقليد والعرف البطوليين .

لقد جمع «التاريخ الانكلوسكسوني» (Anglo Saxo nchronicle) للمرة الاولى زمن الملك الفرد . وتضمن باختصار حوادث جرت قبل القرن التاسع باستثناء وصف حي غير نموذجي لنزاع أدخل لسجل عام ٧٥٥م . ورويت حوادث القرن التاسع باساليب قصصية بسيطة ، واستمرت كذلك حتى وفاة ادوارد الأكبر (Edward The Elder) عام ٩٢٤ م . وتوقفت كتابة التاريخ طوال نصف قرن ، وعندما استؤنفت أسهمت بذلك التقدم العظيم الذي ميز مؤلفات الفترة بعد الانتعاش الذي تم للاديرة خلال القرن العاشر والتي تعتبر احدى أهم فترات النثر الانكليزي . وكان الراهب الفريك(Aelfric) وكبير الاساقفة ولفستان أوف يورك (Wulfstan of York) كبيري أنصار النثر . وعاش كلاهما زمن حكم ايثلريد (Aethelred) . واسلوب الفريك متزن فيه الكثير من الجمال والروعة ، بينما تراوح اسلوب ولفستان بين النداء العاطفي والوصف المتزن للحقائق الدينية . والكثير من مضامين مؤلفات هذا العصر نبعت من مصادر لاتينية ، ولكنها عولجت بشكل يجعلها أدباً قائماً بذاته . كما ترجم اسقف اثلود(Aethelwold) من ونشستر احكام البندكتيين، وترجمت الاناجيل وأسفار من العهد القديم في هذه الفترة . ونتيجة لكل هذا النشاط تطورت مفردات رائعة . وتبدى الاهتمام بالعلم بتأليف دليل (Manuel) بيرفيرث(Byrhferth) وبكتاب الفريك المسمى «دو تمبوريبوس» (De Temporibus) ويستند كلاهما على أعمال بيد(Bede) العلمية . وأخيراً وصلنا شيء من أدب التسلية، فقد كتبت ثلاث قطع عن الاعاجيب في مخطوطة «بيوولف» وهي

جزء من سيرة «حياة القديس كرستوفر»(Life of St. Christopher) «ورسالة الاسكندر الى ارسطو » (Alexander's Letter To Aristotle) « وأعاجيب الشرق » (Wonders Of The East) وجميعها عرضت بنثر غير متقن . اما القصة الاغريقية « ابولونيوس من صور » (Apolonius Of Tyre) فقد ترجمت بنثر منساب متين الحبكة .

وخلال الفترة من أواخر القرن السابع وما تلاها ، ظهرت مؤلفات لاتينية ، الا ان أهم منجزات الانكلوسكسون كانت خلق أدب عامي ضخم الكم شعراً ونثراً ، منقطع النظير لدى الشعوب الاوروبية الاخرى في العصور الوسطى . واستمرت الكتابة الرائعة «للتاريخ»(Chronicle) خلال القرن الحادي عشر ، وتابع النشاط العظيم مسيرته في انتاج المخطوطات التي كان بعضها موضحاً برسوم جميلة . وفي الادب وفي نواح اخرى عديدة كانت حضارة الانكلوسكسون تفوق حضارة النورمانديين الذين غلبوهم عام ١٠٦٦ م .

الفترة الاولى من الانكليزية الوسطى :

تظهر النصوص التي وصلتنا أن الفتح النورماندي كان ضحل الاثر المباشر على الكتابات الانكليزية . وقد تم التغيير تدريجياً عن طريق أثر الثقافة الاوروبية .

النثر :

استمرت كتابة « التاريخ الانكلوسكسوني » (The Anglo-Saxon Chronicle) حتى عام ١١٥٤ حسب التقاليد القديمة وأن عدلت في الوقت نفسه . ويحتوي القسمان الاخيران من الكتاب على وصف شهير للفوضى اثناء حكم ستيفن (Stephen) وللمهزلة السوداء لتسلم هنري اوف انجيلي(Henry Of Angély) رئاسة الدير في بيتربورو . (Pterborough). ويعود هجر الكتابات التاريخية الانكليزية بشكل رئيسي الى الازدياد المستمر في استعمال اللاتينية لكل عمل تتوخى فيه الديمومة وليس مجرد المتعة العابرة . وذلك ليس نتيجة للفتح النورماندي بقدر ما هو ناجم عن احياء العلوم في اوروبا الغربية . وبرزت مدرسة لامعة من كتاب التاريخ

الانكلوسكسوني أقدم افرادها ادمير أوف كانتر بري (Edmer Of Canterbury) ووليم أوف مالمزبـري (William Of Malmesbury) . وفي حوالي الثلاثينـات من القـرن الثاني عشر اندمجت في اللاتينية كتابة التاريخ بأدب الرواية النثري . وكان من ثمار هذا الدمج كتاب جفري اوف موغوث المسمى تاريخ ملوك بريطانيا (History Of The Kings Of Britain) ويعتبر من أقدم ما وصلنا من معالجة لاسطورة آرثر التي تمتزج بتلك الاسطورة التي تروي كيف استعمـر بروتس الطـروادي بريطـانيا . واستعملـت الـلاتينية كذلك في مؤلفـات ذات أهمية محلية ، ولسـير القديسـين المعـاصرين أمثـال ولفـريك اوف هيزلبـري (Wulfric Of Haselbury) ووليم اوف نوريتش (William Of Norich) وايلـرد اوف ريفـول (Aelred Of Rievaulx) . وسرعان ما استعمل الشعر الفرنسي في هذا المجال . وقبل عام ١١٤٠م كان جفري غيمر (Geffrei Gaimar) قد جمع كتابه تاريخ الانكليز (Estoire de Engleis) ، كما ان كتب تاريخ اخرى شعرية تضمنت كتاب ويس (Wace) واسمه « قصـة رو » (Roman de Rou) . وفي حوالي عام ١٣٠٠ ظهرت مؤلفات تاريخ شعرية وسـير قديسين بالانكليزية ، وأشهرها من تأليف روبـرت ماننـغ (Robert Mannying) وروبرت اوف كلوستر (Robert Of Cloucester) .

ورغم منافسة اللاتينية والفرنسية معاً ، كان النثر الانكليزي ما يزال يستعمل لكتابات العبادة لان الهدف هنا لـم يكن الرعاية الارستقراطية او التظاهر الفكري بقدر الفهم العام . وكانت اشهر المؤلفات الانكليزية النثرية لهذه الفترة مجموعـة تعرف باسم «مجموعة كاترين» (Katherine Group) ومقال طويل عن الحياة الدينية يعرف باسم «انكرين رايل» (Anren Riwle) أو «انكرين ويس» (Ancren Wisse) (دليل الراهبات) ومع ان اسلوب هذه المؤلفات متنوع ومختلف ـ فمجموعة كاترين قديمة في لغتها وكثيرة الجناس ، اما « انكرين ويس » أو « دليل الراهبات » فمرنة في اسلوبها ولغتها ، وتتضمن العديد من الكلمات الفـرنسية المستعـارة ـ الا انهـا تشترك جميعاً بذلك الاثر للفكر الاوروبي فيها .

الشعر :

كان مدى الاشـكال الادبية الشعـرية واسعـاً ، وتأثـير النقـل عن الفرنسية واللاتينية اكثر تعقيداً . وقد درجت الترانيم الدينية وشاعت أنى وصلت

الكنيسة الرومانية ، وبسبب رعاية الارستقراطيين الانكلونورمانديين للادب العلماني ازدهر الشعر الفرنسي في انكلترا بعد الفتح النورماندي ، وكانت افضل وأقدم مخطوطة لملحمة فرنسا الاولى انشودة رولان القديمة والقومية انكلونورماندية العظيمة . ولما كان الكثيرون في انكلترا يتكلمون لغتين او ثلاثاً كان لا مناص للاشكال الشعرية الانكليزية من أن تتأثر بالشعرين اللاتيني والفرنسي ، ولذا غيرت هذه التأثيرات العروض الانكليزي وكيفته في حوالي نهاية القرن الثاني عشر . وبينما استعملت قصيدة بروت (Brut) للشاعر ليامون (Layamon) بحراً عروضياً غير منتظم ، هو عبارة عن تلاقح بين الشعر الانكلوسكسوني ذي الجناس ، والمزدوجة الفرنسية ذات التفعيلات الثمان نجد ان اورمولوم (Ormulum) وهي سلسلة من المواعظ الشعرية نظمها اورم(Orm) في حوالي نفس الفترة ـ استعملت البيت اللاتيني الاصل المؤلف من ١٤ مقطعاً . اما الجناس فيه فأداته للزخرفة والتأكيد . واستعملت قصيدة « البوم والعندليب » (The Owl And The Nightingale) التي تعود الى القرن الثاني عشر تكييفاً لأكثر البحور الفرنسية شيوعاً وهو المزدوجة ذات الثماني تفعيلات التي أصبحت البحر العروضي الانكليزي القياسي للكتابات القصصية والاسترسالية وأظهرت القصيدة قبولاً متوازناً للمواضيع والصيغ الاوروبية . وبتوسل نقاش بين الطائرين استعرض الشاعر العديد من المواضيع مثل السحر والكنيسة والزواج مع ان تمثيل الطائرين لأي قيم رمزية ثابتة أمر مشكوك فيه . ويكمن الكثير من فضائل القصيدة في لغتها وأسلوبها الذي يتميز بأنه طبيعي ، حيوي ، انيق .

والمقارنة واضحة بين قصيدة «بروت»(Brut) للشاعر لايامون (Layamon) وقصيدة «البوم» . فالأولى منها وهي ترجمة لقصيدة الشاعر واس (Wace) المسماة « قصة بروت » وهذه بدورها ترجمة لكتاب « تاريخ ملوك بريطانيا » لمؤلفه جفري أوف مونمات تعرض مادتها حسب مفاهيم انكلوسكسونية بطولية ، الا أنها تكبت العناصر الفروسية . والقصيدة قديمة الأسلوب، حتى في عصرها مما حوّل الملك آرثر الى بطل جرماني قديم . ولربما ظل أول عمل عن الملك آرثر في الانكليزية ، وهو قصيدة (بروت) (Brut) للايمون المؤلَّف الوحيد ، قصيدة آرثر وميرلن(Arthur And Merlin) في حوالي نهاية القرن الثالث عشر .

والعمل البرجوازي المقابل لحلقة الملك آرثر الارستقراطية هو « قصص رنار » (oman de Renart) ، وهـي قصيدة تتميز بالهجـاء وعـدم الكياسـة . ويمـكن الاستدلال على مدى انتشارها وتذوق الانكليز إياها من النقش الواسـع الانتشـار لحوادث منها على الخشب لكن لـم يصلنا منها سوى قصة واحدة قبل تشوسر ، وهي « قصة الثعلب والذئب » (The Vox And The Wolf) وفي نفس المخطوطة نجد قصة السيدة سيريث (Dame Sirith) وهي المثل الانكليزي الوحيد ما قبل تشوسر للقصة الشعرية الواقعية انبذيئة عادة ، والمعروفة باسم خرافة « فابليو » (Fabliau) .

وهنـاك اشـكال قصصية أخـرى اكثـر تمثيلاً . فالقصـة الشعـرية كانت واسعة الانتشار بالانكليزية في منتصف القرن الثالث عشر ، وأقدم مثال وصلنا عنها قصيـدة «الملك هورن» (King Horn) (حوالي ١٢٢٥م) ، ويبدو ان أقدم القصص الانكليزية كتبت للعامة وليس للارستقـراطيين ، مثـال قصيدة «هيفلوك الدانمركي»(Havelok The Dane) وتروي كيف أن اميراً دانمركياً متخفيـاً في المنفى بزي ابن صيـاد سمك في كرمزبي (Crimsby) استرد ارثه ، كما تعطينا وجهة نظر مساعد الطاهي في حيـاة القلعة ، وما يتصف بطلها من قيـم الـطبقةالعاملة . اما «فلورس وبلانشفلور» (Floris And Blauncheflur) المترجمة عن قصة فرنسيـة من

أصل شرقي فقد تجنبت أي زخرف عاطفي لتفسح المجال امام التركيز على الحبكة . ويدخل في نطاق القصص السماعية القصة البريطانية المسماة ليه (Lay) . وهي قصة حب وسحر ذات خلفية كلتية ، كما هي الحال بالنسبة لقصة ماري دوفرانس(Marie de France) . واكثر القصص البريطانية امتاعاً قصة « سير اورفيو »(Sir Orfeo) وهي اعادة لرواية اسطورة « أورفيوس » (Orpheus) حسب المفهوم الكلتي . وهذه القصة مشهورة بجمال البساطة وما يتسم به تركيبها وأسلوبها .

كانت القصيدة الغنائية في أوائل مرحلة الانكليزيـة الـوسطى أحدث شكل أدبي ، أما البحور الشعرية الغنائية فكانت مجهولـة في فترة الانكليزيـة القديمة ، وأقرب الاوزان الى الغنائي من الشعر وزن «ديـور» (Deor) وبعض التعويـذات (Charms) . كما ان شعراء فترة الانكليزية القديمة لـم يحفلوا كثيراً بمواضيع الحب

والربيع . وبشكل عام لم تبدأ القصيدة الغنائية العامية في غربي اوروبا الا حوالي عام ١١٠٠م على أيدي شعراء التروبادور في بروفنسال ، الا إنها سرعان ما انتشرت وظهرت في الانكليزية بأوائل القرن الثالث عشر . وقبل عام ١١٧٠م نظم القديس غودرك أوف فينشال (St Godric Of Finchale) ترانيم دينية بسيطة ،وحسبما يقول جيرالدوس كمبنسيس (Giraldus Cambensis) ـ وتعتبر تقاريره المعاصرة مصدراً قيماً لهذه الفترة ـ انتشرت اغاني الرقص ذات اللازمات بين الفلاحين في أواخر القرن الثاني عشر ، وتعود أقدم قصيدة غنائية انكليزية علمانية وصلتنا الى حوالي ١٢٠٠م . أما أقدم قصيدة غنائية ملحنة فهي «ميري بينما يدوم الصيف» (Mirie It Is While Sumer Iíast) وتعود بتاريخها الى حوالي ١٢٢٥م ، والاغنية الشهيرة «الصيف آت» (Sumer Is Icumen In) ومن منتصف القرن الثالث عشر فما بعد وصلتنا مجموعات شعرية غنائية بعدد لا بأس به ، وأهمها «منوعات هارليان» (Harleian Miscellany) التي ربما جمعت حوالي ١٣٣٠ ـ ١٣٤٠ وهي مزيج من المحتويات ، فاليد التي كتبت الشعر الديني هي نفس اليد التي كتبت صنوه العلماني والنثر والشعر الفرنسيين ، بله اللاتيني والانكليزي .

وهكذا جلت الفترة الاولى من الانكليزية الوسطى الادب الانكليزي ووضحت من معالمه وقد تغير تحت تأثيرات القارة الاوروبية ، لكن بالتدريج ودون ان يفقد شخصيته .

من تشوسر الى عصر النهضة : تقليد الجناس وعرفه :

الشعر :

شهد منتصف القرن الرابع عشر بدء نتاج جديد في نظم قصائد طويلة على بحر يعتمد على الجناس ، وقد شملت اول مجموعة مواضيع متنوعة : قصص شعرية مثل قصيدة وليام أوف بالرن (William Of Palerne) (قبل عام ١٣٦١) ، وأجزاء من قصائد شبه تاريخية تدور حول حياة الاسكندر ، وهجاء سياسي مثل قصيدة « الرابح والمبذر » (Winner And Waster) ، وأساطير دينية مثل « جوزيف أوف اريماتي » (Joseph Of Arimathie) (حوالي ١٣٥٠ م) تعالج موضوع الكأس المقدسة . هذا وان السجلات التي وصلتنا توحي الينا الانطباع بأن الشعر الجناسي

استعمل ثانية بشكل مفاجيء بعد انقطاع طويل ، وذاك ما يدعى حركة الاحياء الجناسي ، وتعود الاختلافات عن التكنيك المتبع في الانكليزية القديمة الى تطورات باللغة بشكل رئيسي ، ويجب ان ينظر الى الاحياء على انه تبسيط واضح لطريقة في الكتابة موجودة . وكانت الحركة شمالية وغربية ويمكن مقارنتها بفن القافية المنتشر في لندن والشرق ، واستمرت كتابة هذا النوع من الشعر في اسكتلندا حتى مطلع القرن السادس عشر ، وهناك مجلد ضخم منها وأفضلها (يعود الى القرن الرابع عشر كما يبدو) يعادل بقيمته أفضل ما كتبه تشوسر (Chaucer) . وتتصف الرومانسية البطولية في قصيدة « موت آرثر » (Morte d'Arthure) بالرجولة والنبل وكانت النموذج الذي احتذاه سيرتوماس مالوري في كتابة جزء من قصيدته « موت آرثر » (Morte d'Arthure) . وقد عبرت قصيدة « بييرز بلاومان » (Piers Plowman) أقدم نسخة منها حوالي ١٣٧٠ ، وتعزى الى وليام لانكلاند (William Langland) بتصوير مجازي معقد وغنى فريدين عن ثقة مؤلفها في حاجة الانسان للاحسان وللحقيقة التي تدعو اليها المسيحية . والقصيدة طويلة ، وغير منتظمة التركيب ، ولغتها غالباً غير مصقولة وبحرها العروضي مفكك . الا ان قوة الشعور وطاقة الفكر فيها لا نظير لها . انها تقرير رائع عن فكر أواخر القرن الرابع عشر وعقيدته ، وتعتبر خريدة من أعظم القصائد الانكليزية .

أما الرومانسية البطولية «السيرغاوين والفارس الاخضر» (Sir Gawayne And The Grene Knight) فذات روح مغايرة تماماً ، وفيها يروي الشاعر قصة سحر تشبه بخلفيتها قصص الملك آرثر ، الا انه جلا شخوصه ومعضلة بطله الاخلاقية بتفهم دقيق ، حتى لتبدو القصيدة تفكيراً جدياً في السلوك الانساني ، فلقد صور غاوين (Gawayne) كمسيحي ورع غير كامل من الناحية الانسانية . والابيات الجناسية متماسكة التركيب ، والمفردات غنية بشكل غير اعتيادي ، شديدة التأثر بالفرنسية ، الا انها طرقت الواناً من المفردات الشائعة الاستعمال في لهجات شمالي غربي انكلترا . والانطباع الذي يوحي به الجو السفسطائي ـ وعمق التحليل النفسي ، واللغة المحلية ـ لا يماثله اي انطباع لأي عمل أدبي آخر من تلك الفترة . وتضمنت المخطوطة التي ضمت قصيدة «السير غاوين» قصيدتين جناسيتين للتعليم

الاخلاقي ، وهما «الصبر»(Patience) والنظافة(Purity = Cleanness) ، وتعزيان للشاعر نفسه لتشابه اسلوبها واسلوب «السير غاوين» . وقس على ذلك قصيدة تأملية ثالثة هي قصيدة «لؤلؤة»(Pearl) وفيها يرى الشاعر شبح ابنته التي ماتت في طفولتها ، تلقنه درساً في التسليم لمشيئة الله ، ويدير نقاشاً لاهوتياً معقد الاسلوب ، يجد كاتبه متعة في الظلال والالوان التي يستعملها للوصف كما هي الحال في قصيدة السير غاوين ، ورغم كل التعقيد في التركيب ، يوحي لنا بشعورٍ حادٍ من الحزن الشخصي .

تقليد تشوسر :

بلغ الاحياء الجناسي قمماً سامقة كانت هي الغاية . ولم يكن المستقبل بشكل رئيسي سوى تقليد لعرف شعر اللغة الانكليزية الوسطى الذي احتذى الشعر الفرنسي في الفترة الاولى للانكليزية الوسطى . وبمجرد ان بدأت فترة الاحياء الجناسي كان التقليد الآخر قد اكتسب حياة جديدة من اعمال تشوسر الاولى التي ـ رغم كل ما فيها من مهارة ـ تدين بالكثير لفرنسا . فأثر «قصة الوردة»(Roman de la Rose) ـ التي يقول تشوسر بانه ترجمها ـ واضح بين . أما «كتاب الدوقة»(The Book Of The Duchess) «وبيت الشهرة»(The House Of Fame) فيتبنيان تكنيك الابتعاد بالقارىء عن الاندماج بالشخصيات ليكون الضاحك غير متعاطف معها، وسبق لهذا التكنيك ان اتبع في قصدة «البوم والعندليب»(The Owl And The) ، كما يتجلى فيهما الشكل الشعري نفسه. وأثبت تشوسر عبقريته الجديدة بقصيدته «برلمان الطيور»(Parliament Of Fowles) المتصفة بالفكاهة وبعض العمق الفلسفي ، أما الحوار فيبشر بالمشاهد الرائعة التي نراها في «ترويلوس وكرسيد»(Troilus And Crisede) . ولأول مرة ، استعمل تشوسر في قصيدته «برلمان الطيور» وهي قصيدة رئيسية ـ بيت الشعر المؤلف من ثمانية مقاطع ـ ومنذئذ غدا هذا الوزن هاماً ، وقد اقتبسه الشاعر عن الفرنسية كما وجده عند الشعراء الايطاليين الذين أخذ بمحاكاتهم والقراءة لهم .

وقوام القصيدة قطع شعرية كل منها سبعة أبيات ، ودعي هذا الترتيب «بالقافية الملكية» (Rime Royal) التي استعملها لأول مرة في قصيدته «ترويلوس وكرسيد» (Troilus And Criseyde) .

واستعمل تشوسر البيت المؤلف من عشر تفعيلات لأول مرة في مقدمة (Prologue) «اسطورة النساء الصالحات» (Legend Of Good Women) واستمر على استعماله في معظم «قصص كنتربري» (The Canterbury Tales) . ويظهر تمثل تشوسر للتأثيرات الاوروبية على احسن وجه في «ترويلوس وكرسيد» اذ استقى حبكته من بوكاشيو، والخلفية الفلسفية من بيذيوس ودانتي ، ومواقف الكثير من شخصياته الرئيسية من تقاليد حب البلاط الرفيع ، الا انه حوّر رواية بوكاتشيو المباشرة لقصته بأن عمق معالجة الشخصيات . ورغم ان «ترويلوس وكرسيد» تحفة تشوسر فهيهات لها بنهاية المطاف ان تستطيع الوقوف امام «قصص كانتربري» . ومع ان القصص تختلف بأهميتها فان ابداعها غني بما توسلته من الحوادث وتلوين الشخصية مما تتكشف عنه شخصيات الحجاج الذين يروون القصص بنصوص يربط بعضها ببعض ، ثم بتلك المقدمة التي لا تضارع حذقاً وعمقاً .

ومنذ وقت مبكر اعترف بتشوسر كأستاذ كبير في الشعر الانكليزي لكنه بدا أقل عظمة مما هو الآن ، كما امتدح «جون كور» (John Gower) وهو معاصر أكثر قدماً من تشوسر حتى فترة العصر الاليزابيثي . لقد كان شاعر بلاط شأنه في ذلك شأن تشوسر وكتب عمله الرئيسي بالانكليزية ايضاً ، اذ تألف من سلسلة من القصص هي «اعتراف محب» (Confessio a amantis) ومؤلفين مجازيين تعليميين هما «مرآة الانسانية» (Mirour de L'omme) في الفرنسية «وفوكس كلامنتس» (Vox Clamantis) باللاتينية وبهما استحق مؤلفها لقب «يا داعية الاخلاق يا كاور» الذي خاطبه به تشوسر عندما أهداه كتاب «ترويلوس وكرسيد» . وساعدت مؤلفات «كاور» على ترسيخ الاستعمال الادبي للغة لندن المهذبة ، والشعر المقفى الذي يتميز به الجنوب والشرق . وبعد تشوسر سيطرت القافية وكل ما يرافقها من لغة وأسلوب .

اعترف خلفاء تشوسر بما اسدى اليهم من فضل فدعاه توماس هو كليف (Thomas Hoccleve) في كتابه «فوج الامراء» (The Regement Of Princes) أول مؤسس للغتنا الجميلة . وجل أعمال هو كليف تعليمية ساذجة ، وأحذ اخطائه الرئيسية ما يبديه من تكلف باستعمال مفردات لاتينية ، خاصة وقد غدا صنيعه هذا عادة شائعة ، فقفّى على آثاره في قصائده القصيرة جون ليدكيت (John Lydgate) الذي شعر بدوره بأعجاب عميق نحو تشوسر ، فقلده ما استطاع ، بقصيدته «سقوط الامراء» (The Fall Of Princes) مستخدماً القافية الملكية التي استعملها تشوسر في «ترويلوس وكرسيد» . كانت قصائد ليدكيت الطويلة بالغة الاطناب والتكلف ، الا ان بعض قصائده الأقصر ، مثل قصيدته الهجائية «شيشيفاش وبيكورن» (Chichevache And Bycorne) اكثر نجاحاً .وكان له أثره على غيره من الكتاب الذين فتنوا به أكثر مما يستحق .

بعد ليدكيت استمر تقليد تشوسر ، أو تقليد البلاط ، وبشكل رئيسي في المؤلفات غير الرئيسية ، فقد وصلنا العديد من أغاني الحب التي عرف مؤلفو بعضها ، أمثال وليام دولابول (William de la pole) ، وتشارل دورليان (Charles d'Oreléan) وافضلها بالغ الاتقان ، مع أنها منوعات لمواضيع مألوفة تدل على المهارة . وربما كانت قصيدة «الزهرة والورقة» (The Flower And The Leaf) المجهولة المؤلف اجمل ما نظم من القصائد الطويلة . والقصيدة جدلية رشيقة نظمت حسب بحر القافية الملكية ويبدو أن ناظمتها امرأة . واستمر التقليد حتى اواسط القرن السادس عشر .

الشعر غير البلاطي : لم يكن تقليد وعرف البلاط في الشعر الحقل الوحيد الذي استثمر في القرن الخامس عشر . فهناك مجموعة كبيرة من الشعر الديني . وكانت الصلوات والاغاني رسمية بعض الشيء ، وافضلها أبسطها . وابدع ما اشتهر من هذه القصائد قصيدة « انني اتغنى بعذراء عاطل » (I Syhg Of a mayden that is makeless) قريبة بطابعها من اغاني عيد الميلاد المساة « كارول » (Carol) . وانتشرت أغاني عيد الميلاد في اللغة الانكليزية باعداد وفيرة للمرة الاولى في القرن

الخامس عشر . ومعظم ما وصلنا منها مجهول اسم الشاعر . هذا وقد نظمت مجموعة هامة تسمى اغاني الهدهدة للاطفال تعود بمنابعها الى ضرب من أغاني القرن الرابع عشر مثل « اهدأ ، اهدأ ايها الطفل الصغير . لم تبكي بحرقة ؟ »(Lullay
. Lullay, litel child, whi wepest thon se sore?)

كان الشعر غير البلاطي محدوداً في اهتماماته اذا ما قورن بغنى شعر العبادة ولكن هناك بعض القصائد البارزة مثل العذراء السمراء كالجوزة The Nut Brown Maid) وقد انجلت بحوار ممتع حول اخلاص المرأة . وهي - بالاضافة الى موضوعها الذي يدور حول الخروج على القانون - ذات صلة بالقصائد الغنائية من نوع «البالاد» التي تتحدث عن روبن هود (Robin Hood) . والتي ازدهرت في القرن الخامس عشر ، وقد تكون اقدم من ذلك . ومن الامور القابلة للجدل تحديد ما إذا كانت اشكال قديمة من القصائد الغنائية البطولية من نوع «البالاد» مثل «تشيفي تشيس»(Chevy Chase) «وسير باتريك سبنز»(Sir Patric Spens) تعود الى هذه الفترة ام لا ؟ الا انه ثابت ان المدى كان واسعاً لمواضيع «البالاد» ، أمثال المشاهد الدرامية للمعارك ، والهروب الرومانطيقي للفتيات مع الفتيان ، والمطاردات الناجمة عن ذلك وزيارات قوى ما وراء الطبيعة . وأنفاس سائر هذه القصائد تقريباً شمالية أو اسكتلندية في لغتها وخلفيتها . واستحوذ الكثير منها - بتكنيكها وقوة أصرها - على المشاعر . وظهرت المواضيع السياسية باعداد لا بأس بها في شعر القرن الخامس عشر ، وهي تشمل رقعة واسعة : فمن اغنية شكر بمناسبة النصر في معركة «اجنكور» ، الى نصر بسيط على خصم . وأهمها مجهولة الناظم وعنوانها «تشهير بالسياسة الانكليزية»(Libelle Of Englysh Polycye) (حوالي ١٤٣٦ - ٣٧) . ولم يزل هناك جمهور للرومانسيات التي ترجم العديد منها ، اوكُيِّفَ عن الفرنسية لكن هناك غيرها نظمت بشكل مستقل الى حد كبير ، مع انها ترتكز بلغتها وحوادثها على قصائد او مواد سابقة . وبقدر ما يتسم بعضها بحسن الحبكة ، وبعضها الآخر بالقدرة على الوصف الحي ، تظل بشكل عام غير ذات اصالة . واستحق

الكثير من هذا القصص المبكر الهزء والسخرية التي صبها عليها تشوسر في قصيدته سير توباس (Sir Thopas) .

وفي حوالي نهاية القرن ظهرت شخصية جون سكلتون (John Skelton) الفريدة الخارجة على كل تقليد او عرف ، وتتصف بالرجعية اكثر منها شخصية من شخصيات عصر النهضة . واكثر شعره نموذجيةً تلك القصائد المتتابعة المزدوجات المقفاة القصيرة التي ابتكرها بنفسه . وكان بالغ التأثير بمقطوعاته التي تصف العمل العنيف ، او الهجاء المقذع ، ومع ذلك فهو قادر على ان يجعل شعره ناجحاً بشكل غريب في الحالات الرقيقة . فالاغنيات في قصيدته . «اكليل الغار» (Garlande Of Laurell) ١٥٢٣ ذات حيوية ترهص بأغنيات العصر الاليزابيثي ، وباختصار فهو أنبغ شاعر في عصره حدة ذكاء ، وعمق تعاطف انساني ، وسيطرة على نواصي الكلمات .

المسرحية :

تعود بدايات المسرحية الانكليزية الدينية الى القرن الثالث عشر ، لكن لم يصلنا سوى قطعتين من مسرحيتين تعودان الى حوالي ١٣٠٠م . وأهم النصوص التي نعرفها هي حلقات «تشستر» (Chester) «ويورك» (York) «وويكفيلد» (Wakefield) ، وما يدعى «بمجموعة كونفنتري» (Ludas Conventriae) أو «مسرحيات هيك» (Hegge Plays) التي ربما كان أصلها من نورفولك (Norfolk) . وتغطي اعمال تشستر التي تتألف من ٢٥ مسرحية قصصاً من الانجيل عن تاريخ الانسانية من سقوط لوسيفر (Lucifer) او ابليس حتى يوم الدينونة (القيامة) . وقد تميز عمل المؤلف من «ويكفيلد» الذي قدم خمس مسرحيات واجزاء من مسرحيات اخرى اضافها إلى حلقة ويكفيلد بوجود قطع شعرية (Stanza) تجمع بين القافية والجناس ومعالجة مرحة وواقعية للشخوص ، وتمكن أصيل من اللغة الدارجة . ومسرحيات ويكفيلد هي أبدعها لتنوع اهتماماتها ولصفاتها الادبية . وقد قصد منها أن تخرج وتمثل في عيد الجسد او عيد القربان (Corpus Christi) وقام بأداء ادوارها نقابات الصناع في العصور الوسطى . وهناك كذلك عدد من المسرحيات المنفردة

التي تألفت من معالجة قصصية لمواضيعها دون ان تقترن بالحلقات . وكان بعضها عن حياة القديسين وتسمى «مسرحيات المعجزات» (Miracle Plays) لتمييزها عن مسرحيات الطقوس «المستري» التي بنيت حول مواضيع من الكتاب المقدس . والى جانبهما نشأ نوع مختلف من المسرحية كانت الشخصيات فيه صفات معنوية مشخصة أو نماذج لشخصيات . وحبكتها مجازية وقد سميت هذه المسرحيات «بالاخلاقية» (Moralities) . وأهمها لتلك الفترة مسرحية «قلعة المثابرة» (The Castell Of Perseverance) ، ومن الفترة الثانية مسرحية كل انسان (Everyman) ، وترتقي هذه المسرحيات الى مستوى الاتزان في معالجتها موضوع الموت ومصير روح الانسان .

النثر :

اتسم النثر الانكليزي في الفترة الوسيطة المتأخرة بأهمية جديدة . فقد سارت مقالات مثل «غمامة عدم المعرفة» (Cloud Of Unknowing) (ربما في اواخر القرن الرابع عشر) وغيرها من المقالات التي أغفل مؤلفوها - على نهج التقليد التعبدي لكتاب امثال ريتشارد رول Richard Rolle) وولتر هيلتون . (Walter Hilton) . واتبع نفس النهج كتاب «الستة عشر كشفاً من الحب السماوي» (The Sixteen Revelations Of Divine Love) لمؤلفته السيدة جوليان أوف نوريتش (Dame Julian Of Norwich) ومؤلفات مثل ترجمة نيقولاس لف (Nicholas Love) لكتاب لاتيني عنوانه «تأملات حول حياة المسيح» (Meditations Vitae Christie) تحت عنوان «مرآة حياة يسوع المسيح المباركة» (The Mirror Of The Blessed Life Of Jesus Christ) . والكثير من هذا النثر بسيط ساطع بوضوحه ، وسهل الحركة (مع أن لبعضه جرساً ايقاعياً يبعده عن مجال النثر العادي) . لكن قبل ان ينقضي القرن الرابع عشر بدأ استعمال النثر البسيط لمدى اوسع من المواضيع . وكان جون ويكليف . (John Wycliffe) مؤلف أو ناشر مؤلفات - موضع الجدل - ضاهت فيها نصاعة الاسلوب قوة الفكرة . وفضلاً عن ذلك أوحى بترجمة عظيمة للكتاب المقدس تعرف باسمه . وقد حازت النسخة الاخيرة التي تعزى الى جون بيرفي (John Purvey) على شعبية واسعة ما زالت مستمرة حتى أصدر وليام تندل (William Tyndale) نسخته من العهد الجديد عام ١٥٢٦ . وكان النثر الذي كتبه تشوسر جامداً في «قصة ميلبي» (The Tale Of

(Malibee «وقصة القس» (The Parson's Tale) وترجمته لبيذيـــوس (Boethius) .
ولكن الاهم من ذلك كله استعماله النثر لهدف علمي في مقالة عن الاسطرلاب A) Treatise Of The Astrolabe) نظراً لكون تشوسر يعكس اتجاه العصر في الكتابة .

واستعمل النثر الانكليزي لجميع انواع الاغراض العلمانية ، وذلك بدءاً من اواخر القرن الرابع عشر فقد ترجم جون أوف ترفيـزا (John Of Trevisa) «كتاب التاريخ الشامل» المسمى «بوليكرونيكون» (Polychronicon) لمؤلفه رنولف هيكدن (Ranulph Higden وموسوعة ضخمة من القرن الثالـــث عشر اسمها : «دوبروبريتاتيبوس ريـرم» (De Proprietatibus rerum) . وكـــان هناك عدة نسخ انكليزية من كتاب «رحلات» (Travels) لمندفيل (Mandeville) ، وهو مجموعة من قصص الرحالة عن الشرق كتبت أصلاً بالفرنسيـة ، كما كتب العديـد من أسفار التاريخ في القضايا القومية والمحلية بما فيه ١٢٠ مخطوطاً من بروت (Brut) . وارضاء لاذواق القراء وحبهم للقصص ، ظهرت ثلاث ترجمات لكتاب «جستا رومانوروم» (Gesta Romanorum) وهي مجموعة طرف وقصص قصيرة . واسلـــوب هذه المؤلفات قريب من لغة المحادثة ، وذلك ما اتصفت به الرسائل الخاصة واشهرها مجموعة باستون (Paston) من نورفولك ، وهي اول وثائق من نوعها بالانكليزية ، ورغم انها لا تعتبر أدباً بالمدلول الصحيح للكلمة ، فانها تقدم لنا صورة مفصلـة ودقيقة عن حياة العصر ، كما يعكس أفضل ما كتب من نثر تمكناً راسخاً من اللغة . وبالمقارنة ميزت البساطة والجزالة سيرة مارجري كمب (Margery Kempe) بقلمها . وهي صوفية كانت على ما يبدو امية . ولذا أملت وصفاً عن تجاربها ورحلات حجها الدينية .

كان السير توماس مالوري (Sir Thomas Malory) اكبر كاتب في عصره ، وقام وليـــام كاكستون (William Caxton) بطبع مجموعة قصصية له عن الملك آرثر عام ١٤٨٥ م تحـت عنوان «وفاة آرثر» (Morte Darthur) (انتهت كتابتها ١٤٦٩ - ٧٠) . وبهذا صاغ مالوري - من مصادر شعرية انكليزيـة ونثر فرنسي - تحفة من الرومانس المتزن وتراجيديـا الحنين في اسلـوب معروف بجرسه الـطنان ، مع انه استعمل المفردات البسيطة الدارجة في عصره .

احدث ادخال الطباعة الى انكلترا عام ١٤٧٦م ثورة في نشر الاعمال الادبية ، مما جعل معظم الكتابات الهامة للقرن السابق في متناول جمهور أوسع من ذي قبل ،كما نشر ترجمات قام بها هو نفسه او ترجمها آخرون غيره . وكانت بعض مقدماته اكثر حيوية من الكتب التي قدم لها لانه كان مهتماً بالغ الاهتمام بكتابة انكليزية مقروءة . وبتوزيع ونشر اعداد كبيرة من الكتب بنوع من الانكليزية متناسق . وهكذا ساهم في تركيز لغة لندن كلغة عامة للادب .

المعارف الجديدة :

كان الادب الانكليزي في معظم القرن الخامس عشر وثيق الصلة بما مر سابقاً ، مع تأثره قليلاً بالمذهب الانساني الجديد الذي ظهر في ايطاليا في القرن الرابع عشر . وأدرك المثقفون الانكليز هذه الحركة ، ولكن كرعاة للادب اكثر منهم ممارسين اياه . زد على ذلك ان المد الكامل لانسانية عصر النهضة لم يصلهم حتى مطلع القرن السادس عشر . وعلى ذلك كان تأثيره بطيئاً على الأدب . هذا ولا تزال لغة مؤلفات ذلك العصر من نتح الحركة الانسانية الانكليزية ـ مثل المدينة الفاضلة (اليوطوبيا Utopia) التي كتبها السيد توماس مور في العام ١٥١٦ ـ هي لغة الدارسين حتى الوقت الحاضر .

وهناك كتاب ـ نتج عن حركة الانسانية الانكليزية ـ صانع للفترات ، وهو كتاب «اليوتوبيا» (Utopia) للسير توماس مور (Sir Thomas More) طبع عام ١٥١٦ ، الا انه كتب باللاتينية التي كانت ما تزال تعتبر لغة العلم . كان النثر الانكليزي الذي كتبه «مور» ناصعاً بوضوحه ، الا انه استمرار للنثر السابق ـ الذي لم يتخذ طابعاً رسمياً ـ ولم يكن تقليداً للانماط الكلاسيكية . وكتب النثر. الانكليزي الجيد أيضاً رجال اهتموا بالتعليم امثال السير توماس اليوت (Sir Thomas Elyot) والسير جون تشيك (Sir John Cheke) والسير توماس ويلسون (Sir Thomas Wilson) وروجر اشام (Roger Ascham)، ومترجمو الكتاب المقدس امثال تندل (Tyndale) ومايلز كوفرديل (Miles Coverdal) وانغمس رجال التعليم كذلك في النقاش الجدي حول الكلمات التي استعارها بالجملة من اللاتينية علماء وكتاب اسلوب كتبوا بالانكليزية الى حد المبالغة ، وبنتائج مضحكة . ومع ذلك ساعد التمرن على الكلاسيكيات كثيراً على اعطاء النثر الانكليزي شكلاً للجملة الانكليزية وصيغة لها . الا ان اوقع انواع الجرس فيها اشتق من بساطة الحديث

الانكليــزي . وورث ادموند سبنسر(Edmund Spenser) قصصه الخرافيــة من مالوري(Malory) والكثير من لغته من تشوسر. ومع ان التحف الادبية في نهاية الفترة الوسيطية قليلة العدد ، لكن اهميتها لفهم الغنى في الانتاج الادبي الذي خلفهــا كانت عظيمة .

الادب الاسكتلندي باللغتين الاسكتلندية والانكليزية

باستثناء بعض القصائد ذات التأليف المشكوك فيه ظهر أول أدب وصلنا من اسكتلندا في الشطر الثاني من القرن الرابع عشر . ومما لا شك فيه ان يد الضياع طالت ادباً اقدم منه ، لان قصيدة جون باربر (John Barbour) المسماة «بروس» (Bruce) والمنتهية عام ١٣٧٦م ، وقصيدة «سوزانة أو بستل أوف سوزان» (Susannah Ir Pistill Of Susan) حوالي ١٣٦٠ وتعزى الى هوشون اف ذي أول ريال (Huchown Of The Awle Ryale) لا يمكن اعتبارهما بدائيتين في تكنيكهما ، وانما تمثلان تقليدين : اذ نظمت الاولى في مزدوجات مقفاة من البحر ذي الثماني تفعيلات ، بينما نظمت الثانية بتراكيب شعرية جناسية مقفاة . وهذه الصيغة الشعرية وصلت اسكتلندا عبر كتاب الانكليزية المتوسطة في الشمال الذين اعتمدوا بنظمهم الجناس حتى أصبح شكلاً مميزاً للشعر الاسكتلندي . وتعود قصيدة اندرو اوف وينتون (Andrew Of Wyntoun) «التاريخ الاصيل» (Orygnale Cronykil) إلى حوالي ١٤٢٠ ـ وهي تبحث في تاريخ اسكتلندا ـ الى التقليد الاول ويعود اليه كذلك « كتاب الاسكندر » (The Buik Of Alxander) « واساطير القديسين » (Legends Of The Saints) وهما مؤلفان من أيام باربر (Barbour) ومن أقليمه . أما التقليد الثاني فظهور القصص الخيالية ، وتضمن كتاب ريتشارد هولاند (Richard Holland) المسمى « كتاب الهولات » (Buik Of The Howlat) وقصيدة مجهولة الناظم عنوانها « كولاكروس وغاوين » (Golagrus And Gawain) « وروف كوليير » (Rauf Coilyear) ومقطوعات أقصر امثال « ذي كير كارلنغ » (The Gyre Carling) ، وقصيدة وليام دنبار المساة « كيتوك الطيب » (Kynd Kittok) وقصيدة روبرت هنريسون (Robert Henryson) « بعض التطبيقات الطبية » (Sum Practysis Of Medecyne) . وناسب أسلوب باربر الجاف نوعاً ما قصصه الوطنية ، الا انه كان ضحل الاثر على من خلفه من شعراء ، فقصيدته « بروس » (Bruce)

الملحمة القومية معزولة في نوعها إن لم تكن في قيمتها . أما التقليد الثاني الجناسي الأكثر تألقاً وزخرفاً ، فقد استمر أثره الى ما بعد الفترة الوسيطية ، وقيمته بأنه حلقة الوصل بين الشعر الشعبي والشعر المتطور ، تلك الحلقة التي لم تنكسر في اسكوتلندا الى نفس الدرجة كما في انكلترا .

وشملت الفترة الكبرى للشعراء الذين أطلق عليهم اسم «ماكاريس» (Makaris) (وتعني الصانعين أي الشعراء ، أو التشوسريين الاسكتلنديين Scottish Chaucerians) (حوالي ١٤٢٥ - ١٥٥٠) أرباب القريض الأربعة الرئيسيين الذين سبقوا فترة الاتحاد مع انكلترا ، وهم روبرت هنريسون (Robert Henryson) ووليام دبار (William Dunbar) وكافين دوغلاس (Cavin Douglas) والسير ديفيد ليندسي (Sir David Lyndsay) ، ويجب أن يضاف اليهم مؤلف «هم الملك» (The Kingis Quair) (وربما يكون جيمس الأول ملك اسكتلندا) ومؤلف «سير وليم والاس» (Schir William Wallace) وهو بشكل تقليدي الشاعر الشعبي هاري (Hary) (أو هاري الأعمى) ، ولم يكن الشعر الاسكتلندي واثقاً من نفسه وحاذقاً ومتنوعاً ، كما هي الحال في القرن الذي انجب قصيدة هنريسون المسماة «عهد كرسيد» (Testament Of Cresseid) وقصيدة دنبار «امرأتان متزوجتان وأرملة» (Tua Mariit Wemen And The Wedo). وقصيدة دوغلاس «أنيادوز» (Eneados) ومسرحية ليندسي «نقد للمقاطعات الثلاث» (Ane Satyre Of The Thrie Estaits) . وغالباً ما كان للثقافة الخشنة غير المستقرة - التي أرضعت هذا الأدب - نغمة وسيطية أكثر من كونها نهضة مبكرة والناحية التي لم تكن وسيطية هي ادراك لغوي حاد ، ورغبة في توسيع ما هو عامي .

وكان هذا نتيجة لتقرير المصير سياسياً في اسكتلندا في القرن الرابع عشر . ولقد انتقد الاسلوب الفخم للشعراء «المكاريس» على انه متكلف ومغال ، ولكن مثل هذه المغالاة - التي لها ما يوازيها في انكلترا العصر الاليزابيتي - كانت مرحلة ضرورية لتطور وسيلة ادبية للتعبير . وقد تحدث كافين دوغلاس - مبرراً استعاراته من اللغات الاخرى لدى ترجمة فيرجيل - عن حبه للاطناب اللغوي ، كما تفجرت قطعه الوصفية الشعرية بالكلمات ذات البنية الغنية من الاشتقاق والمصطلحات .

واحتذى الشعراء «المكاريس» تشوسر كمثل أعلى في التعبير الشعري المتألف من بيان أو اسلوب وأشكال عروضية مثل المزدوجة ذات العشر تفاعيل ومع ذلك كان هذا أثراً واحداً لا غير من عدة آثار مثل عنصري الهجاء والخيال البعيد (من القصص الى الهزل من نوع « الفارس ») التي كانت دوماً حادة في الشعر الاسكتلندي . وكان تشوسر ودنبر مرتبطين بدوائر البلاط في عصرهما وخاطبا قراء مثقفين ومهذبين . الا انه كان لدنبر وكافن ودوغلاس وليندسي الكثير من التفاعل الاجتماعي ، الأمر الذي ربما لم يكن متوقعاً في بلد صغير، وجعل اقطاعياً بشكل جزئي وعشوائي . ومع هذا ، « فالانسان إنسان مع كل ذلك » وهذا قول تردد في الادب الاسكتلندي .

الفصل السادس

الأدب الكلتي الوسيط

الغيلية الايرلندية (Irish Gaelic) : [1]

ربما وصلت اللغة الكلتية التي تحدث بها الايرلنديون منذ أقدم العصور التاريخية ـ والتي غالباً ما تسمى بـ الغيلية أو «الغودلية» ـ ايرلندا قبل الفترة المسيحية بقليل . وكان أول دليل على وجودها تلك النقوش على القبور المكتوبة بالابجدية الاوغمية[2] (Ogham) والتي تشبه الحروف الرونية الاسكندنافية [3] . وتبين هذه النقوش التي تعزى عادة الى القرنين الرابع والخامس حالة قديمة للغة . أما الكتابات الأبجدية الرومانية فترجع بتاريخها الى القرن الثامن وهي على شكل شروح مكتوبة بالايرلندية القديمة ، الا أن مؤلفات تعود الى القرنين السابع والسادس قد حفظت في مخطوطات ذات تاريخ أحدث بكثير .

كان الأدب الايرلندي أرستقراطياً من أقدم العصور ، اذ اقتصر على طبقة محترفة هي طبقة الفيليد(Filid) ولربما كان هؤلاء الشعراء بالاضافة الى رجال علم آخرين أمثال الكهان(Druids) والقضاة والمؤرخين يمتون الى نفس الطبقة الحاكمة صاحبة الامتيازات ، وهي طبقة ملاكي الأراضي الذين حددت القوانين القديمة منزلتهم ووضعهم القانوني . وتنحصر واجباتهم في معرفة ملاحمهم البطولية

---

(١) : (Gaelic) هي اللغة الكلتية لايرلندا وشمال اسكتلندا .

(٢) : (Ogham) هي ابجدية الايرلنديين القدماء .

(٣) : الرونية(Runes) أحرف ابجدية تيوتونية قديمة .

وسلالاتهم ولينظموا فيها أشعار الفخر ، وهذا يعني ان عليهم ان يخدموا ماضيهم التليد وحاضر الطبقة الحاكمة . وكان الفيليد طبقة متكبرة الى حد الصفاقة ، تشتط بطلباتها ، ولا تتورع ان تسلك ـ بغية تأمينها ـ سبل الابتزاز بما تلجأ اليه من الهجاء الساخر الذي يؤدي الى تدمير سمعة المهجو ، واحياناً الى تصفيته الجسدية . ووضعت القوانين ضد اساءة استعمال هذا الهجاء لكن الاعتقاد بفاعليته استمر حتى الأزمنة الحديثة . وحفظت المؤلفات الرسمية للفيليد على شكل قطع في السجلات التاريخية والمقالات .

الشعر القديم :

حفظ الشعر القديم بشكل رئيسي في نصوص أدخلت ضمن وثائق تاريخية وأدبية كتبت فيما بعد . لكن هذه النصوص داخلها التصحيف والتحريف أثناء نقلها ، لذا يصعب فهمها وإيضاحها . وهناك أيضاً مديح (Eulogy) يدور حول القديس كولومبا St-Columba حوالي ٥٢١ ـ ٥٩٧) صيغ بجمل بيانية قصيرة يربطها الجناس، وهو يُعزى إلى دالان فورجيل Dallan Forgaill شاعر ايرلندا الرئيسي . واستخدمت هذه الوسيلة في النثر الايقاعي الجناسي للمرة الثانية ، في الملاحم البطولية من نوع «الساغا»(Saga) . ولربما كان أقدم بحر فعلي ذاك الذي يرتبط فيه شطرا بيت شعري بالجناس ، وهو ما يذكرنا بالشعر الجرماني القديم . كما استعملت القافية بدءاً من القرن السابع . وكل ما يطلب هو أن يكون هناك توافق بين الحروف الصوتية وعدد التفعيلات، وان الحروف الساكنة يجب ان تكون من الطبقة الصوتية . وهذا النظام متبع في لغة ويلز القديمة . وأخذت الرباعية الشعرية ـ التي بلغ عدد تفعيلاتها سبعاً او ثماني لكل بيت ، وقفي البيتان الثاني والرابع فيها ـ من البحور اللاتينية للترانيم الدينية ، أما البحر الذي أصبح فيما بعد أكثر انتشاراً فهو البحر المشطور (debide) (مشطور شطرين) . وتتألف فيه الرباعيات من مزدوجتين قفي كل بيتين من المزدوجة .

كان الكثير من الشعر القديم ذا طابع رسمي ، لكن شعر الكنيسة قلما كان

اكثر حيوية من شعر «الفيليدز» الذين غالباً ما سربل ـ عن عمد ـ بحلة من الغموض . وتعتبر المزامير(Psalter) من القرن العاشر ذات أهمية اكبر ، وهي تاريخ انجيلي يتألف من ١٥٠ قصيدة يضم الكثير من الأوابد . على أن المجد الحقيقي للشعر الايرلندي لم ينبع من مؤلفات ضخمة بل من قصائد شخصية نظمها شعراء مجهولون (كقصيدة المناجاة المشهورة التي يخاطب الشاعر فيها «بانكر» (Pangur) وهي قطة بيضاء) . وفيها تجنب الشعراء الاوزان المعقدة ، مستخدمين لغة حكيت قروناً عديدة ، كاشفين عن بصيرة ثاقبة ، وحيوية دافقة، وتلك أمور عجز «الفيليدز» عنها .الا ان «الفيليدز» كانوا قادرين على تكييف تكتيكهم ، وهذا واضح من قصيدة عن البحر ترجع الى القرن الحادي عشر . وتوحي هذه القصيدة ـ بمقدمتها واختيار موضوعها والاستعمال الحر للتعابير المجازية ـ تأثيرات اسكندنافية . وقد عملت هذه القصيدة وغيرها من قصائد الطبيعة على نقل تراث وتقليد أدبيين من القصائد الغنائية المحلية ، ومن الشعر البطولي والاغاني الموسمية وهي جميعاً تتجلى عن احساس رائع بالجمال الطبيعي . وحثت حركة الاديرة في الكنيسة الايرلندية على كتابة شعر الطبيعة ، فقد أدى بعدُ الرهبان عن البشر ، الى قربهم الصميمي من الطبيعة ، ولهذا اتسم الشعر الفرنسيسكاني بجاذبية خاصة للنساخ في الأديرة مما أدى الى حفظ كمية وافرة منه .

وبما ان الماضي كان جزءاً اساسياً من عمل شعراء «الفيليدز» لذا كانت نشأة الشعر التاريخي تعود جزئياً اليهم بدليل أن بعض القصائد القديمة مجرد انساب منظومة. وبمرور الزمن نمت الحاجة إلى وجود خلاصات وافية للمعلومات، وهذه بدورها نظمت شعراً . وكان عددها وفيراً ـ وبشكل خاص ـ في نهاية الفترة الاولى . ففي قصيدة طويلة عنوانها «المحاربون الذين كانوا في إمين»، (Fianna batar in Emain) لخص سينيد إيوا ارتاسين (Cinâed ua Artacain) مادة القصص البطولية بينما جمع فلاندماينسترتش(Fland Mainistrech) اعمال أجيال من الشعراء الايرلنديين «الفيليدز» الذين جَهَدوا في أن يزامنوا تاريخ ايرلندا بتاريخ العالم الخارجي . وهناك مجموعة نثرية وشعرية لا تقل أهمية وتسمى دندشنشوس (Dindshenchus) ، وقد أوردت اساطير مناسبة تدور حول مواقع وأماكن شهيرة في

ايرلندا . وفي الواقع ان تطور شكل شعري مهلهل مرسل على قافية سهلة قد أنتج شعراً لمساعدة الذاكرة على حفظ جميع المواضيع .

النثر القديم :

كانت الملحمة الايرلندية القديمة قصة نثرية تحتوي عادة على نصوص غير قصصية تسرد بأسلوب رفيع ، غالباً ما يتخذ شكل الحوار . والتشابه بين هذه الملحمة وتلك الموجودة في السنسكريتية القديمة يشير الى ان التقليد يعود الى الايام الهندية الاوروبية . وصيغت أقدم الملاحم النثرية بلغة تشير الى انها نقلت للمرة الاولى في القرنين السابع والثامن من تقليد شفهي . وحفظت هذه الملاحم بشكل غير كامل ، نظراً لانه لم تصلنا مخطوطة ابكر من القرن الثاني عشر ، لان الفتوحات الاسكندنافية قطعت السبيل على الدراسات الادبية ، وكل ما عداها . ولم تستقر الحياة قبل القرن الحادي عشر كي تجمع المؤلفات في الاديرة ، ولكن هذا الاحياء يتصف بعدم الاستقرار والثبات . وأظهرت مجموعة المخطوطات المعروفة باسم «كتاب بقرة دن» (The Book Of The Dun Cow) (الذي كتب في اوائل القرن الثاني عشر) معالجات ـ أقدم لمادة الملاحم مما يوجد في كتاب لينستر (Leinster) الذي كتب بعد عدة سنوات . فالقصص القصيرة وحدها هي التي حفظت بأنماط تقارب الاصل . أما باقي المادة فيعاوره التصحيف في المراجعة غير النقدية ، حتى غدا النثر الموزون المستعمل في النصوص التي فخم اسلوبها في القصص الأقدم غير مفهوم . ومع الميل للأخذ باطرافها جميعاً وافراغها في حلقات ، فقد امتدت لتشمل فترة تاريخية تبدأ من اقدم القصص الخرافية وتنتهي بالقرن الحادي عشر . كما قسمت الفهارس حسب انماطها وليس تاريخها ، تحت عناوين أمثال : اقتحامات ، غزوات للماشية ، مغازلات ، معارك ، رحلات ، الى غير ذلك . وهكذا حفظت لنا تلك القصص صورة عن مجتمع بدائي يقاتل في عربات حربية ويطوح بالرؤوس ليحتفظ بها كغنائم وذكرى انتصاراته ، كما بينت مكانة الكهنة وقوة التحريم ، وتلك امور لا شاهد عليها في المصادر التاريخية الصرفة .

وكانت أهم حلقة من حلقات الملاحم هي حلقة اولياد (Uliad) وهم شعب اعطوا اسمهم لـ الستير (Ulster) . وهكذا برزت اسماء - مثل كونشوبار (Conchobar) ملك الاولياد وكوشولين (Cu Chulainn) وهو صبي محارب ، ومِدْب (Medb) ملكة كونوت (Connaught) ثم نويسي (Noisi) وديردر (Déirdre) المحبين المشؤ ومي الطالع - في الأدب الايرلندي القديم . وكشفت أقرب معالجة لملحمة ايرلندية عن عناصر من ملاحم الاولياد وهي بعنوان غارة كولي للماشية (The Cattle Raid Of Cooley) . ومحتمل ان هذه الملحمة لم تكن عندما جمعت لأول مرة وثيقة الترابط ، وهي بشكل رئيسي - بالغة التأثير لما في قصصها من حيوية ، ولما في حوارها من فكاهة . أما القصص الأطول فليست سوى حوادث مفككة . ولا خلاف في ان أبدع قسم فيها هو ذلك الجزء الذي يسترجع فيه فيرغس (Fergus) - وهو منفي في اولستر - ذكرى أعمال كوتشولين في شبابه . وواضح ان هذه القصة عن طفولة بطل هي من عمل فنان مثقف . ولكن القيمة الأساسية لهذه الملحمة الايرلندية تكمن في انها سجل لانحطاط الاسلوب الايرلندي ، لما كان يعتورها على الدوام من تنقيح وزيادة . وقد ضم لاطرافها عدد من القصص المساعد مثل القصة التي تروي كيف أن الملحمة تنزلت وحيا على الشاعر في القرن السابع على يد شبح فيرغوس ، وقصة مأساة نويسي وديردر ، وتناهت القصة الأخيرة الى الأزمنة المعاصرة - بشكل رئيسي - عن طريق اعمال سينج (J. m. Synge) ووليام بتلر ييتس (William Butler Yeats) .

وبدأت في الظهور - بتلك الفترة - قصص ذات أصل ، لكنها خارج التقليد المتعارف عليه . وأدخل عنصر غريب على «فتح طروادة» و«قصة الاسكندر» التي ظهرت في اقدم قوائم الملاحم . ولكن العلم الكلاسيكي كان بشكل نسبي ضئيل الأثر ، حتى حانت الفترة التالية . وينطبق هذا الاستدلال على قصص «فن» (Finn) ، ويتجلى فيها أن التقاليد المتوارثة قديمة العهد ، الا ان تطورها الفعلي كان بوقت افلت فيه زمام الأمور من ايدي الشعراء «الفيليدز» اذ تعود أصول حلقة «رجل الغابة المتوحش» (Wild man of the Woods) المقترنة «بسيبين كلت» (Suibne Gellt) الى «حلقة ستراث» (Strath Cycle) بوقت كان الأدبان الايرلندي والبريذومي (Brythomic) على اتصال فيما بينهما منذ زمن مبكر . وكان هذا المزيج من مادة سير القديسين والملاحم والطبيعة ، وراء اكثر القصص جاذبية في الفترة التي تلت .

ومع ان اللغة الايرلندية استعملت منذ أقدم العصور لأهداف تعليمية فقد اغترفت مادتها بشكل رئيسي من اللاتينية التي ترجع لأقدم العصور ناهضة على قواعد رهبانية وقصص قصيرة ، غرضها اعطاء مثل الايضاح ، وطرائف عن القديسين .

وبشكل رئيسي ، كانت سير القديسين من نسج الخيال داخلتها بازدياد عناصر من القصص الشعبي والملاحم . ودائماً كان التأكيد على المعجزات ، غير أنها تضم الكثير من المعلومات عن الحياة اليومية في ايرلندا القديمة ، وهي بالتالي هامة كوثائق اجتماعية . وكانت الرؤ يا شكلاً هاماً من المؤلفات الدينية ، وأبرزها مثال معروف لدينا هي «رؤ يا أدمنان» (The Vision of Adamnan) وتصور روحه وهي تزايل جسمه فترة ما لتعرِج الى السماء ثم تعرِّج بعدها على جهنم باشراف ملاك . وانحطت سير القديسين والرؤ يا لجنوحها نحو المبالغة ، وكانت النتيجة أن ألفت اعمال تقلدها بشكل ساخر ، وابرزها مثال رؤ يا ماك كونغلين (Aislinge Meic Con Glinn) .

كانت النظريات على الدوام هامة في الحياة الثقافية الايرلندية ، فشاد الشعراء «الفيليدز» بنياناً فخماً من التفكير الأكاديمي ، لم يبق منه سوى نزر يسير ، على حين وصلتنا قصص عن طبيعة الوحي وأصل اللغة وتتضمن توجيهات في أمور العروض والاسلوب ، لكن هذه المعلومات اختلطت في وقت مبكر بما هو لاتيني ، وتكونت مفردات فنية لمعالجة قضايا النحو اللاتيني والايرلندي . وبعدة نصوص قديمة اختطلت مناقشة فن الشاعر بقضايا مرتبطة بوضعه القانوني .

وفي القرن الثاني عشر ، كانت أقدم مجموعات المخطوطات قد نسخت في الاديرة ، وكانت قد حفظت بأمانة رائعة ادباً أقدم منها بعدقرون ، في حين نشأ نظام أدبي جديد وسع من الاشكال الشعرية وعقدها عن ذي قبل تعقيداً بالغاً ،واستعمل فيها لغة قريبة جداً من عامية تلك الايام . وبعد القرن الثاني عشر أصبحت الأسر

التي توارثت الشعر البطولي قيمة على الأدب الايرلندي ، مستمرة بتلك المهمة حتى تداعى نظام الحكم الغيلي(Gaelic) وكانت بادىء ذي بدء بعيدة عن كل أثر اكليركي ، لكن سرعان ما شرعت بارسال اولادها الى الانظمة الاكليركية التي تأسست حديثاً وبشكل خاص النظام الفرنسيسكاني الذي أضحى اعظم القيمين على التقاليد الأدبية .

الشعر اللاحق :

كان الاصلاح الشعري للشعراء البطوليين من نوع «البـاردز» (Bards) كاسحاً . إذ طورت اللغة وجعلت لغة العصر . وأنقص عدد البحور التي استعملها الشعراء «الفيليدز» كما جرى تحديد للقافية ، وقللت الزخارف فضاق مدى الشعر ، وانصرف الجزء الاكبر منه للمديح يتوجه به الشاعر الى راعيه او الى الله ، وبعد ان انقطعت صلات الشعراء بمؤسسات الاديرة طفقوا يعتمدون على الرعاية الارستقراطية كي يحافظوا على ما هم عليه من مستوى معاشي رفيع ، ادعوه حقاً من حقوقهم ، ولم يكن الشعراء الbارديون الذين تدربوا على نظم القريض ستة أو سبعة اعوام أقل عجرفة من الشعراء «الفيليدز» الذين حلوا محلهم .

ولا يجد الذوق المعاصر سوى القليل النادر يبعث على الاهتمام ، حتى في أفضل الشعر الباردي الرسمي، وما تحلى بأية قيمة فذاك الذي نظم عرضاً ، وفي مواضيع طارئة . ووصلتنا قصيدتان لأحد اوائل الشعراء البارديين من العائلة الباردية العظيمة ، أوداليغ (Odalaigh) ، واسمه ميراداخ ألبناخ (Muireadhach Albanach) وتعرض اولاهما دفاعاً مثيراً لقتله جابي ضرائب ، أما الثانية فمرثاة بالغة الروعة رثى بها زوجته الراحلة . ودخلت نغمة جديدة على الشعر الايرلندي بعد الفتح النورماندي هي فيض من دفق شعر الحب الرفيع (البلاطي) . وانتهى المزج بين هذا العنصر الغريب وروح النكتة واللباقة في التعبير ، التي اتصف بها اسلوب الشعر الباردي ، الى تدبيج عدد من القصائد الساحرة . وهناك كذلك نوع جديد من الشعر يعتبر خروجاً على شعر المديح المسمى «الكروزانخت» (Crosanacht) ، وغالباً ما كان يداخل قصائده القصيرة نصوص نثرية فكهة أو نقدية .

النثر اللاحق :

كان معظم النثر الوطني لهذه الفترة يدور حول البطل « فين »(Finn) وعصابته فيان(Fian) . ولا بدع فإن قصصاً عن فن(Finn) واويسن (Oisin) وكاوليت(Caolite) وغيرهم قد حفظت غيباً لقرون خلت . والعمل البارز في هذا المجال مؤلف عنوانه « استجواب الرجال المسنين »(Agallamh na Seanorach) وفيه يظهر أويسن وكاوليت قد نجوا من الموت بعد معركة كابرا (Gabhra) ليعيشا حتى عهد باتريك(Patrick) الذي يرافقه كاوليت بتجواله في ايرلندا مفسراً له أصل أسماء الأمكنة التي يزورانها . ولكن بينما نجد ان ظهور البطل في حلقة « ألستير »(Ulster) كوسيلة لاضفاء صبغة الواقعية على القصة ، نراه في القصص الفينينية (Fenian) يُمدُّ الشعور بالحنين الى مجد تليد . ولم تعالج القصص الفينينية معالجة أدبية كافية ، كما هي الحال بالنسبة للقصص الأقدم منها . وسرعان ما تخلى الشكل القديم عن منزلته لتحل محله القصص النثرية والقصائد الشعرية البطولية القصيرة من نوع « البالاد » ، نظراً لأن الأخيرة اسهل قراءة . ويمكن اعتبارها تمهيداً للأدب الشعبي في ايرلندا بالمقارنة بأدب المحترفين . وتظهر البحور تبسيطاً جذرياً للاصطلاح « الباردي » ، كما حدث تغير واضح في الموضوع عندما انتقل هذا النوع من الأدب الى أيدي الشعب .

وفي هذه الفترة ، استمرت إعادة رواية قصص كانت مرغوبة وشعبية لدى شعراء « الفيليدرز لكنها ـ تدريجياً وبشكل ثابت ـ أخذت تفقد شعبيتها . وأحياناً كانت تنضم اليها عناصر من القصص الشعبي ، كما هي الحال بالسبة للمحمة فيرغوس ماك ليتي(Fergus mac Léti) المغرقة في القدم ، والتي ربما أعيدت صياغتها في القرن الرابع عشر لتتضمن قصة شعب من الأقزام يسمى ليبريكونز (Leprechauns) . وأهم من ذلك كله أن سيلاً من الترجمات من اللاتينية والانكليزية أخذ بالتدفق ، وذاعت في ايرلندا منتشرة قصص ماركوبولو (Marcopolo) والسير جون منديفل وبرسترجون(Prester John) وكاي أوف واريك (Guy of warwick) ، بالاضافة الى قصص كلاسيكية أو ارثرية (حلقة الملك آرثر) في صيغتها الوسيطية . وكانت الانظمة الدينية الجديدة مسؤولة عن ترجمة العديد من المؤلفات الروحية والمتعلقة بالعبادات ، كما قام رجال الدين بتجربة رائدة رائعة

عهد ذاك ، وهي معالجة الفلسفة باللغة العامية ، والى جانب ذلك ركام من الكتابة الاصطلاحية ، واهمها جميعا التعليم النحوي والعروضي الذي بُسِّط في مقالات موسعة ومزودة بالامثلة لما هو صحيح الاستعمال او خطأ . ويبدو أن التعليم الأوروبي حلّ محل التقليد الوطني خلال هذه الفترة .

وفي حوالي القرن الخامس عشر مهدت الطباعة لأن تنشر الادب تداولا في أيدي السواد من الناس في معظم البلاد ، الأوروبية ، اما في ايرلندا فالبرغم من حقيقة ان الايرلندية كانت لغة معظم البلاد ، وان الأدب في ازدهار بتلك الفترة الا ان الايرلنديين لم يسيطروا على المدن ، ولم تكن الطباعة في متناول ايديهم ؛ وظل الأدب بالتالي ارستقراطيا ، وفي عهدة اولئك الذين باستطاعتهم ان يعيلوا الكتّاب ويزودوهم بالرق الغالي الثمن . والنتيجة الحتمية لذلك أن ظل الأدب ضئيل الأثر على جماهير الشعب .

الغيلية الاسكتلندية (Scottish Gaelic) :

ان اقدم وثيقة وصلتنا تتضمن مادة غيلية هي كتاب الغزال (The book of Deer) وفيه نجد أجزاء من الأناجيل باللاتينية كتبت بخط ايرلندي مع صور تزينية ، ترافقها هوامش بالغيلية واللاتينية . أما الكتابات الغيلية فتعود الى القرن الثاني عشر ، لكنها خلو من أية قيمة أدبية . وهناك العديد من المخطوطات الاخرى التي تعود الى تاريخ لاحق وتخص التقليد الايرلندي - الاسكتلندي المشترك ، وتشتمل على نسخ من قصص وملاحم بطولية وشعر وكتابات إكليريكية ومواد متنوعة . وأهم هذه المخطوطات جميعا كتابات كاهن لزمور (Book of the Dean of Lismore) وهي أضمومة شعرية جمعت بين عامي ١٥١٢ و١٥٢٦ ، قام بتنسيقها السير جيمس ماك كريغر (Sir James Mac gregor) ، كاهن أبرشية لزمور في مقاطعة أرغيل (Argyllshire) وأخوه دنكان (Duncan) . وتقسم القصائد الى ثلاث مجموعات رئيسية : قصائد نظمها شعراء اسكتلنديون ، وغيرها كتبها مؤلفون ايرلنديون ، والثالثة بطولية قصيرة من نوع « البالاد » تدور حول اوسيان (Ossian) المحارب والكاهن الاسطوري . وكانت هذه أقدم مجموعة شعرية واسعة من القصائد البطولية القصيرة (البالاد) المكتوبة بالغيلية في اسكتلندا أو ايرلندا .. وتمتد القصائد

التي نظمها شعراء اسكتلنديون لأمد يبدأ بحوالي عام ١٣١٠ وينتهي بعام ١٥٢٠ . والشاعر البطولي (البارد) الذي مُثّل أفضل تمثيـل هو فيونـلاغ رود (Fionnlagh Ruadh) ، وهو شاعر « بـارد » لجـون (John) رئيس عشـيرة غريغـور (Gregor) (توفي عام ١٥١٩) . وكان هناك ثلاث قصائد نظمها غيولا كولوم ماك أن اولام (Giolla Coluim mac an Ollaimh) وهو شاعر محترف في بلاط سيد الجزر (Lord of the Isles) . ويبدو في حكم المؤكد أنه فرد من الأسرة « الباردية » المسماة ماك مريك (Mac Mhuirich) التي انجبت طائفة من الشعراء « الbارديين » توارثوا القريض حوالي ٥٠٠ عام من القرن الثالث عشر الى الثامن عشر . وقد ندب سقوط « عائلة الجزر » في أواخر القـرن الخـامس عشر . ولربـما كان أشهـر الشعـراء الآخـرين اشخاص مثل كيولا كريوست برولنغيش (Giolla Criost Bruilingeach) وامرأتـان هما أتبـريك انـكين كورسيديل (Aithbhreac Inghean Coirceadail) وايزابـلا (Isabella) كونتيسة ارغايل (Argyll) .

أدب ويلز :

الشعر :

امتد أدب ويلز بشكل متواصل من حوالي منتصف القرن السادس حتى يومنا هذا . وباستثناء قطعتين أو ثلاث قصيرة حفظ كل الشعر الذي سبق فتـرة الفتـح النورماندي في مخطوطات من القرن الثاني عشر وما بعـده حتـى القـرن الخـامس عشر . وواضح ان جملة جمة من القصائد هي اقدم بكثير من المخطوطـات التـي حفظتها . وتطورت لغة اهالى ويلز عن البريذونية (Brythonic) الأقدم ، في حوالي منتصف القرن السادس الميلادي . وهناك اشارات الى شعـراء ويلـز في «تـاريخ بريطانيا» (Historia Britonum) (حوالي ٨٠٠) يعزى قرض الشعر فيها او جمعه الى نينوس (Nennius) من ويلز . ووصلتنا مؤلفات لشاعرين هما : تليسين (Taliesin) وأنرين (Aneirin) ، ونظم الأول القصائد الغنائية من نوع الأود (Ode) في تمجيد الاعمال الحربية لسيده أورين أوف ريغيد (Urien Of Rheged) ، وريغيد هذه مملكة كانت تقع في جنوب غربي اسكتلندا الحالية . وتعـزى قصيدة طويلـة الى أنـرين عنوانها : ايغـودوين (Ygododdin) في ذكرى حملـة مشؤ ومـة أنفـذت من الاقليم

حيث توجد ادنبرة الحالية لاحتلال كاتريث(Catraeth) (في بوركشير حالياً) واجلاء السكسون الفاتحين عنها . وان خلفية قصائد هذين الشاعرين ووحيها وتقاليدها الاجتماعية بطولية بشكل نموذجي ، ولغتها بسيطة ومباشرة ، وتعبيرها جزل قوي الحبكة . كانت هذه القصائد وغيرها مما لم يصلنا مقاييس للعصور التي تلت ، وطُور الشعر الجناسي والسجع المنثور في ثنايا هذه القصائد في القرن الثالث عشر الى النظام المعقد من الحروف الصماء وما يقابلها من حروف صوتية ، او السجع وما يقابله من حروف ساكنة ، او ما يعرف باسم «كينكانيد»(Cynghanedd) . كان التقليد البطولي للشعر في ويلز موجوداً واستمر الى ما بعد الانفصال عن شمالي بريطانيا في منتصف القرن السابع . واقدم مثال وصلنا قصيدة ربما كتبها تليسين في مدح كينان كاروين اوف باويس(Cynan Garwyn Of Powys) الذي ذبح ابنه سليف (Selyf) في معركة تشستر(Chester) . وكونت هذه القصيدة تقليداً استمر في جميع المدائح الويلزية الى ان تداعى النظام الباردي في ويلز ، وهذا التقليد هو اعتبار البطل كينان اشجع الشجعان في ميدان القتال ، واكرم الخلق ضيافة في منزله،والبرية طرا عبيده الذين يتغنون بمديحه .

وتتمثل الفترة بين القرنين السابع والعاشر في قصائد قليلة ،بعشرة نظم معظمها حسب التقليد البطولي وتشمل الاصيلة منها ، وهي قلة ، عناوين مثل «مديح كادولن»(The Eulogy Of Cadwallon) (نظمها آفان فيردغ (Afan Ferddig) ومرثاة لكندلان أب كندروين اوف باويس(Cynddylan ap Cyndrwyn of Powys) نظمها في النصف الأول من القرن السابع ، وقصيدة اكثر سلاماً في جوها بعنوان «مديح تنبي»(The Eulogy Of Tenly) نظمها في حوالي نهاية القرن التاسع شاعر مغمور من جنوبي ويلز . ويمثل الشعر النبوئي القديم قصائد مثل نبوءة بريطانيا الكبرى(The Great Prophecy Of Britain) وهي نداء مثير لأهالي ويلز يحثهم على الاتحاد مع بريطانيين آخرين (بريطانيو الشمال ، وكورنول وبريطاني) ، ومع الايرلنديين واسكندنافيي دبلن ليقاوموا السكسون ، وليرفضوا مطالب ملكهم العظيم الظالمة (ربما كان هذا الملك هو اثلستان(Athelstan) من وسيكس (Wessex) . وحفظ الشعر الذي لم يشمله التقليد «الباردي» في قطع شعرية من

ثلاثة أو أربعة أبيات تسمى «انـكيلنيون» (Englynion) ، وفي حوار بـين مـيردين (Myrddin) وتيلياسين (Tuliesin) ، وفي «أغنية الريح» (The Song Of The Wind) وهي قصيدة أحجية تحتوي على بذرة التقليد والعرف الذي شاع فيا بعد والمعروف بالمقارنة (Dyfaliad) .

ان القصائد التي تقترن باسم ليوراش هن (Llywarch Hen) هي بقايا شعرية لملحمتين على أقل تقدير أُلِّفتا في منتصف القرن التاسع على يد قاص مجهـول من باويس (Powys) كانت مادته الأساسية التقاليد الادبية التي تجمعت حول شخصية ليوراش التاريخية وهيليد (Heledd) اخت كيندلان أب كيندروين (Cynddylan ap Cyndrwyn) وفي هذه المؤلفات (المفقودة) استعمل النثر للوصف والقصص والشعر للحوار والمناجاة ، وزين الشكل العروضي بالجنـاس والسجـع وبـدايات النظـام الشعري المعروف باسم كينكانيد الآنف الذكر . وكان موضـوع الملحمتـين ندب المجد التليد ، وخلفيتهما ذلك النزاع البطولي لسكان باويز (Powys) الويلزيين ضد سكسونيي ميرسيا (Mercia) . وفشلت ملاحم أخرى كثيرة في الحفاظ على بقائها مع انه توجد اجزاء شعـرية محفوظـة في «كتـاب كارماتـين الاسـود» (Black Book Of Carmarthen) (القرن الثاني عشر) هي اجزاء من مناجياة او محاورات في هاتـين الملحمتين الضائعتين . ومثال ذلك حديث بين آرثر وحارس الباب «كلو لويد مايتي كراسب» (Glewlwyd Mighty - grasp) ومناجاة «اسكلولان ذيكلـريك» (Ysgolan The Cleric) ، وأشعار في مدح «كرينت ابن اربين» (Gereint Son Of Erbin) ، وقطعة مما يمكن اعتبارها نسخة قديمة محلية من قصة «دريستـان واسيلـت» [قصـة «تريستان واسولت» (Drystan and Esyllt) . وتشير مجموعات اخرى من الاشعار الى أنه وجدت يوماً ما ـ اسطـورة «لمردين ويلـت» (Myrddin Wylt) وهـو انسـان متوحش سكناه الغابة ، وقد جن عندما وقف على مشهد معـركة . وتقتـرن هذه الاسطـورة باسمـي سوبـن كيلـت (Suibne Geilt) في ايرلنـدا ، «ولا لوكين» (Lailoken) في اسكتلندا . ويتمتع «ميردين» (عـرف فيا بعـد «بمرلـين» (Merlin) بموهبة النبوءة) . وأصبح الشاعر التاريخي تليسين بدوره شخصية رئيسية في قصة شعبية نفحت شكلاً أدبياً في القرن التاسـع أو العـاشر ، لكنهـا لم تصلنـا الا في مونولوجاتها التي حفظت في كتاب تليسين (The Book Of Taliasin) ، وبنص يعود

الى القرن السادس عشر عنوانه قصة تليسين (Hanes Taliesin) . وكان تليسين ـ كما تصوره المونولوجات ـ الشاعر « الباردي » المعجزة الذي فاق كل انسان في معرفته الماضي والحاضر والمستقبل ، وهكذا اعتبر بدوره نبيا ، شأنه في ذلك شأن « ميريدين » (Myrddin) .

كانت الطبيعة ـ وهي مصدر للتشابيه في الشعر البطولي ، وللرمز في البقايا الشعرية للملاحم احيانا ـ موضوعا لأغنية قائمة بذاتها . وبشكل عام كانت معالجة الموضوع رائعة لموضوعيتها الحساسة ، وجودة شكلها الأدبي بألوانه وأصواته . وتعبيره الذي غالبا ما كان موجزاً مكثفاً وحكيماً . وكثيراً ما داخل شعر الطبيعة الشعر الحكمي الذي تألف من مقولات حكمية عن الانسان والطبيعة جواً ومادة وشكلاً . وعلى الأرجح فان معظم الشعر الحكمي وشعر الطبيعة نظما في القرنين العاشر والحادي عشر ، وجادت بهما قرائح شعراء غير « الباردين » المحترفين . وفي حوالي نهاية الفترة التي سبقت الحكم النورماندي تجلّى الاطلاع في بعض القصائد ذات المواضيع الدينية والانجيلية وغيرها على أساطير غير محلية . لكن الشعر الملحمي انقرض بالتدريج ، لأن النثر أصبح الوسيلة المتعارف عليها لرواية القصص .

وبترسيخ دعائم امارة « كوينيد »(Gwynedd) تحت حكم كرفود أب كينان (Gruffudd ap Cynan) (١٠٥٤ ـ ١١٣٧) ، نشأ في البلاد شعر بلاطي نظمه شعراء الامراء المسمون كوكينفرد(Gogynefeirdd) الذين اكملوا وطوروا تقاليد اسلافهم المسمين كينغورد (Cynfeirdd) . وحسب النظام الباردي قسم الشعراء (البارد) الى مراتب . فهناك سيد الغناء (Pencerdd) ، وكان موظفاً خطيراً في البلاط ، من واجبه ان يتغنى بمديح سيده وعائلته وتمجيد الله والقديسين ، وكان محظوراً عليه التغني بالحب والطبيعة ، ولذا فمجال اختياره للاغنية محدد . ويليه مرتبةً شاعر محاربي الملك (Bardd teulu) ودوره مماثل لدور سيد الغناء ، ولكن للحاشية . وكان هو الآخر مقيداً بمواضيع معينة ، انما سمح له ان يتغنى بالحب والطبيعة وبمواضيع أخرى قد تعجب السيدات ولا يتذوقها المحاربون . أما الطبقة الثالثة فطبقة المغنين الشعبيين المسمَّين « كردوريون »(Cerddorion) الذين حددت

مواضيعهم ، إلا أنه سمح لهم ببسط لسانهم بذاء وهجاء ، كما كانوا رواة « للقصص الشفهية »(Cyfarwddyd) .

وعبر هذا التقسيم يتقاطع تقسيم آخر يستند الى مبدأ مختلف تماما ، وهو تصنيف الشعراء الباردين حسب مواهبهم . وهو تصنيف تعليمي ، وظلت باقية إحدى ملامحه الرئيسية ـ وهي العلاقة بين الاستاذ وتلميذه ـ حتى الفترة الحديثة ، وانتهت عهدَ الملك هنري الرابع الى اقامة مجمع للشعراء الباردين لمنح شهادات الكفاءة ، ولمنع زمرة الأنظمة الأدنى من التكاثر والانسياق نحو التسول ، واسفرت نتائج نظام باردي عن الميل الجارف نحو أدب محافظ ، اذ استعمل معظم شعراء القرن الثالث عشر ـ بشكل واع ، اسلوبا تقليديا قديما في مفرداته ونحوه واصطلاحاته ، ومغلقاً دون أي انسان غير مثقف ثقافة شعرية .

وغالباً ما كانت « الباردية » وفقاً على أسر بعينها ، وأول الأسماء من الفترة الجديدة اسماء ميلر (Meilyr) وابنه كوالكمي (Gwalchmai) وحفيده ميلر أب كوالكمي . وقد ارتبطوا جميعا ببلاط كونيد(Gwynedd) في ابرفرو(Aberffraw) . وانفرد كوالكمي في « مدح أوين »(Praise of Owain) بخاصة ميزته عن غيره من شعراء الامراء ، وهي وصفه الماء سواء أكان نهراً أم بحراً . واستعمل الشعراء «البارديون» جميعاً لهذه الفترة المادة ذاتها والشكل نفسه ، وكانت الأغنية واشكالها محددة لهم . ولم يكن مستوى الاجادة فيها مرتبطاً بعمق التفكير ، بل بمهارة الأداء ؛ ولم تهدف بالتالي الى تفسير الحياة بل الى تزيينها . وبرز شاعران اميران هما أوين سيفيليسوغ اوف باويس (Owain Cyfeiliog of Powys) وهيول أب أوين أوف كونيد (Hywel ab Owain of Gwynedd) من الشعراء « الباردين » المعاصرين . وأشهر مؤلف لسيفيليوغ : « هيرلاس » أو قرن الشرب الرمادي الطويل »(Hirlas) وفيه يصف محاربيه ، وهم يمرحون بعد غارة ناجحة . وكان خروج هيول أب أوين عن العرف اكثر روعة ، اذ تجلى للمرة الاولى في الأدب الويلزي حب الوطن والجمال في مفهومهما الحديث ، وفيه أيقظت الأرض والبحر والنساء واللغة الويلزية ـ وتنطق بالحديث بها السيدة محبوبته بنبرة مثقفة ـ شعور الروعة والاستغراب . وقد تناوب شعراء الامراء النظم موزعا بين المديح(moliant)

والرثاء (Marwnad) . وانتهت الفترة بأشهر جميع المراثي التي انشدهـا كرفـود أب اير يناد كوش (Gruffudd ab yryand Coch) بعد وفاة لويلن أب كرفودLiywelyn ap) (Gruffud عام ١٢٨٢ وهو آخر أمير وطني لويلز .

وبشكل عام ، كان الشعر الديني لشعراء الامراء أبسط أسلوباً من شعري الرثـاء والمديح . وكان احـد النماذج المقـررة الثابتـة هو « اغنية فراش الموت » (Maruysgafn) ، وفيها يعترف الشاعر بخطاياه ، ويصلي طلبـا للغفـران ، وهـو يشعر بدنو أجله . أما القصائـد الـدينية الأخـرى فكانـت بتمجيد الله والثالـوث المقدس ومدح القديسين ، ووصف عذاب جهنم أو ميلاد السيد المسيح . وتمثـل التوسع التدريجي لأفق الشعراء « الباردين » .

وبزوال الأمراء وأبهتهم زالت الأشكال والتقاليد الأقدم للشعر الويلـزي اذ عجز المستمعون الذين كانوا يستطيعون فهـم القطعـة الشعـرية الطويلـة المعقـدة والمتشابكة ذات القافية الواحدة (awdl) عن أن يجدوا الوسيلة لأن يثقفوا أنفسهـم لفهمها ، فقد بقيت البحور العروضية القديمة كما كانت ، الا ان اللغة اصبحت أسهل . ويبدو أن الشعراء في السنوات ما بين الفتح الانكليزي (١٢٨٢) وظهور دفيد أب كويليم (Dafydd ap Gwilym) الـذي ازدهـرت اعمالـه حوالي ١٣٤٠ - ١٣٧٠ قد رجعوا الى نمط من الشعر القديم ، أو أنهم تأثروا بأنكار جديدة من بلاد اخرى ، وبينما كان الهدف في الفترة السابقة هو الاتقان باللجوء الى الدقة القديمة ، والتلميح الى أشكال أقدم ، أخذ الشعراء الجدد يستعملون اللون والشكل الى درجة لم يعهدها الشعر الويلزي ولن يصل اليها في المستقبل . ومن الأسماء الشهيرة في القرن الرابع عشر كانت اسماء كرفورد أب مريدد (Gruffud ap Maredudd) وكرفود أب دافيد (Gruffudd ap Dafydd) وكزنودين (Casnodyn) .

نقل فتح ادوار الأول لويلز رعاية شعر البلاط في كوينيد (Gwynedd) وباويس (Powys) من الأمير الى الارستقراطية المالكة للاراضي ، وبهذا خسر الشاعر الرئيسي (Pencerdd) تفوقه على الطبقات « الباردية » الأدنى التي لم يعد شعراؤها مقيدين باختيار الاسلوب والمضمون ، والذين ـ خصوصا في جنوبي ويلز (حيث استقـر الفتح النورماندي لمدة قرن كامل قبل فتح كونييد (Gwynedd) ـ اصبحوا اكثر

صراحة ، وأعلى صوتاً عندما بدأت تتدنى الأغنية « الباردية » . واستقر الشعراء الجدد في الجنوب تماماً عندما أخذت مؤلفاتهم تحفظ . وأشهرهم جميعاً دافيد أب كويليم(Dafydd ap Gwilym) المعاصر لتشوسر ، والذي ألف في عهده الأول شعراً حسب تقليدين متغايرين تماماً . اذ نظم قصائد(awdlau) بشعر جناسي متشدد ذي قافية واحدة حسب التقاليد الأدبية لشعراء الأمراء اللاحقين ، وقرض من ناحية اخرى شعراً أكثر انطلاقا(Cywyddau) بمزدوجات يتألف كل بيت منها من سبع تفعيلات قفيت الأخيرة فيها ، وتناوبت التشديد وعدمه . لكن التقدم الرئيسي الذي انجزه تجلى بالبساطة في لغة شعره، وبذا قاد من خلفه . وهكذا أصبح الاسلوب القديم بائداً، وتأسست المقاييس الحديثة للشعر الويلزي . وكانت مادة شعره بدورها جديدة ، ويبدو أنه استعار بمواضيعه الكثير من الشعراء والمغنين المتجولين الفرنسيين . وكتب بعض الشعر الغزلي ، لكنه اشتهر بشعر الطبيعة الوصفي الذي تضمنته قصائد الحب هذه .

كان أثر دافيد مزدوجا ، اذ استقر الشعر الحر (Cywydd) بصفته الشكل الرائد ، واعتُرِفَ بالمواضيع الجديدة لمناسبتها للشعر ، وذهب أحد معاصريه وهو كرفود أب أدا(Gruffudd ab Adda) أبعد مما ذهب اليه دافيد في اتجاه مفهوم حديث للطبيعة . والمعاصر الثاني هو ايولوكوش(Iolo Goch) الذي تنضح قصيدته عن الفلاح بآثار من الافكار الانكليزية ، كما تتجلى في بيرزبلاومان (Piers Plowman) . ونظم لولين غوش أمهيروغ هن(Lluwelyn Goch Amheurug Hen) بعض قصائده الأولى حسب طريقة شعراء الأمراء ، الا ان « مرثاته للوكولويد » (Elegy to Leucu Llwyd) جمعت بنجاح بين التقليد الويلزي للمرثاة والشكل المستورد للسيرينادة أو شعر النجوى . وهناك شعراء آخرون معاصرون تقريباً لدافيد أمثال كرفود لويد أب دافيد(Gruffudd Liwyd ab Dafydd) الذي قرض قصيدتين رائعتين لأوين كلاندور(Owen Glendower) البطل الثائر ولريس كوش اريري(Rhys Goch Eryri) الذي يذكر اليوم بشكل رئيسي، لخلافه مع لويلين أب مول (Llywelyn ab Moel) وصيون سنت(Siôn Cent) حول طبيعة الشعر الصحيح . والشاعر الأخير شخصية محيرة تعزى اليه قصائد شبه سياسية على شكل نبوءات ، وعدد من الأغاني ينعي فيها فساد العالم .

وفي القرن الخامس عشر نُقّي الشعر المتحرر من الشوائب . ومع ان دافيد نانمور (Dafydd Nanmor) أقل شأناً من معظم معاصري دافيد آن كويليم بطريقة معالجة مواضيعه وفي الخيال ، الا أنه فذ بتمكنه من الشعر المتحرر . وطور لويس كلين كوتي (Lewis Glyn Cothi) وكيتور كلين (Guto'r Glyn) الشعر المتحرر . ونلمح في مؤلفاتهما إدراكاً حقيقياً للقومية لدى أهالي ويلز ، وربما للمرة الأولى .

النثر :

كانت أقدم الأمثلة على النثر الويلزي ذات طبيعة نفعية : ملاحظات وشروح كلمات لنصوص لاتينية تتعلق بالاوزان والمقاييس ، وسجل اتفاقية ، وقائمة بعائدات الكنيسة ، وتعليق حول مشكلة في علم الفلك . وقبل منتصف القرن العاشر بقليل قام هول دا (Howel Dda) ، كما تقول التقاليد الأدبية ، بتصنيف القوانين الويلزية . وأقدم نسخة وصلتنا هي باللاتينية، بيد ان النسخة الويلزية في « كتاب شيرك الاسود » (The Black Of Chirk) حوالي ١٢٠٠ م قد نسخت عن أصل أقدم .

انعكست فضائل اسلوب النصوص القانونية في استعمال أدبي اكثر وعياً للنثر على أيدي القصاصين (Cyfarwyddiaid) الذين استظهروا القصص الشفهية المكونة من مزيج من الأساطير والقصص الشعبي والعناصر البطولية . وسجل بعض هذا كتابة . وأشهر مجموعة هي ما يعرف باسم «مابينوجيون» (Mabinogion) المحفوظة في «كتاب ريدريك الابيض» (The White Book Of Rhydderch) (حوالي ١٣٠٠ الى ١٣٢٥ و«كتاب هرجست الاحمر» (The Red Book Of Hergest) (حوالي ١٣٧٥ - ١٤٢٥) . وتتألف «المابينوجيون» من إحدى عشرة قصة جميعها مجهولة المؤلف ، وهي كتابات أدبية واعية تستند الى مادة شفهية أقدم . واعظمها أربع هي ذات صلة فيما بينها واسمها «الاغصان الاربعة للمابينوجي» (The Four Branches Of The Mabinogi) ألفها في النصف الثاني من القرن الحادي عشر كاتب من ديفيد (Dyfed) . ويبدو ان مؤلف كلويش وألوين (Culhwch And Olwen) (حوالي ١١٠٠م) الذي أعتمد المادة الاساسية نفسها التي تتكون منها «الاغصان الاربعة» ظل أقرب الى الاصل الشفهي ، الا ان اسلوبه الركيك كان اشارة نذير للبيان الذي تدنى مستواه فيما بعد والذي كان تقليداً ساخراً للمابينوجيين . وأظهرت ثلاث من

قصص المابينوجيين ـ وهـي «اون ولـونيد او سيدة النبـع» (Owein And Luned) و «جيرانت وإنيد» (Geraint And Enid) «وبيريدور ، ابن افروغ» (Perdur Son Of Efrawg) ـ الانتقـال من قصص وطنية صرفـة الى تلك التـي ألفـت تحـت التأثـير النورماندي . وكانت المادة الرئيسية وطنية بشكل رئيسي ، لكن كان الى جانب ذلك أثر فرنسي في بعض الاسماء والتقاليد الاجتماعية والبيئـة . وتـوازي هذه القصص قصص « ايفان وارك » و« بريسفـال » لكريتـان دتـروي . ومـا زالـت العلاقـة الصحيحة بين القصص الويلزية والفرنسية موضوع نقاش . وتبدت هذه القصص بسفسطتها البالغة عن الانحدار دون مستوى القصص الوطنية ، بما فيها من اسلوب مباشر وسيطرة واختيار منظم للمادة .

لعبت ترجمات عديدة من اللاتينية والفرنسية دوراً في تطوير نثر يستطيع ان يعبر عن نواح في الفكر والنشاطات الانسـانية لم تتطـرق اليهـا القصص ابـداً . ويرجع تاريخ معظمها الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ولربما كتبها الرهبان ، ومن أشهرها ترجمات من كتاب جفري اوف مونمث اللاتيني تحت عنـوان «تـاريخ ملوك بريطانيا» (Historia Regum Britaniae) ومـن كتـاب «البحـث عن الـكأس المقدسة» (Queste del Saint Graal) المكتوب بالفرنسية . وكان نثرهم بشـكل عام تجريبياً ومتأثراً بدرجات متفاوتة بلغة وأسلوب الاصول التي ترجم عنها ، لكنه في أحسن اشكاله لم يتدن الى الاسوأ من نثر المقالات القانونية والقصص الـوطنية . ونستطيع القول بايجاز بأن تطور النثر الوسيطي اعاقه عن الازدهار ذلك النقص في التحالف بين ورثة التقليد الادبي الويلزي ، وأولئك الذين استثمروا العلم الاوسع لغربي اوروبا . وكان التنبوء بتكوين نثر قادر على التعبير عن سائر اوجـه الفـكر والنشاط في حوالي اواسط القرن السـادس عشر افصاحـاً عن انتفاضـات النهضـة والاصلاح ، كما أرسى أسسه الانسانيون الانجيليون منهم والكاثوليك .

أدب كورنوول (Cornish) :

ان اقدم البقايا من كورنوول هي عبارة عن اسماء أعلام في اناجيل «بودمـن» (Bodmin) وفي كتاب القيامة (Domesday Book) ، وعن شروح كلمات لنصوص

لاتينية تعود الى القرن العاشر ، ومفردات من القرن الثاني عشر تستند الى شروح الفيريك (Alfric) لكلمات لاتينية بالانكلوسكسونية . وكان اول نص أدبي مأساوية (درامية) عبارة عن قطعة كورنوولية وسطى (Middle Cornish) ذات طبيعة (درامية) (حوالي ١٤٠٠ م) وفيها تقدم فتاة لتكون زوجة وتمتدح لفضائلها ويقدم لها النصح لتحسن السلوك والتصرف . أما « آلام السيد المسيح » (Pascon Agan Arluth) فقصيدة طويلة من القرن الخامس عشر وذات قيمة أدبية ضئيلة .

إن أهم الآثار الأدبية الكورنولية هي سلسلة من المؤلفات الدرامية تتعلق بمسرحية المعجزات والمسرحية الاخلاقية ، وتتضمن ثلاثية من القرن الثالث عشر تدعى أوردیناليا (Ordinalia) . ويروي الجزء الاول منها واسمه أصل الكون (Oriso Mundi) الحوادث الرئيسية للتاريخ المقدس . ويروي القسم الثاني «آلام المسيح» (Passio Domini) قصة المسيح بدءاً من الاغراء حتى الصلب . وأما القسم الثالث وعنوانه «بعث المسيح» (Ressurectio Domini) فينتهي بالبعث والصعود . والحوار بشكل عام ممل ، وهناك القليل من الخلق الدرامي باستثناء الفصول البذيئة الفكاهة . الا ان حجم المسرحية اكبر من أية آثار أدبية كورنولية . وهناك مسرحية مشابهة في شكلها وفنها ، لكنها اكثر تنوعاً ، ألفها عام ١٥٠٤م دومينوس هادتون (Dominus Hadton) وتروي سيرة مريازك (Meriasek) وهو قديس راع للادب من كامبورن (Camborne) . وهناك كذلك مسرحية كثيرة الاقتباس هي «خلق العالم» (Gwreans an Bys)، وتشمل الآثار الأدبية اللاحقة قصة شعبية وبضع اغان وترجمات لنصوص من الكتاب المقدس ، وعدة نسخ من «عقيدة الرسل» (Apostles Creed) .

الفَصْل السَّابع

الأدَب الألماني الوَسِيط

الالمانية العالية القديمة :

رغم ان القوطية كانت أقدم لغة جرمانية مسجلة وهي اللغة الالمانية الشرقية الوحيدة التي لدينا معلومات موثوقة عنها ـ بيد انه لم تصلنا سوى قطع من ترجمة للكتاب المقدس قام بها اسقف قوطي هو اولفيلاس (Ulfilas) (حوالي ٣١١ ـ ٣٨٣م) . وهذه الترجمة ذات أهمية لغوية أكثر منها أدبية .

يرجع تاريخ أول سجلات مكتوبة للقبائل الالمانية الغربية الى النصف الثاني من القرن الثامن . وبكل الاحوال ، هناك دليل على أدب أقدم نقل شفوياً ، يتألف من أغان قصيرة تمجد منجزات أبطال مشهورين (Heldenlieder) وترانيم متعلقة بطقوس دينية وثنية واغاني معارك وندب للموتى . ومع ان هذه جميعاً غير مدونة فقد كونت مادتها القاعدة لملاحم بطولية شعبية لاحقة . وكما هي الحال في المناطق الاخرى فان أول نصوص ذات قيمة كانت من نتاج المحاولات لنشر المسيحية . وكانت الترجمات من اللاتينية كثيرة . ومثالنا تلك النسخة الالمانية (حوالي ٨٠٠م) لكتاب حول العقيدة الكاثوليكية (De Fide Catholica) قام بكتابته **ايسودورالاشبيلي** (Isodor Of Seville) حوالي (٥٧٠ ـ ٦٣٦م) . وهو رجل كنيسة وعالم اسباني . وهناك أيضاً ترجمة كتاب بيذيوس «مواساة الفلسفة» التي تمت حوالي عام ١٠٠٠م على يد نوتكر لابيو (Notkerlabio) من الدير السويسري في سينت كول (St. Gall) .

أما المؤلفات الشعرية القليلة التي وصلتنا فأكثر أصالة ، رغم انها دينية وتعليمية في موضوعها . وأكبرها طراً كتاب الاناجيل (Evangel'enbuch) حوالي (٨٧٠م) **لراهب اسمه اوتفريدأوف فايسينبورغ** (Otfrid Of Weissenburg) وفه

يعرض حياة المسيح بصيغة تضارع صيغة الاغاني البطولية . ورغم أن بعض النصوص التعليمية تشل من حركة العقيدة ، فهي هامة لانها اول عمل الماني قصد به ان يحل قافية الشعر اللاتيني الوسيطي محل الجناس في التقاليد الادبية الالمانية .

ورغم معارضة الكنيسة الاهتمام بأي شيء وثني فقد وصلتنا بعض المؤلفات الوثنية مثل «زوبرسبروخ»(Zaubersprüche) وهو عبارة عن تعاويذ سحرية لحماية الحيوانات الاليفة او للاستعمال ضد الزكام الى غير ذلك من الاهتمامات اليومية . أما «أغنية هيلدا براند»(Hildebrand slied) (حوالي ٨٠٠م) التي وصلتنا أجزاء منها ، والتي تصف وصفاً واقعياً مبارزة بين ابن وأبيه فأكثر مدعاة للاهتمام . وهي هامة لانها الاثر الوحيد من الشعر البطولي باللغة الالمانية العالية . وخلال هذه الفترة كان استعمال العامية الدارجة كوسيلة ادبية متقطعاً لان العلماء استمروا في تفضيل اللغة اللاتينية . وثبطت حركة الاصلاح الداعية الى الزهد ـ والتي انتشرت من دير كلوني (Cluny) بفرنسا في طول أوروبا الغربية وعرضها في النصف الاول من القرن العاشر ـ ثبطت من عزيمة رجال الدين وصرفتهم عن الكتابة للعلمانيين . وهكذا كان هناك مؤلفات أقل من الادب المسجل باللغة العامية طوال قرن تقريباً . وفي الوقت الذي استعملت العامية ثانية كانت قد حدثت تغيرات هامة في اللغة ، ناهيك عن ان الاتجاه الاكليريكي التعليمي فسح المجال للاقطاعية البلاطية .

الالمانية العالية الوسطى :

أشارت التغيرات المصاحبة لهذه الحوادث الى الانتقال من الالمانية العالية القديمة الى الالمانية العالية الوسطى . والنقطة الهامة هي ان الفارس حل محل رجل الكنيسة كشاعر، الا ان الاعمال الادبية السابقة كانت ما تزال تعكس التقاليد الكنسية ، ولكننا نجد في قصيدة «هنريخ فون ملك»(Heinrich Von Melk) وعنوانها «تذكر الموت» (حوالي ١١٦٠م)(Von des Todes Gehugede) ان حب الفارس الاقطاعي للمبارزة قد توسل لاعطاء المثل على طبيعة الحياة العابرة . وكان الشكلان الادبيان السائدان في هذا الوقت هما أغنية الحب(Minnesang) والملحمة . وبما ان الشعراء اشخاص نبلاء بشكل رئيسي ، فقد عبروا عن حبهم حسب تقليد البلاط أو أنهم قصوا قصصاً تقليدية عن الحب والقتال .

وكون «الشعراء المتجولون»(Spielmann) ملاحم ذات تقاليد محلية ورفعوا عقائرهم بانشاد أغان بطولية مدارها اساطير شعبية ، وشرعوا يصلون القصص البطولية بعضها برقاب البعض الآخر ليكونوا منها قصصاً ملحمية أطول . ولربما كان أقدم مؤلف من هذا النوع ملحمة «الملك روذر»(King Rother) (حوالي ١١٦٠م وهي قصة يتكرر فيها خطف العرائس العنيف . وغالباً ما مهد الشعراء بتعليقات ممتعة ومسلية احياناً على حياة عصرهم . ولقد عالجت ملحمة «سلمان ومورولف» (Salman und Morolof) مادار من نزاع في المجتمعات المسيحية والوثنية ، كما عكست اهتمامات الحروب الصليبية ، التي تجلت كذلك بوضوح في اورندل(Orendel) وسانكت اوزوالد(Sankt Osuwald) . وبظهور «الكساندرليد» (Alexanderlied) حوالي ١١٣٠م - وهي ترجمة بتصرف لمؤلف فرنسي حمل نفس الاسم - طفق الشعراء الالمان يقتبسون من الملاحم الفرنسية الناجحة .

وأظهر الشاعر الشعبي النمساوي المتجول والمجهول الذي كتب ملحمة أغنية النبلنغز»(Nibelunqenlied) مهارة درامية عظمى وكفاءة شاعرية في سرد قصة جيدة الحبك عن البطل سيجفريد(Sigfried) وتطوي في تضاعيفها اغان من اساطير بطولية حول حوادث تاريخية ، وملحمة تتحدث عن تدمير البرغنديين او النبلنغز (Nibelungs) عام ٤٣٧ . أما ملحمة «كودرن»(Gudrun) التي الفت حوالي عام ١٢١٠ فتركز على ثبات البطلة ممتنعة عن الخطف ، بينما نجد ان مجموعة عنوانها «كتاب الابطال»(Das Heldenbuch) تشمل على رومانسيات حول تيودورك (Theodoric) العظيم وهو بطل شعبي من جنوبي المانيا .

ملاحم البلاط : (Court Epics)

كانت الملاحم البطولية الوطنية الشائعة بشكل رئيسي في الجنوب ، يوازيها في الغرب تطور لملاحم البلاط ، بالاستناد الى نماذج فرنسية . وعالج اول عمل بارز كتبه ايلهارت فون اوبرغ(Eilhart von Oberg) الموضوع الآرثري «لترستانت وايسولد»(Tristant und Isolde) حوالي ١١٧٠م - ومع ان هاينرخ فون فيلدكه الهولندي(Heinrich von Veldeke) (او هنرك فان فلدكه) ادعى لنفسه تأسيس

ملحمة البلاط بملحمته الانيادة(Aeneid) (حوالي ١١٧٥ ـ ٨٦ التي أعتمدت مصدراً فرنسياً الا ان أشهر ثلاثة شعراء للملحمة البلاط هم هارتمان فون او(Hartmann von Aue) وفولفرام فون اسكنباخ (Wolfram von Eschenbach) وكوتفرد فون ستراسبورغ ، (Gottfried von Strassburg) وبشكل عام ترجع مؤلفاتهم بتاريخها الى ما بين ١١٦٠ و١٢١٠ . وتهتم بفضائل الفروسية ، وهي الاعتدال والاخلاص والثبات وواجب خدمة الاسياد والاله وكان هارتمان قصاصاً فناناً سلس الاسلوب عالج في قصيدتيه «ارك»(Erec) «وتواين»(Twein) ـ اللتين بنيتا على الرومانسيات الفرنسية التي كتبها كريتان دوتروي ـ الصراع ما بين الرغبات الفردية والمسؤولية العامة التي كان الفارس يضطلع بها في القرون الوسطى ، وقدم في قصيدتيه «غريغوريوس»(Gregorious) «وهنريخ المسكين»(Der Arme Heinrich) صورة واضحة عن علاقة الانسان بالاله . اما ملحمة «بارزيفال» الشهيرة(Parzival) لمؤلفها فولفرام فون اسكنباخ (Wolfram von Eschenbach) فزاخرة بأخيلة بالغة الاصالة في معالجة طموح ماهرة لموضوع نشدان الانسان الحقيقة بعلاقته مع الله ، وفيها نرى بطل الملحمة برزيفال يتقدم نحو النضج ليصبح في النهاية قيماً على الكأس المقدسة . اما كوتفردفون ستراسبورغ فقد اتخذ مصدره «توماس أوف بريتاني» (Thomas Of Brittany) في كتابة ملحمة «ترستان»(Tristan) ، ولما كان حريصاً على اتقان اشكاله الادبية وصقل فنه ، لهذا كان أقل اهتماماً بالاعتبارات الدنيوية الاخرى ، مولياً الاولوية للحب المثالي في هذه الحياة .

ولم يستطع شعراء الملحمة اللاحقون ان يبلغوا مستوى هؤلاء الشعراء الثلاثة ، وان اكثر المنافسون . ولقد تبعت ملحمة هنريخ فون ترلن (Heinrich Von Turlin) المسماة ، «التاج»(Din Krone) ملاحم هارتمان ، الا انها كانت بالغة الطول ، سقيمة العبارة . ورغم وفرة ما كتبه رودلف فون امز(Rudolf von Ems) وكونراد فون ورزبرغ (Konrad von Wurzburg) أخذت الملحمة بالذبول التدريجي . ومع ان «مئير هلمبرخت»(Meier Helmbrecht) حوالي ١٢٥٠م التي كتبها فيرنر البستاني(Wernher The Gardener) قد جلت بشكل مؤثر صورة فوضى المجتمع الاقطاعي المتفسخ وعنفه الا ان المستوى الاجتماعي لموضوعها ومعالجتها الواقعية كانا نذيري ايذان بنهاية أدب البلاط . وفي منتصف القرن الخامس عشر

نستروح روحاً جديدة نقدية وتعليمية لواقعية الطبقة الوسطى تتقدم للإمساك بأزمة الامور .

القصيدة الغنائية البلاطية (Courtly Lyric) :

لقد أخذت اغاني الحب البلاطية (Minnesang) - وهي الشكل الأدبي الثاني الهام - مضمونها وأشكالها الشعرية عن الانماط الفرنسية والبروفنسالية شأنها في ذلك شأن الملحمة البلاطية ، وكان شعراؤها من نبلاء المراتب الدنيا ، وغالباً ما أصبحوا شعراء البلاط للطبقة النبيلة الاعلى او راحوا يضربون في الارض كشعراء متجولين في المانيا والنمسا وسويسرا . وسجل الكثير من القصائد التي تمثل «ربيع اغاني الحب» (Minnesangs Fruhling) في مجموعة مخطوطات تعود الى أوائل القرن الرابع عشر واسمها «كودكس مانيس» (Codex Manesse) . وتعزى الى كاتب سويسري المولد اسمه روديجر مانيس (Rudiger Manesse) (١٢٢٤ - ١٣٠٤) . وفي حوالي ١١٩٠م أصبح رينمار فون هاكينو (Reinmar von Hagenau) شاعر البلاط لدوقات النمسا بعد ان علم فولتر فون در فوكلوايد (Walther von der Vogelweide) في فيينا . وكانت قصائد فولتر الغنائية التي مزجت الاسلوب البلاطي الذي أشتهر به ، بشعر الحب الشعبي والطبيعي ابدع مجموعة قصائد غنائية المانية وسيطية . وانعكس أثر هذا الشاعر على الشعراء الآخرين في النمسة والتيرول ، . عالجت قصائده الشهيرة المسماة «سبروخ» (Spruche) - وهي قصائد اخلاقية وسياسية - علاقته بمختلف رعاة الادب ، والنزاع بين الامبراطورية والبابوية ، والقيمة الروحية للحرب والحج . واستمر الاهتمام بالهجاء والحكمة الدنيوية في كتابات نايد هارت فون رونتال البافاري (Neidhart von Reuenthl) كما انعكس في شعبية كتاب فرايدانك (Freidank) المسمى «الاعتدال» (Bescheidenheit) حوالي ١٢٣٠ ، وكتاب هوغوفون ترمبرغ (Hugo von Trimberg) المسمى «الراكض» . (Renner)

النثر والمسرحية :

كان نثر الادب الالماني الوسيط أقل غزارة من الشعر ، وكانت مواعظ برتولد فون ربجنسبرغ (Brethold von Regensburg) اعمالاً عامية فصيحة ، كما خدمت

كتابات مكثيلد فون مكدبيرغ (Mechthild von Magdeburg) كمثال مبكر للصوفية التي كانت لها أهميتها في القرن الرابع عشر . وأشار كتاب يوهان فون تبل (Johan von Tepl) «حـراث من بوهيميا» (Ackermann aus Bohmen) حوالي ١٤٠٠م الى بداية التقليد الانساني في المانيا وجودة نثر لاتبارى حتى انبلاج عصر الاصـلاح . ومن الاعمال غير الدينية البارزة «تاريخ العالم» (Weltchronik) لمؤلف سكسوني ، «ومرآة سكسونيا» (Sachsenspiegel) عام ١٢٢٥ . ويمثل اولهما الكتابـات الخيالية التاريخية وثانيهما الكتابات القانونية .

وأدت الاعمال المبكرة في المسرحية - وبخاصة فصول ومشاهد من «مسرحية ميوري لعيد الفصـح» (Easter Play Of Muri) «ومسرحية القـديس كول للآلام» (St. Gall Passion Play) حوالي ١٣٣٠م - الى ازدياد عدد المسرحيات الاخـلاقية ومسرحيات المعجزات الشعبية التي تؤلف جزءاً من حملة الكنيسة للتعليم وارشـاد الانظمة الدينية الادنى في السلم الكهنوتي . وفي بداية القرن الخامس عشر ظهرت مسرحيات شعبية لتسلية العلمانيين في أطر كرنفالية . وازدادت شعبية الهزليات من نوع «الفارس» حتى نالت الاحترام على ايدي هانزساخس (Hans Sachs) .

الفَصْل الثّامِن

الأدَب الهولندي الوَسيط

لم يبق من سكان الاراضي المنخفضة الاقدمين سوى الفريزيين (Frisians) ومع ان مقاطعة فريزلاند الحديثة جزء صغير من الاراضي التي وقعت تحت سيطرتهم ، فقد احتفظوا بلغتهم المنفصلة وبأدبهم الخاص بهم منذ أيام بيرنليف (Bernlef) الذي عاش في القرن الثامن ، اما بقية الاراضي المنخفضة فقد اكتسحها السكسون والفرنجة واستعمروها في الفترة الممتدة ما بين القرنين الثالث والتاسع ، وحصيلة ذلك ثقافة فرنجية بشكل كاسح في الجنوب ، وثقافة ولغة سكسونية او مزيج من السكسونية والفرنجية معاً فيما عدا ذلك .

وتحت حكم الفرنجة ازدهر الجنوب الاقل بداوة اكثر مما ازدهر الشمال . وفي الجنوب تطورت ببادىء الامر لغة أدبية ، لكن بالتدريج ، وذلك بسبب الاختلافات البينة بين لهجات سكان الشرق والوسط والغرب ، او ما يدعى فلاندرز ذات السمات التي تربط لهجات الساحل باللغة الانكليزية القديمة . وفي اوائل القرون الوسطى ، عندما كانت اللاتينية والاغاني الشعبية وبعدها الفرنسية لغة المتعلمين ، اقتصرت العامية بشكل رئيسي على الاساطير والاغاني الشعبية الشفوية غير المدونة . وأقدم نص يحتوي على الهولندية القديمة قطع من المزامير العائدة الى وتشندونك (Wachtendonk) .

الشعر والنثر : كانت مؤلفات أقدم شاعر معروف واسمه هنريك فان فلديك (Henric van Veldeke) نموذجاً للحماسة الدينية ، للعصر الذي انبعث من مراكز التعليم الفرنسية ، وبالاضافة الى ترجمة لانيادة فيرجيل عام ١١٨٥ ، صبغت بصبغة فروسية رومانس العصور الوسطى ، والى جانب أغاني الحب التي كانت هامة للشعراء الالمان ، هناك مؤلف هاينرخ (Heinrick) المسمى «سرفاتيوس»

(Servatius) وهو ترجمة لحياة قديس في لهجة ليمبرغ (Limburg) . وقد كتبت النصوص الهولندية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بشكل عام في المراكز الثقافية في فلاندرز وبرابنت(Brabant) حيث كان الاثر السائد فرنسياً بسبب التجارة وفي اوروبا أشاعت الحروب الصليبية ، رومانسيات البلاط فكتبت الرومانسيات الهولندية حسب النماذج الفرنسية حول حوادث من التاريخ الكلاسيكي مثل «برلمان طروادة» (Paerlement van Trayen) للكاتب سيغر ديركونكاف (Segher Diergotgaf) وحول مواضيع شرقية وهذه أكثر شعبية من أي شيء آخر ـ مقتبسة من الملاحم الكلتية بما فيها حلقة الملك آرثر . ولكن بينما كان جيكوب فان مارلنت (Jacob van Marlant) يكتب «كتاب ميرلين»(Merlijns Boeck) «وتاريخ طروادة» (Historie var Troyen) في الستينات من القرن الثالث عشر كانت الفروسية آخذة في الانحطاط ، وتشهد عناوين كتبه اللاحقة على رد فعل في أواخر القرن الثالث عشر ضد الرومانس . وكانت خلاصات مارلنت الوافية من المعرفة . بما فيها كتابه «زهرة الطبيعة»(Der naturen bloeme) «ومرآة التاريخ»(Spieghel Historiael) تلبية للطلب على الادب التعليمي الذي ظل ميزة من ميزات الادب الهولندي . ويظهر التغير في الانماط الاجتماعية في هذا الوقت بوضوح في ملحمتين قصصيتين : اذ تصف «شارل والغاست»(Charles and Elegast) التي ربما كانت أغنية بطولية فلمنكية(Flemish) أصيلة من القرن الثاني عشر او الثالث عشر ـ باحترام اقطاعي مغامرات شارلمان في العالم السحري للقصص الشعبي ، أما «الثعلب رينارد»(Van den Vos Reinaerde) (حوالي ١٢٤٠) فهي نسخة الشاعر الفلمنكي وليم(Willem) لترجمة قام بها فلمنكي آخر اسمه ايرنو(Aernout) عن كتاب فرنسي عنوانه «بساط السفر»(Le Plaid) وفيه ينتقد المجتمع الاقطاعي بأسلوب ملحمي .

واتسمت الكتابات الصوفية بقوة غنائية رفيعة في شعر ونثر امرأة غير اكليريكية تدعى هدويش(Hadewijch) (أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر) . وكان لمؤلفتها أثر عميق على الصوفيين الذين أتوا بعدها ، وأعظمهم جان فان روزبروك(Jan Van Ruysbroeck) وهو تلميذ للصوفي الالماني ميستر اكهارت (Meister Eckehart) وأعظم كاتب نثر في الاراضي المنخفضة . وأهم أعماله : «تزيين العمل الروحي» عام ١٣٥٠م(Die Chierheit der ghesstliker brulocht)

ويدور موضوعه حول الروح في بحثها عن الله . وكتابه هذا جزء من أهتمام اكليريكي مجدد لتعليم العلمانيين وكان من صداه وفرة وافرة من الادب تجلت بقصص من الكتاب المقدس ، واساطير وقصص قصيرة تعليمية ، وجميعها دارجة عهد ذاك . وفي عداد هذه المؤلفات «بوتريس» (Beatrijs) وهو ترجمة شعرية فلمنكية في أوائل القرن الرابع عشر لاسطورة شعبية قصت بانسانية واعتدال ، ما برحت حتى الآن توحي بطبعات عصرية منها (مثال ذلك نسختا موريس مترلنك (Maurice Maeterlink) وبيتر كورنلس بوتنز (Pieter Cornelis Boutens) .

أغان ، ودراما ، وكتّاب البيان :

تشير أقدم الاغاني المدّونة الى تقليد جرماني اكثر منه روماني لاتيني . ولما كانت اقدم المسرحيات التي وصلتنا ، وهي مسرحية من القرن الرابع عشر وعنوانها «مسرحيات لائقة» (Abele Spelen) علمانية صرفة (قد تكون أول مسرحيات من هذا النوع في أوروبا) تتضمن مواضيع إبداعية من الأغاني السابقة لذا ساد الاعتقاد بأن نشوء المأساة في الاراضي المنخفضة يمكن ان يعزى الى التقليد الصامت (مايم) ، والاغنية على حد سواء اضافة الى الطقوس الدينية . والشاهد الوحيد للدراما الدينية القديمة هو مؤلف باللاتينية اسمه «أوفسيوم ستيلاي» (Officium Stellae) «ويعود الى القرن الرابع عشر . ثم لا نجد بعده أي عمل مسرحي حتى الفترة ١٤٤٨ ـ ١٤٥٥ . عندما أخرجت الحلقة المسرحية التي تدور حول الافراح السبعة لمريم العذراء في بروكسل . كان هناك في غمرة المسرحيات الاخلاقية ومسرحيات المعجزات هناك مسرحيتان تستحقان الاهتمام الخاص ، وهما «ماري نجمجن» (Mariken van Neimeghen) من القرن الخامس عشر و«الكرلي» (Elckerlye) من نفس الفترة . وترهص الأولى بعصر النهضة في بسيلولوجيتها ومعالجتها ، أما الثانية الوسيطية كلياً في مفهومها فهي أصل المسرحية الانكليزية «كل انسان» (Everyman) . وقد قام بكتابتها اعضاء هيئات البيان ، وهي مؤسسات انتشرت من الحدود الفرنسية في القرن الخامس عشر ، ونظمت كالنقابات ، وقامت بأعمال تشبه الجمعيات المسرحية الفرنسية الوسيطية ، وقد

كلفتها المدينة التي ترعاها لتقدم التسلية والاحتفالات في الاعياد الدينية والعلمانية فكان بالنتيجة أن أثرت أثراً بالغاً في تعميم الفن والاخلاق . وعهد ذاك كانت المسرحية في أيدي العلمانيين اكثر منها في يد الكنيسة . واقتضى ادخال العلمانية استعمال المسارح او العربات خارج المؤسسات الدينية ، اذا أعتمدت هذه الهيئات على العروض الادبية لتبقى ، كما نظم البيانيون اعياداً قومية ومهرجانات للشعر والمسرح يتنافس فيها المتنافسون .

الفصل التّاسع

الأدب الاسكندنافي الوسيط

عكس أدب اسكندنافية ـ بشكل خاص أدب ايسلنده ناحيتين غير عاديتين في التاريخ الاجتماعي والثقافي لأوروبا الوثنية وايسلنده ، وشهدت الطريقة التي برزت فيها اسماء مثل اسم سيجفريد(Siegfried) وبرونلد(Brunhild) وأتيلا(Attila) مرة بعد اخرى ، في الأداب الاوروبية المختلفة انتشار الاساطير والتقاليد الأدبية المشتركة بين القبائل الجرمانية في اوروبا بدءاً من الحركات الكبرى غرباً في القرون الرابع والخامس والسادس . ويزودنا أدب ايسلنده ليس بأكثر الاوصاف تفصيلاً لاسلوب الحياة عند الشعوب الجرمانية القديمة فحسب ، بل هو أكمل وصف لأدبهم وتقاليدهم الأدبية . ومع ان الكتاب المسيحيين كانوا أول من كتب الملاحم والقصائد ، الا أن هذا النتاج يعطينا صورة لثقافة اوروبية سبقت المسيحية وبلغت أوجها في المستوطنات الجديدة في ايسلنده .

أما الناحية الثانية فتتعلق بشكل مباشر بالشعوب الاسكندنافية . فالميزة البارزة للأدب الاسكندنافي هي الدقة بوصف جغرافية شمالي اوروبة ، ويجب أن لا يعزى هذا لكتابات خيالية غير عادية بل للدقة الناجمة عن المعرفة الفعلية . وكان تاريخ الشعوب الاسكندنافية بدءاً من أواخر القرن الثامن حتى وقت متقدم من العصور الوسطى تاريخ حركة مستمرة لا تتوقف نحو أواسط اوروبا وغربها . اذ اكتشف الاسكندنافيون ايسلنده عندما حولت سفنهم عن مسار طريقها بسبب الزوابع عام ٨٦٠م ، كما يدعي المؤرخون الاسكندنافيون الأوائل . وشهد القرن الذي تلا ذلك القراصنة المسمين «فايكنغ»(Vikings) يشقون طريقهم غرباً عبر بريطانيا وايرلندا وفرنسا الى اسبانيا ، وبعدها الى شمالي افريقيا والبلاد العربية عن طريق البحر المتوسط . ووصلوا البحر الأسود عن سبيلين اثنين براً وبحراً معاً ،

وأخيراً وصلوا الى امريكا باتجاههم غرباً للمرة الثانية قبل «كولومبس» بكثير .

وبأقل تقدير يستطيع الأدب المقترن بهذه المرحلة في اسكندنافيا أن يعكس بعض هذه الغزوات الرائعة في النصف الشمالي من القارة الا ان نوعيته الأدبية العالية تجعله يقدم اكثر من هذا بكثير .

الفترة الكلاسيكية في ايسلنده :

يعود أفضل الأدب الايسلندي الذي وصلنا الى الفترة الكلاسيكية التي توافق بشكل تقريبي الفترات القديمة والوسيطة في الأدب الاوروبي الغربي . ومن المخطوطات الايسلندية تعرفنا على جزء كبير من الاساطير الاوروبية التي كانت الى حد ما مشتركة لدى سائر الشعوب الجرمانية . وكونت قصص آلهة الشعوب الاسكندنافية واساطيرها ـ أمثال اودن(Odin) آله الحرب ، وبالدر(Balder) الجميل وثور(Thor) آله الرعد ، وفاهالا(Valhalla) قاعة المذبوحين ، ـ نواة الأدب الايسلندي القديم .

دون جميع الأدب الاسكندنافي القديم الذي وصلنا في مخطوطات ايسلندية مع ان بعضه كما هو جلي واضح قد ألف قبل ان وصلت الشعوب الاسكندنافية ايسلنده في أواخر القرن التاسع . وسجل الشعر القديم في مجموعة المخطوطات الملكية (Codex Regius) التي شملت على الادا الشعرية (Poetic Edda) (حوالي ١٢٧٠م) ، ويسمى الشعر احيانا بالشعر الايدي(Eddaic) وينقسم الى قسمين : الاناشيد البطولية التي غالباً ما عالجت عالم الناس ، والاناشيد الاسطورية التي عالجت عالم الآلهة .

الأناشيد البطولية :

تأتي الاناشيد البطولية في المرتبة الثانية في المجموعة الملكية للمخطوطات ولا يستبعد ان تكون أقدم القسمين ، ونشأ الكثير من الاساطير التي بنيت عليها الاناشيد في المانيا او بين القوطيين . ولربما كانت انشودة «هامدسمل» (Hamdismal) التي عبرت بقوة عن المثل البطولية للحياة العشائرية الالمانية ـ اقدمها جمعياً ـ كما شابهت قصتها الى حد كبير قصة اخرى رواها جوردين (Jordane)

عن هامدر . واشارت «انشودة اتلي» (Atlakvida) ـ وهي انشودة اخرى في الادا الشعرية ـ الى حوادث جرت في القرن الخامس في غربي المانيا . وقد كان اتلي (Atli) أو اتيلا (Attila) ملك الهون (Huns) حتى عام ٤٣٤ ـ ٤٥٣ . واقترنت جميع الاناشيد البطولية بقصة «سيكرد» (Sigurd) أو سيجفريد (Siegfried) البطل المقدام وحبه المشؤوم لبرونهلد (Brunhild) الذي تجلى هو الآخر بصور متنوعة في أناشيد مختلفة . ويعتقد الكثير من النقاد أن الاناشيد التي تتعلق بالنزاع الروحي للبطلتين برونهلد وكودرن (Gudrun) ز والتي تميل لأن تكون رومانطيقية وعاطفية كانت مؤلفات لاحقة للاناشيد المتزمتة . وضمت «الادا الشاعرية» جزءاً بسيطاً من الشعر المعروف في ايسلندا العصور الوسطى ، والذي فقد الآن . كما ظهرت قطع من الاناشيد القديمة في ملاحم القرنين الثالث عشر والرابع عشر أمثال «انشودة هلود» (Hlodskvida) في ملحمة هايدرك (Heidreks) وهناك ذكر لابطال دانماركيين وسويديين في بعض القطع التي كانت مسروقة ـ ولاخلاف ـ لمؤلف «بيوولف» (Beowulf) الملحمة المكتوبة بالانكليزية القديمة .

الاناشيد الاسطورية :

كانت الاناشيد الاسطورية عن آلهة الاسكندنافيين تكون النصف الاول «للايدا الشعرية» (Poetic Edda) . ومن غير المحتمل أن أياً من هذه نشأ خارج النرويج وايسلنده والمستعمرات الاسكندنافية في الجزر البريطانية . وكانت «نبوءة السبيل» (The Volus Pa) قصيدة مؤثرة حول تاريخ عالم الآلهة والناس والوحوش منذ البداية حتى فجر الآلهة . وفي القصيدة العديد من النصوص الغامضة ولكن يتفق معظم العلماء المعاصرين بأنها ألفت في ايسلندة حوالي عام ١٠٠٠ عندما كان الناس يتحولون من الدين القديم الى الدين الحديث . ولقد رويت قصة ممتعة عن الآلهة في قصيدة عنوانها «كلمات سكرنير» (Skirnismal) فبينما كان الاله فرير (Freyr) آله العالم جالساً في «برج كيت» (Gate Tower) على عرش أودن (Odin) يحدق في عالم العمالقة اذ شغف حباً بفتاة عملاقة ويتوسل للحصول عليها برسوله سكرنير (Skirnir) الذي يقدم اليها الهدايا ثم يمطرها تهديداً حتى توافق على موعد للقاء

فرير . ورأى العلماء في هذه القصة اسطورة من أساطير الخصب ، وهي بالتأكيد احدى القصائد الاسطورية في «الادا» . وربما كان منشؤها في النرويج قبل أن يستقر النروجيون في ايسلنده .

كانت جميع القصائد الاسطورية التي ذكرناها حتى الآن قصصية ، ولكن الكثير من القصائد في «الادا» كانت تعليمية اذ تألفت «كلمات الاعلى» (أي كلمات الاله اودن)(Havamal Odin) من قطع هي ست قصائد على الأقل . وفي القسم الأول يتكلم الاله عن علاقات الناس ببعضهم بعضاً ، ويسن قواعد للسلوك الاجتماعي . وفي الاقسام الاخرى يتحدث عن الوشائج التي تربط النساء بالرجال ، ويذكر كيف ان حب المرأة يمكن ان يكون مجزياً او خاسراً . اما القسمان الاخيران فهما عن العلامات السحرية الشبيهة بالحروف الرونية ، وما فيها من قدرة . ولربما ألفت معظم القصائد في النرويج في القرنين التاسع والعاشر . اما القصيدة التعليمية «كلمات فافبرودنير»(Vafbrudnir) فتروي مشهد مباراة بين اودين واحد العمالقة .

ظهرت بعض الاناشيد الاسطورية في مخطوطات اخرى . فهناك «احلام بولدر»(Baldrs Draumaer) وتصف كيف أن الاله بولدر حلم بأن حياته مهددة ، وكيف ان والده اودن قصد قبر نبية ليحملها على كشف القدر المخبأ لبولدر .

الاشكال الشعرية في الأدا :

يمكن تمييز ثلاثة بحور شعرية في شعر الأدا : وزن الملحمة او القصة القديمة ، ووزن المحادثة ، ووزن الاغنية . وكانت القصائد القصصية في الوزن الأول الذي تألف من ابيات قصيرة ذات ابقاعين تربطهما ازواج من الجناس . ويمكن ان يتغير ويتنوع عدد المقاطع الضعيفة النبرة ، الا أن العدد الكامل للمقاطع في البيت قلما قل عن اربعة . وهكذا شابه في هذه النواحي الوزن الذي استعمله

الشعراء الانكلوسكسون والجرمانيون القدامى . واختلف وزن المحادثة المستعمل في «كلمات أتلي»(Atlamal) قليلاً عن وزن الملحمة ، مع أن أبياته كانت عادة ذات عدد اكبر من المقاطع الضعيفة النبرة . وكان وزن الأغنية اقل الاشكال الشعرية في الادا انتظاماً ، واصولها اكثر غموضاً . واستعمل هذا الوزن بشكل رئيسي في القصائد التعليمية ، وعادة ما تألف من مقطوعات (ستروفي)(Strophe) ذات ستة ابيات مقسمة الى أنصاف مقطوعات من ثلاثة ابيات .

شعر الشعراء : (Skaldic Verse) .

ألف الشعراء النرويجيون والايسلنديون من القرن الثالث عشر شعراً يسمى سكالدياً . (Skaldic) (من الكلمة الايسلندية سكالدSkald ومعناها شاعر) . ولم ينظم هذا الشعر في البحور الحرة المتغيرة لشعر الادا ، بل كان يعتمد كلية على التفاعيل . وكان على كل مقطع ان يعد ، وعلى كل بيت أن ينتهي حسب شكل معلوم . وربطت الابيات ، «الاسكلدية» ، شأنها شأن الابيات «الادية» ، بالجناس الذي غالباً ما رافقه السجع أو تناغم الاصوات . ولكن اختلف هذا الشعر في نحوه واختيار تعابيره . فهناك حرية أكبر في ترتيب الكلمات ، بالمقارنة بالشعر «الادي» كما استعملت المفردات الشعرية الدقيقة في تخصصها والاطناب بشكل معقد ، لدرجة شابه معها الشعر الاحاجي . ولا نعرف الا القليل عن الاشكال الشعرية السكالدية ، لكن يعتقد أنها طورت في النرويج خلال القرن التاسع ، ويمكن أن تكون تأثرت باشكال الشعراء الايرلنديين وأساليبهم التي تعود الى نفس الفترة . وكان «براغي العجوز»(Bragi The Old) أقدم شاعر معروف . ويعتقد بأنه نظم في النرويج في القسم الثاني من القرن التاسع . وامتدح هرالد الأول(Harald I) (المتوفي حوالي عام ١٩٤٠) عدد من الشعراء من بينهم ثوربجورن هورنكلوفي (Thorbjorn Hornklofi) الذي كانت قصيدته «انشودة هرالد»(Haraldsk vaedi) «سكلدية» و«ادية» في اسلوبها .

ومن الصعوبة بمكان التميز بين الادبين الايسلندي والنرويجي في هذه الفترة ، ويبدو أن الشعر السكالدي نشأ في النرويج وطور على ايدي الشعراء

الايسلنديين الذين قضوا ردحاً طويلاً في النرويج كما هي الحال بالنسبة لايجيل سكالا غرمون (٩١٠ ـ ٩٩٠) (Egill Skallagrimsson) أو نظموا أماديح في ملوك النرويج كما فعل سكفاتر (حوالي ٩٩٥ ـ ١٠٤٥) (Sigvatr) . ومع أن تعقيد الشعر السكالدي هو دون مستوى استحساننا إياه الآن وأقل مما يستحق ، الا ان القصائد التي انتقلت شفهياً في القرنين العاشر والحادي عشر كانت مصادر هامة للمؤرخين الايسلنديين في القرون التي تلت .

النثر : مهد تحول ايسلندا للمسيحية عام ١٠٠٠ السبيل لتأثيرات قوية من اوروبا الغربية ، فقد علم المبشرون الايسلنديين الابجدية اللاتينية ، وسرعان ما شرعوا يتجهون للدراسة في المدارس العظمى باوروبا . وكان اسليفر (Isleifr) (حوالي ١٠٠٥ ـ ١٠٨٠) واحداً من اوائلهم فقد ارتقى الى مرتبة اسقف بعد ان تعلم ودخل سلك الكهنوت . وكانت مدرسته في مكاهولت في جنوبي ايسلنده مقراً للاسقفية ومركزاً رئيساً للعلم . وكان سامندر العاقل (Sammundr The Wise) (١٠٣٣ ـ ١٠٥٦) أقدم مؤرخ معروف ، الا ان آري ثوركيلسون (حوالي ١٠٦٧ ـ ١١٤٨) (Ari Thorgilsson) يعتبر أباً للتاريخ المكتوب بالعامية ، ويقترن باسمه كتاب تاريخ مختصر وعنوانه «الكتاب الايسلنديون» (Libellus Islandorum) والكتاب الاكثر تفصيلاً «كتاب المستوطنات» (Landnamabok) . والمؤلفات التي وصلتنا من هذه الفترة نادرة ومجهولة المؤلفين . ويرجع تاريخ السجلات التاريخية للحوادث المعاصر الى القرن الثالث عشر ، كما ترجع أقدم المخطوطات الدينية التي تتألفت من مواعظ وسير القديسين الى حوالي ١١٥٠م . وظهرت مجموعات اكبر من الادب الديني في مخطوطات تعود الى اواخر القرن الثاني عشر ، وأوائل القرن الثالث عشر . وكما هي الحال في أماكن اخرى فغالباً ما كانت الكتب الاكثر شعبية وانتشاراً هي سير الرسل والقديسين .

الملاحم (The Sagas)

تستعمل كلمة «ساغا» في الايسلندية للدلالة على أية قصة أو تاريخ سواء أكان مكتوباً أو شفهياً . اما في انكلترا فتستعمل للدلالة على سيرة بطل او مجموعة

من الابطال كتبت بالايسلندية بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر . وغالباً ما كان هؤلاء الابطال ملوكاً للنرويج ومؤسسي ايسلنده الاوائل او شخصيات جرمانية اسطورية من القرن الرابع الى الثامن . وأقدم ملحمة هي «التاريخ الأول للقديس اولاف» (Oldest olafs Saga Helga) وكتبت حوالي عام ١١٨٠م وتتبع في شكلها قصص سير القديسين ، مؤكدة على المعجزات التي يجترحها القديس . ولربما كتبت في دير تنكيرار(Thingeyrar) الذي لعب دوراً هاماً في الحياة الثقافية في أواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر .

وكتبت عدة ملاحم عن الملك اولاف تركفاسون(Olaf Tryggvason) ـ الذي تنصر الايسلنديون بترغيب منه ـ في تنكيرار حيث كانت مؤلفات الرهبان خيالية أكثر منها واقعية . وفي الجنوب تأسس اسلوب تاريخي اكثر تحرياً ونقداً على يدي سمندر (Saemundr) وآري(Ari) ، كما كتبت عدة مؤلفات قيمة في سكالهولت(Skalholt) او بجوارها في القرن الثالث عشر مثل «المشوق»(Hungrvaga) ، وهو تاريخ مختصر لاساقفة سكالهولت بدءاً من اسليفر(Isleifr) حتى كلونجر(Kloengr) . وفي أواخر القرن الثاني عشر جلبت عدة مؤلفات تاريخية قصيرة عن الملوك النرويجية من النرويج الى ايسلنده حيث أثرت على المؤرخين الايسلنديين . . وكان كتاب «أغريب»(Agrip) ـ وهو ملخص لتواريخ الملوك النرويجين مكتوباً بالعامية ـ مؤثراً بشكل خاص . أما كتاب «الجلد البديع»(Fagrskinna) فقد غطى نفس الفترة بتفاصيل أكثر ، بينما غطى كتاب «الجلد العفن»(Morkinskinna) ـ الذي ربما كتبت في وقت ابكر ـ نفس الفترة من عهد ماكنوس الطيب(Magnus The Good) (١٠٣٥ ـ ١٠٤٧) الى أواخر القرن الثاني عشر .

كتب سنوري ستيرلوسن (١١٧٩ ـ ١٢٤١)(Snorri Sturluson) افانين عديدة من المؤلفات ، ولعب دوراً هاماً في المهاترات السياسية لعصره . ومن بين الاعمال المعزوة إليه «الادا النثرية»(Prose Edda) وهو دليل في العروض والاسلوب الشعري . وقد زار النرويج مرتين . وتؤلف سير ملوكها الاوائل جزءاً كبيراً من اعماله . كما جمع «تاريخ اولاف»(Olafs Saga) ، مع سيرملوك نرويجين آخرين ليكّون مؤلفاً عنوانه «كرة العالم»(Heimskringla) . وطال النقاش حول قيمة هذه

المؤلفات كمراجع تاريخية . ومما لا شك فيه أن سنوري كان مطّلعاً على التاريخ المكتوب باللغة العامية ، وحاول أن يكتب وصفاً اميناً لما قرأ في سجلات اقدم ، الا انه لم يقصد ان يكتب تاريخاً علمياً ، فكان عمله بذلك خلافاً ، اذ رسم ابطاله بشكل خيالي . واليه يعزى عادة كتاب تاريخ «اكيل»(Egils Saga) المثير .

ملاحم الايسلنديين أو الملاحم العائلية :

كانت هذه الملاحم ذات الأصول المجهولة تتحدث عن ابطال يفترض أنهم عاشوا في القرنين العاشر او الحادي عشر . ومن المشكوك فيه انها كانت سجلات تاريخية صادقة . وتقول احدى النظريات انها ألفت في القرن الحادي عشر وانتقلت شفهياً حتى كتبت في القرن الثالث عشر . ورغم أن الباحثين الآن يرفضون وجهة النظر هذه ، فقد ظل صحيحاً أنها مدينة بالكثير الى القصص الشفوية وتقاليد الشعر الشفوي يظل صحيحاً . ومن الصعب التحقق من تاريخيتها لأن مضمونها وشكلها قررتهما المصادر التي استعملت واهداف المؤلفين . وفيما قصد الكتاب السابقون ان يكتبوا تاريخاً يستند على الوقائع ، اعتمد آخرون على خيالهم مستبقين الرواية التاريخية بان اسندوا احاديث للشخصيات المختلفة .

من الصعب تحديد تاريخ الكثير من الملاحم لأن المؤلفات الأولى ـ كما تبدو بوضوح ـ بدائية التركيب وتعبر عن مثل اسكندنافية في الاخلاص والبطولة . اما ملاحم جسلا(Gisla Saga) التي نظمت قبل منتصف القرن الثالث عشر فقد اظهرت تطوراً في المهارة الفنية وانطوت ثناياها على أوصاف غنية للطبقية ، وهي قصائد ذات جمال أخاذ ، وشعور مأساوي . وكانت «ملحمة رجال لاكساردال» (Laxdaela Saga) التي كتبت بعد ذلك بسنوات قليلية مأساة متقنة الاخراج ، أبدى فيها المؤلف تذوقاً غير عادي للجمال المرئي . ومن الواضح ان «ملحمة هرافنكل تمسيس فرير» (Hrafnkels Saga Freysgoda) كانت من خلق كاتبها . وبالرغم من التفاصيل الواقعية فلا تحتوي الملحمة الا القليل من الحقائق التاريخية . وبمرور القرن نشأ ميل للعناصر الغريبة والرومانطيقية اذ اشتملت ملحمة «كريتر القوي»(Grettis Saga)

على عدة عناصر قصصية من القصص الشعبي ، وصورت بطلاً يحارب ضد الاقزام الخرافيين والاشباح .

وفي الواقع ، كان لاعظم الملاحم الاسكندنافية ، وهي «ملحمة انجال» (Njal Saga) بطلان وهما انجال وكونار(Gunnar) . فبينما كان كونار شاباً غراً ، كان انجال عاقلاً وحكيماً يتمتع بموهبة النبوءة ، ويشخص المثل الاسكندنافية التقليدية للاخلاص والشجاعة ، ومع ذلك يواجه الموت حرقاً مستسلماً لقدره كالشهيد المسيحي .

الملاحم البطولية :

طور عنصر الخيال الجامح أبعد من ذلك في «ملاحم الماضي» أوما يسمى بالايسلندية(Fornalder Sogur) التي يفترض ان ابطالها عاشوا في اسكندنافيا والمانيا قبل أن استقرت ايسلنده . وأفضل مثال معروف على هذا النوع من الملاحم «ملحمة فولسنجا»(Volsunga Saga) (حوالي ١٢٧٠م) التي اعادت نثراً رواية قصص من ملاحم سيكارد(Sigurd) البطولية والبورغنديين والجور منركر (Jormunrekr) ، «وملحمة هرلوف»(Hrôlfs Saga Kraka) التي دمجت التقاليد القديمة ببعضها بعضاً عن الابطال الدانمركيين والسويديين الذين ظهروا أيضاً في القصائد الانكليزية القديمة «ودسيث»(Widsith) «وبيوولف»(Beowulf) ومع أن هذه الملاحم البطولية لا توازي في قيمتها الادبية ملاحم الايسلنديين الا انها تمدنا بمعلومات قيمة عن الاساطير القديمة والشعر البطولي المفقود .

وجمعت الكثير من المؤلفات في التاريخ المعاصر حوالي عام ١٣٠٠ في «ملحمة ستيرلونغا»(Sturlunga Saga) متضمنة ملحمة «ايسلندنجا»(Islendinga Saga) من تأليف ستيرلا توردارسون(Sturla Thordarson) .

الترجمات من اللاتينية :

ترجم قدر من الادب العلماني من اللاتينية بين القرنيين الثاني عشر والرابع عشر . وجمعت «تنبوءات ميرلين» التي ترجمت شعراً على يد راهب ـ مع ترجمة كاملة

لتاريخ جفري اوف مونمث وسميت المجموعة «قصص البريطانيين» (Brita Sogur) . وفي مخطوطة من القرن الرابع عشر نجد نفس المؤلف ، وقد سبقته ملحمة اخرى اسمها «قصة الطروادين» (Tro jumanna saga) مترجمة عن دارس فريجيوس (Dares Phrygius) . وبدأت ترجمة نرويجية للانجيل في عهد هاكون الخامس مكنوسون ١٢٩٩ ـ ١٣١٩ (Haakon V Magnusson) .

الرومانسيات :

ترجمت الرومانسيات أوكيفت عن رومانسيات اوروبية . وقد بدأ الاهتمام بالرومانس في النرويج ، وسرعان ما نما في ايسلنده . ولربما كانت رومانسية ، «ترسترام ساغا» (Tristrams Saga) (١٢٢٦) ـ التي كتبت للملك هاكون الرابع وأتخذت الشاعر الانكلونورماندي توماس أصلاً لها ـ اقدم الرومانسيات ، بينما نجد أن «تاريخ شارلمان» (Karlamagnus Saga) هو عبارة عن مجموعة من ترجمات نثرية من الاناشيد البطولية الفرنسية تضم نسخة اسكندنافية لانشودة رولاند . وكانت الرومانسيات بالايسلندية عديدة ، وأثرها على اسلوب كتاب لاحقين واضحاً في ملاحم مثل «لاكسدالا ساغا» (Laxdaela Saga) «وغريتس ساغا» (Grettis Saga) .

أدب ما بعد الفترة الكلاسيكية في ايسلنده :

كتب القليل مما يثير الاهتمام خارج ايسلنده في الفترة التي تلت العصر الكلاسيكي اذ تدهورت الواقعية والموضوعية ، وسيطرت العاطفية ومعها الخيال المبالغ فيه . ويعزي الانحطاط في المستويات الادبية احياناً الى فقدان ايسلنده استقلالها عام ١٢٦٢م ، والى التغييرات التي تلتها . وأستمر الاهتمام بالمخطوطات السابقة ، كما جمعت مجموعات عديدة من المخطوطات التي تعود الى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وتضم مادة تعود الى القرن الثالث عشر . وقد أحتوت مخطوطة «فلا تيجار بوك» (Flateyjarbok) ، وهي اجمل المخطوطات جميعاً ، نسخاً

من ملاحم اولف تركفازون (Olf Trygvason) والقديس اولاف ، بالاضافة الى نصوص من ملاحم اخرى او حول ابطال يقرنون بايسلنده .

النثر : تضمن أدب نثر القرن الرابع عشر عدة ملاحم ، وكان من بينها «ملحمة فينبوغي القوي» (Finnboga Saga Roma) التي تروي قصة بطل من القرن العاشر ، وأخرى تروي قصة حب بطلها فكلندر (Viglunder) . وازداد عدد الملاحم التي تروي قصص الاساقفة ، وكان هذا قد أصبح موضوعاً في القرن الثالث عشر ، كما أصبحت سير القديسين الاجانب . وبالاضافة الى ذلك تم تصنيف مجموعة كبيرة من القصص التي تضرب مثلاً على ناحية اخلاقية .

الشعر : كتب الكثير من الشعر حتى فترة الاصلاح ، واستنبطت اشكال شعرية عديدة . وكانت أفضل القصائد مقطوعات دينية تكريماً للعذراء والرسل أو القديسين الآخرين . ووصفت قصيدة مشهورة اسمها «الزنبقة» (Lilia) ـ كتبها ايشتاين ازغرمسون (Eysteinn Asgrimson) وهو راهب من ثيكفابر (Thykkvabaer) في الجنوب ـ سقوط الشيطان والخلق والخطيئة الاولى ومولد وحياة وآلام المسيح . واستعمل اصطلاح القافية (Rimur) للدلالة على الشعر القصصي الذي تطور بعد عام ١٥٠٠ ، والذي تألف من قطع شعرية غنائية من نوع الـ «ستروفي» مكونة ـ بشكل رئيسي ـ من أربعة أبيات . وكانت الابيات مقفاة . اما الاشكال العروضية التي استعملت ، فقد ورثت النظام الجناسي للشعر السابق ، ورغم ما يخيل ظاهرياً انها مشتقة من الترانيم اللاتينية . ولم تتمتع القصائد البطولية القصيرة من نوع «البالاد» التي كتبت بالايسلندية بالشعبية التي تمتعت بها مثيلاتها في الدنمارك بل لم تبلغ المستوى الرفيع للقصائد المساة «قصائد الاحلام» (Draumkvaede) من نوع «البالاد». ويعود تاريخ معظم القصائد التي حفظت الى القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ، وكانت ترجمات حرة لاصول دانماركية ونرويجية .

الأدب السويدي :

بدأ الادب السويدي الصحيح في أواخر القرون الوسطى عندما برزت اللغة السويدية كلغة مستقلة بعد ردح طويل من التغير اللغوي . وأرسيت أسس أدب قومي في القرن الثالث عشر . وكانت أقدم مخطوطة كتبت باللغة السويدية القديمة «قانون غربي غوتلاند» (Vastgotalagan) وهي جزء من دستور قانوني جمع عام ١٢٢٠ . وغالباً ما استعملت هذه الوثائق القانونية اخيلة محسوسة ، كما استعملت الجناس وجرساً نثرياً وقوراً يتناسب وطبيعتها الاعلانية . وقد وصلنا عدد منها .

ومثل الشعر الفروسي للمرة الاولى في «اغاني يوفيميا» (Eufemia Nisorna) مكتوبة على بحر محطم الوزن يسمى التافه (Doggerel) ما بين عامي ١٣٠٣ و١٣١٢ . وهذه تضمنت ترجمة لرومانسية كريتان دوتروي المسماة ايفان (Yvain) وبدورها فان القصائد البطولية القصيرة من نوع «البالاد» ـ التي لم يعرف مؤلفها ، والتي قد تعود الى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ـ عكست اهتماماً جديداً في الرومانس ، وجمعت المواضيع البلاطية بالمحلي منها . وروت واحدة من أفضلها وعنوانها «أب سكملسون» (Ebbskammelsson) ذات الاصل الدانمركي قصة كئيبة عن الحب والانتقام ، تعدلها آثار من المثل المسيحية والفروسية . ومع ان هذه القصص البطولية القصيرة مستقاة بشكل رئيسي من مصادر اجنبية ، وتجمع ـ في اطارها ـ مثلاً مستوردة من الحب البلاطي مع الحب المحلي والمواضيع الوثنية والحوادث التاريخية ، الا انها شكلت النوع الادبي الايسر فيما يمكن ان يسمى الادب السويدي الوسيط .

الأدب الدانمركي :

ظهر الادب الدانمركي للمرة الاولى في النقوش الرونية (الحروف الاسكندنافية القديمة) على الحجر أو المعدن ، وهي بصورة رئيسية كتابات على شواهد قبور المحاربين والملوك والقساوسة ، وتتكون من أشعار جناسية قصيرة غير

مقفاة تتصف بالروح التي تميز بها القراصنة الاسكندنافيون . واستعملت النقوش الرونية في الدنمارك من حوالي عام ٢٥٠م ، لكن معظم التي وصلتنا تعود بتاريخها الى الفترة ما بين ٨٠٠ و١١٠٠ . وبدخول المسيحية أصبحت اللاتينية اللغة الادبية المسيطرة . كتب سكسوغراما تيكوس (Saxo Grammaticus) أول مساهمة دانمركية هامة للأدب العالمي باللاتينية ، عندما ألف كتاب «أعمال الدانمركين» (Gesta Danorum) بين عامين ١١٨٥ و١٢٢٢ . وهو على سبيل المثال يتضمن قصة «هاملت» . وتعتبر القصص البطولية القصيرة من نوع «البالاد» الوسيطة في الدنمارك من بين أهم ما كتب في اوروبا . وهناك ٥٣٩ قصيدة لها ٣٠٠٠ نسخة ، لكن جلها تقريباً كانت مكتوبة بعد نهاية العصور الوسطى . وقد ظهرت أول طبعة عام ١٥٩١ .

الفَصْلُ العَاشِر

الأدب الايطالي الوسيط

الكتابة العامية القديمة :

حتى القرن الثالث عشر كانت جميع المؤلفات التي كتبت باللاتينية ذات طبيعة عملية بشكل كاسح ، وانتجها كتاب تدربوا في المدارس الاكليريكية ، وهي ادنى مستوى من تلك التي قدمتها فرنسا سواء من ناحية القيمة الادبية ام التنوع . ولم يعثر الا على اجزاء صغيرة من الشعر الايطالي المنظوم بالعامية قبل القرن الثاني عشر ، مع ان عدداً من الوثائق القانونية كان قد كتب بالعامية . وعكس الشعر الذي وصلنا من القرنين الثاني والثالث عشر الأثر الادبي الفرنسي الذي يتبين مداه من تماذج المواضيع واللهجات الفرنسية والايطالية في مؤلفات الشاعر البروفنسالي رامبوتز دوفاكيرا (Raimbautz de Vaqueiras) الذي كانت احدى قصائده حواراً بين محب بروفنسالي وسيدة من جنوا باشعار نظمت بالبروفنسالية واللهجة الجنوبية على التتابع .

الايطالية - الفرنسية :

شاعت الرومانسيات الفرنسية النثرية منها والشعرية في ايطاليا بدءاً من القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر ، فقد اكب على قراءة القصص - من الحلقات «الكارولنجية» «والآرثرية» مع ترجمات حرة من الادب الكلاسيكي - كل القادرين على القراءة ، بينما انشد الشعراء الشعبيون المتجولون الشعر في الاماكن العامة في شمالي ايطاليا . وفي حوالي القرن الثالث عشر تطور أدب فرنسي ايطالي مشترك .

وغالباً ما نسخ الايطاليون القصص الفرنسية كيفين الحوادث المختلفة وموسعين اياها ، موجدين بذلك رومانسيات جديدة بالفرنسية حول شخصيات من مؤلفات فرنسية . وتشمل الأمثلة على هذه المؤلفات الجديدة كتباً مثل «دخول اسبانيا» (Entrée d'Espagne) وفتح «بامبلون» (Prise de Bampelune) والرومانسية النثرية «ريح بافاريا الشمالية» (Aquiton de Baviere) لمؤلفها رفائيل مارمورا (Raffael Marmora) وقصائد حول مواضيع كلاسيكية أمثال هكتور (Hector) وفارسال (Pharsale) وأتيلا (Attila) . ومع ان اللغة المستخدمة كانت الفرنسية الا أنه في جميع هذا الأدب أدخل الكتاب دونما ادراك منهم عناصر من لهجاتهم كل بقدر المامه باللغة الفرنسية . وألم كتاب مؤلفات نثرية هامة ـ أمثال مارتينو كانال (Martino Canale) وبرونيتولاتيني (Brunetto Latini) اللذين كتبا «تاريخ اهالي البندقية» (La Cronique des Venisiens) «وكتب الكنز» (Li Livres dou Trésor) على التوالي ـ الماما أفضل بالفرنسية ، بينما كتب شعراء امثال سوردلو أوف مانتوا (Sordello Of Mantua) قصائد غنائية بالبروغنسالية مظهرين بذلك رسوخ قدمهم باللغة والعروض البروفنساليين . وكانت القصائد الغنائية البروفنسالية شائعة شيوع الرومانسيات الفرنسية ، كما درس الكتاب الايطاليون بعناية مجموعات من هذا الشعر .

المدرسة الصقلية :

كتبت القصائد الغنائية التي نظمت حسب الأشكال والمواضيع البروفنسالية باللغة العامية الدارجة وذلك في البيئة المثقفة للبلاط الصقلي للأمبراطور الروماني المقدس فردريك الثاني (Frederick II) الذي حكم المملكة الصلية ما بين عامي ١٢٠٨ و١٢٥٠ . وحرص الشعراء على إزالة العناصر المحلية الى أبعد الحدود من لغتهم ، واستعملوا كلمات يتميز بها التقليد الأدبي لشعراء التروبادور ، كما اعتبر الشعر هروباً من قضايا جدية في الحياة . ومما له دلالته أن شعر الحب البروفنسالي وليس الشعر السياسي هو الذي قلدته المدرسة الصقلية . ويبدو أن الأمبراطور نفسه ، وهو مؤلفٌ لقصيدتينِ على أقل تقدير ، قد استعمله بهذا الشكل ، كما كتب وزيره بيرو دلا فينا (Piero della Vigna) عن النظرية السياسية بالنثر

اللاتيني ، وعن الحب بالشعر الصقلي . ولم يعالج الشعراء موضوع الحب بشكل جدي ، ولذا كان الكثير من القصائد تقليدياً مع أن جياكومو دا لانتينو(Giacomo da Lentino) الذي نسب اليه مع غيره فضل اختراع القصيدة الغنائية المعروفة باسم « السونت » (Sonnet) وجياكومو بوكلييز (Giacomo Pugliese) كتبا بحيوية تبعث على الانتعاش النفسي .

الشعراء التوسكانيون :

مع أن الشعر الصقلي ظل يكتب بعد وفاة فردريك الثاني إلا أن مركز النشاط الأدبي انتقل الى توسكانيا حيث أدى الاهتمام بالقصيدة الصقلية الغنائية الى عدة حالات من التقليد قام بها كيتون دارزو (Guitone d'Arezzo) وأتباعه . ومع أنه قام بعدة تجارب في الأشكال الشعرية المعقدة فقد مازجت لغته عناصر من اللهجة المحلية بلاتينيات وبروفنساليات ، هي خلو من روعة جمال المدرسة الجنوبية . ونظم الشعراء التوسكانيون قصائد غزلية بشكل تقليدي ممل ، لكنهم أظهروا أنهم آصل نفساً من الشعراء التروبادور ، عندما أخذوا بمعالجة المواضيع السياسية ، عاكسين بذلك الوضع في أواسط إيطاليا حيث مزقت التحزبات المناطق(Communes) الحرة . وفضلاً عن الشعر الغنائي جادت توسكانيا بقصائد مجازية أطول مثل قصيدة « تسورتو » (Tesoretto) لناظمها برونتو لاتيني (Brunetto Latini) .

الأسلوب الجديد (The NOVO » Style) :

بينما كان كيتون (Guittone) وأتباعه يكتبون وينظمون طرأ تطور جديد على شعر الغزل يتميز بالاهتمام في التعبير الدقيق والصميمي وبمعالجة جدية جديدة للحب. وأصبح من المعتاد التحدث عن مدرسة جديدة من الشعراء ذوي الأسلوب « الطلي الجديد » (Dulce Stilnovo) وهذا تعبير استعمله دانتي في « الكوميديا الإلهية » بنص شدد فيه على أناقة التعبير المناسب لموضوع الحب. وضمت هذه المدرسة الجديدة فيمن ضمته شعراء مبرزين أمثال كيدو كينزلي من بولونيا(Guido

(Guinizelli of Bologna وكيدو كفلكنتـــي (Guido Cavalcanti) ، ودانتـــي في قصائـده « الحياة الجـديدة » (La Vita nuovo) و « سينـودا بستـويا » Cino da) (Pistoia فضلاً عن شعراء دونهم مستـوى أمثـال لابـو جيانـي (Lapo Gianni) وجياني الفاني (Gianni Alfani) ودينو فرسكوبالدي (Dino Frescobaldi) .

ويبدو أن هؤلاء أثروا ببعضهم بعضاً إذ اشتهر كيدو كوينزلي بقصيدته التـي مطلعها « بمشاعر القلب الرقيق يرى الهوى أبـداً ملاذه . . . » وهـذا ما أدى الى منعطف جديد هو إثارة مسألة العلاقـة بـين حب المرأة وحـب الله . وسرعـان ما استحسن كفلكنتي شعره . والأخير شاعر غنائي جدي ذو موهبة رفيعة ، وكانـت معظم قصائده مأساوية ، وأنكر أثر الحب الذي يتسامى بالنفوس نبلاً حسبما أشار كوينزلي . وأعجب دانتي بكفلكنتي الاعجاب كله ، إلا أن مفهومـه عن الحـب الذي أوحى به هوى بياتريس (Beatrice) التي زايلت الحياة بميعة صباها عام ١٢٩٠ تساوي أكثـر من مفهومـه له إزاء كوينـزلي . أمـا مجموعـة دانتـي المسماة « الحياة الجديدة » ١٢٩٣ فوصف لقصة حبه في قصائد يربطها قالب من النثر البليغ :

«الله هو أصل بياتريس لذا فهي قادرة على تحقيق الحب والحقيقة والايحاء بحب الله . إلا أن موتها ضروري لمحبها كي يصل الى درجة الصفاء والطهر». واستعمل سينودا بستويا(Cino da Pistoia) مفـردات «الشعـراء الجـدد»(Stinovisti) ، كما استحق هؤلاء لقبهم عن جدارة لما اتصفوا به من أصالة وجزالة . وتكشف المقارنة بـين لغتهـم ولغـة الشعـراء التوسـكانيين السابقـين التهـذيب الواسـع للهجـات التوسكانية ، إذ أزيلت الصفات المحلية المميزة ، وهـكذا تكونـت اللغـة الأدبية الايطالية الفصحى .

الشعر الهزلي :

كان الشعر الهزلي على طرفي نقيض وشعر الحب الجدي . وغالباً ما كانـت اللغة مصقولة وعامية ، وأحياناً بذيئـة عن قصـد تمشياً ومضمـون المواضيع التـي

يعالجها الشعر . ويرجع هذا الضرب من الشعر الى تقليد أوروبي مدين الى حد ما للشعراء « الكوليارد » (Goliard) الهجائيين الذين عاشوا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر والذين نظموا أشعاراً لاتينية بمديح المتعة أو بهجاء النساء ، أو الأعداء الشخصيين أو الكنيسة . وكان الشعراء الهزليون ـ الذين عكفوا على نظم المغناة المسماة « سونِتْ » صيغة لشعرهم ـ رجالاً مثقفين بلا استثناء . وأقدمهم جميعاً رستيكو دي فيليبو (Rustico di Filippo) الذي قرض شعر حب بلاطي ، وشعراً خشناً وأحياناً بذيئاً من النوع الواقعي . وكان سيكو انجيوليري (Cecco Angiolieri) من أشهرهم وأكثرهم تنوعاً . وبمهارة وسخر بقصائد حبه من كتاب الأسلوب الحديث بطريقة التقليد الهزلي . وكان موضوعه المفضل هو خسّة أبيه . أما فولكور دي سان جيمينانو (Folgore di san Ginignano) فاشتهر بقصائده الغنائية من نوع « السونت » (التي احتذت الأنماط اللاتينية) حول المتع الدنيوية التي اعتبرها مناسبة لأشهر السنة وأيام الأسبوع المختلفة وهناك ناحية أكثر جدية بالنسبة للشعراء الهزليين وتتمثل بذلك الاهتمام المتحمس للسياسية الذي هبرت عنه بأسلوب مباشر وقوة نقدية مؤلفات بيترو دي فاتينللي (Pietro dei Faitinelli) وأتبع دانتي الأسلوب الهزلي في « مراسلات » (Tenzone) تبادلها مع فورس دوناتي (Forse Donati) .

الشعر الديني :

كانت « انشودة الشمس » (Cantico di Frate Sole) أو ما يسمى « مدائح الخلق » (Laudes Creaturarum) (حوالي عام ١٢٢٥) للقديس فرانسيس أوف اسيسي (St. Francis of Assisi) إحدى أوائل القصائد الايطالية . واتخذت صورة نثر إيقاعي ، وأدخلت السجع بدلاً من القافية ، واستعملت اللهجة « الأُمبرية » (Umbrian) . وفيها يمتدح الاله لكل ما خلق. ومن المحتمل أن القديس فرانسيس ألف كذلك موسيقا مصاحبة. وأصبحت المدائح بعد وفاته شكلاً عاماً من أشكال الغناء الديني الذي ركبت موجتَه الجمعياتُ الدينية من العلمانيين الذين تجمعوا ليتغنوا بتمجيد الإله والقديسين ، وليستذكروا حياة وآلام المسيح . وكان الشاعر

الـوحيد الموهـوب حقـاً هو جاكوبـون د تـودي (Jacopine da Todi) الناسـك الفرنسيسكانـي ، وكان ينصرف بمدائحـه بشـكل خاص لمعالجـة موضـوع الفقـر الروحي . ومع أن جاكوبـون لم يكتـب حسـب فن واعٍ ، كان بعض مدائحـه بديعاً .

كان الشعر الديني في شمالي ايطاليا اخلاقياً بشكل رئيسي ، تداخله نظـرة تشاؤمية عن الكون ذات جذور تمتـد الى أفـكار هرطقية مأخـوذة عن المانـوية[1] (Manichaeism) التي رأت أن هذا العالم والجسد شر تحت سيطرة الشيطان وكان ناظم قصيدتي : دي جيروزاليم سلستي (De Jerusalem Celesti) «ودي بابلونيا نفرنالي» (De Babilonia Ingernali) وهو الشاعر الفرنسيسكاني جياكومينودا فيرونا (Giacomino da Verona) أكثرهم حيوية وأبعدهم خيالاً . ويتكون مؤلفـان من مؤلفـات بونفيسـان دالاريفـا (Bonvesin da la Riva) من حوار بـين العـذراء والشيطان ، وأحدهما من حوار بين الجسد والروح . ونُظِّم هذا الشعر من شمالي ايطاليا بلغة متميزة عن اللهجات الايطالية الوسطى ، إلا أنها تجنبت الى حد كبير العناصر المحلية أو العامية .

بدأ النثر الأدبي باللهجات العامية الدارجـة في القـرن الثالـث عشر مع أن اللاتينية ظلت لغة الكتابات اللاهوتية والفلسفية والقانـونية والسياسية والعلمية . وتألف الكثير من النثر الايطالي القديم من ترجمات عن الفرنسية واللاتينية . وأثرت اللاتينية على تركيب الجملة في النثر المتطور وكذلك على الوعي الفني للمترجمين . ويتألف أقدم النثر الأدبي الأصيل من الرسائل التي تتبع القواعد البيانية الوسيطـة للنثر اللاتيني ، وتتخذ أنماطاً إيقاعية لنهاية الجمـل وأشباههـا ، وتستعمـل النثـر المسجوع المشفوع بالمحسنات البديعية والتلاعب بالألفاظ . وقدّم كيدوفابا (Guido Faba) ـ أستاذ البيان ومؤسس الأسلوب النثري الايطالي المنمق ـ أمثلة على دروسه البيانية من الأساليب النثرية البولونية (Bolognese) . كما جنـح كيتونـي دارزو (Guittoni d'Arezzo) أبرز تابع له في كتابة الرسائل نحو أسلوب المبالغة . أما نـثر

---

(١) المانوي : أحد اتباع ماني الفارسي ٢١٦ ـ ٢٧٦ الذي دعا الى عقيدة وثنية، قوامها الصراع بين النور والظلام .

رستورو دارزو (Ristoro d'Arezzo) الواضح والعلمي في مؤلف « إنشاء العالم » (Composizione del Mondo) ، وفي القصص البسيط لمجموعة القصص الفلورنسية «ال نوفيلينا » (Il Novellina) فعلى طرفي نقيض من أسلوب كيتوني . والتحفة النثرية للقرن الثالث عشر هي كتاب « الحياة الجديدة »(La Vita Nuova) (حوالي ١٢٩٣) لدانتي ، الذي،ولو لم يكن النثر العامي عهد ذاك من سليقته، فكان أحياناً كثير التكرار والتعقيد ، لكنه جمع الى جانب ذلك البساطة والرشاقة والطاقة الشاعرية التي تنشأ من العمق الغامض الذي يكمن تحت بعض الكلمات الرئيسة في الجملة .

القرن الرابع عشر :

سيطر أدب إيطاليا في القرن الرابع عشر على أوروبا لقرون تلت . ويمكن اعتباره نقطة بدء عصر النهضة . وهنا تبرز ثلاثة أسماء هي : دانتي وبترارك وبوكاتشيو .

دانتي ، ـ ان دانتي الجيري (Dante Alighieri) أحد أهم الأسماء وأكثرها تأثيراً في جميع الأدب الأوروبي ، الا أنه لم يشرع بكتابة أعماله الكبرى إلا بعد نفيه عام ١٣٠٢ . وكان مقاله « الوليمة » (Il Convivio) (حوالي ١٣٠٤ ـ ١٣٠٧) ـ الذي يكشف عن إحاطته الكاملة بالفلسفة « السكولاستية » المدرسية ـ أول مثال رائع لمقال باللغة العامية الدارجة ، إذ تجنب فيه مهارة الكتاب الشعبيين المتكلفة في استعمال اللغة ، وسطحية المترجمين من اللاتينية . وقد ضم كتابه « فصاحة اللغة العامية » (De Vulgari Eloquentia) ـ ويعود لنفس الوقت ـ أول نقاش وتعريف نظري للغة الايطالية الأدبية . ولكن ظل هذان المؤلفان ناقصين . وفي كتاب مذهبي لاحق عنوانه « حول الملكية » (Monorchia) حوالي ١٣١٣ شرح نظرياته الفلسفية التي دعت الى دمج القوتين الوسيطيتين البابا والامبراطورية . وتجلت عبقرية دانتي بتطورها الكامل في الكوميديا الإلهية (حوالي ١٣١٠ ـ ١٣١٤) وهي قصيدة مجازية نظمت حسب الوزن العروضي « الثلاثي القافية »

(Terza Rima) (وتتألف القصيدة فيه من « مقاطع شعرية » (Stanzas) ، كل من ثلاثة أبيات وتبلغ بمجموعها ١١ مقطعاً مقفى كالتالي : ا ب ا ، ب ت ب ، ت د ت . الخ) . وهذا السفر هو التحفة الأدبية الوسيطة ، وأعظم إنتاج عقلي لأي إنسان . أما المجاز الأساسي للكتاب فمرده القرون الوسطى ويتخذ شكل رحلة لعالم ما وراء القبر يعمل فيها الشاعر الروماني فيرجيل وبياتريس كمرشدين يمثلان العقل والثقة بالتتابع . وتقسم الكوميديا الى ثلاث « قصائد قصصية » (Canticһe) وهي « الجحيم » (Inferno) ، و « المطهر » (Purgatorio) « والفردوس » (Paradiso) وكل منها مقسم الى مناطق مجازية في مدلولاتها وتحوي ٣٣ جزءاً ، ويسمى كل منها « كانتو » (Canto) يسبقها جزء واحد كتمهيد لها جميعاً ، ومن خلال تجربته وخبرته التي يكتسبها اثناء الرحلة تتبدّى لدانتي واضحة بيّنة درجات اللعنة والتكفير والسعادة القصوى . أما أوج القصيدة فرؤياه الموقنة لله ، وعماد عظمتها تلك القدرة التخيلية المعقدة للتركيب والثروة الشعرية التي لا نفاد لها والمضامين المستمرة للمعاني الروحية .

بترارك (Petrarch):كانت إهتمامات فرانسيسكو بتراركا(Francesco (Petrarca) (توفي عام ١٣٧٤) أدبية أكثر منها فلسفية . فآراؤه السياسية أرسخ واقعيةمن دانتي، وتكتيكه الشعري أكثر تعقيداً، مع أنه أقل قوة. وكان أثر بترارك على الأدب بليغاً ودائماً ، ممتداً من الانسانيين الايطاليين للقرن الذي تلا الى شعراء أوروبا الغربيةوعلمائها في سائر اصقاعها. رفض المدرسية «السكولاستية» الوسيطة ، واتخذ من الكتاب اللاتين الكلاسيكيين وقادة الكنيسة نماذج احتذاها . وهذا التداخل من الاهتمامات ظاهر في أعماله الفلسفية والدينية معاً . لقد أوحت اليه المثل الانسانية أن ينظم قصيدته « أفريقيا » (Africia) ويكتب مؤلفاته التاريخية . الا أن مؤلَّف « أسراري » (Secretum Meum) غاية في الأهمية إذا ما أردنا أن نستكنه بعمق مثله المتصارعة ، التي وجدت لها كذلك تعبيرها في كتابه « القافية » (Canzoniere) وهو مجموعة من القصائد من نوع « السونت » ومن أغانٍ وأشعار من ستة أبيات ، ومن قصائد « البالاد » والقصائد القصيرة من نوع « المدرغال » (Madrigal) . ومع انها بمجموعها منظومة بالعامية الدارجة وقصد

بها أن تروي قصة حبه لورا (Laura) ، تظل في واقعها تحليلاً وإثارة ليس لحب آني ، ولكن افصاحاً عن العاطفة التي تغلّب عليها ؛ ولذا يمكن القول بأن العنصر الرئيسي في هذا الشعر يكمن في غناه الفني وتعقيده ، وان عكس دوماً النـزاع الروحي الأصيل الذي كشف عنه بترارك في « أسراري » . وبالاضافة الى كتابه « القافية » نظم بترارك ـ حسب التقليد الوسيطي ـ قصيدة رمزية بالعامية الدارجة سماها النصر (Il Triomfi) إلا أنه كان ينقصها الإلهام الأخلاقي والشاعري لقصائد دانتي العظيمة .

وبسرعة تطورت الظاهـرة الأدبية المعروفـة بالبتـراركية خلال حياة الكاتـب وظلت تنمو عبر القرون الثلاثة التي تلـت ، مؤثـرة بعمـق على آداب ايطـاليا ، واسبانيا ، وفرنسا ، وانكلترا . ولـم يكتفِ خلفاؤه بأن قلّـدوه بل تبنـوا ممارستـه للنظام الأدبي الصارم وأشكاله بما في ذلك القصيدة المسماة « السونت »(Sonnet) التي هيهات أن نتصور النهضة الأوروبية الأدبية بدونها .

بوكاتشيو : (Boccaccio) : كانت مؤلفات بوكاتشيو أدبية صرفة ، خلواً من أية مضامـين ايديولـوجية . واقتبس الكثير في روايته الأولى « الفيلوكولـو »(Il Filocolo) من الرومانسية الفرنسية « فلوار وبـلانش فلـور »(Floire et Blanche Fleur) ولذا لم تكن أكثر من تجربة أدبية . وظهر عجزه عن أن يكتب على مستوى ملحمي في قصيدتيه « الفيلوستراتو » (Il Filostrato) « وتسيده » (Teseida) ، بينما تجلى في روايته نينفالي داميتو»(Ninfale d'Amito) (١٣٤١ ـ ٤٢) المكتوبة نثراً أثر الأدب الكلاسيكي على تكوين أسلوبه . أما « الديكا مرون »(Decameron) (١٣٤٨ ـ ١٣٥٣) ، وهي مجموعة من مائة قصيدة مقسمة الى عشرة أيام فأكثـر مؤلفاته نضوجاً وأهمية ، إذا متدّ مدى معالجتها ، آخذاً بأطراف المجتمع المدنـي المعـاصر من الهـزلي الى المأسـاوي . ولمّا كانـت أكمـل مثـل على النثـر الايطـالي الكلاسيكي أسلوباً ، ذا كان واسعاً تأثيرها على أدب عصر النهضة .

وشارك بوكاتشيو عصره في اهتماماته الانسانية ، متجلية في مقالاته ورسائلـه الـلاتينية . ولاعجابـه بدانتـي ألف كتابـاً سماه « تراتاتلـوان لودي دي دانتـي » (Trattatello in Laudi di Dante) وتعليقاً على السبعة عشر كانتو من حجيم دانتي ،

كما أسهم في الشعر المجازي في قصيدته « لا موروسا فيزيوني » (L'amorosa Visione) ١٣٤٢ ـ ٤٣ .

الأدب الشعبي والرومانسيات :

ظلت فلورنسا خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر مركزاً للحضارة لكن أدبها طور لنفسه شخصية أكثر شعبية . وكان انطونيو بوتشي (Antonio Bucci) (توفي عام ١٣٨٨) خير ممثل معروف لهذا التطور وشمل انتاجه الواسع « سنتيلوكويو » (Centiloquio) وهو نظم شعري لكتاب « كرونيكا »(Cronica) لجيوفاني فيلاني (Giovanni Villani) .

ومثّل الأدب، القصصي الفلورنسي « بسروني أو المغفل » (Pecorone) ، وهو مجموعة قصص كتبها سيرجيوفاني فيورنتينو(Ser Giovanni Fiorentino) حسب نمط أرسى قواعده بوكاتشيو وكتاب « ثلاثمائة قصة قصيرة »(Trecento Novelle) لمؤلفه فرانكو ساشيتي (Franco Sacchetti) وهي تمدنا بوصف حيوي زاهٍ للناس وللأماكن .

استمرت اعادة صياغة الحلقات الآرثرية والكارولنجية حسب المناحي التي استقرت عليها خلال القرن الثالث عشر . وزادت المجموعات النثرية والشعرية كماً ، وبزيادتها زادت القيمة الأدبية للأدب الفرنسي ـ البندقي (نسبة الى البندقية) كيفاً . وحولت الأساطير الملحمية الى قصص عاطفية تماشت واستجابة جماهير المستمعين في ساحات المدينة وغيرها من الأماكن العامة بشكل أفضل . كما كتب أندريا داباربرينو (Andrea da Babrino) حوالي (١٣٧٠ ـ ١٤٣١) روايات ، وكتب أنطونيو بوتشي (Antonio Bucci) « كانتاري » (Cantari) متطرقاً لمواضيع اسطورية حسب الأسلوب الشائع الذي يتوافق وهدفها العلمي . ووصلتنا مجموعات مجهولة المؤلفين أمثال « بلزيلاكايا » (Pulzella gaia) و « بل غرار دينو » (Bel Gherardino) ودونادل فيرجيو « (Donna del Vergiù) و « ليومبرونو » (Liombruno) مكتوبة حسب الأسلوب الآنف الذكر . وقد تشابهت في الأسلوب

والشخصية مجموعـات نثـرية وشعـرية لمواضيع كلاسيكية أمثـال « أعمال قيصر » (Fatti di Cesare) ونسخ من « رومانسية طروادة » (Roman de Troie) . وربما كان أكثرها اتقاناً « زهرة ايطاليا » (Floir d'Italia) من تأليف غيدو دابيزا (Guido da Pisa) .

الأدب الديني والتعليمي والتاريخي :

كان الأدب الديني لتلك الفترة شديد الصلة بالأدب الشعبي ، وتألف من المواعـظ والمقـالات والرسائـل الأخـلاقية وسـير القديسـين والمدائـح ومسرحيات المعجزات . ولـم يرقَ أي من مؤلفي المدائح إلى مستوى جاكوبي داتودي (Jacope da Todi) الأسبق . وكانت المنظومات الشعرية لقصص من الانجيل مثل «الآلام» وتعـزى الى نيقولـو شيشرشيا (Niccolo Cicerchia) أكثـر شعبية في أسلوبهـا وجوهرها ، إلا أن النثر الديني للقرن الرابع عشر هو الأكثر أهمية . وأجلُّ مؤلفٍ في هذا الصدد هو جاكوبو باسافانتي (Jacopo Passavanti) الذي يشكل كتابه «مرآة الندم الصحيح» (Specchio di Vera Penitenza) مجموعة من المواعظ لعام ١٣٥٤ . وكانت ترجمات من الأساطير التي جمعـت في «زهـور صغـيرة للقـديس فرنسيس» (Fioretti di San Francesco) المجهولة المؤلـف أقل صقلاً ، إلا أنها أهم في القيمة الأدبية .

ويمكننا أن نقوِّم التأليف التاريخي في هذه الفترة بأنه أدب شعبي مركزه الرئيسي فلورنسل ممثلـةً بوجهَـيْ مؤ رخيهـا الـرئيسيين دينوكومبانــي (Dino Compagni) وجيوفاني فيلاني (Giovanni Villani) . كتب كومباني تصانيفه بين عامي ١٣١٠ و١٣١٢ بعد أن انغمس في النزاعات السياسية لمدينته . وارتقى وصفـه الدرامـي للحوادث وحيوية نثره منزلة جعلت من كتبه أكثـر المؤلفـات التـاريخية الـوسيطية أصالة . أما « تاريخ » (Cronica) فيلاني ويتـألف من ١٢ مجلـداً فأقـل تعرضـاً للنواحي الشخصية ؛ وقد احتذى التقليد الوسيطي بأن ابتدأ ببناء برج بابل وتضمن الكثير من الأساطير . أما الكتب الستة الأخيرة التي تغطي الفترة من حملـة شارل

أوف انجو (Charles of Anjou) الايطـالية عام ١٢٦٥ حتـى عصر المؤلف فذات أهمية بالنسبة للمؤرخين . وليس لنثره القوة الدرامية التي تمتع بها كومباني ، ولكن يمكن وصف عمله بأنه أعظم انجـاز لعلـم التـاريخ المكتـوب بالايطـالية العـامية الدارجة ، خلال العصور الوسطى . وبعد موت فيلاني قام من بعده أخوه ماتيو (Matteo) وابنه فيليبو (Filippo) بإتمام « الكرونيكا » .

وقاسى الشعر الايطالي من وطأة الانحطاط منذ وفاة بوكاتشيو حتـى منتصف القرن الخامس عشر . وتميزت الفترة التي تلت بنشاط في النقد وتاريخ اللغة أكثر من تميزها بالاعمال الاصيلة الخلاقة .

الفَصْل الحَادي عَشَر

الأدَب الوَسيط لشبه جَزيرة ايبريَة

الادب القشتالي : بدء الكتابة باللغة العامية الدارجة :

كانت اللاتينية اللغة المستعملة في شبه جزيرة ايبريا في طريقها للتحول الى لغة رومانسية[1] عند بدء الفتح الاسلامي (الذي بدأ عام ٧١١م) . وتظهر قوائم شروح المفردات والملاحظات الهامشية على نصوص لاتينية ـ في المخطوطات التي تعود الى القرن العاشر وتخص ديري سان ميلان دوكوكولا (San Millan de la Cogolla) وسيلوس (Silos) في لاريوجا (La Rioja) ـ آثار لغة عامية متطورة الى حد كبير . كما استعيدت اقدم النصوص بلغة المستعربين (اللهجة الرومانسية للاسبان الذين عاشوا في ظل الحكم الاسلامي) من الموشحات العربية التي كان آخر قطعة منها تسمى القفلة أو «المركز» (قطعة الموضوع) والتي تقوم دليلاً على شعر شعبي ربما بدأ في وقت مبكر يعود الى القرن العاشر ، وتفسر الكثير مما هو تقاليد اسبانية غنائية (مثال ذلك الفيلا نسيكو Villancico او الاناشيد) للعصور الوسطى الاخيرة ، وعصر النهضة . وعادة ما تكون القفلة اغنية حب امرأة ، وموضوعها ـ حسب اللغات الرومانسية ـ صرخة عاطفية يرتكز عليها الموشح بأكمله .

نشأة الشعر البطولي :

كانت «أغنية السيد اوسيدي» (Poema de mio Cid) أقدم عمل خالد وصلنا من الادب الإسباني واحدى روائعه . وهي قصيدة ملحمية تعود لاواسط القرن

---

(١) اللغات الرومانسية هي اللغات التي انحدرت من اللاتينية كالفرنسية والايطالية والاسبانية .

الثاني عشر (المخطوطة الموجودة نسخة فيها عيوب تعود الى عام ١٣٠٧(وتروى قصة نبيل من قشتالة (Castile) يدعى بالعربية «سيدي» وبالاسبانية رودريفو دياز فيفار (Rodrigo Diaz de Vivar) (١٠٤٣ ـ ١٠٩٩) يخسر عطف مليكه ثم يسترجع ذلك العطف . وقد أدت خلفية القصة وشخصياتها وتفاصيلها الطوبوغرافية وروحها ومعالجتها الواقعية وقربها الزمني من شخصية البطل الى الاعتقاد بصحتها تاريخياً . وهي ميزة اتصفت وتميزت بها الملحمة القشتالية (Castillian) بشكل عام . وبكل الاحوال ، كان الجزءان الاخيران من أجزائها الثلاثة خياليين كلية،لأن تكريس ستة ابيات فقط لانتزاع السيد بلنسية من المسلمين يتبدى به واضحاً ان ميزان القيم ذاتي ، وان المؤلف شاعري في مفهومه بشكل رئيسي ، ومع ذلك واكبت القصيدة الشهرة باعتبارها تجسيداً شعبياً للشخصية القشتالية . وكتب للقصة الديمومة في أشكال مختلفة من الملحمة والتاريخ والشعر البطولي من نوع «البالاد» . اما الملحمة الثانية الاخرى التي وصلتنا وهي من النوع الخيالي الذي انحطت قيمته وعنوانها «أغنية رودريغو» (Cantar de Rodrigo) ـ فتروي حياة «السيد» في شبابه . ومن هذا القسم تشكلت اسطورة «السيد اللاحقة» . هذا وان الاشارات المتكررة في المجموعات التاريخية المكتوبة بالعامية والتي تعود الى القصص البطولي للشعراء الشعبيين المتجولين تبين بوضوح بأن الكثير من القصائد القصصية قد ضاع ولا خلاف . واعتبر المؤرخون هذا القصص صحيحاً موثوقاً، ولذا اعادوا صياغته نثراً حتى غدا بالمستطاع اعادة بناء المواضيع ، وحتى الاجزاء من النص . ومن القصص البطولية التي انتهى الينا بعض المعلومات عنها يمكننا ذكر «امراء لارا السبعة» (Los Sieta infantes de lara) «وحصار زامورا» (Fernain Gonzàlez El Cero de Zamora) وبرنادو دل كاربيو (Bernardo Del Carpio) وغيرها من قصص تعالج مواضيع اساسية بالنسبة لتاريخ قشتالة الاقطاعي . وهي أقرب الى الماضي القوطي منها الى أية ملحمة فرنسية .

بدايات النثر :

أثر العرب تأثيراً اساسياً على النثر ، اذ تدفق العلم الشرقي على اسبانيا بعد انتزاع طليطلة عام ١٠٨٥ من المسلمين ، فأصبحت المدينة مركز ترجمة من اللغات

الشرقية . وكانت اول ترجمة مجهولة من العربية عام ١٢٥١ لقصص خرافية عن الحيوانات ـ وهي ترجمة كليلة ودمنة ـ اول مثل لرواية القصة بالاسبانية . كما ترجمت من العربية رومانسية شرقية للحكماء السبعة تعرف باسم «سندبار» (Sendebar) وسرعان ما تتابعت الترجمات للقصص الشرقية .

الفونسو العاقل :

شهدت اواسط القرن الثاني عشر استرجاع المسيحيين لقرطبة وبلنسية واشبيلية . وبتأسيس الجامعات تكوّن جوّ فكري مواتٍ . وحاز الادب تحت حكم الفونسو العاشر ملك قشتالة وليون (Leon) (١٢٥٢ ـ ٨٤) سمعة رسمية . ويمكن وصف الفونسو الذي حلت القشتالية محل اللاتينية في محاكمه ، بأنه ابو النثر القشتالي . وقصد من حملته الواسعة للترجمة والجمع دمج جميع المعرفة الكلاسيكي منها والمسيحي وكتابتها باللغة العامية الدارجة . وتضمنت المؤلفات ـ التي كثيراً ما كانت بمراجعته الشخصية ـ الدستور المسمى «التقسيمات السبعة للقانون» (Las Sieta Partidas) وهي منجم من المعلومات حول حياة العصر ، ومجموعات من مصادر عربية مثل المقالات الفلكية والصفات السحرية للاحجار الثمينة والالعاب ، وخاصة الشطرنج . أسس الفونسو علم التاريخ الاسباني بمؤلفات مثل «سجل التاريخ العام» (Cronica General) وهو تاريخ واسع لاسبانيا «والتاريخ العام» (General Estoria) وهو محاولة لكتابة تاريخ عالمي منذ بدء الخليقة . اما الكتاب الأول الذي انتهى به الفونسو حتى عام ٧١١م ، واتمه ابنه سانكو الرابع (Sancho IV) فذو أكبر أثر لكتاب واحد في اسبانيا العصور الوسطى . وصنف الفونسو الذي كان شاعراً ، واحدة من أعظم المجموعات الشعرية والموسيقية الوسيطية ، وهي «أغان للسيدة العذراء» بالغاليكية (Gailician) وهي لغة القصيدة الغنائية المقبولة آنئذ .

الشعر القصصي العلمي :

تحت التأثير الفرنسي شاعت مدرسة جديدة من الشعر ذات صلة بالاديرة وجمهور المتعلمين ، عرفت باسم «حركة الكتبة» (Mester de Clerecia) التي كيّفت البحر

العروضي الفرنسي المعروف باسم الاسكندري(Alexandrine) على صورة رباعية ، أي كونت قطعاً شعرية ذات أربعة أبيات بقافية واحدة مع بيت واحد من ١٤ مقطعاً ، ثم استعملته لتعالج مواضيع دينية وتعليمية وشبه تاريخية . وخير من يمثل هذه المدرسة هو غونزالو دوبرتشيو(Gonzalo de Breceo) حوالي (١١٩٥ - ١٢٦٨) وهو أقدم شاعر اسباني عرف اسمه . وقد نظم بالعامية الاسبانية سير القديسين ومعجزات السيدة العذراء ومواضيع اخرى تعبدية بحماسة رائعة ، وتفاصيل ذات صور زاهية وملاحظة ودود . وتعود الى القرن الثالث عشر أيضاً مؤلفات أمثال «كتاب الاسكندر»(Libro de Alexandre) وهو أكثر التصاقاً بالعلم من سابقه ، ونسخة من الرومانسيات اللاتينية عن ابولونيوس الصوري(Apollonius Of Tyre) ، وقصيدة فرناند غونزالس(Poema de Fernan Gonzales) وهي اعادة صياغة لملحمة ضاعت قام بكتابتها رجال الدين .

القرن الرابع عشر :

تبع فترة الترجمة والجمع فترة من الخلق الرائع الاصيل ، يمثلها خير تمثيل نثر خوان مانيول(Juan Manuel) ابن اخي الفونسو ، وشعر خوان رويز(Juan Ruiz) وهو أكبر قسيس في هيتا(Hita) . وقد أخذ كتاب خوان مانيول بعنوان «كتاب القصص المضروبة مثلاً للكونت لوكانور وبترونيو»(Libro de los exemplos del Conde Lucanor et de Patronio) وهو مجموعة من ٥٠ قصة اخلاقية من المصادر العربية ولكن شخصيته بوأته منزلة رفيعة في أدب القصة الاسبانية .

وتحت تأثير الحلقة الآرثرية أو البريطانية التي كانت شائعة في ترجماتها ، ظهرت حوالي عام ١٣٠٥ اول رومانسية اسبانية فروسية ، وأول رواية اسبانية ، «الفارس سيفار»(El Caballero Cifar) ، في موضوع القديس يوستاس(St. Eustace) القائد الروماني الذي تنصر بأعجوبة . وكان ريبالدو(Ribaldo) ، تابع سيفار مبشراً بعيداً بسانكو بانزا(Sancho Panza) تابع دون كيشوت واشارة مبكرة

لتصادم الواقعي مع المثالي وهو أمر يتميز به الادب الاسباني . وفي حوالي نفس الوقت انتشرت القصة الفروسية «امادس دوغولا» (Amadis de Gaula) المقترنة «بالحلقة الأرثرية» - والتي ربما كان مؤلفها شاعر تروبادور غاليكانيا او برتغالياً ، منفي في البلاط القشتالي - وقدر لها ان تسيطر على الخيال خلال القرن السادس عشر بما فيها من مثالية عاطفية وجو غنائي ومغامرات خارقة للطبيعة .

وكان خوان رويز (Juan Ruiz) أكثر الشعراء الاوائل رشاقة وذاتية ، ويتجلى في مؤلفه «كتاب الحب الجيد» (Libro de Buen Amor) - (١٣٣٠ وسّع عام ١٣٤٣) وهو مجموعة من عناصر متغايرة أمثال اوفيد وايسوب والكتيب اللاتيني «كتاب الحب» (Pamphilus de amore) من القرن الثاني عشر والطقوس الدينية - النهج الاسلامي للتفكير ، وذلك في مزجه الحب بالعبادة . وكانت تروتا كونفنتوس (Trotaconventos) سلف لاسلستينا (La Celestina) أول شخصية عظيمة في الأدب الاسباني . وقد نظم على البحر العروضي المسمى «الاسكندري» بجزالة ومرونة جديدة . وتبعثرت في النص قصائد غنائية دينية ورعوية وهزلية وغرامية او جاية ذات تنوع مفرط في البحر الشعري .

وفي شعر «الامثال الاخلاقية» (Proverbios Morales) لسانتوب دوكاريون دولوس كوند (Santob de Carrion de los Condes) حوالي ١٣٥٥م دخلت عناصر غربية اكثر مما سبق . وينطبق هذا القول على نسخة ارغونية (نسبة الى اراغون Aragon) من قصة يوسف عليه السلام المقتبسة من القرآن الكريم والمكتوبة بالاحرف العربية ، مما يقدم اكبر شاهد على الاعجمية في الادب الاسباني . اما «امثال» (Proverbios) سانتوب (Santob) فتكشف عن آثار عبرية وعربية في آن واحد .

سيطر بيدرو لوبيز دو أيالا (Pedro López de Ayala) رئيس وزراء قشتالة على شعر القسم الاخير من القرن ونثره بقصيدته «قصيدة عن حياة القصر» (Rimado

(de Palacio وهي آخر أثر من الطريقة الرباعية ، وبكتبه التاريخية حول بطرس الاول وهنري الثاني من تراستامارا(Trastamara) ، وجون الاول وهنري الثالث من قشتالة التي شجعت كتابة التاريخ الشخصي المعاصر . ولما كان انسانياً عريقاً فقد ترجم وقلّد ليفي وبوكاتشيو وبيذيوس وسنت غريغوري وسينت ايسيدور .

القرن الخامس عشر :

شهدت اوائل القرن الخامس عشر تجدداً في الشعر تحت التأثير الايطالي . وكانت المقارنة بالغة خلال حكم الملك جون الثاني بين فوضى الاقطاعية ، وهي تلفظ انفاسها الاخيرة ، وتشجيع الادب المهذب الذي أصبح علامة نبل المحتد . وقد أظهرت مجموعات من القصائد مثل «كانسيو نيرو دوبانا» (Cancionero de Baena) التي قام بجمعها للملك خوان الفونسو دوبانا(Juan Alfonso de Baena) وتضم ٥٨٣ قصيدة لخمسة وخمسين شاعراً من انبل الطبقات الى ادناها ـ ليس فقط انحطاط شاعر التروبادور الغاليسي والبرتغالي بل قيام الشعراء الاكثر عقلانية بما استعمل من الرمز والمجاز والتلميحات الكلاسيكية في معالجة مواضيع اخلاقية وفلسفية وسياسية . وعن دانتي اقتبس فرانسيسكو امبريال(Francisco Imperial) وهو احد قادة الشعر الجديد ، من أصل جنوي ، وقد أقام في اشبيلية . بينما جمع الماركيز دوسانتيلانا(Marqaés de Santillana) وهو الشاعر والعالم والجندي والسياسي روائع الادب الاجنبي وشجع على الترجمة . ويبدو في كتابه «مقدمة ورسالة الى حاكم البرتغال»(Proemio e carta al condestable de portugal) عام ١٤٤٩ ـ وهو أقدم مؤلف في تاريخ الأدب ونقده كتب بالاسبانية ـ انه تأثر بقراءاته الأدبية في اللغات الاجنبية المعاصرة والكلاسيكيات المترجمة . ولا يزال يعترف بدوره كرائد ، مع ان قصائده من نوع «السونت» ، وقصائده الطويلة التي عكست تدريبه المتأثر بالايطالية قد أهملت لصالح اغانيه الساحرة الريفية ذات الالهام المحلي القومي .

أما قصيدة خوان دومينا المجازية البالغة الطول ، التي تتحدث عن دراما التاريخ الماضي والحاضر والمستقبل وعنوانها «متاهة الحظ» ١٤٤٤ (El Laberinto de

(Fortuna, 1444 ـ وهي محاولة واعية لمنافسة دانتي ـ فقد أثقلتها الحذلقة الأدبية وتعجيم الاسلوب بالاتينيات من ناحيتي التركيب والمفردات .

الأدب الكاتالي :

كانت اللغة الكاتالية القديمة لشمالي شرقي اسبانيا فرعاً من لغات شبه جزيرة ايبريا اكثر منها لغة رومانسية غالية جنوبية . ومع ذلك نجد فيها آثاراً بروفنسالية ، كما أستعمل الأدب لهجات لانجدوك(Languedoc) (وهي لهجات الفرنسية القديمة التي درجت جنوبي نهر اللوار) ، والاشكال الأدبية للشعراء التروبادور شمالي جبال البيرنيه .

الشعر : كان الشعراء التروبادور الكاتاليون ، امثال غيلام دوبرغادا (Guillem de Bergada) ، وهيغ داماتابلانا (Hug de Mataplana) وغيلام دي سيرفيرا(Guillem de Cervera) وغيرهم ، بروفنسالين أصيلين . وبعد حوالي ١٠٠ عام في أواخر القرن الرابع عشر خف الاثر البروفنسالي كما يبدو ، واتجه الشعراء الى شمالي فرنسا طلباً للالهام ، فقد أخذوا القصائد الفرنسية الطويلة حول المواضيع الرومانسية ، امثال الحلقة الآرثرية والبحر المسمى نوف ريماد»(Noves Rimades) وهو تتابع لمزدوجات مقفاة ابياتها ثمانية المقاطع والتفعيلة . كما ذهب عدة شعراء عملوا حسب هذا التقليد الأدبي الى حد ادخال نصوص من الشعر الفرنسي في قصائدهم .

كان القرن الخامس عشر الفترة العظمى للشعر الكاتالاني بعد ان أسس جون الاول من أرغون عام **١٣٩٣** أكاديمية شعرية في برشلونة على نمط اكاديمية طولوز اقامت مهرجانات للشعر تجري فيها مبارياته . واستمر هذا التشجيع الملكي تحت حكم مارتن الاول(Martin I) وفيردناند الاول مما ساعد على تحرير الاسلوب الأدبي من التأثيرات الاجنبية . وبمرور سنوات ذلك القرن برزت بلنسيا كبؤرة التقاء جديد للنشاط الأدبي . وفيها نجمت مدرسة شعرية متطورة لاستعمالها المميز

لاشعار ثمانية الابيات وعشارية المقاطع بقواف متقاطعة ومسلسلة ولازمة نهائية من أربعة ابيات ، ما يقوم دليلاً على الابتعاد عن الانماط الفرنسية وقدوم وحي جديد من ايطاليا . واحتوت «اغاني الحب» من نظم الشاعر الموهوب والعميق أوسياس مارش (Ausias March) على أبدع الابيات التي كتبت بالكاتالية ، وكانت ذات أثر بالغ في قريض قشتالة القرن السادس عشر ، وما زالت تؤثر على الشعر الكاتالاني الحديث . اما قصيدة جوم رويغ (Jaume Roig) «مرآة او كتاب النساء» (Lo Spill o Libre de les dones) (حوالي ١٤٦٠) فمغايرة تماماً اذ هي نقد لاذع للنساء مؤلفة من ١٦٠٠ بيتاً رباعية المقاطع ، وتصور بوضوح الحياة البلنسية المعاصرة . ولربما كان يوهان رويك دوكورلا (Johan Roic de Corella) وهو شاعر غنائي بلنسي عظيم - أفضل ممثل لعصر النهضة .

وبعد أن تم الاتحاد بين أراغون وقشتالة سادت اللغة القشتالية في أسبانيا وكان ذلك ايذاناً بانحدار مديد للادب الكاتلاني ، ومع ذلك دشن كاتالاني اسمه خوان بوسكان الموكافر (Juan Boscan Almogaver) مدرسة شفهية قشتالية جديدة ، ويعتبره القشتاليون شخصية بارزة في تاريخ نهضتهم . وفي الوقت الذي نشرت فيه مؤلفات بوسكان عام ١٥٤٣ كان الشعر الكاتالاني قد لفظ آخر أنفاسه قبل ذلك بخمسين عاماً .

النثر : لم يبدأ النثر الأدبي الا في نهاية القرن الثالث عشر ، مع ان تاريخ أقدم وثيقة (وهي نص قسم لاسقف ارغل) (Urgel) يعود الى حوالي ١١٠٠م . وكتبت الوثيقة بلغة الحديث اليومي الموجودة في البراءات ، والتي تعود الى زمن تسلم جيمس الاول العرش الاراغوني عام ١٢١٣ . وتمثل أربعة كتب تاريخ وصلتنا قمة النثر الوسيطي الكاتالاني . وتميز بالمهارة في السرد الروائي ، ونوعية اللغة مؤلفان احدهما مجهول المؤلف وعنوانه «كتاب عن أعمال الملك جيمس» (Libre Dels Feyts del reyen Jacme) جمع بعد وفاة هذا العاهل عام ١٢٧٦ وثانيهما كتاب رامون مونتانر (Ramon Muntaner) في وصف الحملة الكاتالانية الكبرى على شبه جزيرة مورة في جنوب اليونان ، وفتح جيمس الثاني سردينيا . ويرتبط تاريخ برنات دسكلوت

(Bernat Desclot) بحكم بطرس الاكبر الأول . ومع ان وصف بطرس الرابع يعزى الى هذا المؤرخ الا ان الملك نفسه هو الذي خططه وراجعه .

ومن جهة فان رامون لل(Ramon Llull) لا يضاهيه مضارع في انتاجه الموسوعي بالكاتالانية والعربية واللاتينية ، معطياً كل فرع من فروع المعرفة والفكر الوسيطين حقه .

وقد افتتحت مقالته الشاملة في اللاهوت المسماة «كتاب تأمل الله» (Llibre de Contemplaciò en Déu) عصر كاتالونيا الذهبي للادب مزودة ايانا ـ بشكل عرضي ـ بمنجم من المعلومات عن المجتمع المعاصر . كما أسس كتاب «ليبر دافاست اوبلانكرنا» (Libre d'Evast et Blanquerna) الرواية الكاتالانية . وتضمن مؤلفه هذا «كتاب العاشق والمعشوق» (Llibre d'amic et amat) الذي يعتبر تحفة من تحف التصوف . على حين ان مؤلفيه «فلكس» (Felix) «ونظام الفروسية» (Llibre de l'orde de cauayleria) تعليمات صيغت في قالب قصصي . وبعد قرن صمم فرانسيس اكزمنيس (Frances Eximenis) برجاحة عقلية مماثلة ، لكن دون تلك الاصالة والقوة الدافعة لـ لل (Llull) مؤلفاً سماه «المسيحي» (Lo Christian) وهو مقال شامل في اللاهوت والاخلاقيات والسياسة للعلمانيين . وقد زخر بصور حية عن العصور الوسطى ، بينما نفحنا «كتاب النساء» (Libre de les dones) ـ المرشد للعبادة والاقتصاد المنزلي ـ معلومات عن حياة النساء ايضاً .

بدأ برنا متج (Bernat Metge) العصر الكلاسيكي بترجمته قصة بوكاتشيو عن غرزيلدا (Griselda) ، وذلك في نسخة بترارك اللاتينية ، وبإضفائه الخيال الشاعري على علمه المدرسي «السكولاستي» حصل على التحفة الاسلوبية في النثر الكاتالاني .

تمثلت بدايات الدراما بمسرحية صعود مريم العذراء الى السماء ، واسمها «ميستري دي الك» (Misteri d'Elch) وما زالت هذه المسرحية تمثل كل عام في عيد الصعود الآنف الذكر .

الأدب الغاليسي : (Galician) .

الفاليسية لغة وثيقة الصلة بالبرتغالية ، ولا يوجد ما يفصل ما بين اللغتين في مستودعات الشعر الوسيطي الثلاث وهي «كتب الاغاني» (Cancioneiros de Ajuda) و «دافاتيكانا» (Da Vaticana) وكولتشي برانكوتي (Colocci-Brancuti) . ويتجلى الاثر البروفنسالي واضحاً في الاصول الغنائية الوطنية . ثم ان هيمنة العاطفة على الفكر سربلت الشعر الغاليسي بالغنائية الذاتية . وجعل الشعراء الغاليسيون هذا النوع من القريض وسطاً لشعرهم الغنائي لمدة قرن أو يزيد وغدا شهيد الهوى ماسياس الـ «انامورادو» (Macias El Enamorad) الذي ازدهرت اعماله في اواسط القرن الرابع عشر ، اسطورة آخر تروبادور غاليسي . وبعد هذه الفترة استعمل الغاليسيون القشتالية . ومع انه ما انفكت أصداء من تقاليدهم الادبية مترددة الصدى الا ان عصر النهضة والسيطرة السياسية القشتالية وضعا في النهاية الخاتمة للادب الغاليسي . وظل الامر كذلك حتى بعث من جديد في القرن التاسع عشر .

الأدب البرتغالي :

الشعر : مع انه لم تصلنا أية وثائق أدبية تخص القرن الاول من تاريخ البرتغال ، الا ان هناك دليلاً على وجود شعر شعبي أهلي . فقد وصلتنا بعض المؤلفات قبل عام ١٢٠٠ ، وعزي واحد منها الى سانكو الاول (Sancho I) . ويعتبر هذا المؤلف اقدم قصيدة من نوع «الكوسانت» (Cossante) أو القصيدة الغنائية القصيرة الكثيرة التكرار ، والتي تتسم بحزن كئيب ملازم أبداً الادب البرتغالي . ودشن صعود الفونسو الثالث على العرش عام ١٢٤٨ ـ والذي كان قد قضى ١٣ عاماً في فرنسا ـ فترة نشاط شعري تمثلها قصيدة «كانسيونيرو دا اجودا» (Cancioneiro da Ajuda) وهي أقدم مجموعة من شعر شبه جزيرة ايبريا . لكن

سرعان ما درجت الانماط الادبية السائدة في بروفنس وشمالي فرنسا ، وبذلك أصبح لاناقة الشكل والترصيعات اللفظية السبق على الفكر او العاطفة .

وتسنم شعر القصور القمة في اوائل حكم دنيس (Diniz) ابن الفونسو الذي تعلم وتثقف على يد الفرنسي امريك اوف كاهور (Aymeric Of Cahors) وأسس هذا العاهل جامعة بلاده الاولى في كويمبرا (Coimbra) عام ١٢٩٠ ، وشجع الترجمات الى البرتغالية ، واعتبر كذلك أفضل شاعر في عصره في شبه الجزيرة ، والى بلاطه وفد الشعراء التروبادور من ليون وقشتالة واراغون ليستمتعوا بتقاليد الرعاية الادبية التي ماتت في اماكن اخرى . وقد وصلتنا مجموعة هائلة من الشعر تبلغ ألف قصيدة لمائتي شاعر حفظت في كتب الاغاني الثلاثة التي مر ذكرها . ورغم ما اتسم به هذا الشعر من ضحالة الافكار والتقليدية شكلاً وتعبيراً ، تظل للغته صفات موسيقية ذات تطور رفيع .

وبالمقارنة بالآفاق المحدودة للشعر البلاطي ، نجد انه في مجموعة من الشعر البطولي القصير من نوع «البالاد» عرف باسم «رومانسيرو» (Romanceiro) امتزجت مواضيع المغامرة والحرب والفروسية بالحب والدين والبحر . ويمكن ارجاع القليل من هذه القصائد الى ما قبل القرن الخامس عشر ، اذ كانت تمت بصلة الى شعر مجهول التأليف ظل حياً بالتناقل الشفهي ، وان ازدهرت بصورة مصطنعة في وقت متأخر على أيدي شعراء معروفين في القرنين السادس عشر ، والسابع عشر .

النثر : احتاج أدب النثر البرتغالي الى وقت أطول من الشعر ليصبح متقناً ، وتتعلق أقدم النصوص النثرية بكتابات دينية وسجلات مختصرة للملوك الاوائل ، وكتب عن السلالات . وشكل «كتاب لينهاجن» (Libre de Linhagens) لـ بيدرو (Pedro) كونت برشلونة معلماً بارزاً بان تجاوز السلالات الى التاريخ والاسطورة . ان شعبية المادة التي استندت على التقاليد والاعراف الكلتية ظاهرة في الاغنيات الخمس التي اعتمدت بدورها على قصائد غنائية بريطانية . وبها تفتتح المجموعة الغنائية الشعرية «كولوتشي برانكوتي» . وكان لمثل الفروسية وروح المغامرة العاطفية التي اقترنت بفرسان الطاولة المستديرة جاذبية طاغية لدى الطبيعة

البرتغالية ، وأهم أثر وصلنا في هذا المجال هو «تاريخ فرسان الطاولة المستديرة والبحث عن الكأس المقدسة» ، (Histôtria dos Cavaleiros da Mesa Redonda et da Demanda do Santo Graal) وهو كتاب نقل عن الفرنسية ، ومنه اشتق امادس دوغولا (Amadis de Gaula) الذي كان سلفاً سلسلة طويلة من قصص الفروسية في اسبانيا والبرتغال ، والذي ربما متّ بأصله ـ أو على الاقل بأجزائه الثلاثة الاولى ـ الى البرتغالية ، ويحتمل ان مؤلفه هو فاسكو دو لوبيرا (Vasco de Lobeira) .

الفصل الثاني عشر

الأدب الوسيط لمنطقة شرقي البحر المتوسط

الأدب البيزنطي الاغريقي :

يأتي الأدب البيزنطي وهو الذي كتب بالاغريقية خلال الفترة البيزنطية (٣٣٠ ـ ١٤٥٣) ، بعد الفن البيزنطي بقوة تعبيره عن الثقافة الوسيطية المسيحية المستقلة ، والتي كانت استمراراً للحضارة الرومانية الاغريقية . وكان العامل الذي قرر شخصية هذا الادب هو ذلك التركيب المركزي للامبراطورية البيزنطية ، وبخاصة حياة البلاط في القسطنطينية . أصبحت الكنيسة المسيحية بعد قسطنطين الكبير راعية التقاليد الثقافية الاغريقية الرومانية ، وتبعاً لذلك تأثر الأدب المكتوب بالاغريقية بطبيعة اللغة التي تتصف بالمحافظة المتزمتة . اذ كان الشعور السائد هو ان على اللغة الادبية ان تحفظ الانماط الكلامية كما وردت في العهد الجديد المكتوب بالاغريقية ، وكما نطق بها اباء الكنيسة الاوائل ،ومن ناحية اخرى كان عليها ان تنهج نهج الانماط والنماذج الاتيكية (Attic) التي تعود الى الماضي الادبي العظيم . وهكذا لم يسمح للغة الأدبية ان تبدي التأثيرات المبسطة التي مرّت بها في الاستعمال اليومي على افواه الناس . وبينما تطورت لغة الحياة اليومية الى اليونانية الحديثة تمسكت بيزنطة بأشكال لغوية جمدت بشكل مصطنع في المرحلة الاغريقية الهيلينية . وأصبح تقليد القدماء المبدأ الكامن خلف جميع الاشكال الادبية . وهذا خنق كل اصالة في المضمون او الابداع . ورغم ان تقليدية البيزنطيين انقذت للاجيال التي تلت أفضل ما في الادب الاغريقي القديم ، الا ان شعورهم بأنهم وحدهم يحوزون الكنوز الفكرية الموروثة عن القدماء ، ادى الى مبالغة في تقدير قيمة العلم

المكنوز . ومن هنا نشأ لدى الكتاب البيزنطيين حذلقة وتعليمية فرضت نفسها فرضاً .

ورغم الاعجاب الذي أبداه الغرب بالثقافة البيزنطية ، فضئيل هو تأثير أي منهما على الآخر خلال العصور الوسطى . وضاعت المعرفة بالاغريقية في الغرب خلال معظم الفترة الوسيطة ، كما ان الاحتكاك الادبي قد عانى بدوره من عدم الثقة التي زاد فيها الانقسام الديني ، والمنافسات التي سببتها الحروب الصليبية . أما في مصر وآسيا الصغرى فحلت الكتابة المحلية باللغات (القبطية والسريانية) محل الأدب اليوناني ، ومع كل ذلك ظل الأدب البيزنطي بالغ الاثر على سكان شرقي اوروبا وخاصة الشعوب السلافية .

ولم يكن الكثير من الكتابات البيزنطية ذا أهمية أدبية ، اذ انتج ركام هائل من المؤلفات النثرية في مجالات اللاهوت وسير القديسين والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والعلوم الحربية والقانون . وفي اللاهوت كان سائر الكتاب ذو الأهمية من القرنين الرابع والخامس أمثال اثناسيوس(Athanasius) ، مبدع النمط المحتذى لكتابة سير القديسين في الفترة البيزنطية ، ويوسيبيوس (Eusebius) كاتب اول تاريخ اكليريكي ، وباسيل القيصري(Basif od Caesarea) (القديس باسيل العظيم) الذي نظم الرهبنة الشرقية ، وأخوه غريغوري النيثي(Gregory of Nyssa) أقدم مؤلف صوفي اغريقي ، وغريغوري اوف نازيانزوس(Gregory Of Nazianzus) ، وهو لاهوتي وشاعر . أما بالنسبة لسير القديسين فلا مناص من ذكر عدد من السير الشعبية التي تطورت عنها الرواية الدينية . وأفضل مثال معروف على ذلك قصة «برلام وجوزافات»(Barlaam̄ And Josaphat) .

الشعر الديني : نظم اول شعر ديني في بحور اغريقية قديمة للاستعمال في العبادات الخاصة . وقد تضمن ما يعرف باسم أغنية العذراء الموجودة في «سيمبوزيوم»(Symposium) مثوديوس أوف فيليبي(Methodius of Philippi) ، والقصائد الدينية لغريغوري أوف نازيانزوس (كتبت بين عامي ٣٨١ و٣٨٩) .

وكانت الترانيم البيزنطية الشعائرية أهم من هذا الشعر الديني الخاص . ودعت الحاجة الى تطور ترانيم جماعية لعامة المصلين ، صدّاً لموجة النجاح الذي حازته الحركة الدينية السرية للغنوصيين (Gnostics) - (الذين قالوا بأن المادة شر وأن الخلاص بالروح) ، والتي انشأها المهرطق أريوس (Arius) (المتوفي عام ٣٣٦م)- بشعرها الديني الملحن حسب الموسيقى الشعبية . وربما كان أفضل نموذج للتطور الشعري تلك الترانيم الكنسية السورية التي نبغ فيها أنجح وأغزر كاتب لها ، وهو السوري رومانوس ملودوس (Romanos Melodos) (في القرن السادس) . وفي القرن السابع ، دخل شعر الكنيسة حالة جديدة تميزت بازدياد الصقل الشكلي ، ونقص في الجزالة الشعرية وذلك بتأليف «القانون» (Kanon) ، وهي قصيدة تتألف من ثماني أو عشر قصائد غنائية جميعها مختلف التركيب ، لناظمها اندريه الكريتي (Andrew Of Crete) . وكان اشهر من كتب في هذا المجال هو يوحنا الدمشقي (John Of Damascus) ، وكوزماس القدسي (Cosmas Of Jerusalem) وكلاهما من النصف الأول من القرن الثامن .

الشعر العلماني : بدأ الشعر الملحمي مع بدء الأدب العامي ، الا انه كانت هناك عدة مؤلفات أدبية يمكن مقارنتها بملحمات العصر «الاسكندري» . فقد كتب نونوس (Nonnus) عندما كان يدين بالوثنية ملحمة عن الاله ديونيسوس ، وعندما تنصرّ نظم شعرا انجيل القديس يوحنا . وحفظ البيزنطيون الملحمة التاريخية بعناية . وفي القرن السابع وصف جورج بسيديان (George Pisidian) حروب الامبراطور هرقل ، فكان بذلك مداحة أكثر منه شاعر ملحمة . وخلد الشماس ثيودوسيوس (Theodosius) (القرن العاشر) احتلال كريت على يد الامبراطور نسيفوروس فوكاس (Niccphorus Phocas) . وفي احياء الثقافة الذي تم في القرن الثاني عشر نظم بعض القصائد الطويلة على نمط القصص الاغريقية القديمة أمثال قصة «رودانتي ودوسيكليس» (Rodanthe And Dosicles) لثيودور برودروموس (Theodore Prodromus) ، وقصة حب «ارستاندر وكلشيا» (Aristander And Callithea) لقسطنطين مناسيس (Constantine Manasses) ، والرومانسية النثرية الوحيدة هي قصة «هسمنية وهسمنياس» (Hysmine And Hysminias) ليوستاثيوس مكرنبوليتيس (Eustathius Macrembolites) .

وكانت وجهة النظر الصوفية ، وما استلزمها من عملية فصم الذات ، التي هيمنت على امتداد الفترة البيزنطية مميتة لتطور الشعر الغنائي العلماني . وتشمل هذه الزمرة قصائد قليلة لجون جيومتريس(John Geometres) وكرستوفر اوف ميتلين (Christopher Of Mytilene) وغيرهما (القرن الحادي عشر) . وكان الشكل الادبي المسيطر على الشعر الذاتي هو الشعر الحكمي ، اذ عالج جورج البسيدي(George The Pisidian) معظم المواضيع المختلفة بشكل حكمي موجز . وفي القرن التاسع كتبت كاسيا(Casia) شاعرة بيزنطة الوحيدة عدة أعمال حكمية وترانيم كنسية . وبلغ الشعر الحكمي ذروة تطوره في القرنين العاشر والحادي عشر بمؤلفات جون جيومتريس وكرستوفر اوف ميتلين وجون موروبوس(John Mauropus) وأمدّنا القرن العاشر بأهم مجموعة للقصائد الحكمية القديمة ، وهي «مجموعة بلاتينيا» (Anthologia Palatina) .

وشغف البيزنطيون بالقصيدة التعليمية حباً ، وتوافق هذا الشكل الادبي مع ميلهم لتعليم زملائهم من البشر . كما كتب جون تزتزيس(John Tzetzes) تعليقات منظومة شعراً عن هوميروس وهسيود وبندار واسخيلوس ويوروبيدس وارستوفنيس .

أما الشعر الدرامي فلا ظل له لدى اليونانيين البيزنطيين . وباستثناء بعض المحاورات المجازية الاخلاقية (لثيود وربرود روموس ومانيول فيلبس وغيرهم) ، فان المؤلف البيزنطي الوحيد الذي يشبه المسرحية ـ بإطاره الخارجي على أقل تقدير ـ هو «كرستوس باشون» (Christos Paschon) الذي لا يعدو ان يكون مجموعة من الاستشهادات الكلاسيكية .

الكتابات بالعامية الدارجة :

وقف الأدب العامي وحيداً في شكله ومضمونه . وأظهر اصالة بمفهومه ، وبمادته الوسيطية الجديدة كلياً . وفيه احتل الشعر المكان الأسمى ، ورغم ما وصلنا من بعض المحاولات الأولية ، فلم تكتب مؤلفات يونانية عامية الا بدءاً من القرن

الثاني عشر فصاعداً . وفي حوالي نهاية القرن الخامس عشر شاعت التقفية ، وفي القسطنطينية استعمل مزيج من اللغتين الشعبية والفصحى للمرة الأولى في قصائد للنصح والمديح والتضرع . ويدرج كتاب سبانياس (Spaneas) النصحـي في هذا النوع القديم (الذي يعود الى القرن الثاني عشر) من الشعر باللغة الدارجة كما تعود قصيدة أو بضع قصيدة تضرعية نظمها في سجنه مؤ رخ يدعى ميخـائيل غليكاس (Michael Glycas) . وفي الفترة التي تلت بدىء بنظم قصائد في الحب الشهواني أمثال اغاني الحب الر ودية(Rhodian) . وشكلت الملاحم الطويلة التي عولجت فيها مواضيع مثل اساطير طر وادة واخيل والاسكندر مجموعة منفصلة . والى هذه يمكننا ان نضيف رومانسيات شعرية باللغـة الـكلاسيكية المصطنعـة امثـال «كليماخـوس وكر وسـورو» (Callimachus And Chrysorrhoe) «وبلتانـدروس وكريستانـزا» (Belthandrus And Chrystanza) والر ومانسيات التي كتبت حسب النمط الغربـي امثال «فلوريوس وبلاتزيا فلورا»(Phlorius And Platziaphlora) (القصة الفرنسية القديمة فلور اوبلانشغلور)«وابوبولـونيوس اوف تاير» «وامبـرايوس ومـار كارونـا» (Imberius And Margarona) . كما صيغت في هذه الفترة شعراً قصص معروفة من كتاب «العالم الطبيعي»(Physiologus) عن الحيوان والنبات والحجارة ، وشاعـت كذلك خرافات حيوانات اخرى نظمت شعراً . وكانت هناك قصائد بتمجيد ابطال مشهورين وحوادث تاريخية لامثال «اعمال بلزاريوس»(Belisarius) قائد جوستنيان أمثال (Justinian I) ، وسقـوط القسطـنطينية عام ١٤٥٣ ، واحتـلال أثينـا عام ١٤٥٨ . وأهم هذه المؤلفات جميعاً الملحمة البطولية العظيمـة دجنيس اكريتـاس (Digenis Akritas) المحفوظة في عدة نسخ يرجع تاريخ اقدمها الى القـرن الثالـث عشر . ويمثل دجنيس اكريتاس المحارب الجريء على حدود الفرات في الفترة ما بين القرنين الثامن والعاشر . وكان شعوره نحو الطبيعة وحبـه البالـغ لأسرتـه تباشـير باعطاء الكثير من أحسن ما في الشعر اليوناني الشعبي الحديث .

الأدب الأرمني :

هناك أدلة بأن أدباً وثنياً وجد في ارمينيا قبل اختراع الابجدية في القرن الخامس الميلادي ، لكن لم يصلنا منه الا القليل بسبب حماسة رجال الدين الأوائل . وكان

على الأرمن بعد أن تنصروا بحوالي قرن (حوالي ٣٠٠) أن يعتمدوا على النسخ الاغريقية والسريانية للكتاب المقدس ، وغيره من الكتب الدينية . وكانت هذه اللغات غير مفهومة لدى عامة الناس . ولعلاج هذا الوضع اخترع القديس مسروب (Mesrop) الحروف الابجدية الأرمنية (حوالي ٤١٠م) وقد ألف الكاثوليكوس (بطريرك الكنيسة الأرمنية) ساهاك الأكبر (Sahak The Great) والقديس مسروب مدرسة للمترجمين الذين أوفدوا الى اوديسا (Edessa) والقسطنطينية ليجلبوا النسخ السريانية واليونانية للمؤلفات الهامة وبالتالي ليترجموها .

كرس الكثير من النشاط الأدبي للقرن الخامس ، وهو فترة العصر الذهبي للادب الأرمني الى مثل هذه الترجمات . وبكل الاحوال لم تفتقر الفترة للاعمال الاصيلة ، مثال تاريخي اكليش (Eglishe) وغازار (Ghazar) من فارب (Pharp) . ويعتبر كتاب ازنيك كوغباتزي (Eznik Koghbatzi) «دحض الملل» (Refutation Of The Sects) تحفة الأدب الأرمني الكلاسيكي ، وهو مؤلف جدلي أخذ جزئياً عن مصادر يونانية دفاعاً عن العقيدة المسيحية الارثوذكسية ضد الخرافات الوثنية الأرمنية ، والثنائية الايرانية ، والفلسفة اليونانية والهرطقة المارسيونية (Marcionite) ، وبكلمة فان هذا الكتاب زودنا بمعلومات قيمة عن جميع هذه العقائد فضلاً عن أنه لا يجاريه بأسلوبه أي أديب أرمني لما فيه من صفاء كلاسيكي . وفي الفترة الممتدة ما بين القرنين السادس والثامن استمرت ترجمات مؤلفين امثال القديسين يوحنا المعمدان (S.S. John Chrysostom) وسيريل الاسكندري (Cyril) ، فانتجت المدرسة الهلينية المسماة يوناباني (Yunaban) ترجمة متناهية الحرفية لمؤلفات نحوية ولاهوتية وفلسفية بما فيها كتب افلاطون وارسطو وفيلو الاسكندري .

آداب دول البلقان :

وكما تغيَّر تاريخ الشعوب المختلفة ليوغوسلافيا الحديثة في الألف سنة الأخيرة ، إذ تطورت آداب الصربيين والكرواتيين والسلوفينيين والمكدونيين كل على انفراد .

وكون الكرواتيون والسلوفينيون جزءاً من تراث أواسط أوروبا الثقافي ، بينما كان الصربيون والمكدونيون جزءاً من الثقافة البيزنطية الشرقية ، ثم أصبحوا جزءاً من الدولة العثمانية . وعندما اتحد اليوغوسلافيون عام ١٩١٨ كان لديهم ثلاث لغات أدبية هي الصربية الكرواتية ، والسلوفينية ، والمكدونية ، كما كان لديهم نوعان من الحروف الأبجدية هما السيريلية واللاتينية . ويتكلم الصربيون والكرواتيون لغة مشتركة إلا أنهم يستعملون الأبجدية السيريلية واللاتينية تتابعياً . أما السلوفينيون الذين تشابه لغتهم الصربية الكرواتية فيستخدمون الأبجدية اللاتينية ، بينما يستعمل المكدونيون السيريلية .

وتستمر الشعوب اليوغوسلافية في تطوير فرديتها القومية والثقافية ضمن إطار فيدرالية مشتركة .

الأدب الصربي :

نشأ الأدب الصربي من استعمال الكنيسة اللغة السلوفينية في ترجمة المؤلفات الدينية من الإغريقية الى الأبجدية الكلاكوليتية (Galagolitic) (وهو نظام ابتكره القديس سيريل كما تقول التقاليد) على يد الرسل الى السلافيين أمثال القديس سيريل (المتوفى عام ٨٦٩) والقديس مثوديوس (المتوفى عام ٨٨٥) . أما الأدب الصربي الذي كوّن في الأصل جزءاً من الأدب السلافي الجنوبي ، فحاز ميزاته الخاصة بدءاً من القرن الثاني عشر كما هي الحال بالنسبة لإنجيل ميروسلاف (Miroslav Gospel) والقصص المقتبسة من الكتاب المقدس وسير القديسين وخاصة القديس سافا (St. Sava) راعي صربيا ، وقصص «مثل «برلام وجوزفات» (Barlaam and Josaphat) .

الأدب الكرواتي :

تنصرَّ الكرواتيون عند نهاية القرن التاسع على يد تلاميذ القديسين سيريل

ومثوديوس وكتبت المؤلفات الاكليريكية الأولى بالأبجدية « الكلاكوليستية » ، إذ وصلتنا أجزاء منها في « مقطوعات كييف ميسال » (Kiev Missal - Pieces) وتعود الى القرن الحادي عشر . ومنذ القرن الثاني عشر استعملت اللغة الوطنية بشكل واسع للنقوش والوثائق القانونية ، لكن اللاتينية ظلت على ازديادها المضطرد بدءاً من القرن الرابع عشر . وقبل عصر « الانسانية » مباشرة (النصف الثاني من القرن الخامس عشر) تألف الأدب بشكل رئيسي من قصص الكتاب المقدس والأساطير ، ومن القصص الشعبي والقصص الشائعة (قصص طروادة والاسكندر الكبير وغيرها) . ومن أبرز المؤلفات التي كتبت عهد ذاك كتاب تاريخ للقس دكلجانين(Dukljanin) . وجرى تطور المسرحية الدينية (آلام المسيح ـ القرن الخامس عشر) والشعر الديني جنباً الى جنب مع توسع المواضيع الدينية .

الأدب السلوفيني :

أخَّر انحلال الدولة المستقلة في كارانتانيا (Carantania) (كانتيا حالياً) عام ٨٢١ واندماج الطبقات العليا في المجتمع الألماني الاقطاعي ـ إيَّ تطور للأدب السلوفيني . ومن بين المخطوطات الوسيطية التي حفظت تعتبر مخطوطات « برزنسكي سبومنسكي » (Brizinski Spomeniski) ، وهي مخطوطات « فريزنغ » (Freising) (حوالي ١٠٠٠ م) ـ وتضم شكلين من أشكال الاعتراف العام ، وموعظة حول الخطيئة والكفارة ـ أول أمثلة سلوفينية مكتوبة (ربما بأية لغة سلافية أخرى) . وتعد مخطوطة « ستسكي ركوبس » (Stiski Rokopis) (حوالي ١٤٢٨ م ، ١٤٤٠ م) ومخطوطة « ستينا » (Steina) ـ التي تتضمن شكلاً جديداً من الاعتراف العام ، وأول سجل معروف لأغنية من أغاني عيد الفصح في ترجمة سلوفينية ـ من بين أهم المخطوطات . وبالاضافة الى هذه الأدلة القليلة المحفوظة على استعمال اللغة السلوفينية في التعليم الديني ، وليس في الطقوس الدينية ، ازدهر الشعر الشعبي ، الغنائي منه والملحمي ، بوفرة في صفوف الفلاحين السلوفينيين، وشاعت في الملحمة مواضيع القصيدة البطولية من نوع

«البالاد» . كما حفظ الشعر الملحمي بجميع مفرداته وتعابيره القديمة في وديان الألب الألب البعيدة لسلوفينيا التي كانت تتبع البندقية .

الأدب المكدوني :

بدأ الأدب في مكدونيا في القرن التاسع ـ مثله مثل الآداب السلافية الأخرى ـ بترجمات للمؤلفات الدينية على أيدي القديسين سيريل ومثوديوس ، وبتأسيس أول جامعة سلافية أنشئت في أوهريد (Ohrid) ، وكانت آنئذٍ جزءاً من بلغاريا تحت رعاية القديس كلمنت (المتوفى عام ٩١٦ م) ، وهو أحد تلاميذ سيريل ومثوديوس . والى جانب هذا الأدب الديني الأرثوذكسي تطور أدب بوكوميلي (Bogomil) أبو كريفي هرطقي . وفي القرن السادس عشر تطور أدب شعبي دمسقي (Damascene) بمزج السلافية باللغات العامية الدارجة . وكانت الدمسقية (Damaskini) ترجمات من مؤلفات دمسقينوس (Damascenus) الراهب الأرثوذكسي، ودام الأمر كذلك حتى مطلع القرن التاسع عشر عندما طبعت مؤلفات كتبت في مكدونيا الحديثة .

الفَصْل الثّالِث عَشَر

الأدَب الوَسيطي لأوربّا الشرقيّة

الأدب البلغاري :

ينبع الأدب السلافي البلغاري من تنصير السلاف بدءاً من اعتناق القيصر بورس الأول (Boris I) العقيدة الأرثوذكسية الشرقية ، وفرضها على بلاطه وشعبه . وأدى هذا القرار السياسي ـ مصحوباً بقرب بلغاريا جغرافياً من بيزنطية ـ الى اضطلاع بلغاريا بدور أساسي في التطوير البلقاني لأول لغة سلافية مكتوبة ذات أدب اكليريكي عرف باسم الأدب البلغاري القديم .

وبعد هذا التحول الديني سرعان ما أسس « سيريل » و « مثوديوس » أول مدرسة أدبية سلافية (٨٩٣ ـ ٩٧١) تحت رعاية بلاط بريسلاف الملكي (Preslav) . وكانت بريسلاف عاصمة القيصر سيميون (Simeon) (توفي عام ٩٢٧) والقيصر بطرس (المتوفى عام ٩٦٩) . ونتيجة لزيارة أعضاء المدرسة الأدبية لمدينتي ديفول (Devol) واهريد (Ohrid) المكدونيتين تأسست أول مدرسة سلافية شهيرة على يد القديس كلمنت راعي جامعة بلغاريا الحديثة صوفسكي (Sofiski) المسماة كلمنت اوهردسكي (Kliment Ohridsky) . وكانت مؤسسات « بنتلمون » (Panteleimon) من بين مراكز الرهبنة في بريسلاف وأوهريد . وفي هذه الحقبة الذهبية أو الفترة البلغارية القديمة بلغ الطموح بالثقافة البلغارية الوسيطية أن تُنافس حتى العاصمة الملكية : القسطنطينية نفسها التي سماها السلافيون تزاريغراد(Tsarigrad) ، كما اقترح جون اكزارش (John Exarch) في

كتابه « شستودنييف » (Shestodnevœ) (ستة أيام من الخلق) . ويرتبط اسم القيصر سيميون ارتباطاً وثيقاً بالمؤلَّف المسمَّى باسمه « مجموعة سيميون من التعليقات الانجيلية » (Simeonov Sbornik) وبكتاب « الجدول الذهبي » (Zaltostruy) ، وهو أول نسخة سلافية من اليونانية لكتاب القديس يوحنا المعمدان (St John Chrysostom) . ويعكس الدور المسيطر الذي لعبه هذا الادب السلافي المبكر والمترجم عن اليونانية والذي أعطى الطابع السلافي ، نعم يعكس هذا الدور تصميم هؤلاء الكتاب البلغاريين لينهضوا باللهجة السلافية ويطوروها ، لتعكس تركيباً وتهجئة جميع تعقيدات وسفسطة الفكر البيزنطي .

تفوق العصر البلغاري الأوسط في القرنين الثالث عشر والرابع عشر أو ما يسمى بالعصر الفضي لسلالتي آسن (Asen) وشيشمان (Shishman) بالمهارة الفنية الفائقة في الفن التخطيطي (الخط والنموذج والرسم التزييني التجليد) ، لمخطوطاتها ، امثال مخطوطة الفاتيكان المسماة « تاريخ ماناسيس » (Manasses Chronicle) لعام ١٣٤٥ ، ومخطوطة لندن المسماة « انجيل القيصر ايفان الاسكندر » (Tsar Ivan Aleksandur Gospel) لعام ١٣٥٦ . وفي المضمون ما فتئت التأثيرات البيزنطية والترجمات عن اليونانية تعطي موارد أدبية وافرة كما هي الحال بالنسبة للفترة البلغارية القديمة . وقد تبع التذوق الاستيدي (نسبة الى سلالة استيد) للمواضيع التاريخية والدنيوية العقائد الصوفية لِـ هسيشازم (Hesychasm) ببحثها عن « النور الذاتي » في أواخر القرن الرابع عشر . وكان هذا مبدأ ثيودوسيوس أوف تورنوفو (Theodosius of Turnovo) المشهور بالمدرسة التي أسسها لتتبع دير كيلوفاريفو (Kilofarevo) ، وبتلميذه الشهير البطريك افتيمي (Patriarch Evtimy) (المتوفى عام ١٤٠٤) . وكان لكليهما شخصية قيادية في مدرسة تيرنوفو الأدبية المشهورة بمحاولاتها أن تضع مقياساً لتقاليد الكنيسة السلافية القديمة ، وتنقيها أقصى ما يستطاع حفظاً لنقائها الأصلي ، وشكلها الذي كانت عليه في فترة ما بين القرنين التاسع والعاشر . ويُبرز تراجع الأدب البلغاري الوسيط ـ إن لم يكن انتهاؤه ـ بشكل مميز نوعاً غريباً من أدب الرحلة المصور ، وهو يدور حول نقل رفات القديسين من تيرونوفو الى فيدين (Vidin) بلدة القيصر إيفان ستراتسمير (Tzar Ivan Stratsmir) أو حتى أبعد من ذلك غرباً . وهاجر الى الغرب

كذلك علماء بلغـاريون أمثـال غريغـوري تسامبـلاك (Grigory Tsamblac) وكونستانتين أوف كوستنتس (Konstantin of Kostenets) الفيلسـوف ، حاملين معهم مهارات وتقاليد أدبية . وبذهـاب سليلـو أوائـل وأواخـر الأدب البلغـاري الوسيطي انقضى التراث الفعلي لسلافية الكنيسة القديمة .

ورغم ما لهذا التقليد الأدبي الاكليـريكي المصقول ـ في خلفيتـه البلغـارية والبلقانية والسلافية الأوسع ـ من أهمية ، لم يحل محل الجداول الأدبية الوسيطية غير الدينية والأقل رفعة ، هذه الجداول التي انسابت بشكل أوسع فوق أرض إنجيلية وتاريخية بل وثنية كذلك ، لتملأ الأساطير البلقانية بمـواضيع كلاسيكية ومسيحية وأبوكريفية . ويشمـل هذا الأدب القصصي بأهدافـه الأخـلاقية والتعليمية قصـة بلغارية قصيرة تعود الى أوائل القرن العاشر ، (ربما كانت أقدم مثال سلافي على هذا النوع الأدبي الخصب) تتحدث عن المبارزة الفروسية المعجـزة التـي واجـه فيهـا سيميون (Simeon) المجـريين ، و « قصـــة ميخائـــل المحـــارب » (Mikail the Warrior) و« قصـــة تيوفانـــا صاحـــب الفنـــدق » (Teofana the Inkeeper) و « اصطفانيت واهنيلات » (Stefanit and Ihnilat) و « قصـة الملـكة البلغــارية بيرسيكا » (Bulgarian Queen Persika) التي ربما بنيت على حياة براكسي(Praksi) ابنة بورس الأول (Boris I) . والى هذا النوع من الأدب الخارج عن النطاقـين الاكليريكي والملكي ، تعود مجموعة الكتابات العقائدية الأبوكريفية لهرطقة بوكوميل (Bogomil) التي استثارت الأوساط الرسمية ، وأدت إلى ردود فعل حيوية واعلامية من برزبيتركوزما (Presbyter Kozma) ، والى دعوة القيصر بوريل(Tzar Boril) لاجتماع كنسي ، ١٢٠١١ م . وأخيراً تعتبر تقارير القديس يوحنا ريلا(St. John the Rila) ـ وهو القديس التقليدي الراعي لبلغاريا ، ومؤسس أول دير ـ الأرضية المشتركة التي يلتقـي فيهـا الأدب البلغـاري الاكليـريكي القـديم والآداب الأكثـر شعبية . ومن الأعمال البارزة هنا جنباً الى جنب مع النسخ الشعبية « سيرة الأب المبـارك يوحنـا ريلا » (Yoan of Rila) للبطـرك افتيمـي ، وكتـاب فلادسـلاف كراماتيك (Vladislav Gramatik) وعنـوانه « قصة ريلا : نقل رفات القـديس يوحنا الى دير ريلا الذي أعيد تأسيسه » .

الأدب الروسي

الأدب الروسي القديم :

ظهرت أقدم المؤلفات الأدبية الروسية في القرن الحادي عشر ، وبما كان تطور الأدب مرتبطاً منذ البداية بقبول المسيحية على يد القديس فلادمير عام ٩٨٨ ، وبتنصير البلاد ، لذا كان الأدب الروسي القديم دينياً وتعليمياً بصورة رئيسية ؛ كما تأثرت المؤلفات التعليمية بالأدب البيزنطي المترجم عن الأغريقية . وتأثر الأدب العلماني بالشعر الشعبي الشفوي الذي تناقله السلافيون الشرقيون قبل أن كان لروسيا أدب مكتوب بمدة طويلة . وأهم تراث للفولكلور الروسي ملحمة أو أغنية شعبية بطولية اسمها « بايلينا » (Bylina) ، نظمت في القرن العاشر وما بعده وذات موضوع رحب . وانتشرت هذه الأغاني الشعبية في كييف (Kiev) ونوفغورد (Novgorod) وغاليسيا (Galicia) .

فترة كييف :

تسمى أول مرحلة من الأدب الروسي القديم من القرن الحادي عشر الى أوائل القرن الثالث عشر فترة كييف أو فترة ما قبل الفتح المغولي . وكان التركيز الرئيسي للنشاط الأدبي في جنوبي روسيا ، وبشكل رئيسي في كييف ، رغم انه كتبت مؤلفات منعزلة في مدن أخرى في الجنوب والشمال . وبشكل عام ، اشترك الكتاب الشماليون والجنوبيون بلغة بعينها هي اللغة الادبية القديمة للسلافيين الشرقيين التي أمتصت الى حد ما عناصر من اللغة السلافية الكنسية .

احتوى أدب فترة كييف منذ البداية الكثير من الترجمات عن الاغريقية بصورة رئيسية وكان بعضها مترجماً عن اللاتينية أيضاً . ومن بينها كتب صلاة معظمها بالبلغارية القديمة تضم الصلوات والاناشيد . وظهرت عدة أنواع من الكتب

الانجيلية ومن بينها أناجيل ابراكوس(Aprakos) وفيها نظمت قراءات من الاناجيل حسب أيام الاسبوع ، على انها جزء من صلاة الكنيسة . وأقدم مخطوطة وصلتنا من هذه الأناجيل هي «انجيل اوسترومير»(Ostromir's Evangelium) الـذي نسـخ في الفترة بين عامي ١٠٥٦ و١٠٥٧م ، كما كانت أقـدم مخطوطـة معروفـة للانـاجيل الأربعـة هي «الانجيل الغـاليسي»(Galician Gospel) عام ١١٤٤ . وتضمنـت مؤلفات مترجمة أخرى رومانسية عن الاسكندر ونسخاً من اسطورة طروادة وعدة رومانسيات بيزنطية .

كانت كتب التاريخ أحد الانواع الادبية القديمة الواسعة التطـور بالـروسية القديمة . وقد صُنفت المجموعات التاريخية بدءاً من منتصف القرن الحادي عشر . وفي أوائل القرن الثاني عشر كانت تتشكل مجموعة تاريخية وأدبية كبرى دعيت باسم «التاريخ الروسي الاولي»(Povest Vremennykh let) ، جمعت أول نسخة منها على الارجح حوالي عام ١١١٢ على يد نسطور (Nestor) وكان راهبـاً في دير كييف - بتشرسك(Kiev Pechersk) .

شغلت المواعظ مركزاً مرموقاً في أدب الفترة الكييفية «وأفضل مثال لها ذلك» «الحديث عن القانون والعفو» (Slovo o Zakone i Blagodati) لهـاريون (Harion) كتبه قبل أن يعين مطراناً اول لروسيا عام ١٠٥١ . وفي القـرن الثانـي عشر كان المطران الروسي الثاني كلمنت سمولياتش(Kliment Smolyatich) وبشـكل خاص كيريل(Kirill) اسقف طوروف(Turov) داعيتين بارزين لفن الخطابة الاكليريكي بالروسية الكييفية . ومـن سـير القديسـين القديمـة تستحـق «الاسطـورة» المسماة (Skazaniya) - التـي تتحـدث عن بور(Boris) وغليب(Gleb) - وَلَـدَيْ القـديس فلادمير - الذكر الخاص . وهي تماثل الاسطورة التاريخية اكثر مما تشبه سير القديسين البيزنـطية التقليدية ، اذ شحنـت بالنـدب الغنائـي والمونولوجـات والصلـوات والتأملات .

وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر كتب مؤلف سمي فيما بعد «بتريكون دير كييف بشريسـك»(Kievo - Pechersky Paterik) يعتمـد على مراسـلات بـين

سيميون اسقف فلادمير الراهب السابق في دير كييف بتشريسك ، وبوليكارب (Polikarp) الراهب في ذلك الدير . أما مصدر أدب الحج الى الارض المقدسة فنشأ أصلاً في روسيا «الكييفية» ، وأبرز مؤلف يمثله هو «حج» (Khozhdeniya) الى فلسطين عام ١١٠٦ ـ ١١٠٨م لمؤلفه دانييل (Daniil) رئيس دير في جنوب روسيا .

وأبرز مؤلف لروسيا «الكييفية» «انشودة مضيف ايغور» . (Slovo o Polku Igoreve) الذي يصف حملة غير ناجحة عام ١١٨٥ قام بها الامير ايغور اوف نوفغورود ـ شفرسكي (Prince Igor Of Novgorod - Seversky) والامراء المتحالفون معه ضد البولوفسيانيين (Polovtsians) . وقد كتب بين عامي ١١٨٥ ـ ١١٨٧م وحفظ في مخطوطة اكتشفت عام ١٧٩٥ ، وفقدت عندما حرقت موسكو خلال اكتساح نابليون لروسيا عام ١٨١٢ . وقد وثقت النسخ التي أخذت عن هذه المخطوطة قبل فقدانها ، وربما كتبت الحوادث التي رويت في الانشودة بعد ان حدثت بوقت قصير . وتعتبر الانشودة ملحمة وسيطية بارزة ، وتتصف بروحها الوطنية ، كما تتميز بسموها الادبي .

تطور الادب الاقليمي :

كونت روسيا «الكييفية» خلال وجودها القصير ادباً تميز برفعة الفن والافكار ، ومع ذلك بدأ الانحدار التدريجي في المستوى منذ أواسط القرن الثاني عشر الذي اكده الفتح المغولي في القرن الثالث عشر ، وآل ذلك الى هبوط ملحوظ في النشاط الادبي .

انعكس الفتح المغولي كمصيبة داهمة في عدة مؤلفات أدبية من القرن الثالث عشر ، من أبرزها كتاب عنوانه «قصة تدمير ريزان على يد باتوخان» (Povest o razoreni Ryazani Batyem) وهي مشحونة بمواعظ سيرابيون (Serapion) رئيس دير كييف ـ بيتشريسك (Kiev-Pechersk) مسربلة بالحزن الناجم عن الاكتساح التتري .

وفي نهاية القرن الثالث عشر أو في بداية القرن الرابع عشر كتبت سيرة حياة الامير اسكندر نفسكي (Prince Alexander Nevsky) حسب التقليد المعـروف عن سير القديسين ، لكنها بالغة القرب من قصص الحروب ، وتسيطر عليها شخصية الاسكندر الملحمية . ومن الاعمال الأدبية البارزة في القرن الثالث عشر في جنوبي روسيا كتـاب تاريخ اسمـه «تـاريخ كاليش فولينسـك» (The Galich - Volynsk Chronicle) ويصف حوادث وقعت بين عامي ١٢٠١ و١٢٩٢م ، مكوناً جزءاً من نسخة في مجموعة كتب تاريخية دعيت المجموعة «الهايباتية» (Hypatian) ، وقد كتبت في العشرينات من القرن الخامس عشر .

نجمت الطبيعة الاقليمية للادب الروسي من النقص المتزايد في الاتصال بين أصقاع روسيا ، الأمر الذي ما زال ظاهراً في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، ولكن منذ أوائل القرن الخامس عشر طفق أدب موسكو يأخذ بأزمة الأمور ، لأن موسكو لعبت منذ أواسط القرن الرابـع عشر دور المركز الموحـد للقـومية الـروسية الكبرى .

وتتجلى هذه الوحـدة بارزة بشـكل خاص في قصص «تشـتيت مامـي» (Mamayevo Popoishche) التي ألفت في نهـاية القـرن الرابـع عشر حول معـركة كوليكوفو (Kulikovo) (١٣٨٠) . وأوحى فتح الاتراك للقسطنطينية بكتاب نسطور اسكندر (Nestor - Iskander) المسمى «قصة احتلال تزارغـراد» (Povest o Vzyati Tsargrada) أي القسطنطينية . وكتبت هذه القصة بشكل رئيسي حسب اسلـوب القصص الحربي . وفي أواخر القرن الخامس عشر واوائل القـرن السـادس عشر كتبت قصص أخرى في موسكو حول موضوع خلافة روسيا السياسية لبيزنطة .

والى القرن الخامس عشر ايضـاً ، يعـود كتـاب «رحلـة عبـر ثلاثـة بحـار» (Khozhdeniye za tri morya) لمؤلفه الفانسي نيكيتين (Alfansy Nikitin) وهو تاجر من تفير ، (Tver) جاب الهند وفارس بين عامـي ١٤٦٦ و١٤٧٢ وكتبـت وقائـع

الرحلة بلغة روسية حيوية عامية ، بمزيج من الكلمات الفارسية والعربية والتركية . ولا تظهر أية صفات اقليمية مميزة في «قصة بطرس وفيفرونيا» (Provest o Petre i Fevroni) التي يمكن أن نردها بدورها الى القرن الخامس عشر .

ومن الادب الاقليمي الذي يعود الى هذا القرن كان أدب نوفغورد (Novgorod) متطوراً جداً ، مؤلفاً بذلك تواتراً من المؤلفات الادبية التي كتبت دفاعاً عن استقلال نوفغورد السياسي والاكليريكي . أما بالنسبة لأدب تفير(Tver) الذي ضاهى أدب موسكو فأبرز مؤلف فيه مقالة مديح للامير العظيم بوريس الكساندروفيتش(Boris Aleksandrovitch) الارثوذكسي كتبت حوالي عام ١٤٥٣ .

أما أبرز وأعمق المؤلفات دلالة على أدب بسكوف(Pskov) فهو او بسكوفسكام فزياتي(O Pskovskom Vzyati) الذي يصف اخضاع موسكو لبسكوف عام ١٥١٠م .

وارتبط نشاط المد الأدبي الذي بدأ في نهاية القرن الرابع عشر بسيل من هجرة رجال الدين من بلغاريا والغرب الى روسيا بعد فتح الاتراك هذه البلاد ، وكانت مادة واسلوب الأدب السلافي الجنوبي التي حملت الى روسيا أكثر ما حملت على شكل سير للقديسين ، كما كانت اعادة لترجمات من الاغريقية .

أدب روسيا الموحدة :

يعود تاريخ تأسيس دولة روسيا موحدة الى حكم ايفان الثالث(Ivan III) الكبير . وفي عام ١٤٨٠م تم تحرير روسيا بعد سيطرة تترية دامت سحابة قرنين ونصف ، وتركزت بذلك السلالة الاوتوقراطية (المطلقة) في مقاطعة موسكو . وفي حوالي منتصف القرن السادس عشر شرع ايفان الرهيب (Ivan The Terrible) المتوفى عام (١٥٨٤) بشن حملة نشطة ضد الامارات الاقطاعية القوية . وانعكس هذا النزاع على الوضع فكرياً . وكان أبرز ناطق باسم النبلاء الجدد الذين أوجدهم ايفان ضد الامراء الاقطاعيين ايفان برسفيتوف(Ivan Peresvetov) الذي شملت أعماله عدة قصص دعائية وملْتَمَسَيْنْ مرفوعين لايفان الرهيب . ومثل الامراء الاقطاعيين

داعية اعلامي ذو مواعب أدبية غير عادية هو الامير اندريه ميخائيلوفتش كيربسكي (Prènce Andrey Mikhylouich Kurbsky) في كتاب «تاريخ ايفان الرابع» (Istoriya o velikom knyaze Moskovskom) الذي ألفه في الستينات والسبعينات من القرن السادس عشر ، وقد هاجم فيه كيربسكي ايفان اعنف هجوم لتنكيله بأعدائه من أمراء اقطاعيين بريئين .

أدب جورجينا :

بدأ التاريخ الأدبي لجورجيا ـ شأنه شأن الأدب في أرمينيا المجاورة ـ بالتنصر في القرن الرابع والحاجة لاختراع ابجدية لنشر الانجيل باللغة العامية . وفي القرن الخامس ترجمت الاناجيل من الارمينية الى الجورجية ، وتبع ذلك ترجمة أعمال الرسل والمزامير ومؤلفات الآباء الاغريق القدامى . وأصلاً بدأ الأدب الجيورجي بسير القديسين ، وأولها سيرة القديس شوشانيك (St. Shushanik) (حوالي ٤٨٠) . وتشمل الأعمال الأولى الأخرى وصفاً لتنصر جورجيا على يد القديس نينو (St. Nino) ، وقصصاً عن بطل من القرن الخامس هو الملك فاختانغ الأول جورجاسال (King Vakhtang I Gorgasal) وكان الجيورجيون اول من أضفى طابعاً مسيحياً على قصة بوذية عن «بارلام وجوزافات» (Barlaam And Josaphat) ، وصلتهم في القرن التاسع بنص عربي .

كان الأدب الاكليريكي عميق الجذور في الثقافة الاغريقية البيزنطية ، كما مزجت الرومانسيات والملحمات حضارة فارس بعناصر أصيلة للفولكلور القوقازي . ومن الرومانسيات الهامة يمكننا ذكر «قصة حب فيزوراميانى» (Visramiani) ، التي حورت عن الرومانس الايراني ، وتعود الى أيام البارثيين ، وأميران ـ داريجانياني (Amiran - Darejaniani) وهي حلقة من القصص الغريبة الخيال . كما بدأ الشعر العلماني بالشاعر (يوهان شافتلي) (Ioann Shavteli) وشخرو

خادز(Chakhrukhadze) الذي نظم قصائد غنـائية على شرف الملك داود الثانـي (King David II) المتـوفى عام ١١٢٥ ، والملـكة (تامـارا)(Tamara) المتوفـاة عام ١٢١٣ . أما ملحمة«شوتا روستافيلي»(Shota Rustaveli) المسماة «الرجل في جلد النمر»(Vep'khis - iquosani) فتبحث في مواضيع الزمالة المثالية والحـب البلاطـي والمحاولات البطولية . وقد قطع الاحتلال تقليد «شوتا» الشعري ، الا أنه تجدد في القرن السابع عشر على أيدي الشعراء الملكيين أمثال تاموراز الأول(Teimuraz I) وأرخيل الثاني(Archil II) .

الأدب التشيكي :

كتبت أقدم النصوص المحفوظة باللغة التشيكية في الشطر الثاني من القـرن الثالث عشر . وشجع بلاط ملوك (بريمسليدز)(Premyslids) أمثـال (ونسـسـلاس الأول)(Wenceslas I) المتوفى عام ١٢٥٣ ، أوتاكار الثاني(Otakar II) المتوفى عام ١٢٧٨ أدب البلاط بالألمانية ، ومـا من دليل على وجـود أدب تشيكي قيم باللغـة التشيكية قبل نهاية القرن .

شهد القرن الرابع عشر جدولاً مستمر التدفق من الانتاج الأدبي التشيكي ، وقد كشفت مجموعة من الاساطير الشعرية كتبت في الربـع الأول من القـرن عن نضـج بـينّ في التـكنيك . وأقـدم مؤلف علمانـي ملحمـة «الكسانـدريس» (Alexandris) وتبحث في حياة الاسكندر الأكبر ، وتظهر أنها على احتكاك بملحمة المانية بنفس الموضـوع كتبهـا الـريخ فون ايشنبـاخ(Ulrich von Eschenbach) ، والقصيدة التشيكية تحفة ثانوية من نوع الأدب البلاطي . وصورت ملحمة بارزة أخرى عنوانها «تـاريخ داليميل»(Dalimil Chronicle) تاريخ التشيكيين بأسلـوب حي مباشر . وبرعاية الامبراطور شارل الرابع ، ازدهر العلم والأدب في بوهيميا بالتشيكية والالمانية واعظم انجاز أدبي في هذه الفتـرة هو «اسطـورة شعـرية عن القديسة كاترين»(Legend of St. Catherine) .

وبدءاً من عام ١٣٥٠ شرع باستعمال الأنواع الأدبية النثرية بكتابة سير القديسين وكتب التاريخ ثم وجهّت هذه الكتابات الى الطبقة المتوسطة . وتعود الى أواخر القرن مجموعة من الهجاء الشعري والقصائد التعليمية وفيها تتبدى الاصالة والذاتية المتميزة ولا سيما القصائد الهجائية المجهولة المؤلفين والموجودة في مخطوطة «هرادك» (Hradec) وقصيدة مجازية سياسية بعنوان «المجلس الجديد» (Nova rada) كتبها سميل فلاسكا اوف باردوبيك (Smil Flaska Of Pardubice) دفاعاً عن حقوق النبلاء البوهيميين ضد سلطة العرش . وفي أخريات القرن الرابع عشر لون الاهتمام بالقضايا الاخلاقية والاجتماعية الكثير من الكتابات التشيكية ، وكتب توماس أوف ستيتني (Thomas Of Stitny) مقالات باللغة العامية سبقت أحد الميول الرئيسية للحركة الهسّية (Hussite) ، وسيطرت هذه الحركة الاصلاحية التي نادى بها جان هوس (Jan Hus) على حياة بوهيميا الفكرية خلال الشطر الاول من القرن الخامس عشر . وفي خضم الجدل الديني والنزاع المدني لهذه الفترة كان من الطبيعي للكتابة العامية أن توجه بشكل رئيسي لاغراض عملية وجدلية . ولا تكمن أهمية هس بمواعظة بالعامية وبرسائله فحسب بل كذلك في اصلاح الكتابة التشيكية الذي دافع عنه في مقالة «اورتوغرافية بوهيميا» (De Orthographia Bohemica) . وكانت احدى النتائج المباشرة لحركة الاصلاح كتابة ترانيم دينية بسيطة ومؤثرة ألفها الهسيّون ، بينما انعكست أحداث الحروب الهسية بقصائد في مخطوطة «بوتزن» (Bautzen) وبعدد من كتب التاريخ وغيرها من المؤلفات النثرية .

وفي عداد من خلف هس (Hus) بيتر تشلكيكي (Peter Chelcicky) وهو أكثرهم أصالة وقد طور افكاره الاجتماعية الاصلاحية ودعوته للاعنف في عدد من المقالات والمواعظ البارزة ، واستقى الاخوة البوهيميون آراءهم مستوحين اياها من أفكار تشلكيكي . واعتبر هذا المذهب نموذجاً مبكراً للكنيسة المورافية (Moravian Church) وواحداً من أهم مصادر الادب التشيكي الشعبي في القرنين التاليين .

الأدب البولندي :

كانت اللاتينية اللغة الأدبية الوحيدة في بولندا شأنها في ذلك شأن البلاد

الأوروبية الأخرى وشملت الكتابات الأولى سير القديسين والسجلات التاريخية وأسفار التاريخ التي كتبها الرهبان ورجال الدين . وأهمها جميعاً سير القديسين وكتب التاريخ . وفي حوالي ١١١٥م جمع «الكرونيكون» (Chronicon) راهب بندكتي من أصل فرنسي عرف باسم كالوس(Gallus) . وألف الاسقف جان دلوكوز (Jan Dlugosz) كتاباً حوالي عام ١٤٨٠ سماه «السجلات التاريخية لملوك بولندا» (Annales Sen Cronicae inclyti Regni Poloniae) وعبر هذين الكتابين ، دخل الأدب والتاريخ البولنديان ثقافة اوروبا . وسمحت الكنيسة باستعمال اللغة العامية لأن اللاتينية لم تقو على سد الحاجات الخاصة مثل الصلاة والمواعظ والأناشيد.

والاعتقاد الخاطىء والتقليدي هو أن أقدم نص شعري وصلنا بالبولندية هو لأغنية على شرف السيدة العذراء بعنوان «بوغوردزيكا» (Bogurodzica) وفيها استعملت اللغة والجرس بمهارة وفنية فائقة . وفي حوالي نهاية القرن الثالث عشر أصبح الوعظ بالبولندية راسخ الجذور وأقدم مثال معروف للنثر البولندي هو «مواعظ للصليب المقدس»(Kazania Swietokrzyskie) ، ويعود الى اواخر القرن الثالث عشر أو بداية القرن الرابع عشر وقد أكتشف عام ١٨٩٠ . كما وصلنا أيضاً جزء من ترجمة للكتاب المقدس أنجزها جورج أوف جزويك(Jdrzej Of Jaszowice) عام ١٤٥٥ للملكة (صوفيا) أرملة فلاديسلو الثاني جاكيلو(Wladyslaw II Jagiello) .

وفي حوالي نهاية القرن الخامس عشر ، بدأت المؤلفات العلمانية بالظهور فهناك قصيدة هجائية ضد البابا (حوالي عام ١٤٤٩م) نظمها جورج كالكا(Jedrzej Galka) وهو أحد اتباع المصلحين جون ويكليف(John Wycliffe) وجان هس (Hus) . ووصلنا كذلك حوار شعري أخلاقي بعنوان «حوار بين المعلم بوليكارب والموت»(Rozmowa mistrza Polikarpa) يتميز بمستواه الأدبي الرفيع . ودام أسلوب الفترة الوسيطية الى وقت متأخر في بولندا . ومثّل مارسين بيلسكي(Marcin Bielski) روح العصر الوسيطي المتأخر في كتابه «تاريخ العالم»(Kronika Wszystkiego Swiata) ١٥٥١ ، وهو أول مؤلف تاريخي عام بالبولندية .

وتتضمن أفضل الأمثلة على الأدب البولندي تقليداً أدبياً مستمراً ، ومع أنها من مواضيع التراث الأوروبي المشترك ،الا ان الكتابات البولندية بلغت مستوى رفيعاً

من التعبير الشخصي في اطار من التأليف مجهولة هوية مبدعيه، كما أرسيت الأسس التي سمق عليها الأدب البولندي مرتفعاً الى مستوى الآداب الرئيسية خلال حكم كازيمير الثالث(Casimir III) العظيم ، مؤسس جامعة كراكو(Cracow) عام ١٣٦٤ .

الأدب الهنغاري :

تألفت أول آثار مكتوبة للغة الهنغارية من كلمات هنغارية متوضعة في نصوص لاتينية قانونية أو إكليريكية . وشهد القرن الثالث عشر ترجمات عديدة من اللاتينية لم يصلنا منها سوى مؤلف واحد هو ترجمة حرة لقصيدة نظمها جودفري دوبريتويل (Godefroy de Breteuil) كما أنتج القرن الرابع عشر بدوره ترجمات لاساطير القديسة مارغريت(St. Margaret) والقديس فرانسيس اوف آسيسي(St. Francis Of Assisi) . وشهد القرن الخامس عشر ترجمات من الكتاب المقدس . ولا يزال عدد وفير من المفردات التي أوجدت لهذا الغرض قيد الاستعمال حتى الآن . وشملت ترجمات أخرى أول مسرحية هنغارية «حول ثلاث عذارى مسيحيات»(On Three Christian Virgins) وترجمة لنشيد الانشاد لسليمان .

لم يكن الأدب الهنغاري برمته دينيا ، ويمكن استنتاج وجود تاريخ لحروب طروادة ونسخة هنغارية لرومانسية الاسكندر من ترجمات سلافية جنوبية . وشهد القرن الرابع عشر متنفساً لتطور أدب علماني لأن عدداً اكبر من العلمانيين غادروا هنغاريا لتلقي العلم ، ولدى عودتهم حاولوا ادخال الأشكال الأدبية التي تعلموها .

الأدب الفنلندي :

تبعت فنلندا السويد بدءاً من أواسط القرن الثاني عشر حتى عام ١٨٠٩ وظلت السويدية لغة الطبقات العليا حتى نهاية القرن التاسع عشر عندما ازداد

استعمال الفنلندية كأداة ثقافية . وبكل الأحوال فقد تمثل أقدم أدب فنلندي بشعر شعبي تداولته الالسن شفهياً وسجل لأول مرة في أواخر القرن الثامن عشر . وكان هذا الشعر غنياً ذا أشكال متنوعة . وناسب البحر العروضي (المكون من أربع تفعيلات نبرتها على المقطع الاول) المسمى (تروكي) اللغةَ الفنلدية ، كما ناسب المقطوعات الطويلة . وكانت معظم القصائد تتابعات ملحمية أو أغاني قصيرة . ركزت الملاحم على الحوادث الاسطورية أو أعمال الأبطال . والى هذه الزمرة يمكن أن تنسب قصيدة قديمة حول خلق العالم ، وقصائد حول التفتيش عن سامبو (Sampo) ومغامرات لمنكانين(Lemminkainen) وأسطورة كوليرفو(Kullervo) المأساوية . وفي أغلبها نجد أن الشخصية الرئيسية هي شخصية فينامونين (Vainamoinen) الذي رده البعض لأصول اسطورية، بينما اعتبره البعض الآخر شخصية تاريخية . وشكلت هذه القصص كذلك جزءاً من الملحمة القومية «كاليفالا»(Kalevala) . وعالجت القصائد الغنائية ـ التي نظمت النساء جزءاً كبيراً منها ـ مواضيع الترح والفرح اليوميين . والعديد منها أغاني حب أو وصف لاطوار الروح في حالة الوحدة ، ذات خلفية ريفية تتناثر فيها مناظر طبيعية للغابات والبحيرات ، بلمحات من مجتمع القرية .

وتغير كثير من القصائد أو أختلطت ببعضها بعضاً اثناء الانتقال الشفوي . وكان أقدمها أسطورياً يرجع الى أيام الوثنية (بقيت في الأماكن النائية حتى القرن الثاني عشر) ، ويعود الى آلاف السنين . وتحدر أغلبها عن العصور الوسطى اذ احتوت على حوادث واشخاص يمكن تأريخهم . وبدأ تصنيف الشعر الشعبي بشكل منتظم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وتوصل أشهر جامع لها وهو الياس لونروت(Elias Lonnrot) الى استنتاج مفاده أن من الممكن اعادة ترتيب أجزاء القصائد الملحمية لتكون ملحمة شعبية مستمرة ، وعلى ذلك فقد وصل عدداً منها بمادة من تأليفه ناسجاً اياها بحبكة موحدة . وكانت النتيجة هي « الكاليفالا » التي أتخذت شكلها النهائي في عام ١٨٤٩ ، والتي بنيت على مادة شعبية ، الا أنها كانت في بنيتها من عمل لونروت الذي نشر مختارات من القصائد الغنائية سماها «كانتيلاتار»(Kantelatar) . وكان أثرها وأثر «الكاليفالا» على الوعي القومي الفنلندي ، والفن والثقافة الفنلنديين ـ بشكل عام ـ ضخماً جداً .

الباب الثالث

عصر النهضة

عصر النهضة (The Renaissance)

(الاحياء)

ميزات العَصْر

يطلق اسم «النهضة» ـ ومعناها الحرفي اعادة الحياة ـ على الفترة التاريخية الاوروبية التي خلفت العصور الوسطى . وكان ايقاظ روح جديدة استجابة للنداء العقلاني والفني السمة البارزة لهذه الظاهرة السياسية والدينية والفلسفية التي تجلت كمجرد احياء لروح اليونان وروما بشكل رئيسي . وفي الأدب ، أوليَ اهتمام جديد بالكتاب الكلاسيكيين العظام تحليلاً لأعمالهم . وقام العلماء بالتنقيب عن النصوص الضائعة وترجموها ، وساعد على نشر هذه النصوص ما آلت اليه الطباعة من تطور في اوروبا منذ حوالي ١٤٥٠م .

ويتفق الجميع على أن السمات المميزة للعصر التي تجمعت تحت اسم النهضة ، هي تلك التي تبدو على أوضح ما تكون في أعظم الأعمال الفنية والأدبية التي بلغت مستوى لم تبلغه في أية فترة سابقة . وتحديد ماهية هذه المميزات في أعمال المؤلفين المنفردين أصعب منها في حالة تحديد مصادر هذه المواضيع والاهتمامات التي تنعكس عنها . ومن هذه المميزات انفردت ثلاث بأهميتها البالغة وهي بلا شك :

أولاً ـ الاهتمام الجديد بالعلوم التي يعكسها العلماء الكلاسيكيون المعروفون باسم «الانسانيين» والذين كانوا بدورهم النماذج الكلاسيكية المناسبة للكتاب الجدد .

ثانياً ـ النوع الجديد من المسيحية الذي بدأته حركة الاصلاح البروتستنتي التي قادها «مارتن لوثر» (Martin Luther) والتي لفتت اهتمام الناس الى الفرد وتجربته

الداخلية ، وحركت استجابة في البلدان الكاثوليكية تلخص عادة تحت اسم الاصلاح المعاكس .

ثالثاً ـ رحلات المستكشفين الكبار التي انتهت الى الأوج في اكتشاف كريستوفر كولومبوس (Christopher Columbus) لأمريكا عام ١٤٩٢ ، وكانت ذات نتائج بعيدة المدى على البلاد التي طورت امبراطوريات ما وراء البحار ، وعلى اخيلة أكثر الكتاب موهبة في ذلك العصر وضمائرهم .

ويمكن اضافة عوامل أخرى الى هذه المميزات كالتطور في العلوم وعلم الفلك والحالة السياسية لايطاليا في أواخر القرن الخامس عشر ، اذ كانت الحرية الجديدة والروح الجديدة للبحث العلمي في دويلات المدن الايطالية حافزاً لتشجيع المبشرين الأوائل بالنهضة في أيطاليا أمثال دانتي وبيترارك وبوكاتشيو . وتبدت أزهار النهضة بفرنسا متجلية بنتاج الشعراء المعروفين باسم «بلبياد» (Pleiade) ، وفي المقالات التأملية لميشيل دو مونتين (Michel de Montaigne) ، بينما انجبت اسبانيا في هذا الوقت أعظم روائييها ، وهو ميكيل دي سيرفانتس (Miguel de Cervantes) . وهناك شخصية اخرى حلقت فوق معاصريها ، وهي شخصية الشاعر البرتغالي لوي كاموويس (Luis Camôes) وفي الوقت نفسه ازدهرت المسرحية في اسبانيا والبرتغال ، ومثلها في أفضل حالاتها لوب دي فيجا (Lope de Viga) ، وجيل فيسانتي (Gil Visante) . وفي انكلترا كذلك سيطرت المسرحية على العصر ، وكانت مزيجاً من علم عصر النهضة والتقليد الوطني ، ذلك المزيج الذي أضفى حيوية فائقة على أعمال كريستوفر مارلو (Christopher Marlawe) وبن جونسون (Ben Jonson) وجون وبستر (John Webster) وغيرهم ، بينما برز شكسبير كأعظم موهبة شعرية ومسرحية بريطانية في نهاية القرن السادس عشر وبدء القرن السابع عشر . وأستمر الحافز خلف النهضة حتى القرن السابع عشر عندما عكس جون ملتون روحاً انسانية مسيحية يمكننا ان نربطها بالانساني ديسيديريوس ايرازموس (Desiderius Irasmus) وربما كان اسم ايرازموس الوشيجة الأقوى المرتبطة بالانسانية ، وهي روح التساؤل النقدي ، واحترام العلم الكلاسيكي وعدم قبول الخرافة ، والاحترام البالغ للانسان على أنه مخلوق من صنع الله . وكان أحد مظاهر

أثر الاصلاح البروتستنتي في الادب اعداد الترجمات العظيمة للكتاب المقدس الى اللغات العامية الدارجة خلال هذه الفترة، وبذلك وضعت مقاييس جديدة للكتابات النثرية . وفي شرقي اوروبا كان القرن السادس عشر رائعاً كعصر ذهبي للادب الهنغاري (يمثله شاعر عاطفي ينتمي الى شعراء الفروسية هو بلينت بالاسي Bàlint Balassi) وللأدب البولندي اذ انضم الى مؤسس الأدب البولندي ميكولاج ريج (Mikolaj Rej) منافسون ومقلدون كثيرون وخاصة الشاعر الهجائي والغنائي المأساوي جان كوشانوفسكي (Jan Kochanowski) .

يأخذ البحث التالي بعين الاعتبار أهمية التقسيمات القومية والسياسية واللغوية ، بينما يتتبع الانتشار العام للنهضة من ايطاليا الى خارجها ويجري المقارنات والموزانات التي يتطلبها التقارب السياسي واللغوي ، كما هي الحال بين اسبانيا والبرتغال على سبيل المثال .

ويبدأ البحث بوصف للغة اللاتينية العالمية التي ورثها عصر النهضة من العصور الوسطى ، والتي كانت أساسية لنشر افكار الناس مثل ايرازموس ، ثم يعالج البحث ازدهار الآداب باللغات المحلية مبتدئاً باللغات الرومانية مثل الايطالية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية ، ثم يتبع ذلك المجموعات الجرمانية (مبتدئاً بالانكليزية) والاسكندنافية . وأخيراً تأتي آداب اوروبا الشرقية .

الفَصْل الأول

الأدَب اللّاتيني في عَصر النهضَة

يقترن تعبير أدب النهضة اللاتيني لايطاليا في القرن الرابع عشر بشكل رئيسي بدانتي وبيترارك بوكاتشيو مع انه يجب ان نذكر أيضاً المؤ رخ الفلورنسي ليونـاردو بروني (Leonardo Bruni) والعلماء الانسانيين أمثـال البرتينـو موساتـو (Albertino Mussato) وكولوتشيو سالوتاتي (Coluccio Salutati) وأينياس سيلفيوس بيكولوميني (Aeneas Silvius Piccolomini) وهو (البابا بيوس الثاني) . أما في الشعـر فكانـت هناك عودة عامة الى النماذج والاناقة الكلاسيكية ، بينما ظلت اللاتينية في النثر واسطة ضرورية للادب الانساني علمياً وفلسفياً ودينياً ، ذلك الادب الوافـر الـذي كان علامة من علامات العصر الجديد .

كان في إيطاليا ثلاثة مراكز للتعليم والأدب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وهي فلورنسة وروما ونابولي . وكان لكل من هذه المراكز الثلاثة حلقتها من الكتـاب والعلماء ، وكانـت المجموعـة الفلـورنسية خاصـة مشهورة بالفلاسفـة الأفلاطـونيين أمثـال بوجيو براسيولينـي (Poggio Braciolini) ومـارسيليو فيشينـو (Marcilio Ficino) وجيوفانـي بيكو ديلا ميرانـدولا (Giovanni Pico della Mirandola) والشاعر العالم انجيلو بوليزيانو (Angelo Poliziano) . كما كانت روما مركزاً للنحوي بيترو بيمبو (Pietro Bembo) وماركو فيدا (Marco Vida) ، وهو مؤلف لملحمة لاتينية عن الافتداء والخلاص من الخطيئة . بينما كانت نابـولي موئل العديد من الشعراء والعلماء . ولاسيما جيوفاني بونتانو (Giovanni Pontano) وجاكوبـو سانـازارو (Jacopo Sannozzaro) ولورنـزو فالا (Lorenzo Vala) وجيرولامو فراكاستورو (Girolamo Fracstoro) .

وقدمت كل من المانيا والأراضي المنخفضة مساهمة نثرية وشعرية عظمى للأدب اللاتيني في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وكان الكثير من الانسانيين مدينين بتعليمهم الأول الى « أخوية الحياة المشتركة » (Brethren of the Common Life) وهي مجموعة هولندية مسيحية أكدت التأكيد كله على الأدب الكلاسيكي . وكان في عداد هذه الأخوية ، ايرازموس (Erasmus) أكبر شخصية لعصر النهضة الشمالي ، ولكونه ترعرع حسب التقليد البياني للانسانية الأدبية ، كان قليل الاهتمام بالارهاصات العلمية للعصر . ولم يبزه أي إنساني في شمالي أوروبا كمراجع ومعلق على النصوص الأدبية الكلاسيكية وكتابات آباء الكنيسة . وكمعلق على النزاعات الاكليريكية في عصره ، وكعالم وفكه وناقد وهجاء . وكان يوهان تريذيميوس (Johannes Trithemius) الراهب الألماني مؤرخاً وعالماً واسع الاهتمامات والمعرفة . أما كونرادوس كيلتس (Conradus Celtis) فكان إنسانياً وشاعراً بارزاً ، بينما نظم بيتروس لوتيخيوس (Petrus Lotichius) شعراً أنيقاً .

وتتجلى « الانسانية » الاسبانية على أحسن صورها بشخصية العالم خوان فيفس (Juan Vives) وهو صديق ايرازموس ، بينما كان السير توماس مور (Sir Thomas More) الشخصية البارزة . وأدخل الايطالي بوليدور فيرجيل (Polydore Virgil) الأساليب الجديدة للكتابات التاريخية الى انكلترا ، وبدوره ، كان تيتو ليفيو فرولوفيسي (Tilo Livio Frulovisi) شاعراً ومؤرخاً . فكتب سيرة حياة الملك هنري الخامس ، التي أثرت في كتّاب انكليز لاحقين . ومن بين الشعراء اللاتين العديدين لا بد من ذكر جورج بوكانان (George Buchanan) وجون باركلي (John Barchay) وكلاهما اسكتلنديان . وتبدى التقليد الانكليزي للشعر الكلاسيكي وطيداً في المدارس وفي تلك القصائد اللاتينية لشعراء القرن السابع عشر أمثال جون ملتون(John Molton) وهنري فون(Henry Vaughan) وريتشارد كراشو(Richard Crashaw) وابراهام كولي(Abraham Cowley) .

وفي فرنسا حيث كانت النهضة متأخرة ـ كما هي الحال في انكلترا ـ فنظم بعض أعضاء مجموعة الكتاب المعروفين باسم « بلياد » (Pleiade) شعراً لاتينياً . ورغم نجاح شعر العامية الدارجة لم تتوقف القصائد اللاتينية ، وأدخلت عدة ترانيم

صيغت على أشكال كلاسيكية في صلوات الكنيسة في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

وحتى مطلع القرن الثامن عشر اعتبرت اللاتينية أفضل وسيلة للتعبير عن الأعمال التاريخية والعلمية ، لأنه كان عليها أن تصل الى مستمعين أو قراء أوروبيين . ولهذا السبب وكلغة ما انفكت تعتبر عالميةً كتب بها كل من مارسيليو فيسينو (Marsilio Ficino) وبيكو دلاًميراندولا (Pico Della Mirandola) وايرازموس ومور ، ومن بعدهم العلماء والفلاسفة أمثال فرانسيس بيكون(Francis Bacon) وهيجو كروتيوس (Hygo Grotius) ورينيه ديكارت (René Descartes) وبنديكت دي سبينوزا (Benedict de Spinoza) والسير آيزاك نيوتن (Sir Isaac Newton) .

وكان «الانسانيون أول من رأى ضرورة وجود أدب أمة ممثلاً في إنجاز ثقافي . وعلى ذلك لم يكونوا راضين ان يكونوا مجرد ناظمين لشعر لاتيني ، بل حاولوا الكتابة بكل أفانين الأدب الكلاسيكي . وبهذا أعطوا التقليد مدى لم يبلغه من قبل . ومن هذا المنطلق كان العصر كذلك يتمخض عن الآداب الأوروبية القومية الآخذة سبيلها الى التفتح ، ولذا لم يقتصر التقليد على اللاتينية بل مورس باللغات القومية بنجاح أخاذ .

وفي حوالي عام ١٥٥٠ كان التقليد الإنساني الذي احتوته مؤلفات ايرازموس البيانية قد تمكن تماماً من التعليم ، ولكن اللاتينية التي استند اليها ذلك التعليم لم تعد وسيلته الوحيدة ، لأن اللغات المحلية امتصت كل ما تستطيع عبر محاكاة النماذج الكلاسيكية . ودعت الحاجة الى مسلك جديد لأنه منذ وقت مبكر يعود الى أواخر القرن الخامس عشر ، أوصى رودولفوس أغريكولا (Rudolhus Agricola) « الانساني » الهولندي بأن على الكتاب أن يطوروا مواضيعهم حسب الأنماط والأساليب والنتائج والمؤتلفات والمختلفات ، واقترح ثلاثين عنواناً مشابهاً لمواضيع البيان الكلاسيكي . وفي القرن السادس عشر نشر - في فرنسا - بيتروس ريموس (Petrus Remus) أفكار أغريكولا ، وكان له أثر ضخم ، إذ فصل ريموس الإبداع

والمزاج عن البيان تاركاً إياه مجرد أسلوب والقاء . وهكذا ـ وبشكل جلي ـ تحددت أبعاد البيان بأن فقد كل اهتمام بالمضمون .

الفَصْل الثّاني

الأدب الايطالي في عَصر النهضَة

عصر الانسانية :

بدأت النهضة الأوروبية في ايطاليا في القرن الرابع عشر متجسدة بأعلام أدبية أمثال بيترارك وبوكاتشيو . ومع ذلك كان القرن الخامس عشر ذا أهمية قصوى بالرغم من خلوه من المؤلفات الشعرية الرئيسية ، لأن رؤ يا جديدة للحياة الانسانية شملت فهماً مغايراً للانسان والحياة، بله المبادىء الأكثر عصرية للأخلاق والسياسة، وتمكنت ان تجد في ثناياه متنفسها التعبيري كحصيلة لاعادة اكتشاف الماضي الكلاسيكي ، وكنتيجة لاختلاف الأوضاع السياسية عن القرون السابقة . وبالنسبة للنقطة الثانية ، نافس سائر الأمراء الايطاليون تقريباً بعضهم بعضاً في القرن الخامس عشر ، لتطوير الثقافة ، متوسلين رعاية البحث العلمي ، ومقدمين الضيافة والمساعدة المالية لأدباء العصر ، بله تأسيس المكتبات . وأصبح بلاطهم بالنتيجة مركزاً للبحث والنقاش العلميين ، وهكذا مهدوا للاحياء الثقافي الكبير .

وبمثل هذه الرعاية والتشجيع اشتهر بلاط فلورنسة تحت حكم لورنزو دي ميديتشي (Lorenzo de Medici) الكبير ، وبلاط نابولي تحت حكم ملوك آرغون (Argon) ، وبلاط ميلانو تحت حكم أسرة فيسكونتي (Visconti) وبعد ذلك تحت حكم أسرة سفورزا (Sforza) . ويأتي أخيراً البلاط البابوي الذي شمل بالحماية والمساعدة عدداً غفيراً من العلماء الايطاليين والبيزنطيين . اما بالنسبة للنقطة الأولى فقد بدأ التفتيش عن المخطوطات الضائعة للمؤلفين القدامى في النصف الثاني للقرن الذي سبق ، مما أدى الى انعاش غير عادي للاهتمام بالماضي الكلاسيكي .

وكُرِس بشكل خاص الكثير من البحث لأفلاطون والفلسفة الاغريقية بشكل عام ، وتلك حقيقة كان لها أثر عميق على تفكير عصر النهضة بشكل عام .

وعامة ما كانت الثقافة الجديدة للقرن الخامس عشر اعادة تقويم للانسان ، فقد عارضت الانسانية وجهة النظر الوسيطية عن الانسان بأنه قليل الأهمية نسبياً ، وامتدحته على أنه مركز العالم ، اذ تربط قوة روحه ما هو دنيوي وعلوي معاً ، والحياة الدنيا ليست سوى عالم تطبق فيها الروح قدراتها . وبشكل رئيسي ، كانت هذه المفاهيم التي نتجت عن الاهتمام الجديد بأفلاطون مواضيع مقالات عديدة يأتي في مقدمتها مقال لجيانوزو مانيتي (Giannozzo Manetti) وعنوانه «عظمة الانسان وروعته» (De dignitate et excellentia hominis) ، ومقال لبيكوديلا ميراندولا ، عنوانه «حديث عن عظمة الانسان» (Oratio de hominis dignitate) . وهكذا سفهت الرؤيا الانسانية ـ التي نشأت خلال هذه الفترة ـ الكثير من العقائد الدينية للعصور الوسطى التي كانت لا تزال واسعة الانتشار ، مثال الرهبنة التي هاجمها ليوناردو بروني (Leonardo Bruni) ولورنزو فالا (Lorenzo Valla) وبوجيو برا تشيوليني (Poggio Bracciolini) . ومع أن هذه الهجمات كانت مباشرة وصريحة ، لم تكن الحركة الانسانية في جوهرها ضد المسيحية ، لأنها ظلت بشكل عام مخلصة للمعتقدات المسيحية ، واعتبرها البلاط البابوي نفسه قوة «يجب أن تهضم لا أن تقهر» .

وفي النصف الأول من القرن نَظَر الانسانيون ـ بسبب حماستهم للأدبين الاغريقي واللاتيني ـ باحتقار للأدب الايطالي باللغة العامية الدارجة وكان نتاجهم الأدبي ـ الذي أوحت به النماذج الكلاسيكية ، والمدبّج معظمه باللاتينية وأحياناً بالاغريقية ـ وافراً ، لكنّه تافه ، وقلما أظهروا فيه أية أصالة شعرية لاستعمالهم لغة ميتة من جهة ، ولسيرهم من جهة ثانية في ركاب ثقافة ارتضوا لأنفسهم العبودية لها . لكن هناك قلائل شذوا عن تلك القاعدة نذكر منهم جيوفاني بونتانو (Giovanni Pontano) وميشيل مارولو تاركانيوتا (Michele Marullo

Tarcaniota) ، وجاكوبو سانازارو (Jacopo Sannazzaro) إذ نجح هؤلاء أحياناً في ابتكار شعر صميمي عبّروا فيه عن الموضوعات التقليدية لشعر القرن الخامس عشر الغنائي بحماسة وأصالة وعمق ذاتي .

نشوء الأدب باللغة المحلية :

في حوالي منتصف القرن الخامس عشر اخذت الايطالية تحل محل اللاتينية كلغة أدبية . وفي عام ١٤٤١ عبرت المساجلة الشعرية العامة « كرتامة كورو ناريو » (Certame Coronario) التي كانت تقام في فلورنسة عن الانتصار لهذا المنحى من التغيير برفع شعار : إن لغة التخاطب لم تكن بأي شكل من الأشكال بأقل من اللاتينية . وفي النصف الثاني من القرن كان في أيدي القراء عدد من المؤلفات ذات قيمة أدبية ، أوحت بها الأساطير الكارولنجية أو الثقافة « الانسانية » الجديدة .

ونفخ في الملحمة الفروسية للأساطير الكارولنجية ـ التي كانت قد انحطت الى مستوى الكليشيهات المكررة ـ حياة جديدة على يد شاعرين اختلفت طباعهما وثقافتهما ، وهما (ماتيو ماريا بوياردو (الذي عكست ملحمته « حب اورلاندو » (Orlando Innamorato) عام ١٤٨٣ مُثُلاً فروسيةً قديمة ، كما عكست مقاييس معاصرة للسلوك والعواطف الشائعة ، ولويجي بولتشي (Luigi Pulci)الذي تتخلل قصيدته المسماة « مورغانتي » (Morgante) المطبوعة قبل عام ١٤٨٠ أخلاقيات شعبية وبرجوازية جديدة .

وتجلت مثل الانسانيين الجديدة على أكمل وجه في مؤلفات آنجيلو آمبروجيني بوليزيانو (Angelo Ambrogini Poliziano) وجاكوبوسانازارو(Jacopo Sanazaro) وليون باتيستا آلبرتي (Leon Battista Alberti) ، وهم ثلاث شخصيات بارزة جمعوا بين الاحاطة الواسعة بالماضي الكلاسيكي والوحي الذاتي العميق . وأهم عمل أدبي لبوليزيانو قطع شعرية لمقارعة الانسان » (Stanze Per la Giostra) عام

١٤٧٥ ـ ١٤٧٨ ، كونت عالماً أسطورياً عاشت فيه مفاهيم ذات أصل كلاسيكي بطريقة جديدة . ويمكن قول الشيء نفسه بالنسبة لمؤلّف « آركاديا » سانازارو (Sannazaro) (١٥٠٤) وهو عمل يعكس حياة الكاتب الى حد بعيد وفيه يمتزج الشعر بالنثر . وقد ظل ذا تأثير واسع حتى القرن الثامن عشر . أما مؤلفات آلبرتي (Alberti) الأدبية فتمدنا بصورة أكثر اتزاناً عن الواقع المعاصر ، إذ عرضت صورة كئيبة للحياة الانسانية التي يسيطر عليها خبث الانسان ونزوات الحظ . أما بالنسبة للورنزو دي ميديتشي (Lorenzo de Medici) الذي كان راعياً للعديد من الأدباء ، فهو غزير الانتاج ، وإن كان ذا قيمة وثائقية أكثر منها أدبية .

وفي عام ١٥٢٥ م نشر بيترو بيمبو (Pietro Bembo) في البندقية واحداً من أوائل كتب نحو اللغة الايطالية وعنوانه « نثر اللغة العامية » (Prose della Volgar Lingua) وفيه دعا الى لغة أدبية ايطالية تستند الى نماذج توسكانية تعود الى القرن الرابع عشر وبخاصة بترارك وبوكاتشيو ، لكن عارضه الرأي أولئك الذين اعتقدوا بأن على اللغة الأدبية أن تستند الى تطورات لغوية راهنة ولاسيما تلك التي أوجدها جيان جورجيو تريسينو (Gian Giorgio Trissino) الذي طور نظريات دانتي عن الايطالية كلغة أدبية . ومن ناحية عملية كانت المشكلة مشكلة اللغة والأسلوب معاً . وحفل النصف الأول من القرن السادس عشر بعدد غفير من المساهمين في محاولة حل هذه المشكلة ، إلا أن نظريات بيمبو كان لها الغلبة في النهاية ، وذلك في الشطر الثاني من القرن . ومرد ذلك الى حد بعيد عائد لنشاطات أكاديمية ديلا كروسكا (Accademia della Crusca)، وكانت الحصيلة الأكثر علمية تجاه قضية اللغة نشر الأكاديمية أول معجم ايطالي عام ١٦١٢ .

وخلال العقود الأولى من القرن السادس عشر ألفت مقالات عدة عن الشعر حسب الأفكار الانسانية وتعليمات الشاعر الروماني الأوغوسطي (هوراس) (Horace) . ولم يظهر أي تطور تدريجي في النظرية الجمالية الشعرية إلا بعد عام ١٥٣٦ ، عندما نشر النص الاغريقي الأصلي « لكتاب الشعر » (Poetics) لأرسطو، وهكذا حُلِّل المبدأ التقليدي والمتعارف عليه تحليلاً أفضل لأن التأكيد كان

يركز على تقليد المؤلفين الكلاسيكيين أكثر من الطبيعة ، وكانت الوحدات الدارجة الثلاث (وحدة الزمان والمكان والعمل) من بين القواعد البيانية التي أعيد تأسيسها آنئذٍ ، وكانت فكرة أن الشعر هو نتاج الخيال يدعمه العقل إحدى أسس بيان القرن السادس عشر ، هذا المفهوم الذي أحياه الأدب الايطالي ،والذي انتصر في فرنسا واسبانيا وانلكترا خلال القرن التالي .

الأدب السياسي والأخلاقي :

عكست مؤلفات نيقولا مكيافلي (Niccolo Machiavelli) فكر عصر النهضة في أكثر نواحيه أصالة ،ولاسيما في التحليل الموضوعي للطبيعة الانسانية . ووُصِف مكيافلي بأنه مؤسس علم سياسي جديد قوامه فصل السياسة عن الأخلاق . وكانت تجربته السياسية أساساً لأفكاره ، والتي طورها حسب مبادىء عامة مثل مفهوم «القوة» (Virtu) و «الحظ» (Fortuna) . وقد اعتبر «القوة» ذات هدف عملي هو النضال ضد « الحظ » الذي يمثل قوى العنف وعدم المسؤولية . وتظهر مقالته الشهيرة المسماة « الأمير » (Il Prince) التي ألفت عام ١٥١٣ موقف الكاتب النبوئي الذي استند الى ملاحظة القضايا السياسية المعاصرة . وقد أصبح وصفها للحاكم المثالي دستوراً للسلطة المطلقة في جميع ربوع أوروبا مدة قرنين . وتظهر « الأبحاث التي كتبت حول العقد الأول من حياة تيتوس ليفيوس .... Discorsi) Sopra la prima deca di Tilo Livio) حوالي ١٥١٣ - ١٥٢١ الموقف الواقعي

نفسه ، اذ رفعت المصلحة العامة فوق جميع الاعتبارات ، وميزت بين الفضيلة السياسية والفضيلة الأخلاقية . أما مؤلفاته السبع حول « فن الحرب » L'arte) della guerra) ١٥٦٠ التي تتحدث عن خلق جيش حديث فهي اكثر تقنية ، بينما قدمت مؤلفاته التاريخية بما فيها « تاريخ فلورنسة » (Istorie Florentine) ١٥٢٠ - ٢٥ ، أمثلة على نظريات كان عرضها في مقالاته . ولمكيافلي كذلك مكانته في «تاريخ الأدب» وبشكل خاص لهزليته «لاماندارغولا» (La Mandragola) عام ١٥١٨ ، وهي احدى الكوميديات البارزة في ذلك القرن .

ومع ان (فرانسسكو كويتشيارديني) (Francesso Guicciardini) كان فردياً وداعية للمذهب العملي اكثر من مكيافيلي يظل المؤرخ الوحيد في القرن السادس عشر الذي يمكن أن نضعه ضمن اطار النظريات السياسية التي بناها . وقد استرعى الاهتمام الى المصالح الشخصية للمشتغلين بالسياسة ، وجلا نظريات مكيافيلي بصورة بدت معها مثالية بالمقارنة . وكتابه « ملاحظات » (Ricordi) ١٥٢٨ ـ ١٥٣٠ أحد أكثر كتب التاريخ وضوحاً وأصالة في ذلك القرن . ومن بين كتب التاريخ الأخرى للفترة كتاب « حياة » (Vita) للصائغ والنحات بنفينوتو تشليني (Benvenuto Cellini) وفيه يتحدث عن نفسه ، وهو ممتع وهام لأسلوبه العفوي ولاستعماله لغة فلورنسة الدارجة .

وعُبِّر عن أسمى المطامح الأخلاقية لعصر النهضة في مؤلف الكاتب (بلدساري كاستي جليوني) (Baldassare Castiglione) وعنوانه «رجل البلاط» (El Cortegiano) نشر عام ١٥٢٨ وفيه يعالج موضوع رجل البلاط المثالي والسيدة النبيلة والعلاقة بين رجل البلاط والأمير . وأصبح أكثر الكتب تأثيراً في ذلك القرن . وكتب جيوفاني دلاًكاسا (Giovanni della Casa) حوالي ١٥٥٠ ـ ٥٤ موضوعاً شهيراً بعنوان «جالاتيو» (Galateo) (ترجم الى الانكليزية عام ١٥٧٦) ، ويبحث في السلوك ويعبر تعبيراً كاملاً عن فكر مؤلفه الفكه وتهذيب المجتمع الايطالي المعاصر . وانعكست حياة الفترة ايضاً مصورة تصويراً حياً في عمل (بيترو آرتينو) (Pietro Artino) الذي سماه آريوستو «سوط الأمراء» . إذ أن كتابه «مناقشات» (Ragionamenti) ١٥٣٤ ـ ٣٦ صيغ بأسلوب عفوي كاشفاً عن طبيعة شهوانية دون أية روادع .

الشعر : سيطر نموذج بترارك على الشعر الغنائي ، في القرن السادس عشر ، وذلك لسبب رئيسي هو تقبل نظرية عصر النهضة حول التقليد ، وتمشياً مع تعاليم بمبو (Bembo) . وإجمالاً ، نظم جميع شعراء القرن الرئيسيين قصائد غنائية حسب أسلوب بترارك . واتسمت قصائد دلاًكاسا (Della Casa) بشيء من الأصالة . أما كاليازو دي تارسيا (Galeazzo di Tarcia) ففاق معاصريه من الشعراء بفضل أسلوبه المحكم .

وخلال القرن السادس عشر ، ظل حياً تقليد الشعر الذي يصور مشاعر مؤلفه ، وكذلك الشعر الفكاهي والهجائي حتى بلغ مركزاً مرموقاً على يد فرانسيسكو برني (Francesco Berni) بقصائده الهزلية التي تطرقت ـ عهد ذاك ـ الى مواضيع جديّة ، ومدارها بشكل رئيسي موضوعات بذيئة أو تافهة وفيها تتجلى مهارة أدائه . كما استمر خلال هذه الفترة أيضاً تقليد الشعر التعليمي الذي استثمره الكتاب الانسانيون على يد (جيوفاني روسيلاّي (Giovanni Rucellai) الذي أعاد صياغة الكتاب الرابع عشر للمؤلّف فيرجيل المسمى « جيورجيكس »(Georgics) في كتابه المسمى « النحل (Le api) وعلى يد لويجي آلمانّي (Luigi Alamanni) الذي ألّف كتاباً بستة مجلدات عنوانه «دلاّ كولتيفازيوني»(Della Coltivazione) .

ولعل أرقى تعبير للذوق الكلاسيكي لعصر النهضة نجده في كتاب لودفيكو آريستو (Ludvigo Ariosto) وعنوانه « أورلندو الغاضب »(Orlando Furioso) نشرت أول طبعة منه عام ١٥١٦ وترجم الى الانكليزية عام ١٥٩١ ، وقد تضمن حوادث مختلفة أخذت من ملحمات شعبية وسيطية ، ومن أوائل عصر النهضة ، إلا أن الصفات الفريدة للكتاب مردها وحي وتقنية آريوستو نفسه ، بله موقفه الموضوعي والنقدي لشخصياته . وكان كتاب « أورلندو الغاضب » أكمل تعبير للاتجاهات الأدبية لعصر النهضة الايطالي آنئذٍ ،وأثر كثيراً على أدب عصر النهضة الأوروبي في مراحله الأخيرة . ألّف آريستو كوميديات أشارت الى بداية الكوميديا عصر النهضة في الأدب المحلي ، بأن أدخلت تقليداً للكوميديا اللاتينية .

وهناك كذلك محاولات لاعادة تجديد الملحمة وذلك بإخضاع تقاليد الفروسية لقوانين أرسطو في الكتابة . كتب المنظِّر اللغوي جيان جورجيو تريسينو Gian) Giorgio Trissino) حسب أشد قوانين أرسطو صرامة ، بينما حاول (لويجي آلمانّي (Luigi Alamanni) أن يركز القصص حول شخصية واحدة وذلك في كتابيه « جيورني المهذب » (Giorne Il Cortese) و « آفارتشيده » (Avarchide) (وهو تقليد لالياذة هوميروس) . أما جيامباتستا جيرالدي (Giambattista Giraldi) ويعتبر أكثر شهرة ككاتب ملحمة (تراجيديا) ، فكان صاحب نظريات أدبية حاول أن يطبقها على قصيدته «أركوله»(Ercole) .

وفي خلال القرن ، اخترع شكلان من المزيج الشعري عرف أولهما باسم الشعر « الفيدنزياني » (Fidenziano) واشتق اسمه من كتاب ألفه كاميللو سكروفا (Camillo Scroffa) وهو شاعر كتب بمزيج من الكلمات اللاتينية والنحو الايطالي ، وثانيهما « الماكاروني » (Macaronic) وأطلق إسماً على شعر يتألف من مفردات ايطالية أخضعت للقواعد اللاتينية . وأفضل ممثل لهذا النوع من القريض الراهب البندكتي تيوفيلوفولنجو (Teofilo Folengo) في رائعته المؤلفة من عشرين فصلاً وتسمى « بالدوس » (Baldus) (النسخة الأولى منها عام ١٥١٧) . ونظراً لاشتطاط الأدب الانساني في هذين الضربين من الشعر : « الماكاروني » و « الفيدنزياني » ، اتجه الميل للتقليد الساخر .

وكان توركواتو تاسو (Torquato Tasso) آخر شاعر في عصر النهضة الايطالية ، وأحد عظماء أدباء ايطاليا . ففي قصيدته « القدس المحررة » (Jerusalemme Liberata) (أكملت عام ١٥٧٥ ونشرت للمرة الأولى عام ١٥٨١) لخَّص التقليد الأدبي المميّز لعصر النهضة ، إذ أعاد تجديد الملحمة الكلاسيكية حسب الاهتمامات الروحية لعصره . ويكشف عمله عن النزاع الداخلي ، بين رغبته في التعبير عن نفسه حسب الأصول الكلاسيكية، ورغبته في أن يعطي درساً في الأخلاق . وبكل الأحوال ، تعكس بعض مؤلفاته الهامة العفوية الصادقة ، وتعتبر مسرحيته المرحة « لامينتا » (L'Aminta) ١٥٧٣ أفضل مثال على شعره أيام الشباب ، وهي من نوع الشعر الرعوي الجديد . وكانت « القدس المحررة » حصيلة التوازن في مطامح الشاعر المتنازعة : فهي موضوع مسيحي عولج بشكل كلاسيكي . أما قصيدته « القدس المقهورة » (Jerusalemme Conquistata) ١٥٩٣ فقد أعاد صياغتها حسب قواعد أرسطو الدقيقة ، ومثل الكنيسة الكاثوليكية في ردة فعلها ضد الاصلاح البروتستانتي المعروفة باسم الاصلاح المضاد .

وانتهى به النزاع الداخلي بغلبة المبدأ الأخلاقي ، وشعرياً فالقصيدة فاشلة . وعبر حياته الفكرية نظم تاسو قصائد دينية أقصر . وتنبسط كتاباته النثرية بأسلوب لم تعد تسيطر عليه النماذج الكلاسيكية .

المسرحية : كانت مسرحية «سوفونيزبا»(Sofonisba) ـ لمؤلفها ترسينو ١٥١٤ ـ ١٥وأخرجت للمرة الاولى عام ١٥٦٢ ـ أول مأساة نظامية باللغة الايطالية الدارجة . وقد تبنى تركيبها الكثير من النماذج الكلاسيكية ، بيد ان سماتها الشعرية عادية ، وفي حوالي منتصف القرن السادس عشر قام جيامباتستا جيرالدي بردة فعل ضد تقليد المسرحية الاغريقية ، واقترح ان يكون الكاتب المأساوي الروماني (سنيكا) نموذجاً يحتذى . وفي تسع من المسرحيات التراجيدية والتراجي ـ كوميدية كتبت بين عامي ١٥٤١ ـ ١٥٤٩ أظهر بعض الاستقلال عن قواعد أرسطو . وأثر تأثيراً وطيداً في الدراما الاوروبية ، وبشكل خاص في المسرحية الانكليزية في العصر الاليزابيثي .

وفي القرن نفسه كان للكوميديا الايطالية التي اوحت بها النماذج اللاتينية قيمة فنية أكبر من التراجيديات ، اذ عكست الحياة المعاصرة بشكل أكمل ، ويمكن اعتبارها نقطة البدء للدراما الاوروبية الحديثة . فبالاضافة الى كوميديات (آريوستو) و (ميكافلي) علينا ان نضيف مسرحية ذات حيوية هي مسرحية «كالاندريا»(Calandria) (أخرجت للمرة الاولى عام ١٥١٣) للكاردينال برناردو دوفيزي دابيينا(Cardinal Bernarodo Davisi da Bibbiena) وخمس مسرحيات ممتعة كتبها بترو آريتينو(Pietro Aretino) . اما الفيلسوف الايطالي الكبير جيواردوانو برونو(Giordano Bruno) فقد كتب حواراً بالايطالية حول نظريته الجديدة عن الكون وحول افكاره المعادية «للانسانيين» وألف بدوره ملهاة «عنوانها صانع الشموع»(Il Candelaio) عام ١٥٨٢م .

القصص :

أثر الاتجاه الكلاسيكي الذي أسسه بيترو بمبو(Pietro Bembo) أيضاً على الأدب القصصي الذي تجسد نموذجه الواضح في كتاب بوكاتشيو «ديكاميرون» (Decameron) ويمكن ان نجد الاصالة وحيوية التعبير في الاثنتين والعشرين قصة المسماة «العشاءات»(Le Cene) لمؤلفها الصيدلي الفلورنسي انطون فرانسيسكو كرازيني(Anton Francesco Grazzini) وكتب الراهب الدنيوي اكنولو فيرنزولا

(Agnolo Firenzuolo) عدة قصص بما فيها خرافة «الحمار الذهبي»(Asino D'oro) وهي ترجمة حرة لكتاب آبوليوس بالعنوان نفسه ، كما بدأ أحد رجال الدين وكاتب قصص قصيرة يدعى (ماتيو باندللو)(Matteo Bandello) اتجاهاً جديداً في قصص القرن السادس عشر بأن كتب٢١٤ قصة كانت غنية بالعناصر الدرامية والرومانطيقية دون ان يقصد بها الرفعة الكلاسيكية . وسار (جيرالدي شينزيو) (Giraldi Cinzio) بالاتجاه نفسه في مجموعته القصصية المؤلفة من ١١٢ قصة ، والتي أسماها «ايكاتوميتي»(Ecatommiti) عام ١٥٦٥ .

الفَصْل الثّالث

الأدَب الفرنسي في عَصر النهضَة

كان القرن السادس عشر احد أغنى الفترات الادبية في فرنسا وأكثرها تنوعاً . وبرز في المقدمة ثلاثة كتاب وهم فرانسوا رابليه (Francois Rabelais) وبيير دو رونسار (Piere de Ronsard) وميشيل دو مونتين (Michel de Montaigne) ، فكان القرن الذي شهد انتهاء العصور الوسطى وولادة النهضة في فرنسا، بله تلك الفترة التي نازعت فيها حركة الاصلاح الديني حركة احياء العلوم رغم انها ارتبطت بها بادىء ذي بدء .

المسرحية : يتجلى الانسلاخ عن العصور الوسطى اكثر ما يتجلى في المسرحية ، اذ أخذت مسرحيات خلق الكون والمعجزات (التي كانت عروضاً بسيطة لموضوعات دينية معروفة بالاضمحلال) ـ منذ منتصف القرن السادس عشر ـ وذلك بسبب معارضة رجال الدين إياها بشكل عام . ومع ذلك ظلت بعض الاشكال الوسيطية للمسرحية ، تمثل حتى نهاية القرن ، ولكن النهضة اكتسحت ـ في باريس على الاقل ـ سائر آثار مسرحية العصور الوسطى ، تمشياً مع روح التغيير الوافدة من ايطاليا وبسبب من استيراد ترجمات ايطالية للكلاسيكيات ، فضلاً عن ترجمات جديدة لمؤلفات أخرى منها الكترا (Electra) لسوفوكليس من الاغريقية الكلاسيكية . وسارع الانسانيون الفرنسيون الى كتابة تراجيديات أصيلة حسب النموذج الكلاسيكي . فكتب اتيان جوديل (Etinne Jodelle) أول مأساة حديثة وعنوانها «كليوباترا الاسيرة» (Cleopatre Captive) أخرجت عام ١٥٥٢ ، وأول

كوميديا حديثة بعنوان «يوجين»(Eugène) عام ١٥٥٢ . واختار كاتب التـراجيديا الرئيسي في هذه الفترة روبـرت غارنيية(Robert Garnier) موضوعاتـه من الادب الكلاسيكي والادب المقدس والادب الوسيط . وأشهر مآسيه «اليهود»(Les Juives) عام ١٥٨٣ المستوحاة من الكتاب المقدس . وكتب برادامانت(Bradamante) اول تراجي ـ كوميديا فرنسية أستندت جزئياً في بنيتها المسرحية على «اورلندو الغاضب» لاريوستو . وكانت أفضل مسرحيات جارنييه غنائية فصيحة مؤثـرة . أمـا كاتـب الكوميديا الرئيسي لهذا القرن فهو بيير دي لاريفي(Pierre de Larivey) الذي ربما كانت أفضل مسرحياته «الاشباح»(Les Esprits) ١٥٧٩ .

الشعر : حفلت هذه الفترة بتنوع ضخم وثروة هائلة من الشعر ، وكان اول شاعر هام كليمنت مارو(Clement Marot) الذي عالج اشكالاً وموضوعـات مميزة لكلا العصرين الوسيطي وعصر النهضـة ، كما قرض بعض الشعـر المجـازي والاسطوري ، واتسمت قصائده بروعـة اسلوبهـا السهـل المصقـول ، وبنكتتهـا الحقيقية الرشيقة ، وبأناقتها الجديدة في الشعر الفرنسي . أما راعيته مارغريت اوف انجوليم(Margaret Of Angouléme) فكانت هي الاخرى شاعرة تمازج قصـائـدها مسحـة دينية وغـرامية . وكان ديوانها الـرئيسي «جواهـر لؤلـؤة الأمـيرات»(Les Marguerites de la marguerite des princesses) .

وازدهرت في مدينة ليون(Lyons) مجموعة من الشعراء الاكفاء ، في طليعتهم موريس سكيف(Maurice Scève) الذي اشتهر بسلسلته الطويلة من أشعار الحب المهداة الى «ديللي»(Dêlie) ١٥٤٤ . ثم تلك الشاعرة الموهوبة لويس لابيه(Louise Labé) التـي تحـكي في مراثيتهـا الثـلاث ، مع/ ٢٤/ قصيدة من نوع «سـونيت» (Sonnet) قصة حب عاطفي ينبض بأرقى نبرات الشاعرية .

والشاعر الرئيسي للنهضة الفرنسية هو بيير دو رونسار(Pierre de Ronsard) الذي قام بدراساته الرئيسية تحت اشراف الشاعر الانساني جان دورا(Jean Dorat) وألفا معاً باسهام خمسـة آخـرين هم يواكيم دوبليه (Joachim du Bel'ay) وجـان انطوان دوبيف(Jean Antoine de Baif) وريمي بيلّو (Rémy Belleau) وبونتوس دو تيار(Pontus de Tyard) وايتيان جوديل(Etienne Jodelle) المجموعـة الشهـيرة

المعروفة باسم «الثريا» (La Pléiade) ، هادفين من ورائها خلق أدب فرنسي ينافس أدب ايطاليا النهضة ، ووسيلتهم بذلك النهوض بالفرنسية الى مستوى اللغات الكلاسيكية ، جاهزة لانتاج مأساة نظامية تتضمن أشكالاً شعرية غنائية من طراز «الأود» (Ode) التي كتبها بندار وهوراس ، ومن نوع «السونيت» (Sonnet) . وكتب دوبيليه بيانهم الرسمي المتضمن أهدافهم بعنوان «الدفاع عن الفرنسية والاستشهاد بها» (Defense et illustration de la langue française) (١٥٤٩ وترجم الى الانكليزية عام ١٩٣٩) . وبلغ رجال «الثريا» الكثير من أهدافهم ، وغالباً ما توصلوا الى نتائج هامة . ولكنهم اشتطوا احياناً ، وهكذا كانوا مسؤولين الى حد ما عن ردة الفعل التي قادها فرانسوا دو ماليرب (François de Malherbe) في مطلع القرن السابع عشر . وكتب رونسار طائفة شعرية كبيرة من نوع «السونيت» و«الاود» ومراثي وقصائد فلسفية وتأملية ، كما كتب شطراً من ملحمة . وكانت قصائده الغنائية من نوع «الاود» و «السونيت» جميلة بشكل خاص . وجادت قريحته بشعر ممتاز في اربعينات وخمسينات القرن السادس عشر . ويليه في المرتبة دو بيلّيه الذي نظم قصائده الغنائية من نوع «السونيت» بمهارة فائقة ، وخاصة مجموعة «الاسف» (Les Regrets) عام ـددظ . وكان بيلو مجوّد الشعر خفيف النبرة رشيقها . ونظم الكثير ، وبشكل بارز «مجموعة رعوية» (Bergerie) ضخمة .

وقفّى أثر شعراء «الثريا» وخاصة رونسار الكثير من المقلدين ، ونافح جاك بيلوتية دو مان (Jacques Peletier du Mans) مدافعاً عن نظريات هذه المجموعة ، ونظم بالذات قصائد غنائية قيّمة على طريقة رونسار . وفي عداد الكثيرين ممن تأثروا به ، الشاعر جاك تاهورو (Jacques Tahureau) الذي نظم قصائد غنائية من نوع الـ «سونيتات» رافعاً اياها للمعجب بهن (Sonnets de L'admiree) عام ١٥٥٤ . واوليفييه دو مانيي (Olivier de Magny) ناظم «تنهدات» (Les Soupirs) ١٥٥٧ . وجان فوكولان دو لا فرزني (Jean Vauquelin de la Fresnaye) الذي جادت قريحته بعدة قصائد رشيقة منها «الاناشيد الريفية» عام ١٦٠٥ (Idillies) ، وبشعر بديع سماه «فن الشعر» (Art Poëtique) وفيليب ديبورت (Philippe Deportes) وهو شاعر

بلاط مفضل اعتبر في عصره خليفة رونسار. وحقاً فقد نظم قصيدة جيدة عن ايكاروس (Icarus).

كان النصف الثاني من القرن السادس عشر فترة نزاع مدني مرير، اذ اطلق العديد من الشعراء العنان لمشاعرهم السياسية والدينية العنيفة. وربما كان أبرزهم تيودور آجريبا دوبيينه (Théodore Agrippa d'Aubigné) الذي كان مؤلفه الرئيسي بعنوان «التراجيدي» (Les Tragiques) وكان دوبيينه (D'Aubigné) شاعراً دينياً على مذهب كالفن (Calvin) وهجّاء مّر اللسان. وحاز غيوم دي بارتا (Guillaume du Bartas) البروتستنتي كذلك على شهرة واسعة لقصيدته الملحمية «الاسبوع» (La semaine) ١٥٧٨، وفيها يصف عملية الخلق كاملة. أما جان دو سبوند (Jean de Sponde) الذي اعيد اكتشافه على ايدي علماء القرن العشرين فكان بروتستانتياً تحول الى الكاثوليكية، وكتب عام ١٥٨٨ «مقالة في نماذج لبعض القصائد المسيحية» (Essay de Quelques poèmes christiens) بأسلوب عاطفي مزركش. وكان جان بابتيست شاسينييه (Jean-Baptiste Chassignet) الذي نظم مجموعة من القصائد الغنائية من نوع «السونيت» تضمنت تشابيه ومجازات رائعة هو الآخر قد أعيد اكتشافه مؤخراً. ومن بين المواهب الثانوية (جاك دوبيرون) (Jacques du Perron) وغبريل دوكوينار (Gabrielle de Coignand) كشعراء دينيين، ولكل منهما عدة قصائد جيدة.

النثر: لم يكن الأدب القصصي النثري في القرن السادس عشر غزير الكمية الا ان نوعيته ارتقت على يد أحد أبرز الكتاب الفرنسيين في جميع العصور، وهو فرانسوا رابليه (Francois Rabelais) وقد استلزم عمله العظيم عدة أجزاء: «بنتاغرويل» (Pantagruel) ١٥٣٢ «وكاركانتوا» (Gargantua) ١٥٣٥، و«الكتاب الثالث» (Tiers Livre) ١٥٤٦، و«الكتاب الرابع» (Quart Livre) ١٥٥٢، ثم هناك سفر خامس لم تثبت نسبته اليه نشر بعد وفاته عام ١٥٦٤. وتقريباً طرق رابليه بما تحلى من علم غزير كل ابواب المعرفة من العلم المعاصر بابداع محلق. وفوق كل هذا كان دقيق الملاحظة صادق النظرة النقدية، عميق البصيرة، وثاب الخيال الشعري، وأتى عمله توضيحاً وتعليقاً على أفكار ومشاعر ومطامح ومعرفة

عصر معين ، وأمة بذاتها ، جذاب الاسلوب ،غني اللغة ، خيالي التعبير ، وباختصار ، فهو رجل غير عادي ألم بأطراف المعرفة العملية بالعالم بقوة آسرة من التعبير الأدبي .

ومن القاصِّين المرموقين مارغريت اوف انكوليم(Margaret Of Angoulême) التي أشتهرت أكثر ما اشتهرت كشاعرة . وكانت مجموعتها من القصص القصيرة بعنوان «هيبتاميرون»(Heptaméron) تقليداً لكتاب بوكاتشيو «ديكاميرون» . وبالمقارنة بمن سبق كانت قصص بونافتير دي بريه(Bonaventure des Périers) أقصر وأبسط ، الا انها الذع نكتة وأقل صقلاً . أما نويل دوفيل(Noel du Fail) فهو قاص أصيل اتسم عمله بملاحظة مباشرة للفلاحين وطريقة حياتهم .

في حقل التاريخ والمذكرات لا يمكن مقارنة كتاب القرن السادس عشر بكتاب العصور الوسطى . وكانت مذكرات بيير دو برانتوم(Pierre de Brantomme) احد جنود رجال البلاط ، تحوي سير ضباط وجنود وقصص فضائح البلاط الفرنسي . وكان جان بودان (Jean Bodin) الكاتب السياسي الرئيسي للفترة ، وقد انحاز الى الجانب الملكي في النقاش الطويل بين الملكيين والمصلحين في كتابه «الجمهورية» (Republique) ١٥٧٦ وأيد فيه الملكية المطلقة. وعارضهفي وجهة النظر هذه ايتين دو لا بوتي(Etienne de la Boetie) أبرع من أحتج ضد الملكية في مقاله الرائع «ضد واحد»(Contreun) ١٥٧٦ .

وكان الدين وثيق الصلة بالسياسة عهد ذاك ، وهذا ظاهر بشكل خاص في القصيدة الهجائية المسماة «مينيبه»(Ménippée) ١٥٩٤ التي داخلها النثر ، وكتبها عدة مؤلفين ضد «العصبة المقدسة»(Holy League) وهي الحزب السياسي الكاثوليكي .

ومن بين الكثير من مؤلفات اللاهوت ذلك السفر المقرر للاصلاح الديني الفرنسي وكتاب كالفن «مبادىء الديانة المسيحية» الذي ظهر باللاتينية عام ١٥٣٦ والفرنسية عام ١٥٤١ . وهو أول مؤلف عظيم يكتب بنثر فرنسي جدلي ، ولم يؤثر على الفكر في فرنسا فقط ، وانما امتد الى غيرها من البلدان . وحتى قبل كتابته كان

الانساني جاك لوفيفـر دو ايتابـل (Jacques Lefèvre d'Etaples) ـ أول مترجم للكتاب المقدس كامـلا الى الفـرنسية ـ قد أدرك وتلميذه غيوم فاريل (Guillaume Farel) أهمية استعمال الفرنسية للاعمال الدينية وغيرهـا من المؤلفـات النثـرية . وأسهم في هذا المضمار أحد اتباع لوفيفر ، ويدعى بيير فيريه (Pierre Viret) فكتب العديد من مقالات الحوار اللاهوتية والاخلاقية . واستمـر نموذج الكتابـة الجـدلية الدينية من الجانبين البروتستنتي والكاثوليكي خلال القرن ، مع ان بعض الكتاب الدينيين امثال البروتستنتي فيليب دوبلسي مورني (Philippe Duplessis - Mornay) توصلوا الى نظرة أشمل . والى جانب الكنيسة الكاثوليكية وقف القديس فرانسيس دوسال (St. Francis de Sales) اسقف جنوا الذي يظل مؤلفه «مقدمة لحياة التقى» (Introduction à la vie devote) ١٦٠٨ كتاباً كلاسيكياً شعبياً . وأخيراً يجب ان نذكر بيير شارون (Pierre Charron) لكتابـه «الحقائـق الثـلاث» (Les Trois Verités) ١٥٩٣ ، وكتابه «ثلاثة كتب من الحكمـة» (Trois Livres de La Sagesse) ١٦٠١ وفيه بحث الدليل على وجود الله وطبيعته .

وكان هناك ثلاثة كتاب بارزين لمؤلفاتهم العلمية ، وهم جاك آميو (Jacques Amyot) وهنري استيين (Henri Estienne) واتيان باسـكييه (Etienne Pasquier) وأشتهر آميو ، اسقف اوكسير (Auxerre) بترجماته من الـكلاسيكيات الـلاتينية ، وصرح كاتب المقـالات ميشيل دو مونتـين (Michel de Montaigne) بأن معـاصريه مدينون لآميو اذ علمهم كيف يكتبون الفرنسية ويتكلمونها . وخير نتاجه ترجمته عن الاغريقية القديمة كتاب بلوتارك «سير» (Lives) الذي ربما لوّن اكثر من أي مؤلف كلاسيكي آخر افكار القرن السادس عشر وكتاباته . وكتب استيين (Estienne) وهو طباع ومصنف معاجم ـ عدة مقالات فصيحة ومؤثرة باللغة الفـرنسية ، بينما كان باسكييه (Pasquier) أحد أوائل عظماء النقاد الادبيين يكتب بالفـرنسية . ويعتبـر كتابه «دراسات فرنسية» (Recherches de La France) أحـد روائـع النقـد المتـزن والفرنسية الجيدة . ومن بين الكتاب الثانويين في هذا المجال ، نذكر الجراح آمبرواز باريه (Ambroise Paré) لما كتبه بالفرنسية من مقالات جراحية ، وبسط سيرته الذاتية بقلمه ، ولتلك أهمية أدبية خاصة .

ويقف كاتب المقالات ميشيل دو مونتـين(Michel de Montaigne) متميزاً إذ حاز الأدب كنزاً من أعظم كنوزه «بمقالاته» الشهيرة(Essais) ١٥٨٠ . ولـم يكن الشك المبدأ الكامن خلف هذا العمـل بل الانـانية . ولـكون الكاتـب مشـككاً بطبعه ، فقد تجلت ـ بشكل طبيعي ـ هذه الناحية في مقالاته ، وكانت في الشطر الأخير من القرن ، معبرة عن المواقف العقلية بنفس المستوى من التمام التي عبّر عنها رابليه(Rabelais) في الشطر الاول منه . وساد الاعتقاد بأنه لم يبق سوى القليل مما يستحق الاكتشاف محل البحـث والتسـاؤل والاحتجـاج والحماس البالـغ والخيال الجامح . ومع ان الكاتب لم ينح باللائمة على العمل او المتعة ، الا انه اعتبرهما معاً تسلية عرضية مفيدة بالنسبة لحياة الانسان ، دون أن يشغف بهما ، الأمر الذي ميّز عصر النهضة . وأسلوب مونتين رائع لخلوه من الحذلقة ولغناه بالمفردات ، ولتألقه المتنوع . وهذا الكتاب أحد أكثر الكتب شعبية باللغة الفرنسية ، ومصدر متناهي المتعة يقرأ في أوقات الفراغ ، ويوضع جانباً ثم يتناول حسب الرغبة .

أدب البر وفنسال : (Provençal)

خلال أواخر القرن الخامس عشر خبا أدب البر وفنسال ، لكن دون أن يذوي كلية ، ولـم تكف مدينة (تولوز) عن رصد المبالغ «لكلية البيان» التابعة لها ، تمشياً ونظام الجوائز الشعرية ، وفي عام ١٥١٣ أدخلت قصائد بالفرنسية الى المباريات ، لكن بعد عام ١٦٧٩ ، وخلال حكم لويس الرابع عشر ، كانت هذه المباريات هي الوحيدة المسموح بها . وفي القرنين اللذين تليا بعد فترة وسيطية مجيدة ، كان هناك تتابع في المؤلفات باللغة البر وفنسالية ذات طبيعة تعليمية بشكل رئيسي ، عملت مع ذلك على الابقاء على نوع من التقاليد الأدبية .

وفي القـرن السـادس عشر برزت دلائـل على حركة قوية في اتجـاه نهضـة بر وفنسالية ، فقد ارتفع كاسكون بيه دو كاروس(Gascon Pey de Garros) مؤلف كتاب «قصائد رعوية» (Eglogues) بلهجته المحلية الى مستوى اللغة الادبية بترجماته «مزامير داوود» و«قصائـد غاسقـونية»(Poesias Gasconas) ١٥٦٧ . وفي النهـاية الاخرى من جنوبي فرنسا حيث كانت تنطق لغة «الاوك»(Oc) في بر وفنسال نفسها

بدأت الحـــركة ممثلـــة بالكاتـــب لوي بيلـــو دو لا بيلوديير (Louis Bellaud de la Bellaudière) في اتجاه النظم باللغة المحلية .

الفَصْل الرَّابع

الأدَب الاسْباني في عَصر النهضَة

بدء العصر الذهبي :

يمكن اعتبار توحيد اسبانيا عام ١٤٧٩ ، واكتشاف كولومبوس أمريكا والعالم الجديد ١٤٩٢ الذي تم بعد ادخال الطباعة ١٤٧٤ ، والتوافق والاتصال الثقافي مع ايطاليا (كانت نابولي منذ عام ١٤٤٣ تابعة لآراغون) يمكن اعتبار حصيلة ذلك بدء فترة عصر النهضة في اسبانيا التي تعرف باسم العصر الذهبي (Siglo de Oro) .

عكس الأدب الاسباني غزارة التجربة الجديدة التي ولدت من المغامرات فيما وراء البحار ، والموقف الموضوعي المتسائل عن مدى الثقة بالأشكال الكلاسيكية التي أعيد اكتشافها . فقد ضم الانسانيون الاسبان رواد النحويين ومؤلفي المعاجم لأية لغة رومانية . وكان خوان لويس فيفس (Juan Luis Vives) الشخصية الاوروبية البارزة ، والاخوان خوان والفونسو دوفالديس (Juan, Alfonso de Valdes) وغيرهم أتباعاً لايرازموس الذي عمّت مؤلفاته مترجمة منذ عام ١٥٣٦ ، وبرز في إثره القديس اغناطيوس أوف لويولا (St. Ignatius Of Loyola) ، مؤسس جمعية يسوع ، كشخصية مناهضة للاصلاح الديني ، ليجيء بعده الشاعر والكاتب الديني فريه لويس دو ليون (Fray Luis de Léon) .

من أروع ما كتب في أوائل عصر النهضة رواية «كوميديا دو كاليكستو واي ميليبيا» (Comedia de Calixtoy Melibea) ١٤٤٩ المكتوبة على شكل حوار ، والمنشورة غفلاً من اسم مؤلفها . وان عزيت لكاتب يهودي متنصر هو فيرناندو دو روخاس (Fernando de Rojas) . وتتمثل الشخصية المسيطرة فيها «بالقوادة» سلستينا (Celestina) التي صورت بواقعية لايدانيها بالروعة أي عمل أدبي آخر ،

حتى نفحت تلك الرائعة عنوانها وغالباً ما عرفت به ، وهو «لاسلستينا» (La Celestina) . وبقوة ، وتحليل بسكولوجي عرض تحليل العاطفة والصراع الدرامي الناجم عنها ، مما بوّأ الرواية منزلة أول رائعة من روائع النثر الاسباني ، وأول رواية واقعية .

الشعر : تربط القصائد البطولية الغنائية من نوع «البالاد» الملحمة البطولية الوسيطية ودراما القرن العشرين . وهي تقع في قلب الوعي القومي ، وتدل قدرتها على البقاء وانتشارها من سالونيكا الى تشيلي ، ومن الأراضي المنخفضة إلى شمالي أفريقيا على مدى اتساع حدود شهرة اسبانيا في عصر عظمتها .

عالجت القصائد البطولية الاولى (أواسط القرن الخامس عشر) حوادث الحدود أو موضوعات غنائية ، ولتلك التي تعالج مواضيع وسيطية بطولية أهميتها ، لأنها شكلت مصدر كل انسان عن التاريخ القومي وشخصياته . وفي حوالي ١٥٥٠ جمعت القصائد البطولية الغنائية في «كتاب أغاني البالاد» (Cancionero de Romances) المحفوظ في آنتفرب (Antwerp) وكذلك في «مجموعة متنوعة من قصائد البالاد» (Silva de Varios romances) . وسرعان ما استغل الشكل الشعري (وزن ثماني التفعيلات ، في أبيات مترادفة مسجوعة) لأغراض غنائية على أيدي أشهر شعراء العصر ، وظل حتى الآن الوسط المختار للشعر القصصي الشعبي .

فشلت المحاولة السابقة في صبغ الشعر الاسباني بالصبغة الايطالية ، وذلك لعجز الاسبانية وفنها اللغوي الشعري عن حمل العبء . ومهّد الشاعر الكاتالاني

(خوان بوسكان آلموجارير (Juan Boscan Almogarer) ـ الذي أعاد ادخال البحور الشعرية الايطالية ـ لشاعر أكبر منه بكثير هو كارسيلازو دو لا فيكا (Garcilaso de la Vega) الذي ولدت على سبحات بيانه القصيدة الغنائية من جديد ، وبله مهارته في التقنية الشعرية التي أخذها عن الشعراء الوسيطيين الكلاسيكيين ـ أضفى على نتاجه طابعاً شخصياً بارزاً وذلك لمعالجته موضوعات عصر النهضة المميزة . وبشكل عام حددت قصائده القصيرة ومراثيه وقصائده الغنائية من نوع «السونيت» الطريق للشعر الغنائي خلال فترة العصر الذهبي الاسباني .

ومنــح فريه لويس (Fray Luis) بتبنيه بعض الأســاليب الفنية الشعــرية لكارسيلازو ـ مدرسة سلمنكا(Salamanca) ـ والتي تركز على المضمـون أكثـر من الشكل ـ نمطها الخاص بها . وتزعم الشاعر والناقد فرناندو دي هريرا(Fernando de Herrera) الخط المضاد المتمثل بمدرسة اشبيلية التي أخذت الكثير عن كارسيلازو وأولت النواحي الدقيقة للشعر الرفيع اهتمامها ، وعالج بعمق مؤثر في رباعيته من القصائد الغنائية من نوع «الأود» موضوعات بطولية دارجة . وتمثـل الدفـاع عن بحور الشعر الوطنية القصيرة المرتبطة ـ بشكل رئيسي ـ بالشاعر الهجائي كرستوبال دو كاستيليجو(Cristobal de Castillejo) تدعمه مجموعات القصائـد البطـولية من نوع «البالاد» الآنفة الذكر والدراما الناشئة .

وبالنسبة للشعر الملحمي كان آريوستو وتاسو النموذجين اللذين احتذيا ، وان تغيرت الصورة فبتلك الموضوعات والابطال المتعلقين بالفتح والتوسع ، أو الدفاع عن الامبراطورية والعقيدة فيما وراء البحار . وقارب آلونزو دو آرسيلا أي زونيكا (Alonso de Ercilla y Zuniga) الوصـول الى انجـاز حقيقـي بقصيدتـه «آروكانـا» (Araucana) ١٥٦٩ ـ ٩٠ . ويروي فيها قصة المقاومة الوطنية للفتح الاسباني في تشيلي . ومـن الأمثلـة الملحمية الأخـرى النمــوذجية نأتــي على ذكر دارغــونتيا (Dargontia) ١٥٩٨ ، وهـو تاريخ شعـري لرحلـة الســير فرانسيس دريك(Sir Francis Drake) الأخيرة ووفاته ، وقصيدة «التـاج المأسـاوي»(Corona Trâgica) ١٦٢٧ التي تتحدث عن مأساة ماري ملكة الاسكتلنديين .

المسرحية القديمة : وشأنها شأن البلاد الأوروبية الأخرى علينا ان نفتش عن أصول المسرحية الاسبانية في الكنيسة ، فمسرحية «الملوك الحكماء الثلاثة»(Auto de Los Reyes magos) غير الكاملة من حلقة عيد الغطاس هي الوحيدة التي وصلتنا من الدراما الاسبانية الوسيطة ، وجاء فيها تشخيص المجوسي وهيرود ومستشاريه واقعياً ، كما أشـار المزيج من البحـور الى ناحية من تطـور لاحـق للمسرحية في اسبانيا .

ويشير تلميح في دستور الملك الفونسو العاشر الى وجود شكل ما للمسرحية العلمانية في القرن الثالث عشر الا أنه لم تصلنا أية نصوص . وسبقت هذه العروض النقدية المسلية التي قدمها ممثلون جوالون والتي سميت «جويكوز» (Juegos) المسرحيات القصيرة والفصول الهزلية التي كثيراً ما حشرت في المسرحيات والتي اطلق عليها في أسبانيا اسماء مثل (Pasos) و(Entremeses) و(Sainetes) والتي شكلت احدى مساهمات اسبانيا الرئيسية في الفن المسرحي .

وأشار خوان دل أنسينا (Juan del Encina) الى تحرر المسرحية من القيود الاكليركلية ، وذلك باقامته عروضاً لرعاة الأدب النبلاء ويضم مؤلفه «كتاب الاغاني» (Cancionero) ، ١٤٩٦ محاورات رعوية ودينية ودرامية بلهجة ريفية الا أنه سرعان ما اتجه نحو موضوعات علمانية أو هزلية حيوية من نوع «الفارس» (Farce) . وعبرت بعض مسرحياته عن مفهوم للمسرحية عبر اقامته الطويلة في ايطاليا ، وتحولت فيه الوسيطية الوطنية الى تجريبية جريئة من تجارب عصر النهضة .

ومن جهة ، فان تلميذ أنسينا البرتغالي جيل فيسنتي (Gil Vicente) - وهو شاعر بلاط في لشبونة كتب كذلك بالقشتالية - نفح طبيعة الحوار ، ودقة الملاحظة ، وادراك الموقف تقدماً رائعاً ، وبخاصة ما تميز به من غنائية عبر في بعض منها عن أروع الشعر الاسباني لتلك الفترة ، وان اعتورتها احياناً هلهلة الحبكة التي تمثل نقطة ضعف الشاعر .

وبالدرجة الأولى كان خروج الدراما من البلاط الى الساحة العامة ، وخلق جمهور لها من عمل لوبه دي رويدا (Lope de Rueda) الذي طاف مع فرقته المتواضعة ارجاء اسبانيا عارضاً فيها مجموعة من المسرحيات من تأليفه . وكانت هزلياته النثرية الأربع سخيفة ، وتجلت فضائله كمسرحي فيمشاهده الهزلية بين الفصول العشرة . وتميز بكونه مؤسس المسرحية ذات الفصل الواحد ، ويمكن اعتبارها ارفع شكل مسرحي حيوية وشعبية في اسبانيا .

ويعتبر خوان دو لا كيفا (Juan de la Cueva) أول مسرحي حقق أمكانيات القصائد البطولية القصيرة من نوع «البالاد» في المسرح . واستمد هزلياته ومآسيه

بشكل رئيسي من الماضي الكلاسيكي ، الا انه التفت في مسرحياته «أمراء لارا السبعة» (Los Siete infantes de Lara) «وتحدي زامورا» (El Reto de Zamora) «وتحرير اسبانيا على يد برناردو دل كاربيو» (La Libertad de Espana Por Bernardo del Carpio) وجميعها نشرت عام ١٥٨٨ - الى القصص البطولية السابقة المألوفة في الشعر البطولي القصير «البالاد» ، وهكذا - وان لم يكن كاتباً مسرحياً مرموقاً - ساعد على تأسيس مسرحية قومية .

النثر - الكتابة التاريخية : قبل وفود الحركة المعاكسة لحركة الاصلاح الديني ، انتج النثر بعض المحاورات البارزة ، وخاصة على يدي الفونسو دي فالديس (Algonso de Valdes) في كتابه «حوار بين ميركوري وتشارون» (Dialogo de Mercurio y Carón) ١٥٢٨ . كما كتب أخوه خوان «حواراً حول اللغة» (Dialogo de la lengua) ذا قيمة نقدية رفيعة . واستمر استثمار التاريخ مماشياً ارتفاع الروح الوطنية ، عندما ألقت عظمة اسبانيا بظلالها فوق اوروبا . وتجلى آخر إزهار لها في الترجمة من اللاتينية الى الاسبانية التي قام بها خوان دو ماريانا (Juan de Mariana) بنفسه عام ١٦٠١ لمؤلفه حول تاريخ اسبانيا مما قام دليلاً على انتصار اللغة المحلية الدارجة للأغراض الأدبية .

إلا أن الأعمال التاريخية البارزة أتت من العالم الجديد وأظهرت انتقال التجربة الى الأدب بحيوية لم تشهدها اسبانيا من قبل ، فقد جاءت رسائل كولومبوس وما في تضاعيفها من وصف لرحلاته ، وكذلك رسائل الرحالة الشهير (هرمان كورتيس) (Herman Cortes) وتقاريره ، وغيرها من قصص كثيرة كتبها فاتحون أكثر تواضعاً ، جاءت فتحاً جديداً لآفاق جديدة ، تتبسط دون ناظري القارىء . وفي محاولة الكتّاب وصف مناظر طبيعية غريبة ، توسعت موارد اللغة بالكلمات الجديدة . ومن الكتب الأخاذة كتاب «التاريخ الحقيقي لفتح اسبانيا الجديدة» (Historia Verdadera de la Conquista de la Nueva Espana) ١٦٣٢ الذي كتبه السائح والمؤرخ برنال دياز ديل كاستيلو (Bernal Diaz del Castillo) الذي تمتع بذاكرة عجيبة وعين لا تخطىء في التفاصيل . وجادت ريشة بارتولومي دو لاس

كاساس (Bartolome de las Casas) رسول الهند الغربية ـ الذي نشر عام ١٥٥٢ ـ بـ «وصف مختصر لتحطيم الهند الغربية» : (Brevisima relación de la destruccion de las Indias) وفيه ينتقد سياسية اسبانيا الاستعمارية ، وسوء معاملة السكان الوطنيين مما أدى الى تفشي الخرافة السوداء (Leyenda negra) بين أعداء اسبانيا .

الرواية : سيطر على الذوق الشعبي للرواية لمدة قرن سلائل الروايات البلاطية (أمادي دو جولا) (Amadis de Gaula) . وحفظت هذه الروايات اللامتناهية مثل الفروسية الوسيطية ، لكنها مثلت التهرب الكامل لفقدانها اتصالها مع الحياة في كل نقطة ، ومع الزمن أثارت ردود فعل أدبية كالرواية الرعوية . ولما كانت مقتبسة عن ايطاليا ومشحونة بالحنين لعصر ذهبي «آركادي» ، كان رعاتها من رجال البلاط وكذلك الشعراء الذين أولوا الواقع ظهورهم ، شأنهم في ذلك شأن الفرسان المتجولين للروايات الفروسية .

وتركز رد الفعل الأكثر ايجابية في «رواية الكدية» (Picaresque) [1] التي تأسست عام ١٥٥٤ في باكورتها «لازاريللو دي تورميس» (Lazarillo de Tormes) القصيرة والمجهولة المؤلف . ويتبدى البطل متشرداً في هذا النوع الأدبي المتوطن في اسبانيا ، والمؤثر في آداب كثيرة أخرى . ويتجلى بشكل رئيسي بصفات تعارض السجايا التي يتحلى بها البطل فهو يعيش بعقلية من لا هم له سوى أن يظل حياً والذي يصور دنياه بحله وترحاله متنقلاً من سيد الى سيد . وتكمن أهمية معادلة «رواية الكدية» في انها قادت أدب القصة ثانية الى مراقبة مباشرة للحياة ، الا انها لم تسهم الا قليلاً بتطور الرواية كشكل أدبي .

وفي رواية «دون كيشوت» (Don Quixote) (الجزء الاول عام ١٦٠٥ والثاني عام ١٦١٥) رسم ميغيل دو سرفانتس (Miguel de Cervantes) ، وهو المتربع على ذروة الأدب الاسباني ، نموذجاً احتذى به كتاب الرواية الحديثة . ومع أن الرواية تبدو ـ في ظاهرها ـ نقداً ساخراً للكتابة القصصية عن «الفروسية» المغرقة في

---

(١) Picaresque : قصة بطلها لص أو أفاق.

عاطفيتها ، الا ان وضوح ادراكه لها مكنه من طرح الواقع على مستويين اثنين هما : الحقيقة الادبية لشخصية دون كيشوت والحقيقة التاريخية لتابعه سانشو بانزا (Sancho Panza) المتلمذ على يديه . وقد كشف سرفانتس في التفاعل المستمر لهذين الواقعين اللذين قلما يتماشيان عن دور الرواية ، وأرسى في العلاقة القائمة بين هاتين الشخصيتين أسس الواقعية النفسية على عكس التشخيص الجامد الذي كان سائداً في الادب القصصي السابق .

وفي كتابه «قصص نموذجية» (Novelas Ejemplares) ١٦١٣ ، حدد سيرفانتس دعواه بأنه السبّاق في كتابة قصص قصيرة فكهة بالاسبانية حسب الطريقة الايطالية من نوع «النوفيلا»(Novelas) ، وذلك بالتمييز بين تلك التي تمتعنا بما فيها من عمل ، وتلك التي يكمن فضلها في طريقة عرضها .

الكتابات الصوفية :

توافقت الفترة العظيمة للكتابات الصوفية الاسبانية مع حركة المعارضة للاصلاح الديني . على أن لتلك الحركة سوابق ، وبخاصة في كتابات اليهودي الاسباني المغترب ليون هيبريو(León Hebreo) وكتابه «محاورات الحب»(Dialoghi di amore) عام ١٥٣٥ الذي ترك أثره العميق على القرن السادس عشر ، وعلى الفكر الاسباني فيما بعد . وتستند الأهمية الأدبية للصوفيين على واقع أنهم بمحاولتهم تخطي قصور اللغة ، كانوا يحررون موارد تعبير لم يسبق لغيرهم ان طرقها . وقد دلت كتابات القديسة تريزا أوف آفيلا (St. Teresa of Avila) وبشكل خاص رسائلها وسيرتها الذاتية ، على مواهب روائية عظيمة ما زالت في المهد . وتكشّف فريه لوي دو ليون(Fray Luis de León) في نثره وشعره عن تقى عاطفي واخلاص وشعور عميق للطبيعة ، بأسلوب ذي نقاء فريد . كما ارتقى القديس جون اوف ذي كروس(St. John Of The Cross) درجات الشهرة بثلاث قصائد تعبر باسلوب رفيع عن تجربة اتحاد صوفي .

المسرحية اللاحقة : بلغت المسرحية مجدها الحقيقي بعبقرية لوب دوفيغا (Lope de Vega) وكان دستورها الذي نهجته مقالة لـ «لوب دي فيغا» وعنوانها «الفن الجديد في كتابة المسرحيات في هذا العصر» (Arte neuvo de hacer comedias en este tiempo) عام ١٦٠٩ ، وفيها رفض الكاتب القواعد الكلاسيكية ، وكذلك الكلاسيكية الحديثة ، وسعى الى مزيج من الهزلية والمأساة ، والى تنوع عروضي ، وجعل الرأي العام حكماً للذوق الجيد .

ولهذا كانت الدراما الجديدة اجتماعية تنضح بالتغيرات في القاعدة الثلاثية للمجتمع وهي امتداح العرش والكنيسة والشخصية الانسانية ، ورمز للأخيرة بمبدأ الشرف الذي امتدحه «لوب» باعتباره أفضل المواضيع جميعاً . وكانت هذه مسألة تقليد ، اذ عودل الشرف تقريباً بالسمعة . وكانت دراما عمل مقالب اكثر منها دراما شخصيات ، ونادراً ما وصلت الى أعماق المأساوي . والشيء الذي تفوق فيه المسرحيون الاسبان هو فهمهم وادراكهم للفن المسرحي والقدرة على ابتكار أكثر الحبك تعقيداً والتي تمسك بالانفاس .

ولوب الذي أدعى أنه ألَّف/ ١٨٠٠/ مسرحية ، عملاق بين معاصريه ولا شك ، واتصف باحساس لا يخطىء بما يمكن أن يحرك النظارة ، ويجعلهم يستجيبون لما يعرض على المسرح من أمور تتعلق بعظمة بلادهم ، وأصبحت الدراما على يديه قومية بمفهومها الحقيقي . ويمكن ادراج أعماله تحت قائمتين رئيسيتين هما : التاريخ الوطني . ومسرحيات «العباءة والسيف» (Capa y Espada) وموضوع الأخيرة السلوك المعاصر . ولقد نقب في الماضي الأدبي تفتيشاً عن المواضيع البطولية التي اختارها لتمثل نواحي من الشخصية القومية ، أو من التضامن الاجتماعي الذي استندت اليه اسبانيا .

أما مسرحية «العباءة والسيف» التي كان لها هيمنتها ، فتسلية صافية ، فيها الكثير من تخفي الشخصيات والوقوع في شباك الحب والتخلص منه في خوف على الشرف كاذب ، ومضاعفة للحبكة بالضحك الذي يثيره الخادم الفكه وخادم

السيدة . وقد أفشت في النظارة روح المسرة بسرعـة حركتهـا ، وحوارهـا المتألـق وتشابك العلاقات بين الجنسين ، وجلت بالتالي متع الحاضر في عالم لا مسؤ ول .

وكان أعظم خلفاء لوب اللاحقين ترسو دو مولينا(Triso de Molina) الذي عرضت مسرحيته «محتال اشبيلية»(Burlador de Sevilla) ١٦٣٠ ، اسطـورة دون جوان على المسرح لأول مرة ؛ كما تميزت مسرحية «التعقـل عنـد النسـاء» (La Prudencia en la mujer) ١٦٣٤ بكونها من أعظم المسرحيات الاسبانية التاريخية . أما مسرحية «الشاك ملعون»(El Condenado Por Desconfiado) ١٦٣٥ فتعتبر من أروع المسرحيات اللاهوتية ،بينما نجد ان كوميديا ترسو من نوع «العباءة والسيف» من اكثر المسرحيات حيوية في بابها . أما خوان رويز دو آلاركون اي ميندوزا(Juan Ruiz de Alarcón y Mendoza) المولود في المكسيك فتميز عن غيره ، اذ كانت مسرحياته العشرون متزنة ومدروسـة يتخللهـا هدف أخلاقـي جدي . ومسرحية «الشـك في الحقيقة»(Verdad Sospechosa) ١٦٣٤ ، ألهمـت الشاعـر الفـرنسي العـظيم بيير كورني في مسرحية «الكذاب»(Menteur) كما ان مسرحيته «السيد»(Le Cid) كان لها مصدرها في النزاع بين الحب والشرف الذي تعالجه مسرحية «منجزات السيد»(Las mocedades del cid) للكاتب جويلين دي كاسترو و اي بلفيس (Guillén de Castro y Bellvis) وعملت هذه المسرحيات وكثير غيرها مما هو أصيل أو ضئيل الاصالة كجسر بين لوب وكالديرون(Calderón) .

الفَصْل الخامِس

الأدب البرتغالي في عصر النهضة

القرن الخامس عشر :

ومرة ثانية أصبح البلاط البرتغالي مركزاً أدبياً تحت حكم الملك جون الأول (١٣٨٥ ـ ١٤٣٣) ، مؤسس سلالة افيز(Aviz) الجديدة . وقد كتب الملك نفسه مقالاً عن الصيد ، كما جمع ابنه ادوارد مكتبة غنية زاخرة بكتب القدماء والشعر ، وكتب التاريخ الوسيطية ، وألف مقالاً أخلاقياً عنوانه «المستشار المخلص» (Leal Conselheiro) عام ١٤٣٠، وتجلت فيه شخصيته ككاتب بياني متمكن الاسلوب . وكان كتاب أخيه بيدرو(Pedro) المسمى (تراتادو دا فيرتيوسا بنفتوريا(Tratado da Virtuoso Benfeitoria) نسخة عن كتاب سنيكا(Seneca) «دي بنفسيس» (De beneficiis) الا ان كتب التاريخ ميزت العصر . ومرد الفضل فيها للملك ادوارد الذي استحدث عام ١٤٣٤ مكتب «المؤرخ الرئيسي للمملكة» (Cronista mor do reino) وعين فيه فرناو لوبيز(Fernào Lopes) مؤسس علم التاريخ البرتغالي ومؤلف تواريخ أول عشرة ملوك للبرتغال التي لم يصلنا منها سوى تاريخ بيدره الاول(Pedre I) وفرديناند الأول ، وجون الأول ، وتعاون الاسلوب الحيوي مع التوثيق الجدي لينتج في لوبيز أفضل انجاز لنثر برتغالي وسيطي .

أكمل خلفه في المكتب جوميز ايانس دي زورارا(Gomes Eanes de Zurara) كتاب التاريخ لكن دونه مستوى فنياً . وكان مؤلفه الرئيسي «تاريخ اكتشاف غينيا وفتحها» (Crónica do Descobrimento e Conquista da Guinea) اما روي دي بينا (Rui de Pina) فكان خالياً من العيوب البيانية التي اتصف بها زورارا ، وان لم يبلغ مستوى لوبيس . وتميزت كتب تاريخه بصراحة واضحة .

وبعد كسوف طال أمده ، أعيد استثمار الشعر في أواسط القرن الخامس عشر الا أن الكثير كان قد تغير . فقد جاء التأثير المسيطر من اسبانيا ، وافتتح الشعراء البرتغاليون الفصل الطويل من الولاء لاسبانيا . وباستثناء القصائد الغنائية من نوع « البالاد » اختفى الشعر الشعبي مع الشعراء التروبادور . وافتتح أمين القصر دوم بيدرو دو بورتوغال (Dom Pedro de Portugal) أسلوب الكتابة بالقشتالية . وكان أثره على بني جلدته عظيماً لكونه من رواد فن تبني الاتجاه الاسباني الجديد نحو المجاز ، وعبادة الماضي الكلاسيكي الذي أخذ عن ايطاليا . وأوحى له الشعور العميق والتأمل المستديم بالحياة وبقصائده ، وكان واحداً من مائتي شاعر تقريباً مُثلوا في مجموعة شعرية هي « كانسيونيرو جيرال » (Cancioneiro Geral) ١٥١٦ للمؤرخ جارسيا دي ريزنده (Garcia de Resende) التي غطت ثلاثة أرباع القرن السابق . وكانت الموضوعات الرئيسية لهذه القصائد الألف المنظومة بالبرتغالية والقشتالية هي الحب والهجاء والحكم . وكان (ريزنده) من أفضل الشعراء المساهمين بمجموعته .

جيل فسنت والمسرحية الأولى (Gil Vicente) :

يمكن تتبع ظهور الدراما الحديثة في أعمال جيل فسنت مسرحي البلاط وأعظم اسم في المسرح البرتغالي . وقد كتب احدى عشرة مسرحية من مسرحياته الأربع والأربعين بالاسبانية كلية ، و/ ١٧/ منها بالاسبانية جزئياً . وأظهرت ثلاثية « باركاس » (Barcas) ١٥١٧ ـ ١٥١٩ قدرته المسرحية وحبه الهزل الحيوي ضمن ـ المآسي . وفي هذا تركزت قوته وكمن ضعفه في البنية المسرحية . وبكل الأحوال ماتت امكانية ظاهرة مسرح قومي مع مؤسسها لكن شُعر بأثره الحقيقي في اسبانيا .

أعلنت محاكم التفتيش التي أدخلت الى البرتغال عام ١٥٣٦ حرباً مبكرة على المسارح الشعبية متهمة إياها بالبذاءة ، وهكذا انقصت مسرحيات فسنت التي ظهرت في الفهرس الاسباني عام ١٥٥٩ الى / ٣٥/ ، وحذف منها الكثير في الطبعة الثانية عام ١٥٨٦ ولم تظهر له أية طبعة جديدة قبل انقضاء / ٢٥٠/ عاماً .

النهضة في البرتغال :

وصلت النهضة الى البرتغال بشكل غير مباشر من اسبانيا ، وبشكل مباشر من ايطاليا التي ارتبطت بها البرتغال بعلاقات ثقافية وثيقة خلال القرن الخامس عشر . وخلال القرن الذي تلا قطن عدد غفير من الانسانيين في البرتغال، وفي عام ١٥٤٧ أصلح جون الثالث جامعة كويمبرا (Coimbra) وعاد أساتذة برتغاليون بارزون من مهاجرهم ليساعدوا الملك في عمله، ونبغ في الداخل علماء ذوو شأن منهم اندره دي رسند (André de Resende) مؤلف « من آثار البرتغال » (De antiquitatibus Lusitaniae) ١٥٩٣ ، وفرنسيسكو دو هولندا (Francisco de Holanda) الرسام والمهندس المعماري ومؤلف كتاب « أربع محاورات في الرسم القديم » (Quatreo D'álogos da Pintura Antiga) .

المدرسة الايطالية في الشعر والمسرحية :

أدت عودة الشاعر فرانسيسكو دو سا دو ميراندا (Francisco de sa de Miranda) عام ١٥٢٦ بعد إقامته ست سنوات في ايطاليا الى النهوض باصلاح أدبي ذي تأثير بعيد المدى. فأدخل الأشكال الشعرية الجديدة «للسونيت» و « الكانزون » و « الأود » و « الرسالة » مثله في ذلك مثل معاصرة كارسيلاسو دو لا فيغا (Garcilaso de la Vega) في اسبانيا ، وأعطى دفقاً جديداً لأشكال الشعر القومي بقصائده الهجائية بشكل رئيسي . كما كتب تلميذه انطونيو فريرا (Antonio Ferreira) وهو كلاسيكي عتيد قصائد غنائية من نوع « السونت » متفوقة شكلاً وأسلوباً ، وأتم شعراء آخرون مدرسة المعرفة الواسعة التي كان لها بالتأكيد الغلبة ممثلة بشخص لويس دو كاموس (Luis de Camoes) . ومع أن الأخير اشتهر كملحمي ، لكنه ـ كما يعتقد البعض ـ كان أعظم كشاعر غنائي ، فقد اجتمعت فيه الثقافة الكلاسيكية العميقة ، والاتقان التام لوسائطه الشعرية ، وأمدته حياة طويلة من الخبرة المتنوعة ، مما جعل قصائده الغنائية من نوع « لسونت » وقصائده الرعوية والغنائية من نوع « الأود » ومراثيه أروع شعر باللغة البرتغالية . أما قصيدته الملحمة القصصية « اللوسياد » (Os Lusiadas) (عام ١٥٧٢ ، ترجمت

الى الانكليزية عام ١٩٥٢) التي تصف منجزات البرتغال في الشرق فهي القصيدة الوطنية الأولى ، والحافز الأعظم لعصر النهضة ، وقد نهج فيها سبيل الشاعر الروماني فيرجيل. ولم يبلغ مستواه في الإلهام أو المواهب الشعرية أيٌّ من منافسيه العديدين الذين حاولوا منازعته الشهرة بسبب نجاح هذه الملحمة .

وفي حقل الدراما استبدل سا دو ميراندا (Sá de Miranda) وأتباعه الشعر بالنثر. وكانت الشخوص التي رسموها أنماطاً رومانية ايطالية ، وليست شخصيات برتغالية لأنهم جعلوا نصب أعينهم الشاعر الروماني ترنس (Terence) ، المثل المحتذىٰ . ولم يكتب لهذه الكوميديا الكلاسيكية البقاء طويلاً . وألّف سا دو ميرندا « الأغراب » (Os Estrangeiros) ، وهي أول هزلية نثرية ، وفيلهل باندوس (Vilhal pandos) ليواجه ـ حسب اعترافه ـ مدرسة فيسنت ، وجعل العمل المسرحي في كلتيهما يجري في ايطاليا . وبالمثل حاول انطونيو فيريرا Antonio) Ferreira) الكاتب المسرحي الأعظم كلا النوعين . وكانت مسرحية « أوسيو سو » (O Cioso) إيطالية حتى في أسماء شخصياتها ، وأقرب الى كوميديا الشخوص، إلا أن شهرته ارتكزت ـ بشكل رئيسي ـ على مسرحية « كاسترو » (Castro) حوالي ١٥٥٧ م التي عالجت واحداً من أكثر الموضوعات المأساوية تأثيراً في تاريخ الأمة ، وهو موضوع قتل أنيس دو كاسترو (Ines de Castro) بأن أشارت الى المسرحيين الاغريقيين سوفكليس ويوربيدس . وكان اختراع من نوع جديد على يد المسرحي الهزلي جورج فريرا دو فاسكونسيلوس (Jorgę Ferreira de Vasconcelos) بمسرحية « يوفروسينا » (Eufrosina) التي كتبت تحت تأثير الرواية الاسبانية « لا سلستينا » . وقد شابهت هي ومسرحيتاه الأخريان « يولسبو »(Ulissipo) وأولغرافيا (Aulegraphia) الرواية من حيث الحوار ، واحتوت على كنوز من العلم الشعبي والأقوال الحكيمة الفكهة التي أدخلت بهدف أخلاقي .

النثر : التاريخ في القرن السادس عشر :

كانت الاكتشافات والفتوحات في افريقيا وآسيا وأمريكا وفي المحيطات مصدر إلهام للمؤرخين والشعراء. وكسبت سجلاتهم في حيويتها ما يمكن أن تكون قد

خسرته في الموضوعية العلمية . وفي العقود الثلاثة من آسيا (Asia) روى جوا دو باروس (Joao de Barros) بلغة جزلة أعمال مواطنيه فيما وراء البحار حتى عام ١٥٢٦ ، ومما لا مرية فيه أن عقده الأول ترك طابعه على كاموس (Camöes) . وأثبت هذان الشخصان أصالة لغة الكتابة ، أولهما بنثره وثانيهما بشعره . ويتبوأ هذا المؤلَّف الذي استمر فيه ديوغو دو كوتو (Diogo do Couto) مرتبة أنبل عملٍ تاريخي بارز في هذا القرن . وأضاف ديوغو دو كوتو في كتابه سولدادو براتيكو (Soldado Prático) ملاحظات دقيقة عن أسباب الانحطاط البرتغالي في الشرق . وهناك انقضاء عشرة أعوامٍ من التحقيق في الهند خلف كتاب « تاريخ فتح الهند على يد البرتغاليين » (História do Descobrimento e Conquista da India Pelos Portugueses) (١١٥٢ ـ ٥٤ وعامٍ ١٥٦١) للمؤرخ والوراق فرناو لوبيس دو كاستنهيدا (Fernao Lopes de Castanheda) ، وهو سفر يضارع كتب باروس (Barros) ودوكوتو (De Couto) .

ومن هذا الفيض من الكتابة عن التوسع فيما وراء البحار عاد الاهتمام الى تاريخ البرتغال نفسها ، بما سطِّر من كتب التاريخ الزمنية (الحوليات) عن الملوك الذين أشرفوا على هذا التوسع . وتحلى الديبلوماسي السائح والانساني والصديق الصدوق لـ أرازموس ، ونعني به داميا دو كورس (Damiao de G'ois) ، بعقل موسوعي ، وكان بالتالي واحداً من أكثر شخصيات العصر انتقاداً . فتاريخه الحوليات المسمى « كرونيكا دو د. مانيول » (Crônica de D. Manuel) (١٥٦٦ ـ ٦٧) ذو قيمة كبرى ، إذ تجلت فيه أحاسيس تجربته الخاصة . وخطيئته الرئيسية أنه سمح لقضايا الشرق أن تلقي بظلالها على الأحداث الداخلية ، مثله في ذلك مثل كتب التاريخ الأخرى في ذلك العصر .

وكثرت مؤلفات أدب الرحلة ، وغالباً ما كان مؤلفوها الرواد الأوروبيين الذين يزورون البلاد التي تدور حولها مؤلفاتهم ، ومن بين أشهرها كتاب كلاسيكي كثرت ترجماته وعنوانه «هستوريا دافيد دا بادر فرانسيسكو كزافير» (História da Vida da Padre Francisco Xavir) عام ١٦٠٠ لمؤلفه بادر جوا دو لوسينا(Padre Joao de Lucena) وكانت الرسائل(Cartas) التي يبعث بها الى الوطن

(اليسوعيون) في الصين واليابان هامة كتاريخ وكوثائق انسانية بآن معاً . وكان كتابا (اكتشاف فلوريدا) وكتراتادو وسكرثبيق دوبرازيل . (Tratado Descritivo do Brasil em) لِـ كابرايل سوريس دي سوسا(Gabriel Soares de Sousa) عام ١٥٨٧ وسيلَتَيْ تذكر بأن البرتغال كانت بدورها حاضرة ونشطة في العالم الجديد الى الغرب . وفي كل أدب الرحلة ما زال في المقام الأول كتاب «رحلة»(Peregrinaçao) الذي كتبه على الشيخوخة أمير المغامرين في الشرق فرناو منديس بنتو(Fernao Mends Pinto) وذلك لما يثيره من اهتمام غريب . ولا يضاهيه سوى كتاب «هستوريا تراجيكو - مارتيما»(Historia Tragico-Maritima) وهو مجموعة من القصص المعاصرة رواها مغامرون ناجون أو استندت الى وصفهم وهو زاخر بالعاطفة المأساوية ، وصفاً للمصائب الخطيرة التي حلت بالسفن البرتغالية بين عامي ١٥٥٢ و١٦٠٤ م.

الرواية وغيرها من أشكال النثر :

كان الشاعر برنارديم ربيرو(Bernardim Ribeiro) الذي أدخلت قصائده الرعوية الخمس الشعر الرعوي الى البرتغال مجدداً في المستوى نفسه للرواية الرعوية بكتابه «أشواق»(Livro das Saudades) (نشر ١٥٥٤ - ٥٧) المعروف بشكل أفضل بكلماته الأولى «طفل وسيدة» . والى وسط فني جديد ، نقلت هذه القصة - بما فيها من الحب الريفي والكآبة ممزوجين بعناصر فروسية - مواضيع وعواطف اقتصرت في السابق على الشعر . وقد استقى منها الشاعر والموسيقي جورج دو منتمور(Jorge de Montemor) جزءاً من إلهامه لـ «ديانا»(Diana) ١٥٥٩ . وبكتابتها بالأسبانية دُشِّنَ طرازٌ جديدٌ من الأدب ساهم فيه كل من سرفانتيس ولوب دوفيغا وغيرهم كثير ، إذ مثَّلت إحدى المساهمات البارزة للبرتغال في الأدب المقارن . وشارك البلدان (اسبانيا والبرتغال) معاً في الحماس الجديد لقصص القرن السادس عشر الفروسية بعصر بلغت فيهِ المغامرة الاستعمارية شرقاً وغرباً حداً مُحِيَ معه الخط الفاصل بين الحقيقة وشطحات الخيال غير المعقولة . وأول مؤلف هو للكاتب (جوا

دو باروس)(Joao de Barros) مؤرخ الأمبراطورية وعنوانه «تاريخ كلا ريمندو» (Crónica de Inperador Clarimundo) ١٥٢٠ الذي يروي مغامرات أحد أسلاف ملوك البرتغال الخرافيين . وقد استبقى المسرحي جورج فرارا دو فاسكونسيلوس (Ferreira de Vasconcelos) ذكريات من الحلقة الآرثرية في مؤلفه «ذكريات عن الطاولة المستديرة الثانية»(Sagramor ... de Segunda Tavola Redonda) ١٥٦٧ .

ومن بين الأخلاقيين ورجال اللاهوت يبرز ثلاثة كتاب برعوا في الأسلوب النثري ، هم فري هيتور بينتو (Frei Heitor Pinto) في كتابه « ايماجيم دافيدا كريستا » (Imagem da Vida Crista) ١٥٦٣ ، والأسقف آمادور آريس (Bishop Amador Arrais) محاوراته العشر حول الدين ومواضيع أخرى ، وفري تومي دي جيسوس (Frei Tomé de Jesus) بمقال صوفي تعبدي عنوانه « ترابالهوس دي جيسوس » (Trabalhos de Jesus) (١٦٠٢ - ١٦٠٩) . وشملت مؤلفات العلماء كتاباً لعالم الكون والرياضيات بيدرو نونيس (Pedro Nunes) ، وآخر لعالم النبات كراسيا دو أورتا (Gracia de Orta) الذي كان كتابه (كولوكيدس دوس سمبلس اي دروغاس)(Colóquios dos Simples e Drogas) ١٥٦٣ أول كتاب يطبع في الشرق (في غوا في الهند) .

الفَصْل السَّادس

الأدَب الانكليزي في عَصر النهضَة

أثر ثقافة عصر النهضة :

انتشرت « الانسانية » في انكلترا منذ عام ١٥٠٠ على أيدي اتباع الانساني الهولندي ديسيديريوس إيرازموس أمثال جون كوليه (John Colet) والسير جون تشيك (Sir John Cheke) والسير توماس اليوت (Sir Thomas Elyot) وتوماس ويلسون (Thomas Wilson) في كتابه « فن البيان » (Arte of Rhetorique) ١٥٥٣ وروجر آشام (Roger Ascham) وخاصة في كتابه « الأستاذ » (The Schole master) ١٥٧٠ . وقد اعتمدوا الكلاسيكيات الأساس الحق لتعليم ليبرالي واعتبروها النموذج الذي يجب أن يحتذيه النثر باللغات الدارجة . وساعدت سلسلة من الترجمات الكلاسيكية والنمو السريع لجامعتي اكسفورد وكيمبردج على تأكيد هذا المثل الأعلى . وكانت « يوتوبيا » (Utopia) السير توماس مور باللاتينية عام ١٥١٦ المترجمة الى الانكليزية عام ١٥٥١ ، مثالاً حياً على النظام ، وضبط النفس الذي اتسم بهما الأدب الكلاسيكي كمصدر لتفكير جديد ومستقل .

من جهة أخرى تعقدت النهضة في انكلترا ، وذلك بنقل المؤلفين الكلاسيكيين عن طريق الانسانيين الفرنسيين والايطاليين ، حتى ان معرفة الرجل الانكليزي لسنيكا (Seneca) والنظرية الأدبية الكلاسيكية كمثل تمت عن سبيل مآسٍ أوروبية على طريقة سنيكا . وخلال حكم الملكة اليزابيث الأولى عملت بالتقاليد القومية الراسخة للفكر والتعبير جنباً الى جنب مع هذه الأفكار الجديدة الوافدة من اوروبا وعدّلتها (مثال ذلك المثل الأعلى للرجل الكامل، كما انعكس في شخص ليوناردو دافنشي، والأمل بأن عقل الانسان قد جبل على مطمح انجاز لا حد

له ، وأمل استقرار) وانتجت ثقافة مثمرة وطيدة . وعلى كل ، لم ينجم عن هذا المزيج حتى عام ١٥٨٠ سوى القليل من النثر أو الشعر ذي القيمة الدائمة . وتعتبر المؤلفات اللاهوتية امثال «الكتاب المقدس العظيم»(Great Bible) **١٥٣٩** لوليم تندل(William Tyndale) ومايلز كوفرديل(Miles Coverdale) وكتاب «الصلوات العامة» **١٥٤٩** لرئيس الأساقفة كرانمر(Granmer) **١٥٦٣** أهم تركة في الشطر الأول من القرن السادس عشر .

النثر والشعر :

الشعر قبل عام ١٥٨٠ :كان الازدهار المفاجىء للشعر الغنائي في بلاط هنري الثامن الانجاز الوحيد الحق لعصر النهضة في النصف الأول من القرن السادس عشر ، وتمثّل قادة الحركة بشخصيات سير توماس ويات(Sir Thomas Wyat) وهنري هوارد ايرل اوف سري(Henry Howard Earl of Surrey) وأظهرت قصائد ويات الغنائية القصيرة من نوع «السونيت» التي يدور معظمها حول موضوعات تقليدية ـ أصالة حقيقية في المعالجة . ويكشف بيت واحد من قصائده العديدة عن عبقريته الشعرية وامكاناته اللغوية . وأظهر سري بالمقارنة ثقة فنية اكبر ، الا ان صفحاته قلما تألقت بروعة ويات المفاجئة . وكان استعماله الوزن الشعري المسمى «بلانك»(Blank) في ترجمته الكتابين الثاني والرابع من «الانيادة» انجازه الشعري العظيم . وباستيراده هذا الوزن من ايطاليا ادخل الوزن الرئيسي في الشعر الانكليزي .

لم تطبع قصائد ويات وسري حتى عام ١٥٥٧ في « متنوعات » (Miscellany) لريتشارد توتل (Richard Tottel) أو لحلقة من سلسلة من مجموعات الشعر الغنائي. وشملت المجموعات التي تلتها « حفنة من المتع السارة »A (Handeful of Pleasant delites) و « فردوس الأساليب اللذيذة » The Paradyse (of daynty devises) و « مجموعة رائعة من الابتكارات الجريئة » A gorgious (Gallery of gallant Inventions) واستمر نشر المتنوعات الشعرية خلال القرن ، ومن أروعها « مناجاة شعرية » (Poetical Rhapsody) ظهرت عام ١٦٠٢ . أما المشروع الأدبي الكبير للعصر وهو « مرآة للحكام » (A myrrour for Magistrates)

فلم يكن ناجحاً . واحتوى في الأصل ١٩ أسطورة من التاريخ الانكليزي بحيث يمكن أن يرى بالأمثلة كيف « تُعاقب الرذائل بعقاب رادع »، وحتى عام ١٦٢١ نشرت هذه المجموعة في عدة طبعات تميزت بالاضافات . ففي عام ١٥٦٣ صدرت بمقدمة شعرية شهيرة نظمها توماس ساكفيل (Thomas Sackville) وهي قصيدة أنيقة في ذاتها . وفيما عدا ذلك تمخضت السنوات ما بين سري والسير فيليب سيدني (Sir Philip Sidney) عن القليل مما يذكرنا بنتاج وايات أو يبشر بإدموند سبنسر (Edmund Spenser) باستثناء قصائد فردية قصيرة وممتعة نظمها ـ بشكل عام ـ كتاب غير متميزين أمثال ريتشارد ادواردز (Richard Edwards) وجورج تيربرفيل (Georges Turberville) وجورج غاسقوين (George Gascoigne) وجورج وتستون (George Whetstone) .

النثر قبل عام ١٥٨٠ :

تغيرت اللغة الانكليزية المنطوقة بالتدريج في القرن السادس عشر . ومن الممكن أن نعرف كيف نطقت اللغة بعد أن تمثلت بالتدريج التأثيرات الكلاسيكية من المسرحيات القديمة والوثائق الحكومية ومواعظ هيغ لاتمر (Hugh Latimer) ومن الرسائل والمذكرات والمؤلفات امثال « حوار ضد حمى الطاعون » ... (Dialogue against the fever Pestitence) للكاتب وليام بولين (William Bullein) . أما في أشكال النثر الأكثر رسمية فقد تبنت المثل اللاتينية بشكل أسرع ، ولكن دوماً بقصد تعزيز اللغة الانكليزية بادىء الأمر. وكان الانسانيون أمثال توماس ولسون (Thomas Wilson) وتشيك (Cheke) وأشام (Ascham) دائماً ضد إدخال الكلمات والتعابير اللاتينية بقصد الحذلقة ، وضد التكلف الايطالي . ويوجد بعض أفضل نثر هذه الفترة في مؤلفات كتاب كتبوا في البيان ، ومؤلفات رجال الكنيسة وأعمال مترجمين مثل السير توماس هوبي (Sir Thomas Hoby) الذي ترجم كتاب كاستكليوني « رجل البلاط » (The Courtyer) عام ١٥٦١ . وأبدع مثال في النثر الفني بالجرس الشيشروني ، ومع ذلك ظل إنكليزياً صمياً ، هو « كتاب الصلاة العامة » (Book of Common Prayer) (١٥٤٩ ـ ١٥٥٢ ـ ١٥٥٩) ؛ بينما نجد

أن النسخ المتتابعة (١٥٢٥ ـ ١٥٣٥ ـ ١٥٣٧ ـ ١٥٣٩ ـ ١٥٦٠ ـ ١٥٦٨) من الانجيل زودتنا بنموذج نبيل ودائم لقصص واسع بطولي ، ونثر غنائي رفيع . كما كوّن كتّاب التاريخ والباحثون في الآثار والرحالة مجموعة كبرى . واستعمل تاريخ ادوارد هول (Edward Hall) و « تاريخ انكلترا واسكتلندا وايرلندا » (Chronicles of England, Scotlande, and Irlande) لرفائيل هولنشد (Rafael Holinshed) أسلوباً إنكليزياً بسيطاً .

وعلى كل حال لم يزدهر النثر الخيالي ، إذ كانت المجموعات القصصية التي ألفها وليام بينتر (William Painter) والسير جفري فنتون (Sir Geoffrey Fenton) وجورج بيتي (George Pettie) مستقاة من مؤلفين كلاسيكيين وأوروبيين ، وهي أكثر قيمة كمصادر للحبكة المسرحية منها كنماذج للروائيين الانكليز .

الرواية ١٥٨٠ ـ ١٦٠٠ : كانت الروايات الانكليزية الأولى أمثال «يوفيويز» (Eyphues) ١٥٧٨ وتتمتها «يوفيويز وبلده انكلترا» (Euphues and His England) لِـ جون ليلي (John Lyly) أكثر حيوية من القصص القصيرة المسماة «نوفلا» (Novella) التي ترجمت عن الايطالية ، وقد لاقت نجاحاً مباشراً ، اذ عرضت صورة مثالية للمجتمع المهذب وتضمنت قطعاً من الفلسفة والتاريخ الطبيعي أو علم الاجتماع . وكانت ذات روح اخلاقية لا عيب فيها ، وكتبت بأسلوب غير مباشر متكشّفة عن أكثر الحذلقات البيانية التي أطلق عليها اسم «يوفيوزم» نسبة الى الكتاب .

أما كتاب اركاديا (Arcadia) المنشور عام ١٥٩٠ للسير فيليب سيدني فرواية رعوية « بيكارية » (نسبة لرواية الكدية) كتبت بنثر مزركش ، وبتعابير فخمة استعملت لتضفي الوقار على عمل بسيط ، قصد منه إعطاء درس في السلوك تحت اسم الرواية . وكانت « يوفيويز » و « اركاديا » بالغتي الأثر في أسلوبهما ومادتهما ، إلاَّ أن الكتب التي تلتهما امثال « باندوستو » (Pa[illegible]) لروبرت غرين (Robert Greene) و «روزالند» (Rosalgnde) لتوماس لودج (Thomas Lodge) كانت دونها في المستوى .

ومن الروايات الأكثر واقعية رواية « الرحالة العاثر الحظ » (The Unfortunate Traveller) ١٥٩٤ لتوماس ناش (Thomas Nashe) (وهي قصة مغامرات عنيفة بالغة القسوة وواقعية رويت بسرعة وايجاز ؛ ورواية جاك أوف نيوبري (Jacke Of Newberie) (ربما حوالي ١٥٩٧) لتوماس دلوني (Thomas Deloney) وبعد هذا التفجر القصير الأمد من عام ١٥٧٨ الى ١٦٠٠ كان على الرواية الانكليزية أن تنتظر قرناً قبل أن تستعيد أهميتها مرة أخرى ولو بدرجة ثانوية .

مؤلفات نثرية اخرى ١٥٨٠ - ١٦٠٠ :

استُعمل النثر الانكليزي بشكل طبيعي لكتابة مؤلفات في النظرية الأدبية ، ووصف للرحلات وكان كتّاب « دفاع عن الشعر » (Defence of Poesie) لسدني عام ١٥٩٥ أول مؤلف يدخل في الانكليزية افكار النظريين الأفلاطونيين الجدد لعصر النهضة . وقد كتب بأسلوب رفيع ، ناصع ، معلقاً بشكل ذكي على حالة الشعر الانكليزي المعاصر ، ومعبراً بأفكار نبيلة عن موهبة الشاعر في خلق عالم ذهبي مثالي يحمل في جماله « شكل الطيبة التي لا نستطيع إلا أن نحبها بعد أن نراها .

ومثلت الاكتشافات خير تمثيل في كتاب ريتشارد هكليوت (Richard Haklyut) « السفريات البحرية الرئيسية » (Pricipall Navigations) وهي مجموعة واسعة من تقارير الرحالة كتبها مؤلفون مختلفون بمن فيهم السير ولتر رالي (Sir Walter Raleigh) . إلا أن إمكانات النثر الانكليزي ظهرت بشكل أفضل في الجدل اللاهوتي العظيم . وكان فرعا الكنيسة البروتستانتية الجديدة في انكلترا وهما «البيورتيون» (Puritans) و « الابسكوباليون » (Episcopalians) الأكثر اعتدالاً في نزاع عنيف، وخاصة حول العلاقة بين القوى المدنية والاكليريكية . وجرى نقاشهم في سلسلة من المؤلفات الطويلة والعلمية بلغت أوجها في عمل أسقف « ابسكوبالي » هو ريتشارد هوكر (Richard Hooker) الذي عبر كتابه « من قوانين حكومة اكليركية » (Of the Laws of ecclesiatical Politic) (١٥٩٣ - ١٦٦٢)

بوجهة نظر ليبرالية عن طبيعة الكنيسة في انكلترا بأسلوب شبيه بالـلاتينية ولكنـه واضح .

أما كتّاب الكتيبات والنشرات الدينية فيظهر أنهم قلدوا بشكل هازل النقاش ذا العلم الغزير الذي كتبه رجال الكنيسة الكبار، بأن أجروا النقاش نفسه في سلسلة من النشرات البذيئة . وفي الجانب البيورتاني كانت اكثر النشرات السبع المجهولـة المؤلف المسماة «كراسات ماربريليت» (Marprelate Tracts) التي هاجمت الاساقفة بنثر جارح وعامي . وكانت الاجابات على هذه الكراسات مجهولة التأليف ايضا، وان ذهب الفكر الى الظن بأن في عدادهم ليلي(Lyly) وناش(Nashe) . وتبـادل ناش (حتى وفاته عام ١٥٩٢) كراسات مهينة على فترات امتدت من عام ١٥٩٠ ـ حتى عام ١٥٩٦ مع الاخويين كبريل(Gabriel) وريتشارد هارفي(Richard Harvey) ، كما شارك العديد من المناقشين الاقل قيمة بشكل مماثل ، وانتـج كتـاب آخـرون كراسات حول موضوعات متنوعة بصورة غير اعتيادية ، كان اكثرهـا حيوية تلك الكراسات التي وصفت باسلوب ملائم غير رسمي الحياة الدنيا في لنـدن . وكان بعض ما كتب قدحا وبعضها الآخر مدحا . واشهرها مؤلفات غرين .

ويمكن تتبع تطور عام حتى في مؤلفات كتاب متنوعين امثال هؤلاء الكتاب ـ من اسلوب مزركش منمق، لاتيني في مفرداته وتراكيبه، وفصيح غالبا، الى نثر ابسط اكثر مرونة وأدنى قربا من لغة التخاطب الانكليزية، وقادر على التعبير عن العادي والرفيع من الموضوعات بيسر مماثل،وتشهد على ذلك النصوص النثرية في مسرحيات شكسبير التي تعتبر نموذجا جيدا للاسلوب الذي استعمل فيما بعد .

شعر سبنسر وسدني (Spenser and Sidney)

كان ادموند سبنسر والسير فيليب سيدني اول شاعرين كبيرين زمن الملـكة اليزابيت. وكان الاخير اعظم جميع الاليزابثيين الذين اعتبروا الشعر وحـده أحـد الصفات الضرورية الواجب أن يتحلى بها رجل البلاط الكامل. ومع ذلك نراه في قصائده الغنائية من نوع «السونيت» وفي مجموعة قصائده المسماة «استروفيل وستيلا» ١٥٩١ (Astrophel and Stella) ـ وهي من النوع ذاته ـ حاول وانجز أكثر مما أنجزه

أي شاعر سابق . وكانت هذه القصائد ، التي يعلق الكثير منها على الانماط الشعرية المعاصرة ، مكتفة متداخلة الظلال ، ولكن نادراً ما تشوه شكلها .

وبالتحديد، اشتهرت قصيدة سبنسر الشعبية المسماة «تقويم الرعاة» (Shepheardes Calender) ١٥٧٩ لاستعمالها المقصود للغة القديمة البائدة واللهجة المحلية. وكان فيها انجح ما يكون عندما تفرض صيغ قصائده أو مادتها من القيود ما يمنع انسياب عبقريته كما هي الحال بالنسبة لأقسام «نيسان» و «تشرين الثاني» من «تقويم الرعاة»، وبالنسبة «لابتالاميون» (Epithalamion) «وبروتلاميون» (Prothalamion) وهما ذواتا لحن موسيقي متعاظل مستمر التعقيد .

اختار سبنسر شكلا فضفاضا لتحفته «ملكة الجنيات» (The Faerie Queene) (١٥٩٠ ـ ١٦٠٩) وهو شكل الرومانسية الشعرية الطويلة التي عممها كتاب من امثال الشاعر الايطالي لودفيكوا اريوستو(Ludovico Ariosto) والتي مدّ بأفقها لتتسع المجاز الموسع حسب الطريقة الوسيطية. اعلن سبنسر في رسالة الى رالي (Raleigh) بأنه صمم ١٢ كتابا يصف فيها الفضائل الاخلاقية الاثنتي عشرة الخاصة كما قررها ارسطو. اما عناوين الكتب التي وصلتنا فهي : التقى، الاعتدال، العفة، الصداقة، العدل والمجاملة. وكانت المغامرات البطولية من نوع مألوف لدى القارىء الانكليزي آنئذ، وذلك من قراءة رومانسيات مثل رومانسية الملك آرثر. وتشمل هذه المغامرات حوادث مثل انقاذ العذراوات من السحرة، واحتلال حصون الاشرار، ومبارزاتهم ونزالهم ندا للند، واستعمال الاسلحة السحرية. وخالط هذه المادة الوسيطية مادة اخرى تعود الى فترة عصر النهضة ، وتخدم اهدافها والتي اعتبرت اساسية لتكوين الرجل المهذب او النبيل حسب نظام فاضل . والى كل ما سبق اضيف مستوى ثالث من المعنى مستخدما فيه حوادث معاصرة مثل اخضاع ايرلندا ، وشخصيات مثل الملكة اليزابيت نفسها التي مثلت شخصية كلوريانا (Gloriana) ملكة الجنيات .

لم يستطع اي شاعر انكليزي أن يتفوق على سبنسر في استعماله الشعر

المقفى، لكن هذا الشعر كان بطيء الحركة والاثارة شأنه شأن قصته،وقد أمدت تقسياته ذات التسعة ابيات قصيدته بتسع يستطيع من خلاله ان يضخم كل حادثة، ووجد في هذا اغراء حتى أن مجرى قصته الذي لم يكن يوما ما سريعا توقف لا حراك به. ولنضرب مثلا:

ان الطرق التي اقود خطاي المتعبة عليها
في ارض الجنيات الممتعة هذه،

عريضة وواسعة جدا، وقد نثرت فيها متنوعات حلوة وبديعة،
من كل ما هو سار للأذن والعين

حتى انني أؤخذ بالافكار الممتعة النادرة
فانسى بذلك رحلتي المتعبة.
وعندما اشعر بوهن قواي،

فانها تزودني بالقوة، وتنعش روحي التي اصابها الملل
(ملكة الجنيات - الكتاب السادس - الاسطر ١ - ٩)

خلفاء سبنسر:

كان الاخوان كايلز فلتشر (Giles Fletcher) وفينياس فلتشر (Phineas Fletcher) أكثر خلفاء سبنسر اصالة. وقد ابقى الاول في قصيدته «نصر المسيح» (Christs Victoirie, and Triumph) ١٦١٠ على سيطرة سبنسر على القطعة الشعرية الطويلة، الا انه سبق ملتون (Milton) في وقار رؤياه الملتهبة للسماء. كما كانت قصيدة فينياس فلتشر «الجزيرة الارجوانية» (Purple Island) ١٦٣٣ مجازية طويلة

ومفصلة عن الجسم والروح الانسانيين . ادى حدس فلتشر الميتافيزيقي البديع وسيطرته على الصورة المكثفة التي استنبطها من التقسيمات الشعريسة «لملكة الجنيات» الى جعل «الجزيرة الارجوانية» أنجح القصائد التي اوحى بها سبنسر . وكتب هؤلاء الشعراء بحماس اشد من معلم الاخلاق» سبنسر الرزين ، «ليستميلوا القارىء ليس للفضائل الكلاسيكية بل لعقيدة مسيحية نشطة ، وبهذا استبقوا على القصائد الدينية العظيمة التي كتبت في القرن السابع عشر .

يمكننا ان نعتبر مايكل دريتون (Michael Drayton) نموذجا للشاعر الاليزابيثي. فقد اقتفى خطا سبنسر في شعره الرعوي، ونهج النمط الأدبي السائد في عصره وهو «السونت»، وتبع صاموئيل دانيال (Samuel Daniel) في تاريخه وأسطورته، ونسج على منوال كرستوفر مارلو في استعماله القصة الاسطورية، ومع ذلك ظلت له ذاتيته المميزة. اما مؤلف دريتون الذي غالبا ما يذكر ويقرأ اقل من غيره فهو «بولي ألبيون» (Polyalbion) (١٦١٢ - ٢٢) ويعتبر محاولة مخلصة لرصد مناظر واساطير وعادات وميزات كل مقاطعة انكليزية ونظمها شعراً. وفي «رسالة الى هنري رينولدز» (Epistle to Henry Reynolds) مدنا بلمحة موجزة وبشعر متزن عن حالة الشعر الانكليزي حتى عصره ، فقد وصف صاموئيل دانيال بقوله : انه ناعم القوافي متناغم الاوزان ، ومع ذلك فأسلوبه اكثر صلاحية للنثر ، وهذا تقويم عادل لقصائد دانيال التاريخية الطويلة مثل «الحروب الاهلية» (Civile Wares) (١٥٩٥ - ١٦٠٩) الا انه في قصائده الغنائية القصيرة من نوع «السونت» مصقول الفن رصينه .

« السونيت » و« الشعر الاسطوري » : (Sonnets and Mythological Poetry)

حظيت قصيدة الحب الغنائية الانكليزية القصيرة من نوع « السونت » التي ادخلها ويات (Wyat) وأحياها سيدني (Sydney) بأوسع شعبية لها بين عامي ١٥٩١ و١٥٩٨ . فهناك الكثير من الابيات البديعة والقطع والقصائد الكاملة في مجموعات مترابطة القصائد مثل مجموعة « ديليا » (Delia) لصاموئيل دانيال « ودموع الخيال »

(Tears of Fancie) لتوماس وطسون (Thomas Waston) و« بارتينوفيل وبارتينوفي » (Parthenophil and Parthenophe) لبارنابـل بارنيز (Barnable Barnes) « وديانـا » (Diana) لهنري كونستابل (Henry Constable) و« أمورتـي » (Amoretti) لسبنسر و« فديسـا » (Fidessa) لبارتولـوميو غريفـن (Bartholomew Griffin) . والصيغـة الغالبة على الحلقات من قصائد « السونت » هي صيغة الاجزاء الثلاثة المنفصلة ، يتكون كل منها من أربعة ابيات ، تنتهي بمزدوجة ، وغرضها ان تبلـغ بالقصيدة الأوج درامياً وعاطفياً . وكان مغزى الايحاء الشخصي في هذه الحلقات من القصائد عنيفاً وان كان مضللاً . فبينما كانت قصائد شكسبير من نوع « السونت » موجهة الى اشخاص معينين مثلا ، ومشحونة بصادق العاطفة الشعرية نجد،بآن معاً أن اياً من الخيوط الثلاثة وهي التقليد والابتكار والذكرى كان مجدولا لا انفصام للحمتـه . ومن الخطورة بمكان ان نعتبر هذه القصائد سجلات تعكس حياة مؤلفيها .

اخذت القصة الشعرية الاسطورية في الحب عن اوفيد الـذي زخـر مؤلفـاه « تحولات » (Metamorphoses) و« هـيرودوس » (Herodes) بأوصـاف وزخـارف وقصص عديدة ، حتى انه خلال عشرة اعوام بين عامي ١٥٨٩ و١٥٩٨ ظهـرت مؤلفـات امثـال « تحـول سكيلاس » (Scillas Metamorphoses) لتومـاس لودج وفينـوس وادونيس (Venus and Adonis) و« اغتصـاب لوكريس » (The Rape of Lucrece) لشكسبـير « وسفالـوس بروكريس » (Cephalus and Procris) لدريتـون (Drayton) و« هيرو وليانـدر » (Hero and Leander) لمارلـو . وقـد بشرت قصيدة مارلو غير المكتملة بأن تكون إنجازاً رئيسياً . والعيب المشترك في القصائد الاخرى أنها استخدمت مواقف الحب كمناسبات ملائمة لاظهار البراعة الفنية الفائقة .

الشعر الغنائي (Lyric poetry) كان السير توماس ويات (Sir Thomas Wyat) اول شاعر إنكليزي غنائي في القرن السادس عشر . وتضمنت ترجماته ومقتبساته المحورة عن الايطالية ناحيةً ما لبثت ان غدت تقريباً عرفاً وتقليداً في جميع القصائد الغنائية التي تلت . ورغم أن الموضوع المفضل كان اظهار حزن الشاعـر ـ كألـم الفراق او موت حبيب ـ إلاّ ان القصائد كانت خفيفة مرحة . ولم يكن ذلك يعني

نقصاً في الاخلاص ، اذ تركزت قوة العديد من القصائد الغنائية في التوتر ما بين الموضوع والاسلوب . ومن الميزات الأخرى التي ورثت عن ويات بداهة الموضوع ومباشرته ووضوح الاخيلة في القصائد الغنائية ، وعكسها كل جانب من جوانب الحياة الاليزابيثية . ولم تداخل نفوس الشعراء الخشية من ان يظهروا بمظهر مَنْ تنقصه الشاعرية بسبب ما استمدوه من مادة الحياة اليومية في قصائدهم الغنائية .

لوّن ادخال الموسيقا الايطالية ببحورها وأوزانها الشعرية المفضلة القصيدة الغنائية وهذّبها ، وغالباً ما ترجمت القصائد الايطالية دون تغيير أوزانها بيتاً بعد بيت ، كما أُبقي اللحن الموسيقي على حاله ، ثم تقرن هذه الالحان بقصائد جديدة وأصيلة . وقد ظهر النوعان من القصائد الغنائية مجتمعين في كتب الاغاني العائدة لعازفي الغيتار أمثال جون دولاند (John Dowland) ووليام بيرد(William Byrd) وتوماس مورلي (Thomas Morley) وتوماس كامبيون (Thomas Campion) بشكل خاص . ظهر الكثير من أجود الشعر الغنائي لهذه الفترة في كتب الأغاني او المتنوعات التي نشرت بانتظام بعد توتل (Tottel) اذ تضمنت مجموعات « عش العنقاء » (The Phoenix Nest) ١٥٩٣ » وهيلكون انكلترا »(England's Helicon) ١٦٠٠ « ومناجاة شعرية » (Poetical Rhapsody) ١٦٠٢ للشاعر فرانسيس ديفسون (Francis Davison) قصائد ذات صنعة رفيعة تدعو الى الدهشة .

اما المصدر الثالث للقصيدة الغنائية فنجده في مسرحيات الفترة ، اذ جرت العادة منذ ايام ليلي (Lyly) ان يطعم المسرحيون مسرحياتهم بأغنية ، ومع ان سياق الاغنية يتطلب حسن اختيار موضعها لتكون أبلغ واتم اثراً ، ومع ذلك كانت ذات جمال وطاقة فريدين حتى عندما تفصل عن هذه القرينة . وكان شكسبير مجلياً في هذا النوع من الشعر الغنائي الا ان قرائح ليلي وجورج بيل (George Peel) وغرين وتوماس دكر (Thomas Dekker) جادت بفن بديع ورائع ، وان تدنى عن منزلة شكسبير . ومن عام ١٥٨٠ الى ١٦٠٠ وبعد هذا التاريخ على فترات متقطعة وجدت الأمّةُ كلمات لألحانها البديعة ولأغانيها الكورالية . هذا وان قصائد شعراء مثل لودج ورالي ونيكولاس بريتون (Nicholas Breton) وواطسون (Watson) وناش

ودون (Donne) (في قصائده الاولى) وكونستابل (Constable) لتعد من بين أروع واجمل وابقى آثار عصر النهضة في انكلترا . وبعد عام ١٦٠٠ أثرت على الشعراء بعمق خيبة الأمل بالرخاء المادي الانكليزي ، وبارتخاء الضوابط على الكنيسة التي اصابها الاصلاح ، وببعض مُثُل الانسانيين . ولكن كان هناك القليل من النقاد الذين اهتموا بشؤون المجتمع ، خاصة وأن ويات وضّح معالم الطريق ، وأسس الشكل الذي تتم بمقتضاه الأمور ، إلا ان خلفاءه في القرن السادس عشر كانوا غير مرنين ، وتنقصهم المهارة .

ورغم العدد الغفير للكتاب الذين دبجوا القصائد الغنائية ، ووفرة فرص الخلود ، كان الانطباع العام عن الشعر الاليزابيثي لهذه الفترة العظيمة انه رفيع ، يتسربل شكلا منسجماً موحداً ، لكن ـ ولامرية ـ فإن القصيدة الغنائية غدت بالتدريج تقليدية اكثر مما يجب ، وخسر أسلوبها القوة المباشرة ، لكن روائعها التي لا تجارى عبّرت بشكل مناسب عن روح انكلترا في عصر الملكة اليزابيت ، الذي اتصف بكونه نصف ربيع ونصف عصر ذهبي .

المسرحية الاليزابيثية والجاكوبية :

الانتقال من الدراما الوسيطية : ومن قلب المسرحية الاخلاقية الوسيطية بتشخيصها التعليمي للرذائل والفضائل نمت المسرحية الاقصر المسماة انترلود (Interlude) . وعادة ما كانت نقاشاً ذا خلفية واقعية بين شخصيات مختلفة الأنماط او المهن ، تخففه حركات هزلية او مرح هزلي حول رذيلة ، أو تجسيد لنذالة مضحكة . وتجلت قيمة «الانترلود» بوضوح عندما تفككت عناصرها لتكوّن مركبات درامية جديدة . فمثلا عندما بحثت «الانترلود» في قضايا مثل واجبات المرء تجاه مليكه ، كان واضحاً انها اشتملت على قضايا للدولة ، وأشارت الى طريقة ممكنة لكتابة مسرحية تاريخية . فعندما تتوصل الى درس أخلاقي من سقوط ملك او رجل عظيم بسبب سوء طالعه ، أو جزاء سوء عمله ، تكون ـ وبوضوح ـ اقتربت من أنواع مختلفة للنموذج التراجيدي ، وبالعكس فانها تقارب الكوميديا اذا ما أظهرت الطيبين وقد كوفئوا والشريرين عوقبوا . اما الرذيلة نفسها فكانت سلفاً

للامير المكيافيلي (مثل الملك ريتشارد الثالث) ، وللنذل المماثل للغول (مثل يهودي مالطا لمارلو) ، والخادم المتآمر الذي تحيك مؤامراته حبكة كثير من الهزليات اللاحقة .

تعقدت الفكرة الوسيطية البسيطة عن المأساة بأنها قيام وسقوط رجل عظيم بمسرحيات سنيكا (Seneca) وبالمسرحيات الايطالية التي نهجت نهجه . وهي جميعها ملودراما اخلاقية لعواطف عنيفة ، وعادة ما تتميز بالانتقام الدموي ، وبالأشباح والفلسفة الرواقية القدرية . وكانت تافهةً تلك المسرحيات الانكليزية ، التي قلدت هذا النوع من الدراما تقليداً مباشراً ، مثل « كوربودك » (Gorboduc) (اخرجت عام ١٥٦١) لمؤلفيها سكفيل (Sackville) وتوماس نورتون (Thomas Norton) ؛ الا ان الشكل السنيكي (نسبة الى سنيكا) للمسرحية لم يكن عقياً ، الا في انكلترا . وشاهدنا ، فيما ذهبت اليه مسرحيات راسين (Racine) وكورني (Corneille) البطولية في فرنسا ، والتي تأثرت بدورها بسنيكا . وعلى كل حال كان التقليد « السنيكي » هاماً بالنسبة للمسرحيين اللاحقين، اذ أورثهم نموذج العمل التراجيدي الرفيع الذي تسيطر عليه افكار ضخمة عن القدر والعقاب ، ويرافقه الفن المسرحي الذي تتطلبه الاشباح والكورس ، والمسرحية ضمن المسرحية . وفي نفس الوقت اصبح استعمال الوزن الشعري المسمى « بلانك » (blank) (وهو البيت غير المقفى ذو الخمس تفعيلات ، تتألف كل تفعيلة بشكل رئيسي من مقطع غير مشدَّد يتبعه مقطع مشدد) ، بعدئذ الوزن الموحد لشعر المأساة والملحمة الانكليزية .

ومنذ عام ١٥٥٠ أنتج العديد من الكتاب الجامعيين هزليات بالانكليزية بعد أن قبلوا النظام والقواعد التي تدعو اليها مسرحيات بلوتوس (Plautus) الكلاسيكية عامة ، مثل تركيب المسرحية من خمسة فصول ووحدة العمل ، لكنهم اختاروا مواضيع محلية قومية ، وعالجوها بواقعية . وأشهر مسرحيات اخرجت في منتصف القرن هي « زالف رويسرت دويستر » (Ralf Roister Doister) لنكولاس اودال (Nicholas Udall) والكوميديا الهزلية من نوع « الفارس » المسماة ابرة غامر غيرتون » (Gammer Gurtons Needle) .

وفي عام ١٥٨٠ ظهر عدد من المسرحيات التاريخية مثل مسرحية « الملك جون » (Kynge Johan) لجون بيل (John Bale) . وهكذا تكون جميع الاشكال الرئيسية للمسرحية قد بُشرِّ بها . وعلى كل لم تكن هذه الاشكال واضحة تماماً ، كما قال سيدني في كتابه « دفاع عن الشعر » بل كانت متشابكة احياناً لدرجة قاتلة . وبشكل عام ، قدر للمسرحية البريطانية ان تتميز بتفضيلها الاشكال المختلطة على النقاء الكلاسيكي .

العقول الجامعية (University Wits) وكيد (Kyde) .

كانت العقول الجامعية (التي تمثلت بأدباء مثل ليلي وجورج بيل وكرين وناش ومارلو) اشهر كتاب للمسرحية من بين اولئك الذين ازدهروا بين عامي ١٥٨٠ ـ ١٥٩٥ . وكتب ليلي ، وهو أصقلهم أسلوباً ، ترجمات لاساطير كلاسيكية أو خرافات خيالية أمثال « كامبا سبي » (Campaspe) واندميون (Endimion) آخذاً بعين الاعتبار وحدة العمل ، واستعمل بثقة فائقة العديد من الحيل المسرحية التي ما لبثت ان غدت تقليدية مثل إدخال القصيدة الغنائية الخفيفة ضمن الفصول وادراج الحبكة الثانوية الهزلية بين المشاهد لإبراز الرومانس بالمقارنة ، وفوق كل هذا استعمال النثر المنمق في الهزليات الرفيعة . أما بيل « وغرين » فنظما شعراً نابضاً بالحيوية غير مقفى ، وساهما في إضفاء طابع الرومانس الرعوي الذي ميز الكوميديا اللاحقة مثل ذلك مسرحيتا مسرحية « بيل » « اتهام باريس » (Arraygnment of Paris) ، وحكايات العجائز (The Old wives Tales) ومسرحية غرين « التاريخ المشرف للراهب بيكون والراهب بنكي » (The honorable history of Frier bacon and frier bongay) .

لاقت مسرحية توماس كيد (Thomas Kyde) « المأساة الاسبانية » (The Spanish Tragedy») التي كتبها حوالي عام ١٥٩٠ قبولا شعبياً كما كان لها تأثير بالغ على تطور المسرحية الانكليزية . اقتبس كيد بتصرف من سينكا وماكيافيلي ، ووضع أسس فكرة الانتقام التي أصبحت شائعة في الكثير من المسرحيات المأساوية بعدئذٍ . تتألف المسرحية من سلسلة من الصدمات الدراماتيكية المروعة حتى تبلغ الى ذروتها في عملية انتقام هيرونيمو (Hironimo) الرائعة وموته في لحظة انتصاره .

وفي مسرحيات كرستوفر مارلو امثال تامبرلين (Tamburlaine) والدكتور فاوستوس (Doctor Faustus) ويهودي مالطا (The Jew of Malta) وادوارد الثاني (Edward II) وجميعها كتبت ما بين ١٥٨٧ و١٥٩٢ والتي تتبع أسلوب المسرحيات التي كانت تعرف « بالأخلاقيات » بمعناها الواسع .

إن ابطال هذه المسرحيات طمحوا الى سيطرة غير محدودة أو الوصول الى المعرفة المحرمة أو الجمال المثالي او الثروة اللامتناهية ،وبذلك تطاولوا الى ما هو فوق حدود مقدرتهم وانتهوا الى الدمار المحتم .

شكسبير :

ربما كان شكسبير أول شاعر يجمع بين ادراك للانعتاق الذي جاء به عصر النهضة وحدس لحاجات الانسان الروحية وامكاناته . ولكن ، باستثناء مسرحية تيتوس اندرونيكوس (Titus Andronicus) ، وهي مأساة دموية تأثرت كثيراً بأسلوب كيد (Kyde) ، لا تختلف مسرحياته الأولى كثيراً عن تلك التي مثلت على المسرح اللندني ، فمسرحية « هنري السادس » لم تأت بجديد ، وتنقصها القوة التي تميزت بها مسرحية ريتشارد الثالث (Richard III) التي تلتها . وشكلت هذه المسرحيات الحلقة الأولى من مسرحياته التاريخية . اما مسرحيات ريتشارد الثاني (Richard II) وهنري الرابع (Henry IV) (جزآن) وهنري الخامس (Henry V) فقد أبرزت مهارته المتزايدة التي مكنته من تخطي حدود موضوعه نحو نظرة شمولية واسعة . ففي المسرحيات الثمانية استعمل شكسبير تاريخ ملوك أسرة بلانتاجنيت (Plantagenet) المأساوي كطريقة يبين بها توارث الشر من جيل الى جيل . وتختلف المسرحيات بصورة واضحة في أسلوبها الدرامي، فبينما تشبه « هنري الخامس » مسرحية العرض الوطني ، ومسرحية « ريتشارد الثاني » تشابه الأخلاقيات ، فان مسرحية هنري الرابع تتطلع الى أكثر من ذلك فخلق شخصية فولستاف (Falstaff) ، وطريقة مقارنة حياته في ايست تشيب (East cheap) بحياة الملك أوجدا تعقيداً جديداً في المسرحية ،واظهر كيف استطاع ان يعالج تاريخ بريطانيا القديم بمهارة الشاعر المبدع . كتب شكسبير - بالاضافة الى ما ذكر - مسرحيتين تاريخيتين أخريين هما « الملك جون » (King John) وهنري الثامن (Henry VIII) والأخيرة هي ملحق يتسم بالمديح الوقور لعلاقة أسرة بلانتاجنيت بعهد الملكة اليزابيت .

وفي مسرحيات كرستوفر مارلو امثال تامبرلين (Tamburlaine) والدكتور فاوستوس (Doctor Faustus) ويهودي مالطا (The Jew of Malta) وادوارد الثاني (Edward II) وجميعها كتبت ما بين ١٥٨٧ و١٥٩٢ والتي تتبع أسلوب المسرحيات التي كانت تعرف « بالأخلاقيات » بمعناها الواسع .

إن ابطال هذه المسرحيات طمحوا الى سيطرة غير محدودة أو الوصول الى المعرفة المحرمة أو الجمال المثالي او الثروة اللامتناهية،وبذلك تطاولوا الى ما هو فوق حدود مقدرتهم وانتهوا الى الدمار المحتم .

شكسبير :

ربما كان شكسبير أول شاعر يجمع بين ادراك للانعتاق الذي جاء به عصر النهضة وحدس لحاجات الانسان الروحية وامكاناته . ولكن ، باستثناء مسرحية تيتوس اندرونيكوس (Titus Andronicus) ، وهي مأساة دموية تأثرت كثيراً بأسلوب كيد (Kyde) ، لا تختلف مسرحياته الأولى كثيراً عن تلك التي مثلت على المسرح اللندني ، فمسرحية « هنري السادس » لم تأت بجديد ، وتنقصها القوة التي تميزت بها مسرحية ريتشارد الثالث (Richard III) التي تلتها . وشكلت هذه المسرحيات الحلقة الأولى من مسرحياته التاريخية . اما مسرحيات ريتشارد الثاني (Richard II) وهنري الرابع (Henry IV) (جزآن) وهنري الخامس (Henry V) فقد أبرزت مهارته المتزايدة التي مكنته من تخطي حدود موضوعه نحو نظرة شمولية واسعة . ففي المسرحيات الثمانية استعمل شكسبير تاريخ ملوك أسرة بلانتاجنيت (Plantagenet) المأساوي كطريقة يبين بها توارث الشر من جيل الى جيل . وتختلف المسرحيات بصورة واضحة في أسلوبها الدرامي،فبينما تشبه « هنري الخامس » مسرحية العرض الوطني ، ومسرحية « ريتشارد الثاني » تشابه الأخلاقيات ، فان مسرحية هنري الرابع تتطلع الى أكثر من ذلك فخلق شخصية فولستاف (Falstaff) ، وطريقة مقارنة حياته في ايست تشيب (East cheap) بحياة الملك أوجدا تعقيداً جديداً في المسرحية،واظهر كيف استطاع ان يعالج تاريخ بريطانيا القديم بمهارة الشاعر المبدع . كتب شكسبير ـ بالاضافة الى ما ذكر ـ مسرحيتين تاريخيتين أخريين هما « الملك جون » (King John) وهنري الثامن (Henry VIII) والأخيرة هي ملحق يتسم بالمديح الوقور لعلاقة أسرة بلانتاجنيت بعهد الملكة اليزابيت .

الملهاة : تظهر ملاهي شكسبير الأولى رغبته في أن يتبع أي نمط كان يبدو مربحاً ، فقد أظهر في مسرحية « ضياع تعب الحب »(Lave's Labour's lost) إعجابه بالملهاة البلاطية التي كتبها ليلي ، لكن تخطاه في اهتماماته الانسانية وفاقه بأسلوبه المتنوع .

وبما أن غرين في مسرحية الراهب بيكون والراهب نبكي قد نجح في مزج العاطفة بالهزل ، والاثارة والغموض ، فقد سار شكسبير على نهجه في مسرحية « السيدان من فيرونا » (The two Gentlmen of Verona) وكانت ملهاة الاخطاء (The Comedy of Errors) من نفس نمط « رالف رويستر دويستر » إلا أنها ـ بالتأكيد ـ كانت من عمل شاعر . اما المسرحية التي اتخذت نمطاً جديداً بالنسبة للمسرح الانكليزي فهي مسرحية « حلم ليلة صيف »(Midsummer Night's Dream) ، اذ طورت نموذجاً من الرقة والكبرياء في الحبكة الرئيسية بمقابل الفضائل الأكثر تواضعاً مثل الأمانة والمرح في الحبكة الثانوية ، ذلك النمط الذي كرره شكسبير في تاجر البندقية (The Merchant of Venice) وملاهيه الثلاث المكتملة النضوج ، وهي « جعجعة بلا طحن » (Much Ado About Nothing) و« الليلة الثانية عشرة » (Twelfth Night) و« كما تشتهيها » (As you like it) وكان لكل من هذه المسرحيات طابع موحد : فخطر المأساة ، أو عدم ثبات القدر يؤديان الى توقع سرعة زوال السعادة ، بينما تحول الحبكات الثانوية القوية دون المبالغة في العاطفة . وفوق كل هذا نجد أن الشيء الذي يميز هذه المسرحيات عن الملاهي الانكليزية السابقة واللاحقة أنها ـ بشكل رئيسي ـ سبكت في شعر غير مقفى لونه شكسبير ، مطعماً إياه بنثر رائع سواء أكان رفيعاً ام مبتذلاً حسب متطلبات العمل المسرحي ، ولكن الأساس الذي اعتمده كان شعراً مرناً كان هو رائده .

وفي حوالي عام ١٦٠٠ اتخذ الأدب طابعاً مأساوياً بشكل تدريجي فنجد هزليات شكسبير الأخيرة ، مثل «كل شيء على ما يرام ـ اذا انتهى كذلك(All's Well That Ends Well) «وواحدة بواحد»(Measure For Measure) ، تسير بتردد نحو النهاية التقليدية السعيدة لحبكاتها ، وقد شاطرت بالاضافة الى مسرحية ترويلوس

وكرسيدا (Troilus And Cressida) ـ مسرحية «تايمون الأثيني» (Timon of Athens) المريرة والقوية في آن واحد ـ وجهة نظرهما غير المتفائلة عن القدر والطبيعة الانسانية .

وشاركت مأساة شكسبير الثانية « روميو وجولييت » التي كتبت في حوالي الفترة نفسها التي كتبت فيها هزلية « حلم ليلة صيف » المسرحية الأخيرة في طابعها المفعم شباباً وأملا ، لكن مفهوم شكسبير لغرض وهدف المأساة تعمق قبل « هاملت » (Hamlet) وعطَيل (Othello) ومكبث (Macbeth) والملك لير (King Lear) وانطوني وكليوباترا (Antony And Cleopatra) وكوريولانوس (Coriolanus) ولم تكن هذه المآسي مجرد دراسات لمواطن الضعف في فضائل أبطالها بل كانت رؤ ى كاملة للحالة الانسانية درست بحماسة وشوق عصر النهضة .

وأضفى تمكن شكسبير من الوزن المسمى « بلانك » على هذا الشعر وحدة فكر ، كما أمده بتعبير شاعري دون أية خسارة في الأثر الدرامي .

ومنذ عام ١٦٠٨ عكف شكسبير بأهتمام متزايد على انتاج مسرحيات شمل فيها العمل المسرحي جميع امكانات المأساة ، ولكن المأساوي نفسه أبعد بفعل تدخل قوى ما وراء الطبيعة فقد زخرت بركليس (Pericles) وسيمبلين (Cymbeline) « وقصة الشتاء » (The Winter's Tale) « والعاصفة » (The Tempest) بالعواطف العنيفة والجرائم والمصائب ، ولكن في كل من هذه المسرحيات كانت الشخصيات التي اعتقد بأنها ماتت يُعثر عليها حية ، ويلتئم فيها شمل الأباء بالأبناء .

ومع أن مسرحيات شكسبير عالجت بعمق المواضيع العالمية ، الا انه لم يغفل البتة حاجات المسرح الدرامية وعلاقته بالأمور المعاصرة ، بل كانت مسرحياته تعكس حوادث عصره ، فمثلاً عندما ارتقى عرش انكلترا ملك اسكتلندي مثل جيمس الأول (وقد كان حتى ذلك الوقت جيمس السادس في اسكتلندا) بادر الى كتابة مسرحية عن ملك اسكتلندي آخر هو ماكبث . وقد بوأته مقدرته على الجمع بمهارة بين القوة الدرامية والطاقة الشعرية مكانته الأدبية العظيمة التي لا ينازعه فيها منازع .

جونسون :

كان منافس شكسبير الوحيد بين معاصريه صديقه بن جونسون (Ben Jonson) الذي كان لهزلياته الساخرة اثر دائم على المسرح الانكليزي . وقد ذم جونسون الهزلية الاليزابيثية الرومانطيقية لحبكاتها التي اعتمدت على قصص الجنيات، ولتجردها من الحس والمسؤولية الاخلاقية ولمزجها الرقص والموسيقا والعمل المسرحي نظراً لتدربه درامياً على مؤلفات الكاتب المسرحي الروماني بلوتوس واتباعه تعاليم ارسطو في كتابه « فن الشعر » . وقد بنيت هزلياته القديمتان « كل امرىء على مزاجه » (Everyman in His Humour) اخرجت عام ١٥٩٨ « وكل امرىء خارج عن طوره (Everyman out of his humour) على نظرية مفادها ان الامزجة سوائل في الجسم تقرر صفات الانسان . إلا ان جونسون عدل نظريته هذه في مسرحيتي «الثعلب» (Volpone) ١٦٠٦ «والكيميائي» (The Alchemist) ١٦١٠ مفسحاً مجالا أوسع لتطوير الشخصية ، ولاظهار عيوب عصره واصلاحها . وضع بن جونسون بعناية سلسلة من الحبكات مهارة فائقة ، على عكس ما كان يفعله العديد من المسرحيين الاليزابثيين . كما قسم الناس الى خادعين ومخدوعين ، وقدمت حبكاته أمثلة على نذالة الخادعين ، ثم عرت بمهارة قاتلة ما جبلت عليه طبيعة المنافقين والبخلاء والمدعين والمتبجحين الذين وقعوا في الشرك . وبدت غير طبيعية مسرحياته الرومانية مثل «سقوط سيجانوس» (Sejanus his Fall) ١٦٠٣ «ومؤامرات كاتالين» (Cataline his Conspiracy) عام ١٦١١ ، ولكن هزلياته اللاحقة مثل « الشيطان حمار » (The devil is An Ass) ومعرض بارتولوميو (Bartolomew Fair) ١٦١٤ كانت مفعمة بالحيوية ، وكان جونسون اليزابيتياً بما وجد من متعة في استعمال اللغة من متعه ، وقد حاز روعة تستدعي الاعجاب بذلك الرنين المميز الذي يتناسب وهزليته الصلبة الزاخرة بالحياة .

المأساة الجاكوبية

كانت المسرحية الجاكوبية ـ باستثناء جونسون ـ أميل الى النوع التراجيدي بصورة عامة . وقد ظهر الطابع الحزين في هزليات بن جونسون الهجائية ، وفي مآسي شكسبير القاتمة وهزلياته ، ولكنه كان أوضح من كل هذا في مؤلفات

المسرحيين الجاكوبيين الآخرين الذين سحرتهم مبادىء ميكيافلي . وجاءت مثل هذه النظرة الى الانسانية بمشاكلها الخاصة بها . وفقط عندما كان أبطال المسرحيات على وشك الموت لجأ المسرحيون الى مجابهة المعضلة التي يتضمنها جميع أدب عصر النهضة . فقد فتشوا عن حل وسط بين الانسانية والرغبة في الخلود ، لكنهم فشلوا في العثور عليه ، وهكذا مات أبطالهم في حالة تحد مأساوي أو شك مذهل ، أو بأحسن الاحوال في التخلي عن الفلسفة الرواقية (Stoic) . وقد أطلق بحق اسم تراجيديات الانتقام على هذه المسرحيات ، اذ تتابعت الجرائم الواحدة تلو الأخرى ، وشهد آخر فصل من المسرحية الموت الاستعراضي لجميع من تلوثوا بالخطيئة . وأكدت المسرحيات على خطيئة الانسان او على عجزه وضعفه .

وفي مسرحية «الشيطان الابيض» (White Devil) (حوالي ١٦١٢) ودوقة ملفي (The Duchess Of Malfi) ١٦١٣ كان جون وبستر (John Webster) الوحيد الذي قدم مادة تضمنت اكثر من مجرد القتل والجنون والتعذيب والخيانة ، ومع ذلك فقد انتهت كل مسرحياته الى اليأس ، واشتملت على أكثر التلميحات غموضاً بأن الناس ليسوا أكثر من مجرد كرات تنس يتقاذفها القدر كما يشاء . وأكثر الأمور ايجابية في مسرحياته هو شعره المتألق - حتى عندما يكون موضوعه بالغ القنوط - المتألق بنور قزحي يبث النور في زوايا العقل المظلمة ، ويبقي على بعض الأمل بأن الجمال يمكن ان يوجد حتى في المقابر . ومع ان مسرحية سيريل تيرنر (Cyril Tourneur) مأساة المنتقمين (Revengers Tragedie) التي نشرت عام ١٦٠٧ أهتمت بنفس موضوع مسرحية كيد «المأساة الاسبانية» ، وهو موضوع الرجل الذي أسيء اليه الا اننا نجد ان تيرنر - منذ المشهد الأول يناجي فيه فنديتشي (Vendice) جمجمة محبوبته الميتة - اعطى الانتقام تفسيراً أكثر شراً . فكل ما في المسرحية فاسد ، وحتى فنديتشي نفسه الذي صمم أن يطهر العالم يقع في خطيئة نية الانتقام القاتل . وبالمقارنة كانت تتخلل «مأساة الملحد» (Tragedy The Atheist's) (المنشورة عام ١٦١١) فكرة مفادها أن الانتقام الفردي يرتد على نفسه . ويتميز شعر تيرنر في هاتين المسرحيتين بكثرة التخيلات المرعبة ، لكنه لم يقدم لنا في أي منهما فكرة عن الانسان اكثر رفعة من تلك التي تمتاز بها شخصياته الشريرة الفاسدة .

وفي مسرحية «الخائن»(The Changeling) (أخرجت عام ١٦٢٢) رأى توماس مدلتــون(Ghomas Middleton) الــذي شاركه وليام رولي (William Rowley) في كتابتهـا ، الامكانـات الـدرامية لسلسلـة من الاغتيالات والرعـب الـذي تهتز له النفس ، بما يوحيه من جرائم اكثر ، وانحطاط أشد . ولقد صورت بطلته وخادمها المحب بسائر حالات علاقتهما المعقدة بنظرة سيكولوجية عميقة وفريدة بأدب هذه الفترة .

من الواضح أن نتاج جون مارستون(John Marston) كان عمل شاعر أقل موهبة . وتعتبر أشهر مسرحياته وهي (المتبرم)(The Malcontent) (١٦٠٤) عمـلاً فريداً نظراً لأن الرجل الذي لحقه الأذى لا يقتل من ضحاياه احداً ، بل يبقي عليهم كعنصر من عناصر التشويق المسرحي حتى النهاية ، عندما يصلح امر الشخصيات الشريرة الثانوية، ويطرد الشرير الاكبر تطارده السخـرية . امـا مسرحيات جورج تشابمان(George Chapman) فقد شحنت بالشعر الرفيع الذي نتوقعـه من مترجم هوميروس . وكانت مسرحياته التاريخية ذات المواضيع الفرنسية أصـدق تعبـير في المسرحية الانكليزية عن الفلسفة الـرواقية(Stoic) ومـن ناحية اخـرى كان فيليب ماسينجـر(Philip Massinger) معلماً في أمـور المسرح . وتمثــل مسرحية «الممثــل الروماني»(The Roman Actor) (١٦٢٥) ما يمكن ان يحصل عندما يتوصل الرجل الميكيافلي الى السيطرة التامة . أما جون فورد(John Ford) فأبقى على تقليد المأساة التي تعتصر من العاطفة الانسانية والانحطاط الانساني حتى اغلق المرسوم البيورتاني المسارح عام ١٦٤٢ . فقد صورت مسرحيتا «القلب الكسير»(The Broken Heart) و«من المؤسف انها مومس»(Tis Pitty Shees A Whore) (نشرت عام ١٦٢٣) حتمية القدر وضآلة تحدي الانسان حتـى حـين يقتـرب فورد فيهما من قدرة وبستـر على استخلاص الجمال من اليأس .

الملهاة الجاكوبية :

يمكننا أت نتتبع تفسيراً مماثلاً في طابع الملهاة . ولربما كانت «عطلـة صانـع الاحذية»(Shoemaker's Holiday) (مثلت للمرة الاولى عام ١٥٩٩) للكاتب ديكر (Dekker) باستثنـاء الرومـانسيات ، آخـر مسرحية خلـت من النقـد الاجتماعــي

الظاهر . وعند ذكر ديكر وتوماس هيوود(Thomas Heywood) لا يسعنا الا ان نذكر الكتاب المسرحيين المحترفين من الدرجة الثانية الذين لم تنقصهم الموهبة لكنهم ألفوا عادة بالتعاون مع غيرهم امثال هنري تشتل(Henry Chettle) ومايكل دريتون (Michael Drayton) ووليام رولي(William Rowley) الذين قدموا حبكات ثانوية من الهزليات أو المآسي الخشنة المليئة بالحيوية . وكان مدلتون(Middleton) كاتباً هزلياً أهم شأناً في مسرحيته «عذراء شريفة في منطقة تشيب سايد»(Chast Mayd In Cheap Side) (١٦١٣) التي قدمت نظرة فاحصة عميقة للزواج . وكان مثل هذا الموضوع غير صالح للمهذبين من الناس ، شأنه شأن القسم الأكبر من الملهاة الاليزابثية والجاكوبية لأن معظم الفكاهة بذيء حسب ذوق العصر . ولكن الكثير من الدعابات كان من نوع التورية التي أضحى أحد معانيها غير مألوف الآن . اما مسرحية ماسينجر(Massanger) الشهيرة المسماة «طريقة جديدة لدفع ديون قديمة» (A New Way To Pay Old Depts) (١٦٣٣) فلم يتأثر فيها بالادوار التي اعتمدت الكلام غير المهذب ، الا أن حبكتها جيدة الصنع كأية حبكة من حبكات جونسون . وقد أظهر ماسينجر هنا وفي مسرحية سيدة المدينة(City Madam) (١٦٣٢) مقدرته على تضمين مسرحياته قيماً أخلاقية .

أما المؤلفات التي كتبها فرانسيس بومونت(Frncis Beaumont) بالتعاون مع جون فلتشر(John Flecher) فقد شملت جميع الاشكال الدرامية من التقليد الهازل كما هي الحال بالنسبة «لفارس المدقة المشتعلة»(The Knight Of The Burning Pestle) (١٦٠٧) ، الى الميلودرام (المشجاة) العاطفية ، كما هي الحال بالنسبة «لمأساة العذراء»(Maydes Traged) . واستمر تقليد المأساة ـ الملهاة في مؤلفات جيمس شيرلي(James Shirely) التي تتصف بالأسلوب الرفيع . وكان المجال الذي برع فيه هو حقل الملهاة الخفيفة حيث تطلعت أفضل مؤلفاته مثل «المقامر»(The Gamester) و «سيدة المتعة»(The Lady Of Pleasure) (١٦٣٥) الى هزليات فترة عودة الملكية .

مسرحيات الأقنعة(Masks) ومسرحيات ثانوية :

أظهر الكثير من المسرحيات الثانوية والمآسي القومية التي تناقش الأمور العائلية ، والمسرحيات التاريخية والملودرامية ، وهزليات الخيانة الزوجية ،

ومسرحيات الترفيه الاكاديمي ، والمسرحيات الرعوية حسب النمط الايطالي ، والمسرحيات على طريقة سنيكا التي قصد بها القراءة لا الاخراج ، أظهرت هذه الأنواع جميعاً ان حيوية المسرحية الكبيرة وتقديرها ، لم يقتصرا على الكتاب المسرحيين الرئيسيين . اذ استدعت المسرحية المقنعة المسماة «ماسك» وهي تسلية رمزية تضمنت المناظر الفخمة والموسيقا والرقص ، كما استدعت ارقى وأرفع جمع بين القصيدة الغنائية واللحن الموسيقي والمناظر . وقد كتب هذا النوع من العرض المسرحي ، وأخرج كتسلية خاصة للطبقة النبيلة . ومنذ أيام جونسون نعمت البلاد بسلسلة من المسرحيات التنكرية هذه ، فكانت بذلك أثراً رشيقاً خالداً من عصر النهضة .

الفصل السّابع

الأدب الألماني في عصر النهضة

من الالمانية الوسطى العالية الى العصر البار وكي :

أدى سقوط القسطنطينية بيد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣ الى خلق خوف من الاتراك في غربي اوروبة انعكس غالباً في أدب القرنين السادس عشر والسابع عشر ، بينما ازداد استقلال الحكام الاقليميين في ألمانيا على حساب الامبراطورية .

وأحدث اختراع الطباعة ذات اللوحات المتحركة حوالي عام ١٤٤٠ ثورة في الطباعة والأدب .وعلى كل حال استمرت الاشكال الفنية القديمة الى ما بعد عام ١٤٤٠ ، فكانت هناك المؤلفات المجازية الوسيطية والاغاني الشعبية ، وأغاني الحب والطبيعة والمرح والشراب ، والقصائد الغنائية الشعبية القصيرة من نوع «البالاد»(Ballad) . وقد أدخل هانس فولز(Hans Folz) أحكاماً أقل تشدداً ليعيد انعاش فن المغني والشاعر المحترف المسمى «مايستر سنكر»(Meister Singer) (عضو النقابات لتطوير الغناء والشعر).أما في الجنوب فقد أصبحت «مسرحيات أيام المرافع» (Fastnach Tspiele) أداة نقد وفكاهة بذيئة ، بينما بقي كتاب الشمال أكثر ضبطا للنفس . وتطورت مجموعات من الطرائف الهزلية(Schwanke) وتجمعت غالبا حول بطل واحد ، وقد حازت القصص الطريفة المتعلقة بـ تل يولنسبيغل(Till Eulenspieygel) على شهرة أوروبية .

ومنذ حوالي عام ١٤٥٠ نشأت وتطورت واقعية برجوازية جديدة رفضت القصة الوسيطية عن الفروسية لمصلحة الانسانية والكلاسيكية الجديدة .

الانتعاش البلاطي :

ساعدت النهضة البرغندية على انعاش الاهتمام بالفروسية الوسيطية في بعض بلاط الأمراء . ففي انزبروك (Innsbruk) كتبت الدوقة اليانور النمساوية (Duchess Eleonore Of Austria) نسخة نثرية عن روما نسبة فرنسية فروسية وهي « بونتوس وسيدونيا» (Pontus And Sidonia) . وفي روتنبرغ (Rottenburg) أدت مؤلفات جيكوب بيوترخ فون ريتشارد هوزن (Jacobe Puterich Von Reicherts Hausen) الى إنعاش الاهتمام بالشاعر الوسيطي ولفرام فون اشنباخ (Wolfron Von Eshenbach) . وتم طبع القصائد الوسيطية اما بشكلها الأصلي أو على شكل نثر ليست له قيمة أدبية كبيرة . أما المؤلفات المجازية للامبراطور الروماني المقدس مكسميليان الأول مثل «الملك الأبيض» (Weiss Kunig) «والفكر النبيل» (Thewrdanle) فلربما تكون مثلت آخر محاولة للعيش حسب المثل الفروسية والوسيطية .

الانسانية : إن العناصر الجديدة في الأدب الألماني الذي كتب بعد عام ١٤٥٠ يختلف تماماً عن هذا الأدب البلاطي ، وقد سميت العناصر الجديدة بالحركة الانسانية . استقى الانسانيون ما بين عامي ١٤٥٠ و١٤٨٠ وحيهم من ايطاليا . اذ كان البرخت فون أيب (Albrecht Von Eyb) وهاينرخ ستانيهول (Heintich Steinhowel) ونكلاس فون ويل (Nikas Von Wyle) (وأريقو (Arigo) (من المحتمل انه الاسم الأدبي لهاينرخ شلوزلفلدر (Heinrich Schlusselfeder) وانطونيوس فون بفور (Antonius Von Pfor) كانوا جميعاً مترجمين بصورة رئيسية ، وانتخبوا الكثير من الروائع الوثنية ، وبعض الآثار الكلاسيكية اليونانية والهندية ومؤلفات ايطالية ، بما فيها كتاب ديكامرون للكاتب بوكاتشيو .

وبعد عام ١٤٨٠ أعطت الانسانية الالمانية صورة مغايرة تماماً . وكان كونرادوس كلتس (Conradus Celtis) وأيوبانوس هسوس (Eubannus Hessus) وغيرهما مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالدوائر الجامعية ، وكتبوا باللاتينية بشكل كلي

تقريباً . وقد تجلت روح وطنية وسياسية عارمة في كتاب جرمانيا (Germania) لجيكوب ويمبفلنغ (Jakob Wimpfeling) ، والنشاطات الدبلوماسية لكونراد بيو تنجر (Konrad Peutinger) . كما ظهر اهتمام نشيط بالتاريخ الالماني في مؤلف بياتوس رينانوس (Beatus Rhenanus) «تاريخ رهبان القديس كول» (Chronik Der Abbebte Von St Gallen) عام ١٥٣٣ لمؤلفه جو شايم فاديانوس (Jochim Vadianus) الاسم الأدبي لجوشايم فون واط ، وتاريخ بفاريا (Bayerische Chronik) لـ أفنتينوس (Aventinus) ولكن الجماهير لم تتأثر بها كما تأثرت فيما بعد بالاصلاح اللوثري .

كان الاثر الانساني في المسرحية أكثر مباشرة . فقد نشأ تقليد درامي حيوي كجزء من البرامج الجامعية . وأخرجت هزليات رومانية ومسرحيات لاتينية وضعها كتاب حديثون للتهذيب الأخلاقي ولتعليم الفصاحة . وكانت هذه المسرحيات مختلفة اختلافاً بيناً عن الأنواع المسرحية الوسيطية ، ومنها تطورت مسرحية القرن السادس عشر في المانيا . وقد تحولت هذه المسرحية اللاتينية فيما بعد لخدمة الاصلاح الديني .

ويفسر تركيز أكثر كتاب العصر موهبة على اللاتينية لِمَ كان الأدب باللغة الدارجة بين عامي ١٤٩٠ و١٥٢٠ نادراً . فلقد سيطرت الاعمال الساخرة او التعليمية . ويستعرض أشهر مؤلف من القرن الخامس عشر واسمه مركب الحمقى (Das Narrenschiff) (١٤٩٤) لمؤلفه سباستيان برانت (Sebastian Brant) جميع عيوب العصر الرئيسية والثانوية . ونجد في كتاب «الثعلب رينارد» (Reyke De Vos) ١٤٩٨ الذي كتب بالالمانية المنخفضة أن الشعر كان يرافقه تعليق نثري واسع طبقت فيه الحوادث الساخرة على الشرور المعاصرة .

عصر الاصلاح الديني :

أثر الاصلاح الديني واحتجاج مارتن لوثر ضد الانتهاكات الاكليركية على الحياة في المانيا ، ولم يفسح سوى مجال ضيق للاعتبارات الجمالية الصرفة. ووقف

الانسانيون الذين فضلوا الاصلاح دون تغييرات عقائدية على الحياد بصورة عامة .

لكن باستثناءات نادرة بارزة، إذ أيد قضية لوثر في مجموعة من النشرات أورلخ فون هتن (Urlich Von Hutten) ـ الذي أمل أن يحصل كذلك اصلاح سياسي، وأدخل عالِم اليونانيات فيليب ميلانكثون (Philipp Melanchthon) التقليد الانساني الى المدارس البروتستانتية. ولكن باستثناء الانسانيين كان كل كاتب مرموق تقريباً مشغولاً بالاصلاح الديني.

ومن الفيض الغزير من الكتب التي طبعت في المانيا كان عدد ضئيل جداً ذا قيمة أدبية . فهناك كتابات لوثر نفسه العديدة والمتنوعة وكراساته الفصيحة عن الاصلاح العام ١٥٢٠ مثلاً او ذمّه الفظ ثورة الفلاحين. وكذلك كتاب خمسة عشر رفيقاً (Die is bundsgenossen) (١٥٢١ ـ ٢٣) الذي هاجم فيه يوهان ابرلين فون كونزبرغ (Johan Eberlin Von Gunsburg) المساوىء الدينية ، فضلاً عن نقد توماس مورنر (Thomas Murner) المرير دفاعاً عن الدين القويم. وهناك الهجاء العنيف للكاثوليكية في « فسنحتسبيل » (Fastnachtsspiele) لنيكولاس مانيول (Niklas Manuel) من بيرن ، وكتابات سبستيان فرانك (Sbastian Franck) وهو مفكر راديكالي مستقل .

كان للاصلاح الديني اثر دائم على الأدب الألماني في ثلاث مجالات: فهناك اولاً ترجمة لوثر للكتاب المقدس (العهد الجديد عام ١٥٢٢ والعهد القديم ١٥٣٤) التي لم تكن تستند وللمرة الأولى على النصوص العبرية والاغريقية فحسب ، بل تجلت في أسلوب الماني رصين وشعبي، وكان أثرها بالغاً على أسلوب الكتّاب الألمان اللاحقين وأفكارهم . كما أسس لوثر الانشاد الجماعي للترانيم الدينية كجزء أساسي من الصلاة البروتستنتية، وكتب بنفسه عدة ترانيم، مما أدى إلى وضع أسس تقليد من كتابة الترانيم كان مساهمة المانية كبرى للعالم المسيحي.

وأخيراً امتدح لوثر بعض المواضيع الانجيلية لصلاحياتها للأداء المسرحي مشجعاً بذلك العديد من كتّاب المسرحية ليكتبوا مسرحياتهم بالألمانية كوسيلة للتعليم

اللوثري، ويأتي في طليعتهم كل من سكستوس بيرك (Sixtus Birck) وبول ربهن (Paul Rebhuhn) وجوشيم كريف (Joachim Greff) وبيركهارد فالديس (Burkhard Waldis) وجورج وكرام (Jorg Wickram) كانت هذه المسرحيات التي بنيت على نماذج من المدرسة اللاتينية للمسرحية نقطة انطلاق في الانفصال عن الأنماط الوسيطية للمسرحية.

ورغم أهمية حركة الاصلاح الديني ، لم تكن مسؤولة عن كل الأدب الذي كتب باللغة المحلية بعد عام ١٥٢٠ . وشرعت الألمانية تحل بالتدريج محل اللاتينية في الأعمال العلمية، مثلاً كمقالات الطبيب والكيميائي والعالم السويسري باراسيلسوس (Paracelsus) (ثيوفراستوس فون هو هنهايم). الا ان الأعمال الساخرة او التعليمية ظلت مسيطرة، كمجموعة الأقوال المأثورة ليوهان اكريكولا (Johan Agricola) . كما ان القصة الخرافية بعثت بدورها أيضاً. ومع ان ترجمات لوثر نفسه من كتاب ايسوب (Aesop) خلو من أي ميزة أدبية ، فقد حوّل كل من إرازموس البيروس (Erasmus Alberus) في كتابه «قصص خرافية» (Fablem) ١٥٣٤ وبيركهارد فالديس (Burkhard Waldis) في كتابه «ايسوب» (Esopus) (١٥٤٨) الخرافة الى شكل أدبي حيوي ثانوي، وترجم كسبار شدت (Kaspar Scheidt) الى الألمانية كتاب «كروبيانوس» (Grobianus) لمؤلفه فرديريك داديكانيد (Freidrich Dedekind) وهو دليل لاتيني نقدي حول آداب المائدة.

كان هانس ساخس من نورمبرغ (Hans Sachs of Nurnberg) أكثر مؤلفي القرن انتاجاً باستثناء لوثر نفسه. وعلى العكس من عمله الأدبي الذي كان تعليمياً في هدفه الا أنه غير جدلي ، مثل الاتقياء المستقيمين والعاملين المجدين من أهل المدن والحرفيين واللوثريين. ولأنه باتفاق الآراء اعظم المغنين والشعراء المحترفين فقد ارتقى بالصيغة الأدبية حد الكمال والى نهايته الفعلية، رغم ما بذله شعراء متأخرون من محاولات لانعاشها، وأجاد ساخس أكثر ما أجاد بالفكاهة الشعرية وفي مسرحيات أيام المرافع (Fastnachsspiel) .

الأدب الخفيف :

مع انحسار خصومات الاصلاح الديني اتخذت اعمال التسلية الصرفة أهمية أكبر. وكانت كتب القصص الشعبية الواسعة الانتشار في الأغلب نسخاً نثرية لرومانسيات شعرية وسيطية او ترجمات حرة من مصادر أجنبية. كما كانت قصص فورتوناتوس (Fortunatus) وماجيلون (Magelone) ومليوسين (Melusine) وغيرها وغيرها ذات شعبية واسعة حتى الى ما بعد القرن السادس عشر. كما وجد الناس ترويحاً في مجموعات من القصص الفكاهية القصيرة، وهو نوع من العمل يعود الى «يولنشبيغل» (Eulenspiegel) على أقل تقدير. وكان لكتاب « الهزل والجد» (Schimpf Und Ernst) ١٥٢٢ ليوهان بولي (Johannes Pauli) أهداف تعليمية، إلا أن التسلية كانت الهدف الوحيد من مؤلف جورج وكرام « كتاب العربة » (Rollwgenbuchlein) ومجموعات اخرى مماثلة. وفي نفس الوقت بدأت الرواية الحديثة بالظهور في القصة النثرية الأكبر حجماً للكاتب ويكرام والمسماة الخيط الذهبي (Der Goldfuden) (١٥٥٧) وفي الترجمة الألمانية للرومانسية الاسبانية الفروسية «امادس دوغولا».

نهاية القرن السادس عشر : أدى مجلس ترنت (Trent) (١٥٤٥ ـ ٦٣) الذي حاول أن يصلح الكنيسة الرومانية، ومجيء جمعية يسوع الكاثوليكية الى توجيه الجدل الديني وجهة جديدة. فكيف اليسوعيون المسرحية المدرسية المكتوبة باللاتينية لأغراضهم التعليمية الخاصة بهم. ومع ذلك لم يظهر أي كاتب مسرحي بارز حتى القرن السابع عشر. وفي هذه الفترة، طورت الأكاديمية البروتستانتية في ستراسبورغ تقليداً تعليمياً ودرامياً غنياً. وبخاصة تحت اشراف كاتب انساني مسيحي هو يوهان ستوريوم (Johannes Sturm) .

وفي الربع الأخير من القرن ، كان أبرز مؤلف هو يوهان فيشارت (Johann Fischart) الذي وجه الكثير من اعماله ضد اليسوعيين والاصلاح المعاكس وضد واعظ لامع اسمه يوهان ناس (Johannes Nas) . وفي جميع كتابات فيشارت كانت

الاهداف التعليمية للعصر تقترن بالاهتمام بالصيغة الادبية. وكانت قصيدة «مراكب الحظ السعيد» (Das Gluckhafft Schiff) شكلاً وأسلوباً إحدى القصائد المتميزة في القرن . اما معاصر فشارت (Fischart) فيليب نيكوديموس فرشلين (Philipp Nikodemus Frischlin) فكان آخر مسرحي لاتيني شهير في هذا القرن . ومن ناحية ثانية أضافت نسخ المزامير لـ (بول ستيد مليسوس) (Paul Schede Melissus) ، وامبروسيوس لوهواصر (Ambrsius Lohwasser) - حسب نموذج كلمنت مارو الكلفيني - عنصراً جديداً الى تقليد كتابة الترانيم الدينية البروتستنتية الغزيرة، بينما ادى كتاب قصص شعبي مجهول المؤلف عنوانه «تاريخ دكتور فاوستوس» (Historia Von Dr. Johann Fausten) عام ١٥٨٧ الى قيام تقليد أوربي فاوستي . والناحية البارزة الجديرة بالاهتمام في السنوات الأخيرة للقرن هي وصول فرقة تمثيل إنكليزية الى المانيا ، شملت تمثيلياتها التي قدمتها نسخاً من مسرحيات انكليزية معاصرة ، تاركة أثرها على جاكوب ايرر (Jakob Ayrer) والدوق هنريخ جوليوس اوف بروترويك ، فألف هذا الأخير ١١ مسرحية ، وبهذا الأثر الجديد انتقل الأدب الالماني الى العصر الباروكي .

أدب الاصلاح الديني السويسري - الألماني

لم يكن لنشاطات المصلح الديني هولدريخ زوينغلي (Huldrych Zwingli) سوى أثر غير مباشر على الأدب ، فزوينغلي نفسه كتب باللاتينية بصورة رئيسية. كما ان ما يسمى بكتاب زيورخ المقدس لعام ١٥٢٩ كيّف بالتدريج ليتناسب مع كتاب لوثر المقدس مما وثّق الرابطة ما بين الكتابات السويسرية والالمانية.

والنتيجة الهامة لعمل زوينغلي ان الأغلبية البروتستانتية لسويسرا الناطقة بالألمانية أقامت علاقة دائمة مع الأجزاء البروتستنتية لغربي سويسرا ، ومع غيرها من البلاد البروتستنتية .

وكانت المسرحية المجهولة المؤلف عن وليام تل من مقاطعة اوري (Uri) تعبيراً صريحاً وشعبياً للوطنية السويسرية . أما تاريخ كيلغ تشودي (Gilg Tschudi) المسمى

كرونيكون هيلفاتيكوم(Chronicon Helvaticum) الذي غطّى السنوات ما بين ١٠٠٠ ـ ١٤٧٠ من التاريخ السويسري فقد بقي لأنه اعتبر عملاً أدبياً .

الأدب النمساوي في عصر النهضة :

وفي النمسا ادى التوسع الكبير لأمبراطورية هابسبرغ الى نقل المقر الامبراطوري من براغ حيث حكمت سلالة لوكسمبورغ الى فينا حيث عائلة هابسبرغ ، حاملاً معه تراثاً مزدوجاً : اللغة الأدبية الألمانية وميلاً انسانياً ، واهتماماً بالاسلوب . وقد جعل الامبراطور مكسيميليان الأول الذي كان هو نفسه كاتباً من فيينا ـ عن طريق جامعتها ومقرها الامبراطوري ـ المدينة الانسانية الأولى في المانيا ، وساعده في ذلك كونرادوس كلتس (Conrandus Celtis) ويوهان سبيسهايمر (Johannes Spiessheimer) (كسبنيان)، وجوشيم فاديانوس(Johachim Vadianus) (فون واط (Von Watt) .

أصبح لفينا مسرح في عصر النهضة حيث قدمت مسرحيات كونرادوس سلتس (Conradus Celtis) البلاطية ، ومسرحيات الدير لراهب الدير الايرلندي بندكتوس شليدونيكوس (Benedictus Chelidonicus) كما اخرجت للمرة الأولى المسرحيات الالمانية للمعلم وولفغانغ شملتزل (Wolfgang Schmeltzl) في الدير الايرلندي ، ومنذ عام ١٥٥٤ كوّن اليسوعيون من التحالف السلالي بين النمسا واسبانيا طائفة من الناس تربطها بينها العقيدة الدينية والميول العقلية . وبدأوا في اخراج الكثير من المسرحيات ، وفي نفس الوقت تطورت الاوبرا الايطالية ورعاها الامبراطور بنفسه بشكل خاص ، فاصبح المسرح الباروكي النمساوي احد الانتصارات الفنية في أوروبا. وازدهرت كذلك الأقاليم فكان لتيرول (Tirole) محاكمها الخاصة من وقت لآخر.

ومنذ عام ١٤٣٠ كتب عدد وفير من المسرحيات الدينية والعلمانية . وفي سترزنغ (Sterzing) ـ وبعد قرن ـ كان فيجيل رابر (Vigil Raber) يجمع مسرحيات الشعب ويعيد كتابتها، وفي حوالي ١٥٧٠ ترأس الارشيدوق فيرناندز(Archdike

(Ferdinand زُّمن التيرول بلاطاً من الشعراء كان واعظه يوهـان ناس، بينما اصبح الراهــب لورنتيوس فون شنفس (Laurentius Von Schnüffis) شاعــراً غنــائياً متصوفاً . وكانت لمدينة سالزبورغ (Salzbourg) حياتها الخاصة التي ازدهرت بوجود (انساني) فيها هو بول فون هوفهايمر (Paul Von Hofhaimer) الذي أضفى عليها صبغتها عبر مسرح بلاط رئيس الأساقفة والجامعة البندكتية التي أسست عام ١٦٢٠ . وكان لستيريا (Styria) مدى واسع من الاهتمام الفني في الاديرة العظيمة مثل دير كرمــز منستــر (Kermsmünster) حيث كتــب سايمــون روتنجر (Simon Rettenbacher) مسرحيات دينية . وكان كريستوف فان شلنبرغ (Christoph Van Schalle[illegible]berg) وولفغانــغ هلمهــارد فون هوهبــرغ (Wolfgang Helmhard Von Hohberg) وكاترينا فون كرفنبرغ (Katharina Von Greiffenberg) شعراء يرعاهم نبلاء . وكان الامبراطور فيرناند الثاني حاكم ستيريا السابق هو الـذي اتخـذ قرار المعركة ضد الاصلاح الديني في ستيريا بادىء الأمر، ومن ثم في مناطقه الأخرى . وارتفع صوت الكنيسة عالياً في فيينا على يد ابراهـام اسانكتـا كلارا (Abraham A Sancta Clara) وهو مبشر في بلاط آل هابسبرغ ومبرز في النثر الألماني الباروكي .

الفَصْل الثّامِن

الأدَب الهولَندي في عَصر النهضَة

يجب اعتبار فلاندرز وهولندا وحدة حتى عام ١٥٨٢ عندما أدى سقوط أنتورب الى صدع نهائي بين الشمال البروتستنتي والجنوب الكاثوليكي. وتميّز القرن السادس عشر بتنوع في الصيغ الأدبية يعكس عصراً يسير نحوالانحطاط،يواجهه اول تعبير عن الفن الجديد الذي وفد الى الأراضي المنخفضة من ايطاليا عبر فرنسا. بدأ عصر النهضة في الأراضي المنخفضة بعدد من الكتّاب مثل لوكاس دوهير الذي كان قد هرب من الأقاليم الجنوبية الكاثوليكية لأسباب دينية . وأظهرت كتب القصص الشعبية التي ضمت نسخاً نثرية من الرومانس الوسيطية ، والأغاني الشعبية ، وشعر البيانيين (Rederjekers) ودعاية الاصلاح الديني ، وأناشيد الثورة الكالفينية ضد اسبانيا ، والقصائد الغنائية الأولى من نوع السونيت (Sonnet) ، والاطروحات الأولى التي كتب باللغة المحلية الدارجة، وكتب النحو الأولى للغة الهولندية - أظهرت هذه كلها صفة عدم الاستقرار وعصراً يتسم بالتغيير . وهكذا بينما كانت الكاثوليكية آنا بيجنز (Anna Bijns) تشجب اللوثريين بعنف في شعرها النقدي المتألق الذي تصدى له فيما بعد الكلفيني مارنكس فان سنت الدغوند في حملته الجدلية على الكنيسة الكاثوليكية ، كانت اصداء الماضي الكلاسيكي تصل الأراضي المنخفضة، في القصائد الغنائية من نوع «الأود» (Ode) و «السونت» والترجمات التي قام بها جان فان درنوت (Jan Van Der Noot) وجان فان هوت. أمّا كارل فان ماندر الشاعر والرسّام فأدخل الكتابات النثرية العلمية باللغة المحلية مع أن نثر إرازموس اللاتيني كان شهيراً في أوروبا لمدة تقارب القرن .

الشاعر الفرنسي بيير دو رونسار (Pierre De Ronsard) في لندن، حيث كان آنئذ في المنفى لاشتراكه في ثورة عام ١٥٦٧.

والرجلان المعتدلان العظيمان في العصر هماج. هـ. شبيغل (J.H. Spiegel) ودرك فولكرتزون كورنهرت (Dirk Volkertzoon Cornhert) اللذان كانا انسانيين ليبراليين يناديان بعقيدة أخلاقية مسيحية غير متزمتة. وبشكل عام، كان شعر شبيغل أكثر عقلانية من نثركورنهرت الذي تأثر بالكاتب الفرنسي مونتين (Montaigne) والكتاب المقدس، وطور أسلوباً مرناً وواضحاً يداني - الى حد كبير - درجة المتعة. وكان كورنهارت وخلفاؤه - بصورة خاصة - مترجمو طبعة الكتاب المقدس الهولندية الرسمية هم الذين أرسوا اسس اللغة الفصحى الهولندية.

الفَصْل التّاسِع

الادب الاسكندنافي في القرن السادس عَشر

الادب السويدي

يحدد تاريخان بداية التاريخ السويدي ، وهما عام ١٥٢٣ حين تم الانفصال عن الدانمارك ، وارتقاء غوستاف الأول فاسا (Gustave I Vasa) العرش ، وعام ١٥٢٧ سنة الانفصال عن روما ، وتأسيس كنيسة لوثرية قومية . أما الثورة السياسية التي جعلت من السويد قوة أوروبية فلم تكن ذات تأثير بالغ على الأدب ، حتى حلول القرن الذي تلا ذلك . إلا ان الاصلاح الديني سيطر سيطرة تامة على الأدب السويدي خلال القرن السادس عشر.

وأهم حادثة تاريخية في القرن هي ترجمة الكتاب المقدس عام ١٥٤١ التي دشنت السويدية الحديثة ،وزودت الشعراء بمصدر من الوحي لا ينضب له معين . كان دعاة حركة الاصلاح الديني السويدي من الأشخاص الوثيقي الارتباط بترجمة الكتاب المقدس السويدي ومنهم اولوس بتري (Olaus Petri) واخوه لورنتيوس (Laurentius) وتجلت معالجة اولوس العنيفة بمواعظه المنشورة ، وبسفر تاريخي هو اول تاريخ سويدي يستند على البحث النقدي . ولا يبعد ان يكون اولوس بتري هو كاتب المسرحية الانجيلية توبل كوميديا (Toble Comedia) (نشرت عام ١٥٥٠) وهي اول مسرحية سويدية وصلتنا كاملة .

ونتيجة للاصلاح الديني ، نفي اثنان من علماء السويد البارزين . وفي تاريخه عن جميع ملوك القوط والسويد زوّد يوهان ماغنوس (Johannes Magnus) السويد بعدد من الملوك الأبطال لم يعرفهم التاريخ الحقيقي .

وكتب أخو يوهان ـ أولوس ماغنوس (Olaus Magnus) اول وصف جغرافي واثنوغرافي لاسكندنافيا بعنوان «تاريخ الشعوب الشمالية» عام ١٥٥٥ .

وفي هذه الأثناء كان التعليم الأكاديمي في انحطاط . اذ أغلقت جامعة ابسالا (التي اسست سنة ١٤٧٧) في عام ١٥١٥ بسبب عدم الاستقرار السياسي، ولم تبعث من جديد حتى وقت متأخر من القرن . ويقترن اسم يوهان مسنيوس (Johannes Messenius) الذي كتب عدة مسرحيات اسطورية تاريخية بهذه الجامعة .

الادب الدانمركي :

نفذ الاصلاح الديني اللوثري في الدانمرك عام ١٥٣٦ ، وتميزت بداية القرن السادس عشر بمنشورات كثيرة ضد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية او تأييداً لها . وظهر كذلك أثر «الانسانية» الأوربية وعصر النهضة في الدانمارك حيث اضطلع كرستيرين بيدرسين (Christiern Pederseen) أبرز انساني ونصير الاصلاح الديني بتحقيق كتاب جستا دانوروم (Gesta Danorum) لمؤرخ من القرن الثالث عشر هو ساكسو غراماتيكوس (Saxo Grammaticus) وبترجمة العهد الجديد، كما ترجم بتصرف كراسات مارتن لوثر الى الداناماركية، وفوق كل هذا أسهم بترجمة للكتاب المقدس عام ١٥٥٠ م، وكان بول هيلغيس (Paul Helgesen) أكثر خصوم الاصلاح اللوثري موهبة ، كما كان هانس توسن (Hans Tausen) اكثر الناطقين باسمها موهبة .

ويعتبر كتاب «العقاب الالهي» (Visitation book) للأسقف اللوثري بيدر بلاديوس (Peder Palladius) وثيقة أدبية هامة . وكان أهم مؤرخين ـ وكلاهما يعود الى فترة الانتقال بين القرنين السادس عشر والسابع عشر ـ هما اندرز سورنسن فيدل (Anders Sorensen Videl) وأريلد هتيفيلت (Arild Huitfeldt) .

كان الشعر الدانمركي في القرن السادس عشر إما دينياً او جدلياً يمازجه شعر حب بديع وترانيم دينية . ويعود تاريخ أقدم المسرحيات الى بدء القرن . أما اهم

مسرحي في هذه الفترة فهو هيرونيموس جوستيسن رانش (Hieronymus Justesen Ranch) الذي كانت هزليته من نوع الفارس (المهزلة Farce) وعنوانها «الوغد البخيل» أفضل مسرحياته. ولم تشعر الدانمارك بعنفوان عصر النهضة كاملة في الأدب حتى القرن التالي.

الأدب الايسلندي

كان جون أراسون (Jon Arason) الشخصية السياسية الرئيسية والشاعر الأول للاصلاح الديني ، الذي كان آخر اسقف كاثوليكي لِـ هولار (Holar) إذ أُعدم عام ١٥٥٠ م . وأظهر جون هذا بالطريقة التي عاشها بأنه أحد الفايكنغ (Viking) ، كما كان شهيداً ، مع أن معظم شعره الذي وصلنا هو شعر ديني .

وكان أثر الاصلاح الديني على العلم والأدب في إيسلندا أن أهمل الشعر الكاثوليكي، كما جرت محاولات على أيدي الأساقفة اللوثريين الأوائل لأن تعوض النقص وتسد الفراغ بما ترجموه عن الدانماركية والألمانية من ترانيم، لكنها ترجمات هزيلة .

علم الأساتذة اللوثريون الناس العقيدة اللوثرية ، فطبعت عدة ترجمات لمواعظ وكتب إرشاد كتبها لوثريون المان في صيغة إيسلندية بدءاً من عام ١٥٤٠ .

ويأتي في طليعتهم نشاطاً وحكمة كودبراندر شورلاكسون (Gudbrander Thorlakson) إذ استعمل في ترجمته الكتاب المقدس نسخاً ايسلندية أقدم لبعض كتب العهد القديم ، كما استعمل ترجمة اودركو تسكالسن (Oddur Gottskalkson) للعهد الجديد ، وأظهر استحسانه للتقليد الشعري الايسلندي في كتاب ترانيمه الدينية ، وراعى فيه الجناس والشكل الايسلندي .

الفَصْل العَاشِر

أدَب أوربا الشرقية في عَصر النهضَة

الأدب الهنغاري :

ظلت اللاتينية لغة الأدب الجدّي في هنغاريا حتى القرن السادس عشر وكان ذلك نتيجة التأثيرات « الانسانية » ، وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر أصبح الأثر الايطالي مسيطراً في هنغاريا . وفي عام ١٣٦٧ أسست أول جامعة هنغارية ، ثم في منتصف القرن الخامس عشر ، وباعتلاء الملك ماثياس الأول كورفينوس (Mathias I Corvinus) العرش اصبح البلاط مركزاً «للانسانية»، فقد أسس الملك جامعة وأول مطبعة هنغارية ، كما اشتهر بمكتبته . وبلغ الأدب اللاتيني أوجه في كتاب أعظم «انساني» في هنغاريا، وهو جانوس بانونيوس (Jannus Panounius) ، الذي سبق أن تلقى العلم في ايطاليا، وكتب العديد من المراثي بوحي من المشاكل التي ألمت بسياسي مسؤول، كما وصف الصعوبات التي واجهتها هنغاريا في مقارعة الأتراك، فأحب بلاده وعبر عن آلامه الشخصية.

جاء القرن السادس عشر بتغييرات تحت ظل الحروب التركية . وبعد معركة موهاكس (Mohacs) ١٥٢٦ انشطرت البلاد ثلاثة أقسام ، ودمّرت مراكز الفكر « الانساني » والأدبي ، لكن نجم عن ذلك فجر عصر جديد هو عصر الإصلاح الديني، وبه دشن الأدب الهنغاري القومي فعلياً. ويجدر هنا أن نسمي ثلاثة من الرواد ، وهم بندك كومجاتي (Bendek Komjati) وكابور بستي (Cabor Pesti) وجانوس سلفستر (Janos Sylvester) الذين كانوا تلاميذ إرازموس . وقد ترجموا

أجزاء من الكتاب المقدس متبعين أساليب هي أفضل بكثير من تلك التي استعملها الأساتذة الهسيون (الهوصار) قبل مئة عام. اذ ترجموا جزءاً من الكتاب المقدس بدقة لغوية. كما ترجم «بستي» ترجمة مقروءة جداً قصص ايسوب الخرافية (Fables) ونشر قاموساً لاتينياً ـ هنغارياً. ونشر سلفستر أول كتاب نحو هنغاري، ونظم أول قصيدة هنغارية استخدم فيها شكل الدوبيت (السطران المقفيان) كي يبين إمكانية تكييف الهنغارية الدارجة الى الأشكال الشعرية الكلاسيكية، وفي عام ١٥٤١ نشر ترجمة للعهد الجديد.

وبانتشار المذهب الجديد ترجمت المزامير والترانيم الدينية ونظم اندراس سخاوسي هورفات (Andras Szkarosi Horvat) قصائد تعليمية ومواعظ شعرية ، وصاغ قصصاً من الكتاب المقدس شعراً ، وربما كان بالاضافة الى كل هذا أعظم هجّاء ساخر هنغاري.

وشهد النصف الثاني من القرن السادس عشر بدايات المسرحية الهنغارية . وربما كانت « هزلية عن خيانة مني هارت بلاسي » (Meny Hart Balassi) وهي ملهاة (كوميديا) نقدية لمؤلف مجهول أهم المنجزات الأدبية لفترة الاصلاح الديني. وتألف نشاط بيتر بورنزا (Peter Bornemiszd) الأدبي بشكل رئيسي من المواعظ الدينية.

ولكنه أدلى بوجهة نظر ساخرة عن الحياة الهنغارية ، مليئة بالملاحظات الجديدة والأوصاف الحيوية ، والتعليقات الأصيلة . اما كتابه « حول إغراءات الشيطان » (Ordögi Kisertetek) (فقد أولى فيه اعتباراً ممتعاً للمشاكل الاخلاقية والجنسية في القرن السادس عشر . وقصيدته « الوداع » التي نظمها عندما غادر بلده هي إحدى خرائد الشعر الهنغاري القديم .

ولربما كان اعظم إنجاز أدبي مفرد للاصلاح الديني الهنغاري هو ترجمة للكتاب المقدس قام بها كاسبار كارولي (Gaspar Karoli) عام ١٥٩٠ . فقد لعبت

هذه الترجمة دوراً في تطوير اللغة الهنغارية يماثل الدور الذي لعبته الترجمة الرسمية الانكليزية للكتاب المقدس .

وحتى القرن السادس عشر ، يبدو أن الأدب الديني تطور بشكل أفضل من الأدب العلماني. ومرد ذلك هو أن الأدب العلماني لم يكتب . وكان الشعراء الشعبيون في أواخر القرن السادس عشر أكثر علماً وأغزر ثقافة من أسلافهم. وقد دفعتهم الأحوال الاقتصادية الصعبة الى امتهان الشعر.

ولربما كان سبستين تينودي (Sebstyen Tinodi) أهمهم جميعاً . وكان بطبعه مؤرخاً اكثر منه شاعراً كرس يراعه لوصف الحروب ضد الأتراك بدقة رائعة ، لكنه رتيب الشعر ، وكان بيتر ايولوسفاري سليمس (Peter I losvai Selymes) مؤلف رواية عنوانها ميكلوس تولدي (Miklos Tolchi) (١٥٧٤) وقد حظيت بشعبية واسعة واستعملت كقاعدة لرائعة أدبية كتبها جانوس أراني (Janos Arany) في القرن التاسع عشر . وكان نموذج بطل القرن الرابع عشر، وهو رجل ذو سلطان بالغ وشخصية شعبية في الأدب الهنغاري. وكانت هذه الرواية القطعة الأصيلة الوحيدة في فيض أدب التسلية المجرد الذي يتميز به القرن السادس عشر والذي كان شكله الأدبي الرئيسي هو القصة الجميلة (Széphistoria) المقتبسة من أصول أوروبية غربية، ولربما كان أفضلها «هيستوريجة ارجيروس» (Argirus Historiaja) لألبرت جيرجي التي اقتبسها من أصل ايطالي، وحاك منها أدباً شعبياً (فولكلوراً) هنغارياً.

كان بالينت بالاسي (Balint Balassi) (١٥٥٤ ـ ١٥٩٤) شاعراً كبيراً ذا أصالة رفيعة ، وشبيهاً بالشعراء الفرسان (شعراء البلاط) في الأدب الانكليزي في حيويته وعبثه ، إلاَّ انه فاقهم عمقاً . وقد نعم استمتاعاً بالقتال والحب ولذائذ من الحياة. لكنَّ وراء شعره دافعاً دينياً عميقاً مفاجئاً. وكان شعره من الناحية الفنية لا يبارى بالنسبة للأدب الهنغاري القديم، وسار على نهجه الكثير من الأتباع والمقلدين.

الأدب البولندي :

مع أن النهضة وصلت الى بولندا متأخرة نسبياً ، إلا أنها كانت العصر الذهبي للأدب البولندي. وساهم في هذا الازدهار مجموعة من العوامل هي: الاستقرار الخارجي، والتوحيد الدستوري، والاصلاح الديني. وأسست أول مطبعة دائمة عند نهاية القرن الخامس عشر، وصدر أول كتاب طبع بكامله بالبولندية في حوالي ١٥١٣ . ويعود تاريخ اللغة الأدبية الحديثة الى هذا الوقت.

ألّف الرعيل الأول من الكتاب ، الذين تأثروا بالانسانيين الايطاليين ، باللاتينية . وكان من بينهم جان فلاشبندر (Jan Flachsbonder) ويوهان دانتسكوس (Joannes Dantiscus) وهو شاعر مناسبات وغراميات ومدائح ، واندريه كرزكي (Andrzej Krzycki) أو كريسيوس (Cricius) وهو رئيس أساقفة دبج أو أقوالاً فكاهية وشعراً سياسياً وقصائد دينية ، وكلمينس أوف جانوسكو (Klemens of Jamuszkowo) أو جانيكي (Janicki, Jamicius) ، وهو فلاح درس في ايطاليا وأصبح شاعر البلاط، وأول شاعر بولندي أصيل .

وجمع ميكولاج رج أوف ناكلوويس (Mikolaj Rej of Naglowice) نواحي وسيطية مع أخرى من عصر النهضة . واكتسب ميكولاج العلم بنفسه ، وكان أول موهبة بولندية استعمل اللغة الشائعة ، وانتشرت مؤلفاته بصورة واسعة ، إذ يعرف باسم « مؤسس الأدب البولندي » كما صاغ الحكم النقدية ، إلا أن أعماله الهجائية النقدية هي الأهم وخاصة بوستيلا (Postilla) وهي مجموعة من المواعظ الكلفينية ، و « حياة رجل شريف » (١٥٥٨) ، وهو وصف للرجل النبيل المثالي .

سيطر جان كوتشا نوسكي (Jan Kochanowski) (على الجيل الثاني من الشعراء « الانسانيين » إن لم يكن على امتداد فترة عصر النهضة . وكان ابن ملاك ريفي كتب باللغة الدارجة ، وهو أول كاتب بولندي يحاول الشعر الهجائي الساخر والمأساة الكلاسيكية ، ولكن مؤلفاته الغنائية فاقت هذه التجارب . كانت قصيدته « تريني » (Treny) قمة محاولاته الشعرية وهي أول عمل بولندي أدبي يجاري

روائع القصائد لغربي أوربا . وأما قصيدته لامينتس (Laments) أي المرثاة الباكية فقد أوحى بها اليأس ووفاة طفلته عام ١٥٧٩ ، إلا أنه استعاد نهائياً توازنه الروحي . . . وقد اختفت من شعره الكلمات البائدة المتناثرة في مؤلفات « رج » ، وأصبحت المصطلحات عصرية . ودلت مرونة عبقريته الشاعرية وثقته بها على أن اللغة الأدبية بلغت مرحلة النضج .

كان سيمون سيزمونوويك (Symon Syzmonowic) سيمونيديس (Simonides) أبرز أتباع كوتشا نوسكي . وقد أدخل في قصائده الرعوية (١٦١٤) نوعاً ادبياً قدر له أن يحتفظ بحيويته حتى نهاية القرن التاسع عشر . ومثلت هذه القصائد الرعوية طرائق التقليد والتكييف والتمثيل التي استعملها كتاب عصر النهضة ، ليدخلوا الانماط الأدبية الأجنبية الى التقاليد الأدبية الوطنية .

كانت القصائد العديدة باللاتينية والبولندية للشاعر سبستيان كلونويك (Sebastian Klonowic) هامة لأنها تعطي وصفاً للحياة المعاصرة . أما « جوداس ساك » (Juda's Sack) (عام ١٦٠٠) فهي قصيدة هجائية لحياة مدينة لوبلين (Lublin) المبتذلة ، تلك المدينة التي شغل هو منصب رئيس بلديتها .

ووازى نثر القرن السادس عشر شعره في حيويته ومداه . وكان أشهر كاتب باللاتينية هو اندرج فريز ـ مدرويسكي (Andrazej Frycz - Modrzewski) . وفي كتابه كومنتا ريوم دو ربليكا اميندا ليبري كونكلو(Commentariorum Republica Emandanda) (١٥٥١ ، ١٥٥٥) طور نظاماً سياسياً واجتماعياً جريئاً يستند الى مبدأ التساوي أمام الله والقانون . والكاتب الآخر البارز الذي كتب باللاتينية هو مارسين كرومر (Marcin Kromer) الانساني والمؤرخ والمدافع عن الكاثوليكية . ومن مؤلفاته الجدلية كتاب « حوار بين رجل البلاط والراهب » (١٥٥١ ـ ١٥٥٤) وهو دفاع عن الكاثوليكية ، ونشر خلال هذه الفترة العديد من الكتابات التاريخية والجدلية وترجمات الكتاب المقدس . وتعتبر الترجمة الكاثوليكية التي قام بها جاكوب وجك (Jakub Wujek) عملاً أدبياً بارزاً .

أصبح الأدب البولندي أدباً قومياً يعكس وضع بولندا كقوة عظمى ذات حدود واسعة ، كما يعكس وضع الطبقة النبيلة كطبقة حاكمة ، والرخاء الاقتصادي للبلاد

وانتشر اثر هذا الأدب شرقاً ، وبشكل خاص الى موسكو ، والى الغرب ، كما مثلها خير تمثيل الفلكي نيكولاس كوبرنيكوس (Nicolaus Copernicus) .

الأدب الروسي :

في حوالي منتصف القرن السادس عشر بدأت موسكو تشعر بمركزها الحيوي في مجالات العلم والأرثوذكسية والسلطة السياسية . وقد حدثت عدة محاولات أدبية متلاحقة غرضها النهوض بمستوى التقاليد الاكليريكية والسياسية ودعمها ، وإظهار انها انحدرت من بداية تكوين الدولة الروسية . ففي عام **١٥٥٢** ظهرت المجموعة الكبيرة المعروفة باسم مينشستي العظيم (Velikiye Minei - Cheti) لمطران موسكو ماكاري (Makary) وضمت مؤلفات عديدة من الأدب الاكليريكي الأصيل أو المترجم ، وتلتها مجموعة اخرى باسم « كتاب الأجيال » (Stepennaya Kniga) واشتملت على سِير الأمراء الروس وشخصيات اكليريكية، وأكملت عام **١٥٦٣** على يد خلفه مكاريوس (Makarios) . وفي هذه الفترة أيضاً صيغت المجموعات التاريخية المسكوفية الهامة وأُلِّفت كذلك مجموعة ضخمة بعنوان المجموعة المصورة التي تبدأ بخلق الكون وتنتهي في الستينات من القرن السادس عشر. وهناك مؤلفات غيرها مثل «الادارة المنزلية» و«مجلس المائة فصل» التي هدفت الى تدعيم مستويات السلوك الأخلاقية والسياسية والاجتماعية. وساعد إدخال الطباعة الى موسكو على توحيد روسيا، وطبع أول كتاب عنوانه أبوستول (Apostol) **١٥٦٤** .

الأدب التشيكي :

تكونت في القرن السادس عشر مجموعة كبرى من الأدب النثري هي في أغلبها تعليمية ومدرسية . وكان أثر « الانسانية » واضحاً في أسلوب المؤرخ القانوني فيكتورين كورنل (Viktorin Kornal) الأنيق . اما كتب الرحلات العائدة لهذه الفترة فتمتاز بأهمية كبرى . وبلغ تطور النثر التشيكي الأوج في ترجمة للكتاب

المقدس قام بها لفيف من علماء مجموعة الـ يونيتاس فراتـروم(Unitas Fratrum) وعرفت الترجمة باسـم انجيل كراليس (Kralice Bible) (١٥٧٩ ـ ٩٣) . وقـد غدت لغتها نموذجاً للتشيكية الفصحى .

الادب الكرواتي :

في القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر كان أبرز كاتب كرواتي هو ماركو ماروليك (Marko Marolic) مؤلف ملحمة جوديتا (Judita) (١٥٠١) التي حث فيها مواطنيه على النضال ضد الأتراك . وتطورت القصيدة الغنائية البتراركية بتأثير الأدبـين الايطـالي والـكلاسيكي ، والقصص الشعبـي الكرواتـي في دلماشيا (Dalmatia) ودوبروفنيك (Dubrovnik) . وكان هنيبـال لوسيك(Hanibal Lucic') مؤلف «العبـدة» (Robinja) احـد أشهـر الشعـراء . وهـذه اول مسرحية علمانية يوغوسـلافية . وكان مارين درزك (Marin Drzic') من بـين افضـل كتـاب الأدب الكرواتي القديم المعروفين ، اذ كتب مسرحيات رعوية وهزليات تصور دوبروفنيك في عصر النهضة . وقـد اخرجـت هزلية «دندومـاروج» (Dundo Maroje) (كتـب حوالي ١٥٥١) في جميع انحاء اوروبا الغربية .

الادب السلوفيني :

بدأ النشاط البروتستنتي في سلوفينا في نهاية العقد الثاني من القرن السابـع عشر، وأدى طلب استبدال اللاتينية بلغة طقسية يستطيع الجميع ان يفهموهـا الى خلق حافز للنشاط الأدبي ، فقد نشر المصلح البروتستنتي بريموز تروبار(Primoz Trubar) ـ الذي اضطر الى اللجوء الى سكسونيا لكونه من انصار اللوثـرية ـ اول كتاب سلوفيني مطبوع بعنوان ابيسيداريوم (Abecedarium) عام ١٥٥٠ وكتاباً عن العقيدة اللوثرية في قالـب حواري ، وكتابـات جدلية . كما أسس ادبـاً دينياً غنياً

بالتعاون مع اتباعه . وبلغ هذا النشاط اوجه عام ١٥٨٤ عندما نشرت ترجمة رائعة للكتاب المقدس قام بنشرها جورج دلماتين . ونشر اول كتاب في النحو السلوفيني «ارتـكياي هورلاي سكسيفـاي دولاتينـو كارنيولانـا لتراتـورا (Articae Horulae Successivae De Latinocarniolana Literatura) قام بتأليفه المربـي ادام بوهـريك (Adam Bhoric) . كما ان الكتاب البروتستنـت نشروا سبعـة كتـب من الأنـاشيد (١٥٥١، ١٥٦٣، ١٥٦٧، ١٥٧٤، ١٥٧٩، ١٥٨٤، ١٥٩٥) بغية سد الحاجات الطقسية ، بالاضافة الى قاموس المانـي ـ لاتينـي ـ سلوفينـي ـ ايطـالي (١٥٩٢ - ١٦٠٨) جمعه هيرونيم ماجسير،وهكذا بعد ان كونت قاعـدة السلـوفينية الأدبية ، وبعد ثورات الفلاحين المعاصرة تشكلت نقطة الانطلاق للوعي القومي السلوفيني .

الأدب الروماني :

كان اول كتـاب طبـع في ولاشيا (Walachia) عام ١٥٠٨ سفـراً سلافياً في الطقوس الدينية ، اذ طبع احد الشمامسة واسمه كورسي (Coresi) ترجمات لأعمال الرسل (١٥٦٣). ومن مؤلفاته الأخرى التي وصلتنا يمـكن ذكر «مواعـظ وكتـاب الصلاة» « وتعليقاً على الأناجيل » (١٥٨١). وقد ساعدت جميعهـا على استعمال اللغة الرومانية .

وفي هذه الفترة تم انتاج بعض الأدب العلماني ، الا انه كان يتكوّن بشكل رئيسي من ترجمات عن الاغريقية والسلافية والبيزنطية والكتب الشرقية (مثال ذلك تاريخ الاسكندر الثالث الكبير وقصص ايوب الخرافية وكتاب الف ليلة وليلة) .

الفَصْل الحَادي عَشَر

الأدَب الكلتي في عَصر النهضَة

ادب ويلز :

بعد تفوق دافيد أب كويليم (Dafydd Ap Gwilym) واتباعه من ارباب الشعر الحر نشأت لفترة قصيرة مدرسة من دعاة المدرسة الشكلية الأدبية . وكان أمام هذه المدرسة دافيد أب ادموند (Dafydd Ab Edmwnd) وتتجلى الميزة الرئيسية لشعره ببراعته وابداعه. وخلفه في هذا المضمار ثيودور الـد (Tudur Aled) (المتوفى عام ١٥٢٦) وهو شاعر متمكن، وكوثن اوين (الذي ازدهر حوالي ١٤٦٠ - ١٥٠٠).

كسر الاصلاح الديني طوق النظام التعليمي الكاثوليكي في ويلز، وهذا ما ادى الى انحسار في الذوق الأدبي وفي المستويات اللغوية . وانتهت سياسة عائلة تيودور لتشجيع انتشار الانكليزية على حساب لغة ويلز، ولإقناع الارستقراطيين الويلزيين بالهجرة الى انجلترا بغية تدمير الثقافة الويلزية المرتبطة وثيق الارتباط باللغة . ومع ذلك كتب الناقدان الهجّاءان سيون تيودور Sion Tudur وادموند بريس (Edmwnd Prys) مؤلفات بديعة . ونذكر في عدّاد المجلّين في الشعر الحر وليام لين (William Llŷn) وسيون فيليب (Siôn Phylip) .

نشوء النثر الحديث :

عندما ظهرت الطباعة في ويلز في القرن السادس عشر هجر انسانيو عصر النهضة النثر التقليدي ، وبني النثر الجديد الذي صاغوه على لغة الشعراء الكلتيين المتجولين (بارد Bard) والمؤلفين الكلاسيكيين بعد ان اغنتها التشكيلات والاقتباسات الحديثة. وكان عنوان أول كتاب ويلزي مطبوع هو: «في هذا الكتاب» (Yn Y Lhyvr Hwnn) (١٥٤٧)، وسمي كذلك بسبب الكلمات التي يفتتح بها

الكتاب ـ من نصوص من الانجيل وكتاب الصلاة. ومنذئذ بدأ النثر الويلزي يأخذ شكلاً محدداً .

الاصلاح الديني: كان اهم شخصية من شخصيات الاصلاح الديني هو وليام سيلزبري (William Salesbury) الذي ترجم العهد القديم حوالي ١٥٦٧ . ورغم ما في هذه الترجمة من عيوب لغوية، ووسائل آلية استخدمت لجعل اللغة مفهومة في جميع انحاء ويلز كانت بديعة . وفي العام نفسه نشر كتاب الصلاة الويلزي الذي ترجمه سالزبوري (Salesbury) بصورة رئيسية بالتعاون مع ريتشارد ديفيز (Richard Davies) اسقف كنيسة القديس ديفيد . اما الكتاب المقدس الويلزي ، الذي ترجمه وليام مورغان اسقف كنيسة « القديس آسف » بمساعدة ادموند بريس فقد نشر عام ١٥٨٨ وما زالت قيد الاستعمال النسخة المنمقة التي نشرت عام ١٦٢٠ . ومن الصعب المبالغة في أهمية هذه الترجمات الثلاث على تطور النثر الويلزي. ومنذ عام ١٥٨٨ تواصل انتاج كتب النثر الويلزي، وأولها ترجمات من الانكليزية واللاتينية هدفت الى ترسيخ الأمة الويلزية على مبادىء الاصلاح الديني.

الاصلاح الديني المضاد :

خلال السنوات التي جرى فيها ترسيخ الدين الجديد في ويلز، كان المجتمع واللغة الويلزية قد بلغا انحداراً أدنى درجة من الانحسار. وقد اعتبر كتاب الاصلاح الديني المضاد للكاثوليك الدين الجديد مستورداً من انكلترا، واعتقدوا بأن وسيلة حفظ الدين تتمثل بالاصرار على الثقافة الكاثوليكية القديمة . ونتيجة لذلك ظهر كتاب دوسبارت بير (Dosparch Byrr) وهو أقدم كتاب اولي في نحو اللغة الويلزية وقواعدها، من تأليف كرفود روبرت (Gruffudd Robert) (حوالي ١٥٢٢ - حوالي ١٦١٠) فضلاً عن عدة مؤلفات دينية نشر الكثير منها في اوروبا .

عصر النهضة في ويلز :

كما ولّت ايطاليا والبلاد الأوروبية الأخرى وجهها ـ أبان عصر النهضة ـ نحو الكلاسيكيات اللاتينية والاغريقية التفتت ويلز الى تقليدها الخاص من الشعر

«الباردي» . وبالاضافة الى كتاب كوفورد روبرت الآنف الذكر ظهرت مجموعة من القواعد للشعر الباردي ، ومبادىء اللغة الويلـزية قام بجمعـه سيون دافيد ريس (Siôn Dafydd Rhys) كما ظهر قاموس وكتاب قواعد ألفهما جون ديفز من مولويد (John Davies of Mallwyd)

الادب البريتاني :

ينقسم الادب البريتاني ، شأنه شأن اللغة البريتانية ، الى ثلاث فترات ، قديمة ووسطى وحديثة . ولا نجد اللغة البريتانية القديمة (من القرن الثامن حتـى القرن الحادي عشر) الا في قوائم الاسماء والكلمات المشروحة في السجلات او مجرد اسماء في الكتب اللاتينية والبيانات . ومنذ الفترة الوسطى (القرن الحادي عشر حتى القرن السابع عشر) كانت المؤلفات من القرن الحادي عشر الى القرن الخامس عشر شفهية بشكل رئيسي ولم يصلنا منها الا القليل باستثناء نُتف من الشعر . ولكن ظهر في القرن الخامس عشر معجم بريتاني ـ لاتينـي فرنسي طبـع عام ١٤٩٩ وعنوانـه كثوليكون (Cotholicon) لجـان لاكادوك (Jean Lagadeuc) ومعجـم آخـر فرنسي ـ بريتاني واحاديث (طبعت عام ١٦١٦) قام بكتابتها كويكر دوروزكوف (Quiquer De Roscoff)

الغيلية الاسكتلندية :

ظل بعض الشعر الغيلي من القرن السادس عشر حياً في التقاليد الشفهية حتى اواسط القرن الثامن عشر عندما تم تدوينه ، امثال قصيدة « آن دولاك اولام» (An Dulak Ulahm) التي نظمت على شرف ارتشيبو لو كامبل (Archibald Campbell) رابع ايرل لارغايل (Argull) والمرثية الجميلة كريو غال كريد (Griogal Cridhe) التي نظمت حوالي عام ١٥٧٠ . ومن المؤكد ان الشعر الـذي سجـل في «كتـاب عميد ليزمور» لم يكن تفجراً معزولاً . وما من شك في ان الكثير ضاع سواء من عمل الشعراء الباردين المحترفين او الأغاني الشعبية . وقد وصلتنا شفهياً اغان نظمت حسب اوزان النبرات لاعداد المقاطع وتعود الى السنوات الأولى من القرن السابع عشر.

وكان هذا هو التقليد الذي انتج اناشيد العمل، كتلك التي كانت تنشد اثناء الحياكة . وتعود الى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

وفي عام ١٥٦٧ ظهر اول كتاب طبع بالغيلية في اسكتلندا من تأليف الاسقف جون كارسيول وعنوانه «فـويرم نانورنـويد» هو (Foirm Na Nurrnuidhead) وهـو ترجمة لطقوس جون نوكس باللغة الغيلية الكلاسيكية الدارجة .

الباب الرابع

القرن السابع عشر

ميزات العَصْر

كان القرن السابع عشر عصر قلاقل وزوابع هوجاء متواصلة ليس في الادب فحسب ، بل في السياسة والمجتمع كذلك . وكانت القضية الكبرى للقرن التي واجهت الكتاب الجديّين من «دون» (Donne) الى درايدن (Dryden) تتلخص في تساؤ ل مونتين «ماذا أعلم»؟ او بتعبير موسع تثبيت أسس وعلاقات المعرفة والعقيدة والعقل ، وأسس الدين والميتافيزيقيات والأخلاق السياسية والاقتصاد والعلم الطبيعي .

ويظهر موقف التساؤ ل الذي ميز الفترة في مؤلفات علمائها وفلاسفتها العظام ، مثل بحث ديكارت « في المنهج » (Discourse on Method) عام ١٦٣٧ ومؤلف باسكال المسمى «الافكار» (Pensees) (كتب عام ١٦٥٧ ـ ١٦٥٨) في فرنسا ومؤلف بيكون (Bacon) «تقدم العلم» (١٦٠٥) وكتاب «ليفايثان» (Lviathan) ١٦٥١ لهوبز (Hobbes) في انكلترا . وتتركز أهمية هذه المؤلفات في تطبيقها لأسلوب التفكير المشكك والعقلانية ، (وهي لهذا تعتبر علمية) ليس فقط على المسائل العلمية بل على الجدل سياسياً ولاهوتياً بله المشاكل العامة للفهم والادراك . وكان لهذا التحدي الأساسي للفكر واللغة آثار عميقة على صورة الانسان عن نفسه ، انعكست فيما وصفه ت . س . اليوت (T.S.Eliot) بـ «انفصام او تفكك الحساسية » (The Dissociation of Sensibility) الذي ادعى اليوت انه حدث في انكلترا بعد الحرب الأهلية . ولهذا السبب ـ وبالمقارنة بالكتاب الاليزابيتيين والجاكوبيين ـ الذين كان بامكانهم تمثل اي نوع من التجربة ـ لم يستطع الشعراء الذين أتوا بعدهم أن يفكروا وأن يشعروا بشكل موحد .

وكما هي الحال بالنسبة لأي تقسيم اعتباطي كالتقسيم الذي يبدأ ببدء قرن وينتهي بانتهائه ، لا بد من قبول مبدأ تداخل الحركات والتأثيرات . وهذا صحيح خاصة بالنسبة للعقود الأولى من القرن السابع عشر الذي ما زال تحت تأثير عصر

النهضة في بلاد كثيرة ، ولا سيما في انكلترا . وهكذا ـ ولكونه يلائم التقسيم العام ادخل هنا اولئك الكتاب الذين ينتمون الى القرن السابع عشر ، من ناحية الترتيب الزمني (مثل دون وملتون ومارفل (Marvell) ، والذين كانوا في الواقع ازدهاراً متأخراً «لانسانية» عصر النهضة .

ومن ناحية التأثير فقط وجدنا ضرورياً ان نناقش مسرحيات جونسون في القسم المتعلق بالكتّاب المسرحيين تحت عنوان «الأدب الانكليزي في عصر النهضة» الوارد آنفاً، ومع ذلك يجب أن نحلل والى حد ما أثر جونسون على شعراء أوائل القرن السابع عشر مثل روبرت هريك (Robert Herrick) .

واذا كان القرن السابع عشر قد افتتحه عصر النهضة في معظم الآداب ، إلاّ أن الفهم الحقيقي للقوى التي عملت في الفترة يتطلب أن نأخذ بعين الاعتبار الطريقة التي هيأ بها إحياء الاهتمام في القرن السادس عشر بالكلاسيكيات والفلسفة والتحدي العنيف الذي وجهته الى القصائد الشائعة آنئذ حركة الاصلاح البروتستنتي في الدين لإيجاد جو مقبول بالنسبة لنشر افكار العلم الجديد ، والفلسفة الجديدة التي ظهرت في مؤلفات بيكون وديكارت وهوبز .

وتتطلب الصورة الحقيقية للعصر ايضاً أن نأخذ بعين الاعتبار الأثر الضخم للانتفاضات الاجتماعية والسياسيه التي تعكس النزاع بين المقاطعات التي كونت كل منها وحدة قائمة بذاتها في معظم الدول ، التي تبرز على أساس قومي من جهة ، وبين القوة النامية لادارة مركزية خلال الجزئين الأول والأوسط من القرن اللذين يمكن اعتبارهما نقطة انفصال مناسبة في اتجاه عصر جديد . وفي انكلترا حيث ينقسم التاريخ الأدبي للفترة عادة الى جزئين يبدو ان الفاصل يقع طبيعياً عند اندلاع الحرب الأهلية (١٦٤٢ ـ ٥١) التي كان من احد ملامحها اغلاق المسارح عام ٢٦٤٢ ، ثم تأسيس عصر جديد بدأ بإعادة الملكية عام ١٦٦٠ . وفي فرنسا ادى نزاع «الفروند» (Fronde) (١٦٤٨ ـ ١٦٥٣) الداخلي المرير المماثل الى تقسيم القرن الى جزئين، وسبق ما يعتبر انه اعظم فترة في الأدب الفرنسي ، وهي عصر موليير وراسين وبوالو (Boileau) ولافونتين (La Fontaine) . وفي المانيا سيطرت على الشطر الأول من القرن النزاعات الدينية والسياسية لحروب الثلاثين عاماً (١٦١٨ ـ ٤٨)، وبعد تلك

الفترة سيطرت محاولات الامراء الالمان تقليد القوة المركزية وعظمة وبذخ بلاط الملك الفرنسي لويس الرابع عشر في فرساي . اما الأراضي المنخفضة فكانت هي الاخرى مشغولة في الشطر الأول من القرن في اشتباكها بنزاع للاستقلال عن اسبانيا (حرب الثمانين عاماً) (١٥٦٨ ـ ١٦٤٨) الذي انتهى ليس بنيل هذا الاستقلال فحسب بل بالعصر الذهبي للشعر الهولندي كذلك ، وهو عصر هاينريخ شبيغل (Heinric Spieghel) ودانيال هينسيوس (Daniël Heinsius) وجربران بريديرو (Gerbrand Bredero) .

كان النزاع السياسي والديني الذي سيطر على أوائل القرن من نواح عدة الاستجابةَ المميزة لرد الفعل الكاثوليكي كذلك ضد الاصلاح البروتستنتي المعروف باسم الاصلاح الديني المضاد . وأنعكس نمط النزاع الديني في الأشكال الأدبية ، وكان أحد ردود الفعل ـ الذي بدأ بشكل خاص في ايطاليا والمانيا والبانيا، وفي فرنسا وانكلترا ـ تطوراً في أسلوب الفن والأدب يعرف بالأسلوب الباروكي (Barouque) ؛ وتبدى بشكل مميز في مؤلفات جيام باتستا مارينو (Giambattista Marino) في المانيا . ولويس دوكونكورا (Luis de Gongra) في اسبانيا ومارتن اوبتز (Martin Opitz) في المانيا . وعبر مدة طويلة نظر الى الباروك في الأدب على أنه انحطاط، لكن النظرة المعاصرة اليه هي اقل ذماً،ويفهم من دلالته أنه اسلوب من ميزاته الرئيسية الزخرف والتعقيد واستعمال المجاز والبلاغة والصناعة الجريئة .

واذا كان الأدب الباروكي المميز لايطاليا والمانيا في هذه الفترة فان الادب الميتافيزيقي كان الصفة المميزة للشعر الانكليزي في النصف الأول من القرن . ويستعمل هذا الاصطلاح ـ الذي كان درايدن أول من اطلقه على شعر «دون» ثم وسعه الدكتور جونسون ـ الآن كدلالة على مدى أوسع من الشعراء الذين تباينت أساليبهم الفردية ، الا انهم شاركوا الأدب الباروكي في نواح اخرى ، وخاصة منهم ريتشارد كراشو (Richard Crashaw) .

ولربما كان النزاع الأكثر تميزا في القرن السابع عشر ذلك الذي حدث بين الميل نحو اتمام وتطوير تقليد الكتب الكلاسيكية الذي بدأ في عصر النهضة مع مطامح المفكرين الجدد واكتشافاتهم في العلم والفلسفة ، والذين قاموا بالتجارب

على الاشكال الأدبية . وفي فرنسا ظهر هذا الميل في النزاع بين القديم والحديث «Anciens» And «Moderne» ، وبين أولئك الذين اعتقدوا بأن الشكل والمحتوى يجب أن يقوما حسب الانماط الكلاسيكية اليونانية واللاتينية ، وبين مؤيدي التقاليد الوطنية . وفي اسبانيا عُبِّر عن نزاع مماثل ، بين الميل نحو الزخرف وادخال التعابير والمصطلحات اللاتينية والكتب الكلاسيكية أو اسلوب اكثر ايجازاً وعمقاً وتكثيفاً . وبشر هذا النزاع الذي تمثل بالحديثين (Modernes) في فرنسا ، وبفكرة كونسيبتسمو (Conceptismo) في اسبانيا بأسلوب نثري يماشي العصر الجديد ، عصر العلم والاكتشافات ، واذا كان الشعراء الحديثون بصورة عامة اتباعاً لديكارت . نجد في انكلترا اتجاهاً مماثلاً في اعمال الجمعية الملكية (Royal Society) وتشجيعها اللغة البسيطة ، وطريقة في الكلام أقرب الى الحياة اليومية عارية من الزخرف ، طبيعية ، تصلح للكتابة العقلانية ، وتوازيها المنجزات النثرية العظيمة لجون ملتون وجون درايدن .

الفصل الأول

الأدب الانكليزي في القرن السابع عشر

نشأ المناخ القلق والمضطرب في القرن السابع عشر في انكلترا من الافكار المتداخلة والمتعارضة، وغالبا ما كانت نزاعاً بين التقليد والتجديد كما في العدوة الانجليكانية (Anglican Appeal) لتوطيد النظام والتلاؤم ضد بساطة البيوريتانيين (Puritans) ومشايعتهم الترجمة الحرفية للانجيل، وكما في تصور الملك جيمس (King James) للحق الالهي للملوك المخالف لنظريات الديمقراطية الجديدة العديدة. وتشاهد أيضا في تضحية توماس هوبز بالحريات الديمقراطية لقاء ضرورات النظام. ولكن الطابع المسيطر لكل هذا هو طابع الفحص والتحليل

النثر القديم : كانت معظم الكتب مؤلفات للتعليم الأخلاقي والارشاد. وهذا ما أدى الى انتقال نظرية الأسلوب النثري ـ وممارسة المرونة البيانية المنظمة ـ التي توصل اليها كتاب من القرن السادس عشر مثل ريتشارد هوكر (Richard Hooker) ـ الى الأسلوب العلمي الواقعي الذي دشنه فرنسيس بيكون في القرن السابع عشر. وبينما كان الأسلوب الطنان الذي يعتمد التوازن تقليدا لشيشرون هو الأداة الطبيعية للحقائق المقبولة، وجد عصر الشك الجديد في الأسلوب غير المتناسق الذي مارسه سنيكا وتاسيتوس أكثر ملاءمة له. وبينما فكر أحسن الكتاب الأليزابيثيون بالأخلية نثرا وشعراً، نرى ان العصر الجديد وجد متنفسه بتشجيع العلم، وكصر قاعدة الوحدة القديمة للفكر والاحساس، وعزف العقل العلمي عن الأخيلة الا اذا استعملت كشواهد فقط، وبحث عن لغة دلالية مباشرة. أما النثر البسيط فكان متنفس الرحالة، وأصحاب القضايا، وكتاب النشرات الذين كتبوا باللغة التي تكلموها بالذات.

الترجمات وكتب الرحلات:

كان هذا العصر عصر الترجمة العظيم. وقد ظهر فيلمون هولاند(Philemon Holland) بترجمة عن الكلاسيكيات مزج فيها العلم باللون وتميزت ترجمة جون فلوريو (John Florio) عام ١٦٠٣ لمقالات ميشيل دومنتين(De Montaigne Michel) وترجمة توماس شلتون (Thomas Shelton) لـ دون كيشوت (Don Quixote)، وترجمة «أعمال» رابيليه (Rabelais) التي قام بها السير توماس اركوهارت(Sir Thomas Urqukart) بالحماس البالغ والأسلوب النابض، مما جعلها روائع أدبية انكليزية. أما أعظم الترجمات جميعاً ـ وهي ترجمة الملك جيمس الرسمية ـ للكتاب المقدس فكانت بصورة رئيسية من عمل متواتر لمترجمي القرن السادس عشر. ولهذا كانت قديمة الأسلوب نوعاً ما حين ظهرت في عام ١٦١١. الا أنه يحق للمترجمين الجاكوبيين أن يشاركوا في مجد اختيار التعابير والجرس، ولا يبعد أن تتسم النسخ الحديثة بتقدم علمي ودقة أبلغ، الا انها بالمقارنة أقل قيمة أدبية. ومن الصعب تقدير التأثيرات الثقافية الناجمة عن تشبع القرن بالكتاب المقدس الانكليزي.

كانت مشاهدة البلاد الاجنبية واجبا على «انساني» عصر النهضة الذي كان عليه ان يقوم بالرحلة الكبرى في اوربا كجزء اجباري من تعليم الشباب الارستقراطي. اما الذين لبثوا في وطنهم لا يغادرونه فوجدوا التسلية بقراءة كتب الرحلات التي خطها رجال مثل توماس كوريات(Thomas Coryate) ووليام ليثغو (William Lithgow) وفينس موريسون (Fynes Moryson)، وبيتر مندى(Peter Munday) ومسرحية «العاصفة» (Tempest) لشكسبير الا مثل من كثير على قيمة هذا القصص للكتاب الخياليين، ولكتاب «حكاية رحلة» لجورج صاندي(George Synday) آثاره على «الفردوس المفقود» لملتون. وكان من بين الصور الأخاذة للمستوطنات الأمريكية كتاب الكابتن جون سميث (Capt. John Smith). وقد أظهر كتاب «هاكليتس بوستهيوموس» (Hakluytas Posthumas) أو رحلات برتشاش (Puschas His Pilgrimes) (١٦٢٥) ان مؤلفه صموئيل برتشاش(Samuel Purchas) هو خلف صالح لرحالة القرن السادس عشر ريتشارد هاكليت(Richard Hakluyt)

المقال والشخصية :

انعكس الميل المتزايد نحو تحليل الذات والمجتمع في تطور «المقال» و«الشخصية» كنوعين أدبيين (حسب نموذج الوصف المختصر للانماط الاخلاقية الذي قام به المؤلف اليوناني القديم ثيوفراستوس (Theopharstus) وقد سار كتاب المقال القدامى امثال السير وليام كورنوليس (Sir William Cornwallis) وبن جونسون (Ben Jonson) في مؤلفه «الخشب أو الاكتشافات» وأوين فلتام (Owen Felltham) في مؤلفه «قرارات» على نهج «الانسانيين» في عصر النهضة في اهتمامهم بالأمور الأخلاقية . وكانت مقالات (Essays) السير فرانسيس بيكون «(١٥٩٧ - وسعت كثيرا عام ١٦١٢ وعام ١٦٢٥) جزءاً لا يتجزأ من خطة ترمي لتقدم المعرفة . وكان ميزان قيمه الدنيوي نفسيا بسيكولوجياً يتفحص الدوافع والسلوك . اما كتاب جيمس هول (James Hawell) المسمى «رسائل هو الينا‌ى» (Epistolae Ho Eliane) (١٦٤٥ - ١٦٥٥) فمليء بالحيوية بدراسة العلاقة بين الرحالة والمقالة المألوفة . وكان كتاب روبرت بيرتون (Robert Burton) تشريح السوداوية (Anatomy of Melancholy) (١٦٢١) بحثا غزير العلم عن امراض الجسم والعقل المرتبطة ببعضها البعض . ومع ذلك لا يوجد مقال نفسي (بسيكولوجي) أكثر منه شعبية ؛ فكان هذا العالم الناسك متقنا للاسلوب العامي وملاحظا ناقدا للمهزلة الانسانية ، وفوق كل هذا ناصحا عاقلا متعاطفا .

أما اشهر مؤلفات «الشخصية» فكتاب جوزف هول (Joseph Hall) «شخصيات فاضلة ومرذولة» عام ١٦٠٨ ، ومجموعة السير توماس اوفر بيوري (Sir Thomas Overbury) الأخف ظلا والأكثر فكاهة ، وكتاب صورة العالم الأصغر (العالم الانساني) (Micro cosmo Graphic) (١٦٢٨ - ١٦٣٣) للكاتب جون ايرل (John Earle) الذي جمع بين الفكاهة اللاذعة ، والنقد الساخر الواخز ، والانسانية ، **وكتاب توماس فولر** (Thomas Fuller) **المسلي والمرشد في السلوك «الدولة المقدسة»** (Tha Holy State) **عام ١٦٤٢ م** .

التاريخ والسيرة:

حرر المؤرخون الكلاسيكيون والحديثون المؤ رخين الانكليز من الأساليب التبسيطية والبدائية لكتابة التواريخ الزمنية الأقدم. وكان وليام كامدن (William Cam den) أول مؤ رخ ناقد. وقد ترجم فيلمون هولاند(Philimon Holland) كتابه «بريتانيا»(Britannia) (١٥٨٦) من اللاتينية عام ١٦١٠ . اما مؤلف سير والتر رالي (Sir Walter Raleigh) «تاريخ العالم» ١٦١٤، فكتاب نبوئي يفسر التاريخ على انه تحقيق لارادة الله. وأظهر رالي رؤيا شاعرية بتأملاته في اخلاقية الناس والأمبراطوريات والحكمة الحربية عند مناقشته السوقيات (نقل الجنود وتموينهم). اما تقليد مكيافلي (Machiavelli)وتاسيتيوس(Tcitus) غير النبوئي فيكمن خلف دراسة بيكون لعلم الدولة في كتابه «تاريخ حكم الملك هنري السابع» (١٦٢٢) بينما نجد ان كتاب توماس فولر «تاريخ كنيسة بريطانيا» (١٦٥٥) يروي قصة مؤثرة لتجارب الكنيسة ومحنها.

واشهر كتاب السيرة هم الكنسي فولر، ورجل الاعمال ايزاك وولتون (Walton) وهو صديق لرجال الكنيسة ومداحهم وجون اوبري. وقد أظهر فولر كاتب المقال المرح والباحث في الآثار حبه القصة القصيرة الفكهة، وما هو شاذ وغريب بكتابة «الدولة المقدسة» و«تاريخ عظماء انكلترا» (١٦٦٢)، وهو أول معجم للسيرة القومية. وتحول ايزاك وولتون(Izaak Walton) الى كاتب سيرة شبه محترف إذ طبع كتب السيرة التي وضعها عن حياة دون (Donne) والسير هنري وتن (Sir Henry Wotton) وهوكر (Hooker) وجورج هربرت وروبرت ساندرسون خلال الفترة بين (١٦٤٠ ـ ٧٨) وظلت ممتعة وقيمة بسبب رقة شمائل مؤلفها، واهتمامه بالحقيقة وبالأسلوب الجيد. أما مؤلف فولك كرافيل (Fulke Greville) عن السير فيليب سيدني فيعتبر مقالاً سياسياً أكثر منه كتاب سيرة. وزخرت الفترة بثروة من المذكرات والرسائل كانت جميعها تقريباً ممتعة. ولربما كان أشهرها تقرير اللورد هربرت أوف تشيربري (Lord Herbert Of Cherbury) عن نفسه في دور المغامر المتبجح، وكتاب ايكون باسيليش (Eikon Basilike) (١٦٤٩) وهو صورة مزخرفة

للشهيد الملكي شارل الأول، شارك في رسمها الملك شارل الثاني، وجون كودن، وأصبح فيا بعد سلاحاً ماضياً للدعاية؛ والصورة الرعوية التي صور بها وولتون نفسه في كتابه «الصياد الكامل» (١٦٥٣) . ومن بين مجموعات الرسائل تبرز رسائل دوروتي أوزبورن (Dorothy Osborne) لما فيها من فكاهة وعاطفة وسحر.

أثر الدين : كانت القضايا الدينية في الساحة الوطنية قوة مركزية تشابكت مع السياسة والاقتصاد، وقد شارك الكتاب في الجدل الذي رافق الحرب والثورة.

كانت الموعظة في هذا القرن الشكل الادبي الوحيد المألوف لدى طبقات الناس طراً. ومع ان البيورتان (Puritan) (وهم البروتستانت المتطرفون) أكدوا على الوعظ اكثر من الانجليكانيين، الا ان اسماء من وصلتنا كتاباتهم هم من الانجليكانيين بصورة رئيسية. ومن بين افضل ما كتب في هذا المجال كتابات لانسلوت اندروز (Lancelot Andrewes) التي تتضمن تحليلاً نقدياً ودقيقاً، ومواعظ جون دون الوفيرة ويشتهر جرمي تيلور (Jeremy Taylor) بالأخيلة الغنية ذات الصور المنقولة عن الطبيعة كما يشتهر بمشورته الاخلاقية. وقد سار حسب التقليد الكلاسيكي دون ان تكون لديه ذاتية دون (Donne) المتألمة أو حرارة استعمال بيانه. الا ان المواعظ الاوسع انتشارا تتألف من كتيبات تعليمية في الورع لآرثر دنت (Arther Dent) ولويس بيلي (Lewis Bayly) ومن كتب تأمل وارشاد تضمنت كتاب أندروز «العبادات الخاصة» (١٦٤٧) وكتاب دون الشخصي جدا المسمى «عبادات في مناسبات طارئة» (١٦٢٤) ، وكتاب تيلور «قواعد وتمارين للحياة المقدسة» و «قواعد وتمارين في الموت المقدس» (١٦٥٠ - ٥١) وكتاب ريتشارد باكستر البيورتاني «الراحة الابدية «للقديس» (١٦٥٠) ، وواجب الرجل لكامل ١٦٥٨ لريتشارد ارلزتري (Richard Allestree) ، ورؤى توماس تراهيرن (Thomas Traherne) المتألقة التي عممت بشكل مخطوطات، ثم طبعت بعد فترة مديدة تحت عنوان «قرون من التأملات عام (١٩٠٨) .»

الدين والعلم والفلسفة :

أخذ النزاع بين الدين والعلم طابعه لأول مرة في القرن السابع عشر. وكان كشف العقل والقانون الانساني والسماوي الاليزابيثي العظيم موضوع أول كتاب لريتشارد هوكر (Richard Hooker) وعنوانه «من قوانين الدولة الاكلـيركية» حاول مؤلفه ان يكيف الدراسات التقليدية لارسطو واوغسطين أكوايناس (توماس الأكويني) لينطبق مع موقف الكنيسة الانجليكانية. وقد واجهت هذه الفلسفة المسيحية الكلاسيكية التي تستند الى النظام والانسجام عوامل تفكك ثلاثة هي: الكلفينية (Calvinism) بتأكيدها على قدرة الله الشاملة والمتسلطة، وضعف الانسان المذنب، ومبادىء بيكون حول التقدم العلمي التي أعطت اهمية كبيرة للأشياء المادية وأضفت القوة على الانسان، والشك التقليدي والدعوة الى الطبيعة تساندها الاكتشافات العلمية، ويدعمها الفكر في فلسفة ديكارت الآلية في فرنسا، وهوبز في انكلترا.

وكان للمحامي اللامع، والقاضي، والسياسي المتنبىء، والفيلسوف فرانسيس بيكون مفهوم جديد عن التقدم. وفي كتابه «تقدم العلم» (١٦٠٥) - وهو أوسع بيان لمشروعه الضخم، وأثر خالد من النثر الكثيف الظلال - هاجم الأشكال التقليدية في التعليم والبحث واقترح خطاً جديداً من الاستكشاف، وركز اهتمامه الأول على العلم باعتبار انه انجاز للسيطرة على الطبيعة واستعمالها لمصلحة الانسان. وقد توسعت رؤياه الملهمة وأسلوبه الاستنتاجي في كتابه «نوفوم أورغانوم» (Novum Organum) (١٦٢٠). كما لعب حلمه عن البحث العلمي (التعاوني) دوراً في تكوين الجمعية الملكية.

استمر تمزق الفكر الديني التقليدي في انحداره السريع. وادت ازدواجية ديكارت اما الى فلسفة من المثالية بتركيزها على الله والعقل، او الى المادية (او وحدة الوجود) التي اكدت ان المادة هي الواقع المحسوس الوحيد.

كان العقل بالنسبة لهوبز (وهو مادي صرف) ـ مثـل كل شيء آخـر ـ نظاما من الاجسام يتحرك في المكان والزمان. وقـد لاءم فكره اسلوبـه العـاري من كل زخرف، والواضح كما هي الحال في كتابه «ليفايثان» (Leviathan) (١٦٥١) وهكذا اطبق الهجوم من كل ناحية على الفيلسوف الحتمي. وأعاد افلاطونيو كمبردج توطيد دعائم الانسانية المسيحية التقليدية بتعابير جديدة جزئياً امام كلفينية لاعقلانية. وكان هنـري مور (Henry More) ورالف كدورث (Ralph Cudworth) مهمين فلسفيا في محاولتهما التوفيق بين العلم والمسيحية الليبرالية، والدفاع عن المثـالية الميتـافيزيقية والأخلاقية، وأثر مور (More) على السـير اسحـق نيوتـن Sir Isaac Newton) وعلى و. ب. ييتس (W.B. Yeats) في القرن العشرين.

ظهـر السـير تومـاس براون في كتابـه « أي ديب الطبيب » (Religio Medici) (١٦٤٢) عالما شابا وافلاطونيا مسيحياً مدركاً للمناخ العقلاني. وفي هذا الكتاب المركز يوحي لنا بأسلوبه السنيكي (نسبة الى سنيكا) المنمق بتباشير روائعه القادمة. وكان كتابـه «بسـودودوكسيا ابيديميكا (Pseudodoxia Epidemica) (١٦٤٦) محاولة علمية متزنة ليحقق رغبة بيكون بغربلة الأخطاء الشعبية، وخاصة في مجال العلم الطبيعي. والمؤلفات الرئيسية لبيكون اللاحقة هي «رسالة الى صديق» التي تتسم بطابع الكآبة، «حديقة ساير وس (The Garden Of Cyrus) و«هايدريوتافيا» (Hydriotaphia) و«ايرن بوريال» (Urne — Buriail) (١٦٥٨). وفي الكتابـين الاخيرين ذوي الدافع الأثري والمشحونين بتأملات في الحياة والموت، والزمن والخلود غنية بالخيال، مزج براون افكارا مسيحية ووثنية مستعملاً مفردات سكسونية بسيطة وكلمات لاتينية مركبة، فكان بذلك اعظم شاعر ميتافيزيقي كتب نثرا.

الشعر المبكر: كان الشعراء الذين ألّفوا في أواخر القرن السادس عشر مثل أتباع سبنسر، وبشكل خاص، غايلـز (Giles) وفينياس فلتشر (Phineas Fletcher) ومايكل دريتون (Michael Dryton) في وسـط تيار الفـكر الاليزابيثـي. ولـذا قمنـا ببحثهم تحت عنوان «الأدب الانكليزي في عصر النهضة» المذكور أعـلاه. وسانـد صاموئيل دانيال في كتاب «ميزوفيلـوس» (Musophilus) (١٥٩٩) وبعض الرسائـل القيمة، وجورج تشابمان في كتابـه «دمـوع السـلام» الثقافـة والاستقامـة الخاصـة

بالفلسفة الرواقية (Stoic) والحكمة ضد التشتت الفكري والحسي. ولكن بينما كتب دانيال بوضوح سلس شبه نثري، كانت بنية تعابير تشابمان (Chapman) ميتافيزيقية في تعقيدها وتركيبها. وكانت مقالات فوك كرافيل الشعرية ومجموعة قصائده من نوع «السونت» الفلسفية ذات زخم أقرب الى تشابمان منها الى دانيال. الا ان وجهة نظره الدينية المتشائمة عن فساد الانسان لم يكن بإمكانها أن تشارك تفاؤل عقيدتها الانسانية أو التفاؤل العلمي الذي تحلى به زميله السياسي بيكون.

الترجمات الشعرية: بدأ القرن السابع عشر ببعض الترجمات الشهيرة بما فيها ترجمة جورج تشابمان لهوميروس (١٥٩٨ ـ ١٧١٥) وترجمة داوارد فيرفاكس (Edward Faiefax) لـ كودفري أوف بولون (Godfrey of Bulloigne)(١٦٠٠) وترجمة جورج ساندي لكتاب اوفيد «مسخيات» (١٦٢٦). وكانت صور تشابمان المجازية وإضافاته الأخلاقية في غير مكانها، إلاّ أن ترجمته كانت قصائد بطولية حقاً حسب تقاليد عصر النهضة.

وقد ظلت ترجمات فيرفاكس لِـ تاسو الشاعر الايطالي من القرن السادس عشر حسب أسلوب سبنسر الترجمات الانكليزية المعتمدة. أما ترجمة جوشوه سيلفستر (Joshuah Sylvester) « الأسابيع والأعمال السماوية » (١٦٠٥) لكتاب « خلق الكون » لِـ دوبارتاس (Du Bartas) فقد بقيت الملحمة البروتستانتية عن الخلق الى أن حلت محلها قصيدة ملتون: «الفردوس المفقود». وساهمت بعض هذه الترجمات وبالأخص ترجمات ساندي (Sandy) في تطوير المزدوجة الشعرية المغلقة المتوازنة التي بلغت الأوج بترجمة درايدن (Dryden) لانيادة فيرجيل « وبقصص خرافية حديثة وقديمة » (١٧٠٠) وفي المفردات التي طورها سيلفستر وساندي لترجمة القصائد الفلسفية ضرب الشاعران امثلة على بدء المفردات والتعابير الشعرية للعصر الأوغسطي وعصر الملكة آن .

وقدّر لتعليق ساندي المجازي على اوفيد ـ وهذا التعليق آخر ازهارات تقليد قوي لم يستطع أن يستسيغه العقل الأوغسطي ـ ان يحيا من جديد في خيال جون كيتس المشبع بالأساطير.

« دون » والشعــراء الميتــافيزيقيون : غيَّـر انتعـاش الاهتمـام العام بشعـر جون دون والشعـراء الميتـافيزيقيين في القـرن العشرين، وآثـار هذا على الشعـر الحـديث والنقـد ووجهـة النظـر الحديثـة . وتشمـل بعض عناصر الشعر الميتافيزيقي على الفكاهـة العقـلانية النقـدية (Wit) ، وهـي ربـط قسري لأفكار أو أشياء غير مترابطة ظاهرياً ، كما تشمل على أخيلة عضـوية وليس فقـط استشهادية ، وعلى تفـاصيل مادية ومـزج للفـكر والشعـور ، أو جعـل العاطفـة عقلانية ، وعلى توتر بين الأفـكار والعـواطف المتضـادة ، وهـذا يعنـي التـركيب والغمـوض والتنـاقض الظاهـري والتلميح الساخـر واسـتعمال اللغـة الدارجـة وإيقاعاتها ، وعلى شرح معبّر للتجربة الانسانية . وبدءاً من شكسبير كان الكثير من الشعراء ميتافيزيقيين الى حد ما ، ولكن دون (Donne) أدخل على شعـر الحـب والدين والتكنيك الذي خصصه الذوق المتعارف عليه للشعر الهجائـي . وكان في شعره أحياناً ناقداً قليل الثقة بالانسان أو شهوانياً أو متفوقاً على بتـرارك في مبالغته المحلقة في عالم المثل .

وكان جون دون مهتماً بعلاقات الروح والجسد . وفي بعض افضل قصائده وجد في الحب الواقع الوحيد . وعرضت استكشافاته بقوة متفجـرة ، وأصالـة ، فكانت فكهة وجدية وديالكتيكية وعاطفية . وقد كتب قصائده الدينية بما فيها الفنائية المقدسة من نوع «السونت» في الأعوام ١٦٠٧ ـ ١٢ ومع أن دون لم يُسَمْ كاهناً الا في عام (١٦١٥) كان على الدوام مسيحياً مثَّل في روحه مرة ثانية مأساة الخطيئة البشرية والحب السماوي.

عممت قصائد « دون » على شكل مخطوطات ، وأثرت أثراً بالغاً على الشعر العلماني والديني . ومن بين الشعراء الدينيين الرئيسيين وهم هربرت(Herbert) وكراشو (Crashaw) وهنري فون (Henry Vaughan) وتراهيرن (Traherne) كان هربرت الوحيد الذي كتب شعراً ميتافيزيقياً بالمعنـى الصـحيح للكلمـة . تمثلـت فكاهته الفنية بالرمزية في تمجيد شاعر كاهن للمسيح والكنيسة في قصائد شخصية حاول فيها أن يكبح جماح إرادته أو يقوي من حماسـه الدينـي . ولا يسـع قارىء قصائده إلا أن يتأثر بالتوترات التي تظهر عبر مهارته الشعرية الحذقة ، وبنية قصائده

العضوية ، وأخيلته الموحدة ، وتعابيره التي تصف المضمون بأحكم إيجاز ، واللغة الدارجة ، وتنوع الجرس.

وعمل كراشو عمل رجل مكين تحول الى الكاثوليكية ، فكان تجسيداً للشعر الباروكي،كما وأن الأسلوب الاسباني الايطالي لنشواته التعبدية لا يداخلها سوى القليل من الميتافيزيقية الانكليزية . كما كان فون ـ وهو أحد الأفلاطونيين المسيحيين الجدد الذي لولا صور الله في الطبيعة لوجد نفسه منفياً على سطح الأرض ، ولتاق الى الخلود ـ شاعراً ذا رؤيا تأملية .

وفي عداد الشعراء العلمانيين نذكر اللورد هربرت ، وهنري كنغ (Henry King) ناظم القصيدة الرائعة « طقوس جنائزية » التي يرثي فيها زوجه المتوفاة) ، وجون كليفلاند (John Cleveland) الناقد الغريب الأطوار ، وابراهام كاولي (Abraham Cowley) ناظم الشعر الحذق الهاوي،وشاعر ملحمة لم تكتمل هي « دافيديز » (Davides) والقصائد البندارية [1] من نوع « الأنشودة »(Ode) (١٦٥٦) في المواضيع العامة . وأروعهم جميعاً اندرو مارفيل(Andraw Marvell) الذي جمع بين الذكاء والاحساس الميتافيزيقي المركب ، وبين رشاقة الشاعر الفارس والانسجام ، والتوازن التركيبي والأسلوبي ، والاقتصادي في الكلمة والوضوح ما يمكن أن يطلق عليه صفة الكلاسيكية . وتمثل كل ذلك في قصائده « الى معشوقته الخفرة » و « الحديقة » و« صورة ت . س . الصغير » و « حوار بين الروح والجسد » و « التويج » وأنشودة هوراسية عن عودة كرمويل من ايرلندا (١٦٥٠ ـ ١٦٥٣) .

بن جونسون وأثره : وضع عدد لا يحصى من الموسيقيين ثروة كبرى من الأغاني في العصر الذهبي للموسيقا الانكليزية قبل وبعد عام (١٦٠٠). وكان توماس كامبيون أشهر مثال على الشاعر املحن. وسار الشعر الشعبي الأبسط جنباً مع الشعر الغنائي المتقن. ومثلت أغاني جونسون التقليدين معاً، إذ امتدت

---

(١) البنداري Pindaric = نسبة الى بنداروس اليوناني .

كلاسيكيته من المثل العليا الأخلاقية والرواقية[1] «لانسانية» عصر النهضة (التي تتحد في القصائد التأملية)، الى المثل الغنية التي صاغت أغانيه وحكمه، إذ أحسن استثمار الموضوعية الانضباطية والتناسق والوضوح، فكان أسلوبه عقلانياً ومتمدناً دون صدامات أو اسراف. من بين الكتاب العديدين الذين تأثروا بـ جونسون، قد يكون روبرت هريك (Robert Herrick) أصفاهم وأكثرهم أصالة، إذ أخفت، أناقته الكلاسيكية - إحساساً مرهقاً بالكلمة والجرس، بصورة جزئية - فكاهته الميتافيزيقية وغريزته بالنسبة للتفاصيل المادية، وللغموض والتناقض الظاهري، والمفاجأة. كما استطاع أن يعيش في عالم خياله الوثني، أو في عالم معتقداته المسيحي. وكان الشعراء الفرسان أمثال توماس كارو (Thomas Carrew) والسير جون سكلينغ (John Suckling) وريتشارد لفليس خلفاء لجونسون. وقد امتدح كاريو - أكثر الفنانين درساً وبحثاً - أصالة «دون» الا أنه أظهر القليل من عقلانيته وعاطفته، كما فضل النموذج الكلاسيكي الذي يسيطر على الفكرة والصورة. واذا رفع كارو لعبة الحب الشهوانية الى مصاف الطقوس البلاطية فقد تحدث سكلينغ (Suckling) ببرود رجل البلاط أو رجل المجتمع. وقد خُلّد لفليس (Lav!ace) في عدد قليل من أغانيه عن الفارس المثالي، ولكن حتى في هذه القصائد لا تخلو بساطته من تعقيد.

جون ملتون (John Milton) :

تنقسم حياة ملتون الأدبية ذات التطور المستمر الى ثلاث فترات وهي : القصائد الأولى باللاتينية والانكليزية ، والأعوام ما بين ١٦٤١ ، ١٦٦٠ التي أمضاها في الحياة العامة (بالاضافة الى بعض القصائد الغنائية من نوع « السونت ») ، والفترة الثالثة والأخيرة التي كتب خلالها قصائده الثلاث الرئيسية . واشتمل مجلده المنشور عام ١٦٤٥ ، على القصيدة الغنائية من نوع «الأود» ذات الجمال الباروكي وعنوانها «صباح ميلاد المسيح» وعلى القصيدتين

(١) نسبة الى الفلسفة الرواقية (Stoic)

المرافقتين « لاليغرو » (L'Allegro) و « إلبنسروزو » (Il Penseroso) اللتين تطوران طريقة جونسون في نظم الشعر . ومسرحيته التنكرية من نوع «القناع» التي تعرف باسم « كوموس » (Comos) المتنوعة في بنيتها الأسلوبية والمتحدة في افلاطونيتها المسيحية، وليسيداس (Lycidas) وهي إحدى أكثر القصائد تعقيداً لغوياً ، وفيها يحاول للمرة الأولى أن يبرر تصرفات الخالق وإمكان نجاة الانسان ، وفيها كذلك تضمين عنيف للتوتر الشخصي والسياسي (الذي مرّ به ملتون)، عبَّر عنه بالتشبيه المجازي الخاص بالقصيدة الرعوية التقليدية . ومرّ التيار الميتافيزيقي مرور الكرام بالكاتب الكلاسيكي الشاب ، إذ ضرع بالنظم على وزن بيت الشعر الذي ابتدعه سبنسر، لكنه كان منذ بواكيره استاذاً في القريض ذا شاعرية أصيلة .

حلم ملتون بكتابة القصيدة البطولية العظيمة الحديثة ، الا ان شعوره بالمسؤولية اضطره ان يضحي بعشرين عاماً من حياته في سبيل النضال البيوريتاني من أجل الحرية ، اذ كتب خمس كراسات ضد دولة الأساقفة في الكنيسة ، الرابع منها عن الطلاق، والخامس عن التعليم، واتبعها بسادس سماه «أريوباغتياكا» (Areopagitaca) (١٦٤٤) وهو دعوة لحرية الصحافة وذلك عشية اعادة الملكية ، ويمثل دعوة تحرر في سبيل الجمهورية ، وهي جميعاً تسجل فكرة الراديكالي المتطور ، وطموحه في الاصلاح ، وخيبات امله المتلاحقة .

وعندما شرع بكتابة « الفردوس المفقود » (Paradise Lost) (١٦٦٧) لم يعد ملتون ذاك الثوري الداعي الى النضال، إذ تعالج أعماله الرئيسية الثلاث اغراءات وانكسارات وانتصارات الانسان كفرد ، كما نرى أن حماسه الأول قد فسح المجال لاعادة تأكيد وجهة النظر المسيحية عن الله والانسان والطبيعة ، وذلك باستخدامه الملهم للأسطورة الانجيلية لسقوط الانسان في مواجهته معارضة العلم والقوة الغاشمة . وتعيد حواء - برغبتها في الحصول على المعرفة الإلهية التي يعدها بها الشيطان - وآدم ، في حسب استطلاعه ، وفي انقياده لحواء ، تمثيل خطيئة الشيطان والكبرياء والثورة .

كما أن شخصية الرجل الشرير في قصائده، والتي تتجسد بشكل بطولي في الشيطان هي شخصية تتصف بالعظمة ، الا ان ملتون يستطيع الاعتماد على رد فعل

قارئي قصائده بالنسبة للشر ، عندما وازن بين هذا الأمر وبين عظمة الشيطان وفساده .

خط ملتون أعماله بشعور عميق بأنه وريث القدماء ، باعثاً تقاليد وتفاصيل الملحمات الكلاسيكية . وتمزج الأخيلة في ملحمته بين ما هو عام بما هو خاص ، ويرتفع اداؤه الجريء المتميز فوق مستوى المخاطبة اليومية ،ويتسم أسلوبه المنمق بالبساطة والكثافة والزخم الناجم عن التلميح والاشارة ، كما ان النظم على البحر العروضي المسمى « بلانك » - (أبيات غير مقفاة يتألف الواحد منها من عشرة مقاطع مشددة وغير مشددة) في قصائد طويلة - كان تجديداً راديكالياً وتوسيعاً للعروض الانكليزي .

ويظهر مؤلفاه « الفردوس المستعاد » (Paradise Regained) و « آلام شمشون » (Samson Agonites) (كلاهما في عام (١٦٧١) تطورات فنية أبعد . فقد كتبت القصيدة الأولى بأسلوب ذي بساطة انجيلية تقريباً . اما الثانية فهي المسرحية الانكليزية الوحيدة المكتوبة حسب النمط الأغريقي ، والتي تستطيع الوقوف جنباً الى جنب مع مسرحيات القدماء ، لكن قريضها خشن وغير منتظم ، وقريب جداً من الحديث العادي . ويظهر المسيح بكل قصيدة « الفردوس المستعاد » في نزاع ذي توتر عال من الطاعة والاستقامة مما ينتقص من آدم وحواء . وفي مسرحية شمشون يحقق بطل انساني خاطىء (وهو موجود حتى من العاطفة الانسانية ، شأنه في ذلك شأن المسيح ، الذي هو نصف بشر) ، يحقق انبعاثاً روحياً جديداً . وقصائد الايمان والصبر الثلاث هذه تتميز عن كل ما كتب من أعمال أدبية أخرى خلال فترة عودة الملكية .

فترة عودة الملكية :

بشرت إعادة الملكية عام ١٦٦٠ بانقطاع سياسي وثقافي ، مع ظهور تطورات جديدة من التفاعل والفوضى الناجمة عن تضارب القديم والحديث . فلم يشهد عام ١٦٦٧ ظهور أول طبعة من «الفردوس المفقود» لملتون العجوز فحسب، بل كذلك

قصيدة تبشر بالنمط الحديث من الشعر ، وهي قصيدة درايدن « السنة العجيبة » (Annus Mirabilis). ودعمت هذا التحول الآخذ سمته نحو التغيير الجذري في صورة العالم الطبيعية اكتشافات كل من اسحق نيوتن في الرياضيات والعلوم الطبيعية ، وروبرت بويل (Robert Boyle) في الكيمياء، بله التطورات في علم الحياة. وساعد على نشر وتعميم ذلك الجمعية الملكية البريطانية ، مما كان له تأثير عميق على الجو الفكري للعصر . ونتج عن ذلك ظهور شعور سياسي جديد ، هو الى حد ما شعور نقدي غير متفائل وفاسد ونفعي ، الا انه تميز بالتسامح وبالانسانية ، كما ساعد على الإدراك للنفس وهو ما نجده بَدءاً من فرانسيس بيكون ومن خَلَفه ، مما انتج شخصية مثل تلك التي تظهر في « مذكرات » صاموئيل بيسي (Samuel Peys) وجون ايفلين (John Evelyn) .

عاد البلاط من المنفى ، ومعه الكثير من الأذواق والأزياء الفرنسية ، وأصبحت لندن عاصمة أوروبية ذات حضارة رفيعة ، وأعيد فتح المسرح تحت رعاية ملكية ، فازدهر منقلباً رهناً على الطبقة العليا . وآنذاك بدأت تتكون البدايات الأولى للأنماط الأدبية للعالم الحديث ، مثل الرواية والسيرة والتاريخ وكتابة الرحلات والصحافة. كما تميز الأدب الانكليزي ـ في هذه الفترة ـ بإعادة صياغة نفسه في وجه أوضاع اقتصادية جديدة أدت الى زوال الرعاية الأدبية ، وتشكل جماهير القراء ونشوء سوق أدبية .

النثر : شهد عام ١٦٦٠ تطوراً في النثر الانكليزي ، إذ تزايد اهتمام الناس بالأشياء أكثر من الكلمات ، نظراً لأن العلم يلعب دوراً هاماً في القضايا الانسانية ، مما أدى الى اختفاء عادة كتابة النثر العاطفي . ولعبت الجمعية الملكية بعض الدور في كل هذا ، وكانت أصولها أقدم بكثير من عام ١٦٦٢ عندما نالت براءتها الأولى ، وانصرفت الى الاهتمام بالأسلوب النثري . وبعد تأسيسها مباشرة أُلفت لجنة «لتحسين اللغة الانكليزية» كما وضع توماس سبرات (Thomas Spart) في كتابه «تاريخ الجمعية الملكية في لندن» (١٦٦٧) ـ الذي يعتبر في الواقع كتاب دعاية ـ قواعد لأسلوب نثري بسيط، مع ان الكثير من المؤلفات العلمية مثل تلك التي كتبها جون ري (John Ray) العالم الطبيعي الكبير صيغت باللاتينية . وكُتب سفر روبرت

بلوت (Robert Plot) « التاريخ الطبيعي لمحافظة اكسفورد » عام ١٦٦٧ بأسلوب بسيط. ومع ذلك، رأى من الضروري أن يقول موضحاً : « إنني بقدر ما استطيع أهدف الى الكتابة الموجزة بأسلوب سهل غير متكلف ، متجنباً عن قصد كل الزخارف اللغوية، لأن هدفي أن أتعامل مع الأشياء، فعلى قارئي إذاً، ألا يتوقع سوى الكلمات».

كان هوبز (Hobbes) في كتابه لفياثان (Leviathan) (١٦٥١) قد احتقر وسخر من « التعابير الغامضة والمضطربة ، ومن جميع الكلام المجازي الذي يهدف الى اثارة العواطف ». ولكن ربما كان نشوء الصحافة ذا تأثير مماثل لبقية العوامل الأخرى . وخلال الحروب الأهلية وفترة الكومنولث توفرت النشرات بأعداد متزايدة، وكانت بسيطة واضحة كما يجب أن تكون النشرة السياسية، إذ قصد منها أن تكون مؤثرة.

وأصبحت الموعظة بدورها أبسط بعد عام ١٦٦٠ . فقد دعا جون ولكنز (John Wilkins) أسقف تشستر (Chester) إلى أسلوب بسيط في كتابه عن الوعظ المسمى « إكليسيا ستيز » (Ecclesiastes) عام (١٦٤٦) ، وفي « مقالة حول لغة فلسفية ولغة شخصية حقة » (١٦٦٨) قام بمحاولة جريئة لاستبدال الكلمات بالاشارات حتى تضيع هذه الكلمات. وقد يكون محتملاً أن آثار عدد قليل من الكتاب الفرديين ـ وليس الميول الغامضة للعصر ـ هي التي جعلت النثر الأبسط الوسيلة العادية للتعبير . وكان جون تليوتسون (John Tillotson) واعظاً منطقياً سهل الأسلوب ، وهو في هذا يمت الى القرن الثامن عشر تقريباً ، وكان أثره عظيماً لفترة من الوقت .

كان درايدن (Dryden) أكثر كتّاب النثر أثراً منذ عام ١٦٦٠ حتى نهاية القرن . وأول قطعة نثرية طويلة له هي « رسالة الى السير روبرت هوارد (Letter to Sir Robert Howard) قدّم بها كتابه « السنة العجيبة » واتبع هذه الرسالة بـ « مقالة حول الشعر الدرامي » (Poesie, an Essay of dramatic) ١٦٦٨ ، وبعض الاهداءات والمقدمات . وفي عام (١٧٠٠) جاءت تحفته من مقدمة

لكتاب « قصص خرافية قديمة وحديثة » (Fables Ancient and modern).يتسم أسلوب درايدن بالجزالة والسلاسة في وقت واحد . لكن رغم ما يبدو عليه من سهولة فقد بذل بكتاباته صناعة لا تصنعا عناية فائقة ، إذ أعاد مراجعة التراكيب اللغوية بصورة فعلية في مقاله « حول الشعر الدرامي » في طبعتها الثانية . وما من خلاف في ان المادة التي عالجها هو ومعاصروه أدت الى تغيير في اسلوب الكتابة .

لقد اختفت المواضيع التي تتطلب اللغة المنمقة بمثل سرعة زوال الحياة أو الموت نفسه ، وتركز الاهتمام على قضايا الساعة مثل النقد والسياسة . وأُلفت كتب لا حصر لها تبين عدم الرضا عن الحذلقة . ومن أهمها وأمتعها كتاب جون ايتشارد (Jhon Eachard) « أسباب ومناسبات احتقار رجال الدين »(Grounds And Occasions of the Contempt of the Clergy) . وفي عام ١٦٧٢ أدخل مارفل مسحة جديدة على النثر سميت الهزء، ففي كتابه « البروفة المسرحية حولت الى نثر » (The Rehearal Transposed) و « البروفة المسرحية حولت الى نثر : الجزء الثاني » هزء من صاموئيل باركر (Samuel Parker) أسقف اكسفورد فيما بعد لتعصبه ، وفي عام ١٦٧٥ ناقش هربرت كروفت (Herbert Croft) أسقف هرفورد (Hereford) فإن البروتستانت لم يختلفوا على أي شيء رئيسي . وهوجمت وجهة النظر هذه هجوماً عنيفاً ،إذ وقف مارفل الى جانب كروفت في كتابه « السيد سميرك أو رجل الدين حسب الزي السائد »(MR. Smirke, on the Divine in mode) فأنتج بذلك هجاء ممتعاً وساعد مارفل على جعل النثر أخف وأكثر ألفة . وفي الفترة بين عامي ١٦٧٨ و١٦٧٩ ظهر فيض من المنشورات حول المؤامرة البابوية(Popish Plot) التي اعتقد انها حبكت لاستعادة انكلترا لحظيرة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ولكنها في الواقع من صنع تيتوس أوتس (Titus Oates) وبرز كاتب واحد هو جورج سافيل (George Savile)ماركيزهاليفاكس الذي كتب « رسالة الى منشق » (A Letter to a Dissenter) محاولاً فيها رأب صدع الخلافات في الدولة ، و « شخصية متقلب » (The Charcter of Trimmer) دافع فيها عن موقفه . ورائعته هي كتاب « أقوال وشخصية الملك شارل الثاني »(Maxims and Character of King Charles the Second).نشأ جون بانيان (John Bunyan) في طبقة

الحرفيين العاملين والفلاحين البائسين الصغار الـذين تأسســت ثقافتهـم على قراءة الكتاب المقدس والمواعظ البيورتانية والأغاني البطولية من نوع « البالاد » والأغاني والجرائد والرومانسيات ، ولما كان سمكرياً في مهنته كان - بتلك الفترة - واحداً من كثير من الواعظين الميكانيكيين الذين طبعوا المواعظ والمحاضرات الدينية ، وكان أول كتاب بارز له سيرته الخاصة بقلمه ، التي كتبها تحت عنوان « الرحمة الوافرة » (Grace Abounding) (١٦٦٦) وقد نشأت تحفته « رحلـة الحـاج » (Pilgrim's Progress) (الجزء الأول عام ١٦٧٨) مباشرة من « الرحمة الوافرة » . انها ترجمة الى مصطلحات مجازية لرحلة الروح الى الخلاص تمدنا بصورة حية لحياة المدن على الطرقات الرئيسية والمدن الريفية الصغيرة زمن الحـكم الملك شارل الثانـي ، وفي الجزء الثاني (١٦٨٤) تظهر العناصر الواقعية والباهتة بشكل واضح . ومن بين أهم مؤلفات بنيان الأخرى يمكننا ذكر « حياة وموت السيد بادمـان » (The Life And Death of MR. Badman) ١٦٨٠ و « الحرب المقدســة » (The Holy War) (١٦٨٢) ، والأخير كتـاب مجـازي على مستـوى رفيع ، ويمـكن اعتبـار بنيان (Bunyan) آخر كاتب وسيطي في المجاز ، وأول استاذ عظيم في الرواية الـواقعية والنفسية .

كانت كتابات الافلاطونيين من كمبردج (وهم مجموعة من المفكرين الدينيين والفلسـفيين الـذين أملّـوا أن يوفقـوا بـين الأخـلاقيات المسيحية والإنسانية عصر النهضة) من بين التأثيرات التي آلت الى تبسيط النثر وأساليبه . وكان أشهر نتاج لهؤلاء المفكرين مؤلفـات مثـل «محـاضرات مختـارة» (Select Discourses) و«مواعظ مختـارة» (Select Sermons) ١٦٩٨ لجـون سميث (John Smith) و«حكم أخلاقية ودينية » (Moral and Religious Aphorisms) ١٧٥٣ لأستاذ سميث وهو بنيامـين ويتشـكوت (Benjamin Whichcote) و « محـاضرة في حرية الارادة » (Adiscourse of the Freedoom of the Will) (١٦٧٥) لبيتـر ستـري (Peter Sterry) وهو أوسع أفراد المجموعة خيالاً وأكثرهم شاعرية . وكان القائد البيورتاني العظيم ريتشارد باكستر (Richard Baxter) أحد أهم الكتاب الـدينيين ، ويذكر على الـدوام بكتبـه « راحـة القـديس الأبـدية » (The Saint's Everlasting) عام

١٦٥٧ ، و « موجز لحياة مارغريت تشارلتون A Breviat of the life of Margaret) Charlton) و « تهذئة باكستر » (Reliquial Baxterianae) ١٦٩٦ . والكتاب الأخير ـ سيرة حياة الكاتب بقلمه ـ وصف ساحر لمحاولات باكستر لرأب الصدع بين المسيحيين ذوي الميول المختلفة .

إن الاهتمام بكتابة السيرة هو أحد أهم التطورات في نثر عصر عودة الملكية ، ويبدو أن تعبير السيرة استعملت للمرة الأولى في الانكليزية حوالي عام ١٦٦٠ م. وكان الميل في السير السابقة اما المديح حسب تقليد خطب التكريم بعد الوفاة أو سير القديسين تعتمد على حياتهم . وكانت «كتب السير» الشهيرة لاسحق وولتون (Lives) (Izaak Walton) علامات بارزة في تطور « السيرة » الانكليزية ، مع انها لم تخل من سير القديسين . وقد اعتمدت الملاحظة والبحث العلمي ، وحفلت بسجلات قيّمة للميزات الشخصية والأحاديث والأمثلة عن المراسلات . ويعادله في الأهمية كتاب روجر نورث (Roger North) المسمى « سير عائلة نورث » (Lives of the North) . وتعتبر سيرة جون نورث ذات أهمية خاصة ، لأنها تصف بنجاح رجلاً عصبياً جداً . وقد نشر « تاريخ الثورة » (History of the Rebllion) لمؤلفه ايرل أوف كلاريندن (Earl of Clarendon) لأول مرة في الفترة ما بين عامي ١٧٠٢ و١٧٠٤ كما ظهرت سيرته الذاتية عام ١٧٥٩ . أما كتاب الأسقف جلبرت بيرنت (Bishop Gilbert Burnet) « تاريخ عصره » (History of His Own Times) فقد نشر ما بين عامي ١٧٢٤ و١٧٣٤ ، مع أن سير ايرل أوف رو تشستر (Earl of Rochester) والسير ماثيو هيل (Sir Mathew Hale) والأسقف وليام بدل (Bishop William Bedell) بالإضافة الى مقال في ذكرى الملكة ماري الثانية كانت قد نشرت قبل ذلك بكثير؛ ولكن بغض النظر عن تاريخ نشرهما فإن هذين الكتابين التاريخيين وُضعا خلال فترة عصر عودة الملكية ، وكان مؤلف «أثينا الاكسفوردية» (Athenae Oxonienses) (١٦٩١ ـ ٩٢) وهو عالم الآثار الأكسفوردي أنتوني أوود (Anthony á Wood) صاحب أول محاولة جادة لكتابة معجم سير انكليزي ، وأسهم في تأليفه جون اوبري (John Aubrey) الذي اتصف كتابه « سير قصيرة » (Brief Lives) بالحيوية والتسلية . وليس ضرورياً ذكر مذكرات جون ايفلين

(John Evelyn) وصاموئيل بيبس (Samuel Pepys) الا لتذكير القارىء بأنه بينما امتدت « مذكرات » ايفلين بين عامي ١٦٣١ و١٧٠٦ انتهت مذكرات بيبس عام ١٦٦٩ . وبما ان ايفلين كان في الغالب يكتب مذكراته بعد بضعة أيام من وقوع حوادثها ، لذا لا يمكن الاعتماد دوماً على تواريخه . ولم تنشر أي من المذكرتين قبل بدء القرن التاسع عشر .

وخلال عصر عودة الملكية اقلقت مشكلة الترجمة الكثيرين . ولا ريب أن السعي خلف علمية أدق من علمية الاليزابيثيين اثارت بشكل حاد قضية كيف يجب أن تكون الترجمة ، والى أي حد تطابق الأصل . ولم تحل المشكلة ولا يحتمل أن تحل . وقد انتج درايدن ترجمات رائعة لأجزاء من لوكريتيوس (Lucretius) بينما كانت ترجمته لفيرجيل (١٦٩٧) ذات روعة خاصة بها ، وإن لم تتقيد بالأصل . وساعد عمله هذا على تشكيل المفردات الشاعرية للشعر الأوغسطي . قدم هوبر (Hobber) ترجمات كاملة للإلياذة والأوديسة وصفها درايدن بالجرأة . وأضاف أن هوبز بدأ بدراسة الشعر كما درس الرياضيات في وقت متأخر وبعد فوات الوقت . ولا شك بأن تذوق الترجمات كان حاداً ، كما يتضح من المتنوعات الشعرية للعصر .

شملت المقالات النقدية الشعرية والنثرية الأدب بشكله العام . وأبرز عمل في هذا المجال مقدمة ولزلي (Wolseley) لنسخة الايرل أوف روتشستر (Earl of Rochester) (١٦٨٥) لمأساة جون فلتشر المسماة « فلنتينيان » (Valentinian) وحاول فيها أن يُحل مشكلة علاقة الفن بالأخلاق ، وهي ولا مشاحة - باستثناء مقدمات درايدن - أهم قطعة نقد من عصر عودة الملكية . أما مقال جرمي كوليير (Jermy Collier) « وجهة نظر موجزة عن دنس ولا أخلاقية المسرح الانكليزي » (Short View of the Profaneness and Immorality of the English Stage) ١٦٩٨ فقد حقق غرضه الى حد ما في جعله المسرحيات اكثر احتشاما، وفضلا عن ذلك فإن عنفه أمده بتفوق على وليام كونغريف (William Congreve) والسير جون فانبروغ (Sir John Vanbrugh) وآخرين غيرهما ممن حاولوا الرد عليه .

الشعر : أدت إعادة الملك شارل الثاني الى العرش الى اعطاء حافز لكتابة شعر الاحتفال بالمناسبات . حيّت قصيدة روبرت وايلد (Robert Wild) « رحلة شمالية » (Iter Boreale) عودة الملك . وسرعان ما نزل درايدن الى الساحة بقصيدته «استرايا ديدوكس» (Astraea Redux) . وفي عام ١٦٦١ دبّج مديحاً بمناسبة التتويج ، وفي العام الذي تلا وجّه قصيدة الى كلاريندون (Clarendon)،وساعدت هذه القصائد على تأسيس استعمال المزدوجة البطولية (Heroic Couplet) (وهي عبارة عن بيتين من الشعر يتألف كل منهما من عشرة مقاطع ، وينتهيان بالقافية نفسها) كما كانت تطوراً الى الأحسن بالنسبة للقصائد التي نظمت حسب المزدوجات التي سبقتها . إلاّ أن جميع هذه المجلّدات لا تقارن في شعبيتها بقصيدة صاموئيل بتلر (Samuel Butler) الهجائية الساخرة مما هو بطولي وفخم ، وعنوانها «هوديبراس» (Hudibras) (أول جزء منها ١٦٦٣) . ولقد انجز الجزء الكبير من هذا العمل الرائع قبل عصر الاعادة بمدة طويلة. كما جلب المسرة الى جميع الملكيين ، بيد انه كان هجوماً على سخف وحذلقة البشرية بشكل عام أكثر منه حملة ضد البيورتان . ومع انه لم يكتمل فهو - ولا ريب - عمل عظيم ، وظل شائعاً حتى القرن التاسع عشر وقلده الكثيرون وبخاصة سوفت (Swift) .

تبوأ درايدن عرش العصر ، فقد كتب حوالي ٤٠ مسرحية تقريباً ، ومجموعة كبرى من الشعر ، بالاضافة الى النثر . اما قصيدته الهجائية «ماك فلكنو» (Mac Flacknoe) - التي هاجم بها توماس شادويل (Thomas Shadwell) . - فقد نشرت خفية عام ١٦٨٢ م مع انه نظمها قبل ذلك التاريخ ، وبشكل عام ، تتميز قصيدته «ابسالوم واكيتوفيل» (Absalom and Achitophel) (١٦٨١) بالفضيلة الكبرى للنقد ، وهي اعطاء كل ذي حق حقه،ولذا ظفرت بشعبية واسعة. وتبعتها قصيدة « الوسام » (The Medall) عام ١٦٨٢ وهي بدورها سياسية ، ومن ثم جاءت قصيدة «رليجيو لايسي» (Religio Laici) التي اشارت الى تطور ونشوء افكار درايدن الدينية . ومع ان الجزء الثاني من « أبسالوم واكيتوفل» قد كتبه ناحوم تيت (Nahum Tate)، الا ان حوالي ٢٠٠ بيت من القصيدة هي بلا شك من نظم درايدن . وفي عام ١٦٨٧ نشر «الغزال والنمر» (The Hind and the Panther) وهي نقاش بارع

لصالح الكاثوليكية . ومن بين أروع منجزات درايدن قصائده الغنائية من نوع «الأود» على طريقة بندار ، وقد نظمها بشعر مقفى غير منتظم . واقتبس هذا النوع عن ابراهام كاولي (Abraham Cowley)، الا انه أضفى عليه طاقة جديدة بمرثاته الغنائية الرائعة «في الذكرى الخامسة للسيدة الشابة الكاملة الصفات السيدة آن كيليغرو»، وفي قصيدتيه اللتين نظمهما للجمعية الموسيقية وهما اغنية بمناسبة «يوم القديسة سيسليا» (Saint Cicilia's Day) «١٦٨٧» ووليمة الاسكندر (Alexander's Feast) ١٦٩٧ . وفيهما يجتمع الجرس الزاهي وروعة الأخيلة مع لمسات من الفكاهة العقلية لتنتج تأثيرات فريدة في الشعر الانكليزي .

وعند حدوث ثورة عام ١٦٨٨ خسر درايدن وظائفه كشاعر للبلاط ومؤرخ ملكي . وبقوة لم يداخلها الوهن، وفي وقت متأخر من حياته، صاغ سلسلة من المؤلفات ضمت بعض المسرحيات البديعة وترجماته للشاعر الروماني فيرجيل «وقصص خرافية قديمة وحديثة» (Fables Ancient and Modern) وشملت هذه الأعمال بعض أنضج مؤلفاته بما فيها ثلاث قصص شعرية اقتبسها عن الكاتب الايطالي بوكاتشيو من القرن الرابع عشر ، وكانت مثار اعجاب اللورد بايرون (Lord Byron) وجون كيتس (John Keats) . وجاء تحالفه مع الناشر وجامع المؤلفات الشعرية جيكوب تونسون (Jacob Tonson) حادثة أدبية ذات أهمية . وكانت ترجمته لفرجيل التي نشرها تونسون عام ١٦٩٧ اول مغامرة نشر على مقياس واسع في انكلترا، وربما كانت اول عملية تجلب الربح الوفير للمؤلف .

واستمر شعراء مخضرمون (من حكم الملك شارل الأول) امثال ابراهام كاولي والسير جون دنام (Sir John Denham) وادموند والر (Edmund Waller) في انتاج شعر حسن . وكان الأكثر تمثيلاً لعصر عودة الملكية ما جادت به قرائح مجموعة شعراء البلاط الفكهين امثال روتشستر والسير تشارلز سدلي (Sir Charles Sidley) وتشارلز سكفيل (Charles Sackville) والسير جورج إثرج (Sir George Etherge) وقد نظم الثلاثة الأخيرون شعراً خفيفاً رائعاً ، وبهذا كانوا استمراراً للتقليد البلاطي الذي ضم كارو (Carew) وسكلينغ (Suckling) كما تراقص في قوافيهم نغم القصيدة

الشعبية من نوع «البالاد» التي كانت تغنى في الشوارع . وكان روتشستر كبير هذه المجموعة، اذ تميزت افضل اناشيده بشعورها الجارف وبنقاء شكلها الموسيقي . اما قصائده الهجائية فمن أفضل ما كتب في عصره ، اذ امتدت من التعليقات السياسية المدمرة لقصيدته «تاريخ المُمِلون » (The history of Insipids) (١٦٧٦) الى هجومه العنيف على التفاؤل السطحي في تحفته الشعرية « هجاء ضد الانسانية »(A Satyr Againt Mankind) ١٦٧٥ . والذي لا مرية فيه، أن هذه المؤلفات كتبت قبل أن ينشر درايدن قصائده الهجائية، وعلى ذلك فانه ولا خلاف مدين بالكثير لروتشستر.

المسرحية :

تذكر فترة عصر عودة الملكية بمسرحياتها الكثيرة بشكل رئيسي، فقد شملها الملك ودوق يورك بحمايتهما وتشجيعهما المسرحية؛ وأعادا تأسيس المسرح اللندني الذي أغلق عام ١٦٤٢ . إذ أسس مسرح «دروري لين» (Drury Lane) المعروف باسم مسرح الملك ومسرح دورست جاردن (Dorset Garden) المعروف باسم مسرح الدوق مباشرة بعد عودة الملك.

وكان هناك قليل من المسرحيات التراجيدية الحقة ، اذ حلّت محلها مسرحيات بطولية يعالج معظمها النزاع بين الحياة الخاصة (الحب)، والواجب (القوة السياسية) وبذا كانت سلسلة الرومانسية البطولية والمأساة الفرنسية . فهي مزيج من الكلام الطنان تخالطه نصوص بديعة احياناً . واشهرها مسرحية «فتح غرناطة لدرايدن» (Dryden's Conquest of Granada) اخرجت عام ١٦٧٠ - ٧١.

ويمكن قراءة « كل شيء من اجل الحب » (All for Love) ١٦٧٧ بمتعة ، اذا تذكرنا انه لم يقصد بها أن تكون تقليداً لمسرحية شكسبير «انطونيوس وكليوباترا» (Antony and Cleopatre) بل إعادة تنظيم لمواضيع شكسبير . وترتفع لدرجة الاجادة مسرحيتا «زواج على الموضة» (Mariage A La Mode) (نشرت عام ١٦٧٣) «وامفتريون» (Amphitryon) (نشرت وأخرجت عام ١٦٩٠). ومن المسرحيين الآخرين نجد ان توماس اوتوي (Thomas Otway) قد كتب مسرحيات جيدة الحبكة ، ومن اروعها «انقاذ مدينة البندقية» (Venice Preserved) - (اخرجت عام

١٦٨٢) التي اتصفت لغتهـا بالعـاطفية وشخصياتهـا بالجـرأة في التصـوير، فهي، والحالة هذه، ميلودراما سياسية تعالج مواضيع الساعة. أما الملهـاة الحقيقية فبدأت بالسير جورج إثريج (Sie George Ethererge) الذي صوّر في مسرحيته رجل حسب الطراز (The Man Of Mode) مرح العالم الذي عرفه ووقاحته. وكان ويليام ويتشرلي (William Wycherley) كاتب هزليات ذا هدف جدي اذ تتصف مسرحيته «الزوجة الريفية» (Country-Wife) (نشرت عام ١٦٧٥) بالعنف الجارف بينما نجد ان مسرحية «المتعامل البسيط» (The Plain-Dealer) ١٦٧٧ ليست سوى نقل ماهر لمسرحية موليير (Molière) كاره البشر (Misanthrope). اما ويتشرلي فيكتسح كل شيء أمامه بروح من اللامبالاة والمرح، وبنظرة نقدية تعكس بكل عناية الشك في الانسان. وقد كتب مسرحياته بنثر ممتاز ولـم يصـل القمـة الا وليام كونغـريف (William Congreve)، ولو كانت حبكاته مترابطة لكان احد اعظم كتاب المسرحية في العالم، فحواره في مسرحية «الحب من اجل الحب» (Love For Love) (اخرجت عام ١٦٩٥) «وهذه هي الدنيا» (The Way of the World) (١٧٠٠م) غاية في الروعة لما تخللهما من فكاهة عقلية لم يبزه فيهما أي كاتب آخر. ومسرحيتا السير جون فانبروغ (Sir John Vanbrugh) «الزوجـة المستفـزة» (The Provoked Wife) والنكسـة (The Relapse) (نشرت كلتاهما عام ١٦٩٧). ومع انه أقل أناقة وعصرية من كونغريف فقد زخرت مسرحياتـه بالحيوية وروح النكتـة. وكانـت هزليات تومـاس شادول (Thomas Shadwell) الخشنة العنيفة حلقة بين فن بن جونسون والرواية الواقعية لعصر هنري فيلدنج (Henry Fielding).

الادب الاسكتلندي:

تطبعت الكتابة الاسكتلندية بالانكليزية بازدياد متدرج بعد اتحاد العرشين وانتقال البلاط الى لندن. ومع أن جيمس السادس أظهر مقدرته على نظم قصيدة غنائية بالاسكتلندية الا ان الشعراء الجدد نظموا، بشكل مطلق تقريباً - بالانكليزية، وكان أفضلهم لغةً وليام دراموند (William Drummond) لكن تنقص قصائده الغنائية الجزالة والزخم. اما الشعر باللغة الدارجة فظل حياً في الأغاني الشعبية والقصائد

الغنائية البطولية القصيرة من نوع «البالاد» كما هي الحال بالنسبة لقصيدة روبرت سمبل (Robert Sempill) «حياة وموت شمشون السعيد».

وكان هذا التقليد ـ سواء أكان مظلماً ومأساويا كما هي الحال بالنسبة للقصيدة الغنائية القديمة من نوع «البالاد» ام مسلياً كما هي الحال في قصيدة «شمشون السعيد» نابعاً من القلب أكثر منه من العقل ، وفقدان الصفة العقلية والنقدية كان ولا يزال نقطة الضعف التي انتابت الشعر الاسكتلندي اللاحق .

وفي الكتابات اللاهوتية لجون ايرلاند (Johon Ireland) (حوالي ١٣٤٥ ـ ١٥٠٠) ظهر اول نثر ادبي اصيل ، وإن لم يكن قد تطور بعد الى التنوع او المرونة في التركيب . وفي اوائل القرن السادس عشر قامت محاولة لكتابة نثر اقل لاتينية في نسخة ميردوك نزبت (Murdock Nisbet) من «العهد الجديد» لوكليف (Wycliffe) ولكن تلك اللغة، جنوبية اكثر مما يجب لتكون ناجحة من ناحية المصطلحات . ويظهر كذلك بعض الأثر الانكليزي في الكتابات التاريخية لجون بلندن (John Bellenden) وجون لسلي (John Leslie) وروبرت ليندسي (Robert Lindesay) من بتسكوتي (Pitscothie) من القرن السادس عشر. ويتجلى هذا الأثر واضحاً في كتابات اشخاص مثل قائد الاصلاح الديني الاسكتلندي جون نوكس (John Knox) في مؤلفه « تاريخ الاصلاح الديني ضمن مملكة اسكتلندا» ١٥٨٦ . وبكل الأحوال ، كان هؤلاء الكتاب متمكنين من القصة ، كما كان لبتسكوني ونوكس موهبة الاسلوب . واتصف كتاب «تاريخ حياة جيمس ملفيل (James Melvill) بقلمه» بالوضوح نفسه الذي اتسم به كتاب نوكس، وغطى هذا الكتاب الشطر الثاني من القرن السادس عشر. اما كتاب «تذمر اسكتلندا» (Complaynt Of Scotlande) ١٥٤٨ ـ ٤٩ الرائع والمجهول المؤلف فممتع ومهم لكونه من تأليف وطني اسكتلندي واسع الاطلاع ،ولأنه اول عمل لمجرب اسكتلندي كتب نثراً. وتظهر الحاجة لوصول المؤلفات الى القارىء الانكليزي في كتابات جيمس السادس ، فقد كتبت مخطوطته «باسيليكون دورون» (Basilikon Doron) بالاسكتلندية، لكنها نشرت عام ١٥٩٩ مترجمة الى الانكليزية. اما مؤلف وليام دراموند (William Drummond) «أيكة السرو» (Cypresse Grove) ١٦٢٣ فقد كتب بانكليزية متزنة مصقولة. ولم يكتب الكثير من النثر الاسكتلندي بعد هذا التاريخ.

ويمكن رؤ ية التفسير العام لهذا الاتجاه نحو الانكليزية في قول السير توماس اركوهارت (Sir Thomas Urquhart) . «لقد تكلم اكثر الناس حرية الاسكتلندية - هذا اذا تكلموا غيرها»، وقد تبدت ترجمته لفرانسوا رابليه ومؤلفاته الاخرى ذات الاصالة غير العادية عن تنميق في الصياغة كان يمكنه ان يشقق قوالب الاسكتلندية، كما شقق قوالب الانكليزية.

الادب الانكلو - ايرلندي :

كانت الايرلندية حتى القرن السابع عشر لغة ايرلندا . اما الانكليز - الايرلنديون فكانوا مستعمرة صغيرة ، وبالتحديد حامية في موقع متقدم خطير ، وكانوا مضطرين دوماً للتخلي عن مواقعهم اللغوية والاقليمية شيئاً فشيئاً للثائرين الغيليين (Gael) . وحتى بين هؤلاء المستعمرين كان على الانكليزية ان تناضل من اجل التفوق ضد الفرنسية واللاتينية . وقد وصلتنا مخطوطات قليلة تكشف عن وجود الشعر باللغة الدارجة الذي خلا من كل اصالة أو تمييز. وأبرز مثل على ذلك قصيدة هجائية من القرن الثالث عشر عنوانها «ارض كوكين» (Land of Cockaygne) .

وكان ريتشارد ستانيهرست (Richard Stanyhurst) اول كاتب ايرلندي بارز كتب بالانكليزية، وقد ساهم بفصول عن ايرلندا في كتاب هولنشد (Holinshed) «سجلات تاريخية» (Chronicles) ١٥٧٧ .

كما حاول أن ينظم شعراً إنكليزياً حسب الأنماط اللاتينية . وعندما نمت المستعمرة وحاول الانكليز فتح جميع البلاد ، ازدادت الكتابة الانكلو - ايرلندية ، وبدأت تظهر أسماء غيلية بالاضافة الى الأسماء الانكليزية . وفي القرن الذي تلا برزت أسماء مثل السير جون دنهام (Sir Jhon Denham) مؤلف كتاب « تل كوبر » (Cooper's Hill) المدعاة للاعجاب (١٦٤٢) واللورد روزكومون (Lord Rosecommon) وناحوم تيت (Nahom Tate) ونيقولاس برادي (Nicholas Brady)

أحد الشعراء الثانويين . ومن بين المؤ رخين الثانويين يبرز السير جون تمبل (Sir John Temple) (١٦٠٠ ـ ٧٧) لكن لم يلمع حتى ذلك الوقت أي اسم رئيسي .

الفَصْل الثّاني

الأَدَب الكلتي في القرن السّابع عَشر

الأدب في ويلز :

النثر : لقد اكتفى كتاب النثر الويلزيون بالترجمة حتى أنتج مورغان لويد كتبه (Morgan Liwyd) الدينية ، فقدم للفكر الديني الويلزي مساهمة أصيلة ككاتب بيزريتاني ، وبخاصة في « كتاب الطيور الثلاثة » (Llyfr Triaderyn) وهو بحث في نظرية الحكومة والحرية الدينية ، وكتاب « رسالة الى الويلزيين الأعزاء » (Llythur Ir Cymru Cariadus) (حوالي ١٦٥٣) وفيه فسرَّ غموض الانجيل .

وخلال هذه الفترة وحتى القرن التاسع عشر تتابعت ترجمات عديدة لأعمال جلها لاهوتية أوحت بها جمعية ترقية المعرفة المسيحية . وكان ادوارد صاموئيل (Edward Samuel) في عداد رجال الدين الذين أنتجوا هذه المؤلفات بالاضافة الى بحاثين في المخطوطات هم موزس وليامز(Moses Williams(وجرفيت جونز(Griffith Jones) مؤسس التعليم الويلزي الشعبي ، وثيوفيلوس ايفانز(Theophilus Evans) مؤلف كتاب « درك ي بريف أوزود » (Drych y Prif Oesoedd) الذي يصنف ككتاب كلاسيكي في سجلات الأدب الويلزي ، شأنه شأن « كتاب الطيور الثلاثة » . أما أليس وين أو لاينز (Ellis Wynns O Lasynys) فغالباً ما يعتبر أعظم كتاب النثر الويلزيين ، وأهم مؤلفين له هما « رول بكد سانكتاد »(Rheol Buchedd Santaidd) ، وهو ترجمة لكتاب جرمي تيلور « قواعد وتمارين الحياة المقدسة » وكتاب « كولديكاثو اي بارد كويس »(Gweledigaetheu Y Bardd Cwsc) وهو تكييف لترجمة سوينوس (Suenos) للشاعر الاسباني كوفيدو (Quevudo) .

الشعر : عندما اعتلى هنري السابع العرش استدّ النبلاء الويلزيون نحو انكلترا بغية الاعتراف بهم وسعياً للرعاية، وهكذا ضعف اهتمامهم ببلدهم . وسرعان ما فقد شعراء المدرسة القديمة مستعمعيهم، إذ لم يبقَ هناك من محافظ على التقليد القديم سوى المزارعين الأغنياء. ولكن مدرسة جديدة كانت في طور النشوء، استطاعت أن تحرز رصيداً كبيراً من الأغاني الشعبية التي احتقرت سابقاً ولم تسجل، وضمتها الى تقليد للشعر الانكليزي الشعبي المعاصر ، وللقصائد الغنائية الأكثر تطوراً . وأول علامة بارزة لهذا التطور الجديد تجلت بنشر نسخة ادموند بريس (Edmund Prys) الشعرية للمزامير ومؤلف ريز برتشارد (Rys Prichard) « مصباح الرجل الويزيلي » (Canwyll y Cymry) (١٦٥٩ - ٧٢) . وكتبت هذه القصائد حسب البحور الحرة . مثل تلك التي كتبت بالشعر الانكليزي وليس حسب البحور المتشددة التي يتصف بها شعر ويلز . وتعتبر المزامير الشعرية ذات أهمية خاصة ، نظراً لأنها أول ترانيم شعرية . أما مؤلف برتشارد فيتألف من أشعار اخلاقية نظمت حسب بحور الأغاني الشعبية القديمة . ونظم شعراء كثيرون آخرون حسب هذه الأوزان ، إلا أن شعرهم إجمالاً كان خشناً بدائياً ، حتى استعمل هذه الأوزان أعظم شاعر في هذه الفترة وهو هيو موروس (Huw Morus) الذي اشتهر خاصة بسبب قصائده الغزلية . وبعد ذلك جاء لوريس موريس (Leuris Morris) ملهم وراعي كورونوي اوين (Coronwy Owen) وحلقة الوصل الوثيقة بالفترة التالية التي أسسها كورونوي أوين ، وقُدِّر لها أن تكون إحدى أكثر الفترات انتاجاً للشعر الويلزي .

الأدب البريتاني :

تشير مجموعة شعرية من القرن السابع عشر وعنوانها « كانتيك بروتيونز (Cantiques Bretons) (١٦٤٢) الى عدد من ألحان بريتانية . أما جميع المؤلفات المتبقية التي تعود الى العهد الوسيط (من القرن الحادي عشر الى القرن السابع عشر) فهي غالباً دينية في قالب شعري ولربما كانت أهم انتاج الفترة ثلاث من المسرحيات الطقوسية (ميستري) ، وهي حياة « القديس نون » (Nonn)

« ومسرحية يسوع الكبرى » و « حياة القديسة باربرا » . ولربما كانت ثلاث قصائد طويلة عنوانها « مرور السيدة العذراء » و « حياة الانسان » و « أفراح ماري الخمسة عشر » ذات أصول فرنسية . وترجع الى هذه الفترة مؤلفات مثل نص نثري من كتاب قداس ليون (Leon) وتعليم عقائدي بطريقة السؤال والجواب حول المسيحية في صيغة نثرية ، وكتاب توزيع ساعات النهار شعراً . كما ترجع اليها « حياة القديسة كاترين : عذراء وشهيرة » المكتوبة نثراً . أما « مرآة الاعتراف» و«عقيدة مسيحي» فقد ترجمت من الفرنسية . كما ظهرت مجموعة من اغاني عيد الميلاد عام ١٦٥٠ وكتاب « تأملات » شعري عام ١٦٥١ . وبشكل عام كانت الأصالة تنقص الأدب البريتاني الوسيط ، ويبدو أن ثقافة بريتاني الفطرية والطبيعية قد أهملتها تماماً الطبقات المثقفة التي أدخلت كثيراً من الكلمات الفرنسية الى المؤلفات الدينية العديدة التي نشرت .

الغيلية الاسكتلندية : (Scottish Gaelic)

كان القرن السابع عشر فترة اهتمام بالغ باسكتلندا الغيلية ، إذ كانت البنى السياسية والاكليريكية والاجتماعية في اسكتلندا آخذة بالتغير تدريجياً ، كما تبدلت العلاقة بين الحكومة المركزية والمنطقة الغيلية . وقد وصلنا من الشعر الغيلي ما يكفي للدلالة على جمع غفير من الشعراء الموهوبين كما يبدو أن المواهب كانت منتشرة بصورة لا تضارعها أية فترة أخرى في التاريخ الغيلي الاسكتلندي . كان هذا عصراً عظيماً لأغاني العمل ولموسيقى القُرب الكلاسيكية . إن بعض الشعر والنثر جاء في ثلاث مخطوطات من القرن السابع عشر ، الاثنتان الأوليان منها هما « الكتب السوداء » و « الكتب الحمراء لكلانرانالد »(Black and Redbooksof Clanranald كتبهما أفراد من أسرة ماكمرتيش (Macmhuirich) الذين كانوا الى عهد قريب الشعراء الشعبيين بالوراثة لعائلة ماكدونالد أوف كلانرونالد Macdonalds of) (Clanranald ولربما كتبت هاتان المخطوطتان بمعظمها في القرن السابع عشر ، لكنها احتوتا على قصائد نظمها شعراء يتحدرون من العائلة ذاتها في وقت أبكر . أما الوثيقة الثالثة الهامة فمخطوطة « فيرنيج » (Fernaig) التي جمعت بين عامي ١٦٨٨ - ١٦٩٣ وضمت حوالي ٤٢٠٠ بيت من الشعر معظمها سياسي وديني . وقد عاش

الشعراء الذين ضمت هذه المخطوطة قصائدهم في القرنين السادس عشر والسابع عشر، مع أن القليل من مؤلفات الشعراء الرئيسيين في القرن السابع عشر قد ذكر.

وأشهر شاعرين من القرن السابع عشر هما ماري ماكلويد Marry (Macleod) وإيان لوم (Iain Lom) . وعرفت الأولى باسم ماري نيكيان السدير رواض (Mairi Nighean Alasdair Ruaidh) وترتبط ارتباطاً وثيقاً بعائلتي ماكلويد أوف هارس ودنفيكيان ، وتتسم قصائدها بعمق العاطفة الذاتية وحيوية الأسلوب ، فقد ورثت أخيلة الشعراء الباردين لكنها وضعتها في خلفية جديدة ، اعتمدت بحورها الأوزان « الستروفيه »(Strophic) الحديثة نسبياً (ذات الأنماط المكررة من الأبيات) أكثر من أوزان الشعراء الكلاسيكيين الشعبيين ذات العدد الدقيق من المقاطع . وانغمر جون ماكدونالد(Jhon Macdonald) الذي عرف باسم إيان لوم بنشاط في حوادث عصره ، إذ وقعت في حياته أحداث عظام في تاريخ المرتفعات الاسكتلندية ، فانعكست في شعره . فقد نظم قصائد حول معارك انفرلوخي (Inverlochy) وكيليكرانكي (Killiecrankie) ، وندباً للماركيز اوف مونتروز ، وقصيدة حول إعادة الملك شارل الثاني الى عرشه عام ١٦٦٠ م ، وعدة قصائد تتعلق باغتيال كيبيوك لعام ١٦٦٣ ، وأغنية تعارض معارضة مريرة وحدة البرلمان عام ١٧٠٧ . وكان مجال اهتماماته بالقضايا القومية واسعاً وبارزاً . أما شعره فأقل عذوبة من شعر ماري ماكلويد ، إلا أنه تميز بكثافة تعابيره وتركيزها ، وهي ناحية افتقر اليها الكثير من الشعر الغيلي اللاحق . وقد وصلتنا مجموعة بارزة من الشعر البردي نظمها كاثال ماكميرك (Cathal MacMhuirich) .

ومن شعراء القرن السابع عشر الذين وصلتنا أضاميم ممتعة من شعرهم نذكر دونكاد مكرورد (Donnchadh MacRoi Ridh) الذي اشتهر برباعياته الهادئة الراضية بالقدر والتي قرضها يوم وفاته. أما مؤلفات الاسدير ماكنزي (Alsadair Mackenzie) وميردوك ماكنزي (Murdock Mackenzie) فقد مثلت في مخطوطة «فيرناغ». كما أصبح رودريك موريسون (Roderick Morison) المعروف بعازف القيثارة الأعمى، موسيقياً لايان بريك ماكلويد أوف ونفيغان. ولم يصلنا من مؤلفاته سوى القليل، لكنه رائع بما اتسم به من قوة النسخ والزخم الشعري.

وبخاصة بقصيدتيه: أوران مور ويكلويد (Oran Mor Micleoid) وكرتييش ناشيدان (Creach Nachidain)

أمـا دورثـي براون (Dorothy Brown) وسيليس ناسيابـاخ (Silis Na Ceapaich) فكانتا شاعرتين موهوبتين . فقصيدة الأولى عن الاسدير ماك كولا ، ومرثية سيليس للاكلان ماك كينون ولألسدير اوف كلنغري، مؤثرة النبرة، صيغت بقالب فني بديع .

وثمة أربعة من الشعراء يشغلون مرحلة الانتقال من شعر القرن السابع عشر الى شعر الثامن عشر هم لاكلان ماك كينون (Lachlan Mackinnon) ، وجون ماكي (John Mackay) ، وجـون ماكدونالـد (John Macdonald) ، وجـون ماكلـين (John Maclean) وجميعهم ولدوا في حوالي الفترة ١٦٥٥ ـ ٦٥ . يفتقر الكثير من شعرهم الى التركيز الذي اتصف به قريض القرن السابع عشر وغنـاه بالأخيلة . فقصيدة جون ماكدونالد المسماة « أورام نام فنيكان (Oran Nam Fineachan) على ضعفها ليست أسوأ القصائد المملة التي كانت تقال في مدح العشائر الاسكتلنـدية التي شاعت في القرن الثامن عشر . وبالغ جون مكلين بالاهتمام بالأسطورة الغيلية القديمة ، كما نظم شعراً ممتعاً ومسلياً بأسلوب متهكم أكثر مما هو بطولي . كما كانت قصيدة جون ماكي « كوار أن إيسا » (Coire An Easa) بارزة في تطور شعر الطبيعة الغيلي . وأخيراً يمكن القول بأن الشعر البردي ظل ينظم حتى القرن الثامن عشر على يدي فرد ين من أسرة ماك ميريك (Mac Mhuirich) هما نيال (Niall) ودمنـول (Domhnall) .

الأدب الايرلندي :

نجحت السياسة البريطانية خلال حكم الملكة أليزابيث الأولى في كسر شوكة النبلاء الايرلنديين والانكلو ايرلنـديين ، وتمـت العملية نهـائياً في حوالي منتصف القرن السابع عشر . وقد آل طرد هؤلاء النبلاء إلى اختفاء كثير من الشعراء الذين

اعتمدوا عليهم وكانوا دعاة لهم . ولما كانت أعين هؤلاء الشعراء مركزة على الماضي لذا لم يهتموا بالنهضة العلمية ، وبزوالهم زالت التقاليد القديمة . ومن هذه الفترة بدأت اللغة الايرلندية تنحسر من مركزها كلغة البلاد العامة .

الشعر : قلما كتب أي شعر « باردي » صحيح في إيرلندا بعد عام ١٦٥٠ ، ولكن طبقة جديدة من الشعراء الجدد استلمت اكليل الشعر من الشعراء الشعبيين من نوع « البارد » استلمه هؤلاء من « الفيليد »وهم أول شعراء محترفين قبل ٥٠٠ عام. وكما أن الأوزان التي نظم عليها الشعراء البارديون كانت في طور الاعداد لقرون عديدة قبل أن أصبحت أوزاناً رسمية ، كذلك كانت البحور الغنائية التي حلت محلها موجودة لقرون عدة بين الناس . وهجر الشعراء الجدد الأوزان التي اعتمدت عدد المقاطع والنبرات الثابتة واستبدلوها بحروف صوتية منبرة ذات سجع يعتمد على الحروف الصوتية حسب أنماط معينة يمكن أن تكون بسيطة جداً أو معقدة جداً . كما أن لغة الشعر اقتربت من لغة الشعب . ورغم أن مؤلفاتهم لم تطبع فإن وفرة الورق جعلت بالامكان تعميمها مع دعم بسيط من رعاة الأدب. واتسم هذا الشعر في القرن السابع عشر بطابع تحدٍّ عاطفي للعهد الجديد ، ويظهر فيه أول تعبير مترابط للوطنية التي فهمت كتكريس لمثل عليا معنوية أكثر منها ولاء لفرد من الأفراد ، ولكن الكثير من هذا الشعر لا يعدو أن يكون مجرد حنين الى الماضي .

وتلقى دابهيد أو برودير (Daibhidh O Bruadair) ـ أعظم شاعر لأوزان الأغنية ـ بعض دعم رعاة الأدب . ذلك الشاعر الذي تجسمت طاقته الحقيقية بفَنَّيْ الشعر الهجائي والرعوي ، والذي ظل بارزاً بنظم القريض ، وبموته حفظ التقليد الشعري بين العامة فقط ، ونافح عنه الشعراء الريفيون حتى نهاية القرن الثامن عشر .

النثر : اتصف القرن السابع عشر بغزارة الانتاج النثري ، وكان بشكل رئيسي ذا طابع اثري لا يقدر اليوم بقيمة ، لأن الكتاب اعتمدوا مصادر عفى عليها الضياع . وأهم هذه المؤلفات « المسجلات التاريخية للأسياد الأربعة » (The Annals of thr Four Masters) وهي تجميع لكل ما توفر عن تاريخ ايرلندا حتى عام ١٦١٦ . وأشرف على هذا العمل مايكل أو كليري (Michael O'clery) . كما

كتب جفري كتينغ (Geoffrey Keating) أول مؤلَفٍ تاريخي بلغة سهلة فخمة تعتمد اللغة الباردية سماه « أسس المعرفة الايرلندية » (Foras Feasarar Eirinn) ونظم كذلك بعض الشعر البديع بأوزان قديمة وجديدة بالاضافة الى مقالين روحيين .

ويعتبر الكتاب النقدي « برلمان عشيرة توماس » (Paieliment Chloinne Tomas) تطوراً ممتقاً في الأسلوب النثري. ويبدو ان مؤلفه هو أحد الشعراء الบارديين، لأنه هاجم الطبقة الجديدة الحاكمة، والفلاحين المحليين بنفس الوحشية، وهو يشبه بأسلوبه الى حد بعيد أسلوب الكروزنخت (Crosanacht) القديم ، ولكن بغلبة النثر على الشعر. وقد حاك على منواله عدة مقلدين لكن التقليد القديم كان أوهن من أن يدعم مثل هذا الموقف الارستقراطي. وتمتع النثر الخيالي بشعبية أوسع واستمد معينه من تطورات للموضوعات الفينية (Fenian) أو من رومانسيات امتزجت فيها مواضيع الأدب الايرلندي والأجنبي الوسيط بالفولكلور وعناصر من القصة الشعرية القصيرة. وكان لهذه الرومانسيات ، شأنها شأن الأوزان الغنائية ، تقاليد راسخة قبل أن تظهر مكتوبة. ومع ذلك شرع الجمهور يفقد اهتمامه بها، لأن فهمه للايرلندية كان دون المستوى، وهكذا لم يبقَ سوى أمل حقيقي ضئيل للانتاج النثري.

الفَصْـل الثّالث

الأدَب الأمريكي في القـرن السّابع عَشَـر

طبيعي أن يكون الأدب الأمريكي باديء ذي بدء أدباً استعمارياً كتبه مؤلفون انكليز كان تفكيرهم وكتابتهم انكليزية الطابع . ويعزى الى جون سميث (John Smith) فضل تأسيس الأدب الأمريكي . وقد شملت مؤلفاته الرئيسية الكتب التالية : «أنباء صادقة عن فرجينيا» والتاريخ العام لفرجينيا ونيوانكلند وجزر الصيف (The General historie of Virgenia and the Summer Isles New England) ١٦٢٤ ، ومع أن هذه المؤلفات غالباً ما مجدت مؤلفها إلا أنها كتبت لتشرح فرص الاستعمار ـ للانكليز ، وذلك باعتراف المؤلف نفسه . ومع الزمن وصفت كل مستعمرة من المستعمرات بنفس الأسلوب والطريقة . ولم يكن مؤلف دانيال دانتون (Daniel Denton) «وصف مختصر لنيويورك» ١٦٧٠ وكتاب وليم بن (William Peen) «وصف موجز لمقاطعة بنسلفانيا» ١٦٨٢ ، وكتاب توماس آش (Thomas Ashe) «كارولينا» ١٦٨٢ سوى نماذج من كثير من المؤلفات التي امتدحت أمريكا على انها ارض الميعاد اقتصادياً للمستعمرين البريطانيين .

واعترف أمثال هؤلاء الكتاب بالولاء لبريطانيا ، الا أن آخرين غيرهم اكدوا على الخلاف في الرأي الذي حدا بالمستعمرين الى أن يتركوا بلادهم ووطنهم . والأهم من هذا انهم ناقشوا قضايا حكومية بما فيها العلاقة بين الدولة والكنيسة. وقد عرض ناثانيال وورد أوف ماساشوستس (Nathaniel Ward of Massachusetts) بمرح الموقف الذي هاجمه معظم المؤلفين في كتابه «الاسكافي البسيط من أوغاوام في امريكا» (١٦٤٧) . ودافع وورد في هذا الكتاب بشكل ممتع عن الوضع الراهن

وسخر من المستعمرين الذين تبنوا أفكاراً جديدة . إلاّ انه نُشر جدلٌ متنوع مضاد لمثل وجهة النظر هذه، وتحدث مؤلف جون ونثورب (John Winthrop) في كتابه «يوميات» (Journal) (كتب ١٦٣٠ ـ ٤٩) بكل تعاطف عن محاولة مستعمرة خليج ماساتشوستس لتشكيل حكومة دينية (ثيوقراطية) رأسها الله وقانونها الانجيل. ومن المدافعين عن المثل الثيوقراطية اللاحقين يمكننا ذكر إنكريس ماذر (Increase Mather) وابنه كوتون (Cotton) . كما يظهر كتاب وليام برادفور (William Bradford) «تاريخ مستوطنة بليموث» عام ١٦٤٦ كيف انفصل الحجاج تماماً عن الكنيسة الانجليكانية . وكان روجر وليامز (Roper Williams) أكثر راديكالية اذ دافع في سلسلة المنشورات الجدلية ليس فقط عن فصل الكنيسة عن الدولة، بل عن وضع السلطة في أيدي الشعب، وعن التسامح مع العقائد الدينية الأخرى.

تضمنت الكتابات النفعية في القرن السابع عشر انواعاً عديدة مثل السير والمقالات ووصف للرحلات والمواعظ . ونادرة هي المنجزات في المسرحية أو الرواية نظراً لوجود تعصب شامل ضدهما ، على عكس المنجزات في مجال الشعر فهي أكبر . لقد نظم شعر سيىء ، وإن كان شعبياً ونشر في كتاب « مزامير الخليج » (Bay Psalm Book) لعام ١٦٤٠ ، وفي موجز مايكل ويغلز وورث (Michael Wiggles Worth) في العقيدة الكلفينية المسمى «يوم القدر» (١٦٦٢) (The Day of Doom) (والمنظوم شعراً من نوع «الدوغريل». إلا أنه كان هناك بعض الشعر من نوع أفضل إذ كتبت آن برادستريت (Anne Bradstreet) من ماساتشوستس بعض القصائد الغنائية التي نشرتها في « عروسة الشعر العاشرة » (The Tenth Muse) (١٦٥٠) والتي عبرت بشكل مؤثر عن شعورها بشأن الدين وعائلتها . وهناك شاعر آخر ـ يعده النقاد الحديثون أرفع منزلة من آن ، ولكن شعره لم يكتشف وينشر قبل عام ١٩٣٩ ـ هو أدوارد تيلور (Edward Taylor) رجل الدين والطبيب المولود في انكلترا ، والذي عاش في بوستون ووستفيلد ، ماساتشوستس . ولما كان تيلور أقل تشاؤماً من البيورتاني العادي فقد نظم قصائد غنائية أظهرت سروره بالعقيدة والتجربة المسيحيتين .

كانت جميع الكتابات الأمريكية في القرن السابع عشر حسب الطريقة البريطانية لنفس الفترة . اذ كتب جون سميث حسب تقاليد الأدب الجغرافي ، كما ردد برادفورد صدى جرس الكتاب المقدس للملك جيمس ، بينما كتب ماذر وروجر وليامز نثراً مرصعاً حسب الطراز السائد آنئذٍ . أما أسلوب آن براد سترتيت الشعري فيأخذ من عدد كبير من الشعراء الانكليز بمن فيهم سبنسر وسيدني ، بينما كتب تيلور حسب تقاليد الشعراء الميتافيزيقين أمثال جورج هربرت وجون دون . وهكذا كان أدب هذا القرن الأول من الأدب الأمريكي انكليزياً شكلاً ومضموناً .

الفصل الرابع

الأدب الفرنسي في القرن السابع عشر

لا يزال الكثير من القراء يعتبرون القرن السابع عشر الفترة المركزية والقمة في الأدب الفرنسي . الا أن محاولة اعطائها صفاتها المميزة أو تمييز حركاتها الرئيسية وحدودها مسألة معقدة ومركبة . ومن الممكن اعتبار موت ملك عظيم هو هنري الرابع عام ١٦١٠ وموت ملك عظيم آخر هو لويس الرابع عشر عام ١٧١٥ نقطتين ملائمتين لبداية ونهاية الفترة (مع أن الفترة بعد عام ١٦٨٥ ، وهي تاريخ الغاء مرسوم نانت (Edict of Nantes) يمكن اعتبارها فترة انتقال الى القرن الثامن عشر) رغم انه لم يكن للملوك أية تأثيرات حاسمة في الأدب الخلاق ، أو حتى في نوع المجتمع الذي عاش فيه الكتاب ، فالتشجيع الملكي ليس سوى تأثير واحد من بين تأثيرات أخرى عديدة . والأهم من هذا التشجيع كان انتشار الرخاء الاقتصادي والفراغ لدى الطبقة المتوسطة الصاعدة ، وتفشّي عادة القراءة ، وفوق كل هذا عدم وجود حرب أهلية أو أجنبية طويلة الأمد .

النصف الأول من القرن :

الشعر والنثر : لم يكن المجتمع الفرنسي في القرن السابع عشر توصل حقاً الى الاستقرار، فقد كان مفعماً بالحيوية وعدم الانتظام، كما كان يتميز بكثرة الوفيات والعنف . وما الصقل والأناقة اللذان اتصف بهما الشعر والرواية سوى هروب من الفوضى ، وانعكاس للرغبة في الاستقرار في عالم متغير . وينطبق هذا القول خاصة على السنوات الأولى من القرن ، إذ انعكس انتهاء الحروب الأهلية فعلياً عام ١٥٩٨ ، كما انعكست العودة الى الأوضاع السلمية بظهور مجموعات شعرية

كانت القصائد فيها محددة بعناية ورصينة . وتجسد هذا الاتجاه في فرد هو فرنسوا دو ماليبرب (François De Malherbe) الذي عمل في باريس منذ العام ١٦٠٥، وتمتع بالدعم الملكي، واستحسن شعره باستمرار. واغتبط نيكولا بوالو (Nicolas Boileau) بأنه ظهر في النهاية شاعر فرنسي أرضى الذوق الحديث للشعر المنتظم المناسب الناعم . وهذه صورة عادلة لما اعتقده الفرنسيون في القرن السابع عشر أن ماليرب (Malherbe) قد أنجزه . وبالاضافة الى مقلدي هذا الشاعر وتلاميذه أنجب الجيل الذي ولد حوالي عام ١٥٩٠ عدداً من الشعراء المتميزين الذين مالوا نحو الفكر الحر . فهناك شاعر الطبيعة تيوفيل دوفيو (Theophile Deviau) . وهناك المسرحي والوكيل الأدبي لِـ رشيليو(Richelieu) واسمه فرانسوا دوبرا سروبر (François De Boisrobert) ، وجيرارد سانت أمان (Girrard De Saint - Amant) الذي اشتهر في عصره بملحمته التوراتية Moïse) Sauve) «انقاذ موسى» . واستمر هذا الأخير في الكتابة خلال الثلاثينات من القرن السابع عشر عندما كان اكثر الكتّاب شهرة هو فانسان فواتير Vincent) Voiture) الشاعر الاجتماعي وكوكب صالون قصر رامبوييه الشهيرHôtel De) Rambouillet) .

كانت الدائرة التي تذوقت الشعر الجديد أضيق من تلك التي تذوقت الرواية الجديدة وخاصة عندما ظهر كاتب لامع مثل اونوريه دوأورفيه(Honoré De Uefé) الذي كانت روايته « استريه » (Astrée) أكثر من نجاح مؤقت لأن العديد من شخصياتها ظلت الشغل الشاغل لأجيال عديدة ، كما كانت شخصيات « ديكنز » أو « سكوت » للقراء من عصر الملكة فيكتوريا في انكلترا . وقد أثر مؤلفه هذا بأعداد غفيرة من المقليدين داخل فرنسا وخارجها .

الأكاديميات والصالونات : لم يقتصر النشاط الأدبي للعصر على قرض الشعر وكتابة الروايات . ففي عهد الملك لويس الثالث عشر طورت جماعات صغيرة من الناس ـ عرفت باسم الصالونات أو الجمعيات ـ تذوقاً للنقاش الأدبي ، وتنقسم هذه الجمعيات الى نوعين ، كما بيّن البحث العلمي مؤخراً . فالنمط الأول

ما هو إلاّ تطور في القرن السادس عشر لمراكز النقاش العلمي للرجال. أما النمط الثاني فجمعيات اهتمت بالمعرفة الحديثة والتجارب الجديدة. وشمل ريشليو (Richelieu) بعطفه إحدى هذه الجمعيات لتصبح الأكاديمية الفرنسية(Académie Française) .

اما الصالونات فكانت تجمعات اجتماعية وأدبية ذات طابع أعم، وهي من اختراع عصر النهضة التي لعبت دورا متذبذباً في الحياة الفرنسية حتى القرن التاسع عشر. وفي حالات كثيرة وبخاصة في حالة قصر رامبوييه(Hôtel De Rambouillet) الذي اشرفت عليه كاترين دي فيفون (Catherine De ViVonne) مركيزة رامبوييه - كان عمل الصالونات مجرد تأمين الاجتماع الودي لاشخاص من علية القوم اهتموا بالحديث والعادات.

وبالاضافة الى الشخصية المترأسة للصالون وعادة ما كانت امرأة عصرية، مثل مدام دو لوج(Mme De Loges) كانت هناك شخصية ادبية رئيسيةمثل غويز دو بلزاك بالنسبة لصالون مدام دولوج وكان بلزاك ناقداً حاذقاً واستاذا في التعبير اشتهر برسائلهوبخصوماتهالادبية. والشخصية الثانية البارزة هي شخصية ناقد آخر اسمه كلود فور دو فوجلا (Claude Faure De Vaugelas) كان خبيراً في مسائل اللغة وحاز كتابه «ملاحظات حول اللغة الفرنسية» شهرة واسعة كدفاع عن الاستعمال الذكي للغة. وكان معظم هؤلاء النقاد أكثر نجاحاً مما كانوا يظنون وذلك بخلقهم مقياسا للذوق الادبي، وبجعلهم الفرنسية أداة تعبير طيعة .

كانت جميع الاكاديميات التي قامت بالبحث العلمي متأثرة أو مرتبطة بشكل ما بالفيلسوف والرياضي رونيه ديكارت (Rene Descartes) (١٩٥٦ - ١٦٥٠) الذي تغلغل أثره في القرن كله. ويبدو أن آراءه حول الدوامات والشك والأفكار الفطرية وما ادلى من براهين على وجود الله لم يتقبلها الناس بشكل واسع او لمدة طويلة، ويظهر أن نوعية عقله ومزاجه هي التي ادت الى هجوم جديد على مشاكل وقضايا قديمة، وبذا ابتدع طريقة جديدة في التفكير والنقاش. فقد وجد تصوره العلمَ كمسيطر على الطبيعة تعبيراً له في الجزء الاخير من كتابه «محاضرة في المنهج» (Discours De la Methode) ١٦٣٧ (وترجم الى الانكليزية عام ١٩٥٠) . اما أثره

في الطريقة التي فكر بها المفكرون ، فلخصها أحد اتباعه بقوله : كان النقاش قبل ديكارت أسهل بكثير ، ومن حسن حظ الأجيال السابقة انها لم تعرفه (برنارد دو فونتيل)(Bernard De Fontenelle) .

المسرح : تجلت الظاهرة الأخرى البارزة في القسم الأول من القرن في المسرح الباريسي الشهير ، ومن الصعب القول من أين أتت القوة والمهارة الجديدة . ففي عام ١٦٢٥ لم يكن هناك سوى مسرح مرخص واحد في باريس . وقد حبر كاتب مسرحي واحد موهوب واسمه الكساندر هاردي (Alexandre Hardy) حوالي ٦٠٠ مسرحية ، قدمت للنظارة والقراء خليطاً من عاطفة عصر النهضة والتشويق الدرامي . وبالتدريج تغير موقف الجمهور من المسرح، فقد غدا اداة ترفيهية للطبقات العليا، وقد نتج هذا كما نتج كغيره من العادات الاجتماعية الكثيرة بشكل جزئي عن التشجيع النشط للكاردينال روشيليو كبير وزراء لويس الثالث عشر، فظهر بذلك جيل جديد من المؤلفين كان جان ماريه(Jean Mariet) الذي ظهر في لحظة حاسمة اكثرهم انجازا. وكانت سيلفانير(Sylvanire) أخرجت عام ١٦٣٠ اول مسرحية جديدة ناجحة تستعمل العرف الايطالي المسمى الوحدات الثلاث (وحدة الزمان والمكان والحدث، وبهذا ركز العمل المسرحي ضمن حدود صارمة. واظهر كتاب مسرحيون آخرون شباب ـ وبشكل بارز بواسروبر (Boisrobert) في مسرحية «بيرلند وزيسميين» (Pyrande Et Zisimène) ١٦٣٣ ، وبيير كورني (Pierre Corneille) في مسرحية «كليتاندر» (Clitandre) ١٦٣٠ ـ ٣١ كيف يمكن للأسلوب الجديد أن يضمن المغامرات التي يريدها الجمهور. ولقي الاسلوب الجديد بعض المقاومة، لكن تجلت في النتيجة مواهب جديدة بظهور مسرحية جان دو روترو(Jean De Rotrou) «احتضار هرقل»(Gercule Mourant) ومسرحية جان مريه (Jean Mairet) «سوفونيسب»(Sophonisbe) اخرجت إما عام ١٦٣٤ أو ١٦٣٥) لذا كانت مسرحية كورني(Corneille) «السيد»(Le Cid) ١٦٣٧ جزءاً من حركة صعب تمييزها عنها باديء الأمر.

ادى النجاح العظيم لمسرحية «السيد» والجدل الشهير المتعلق بها (عزي هذا الجدل الى حسد روشيليو، ولكن يبدو أن سببه هو غرور كورنـي) الى رؤ ية المسرحية في غير خلفيتها. فالمسرحية ليست عملاً منفرداً للكلاسيكية الفرنسية، انما هي مجرد مسرحية لامعة. والى حد ما كانت خلفيتها هي سبب عظمتها.

أمضى كورني ثلاثة أعوام في كتابة مسرحيته التـالية «هـوراس» (Horace) (١٦٤٠) وهي عمل أدبي ذو طاقة درامية كبرى. استعمل الشاعـر بكتابتهـا قصـة المؤ رخ الروماني ليفي الشهيرة عن الهوراتيين (Horatii) والـكيورياتيين (Curiatii) ليعطي القوة لانشقاق مأساوي في الاسرة الواحدة بين ما هو وطني ومسالم. كما انتج ثلاث مسرحيات بديعة اخرى، وذات روعة مماثلة لهوراس، وذلك خلال سنوات قليلـة وهـي «سينـا» (Cinna) (١٦٤٠ - ١٦٤١) وتبحـث في التآمـر السياسي. و«بـوليوكت» (Polyeucte) (١٦٤١ - أو ١٦٤٢)، وهـي مأسـاة اجتماعية لشـهيد مسيحي، و«رودوكين» (Rodogune) (١٦٤٤ أو ١٦٤٥)، وهي دراسـة رصينـة للمرأة المشاكسة. وهكذا بتقديمه مجموعة المسرحيات اعتبرت خلال جيل واحد من روائع الادب، أوجد كورني بمفرده تقريباً المسرح الفرنسي الكلاسيكي. زد على ذلك ان روتروني (Rotrou) في مسرحيته «القديس جنست الحقيقي» (Saint Genest Veritable) (١٦٤٥، ١٦٤٦) قام بكتابـة مسرحية لا تقـل امتاعـاً عن بوليوكت وكيف حوَّر بلوتوس (Plautus) في مسرحية «الشهيدان» (Les Sosies)، كما حوَّر وكيَّف لوب دوفيكا (Lope De Vega) في «لور المضطهدة» (Laure Persecutee). اما «فنسسـلاس» (Venceslas) ١٦٤٧ فمأسـاة سياسية كتبهـا روتـرو عام ١٦٤٧. وهكذا نرى انه لدى وفاة روشيليو عام ١٦٤٢، بدت فرنسا ماثلة في ظل بعث ادبي كامل، فقد توفرت المواهب، وبرز جمهور جديد، وتقليد أدبي تام.

الفترة الكلاسيكية:

تشطر الحرب الاهلية المعروفة باسم «فروند» (Fronde) (١٦٤٨ - ٥٣) القرن شطرين اثنين زمنياً واجتماعياً، وليس هناك أي تطور واضح من الأدب الجيد لعام ١٦٤٠ الى كلاسيكية الستينات من القرن السابع عشر. فمع بقاء بعض الملامح كان

هناك تغير في الموقف. لقد تركت الحرب آثارها على الطبقات المتوسطة التي أمدت البلاد بالمؤلفين ومعظم القراء، كما انها تركت الكتاب بله قراءهم أكثـر سفسطـة وشكاًفي الدوافع الانسانية، وأقل ميلاً للبطوليات. وعلينا أن نتذكر انه لم تكن عهد ذاك مهنة ادب معترف بها، اذ عاش الكتّاب بسبل الرعاية والدعم الادبي، كما وأن حرب «الفروند» خلقت نوعا جديدا من رعاة الادب. فقـد بدأ بوالـو(Boileau) وموليير(Molière) حياتهما الادبية ككاتبين مستأجرين يعملان لحساب كبير وزراء لويس الرابع عشر نيكـولا فوكيه(Nicolas Fouquet) الذي أقنع كورني بأن يعود الى المسرح، وأن يحاول كتابة نسخة من قصة أوديب التي تمثل الموضوع المأساوي الرئيسي للعالم القديم،وبالنتيجة إن مسرحية كورنـي التي اطلق عليها اسم «اوديب» (Oedipe) مثلت عام ١٦٥٩، فكانت بذلك أول مسرحية له بعد مسرحية «برتاريت» (Pertharite) (١٦٥٢) .

وكتب بليس باسكال(Plaise Pascal) أكبر مفكر في العصر ضمن مدار الحركة الدينية «الجنسية»(Janseniste) ، وهي حركة لم تنجح في تبديد اعتقاد الملك بأنها حركة هدامة. تتجلى هذه الروح الجديدة بوضوح في سلسلة الكراسات التي كتبها باسكال تحت عنوان «الريفيات»(Les Provenciales) (١٦٥٦ - ١٦٥٧). وفي هذا المجال أيضا استعملت ابتكارات كيز دوبلـزاك(Guez De Balzac) بتأثـير رائـع، وبتركيز على الموضوع، وبقوة وموهبة جدلية لم يستطـع السيطـرة عليهـا. وكرس باسكال آخر طاقاته للاعتذار والدفاع عن الدين المسيحي،ولكن عمله لم يذهـب أبعد من التخطيط، ومن أضمومات مرتبة جزئياً. عرفت باسم «افكار»(Pensées) . ومع ذلك فهي تشكل اعمق مؤلف من الحركة الكلاسيكية الفرنسية، فأثرت على المفكرين اللاحقين اكثر مما اثرت على قرائها الاوائل عام ١٦٧٠ وكانـت بالتـالي المؤلف الكلاسيكي الفرنسي الوحيد الذي وصلنا في حالته البدائية ، مع انه ترك بشكل ملاحظات كتبت بتعابير نابضة وعنيفـة، بدت طبيعية بالنسبـة لباسـكال. وكتابه هذا رائع في جزالته وشروحه.

وظهرت الواقعية الجديدة في مسرحيات الشاعر الفكه بول سكارون (Paul Scarron) والمجلـدات الأخيرة من روايات مادلــين دوســكوديري (Madelaine De

(Scuderi وأدى وجود جمهور مدرك للمهارات الفكرية الى عودة موليير بفرقته المسرحية الى باريس، وتقديمه أمام جمهور ملكي - بعد عرض لمأساة كورني «نيكوميد» (Nicomede) - ملهاة من تأليفه كانت تمهيداً لنشاط درامي مكثف دام ١٥ عاماً، يطلق عليه الآن اسم الكوميديا الكلاسيكية.

وبعثت هذه الروح الحياة في مؤلف عظيم من القرن السابع عشر لم ينشر في ذلك القرن وهو كتاب «مذكرات» (Mémoires) نشر عام (١٧١٧) لجان فرانسوابول دوكوندي (Jean François Paul De Gondi) كاردينال ريتز. ولكونه أحد المشتركين الرئيسيين في حرب الفروند، لذا جسد أحداثها على صفحات مذكراته المشرقة الساخرة. واستطاع أن ينقل الى قرائه إدراكه للاشياء، وموقفه الطليق الحر من السلوك الانساني. وبرزت هذه الصفة واضحة كذلك في مجموعة من الاقوال المأثورة والحكم تعرف باسم «الامثال السائرة» (Maximes)، والتي نشرها عام ١٦٦٥ الداعية للاخلاق لاروشفوكود (La Rochefoucauld) وتعطي هذه الامثال اللاذعة والرائعة في قالب كلاسيكي منشود تحليلا لا شفقة فيه لميزات العصر مثل الاخلاقية النفعية والتشاؤم المتصف بالنقد، او اكتشاف اللاشعور، فقد هاجمت الفردية والمثالية الرواقية والعقلانية، وكان هجومها مقترناً بالعنف والفكاهة.

المؤلفات الكلاسيكية للستينات والسبعينات من القرن السابع عشر:

يحق لهذه الفترة الادعاء بأنها اعظم فترة خلاقة في تاريخ الادب الفرنسي. فقد أثارت محاولة موليير الأولى لكتابة ملهاة من خمسة فصول عنوانها « مدرسة النساء » (L'école Des Femmes) ١٦٦٢ جدلا عنيفا يضارع ذلك الذي اثارته مسرحية «السيد» . وفي الوقت نفسه شاعت مؤلفات بوالو الهجائية، كما شاعت «الامثال السائرة». وفي عام ١٦٦٧ ظهرت «اندروماك» (Andromaque) لراسين، وتلتها اول مجموعة من القصص الخرافية (Fables) لِـ: جان دو لافونتين (Jean De La Fontaine) عام ١٦٦٨. فتميزت جميع هذه المؤلفات بمفهوم جديد عن وقار اللغة، وبالخيال البعيد الذي يبتدع أشكالاً جديدة للاتصال الأدبي والمقدرة العقلية لتجديد ما هو شائع وعادي.

وواضح أن الكتاب لم يقصدوا خلق مؤلفات كلاسيكية ونادرا ما وقع التصادم بين المبدعين. كما أن ظهور هذا العدد الهائل من الكتابات الرائعة بعد عام ١٦٦٠ لم يفسر تفسيرا كاملا. ومن الممكن تتبع الطريق البطيئة التي سلكها الكتاب، وهم يتدربون على الكتابة، الا أنه لا يمكن ارجاعهم الى جيل واحد فقط. فربما كانت موهبة موليير امتع المواهب مراقبة، وهي تعمل في الستينات والسبعينات من القرن السابع عشر. وكشف البحثالعلمي الحديث أن موليير كان يناضل من أجل ابقاء فرقته المسرحية واقفة على قدميها عندما طفق بالكتابة هدف أول ما هدف الى ملء الفراغ في المسرحيات التي تخرجها هذه الفرقة؛ وانه لم يمارس كل قواه المبدعة الا عندما استحسن الجمهور القطع المسرحية التي كتبها. ويبدو أنه كان انجح في (The Doctor) In Spitof)
حجق(و«التخيل»(L'avare) فقد أمضى الكثيرمن الوقت في كتابتهما، ومع ذلك كان نجاحهما قصير الأمد، كما قضى خمسة اعوام في كتابة «طرطوف»(Tartuffe?) ولكن استعراض مسرحياته وهي ترتقي وترتفع في مداها وزخمها تعطي المرء فكرة عما تعنيه ادارة مسرح باريسي عهد ذاك، وما يبغيه تزويده بالمسرحيات اللازمة. وفي موسم عام ١٦٦٦ كتب موليير خمس مسرحيات جديدة لفرقته، وبعد ستة اعوام، أي في عام ١٦٧١، أخرجت ١٥ مسرحية من مسرحياته كانت ثلاث منها جديدة. لقد واتته الشهرة بسرعة، ولكن يبدو أنه لم يكن لديه الفراغ الكافي ليكتب، أو حتى راحة البال من القلق المالي؛ ولم تنجح فرقته عام ١٦٦٩ من التداعي الا بنجاح «طرطوف». كتب موليير مسرحياته على عجل بغية تلبية جمهور ناقد، ومع ذلك استطاع خلق شخصيات ذات قوة هزلية مذهلة، تبدو بجانبها الكوميديا الفرنسية السابقة ضعيفة قلقة: «لقد خلق موليير الكوميديا من الفوضى» على حد قول فولتير.

كان الشعر أحد الجوانب المهملة للأدب الكلاسيكي الفرنسي. وقد عالج نيكولا بوالو في كتابه «في الشعر»(Art Poetique) ١٦٧٤، وفي رسائله وفي هجائه بعض الأساليب بقدرة تامة، اذ عبر بقوة ويسر عن التلاعب بالألفاظ والقوافي والتناقض الظاهري والتلميحات الموضوعية. وكان كل مؤلف من مؤلفاته تجربة قائمة بذاتها، مما جعل عدد الشعراء الذين أثروا بنفس الدرجة، وفي اتجاهات مختلفة كما فعل بوالو نادرين.

كانت قدرة الشاعر والعالم جان دو لافونتين على التلميح الساخر والخيال اوسع من قدرة بوالو. فقد كان عميق الاطلاع على الشعر القديم ، لذا اضاف تعبيره المميّز والخيالي الى مؤلفاته . ولا يمكن تفسير المتعة التي تمد قصصه الخرافية (Fables) الا بتجديدها تفاصيل الحياة العادية بشكل شاعري ، وبعلاقة الكاتب بهذه المادة .

وباستثناء هذين الشاعرين كانت المنجزات الحقة للشعر الفرنسي في هذه الأعوام مقصورة على المأساة . وما توصل اليه راسين كان بلا شك ناجماً عن منافسة مؤلفين عديدين اصبحوا الآن نسياً منسياً ، وليس فقط كما يدعي البعض - عن منافسة كورنيل . لقد حاولوا شأنه أن يستعيدوا المواضيع اليونانية القديمة بما عرضوه من باليه واوبرا ومأساة ، لكن فاتهم ما نجح به ، وهو عنصر التشويق الدرامي القديم بله عاطفته الجياشة ، وخاصة باستعمالها المتواصل . ويعتقد عدة محكمين ممتازين بأن نجاحه الأول في مسرحية «اندروماك» لم يتجاوزه أحد. ويبدو ان «بيرنيس» (Bérénice) بلغت نفس الدرجة من التركيز ، وذلك بتحديدها الموضوع المأساوي بوداع ملكة لعشيقين ، وبالتعارض المتناهي بين المصالح العامة والمصالح الخاصة . ومع ذلك انتج راسين عام ١٦٧٢ دراسة عميقة للعنف البدائي في «بجازيت» (Bajazet) واتبعها بعد عام بمسرحية «متريديت» (Mithridate) وفيها نجد شخصية عنيفة تعارضها شخصية مفرطة الاستقامة. اما «افيجينسي» (Iphigénie) ١٦٧٤ و«فيدر» (Phèdre) (١٦٧٧) فهما دعوة مقصودة لمواضيع يكون فيها الآلهة والبشر رمزية أكثر تركيباً وتعقيداً . لقد شهد الكثيرون في منجزات « فيدر » تجسيداً للفكرة التي عمت في القرن السابع عشر ومؤداها تلك الهوة المأساوية بين العاطفة والنقاء . وأقصى ما في هذه الحياة الأدبية الفريدة سخرية ان كتب راسين بعد صمت دام عشرين عاماً مسرحيتين انجيليتين لمدرسة بنات ، كانتا مثار الاعجاب شأنهما في ذلك شأن مسرحياته الاخرى وهما «استير» (Esther) عام ١٦٨٩ و«أتالي» (Athalie) ١٦٩١ .

كتابات رجال الدين :

على الرغم من عظمة الدور الذي لعبته الكنيسة في حياة القرن السابع عشر

كانت مساهمتها الادبية جد محدودة ، لكن لا بد من ذكر شخصيتين اكليريكتين عظيمتين زاهيتين ومختلفتين وهما جاك بوسيه (Jacque Boussuet) وفرانسواز دولا موذ فنلون (François De La Mother Fénélon) . كان بوسيه الذي يكبر فنلون بأربعة وعشرين عاماً خطيباً وأسقفاً ذا قالب تقليدي ورجلاً مستقيماً وذكياً ونشيطاً بشكل لا يصدق. ورغم أن معظم الأفكار التي نافح عنها سرعان ما دحضدت الا انه أبداً ممتع بما قدم ، فقد كان مباشراً ، قوياً، وقادراً في كل وقت على تحميل لغته الجمال الدائم . وقد سميت خطبه الجنائزية مثل تلك التي القاها بمناسبة وفاة الملكة هنرتا ماريا (Henrietta Maria) عام ١٦٦٩ - بغير حق - تحفاً مزيفة. كما استعاد للكنيسة ما كان يتميز به سابقاً السياسيون والمحامون، وهو القدرة على التعبير بلغة نبيلة عن تأبين الموتى . اما محاولاته انجاز خطة تاريخ عالمي في كتابه، «محاضرات في التاريخ العالمي» (Discours sur l'histoire Universelle) او لدحض البروتستانت والمهادنين فتكشف عن أضعف جزء من مؤلفاته ، فقد كان شديد الالتصاق بوجهة النظر الارثوذكسية المستقيمة لدرجة ذم فيها كل فكر مستقل، بل عرف الهرطقي بانه كل من يحمل رأياً. الا ان توضيحه للدين لم يبزه فيها أحد.

وبالمقارنة استطاع فنلون (Fénélon) نقيض بوسيه (Boussuet) مزاجياً، أن يرى طرفي النقاش، وأن يقنع كلاً منهما بأنه من رأيه (وقد ضمنا عمله وعمل غيره من رجال الكنيسة في نهاية القرن السابع عشر تحت بحث «الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر» كممثل لفترة من الانتقال.

النساء في عالم الأدب :

كان نجاح النساء في عالم الأدب كمشجعات على نقاشه وككاتبات مع انهن استعملن اسماء مستعارة احدى علائم هذه الفترة . ولم تنشر اكبر كاتبة في هذا العصر وهي المركيزة دوسفينيه (Marquise De Sévigné) اياً من مؤلفاتها الا ان رسائلها « لابنتها » (Lettres) في بروفنس جعلت منها احد الأسماء الكبرى في الثقافة الفرنسية، وقد تكشفت عن ذكاء وفكاهة وخيال ومزاج خاص وحسن نقاش ، شأنها في ذلك شأن ملاحظات باسكال - بانطلاق وحرية كان من الممكن ان

تختفي لو كان نشرها مقصوداً ، كما صورت لنا جوانب عن عصرها لا يستطيع أي دليل وثائقي دقيق أن يلقي عليها ضوءاً مشابهاً .

وكانت صديقتها مدام لافاييت (Mme De La Fayette) ـ وهي فنانة اكثر عناية وتحديداً ـ مؤلفة لتحفة واحدة هي رواية «اميرة كليف» (La Princesse de Clèves) (١٦٧٨) التي تعادل بتأثيرها أية مأساة كتبها راسين في سيكولوجيتها وعاطفتها المكبوحة الجماح.

هجاء لابروبير :

يعبر جان دو لا بروبير (Jean De La Bruyère) شخصية فريدة في تاريخ الأدب . ومع ذلك فقد كتب حسب التقليد الشعبي للأدب الاخلاقي النقدي ، وكان مسؤ ولا بشكل رئيسي عن ان معاصريه طواهم النسيان لأن صوره عنهم هي اكثر حيوية من أصولها. وقد ستر تأملاته باديء الأمر خلف ترجمة لشخصيات ثيوفراستوس (The Ophrastus) (١٦٨٨)، الا ان ما رصد قلمه لتصويره بلغ درجة من النجاح وسع معها كتابه كثيراً في الطبعات اللاحقة وقد عممت كتيبات استخدمت مفاتيح لشخصياته تدعي انها تحدد الأشخاص الذين عنتهم القطع الهجائية.

لم يحز كتاب «الطبائع» (Les Caractères) اعجاب جوستاف فلوبير(Gustave Flaubert) والكونكوريين (Concourts) بسبب تصويره الساخر بل كان مديحهما مقصوراً على اسلوب لابروبير. واتخذت صورة اللاذعة ـ عن لا أخلاقية الطبقة الفرنسية العليا ، واثر المال والطراز والغرور الانساني، والتسلق على السلم الاجتماعي اشكالاً عديدة بدءاً من الحكمة وانتهاءًا بالقصة القصيرة البدائية.

كان لابروبير أصغر الأعضاء سناً في مجموعة من الكتّاب يصعب وصفهم على الرغم من الأبحاث الحديثة التي اجريت عليهم. وقد تُركت جانباً الفكرة القديمة عنهم بانهم يمثلون بقيادة بوالو (Boileau) الأفكار الديكارتية (نسبة الى ديكارت)، فيمايتعلق بالأدب، كما تخلى النقّاد ايضاً عما كان يسمى «بانحطاط عصر لويس الرابع عشر». وعندما كبر الملك اصبحت الأوقات اكثر عسراً، وهكذا اعطى المجتمع

وبالتالي الأدب انطباعاً بالانحطاط. الا ان هذا الوضع لا ينطبق على مجالات مماثلة مثل الدراسة العلمية والأفكار والعلم والجدل. فقد كان قراء فونتنيل(Fontenelle) وبيير بيل (Pierre Bayle) على درجة من العلم والذكاء تماثل قرّاء كورنيل وباسكال. وقد يبدو ان النشاط الفني الذي يتصف به منتصف القرن قد تراجع، لكن هذا لا يعني اكثر من غياب واحد او اثنين من الفنانين العظام . الا أن دوق سينت سيمون (Duc De Saint Simon) استمر في الكتابة . وبفضل السرية التي ألّف فيها مذكراته نستطيع الآن ان نقرأ صفحات لا تجارى من القوة والحيوية.

دعاة القديم ودعاة الحديث :

احتدم النقاش بين اولئك الذين قالوا بأن الكتب الكلاسيكية وحدها التي يجب ان تكون مثالاً يحتذى، وبين الذين تحدوا تفوق الكتّاب الكلاسيكيين ، واولوا مواضيع مستقاة من الرومانس والاساطير والكتاب المقدس جانباً رئيسياً من نواحي الأدب الفرنسي خلال القرن السابع عشر بدءاً من حوالي عام **١٦٥٩** .

ومن الكتّاب الرئيسيين للعصر نرى ان لافونتين ولابروبير دعما بوالو ، وبالمقابل نجد ان فونتينل ساند شارل بيرولت (Charle Perault) وكانت النتيجة الحتمية ان خفّ الجدل وضعف ، مع ان ذلك لم يحدث قبل اعتذار بوالو لبيرولت عام ١٧٠٠ ، واعترافه أن فضائل القرن السابع عشر ليست دون فضائل الأقدمين. وأحست انكلترا بهذا النزاع وتأثرت به ، ولا سيما في مؤلف لجوناثان سويفت (Jonathan Swift) عنوانه «معركة الكتب» عام ١٧٠٤ .

الادب البر وفنسالي :

تطورت في كاسكونيا (Gaskony) مدرسة كاملة تتبع اسلوب بيه دو كاروس (Pey de Garros) أبرز ممثليها غليوم ادر (Guillaume Ader) الذي نظم قصيدة رائعة يمدح بها هنري الرابع عنوانها: «سيد كاسكون» (Lou Gentilome Gasscoun) عام (١٦١٠)، لكن اشهر شعراء الجنوب آنئذ كان بلا شك بيير جودلين اوف طولوز (Pierre Goudelin of Toulouse) ويطلق عليه اسم «ملهارب اوك»(Malherb of Oc)

، وهو لو قدر له ان يكتب بالفرنسية لأحتل مكانة مع افضل شعراء الفترة. اما نيكولا سابو ل ي(Nicolas Saboly) فبرزت في كتابه الصيغة الأدبية المعروفة باسم نول (Noël).

ومن كتّاب القرن السابع عشر البروفنساليين الجديرين بالذكر الكاتب المسرحي كلود بروي (Claude Bruyes) المشهور بهزلياته، وكاسبر زربين (Gaspar Zerbin). اما المحامي بونيه (Bonnet) ـ مؤلف افضل المسرحيات التي كانت تمثل سنوياً في الهواء الطلق في بيزيير (Beziers) يوم عيد الصعود بعنوان محاكمة «باريز» (Jugement de Paris). ونيكولا فيز (Nicolas Fizes) من فرونتكنان (Frontignan) ـ مؤلف المسرحية الهزلية من نوع «فودفيل»)للهصهيقرخمق(المسماة اوبرا فرنتكنان (Opera de Frontignan) (١٦٧٩) ـ فيكشف كلاهما عن مواهب ادبية حقيقية.

وهناك عدد من الشعراء الطولوزيين الذين يمكن ان يطلق عليهم اسم اتباع كودلين (Goudelin)، كما تُعزى النهضة الكلاسيكية التي تشاهد في هذه الفترة الى تأثير كودلين بشكل عام. وأبرز ممثل لهذه الحركة هو جان دوفالين اوف مونتك (Jean de Vales of Montech) الذي ترجم وكتب هزلية نقدية رائعة من نوع «البرلسك» (Burlesque) حول شخصية للشاعر الروماني فيرجيل. اما افضل الشعراء الرعويين فكان فرانسوا دوكورتيت اوف براد (Frrançois de Cortete of Parade) الذي كتب هزليته رامونيه (Ramounet) وميرامونـدو (Miramoundo) (نشرت عام ١٦٨٤)، بشعور صادق وبأسلوب صاف يجعل قراءتها مفعمة بالمتعة والسرور.

الادب الوالوني (Wallon)

في بدء القرن السابع عشر ادركت، والونيا وبخاصة اقليم لييج (Liège) للامكانات الأدبية للهجتها. ومنذئذ ازداد عدد الكتابات، وظهرت القصيدة الغنائية من نوع «الأود» بلهجة لييج عام ١٦٢٠، كما شاعت قصائد سميت «باسكي» (Pasqueyes) تصف الحياة والتاريخ المحليين.

الفَصْل الخَامِس

الأدَب الألماني في القرن السّابع عَشر

كان الأدب الألماني في القرن السابع عشر المشهور باسم الأدب الباروكي نتاج العصر والوضع الاجتماعي في ألمانيا . اتصفت خلفية هذا الأدب في أوائل القرن السابع عشر بالنزاع الديني المتعصب الذي تخلّله حرقٌ للساحرات، وبعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي ، كما هيمنت عليه حروب الثلاثين عاماً بظلالها التي رانت على حياة المجتمع . وتميز الوضع السياسي داخلياً بالديكتاتورية والحكم المطلق ، وحاول كل حاكم أن يقلد بلاط لويس الرابع عشر في فرساي وينافسه . بينما كان ابطال حركة الاصلاح الديني يكافحون ضد المنافحين عن الحركة المضادة للاصلاح . وتوضعت الاكتشافات العلمية الجديدة في تجمع خيّم عليه اثر لوثر وميكافلي وبترارك وشخصيات عصر النهضة من القرن السابق .

وهناك جملة من الأسباب تجعلنا نستحسن الأدب الباروكي ، منها ذلك التشابه في الوضع بين القرن العشرين والقرن السابع عشر ، ورفض العصر الحديث لمفهوم أهمية العناصر الاعترافية الذاتية في الأدب (هذه العناصر التي خلّفها الكاتب الألماني العظيم غوتيه من القرن الثامن عشر) . وسيطر على الأدب الباروكي كتاب وجّهتهم أحاسيس المناسبة اكثر مما حركتهم قيمة التجربة ، فلم يعبّروا عن انفسهم ذاتياً ، بل استخدموا وسطاً تقليدياً في اخيلته وأشكاله الرسمية . وعملت على رفع التوتر العاطفي للمواضيع . وهذه المواضيع استقت من الأدب الأوروبي لتلك الفترة سواء التي ظهرت في القصيدة الغنائية والملحمة والمسرحية ، مثل القدر المتقلب الذي يحكم عالماً تسيره الصدف ، والمتع الدنيوية ما هي إلا أوهام ، وواجب الانسان هو أن يلعب دوره على مسرح الحياة . وقد عرض الأدب الباروكي هذه المواضيع كأمثلة يتوسلها الانسان كي يهرب من متاعب القدر ، ويخادع

الزمن : فالهشيد يحتقر العالم ، ويطمح الى الخلود ، والسياسي يستعمل الحاضر لمآربه الشخصية ، والرواقي يتحمل بثبات ، والراهب يلوذ بالهرب ، بينما تهرب الشخصيات الرعوية الى عالم زائف ، ويسعى الناسك الى الاتحاد مع الله . أما الكتاب أنفسهم فقد ضمنوا خلوداً نسبياً عن طريق مؤلفاتهم .

الشعر الغنائي :

بلغ الشعراء الغنائيون بسرعة مستوى رفيعاً ، وبشكل خاص في المناطق التي تجمعوا فيها مثل هايدلبرغ (Heidelberg) ونورنبرغ (Nürnberg) وكونكسبرغ (Königsberg) وفي سيليسيا (Silesia) وفي المؤلفات النقدية مثل « كتاب عن الشعر الألماني » (Buch Von Der Deutschen Poetrey) أظهر مارتن أوبتز (Martin Opitz) أصالة في الأسلوب ووضع القوانين ، مثل التقيد بالنبرة في الأبيات ، وقدم ارشادات واقتراحات اخرى طبقها هو في شعره . وسرعان ما تبنى معاصروه افكاره ، وهكذا كان ذا تأثير تكويني هام على شعراء أتوا بعده ، وفاقوه مثل جورج وكرلين (George Wekherlin) ، وبول فلمنغ (Paul Flemig) .

وتنوع الشعر الباروكي أمر يبعث على الدهشة ، خاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار التشابه الأساسي لكثير من مواضيعه . فقصائد بول فلمنغ الغنائية من نوع « السونت » تكشف عن عمق عاطفي ، وطاقته غنائية . وكان اندرياس كريفيوس (Andreas Gryphius) متديناً متشائماً في نفس الوقت ، بينما اتصفت بالمهارة الشكلية مؤلفات الشاعر والروائي الوطني فيليب فون زيسن (Philip Von Zesen) . وغزارة المفردات في شعر الطبيعة ليوهان كلاج (Johann Klaj) كانت الحافز للتجارب المقرونة عادة بعفوية خلاّقة . والشعراء الباروكيون ألبسوا شعرهم أقنعة ؛ فقد عبّر كريفيوس (Cryphius) بفخامة عن المشاكل الوجودية لعصره ، وكان كرستيان فون هافمان سوالدو (Christian Von Hoffman Swaldau) ذوّاقة شكلاً ، نارياً في عقلانيته ، أو مخلصاً باتزان ، وذلك حسب موضوعه . وفي عصر اهتم بالقيم الجوهرية نظم الشعراء قصائد علمانية وأخرى دينية اتصف كل منها بالتنويع . أما الشاعر الكبير بول جرهارت (Paul Gerhardt) اللوثري فقد نظم

ترانيم دينية ذات بساطة هادئة ودفء . كما كتب الشاعر اليسوعي فردريخ فون سبي (Fridrich Von Spee) قصائد غنائية رعوية دينية ، وكان كورنيوس كوعلمان (Quirinus Kuhlmann) شاعراً صوفياً غنياً بالرؤ ى والصتروات .

ووجد المزاج العقلاني للعصر تعبيره الرائع في الشعر الحكمي الذي طوره دانيال شبكو (Daniel Czepko) وانجيلوس سيليسيوس (Angelus Silesus) وفرادريخ فون لوغو (Fridrick Von Logou) ليصبح فناً بديعاً. وقد ضاهى تنوع الشعر الباروكي الغنائي وفرته . والغريب في الأمر هو انه استطاع الحفاظ على مستواه الرفيع .

المسرحية :

كانت المسرحية التي كتبت بالعافية الدارجة في النصف الأول من القرن غير خلاَّقة . وقدم هنريج جوليوس (Heinrich Julius) دوق برنزويك مسرحيات تعكس أثر الممثلين الانكليز ، وهكذا يتكشف لنا مدى ضعف وتأخر اللغة الدارجة عن العطاء المسرحي . وبعد ذلك وبقدوم دانيال كاسبر فون لوهنشتاين Daniel) Caspar Von Lohenstein) ضم التعبير عن انقسام بين الشعور الفياض وحدّة الادراك العقلاني بأسلوب منمق ، كما كان هناك كاتبان مسرحيان بارزين هما جيكوب بيدرمان (Jakob Bidderman) وكريفيوس . وكان أولهما يسوعياً ناجحاً عالج مواضيع إستقرارية الحياة والغرور الدنيوي وضرورة الخلاص بتأثير درامي عظيم . اما آسي وهزليات كريفيوس فعالجت المذهب الرواقي (Stoicism) والاستقامة الشخصية . وكان عمله أدبياً أكثر منه شعبياً ، لذا لم يكن له سوى أثر ضئيل دائم بالرغم من مزاياه الفنية . كما أرست فيما بعد مسرحيات التنكر (ماسك) والباليه والأوبرا - التي كانت في ازدياد مستمر أسس المسرحية الألمانية المتأخرة والمختلفة تماماً .

الرواية :

تأثر تطور الرواية الألمانية الى حد كبير بالمصادر الاسبانية والفرنسية واللاتينية الجديدة . وقد تبع ترجمة ماتيو ايلمان (Mateo Aleman) لرواية كوزمان دو الفراش

(Guaman De Alfarache) عام ١٦١٥ حشد من الترجمات الأجنبية . وكانت بأغلبها ضخمة موسعة تتصف بالأطناب ، وتتألف من مزيج من العناصر التعليمية والأخلاقية والخيال الواسع والتسلية ، كل ذلك ارضاءً لحب المعرفة الذي اتصف به العصر . الا انه برز كاتبان هما جوهان بير (Johann Beer) (١٦٥٥ - ١٧٠٠ الذي بشر بواقعية القرن الثامن عشر وهـ - ج - س . فون كرملزهاوزن (H. J. Von Grimmelshauzen) الذي كانت روايته سمبلسمون المغامر (Abenthverliche Simplicissimus) (١٦٦٨ - ٦٩) والتي ترجمت الى الانكليزية عام (١٩١٢) احدى شوامخ الأدب الالماني اذ مزجت المواضيع الرئيسية للعصر ، بالعمق الميتافيزيقي ، والبصيرة الدينية .

الفلسفة والنقد :

برز المتصوف السيليسي جاكوب بوم (Jacob Bohme) كفيلسوف أصيل ومؤثر ، ألهمت مبادؤه عدة حركات دينية انفصالية . ولخصت منجزات ج . و. ليبنز (G. W. Leibniz) الفلسفية العصر ، وأشارت في اتجاه القرن الثامن عشر عندما رفضت الباروكية الى أن أعيد اكتشافها في القرن العشرين .

الفَصْل السَّادس

الأدَب الهولندي في القرن السابع عَشر

أدت سيطرة الاسبان على الجنوب الكاثوليكي في الأراضي المنخفضة خلال حرب الثمانين عاماً وبعدها (١٥٦٨ - ١٦٤٨) الى انحطاطٍ في برابانت والفلاندرز (Brabant and Flanders) . وبالمقارنة حدث توسع كبير في هولندا التي لجأ إليها الفنانون والمفكرون والممولون خوفاً من الجيوش الاسبانية . يدل بروز اسمتردام ولاهاي (The Hague) كعاصمتين ناشئتين للأمبراطورية ، ونشوء كبرياء مديني لدى كتّاب العصر الذهبي على انتهاء العصر الوسيط الذي أعطى الأهمية لمدن غنت (Ghent) وبروغ (Bruges) وليبج (Liege) وانتورب (Antwerp) .

كان هنريك لورنزون شبيغل (Henric Laurenszoon Spiegel) اعظم كاتب في جيل جمع بين الماضي والحاضر . توجه بنتاجه القلمي للمواطن والعالم ، كما كانت مجموعتاه « أغاني العالم الجديد » (Nieu Jaar Liedekens) و « أغاني حول صلاة الإله » (Songs on the Lord's Prayer) استمراراً لتقليد وسيطي في أسلوب عصر النهضة ، لا بل كانت صدى الاعتدال الذي نادى به إرازموس (Erasmus) . وقصد - بنفس الوقت - من كتابه الزاخر بالمعرفة « حوار حول الأدب الهولندي » (Twe - Spraak Vande Nederduitsche) ١٥٨٤ الى تعميم استعمال اللغة القومية . اما اكثر كتبه علماً « مرآة العقل » (Hert - Spighel) ١٦١٤ الذي لم يكمله فهو مغرور في الغموض لأنه كان محاولة أولى لكتابه الفلسفة شعراً وباللغة الدارجة .

كان الانقسام الكامن في طبيعة عصر النهضة بين الأحياء الديني الشعبي ، وبين الانسانية واضحاً بشكل خاص في هولندا لعدم توافق المبادىء الكلفينية والمثل العليا للماضي الوثني . ادى هذا الوضع الى وجود غموض ناجم عن تعادل

الضدين ، الدين والفن ، بشكل جدي في قرارة نفوس عدد كبير من كتاب القرن السابع عشر .

ففيما كتب دانيال هينسيوس (Daniel Heinsius) وهو إنساني مشهور في جامعة ليدن مسرحيات باللاتينية ، أضاف اليها مسرحيات بالعامية مثل « ترنيمة في مدح باخوس » (Hummus Oft Lof - Sanck Van Bacchus) ١٦١٤ وترنيمة اخرى ورعة « في مدح المسيح » ١٦١٥ . (Lof - Sanck Van Jesus Christus) وأخذ الشاعر والكاتب المسرحي والرسام جربراند ادريانزون بريديرو(Gerbrand Adriaenszo - Predero) مادته ، من حياة المواطن العادي ، لكن وسط ، كان في الأغنية الشعبية أو الملهاة المهزلية أو الملهاة العادية . وتكشف أغانيه العلمانية - التي دبجها بأسلوب وسيطي - وأغانيه الدينية - التي أرسلها حسب تقاليد شعر عصر النهضة - عن ولاء عاطفي نحو النساء ، ورغبة متناهية في الاعتدال الديني . إلاّ ان مسرحياته المأساوية - الهزلية الثلاث لم تكن ناجحة ، كما كتب ثلاث هزليات تمثل اوج ما وصل اليه هذا النوع من الأدب الوسيطي . الا ان الحياة المعاصرة في امستردام هي التي زودته بمادة ملهاتية الاثنين ، بما فيها رائعته المسماة دوسبانكن برابندر (De Spaanshen Brabander) قدمت على المسرح ١٦١٧ .

كانت امستردام موطن الشاعر والكاتب المسرحي جوست فان دن فوندل (Joost F Van Den Vondel) أيضاً . وهو رجل ثقّف نفسه بنفسه شأنه في ذلك شأن بريديرو (Bredero) ولم يتوصل الى حل للنزاع بين الاتجاهات الدينية والفنية في قرارته الا عندما دخل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في سن تناهز ٥٤ عاماً . تطلب عمله هذا جرأة عقائدية بوقت كان فيه الكاثوليك اقلية لا شعبية لها . ومما له دلالته بالنسبة لشخصية فوندل (Vondel) الجريئة ان موقفه تجاه معاصريه والحوادث المعاصرة التي أرّخ لها بجرأة ما زالت سائدة حتى عندما سجّل التاريخ وجهة نظر مختلفة . لكن مسرحياته متزمتة اكثر مما يقبله الذوق الحديث ، رغم كونه فناناً عظيماً من فناني الاصلاح الديني المعاكس شأنه شأن معاصره الفلمنكي الرسام روبنز (Rubens) كما توضح مسرحية جبتا (Jeptha) ١٦٥٩ التي سار فيها على نهج سوفوكليس ، وروائعه الباروكية لوسيفر (Lucifer) عام ١٦٥٤ ، وآدم في بلنغز

تشاب (١٦٦٤) وآدم في المنفى(Adam In Exile) - (Adam In Balling Schap) (ترجمت الى الانكليزية عام ١٩٥٢ .

إذا كان بيدرو هو العامي النبيل ، وفوندل هو المواطن النبيل ، فمن المؤكد ان بيتر كورنيلزون هوفت (Pieter Corneliszoon Hooft) هو الارستقراطي النبيل . لقد كان واحداً من القلة المحظوظة في هولندا ، نقل رقة تهذيب الفن الجديد وسموه مباشرة من ايطاليا . وقد وشّى قصائده الغنائية من نوع « السونت » (Sonnet) بالزخرف والبهرجة الايطالية ، كما فعل ذلك في مسرحياته ونثره المتكلف في رساله ، وفي كتاب عتيد عن تاريخ الحرب ضد اسبانيا لم يكمله .

كانت قلعته في مويدن (Muyden) مركزاً لتسلية الفنانين والعلماء الذين جذبهم اهتمام متبادل بالشعر والموسيقى والمعرفة، كما جذبهم سحر نساء شابات موهوبات امثال بنات رومر فيشر(Roemer Visscher) .

عممت آنّا فيتشر (Anna Visscher) الاخلاقيات في شعرها، كما فعل والدها في نثره، وذلك حسب الطريقة التي كان لها ان تكسب جيكوب كاتس(Jacob Cuts) شهرة لا يستحقها. فرضت دروس كاتس الاخلاقية وشعره من نوع «الدوغرل» (Doggerel) المبتذل وطابعه المتعالي ـ نفسها على أدب بلاده بسبب الأثر السيء الذي خلفه في ذوق الطبقات المتوسطة.

تحلى كونستنتين هيوجينز (Constantijn Hugens) وهو اكثر انسجاماً من سابقه بكل السجايا التي كان الهولندي انئذ يود ان يتحلى بها. كان ذا مبادىء كلفينية متزمتة ، كما كان سياسياً كفوءاً. نظم شعراً لاذعاً وذكياً وفكهاً، كما ترجم شعر جون دون بشكل ممتاز.

كان هناك كذلك خمسة شعراء ، ثلاثة منهم اكليريكيون ساهموا بشعر ديني ذي فضائل جمة. اذ احتوت مجموعة جون ستالبرت فان درويل(Jaannes Staelpart van Der Wiele) «كنز المديح التعبدي» ١٦٣٤ على اغان تتصف بالتقوى والبساطة الوسيطية.

وكان جاكوبوس ريفيوس (Jacobus Revius) الشاعر المتزمت ذو العقيدة

الكلفينية استاذاً في الأشكال الادبية لعصر انلهضة، وبخاصة القصيدة الفنائية من نوع «السونت» متوسلاً اياها للتعبير عن القوة والاخلاص، تمشياً وعقائده الثابتة. ومن سخرية القدر ان جاكوبوس ريفيوس الذي كان يعلم العقيدة للكثيرين بلغة يفهمونها، لم تقرأ مؤلفاته تقريباً، بينما لبّى ديرك رافالز (Dirk Rafaelsz) الذي عزل من ابرشيته بسبب عدم اتباعه التعاليم الصحيحة - الرغبة الشعبية في الشعر الشخصي التعبدي في مجموعته (قصائد تعليمية) (Stichtelycke Ymen) ١٦٢٤. وكانت المجموعات الشعرية للشعر الصوفي التأملي التي نظم عقدها المتصوف جان لويكن (Jan Lyken) ذات شعبية مماثلة، ولو يكن هذا كان علمانياً افتتح حياته الأدبية بكتابة اغان عن اللذة في مجموعته «القيثارة الهولندية» التي ضمت قصائد غنائية بديعة في الحب. اما آخر شاعر ومسرحي هام من الفترة الباروكية فهو شخص فلمنكي اسمه ميشيل دو سوان (Michiel De Swen) تفوق بشعره ذي الالهام الديني على الكثيرين من شعراء عصره. وعلى كلٍ وبشكل عام أصبح الانحطاط الذي بدأ في الجنوب السمة البارزة لسائر أنواع الادب الهولندي في القرن السابع عشر.

الفَصْل السَّابع

الأدب الايطالي في القرن السابع عَشر

يوصف القرن السابع عشر في الأدب الايطالي عادة بأنه فترة انحطاط لجأ فيها الكتّاب الذين خلوا من كل عاطفة الى المبالغة، وحاولوا ان يلبسوا كتاباتهم التي تفتقر كلياً الى المادة شكلاً مفرطاً من البهرجة. ويقال بأن حرية الفكر قيدتها اكاديمية دلاّ كروسكا في فلورنسة (Accademia Della Crusca of Florence) (التي كان هدفها الحفاظ على نقاء اللغة التوسكانية)، كما قيدها الاصلاح الديني المعاكس، وسيطرة اسبانيا السياسية. ولم تكن هذه الأوضاع سوى مجرد ظاهرة ايطالية. اذ ازدهرت آنذاك الحركة المسماة الكلونكورية (Glongorism) (نسبة الى اسلوب لويس دو كلونكورا) (Luis de Glondora) المليء بالصور الخيالية الحذقة) في اسبانيا، كما ازدهرت الحركة الميتافيزيقية للشعر في انكلترا التي تميزت بالشعر المجازي ذي الفكاهة النقدية.

كانت هذه الفترة حيوية جداً، وابعد ما تكون عن الانحطاط لدرجة قادت الى فهم جديد اكثر شمولاً للأدب الباروكي الايطالي صاغه العلماء المطلعون على الموقف المتغير بالنسبة لهذه الحقبة الحضارية في المانيا وفرنسا وانكلترا.

الشعر والنثر :

تمتع النقد والهجاء بشعبية نتيجة رد فعل ضد الأوضاع السائدة . ومن ابرز من كتب في هذا المجال سلفاتور روزا (Salvator Rosa) الذي هاجم عيوب عصره ورذائله. كما اشتهر اليساندرو تاسوني (Alessandro Tasoni) بقصيدته «اغتصاب السطل» (La Secchia Rapita) (١٦٢٢)، وهي من النوع الساخر، لما هو بطولي،

وتتميز بكونها ملحمة وهجاء شخصي في آن واحد . أما اعظم شاعر في هذه الفترة فهو توماسو كابانيلا (Tommaso Campanella) الراهب الدومينيكاني الذي لم تشتهر قصائده الفلسفية الخشنة بقدر شهرة القصيدة المسماة «مدينة الشمس» (١٦١٢) (Citta Del Sole) وهي صورة خيالية لمدينة مثالية سياسية ، دافع فيها عن اتحاد الانسانية في ظل حكومة دينية تستند الى الدين الطبيعي. كان جيامباتيستا مارينو (Giambattista Marino) - مؤلف مجموعة كبيرة من الشعر الغنائي عنوانها «القيثارة» (La Lira) (١٦٠٨ - ١٤) و«المصغار» (La Sampogna) ١٦٢٠ وقصيدة اسطورية طويلة عنوانها «ادون» ١٦٢٣ (Adone) مثال الكتابة الايطالية خلال الفترة.

استقى مارينو الالهام من شعر اواخر القرن السادس عشر لكن هدفه - وهو هدف تميز به العصر - كان اثارة الدهشة عن طريق التجديد. يتميز عمله بالصور الخيالية المفاجئة ذات المهارة الغريبة ، والمجاز البعيد ، والشهوانية ، والسهولة القصوى والمهارة الفنية الرفيعة . كان عدد مقلديه كبيراً ، كما تأثر به معظم الشعراء الايطاليين في القرن السابع عشر .

نجح جابيريللو شيابريرا (Gabriello Chiabrera) - الأكثر اتزاناً في اسلوبه من مارينو - في تقليد بحور الشعر الكلاسيكي (وخاصة الشاعر اليوناني بندار) كما تفوق في نظم القصائد الغنائية القصيرة المسماة كانزونيتا (Canzonetta) وفي حوالي نهاية القرن رحب الناس بشاعرين اعتبروهما رئيسيين ، وهما ناظم القصائد الغنائية من نوع «السونت» فنسينزو دا فيليسايا (Vincenzo Da Filicaia) أاليساندرو غيدي (Alessadro Guidi) الذي كتب قصائد غنائية رفيعة من نوع «الأود» مع ان شعر غيدي لا يعتبر الآن اكثر من كلمات رنانة.

برز من كتّاب النثر الكاتب الهجائي ترايانوا بوكاليني (Traiano Boccalini) بكتابه «اعلانات من راناسوس» (Ragguagli di Parnaso) عام ١٦٦٥ في النضال ضد السيطرة الاسبانية. كما كتب باولو سربي (Paolo Sarpi) تأريخاً لمجلس ترنت (الذي حدد المبادىء الكاثوليكية في ردة فعلها ضد الاصلاح الديني) ودافع عن حرية دولة البندقية ضد التدخل البابوي. اما معاصره كيدو بنتفوغليو (Guido Bentivoglio)

فقد كَتب تاريخاً دافع فيه عن ثورة الأراضي المنخفضة ضد اسبانيا. وما زالت روايات جيرو لاموبر زوني (Girolamo Brusoni) عن البندقية ذات أهمية، شأنها شأن رحلات بيترو ديلاّ فال (Pietro Della Valle) وقصص جيامباتيستا باسيل (Giambattista Basile) . وبلغت الطاقة المضطربة لهذا العصر ذروتها في مؤلفات غاليلو (Galiieo) هو عالم ارسى دعائم الفلسفة الرياضية وحصل على مركز بارز في تاريخ الأدب الايطالي بقوة نثره ووضوحه.

المسرحية الموسيقية الأكاديميادل اركاديا

The Music Drama; Accademia Dell, Arcadia)

عمل المؤلفون الايطاليون بشكل متزايد في الكتابة للمسرح الغنائي بعد نشوء المسرحية الموسيقية والأوبرا. وقد خططت نصوص الأوبرا التي كتبها شعراء مثل اوتافيو رينوشيني (Ottavio Rinuccini) بمهارة درامية وموسيقية. وخلال القرن السابع عشر تحلت مسارح الأوبرا بروح شعبية، اذ رغب الناس في قطع موسيقية او درامية خفيفة بقصد التسلية (اسمها الايطالي انرمزّي) (Intermezzi) تعرض بين فصول المسرحية الرئيسية مما ادى الى اضعاف الوحدة الدرامية للعرض ككل. وفي حوالي نهاية القرن لم يبق أي اثر للتقاليد المسرحية المعمول بها. شعر الكثير من الناس بان انتشار تأثير مارينو كان ضاراً. ولذا أسست، الاكاديميا دل اركاديا (Accademia Dell Arcadia) في روما عام ١٦٩٠ بقصد التخلص من آثار الذوق السيء». وكان هدف الاركاديا هذا متلائماً مع حاجة أساسية شعر بها الجميع. اذ كان الكثيرون من اعضائها اتباعاً عقلانيين لديكارت وذوي ميول كلاسيكية، الا ان رد الفعل عندهم تكوّن بشكل رئيسي من تقليد بساطة عرائس الطبيعة والرعيان الذين يفترض انهم عاشوا في العصر الذهبي. وهكذا حل اسلوب مصطنع جديد محل آخر قديم: لقد حلّت السفسطة القصوى والهروب من الواقع محل القعقعة الشعرية الفارغة. من انصار القصيد، الغنائية الأركادية الذين يمثلونها خير تمثيل جيوفان ماريو كرسمبيني (Giovan Mario Crescimbeini) وهو عضو مؤسس للاركاديا، وفوستينا (Faustina) وجيان باتيستا زابي (Giambattista Zappi) وباولو رولِّي (Paolo Rolli) وبيترو ميتاستاسيو (Pietro Metastasio) الذي ساهم في اصلاح الاوبرا من نوع ليبريتو في القرن الثامن عشر.

الفَصْل الثّامِن

الأدَب الاسباني في القرن السابع عَشر

كانت احدى ميزات النثر والشعر في اوائل القرن السابع عشر ظهور وانتشار حركتين اسلوبيتين مترابطتين. اذ أعادت الحركة المعروفة باسم كلترانسسمو (Culteranismo) الداعية الى اسلوب طنان ـ والتي اسسها لويس دو كونكورا اي ارغوت (Luis de Congora Y Argote) محاولاتها للرفع من شأن اللغة باعادة إحياء الصفة اللاتينية فيها. ولم يقتصر التطرف في هذه العملية على المفردات، وتركيب الجملة والكلمات، بل تعداها الى الباس التعبير حلة من الاسطورة الكلاسيكية، والتلميح الكلاسيكي، والى التعقيد الناجم عن كل ما امكن من الصور المجازية. كانت المحاولة ترمي الى كتابة شعر لو اكتشف بعد مئات السنين لظل جديداً وحيوياً عبر خلود صفاته اللاتينية. فضرب على ذلك مثلاً بمؤلفه «ساعات الوحدة» (Solitudes) ١٦١٣ الذي أدّى الى عدد من المؤلفات المقلدة غير الموهوبة. اما الحركة الاسلوبية الاخرى المسماة «كونسبتسمو» (Culteranismo) باللغة. كان الأسلوب هنا يهدف دوماً الى ما يبدو وكأنه فكر عميق؛ لذا كان مختصراً ومركزاً، وبالتالي ذا صلة بالنثر، وخاصة الهجاء منه، نظراً لاهتمامه البالغ بتعرية الحقيقة عن المظاهر. وكان افضل منطلق له هو المقال. ويعتبر فرانسسكو كوميز دي كويفيدو اي فيليغاس (Francisco Gomez de Quevedo Y villegas) اعظم هجاء في عصره، وأحد اساتذة الاسلوب اللغوي الاسبان، ومن ابرز دعاة هذا الاسلوب، خاصة في مؤلفه «احلام» (Suenos) ١٦٢٧. وقد وجد بلتاصر غراسيان اي موراليس (Baltasar Gracian Y Morales) خصائصها الرقيقة وأوجزها ليجعل منها دستوراً واضحاً في مؤلفه «مقال في الأسلوب» (Agudeza Y arte de Ingenio) كما حاول ايضاً ان يضع دستوراً لفن الحياة في سلسلة من المقالات. لا شك في ان غراسيان كان مفكراً،

وكانت روايته المجازية «المنتقد» (El Criticon) تفسيراً متشائماً للحياة على انها «موت يومي»، وقد اثرت على لاروشفوكولد (La Rochefoucauld) ، وشوبنهاور (Schopenhauer) ونيتشه (Nietzsche) .

عايش بيدرو كالديرون دو لا بركا (Pedro Calderon De La Barca) قرن انحطاط اسبانيا كما عرضت مسرحياته أنماطاً من السلوك او العقيدة. كتب ثمانين مسرحية مجازية من فصل واحد حول القربان المقدس (Autos. Sacramantales) . وقد جعلت منه هذه المسرحيات أفضل متحدث ادبي باسم الاصلاح الديني المضاد ـ بالاضافة الى مؤلفاته «الحياة حلم» (La Vida Es Sueno) ١٦٣٥ «والولاء للصليب» (La Devocion de La Cruz) حوالي ١٦٢٥ و«الساخر العجيب» (El Magico Prodioso) ١٦٣٧ التي اعطت كل توتر درامي ممكن لعرض فكر راق جداً للعقيدة الكاثوليكية. أما في مسرحياته التي يعالج بها موضوع الشرق مثل «طبيب عظمته» (El Medico de Su Honra) ١٦٣٥ ، والانتقام السري لاهانة سرية» (A Secreto Agravio, Secreta Venganza) ١٦٣٥ ، رسام خزيه بنفسه (El Pintor de Su Deshonra) حوالي ١٦٤٥ ، واعظم وحش الغيرة(El Mayor Monstruo Los Celos) فيصبح المنطق الجامد الذي يتابع به نقاش دستور من السلوك هو ابعد ما يكون عن الواقع مدعاة للنفور. ولربما كانت انجح مسرحياته «رئيس بلدية زلاميا»(El Alcalde Zalamea) حوالي ١٦٤٠ وهي اعادة صياغة لاحدى المسرحيات لوب دوفيغا (Lope de Vega) . اما مسرحية «الحياة حلم» فقد أثارت قضايا فلسفية عميقة، كما اضفت عليه شهرة كبيرة خارج اسبانيا. وبعد وفاة كالديرون توارت المسرحية الاسبانية لمدة مائة عام . وقد لعبت الحركتان في الاسلوب «كلترانسيمو» و«كونستبسمو» ـ رغم كونهما ادلة على اسباب الانحطاط ـ دورهما في خنق الادب الخيالي الذي لم يبق من عظمته السابقة ـ في نهاية القرن ـ سوى النزر اليسير.

الفصل التاسع

الأدب البرتغالي في القرن السابع عشر

وجد القرن السابع عشر البرتغال في حالة من الانحطاط الادبي والسياسي. كان التأثير الاسباني قد ادخل محاكم التفتيش الى البلاد، قبل ان تسلب اسبانيا من البرتغال استقلالها عام ١٨٥٠، ومع محاكم التفتيش دخلت الرقابة على الكتب، كما تم تحضير فهرس للكتب الممنوعة. وبين عامي ١٥٥٢ و ١٥٥٥ سيطر اليسوعيون على التعليم العالي. وكان الاعجاب باللاتينية الكلاسيكية الذي بلغ حد العبادة موجوداً بالفعل في اعمال كاميوس وغيره، وذلك قبل حدوث تأثير الشاعر الاسباني لويس دو كونكورا اي ارغوت. ولكن بعد ان تداعت الروح القومية عقب الانحطاط السياسي تغلغل اثر كونكورا ـ الى الأعماق.

يمكننا ان نرى مدى هذا التغلغل في المجلدات الخمسة الشعرية «العنقاء تولد من جديد» (Fenix Renasceda) (١٧١٦ ـ ١٧٢٨) التي تتضمن شعر القرن الماضي وتكشف عن التفاهات التي يمكن ان تكرس المواهب نفسها لها. وقد ظل هذا الاتجاه حيّاً الى ما بعد الاستقلال والتخلص من النير الاسباني عام ١٦٤٠، كما استمرت بالتواتر والظهور طبعات من اعمال كونكورا.

كانت الشخصية الأدبية الأولى لهذا العصر هي الموسوعي فرانسيسكو مانويل دوميلو (Francisco Manuel de Melo) الذي يعتبر مؤلفاً كلاسيكياً في الأدب الاسباني والبرتغالي وذلك في سلسلة من الحوادث التاريخية (Epanaforas De Varia Historia Portoguesa) yhl 0661ù ,rd o,hvhj fl,hœdy hfdn ,hpjlhydn (Apologos dialogais) . حاول مانويل ان يحرر نفسه من الخضوع للأسلوب الاسباني وشكله فاصاب بعض النجاح في اكثر من نجاحه في الشعر. ظل معظم الشعراء الغنائيين منغمسين في الكونكورية. كما استمر الشعراء الملحميون في نشاطهم، الا ان القليل

من انتاجهم يصلح لأن يسمى اكثر من عرض تاريخي مقفى. لم يصل فري برناردو دوبريتو (Frei Bernardo de Brito) الذي بدأ مؤلفه الضخم «مملكة لوزيتانيا» (Monarquia Lusitania) (جزءان ١٥٩٧، ١٦٠٩) بالخليقة وحتى تأسيس الملكية. ضم عمله مجموعة ضخمة من الأساطير بدون اساس او نقد ولكنه اثبت في مؤلفه كرونيكادي سيستر (Cronica de Cister) ١٦٠٢ ان له أسلوباً عظيماً. ثم قام فري انتونيو برانداو (Frei Antonio Brandao) وكان رجلاً ذكياً وعالماً ومؤرخاً وجدانياً باتمام «مملكة لوزيتانيا» من الفونصو هنريك (Alfonso Henriques) الى جون الثاني، فكان ـ بعمله هذا ـ افضل الأربعة الذين اكملوا هذا المؤلف. واشتهر فري لويس دوسوسا (Frei Luis De Sousa) ـ وهو مؤرخ رهباني آخر بأسلوبه المنمق في كتبه التاريخية. وهناك سيرة شهيرة تعتبر افضل ما كتب في الصعر من تأليف جاسنيتو فرير دو اندرادي (Jecinto Freire de Andrade) عنوانها « فيدا دودوم جوادو كاستر» ١٦٥١.

كما ان اليسوعي انطونيو فييرا ـ (Antonio Vieira) الدبلوماسي والمبشر والذي يعتبر لرسائله (Cartas) ومواعظه (Sermoes) واحداً من اعظم كتاب البرتغالية ـ وقد كرر النجاحات التي حققها في باهيا ولشبونة، في روما التي لقبته بأمير الخطباء الكاثوليك. وقد أثّر بادرمانيول برنارديس (Padre Manuel Bernardes) القس والراهب الذي أضفت اعماله الخطابية ومواعظه ـ مثل «الضوء والدفء» (Luz e Calor) و«الغابة الجديدة» (Nova Floresta) (١٧٠٦ ـ ٢٨) و«الرياضة الروحية» (Exercicios Espirituais) ١٦٨٦ ـ جواً من الهدوء والسكينة والطبيعة غريباً عن فييرا، فكان له تأثير قوي في تحرير اللغة من الصور البالية. وكان لترجمة بادر فريرا دوالميدا (Padre Ferreira de Almeida) للكتاب المقدس اهمية لغوية كبيرة.

اما المسرح الشعبي فاستمر في حياته المتواضعة بمسرحيات مجهولة المؤلفين لم تطبع بل وصلتنا بصيغة دينية بشكل رئيسي، وفيها ظهرت اساءات الاسلوب الكونغورستي من مجازوتشبيه. وقد كتب معظم المسرحيين الذين ارادوا ان تقرأ مؤلفاتهم بالاسبانية ـ كما فضل البلاط بعد عام ١٦٤٠ الاوبرا الايطالية والمسرحيات الفرنسية والاوبرتا الاسبانية. وكل هذا ادى الى انهيار المسرحية الوطنية والتمثيل المحلي.

الفَصْل العَاشِر

أدَب أمْريكة اللاّتينيّة في القرن السّابع عَشر

في حوالي عام ١٦٠٠ كان عهد الفتوحات قد انقضى، وبدأ العالم الجديد تطور اقل إثارة لمدة قرنين تحت الحكم الاسباني ـ البرتغالي. وقد أسست اول مطبعة في الامريكيتين في مدينة مكسيكو حوالي عام ١٥٣٩، ثم اسست اخرى في ليما عام ١٥٨٤، ومنحت المدينتان رخص بتأسيس جامعات عام ١٥٥١. اما في البرازيل فلم تؤسس اية جامعة او دار للطباعة حتى نهاية الحكم الاستعماري. ولكن كرّست طبقة كانت تتمتع بوقت فراغ في كل مكان في الامريكيتين اكثر فأكثر من وقتها لمتابعة هواياتها الفكرية والفنية، كما شجعت الروابط الوثيقة مع البلاد المستعمرة تطور انماط ادبية مماثلة، واصبحت الحياة في المستعمرات انعكاساً لاتجاهات شرقي الاطلسي، لذا لم يكتب اي شيء ذو اصالة لمدة قرنين.

استعمل المسرح الذي نشأ من الأشكال الوسيطية في وقت عهد الفتوحات خلال القرن السادس عشر كوسيلة تبشيرية في اللغات الهندية لتنصير السكان الأصليين. اما المسرحيات التي قدمت للمواليد البيض والهجين، فكانت بشكل رئيسي اسبانية او برتغالية، وحتى المسرحيات التي الفت في امريكا كانت تقليداً لتلك التي كتبت في العصر الذهبي في اسبانيا والبرتغال، وبشكل خاص في اسبانيا، اذ كانت مسرحيات اعظم كتاب المسرحية المحليين، وهو المكسيكي خوان رويز دو الركون (Juan Ruiz de Alarcon) تنتمي الى اسبانيا اكثر من غيرها.

لم يظهر أدب الرواية الذي منعه وحرمه العرش الاسباني إلا بعد الاستقلال، لذا فقد خلت الساحة في النشر للمؤلفات التاريخية وكتب السيرة. ومن افضل ما كتب في هذا المجال المحاضرات المصورة المسماة «دليل السائح عديم الخبرة» (El

(Lazarillo de Ciegos Caminantes حوالي عام ١٧٧٣ كتبه احد موظفي البريد الاسبان، واسمه الونزوكاريو دو لا فندير (Alonso Carrio De La Vandera) الشهير باسم كونكولور كورفو (Concolor Corvo) الذي كتب بناء على رحلة بين بيونس ايرس وليما.

كان الشعر أكثر الأشكال الأدبية شعبية، وقد جذبت مباراة اقيمت في المكسيك عام ١٥٨٥ اكثر من ٣٠٠ ناظم للشعر كانوا تلاميذ غير مكترثين لمذهب لويس دو كوكورا اي ارغوت، ويمكن الاطلاع على شعرهم في المجموعة الشعرية الفريدة «طاقة من الازهار الشعرية» (Ramillete de Varias Flores Poeticas) ١٦٧٥ التي جمعها جاسنتو دو ايفيا (Jacinto De Evia) من الاكوادور. تتفوق على الجميع شاعرة اتت فيما بعد، هي الراهبة المكسيكية سورجوانا انيس دو لا كروز (Sor Juana Ines De La Cruz). أبقاها المعجبون بها في العالم الغربي كله تحت الاضواء، واضافت الى شهرتها حين اصبحت المدافعة الأولى عن حقوق المرأة ومجادلة من الطراز الأول مستعدة دوماً لدخول الحلبة حتى ضد افصح مبشر جزويتي في عصره وهو انطونيو فيرا (Antonio Vieira). ولا تزال مسرحيات سورجوانا ومقالاتها الدينية وسيرتها الذاتية التي تكشف عن الكثير، وفوق كل هذا قصائدها الدينية وغير الدينية ذات الجمال البسيط والعاطفة المحببة الخالية من الافراط في الاسلوب الكونكوري تعتبر من اروع المنجزات الأدبية في امريكا اللاتينية.

وبينما كانت الفترة الاستعمارية في طريقها الى الزوال كان يسمع بين الحين والآخر صوت احتجاج ضد انحطاط حياة نواب الملك وأدبهم. وقد تأثر البيروفيان خوان دل فان اي كافيديس (Juan Del Valley Caviedes) وغريغوريو دوماتوس غويرا صاحب الأقوال المأثورة الذي اطلق عليه الناقد الاسباني فرانسيسكو كوفير دو كوفيد اي فيليكاس لقبه «الناطق باسم الشيطان» في البرازيل، تأثر بالكات الهجائي الاسباني فرانشيسكو غوميز دي كويفيدو اي فيليجاز. انتشر شعرهما على نطاق واسع وخطي بشعبية فائقة.

الفصل الحادي عشر

الأدب الاسكندنافي في القرن السابع عشر

الأدب السويدي:

بقي الأدب السويدي محدوداً كماً وكيفاً في النصف الأول من القرن السابع عشر. وعلى كل حال ساهم لارس ويفاليوس (Lars Wivalius) مساهمة فريدة من نوعها ، اذ تكشف قصائده الغنائية، التي كتب العديد منها وهو سجين ، عن احساس بالطبيعة جديد على الشعر السويدي . وبتدخلها بحروب الثلاثين عاماً ، برزت السويد كقوة اوروبية وقد آل هذا الى تطور كبرياء قومي وثقافة قومية ، كما يظهر ادب هذه الحقبة . كان العمل البارز هو الملحمة المجازية «هرقل»(Hercules) التي الفها جورج ستيرنهيلم (Georg Stiernhielm) والتي عكست الكثير من مشاكل العصر السياسية والاجتماعية. كان ستهرنهيلم ابرز شخصية ادبية في القرن السابع عشر، قضى الكثير من وقته في بلاط راعية الفنون الشهيرة: الملكة كرستينا، ومن اتباعه الأخوان كولومبوس (Columbus) اللذان كتب احدهما واسمه صاموئيل قصائد غنائية سويدية من نوع «الأود» (Odaoe Sueticae) ١٦٧٤، ومؤلفاً نثرياً بعنوان «مال رو إلر رومال» (Mal-Roo Eller Roo Mal) وهي مجموعة من الفكاهات القصصية التي تلقي ضوءاً على شخصية تسير نهيلم (Georg Stiernhjelm) وكان ستوجيكا باركبو (Stogekar Bargbo) الذي لم تصلنا اية معلومات عن شخصيته، منافس ستير نهيلم اول كاتب لطائفة من القصائد الغنائية من نوع «السونت» باللغة السويدية بعنوان «وينرد» (Wenerid) ١٦٨٠ . شكل عدد من المعجبين بستير نهيلم بمن فيهم اربان هيارن (Urban Hiarne) مجموعة في ابسالا (Uppsala) في الستينات من القرن السابع عشر. كما قاد هيارن فرقة من الممثلين التلاميذ الذين مثلوا عام ١٦٦٥ مسرحيته «روزيماندا» (Rosimunda) ، امام الملك الشاب شارل الحادي

عشر. وبالاضافة الى ذلك نظم قصائد غنائية، والرعوية النثرية «ستراتونيك»)غُفصغحةخلأق((١٦٦٦ ـ ٦٨) وهي اول القصص السيكولوجية في السويد.

هدف ستيرنهيلم الى دمج تراث السويد الثقافي بالكلاسيكية الأوروبية ومثلها المقبولة. كما تمتلىء ملحمته «هرقل» بالكلمات السويدية التي كان تواقاً لاحيائها. وطالب كولومبوس بدوره بلغة اقوى، واكثر مرونة كما فعل سكوكيكار باركبو في «ندب اللغة السويدية» (Thet Swenska Sprakets Klagemal) ١٦٥٨. ويمتزج الكبرياء القومي والشعور الديني في مؤلفات الاسقفين هاكوين سبيكل (Haquin Spegel) وجاسبر سويدنبرغ (Jesper Swedenberg) والد المتصوف السويدي عمانيول سويدنبرغ (Emanuel Swidenberg). كما ساهم سبيكل في كتاب «الترانيم» الذي ألفه سويدنبرغ عام ١٦٩٥ والذي اصبح كتاب شعر الشعب السويدي ومارس تأثيراً دائماً. وحتى لوسيدور (Lucidor) كان من بين من مُثِّلوا فيه، وبهذا اعطى تعبيراً بليغاً للأمزجة المتغايرة في تلك الفترة: لقد كان وثنياً في اغانيه عن الحب، وبخاصة اغانيه في الشراب بقدر ما كان ورعاً في ترانيمه وتصائده الجنائزية.

في هذه الأثناء حاول بيتروس لاكرولوف (Petrus Lagerlof) في ابسالا ان يفرض مقاييس كلاسيكية اكثر نقاءً على الأدب الوطني، كما قام اولوف فريليوس (Olof Verelius) بمراجعة ملاحم ايسلندية وترجمتها وعلى كلٍ كان اولوف رودبك (Olof Rudbeck) هو الذي اهتم بمؤلفات فريليوس وطور بحماس نظرية تقول ان السويد هي فارة اكلانطس المفقودة وكانت مهد الحضارة الغربية وعرض هذه النظريات في عمل ضخم عنوانه «اتلاند الرمانهايم» (Atland Eller Manheim) (١٦٧٩ ـ ١٠٧٢) الذي فاز بشهرة اوروبية عندما ترجم الى اللاتينية تحت عنوان «اطلنطيقا» (Atlantica).

سارت الميول الباروكية والكلاسيكية جنباً الى جنب في الأدب السويدي في اواخر القرن السابع عشر، فكتب كونويوريليوس (Gunno Eurelius) (كونودا هلستيرنا) ملحمة موسعة عنوانها «ترنيمة للملك» (Kungaskald) بمناسبة وفاة الملك شارل الحادي عشر عام ١٦٩٧. وكان يوهان رونيوس (Johan Runius) ابسط منه اسلوباً وعبّر عن رواقية مسيحية من النوع الذي نجده لدى السويديين اثناء العقود

المشؤ ومة الأولى من القرن الثامن عشر. كان جاكوب فريز (Jacob Frese) شاعـراً اكثر رقة وتقرباً وصراحة، وقد شملـت قصائـده الغنـائية وترانيمـه بعض الـورع العاطفي الذي اصبح سمة للفكر في القرن الثامن عشر.

الادب الدانماركي:

في القرن السابع عشر وصلت حركة النهضة الأدبية الى الدانمارك، وأدت الى تقيد الدانماريكيين الشديد بالنماذج الكلاسيكية، والاعتقاد الأعمى بالسلطة العليا سياسياً ودينياً وادبياً. وفي الأدب الديني سيطر الحتميون اللاتين والكراسات اللاتينية التي تعكس خرافات العصر.

وعلى كل كانت الفترة فترة مجلية في العلوم والبحث العلمي، اذ يشتهر اول ورم (Ole Worm) بكتابـة عن النقـوش الـرونية «المسمـى مونيومينتـا دانيكا» (Monumenta Danica) ١٦٤٣. كما ادخل تورمود تورفيوس(Thormad Torfaeus) وآرني ماجنوسون (Arni Magnusson) دراسة أدب اللغة الاسكندنافية القديمة، وقام بيدر هانسن رزن (Peder Hansen Resen) بمراجعة بعض الشعر النورسي الملحمي في كتاب «ايدا» (Edda) وترجمتها كما ادخل اريك بونتوبيدان(Erik Pontoppidan) وبيدرسيف (Peder Sev) دراسة لغوية للدانماركية.

مال الشعر الدانماركي في القرن السابـع عشر الى تقليد الأدب الـكلاسيكي تقليداً اعمى. كانت الاشكال والأوزان الشعـرية المفضلـة هي الـوزن السـداسي والاسكندري والقصيدة الغنائية من نوع «السونت». كما تجنب الكتاب البساطة عن عمد فالاسلوب اسلوب منمق مشحون بالمجاز والتشابيه والتعبير غير المباشر. وقام انـدرز اريبـو (Anders Arrebo) بترجمـة «تـرانيم سفـر المزامـير» وكتـب مؤلف «هيكساميرون» (Hexaemeron) (١٦٦١) وهو نسخة دانماركية لمؤلف فرنسي عنوانه «لا سيمان»(La Semaine) للشاعر الفرنسي غويوم دوبارتاس(Guillaume de Bartas) من القرن السادس عشر. وكان القرن غنياً بشعر المناسبات، مثل الأعراس والولادات او رثاء لميت يعده الشاعر المثل الأعلى في الفضيلة. كما كانـت القصائـد التعليمية

والرعوية شائعة بدورها. وكان اندرز بوردنغ (Anders Bording) ـ وهو احد دعاة الشعر الباروكي الدانمركي ـ مؤسساً لأول جريدة دانمركية اسمها «دن دسكا مركوريوس» (Den Danska Mercurius) (١٦٦٦) وفيها ظهرت الأخبار في شعر اسكندري مقفى. كان توماس كنغو (Thomas Kingo) استاذاً متفوقاً بكل افانين الشعر تقريباً. تعكس ترانيمه الدينية شخصية عنيفة عاطفية دنيوية، لكنها متدينة متزمتة. ومن المسرحيين القلائل كان موغنز سكيلي (Mogens Skeel) جديراً بالذكر. تعتبر مذكرات ليونورا كرستينا (Leonora Christina) ابنة كرستيان الرابع متميزة الاهمية بين المؤلفات الدانمركية النثرية من القرن السابع عشر، وهي وثيقة رائعة اكتشفت عام ١٨٦٩، وفيها تقص ليونورا قصة سجنها عشرين عاماً في البرج الأزرق في كوبنهاجن.

الأدب النرويجي :

بدأ الاتحاد السياسي بين الدانمارك والنرويج عام ١٣٨٠، فأصبحت الدانمركية نتيجه لذلك اللغة الرسمية والادبية، وغدت كوبنهاجن بجامعتها العاصمة الثقافية للبلدين. لم تظهر أية بوادر على نشاط أدبي مجدد في النرويج حتى بعد الاصلاح الديني. مثال ذلك كتاب بقلم ابشالوم بيدرسون بير Absalon? (Pedersson Beyer) وضعه عام ١٥٦٧ وعنوانه «أوم نورجس ريج» (Rige Om Norgis) وفيه يدافع عن النرويج. أما أكثر الكتاب النرويجيين اصالة وتمثيلاً لهذه الفترة فهو بيترداس (Petter Dass)، اذ يمدنا كتابه «بوق نوردلاند» (Trompet Nordlands) بصورة حيوية كتبت شعراً عن حياة رجال الدين في أقصى شمال النرويج. ومع أن هذا المؤلف اكمل قبل نهاية القرن على الاغلب فهو لم ينشر حتى عام ١٧٣٩.

الأدب الايسلندي :

يأت هاليغر بيترسون (Hallgrimur Pettrsson) في مقدمة الشعراء الايسلنديين في القرن السابع عشر. وهو راعي ابرشية لوثري، ناضل ضد الفقر والمرض.

وتعتبر «ترانيمه حول آلام المسيح» (Passiusalmar) ١٦٦٦ من اكثر الكتب شعبية في ايسلنده . وهناك شاعر آخر مهم ، هو ستيفان اولافسون (Stefan Olaffson) لانزال نذكره لمؤلفاته الدينية والدنيوية ، وتميزت الاخيرة بتصويره الفكاهي لمعاصريه ، وملاحظاته النقدية للسلوك والعادات .

وكما هي الحال بالنسبة للبلدان الاخرى بدأ الاهتمام بالماضي أثناء القرن السابع عشر ، ويمكن ان يقال بان العلم الحديث تعود بدايته الى هذه الفترة . وقد لفت ارنغرمر جونسون (Arngrimur Jonsson) أهتمام العلماء الدانمركيين والسويديين الى التقاليد الايسلندية والأدب الايسلندي في سلسلة من المؤلفات باللاتينية ، أحتوى بعضها على مختصرات لملاحم طواها النسيان . وفي أواخر القرن جمعت آرني مكنوسون (Arni Magnusson) المخطوطات الايسلندية الأولى . ومع أن القرن السابع عشر كان عصر علم ؛ الا أنه كان كذلك عصر خرافات ، كما يظهر في قصة «الآلام» (Pislarsaga) التي كتبها راعي الابرشية جون كانوسون (Jon Magnusson) واصفاً فيها اضطهاد السحرة اياه . وأدت تذمراته الى حرق ضحيتين بريئتين عام ١٦٥٦ . ويعتبر نشر هذه القصة الكئيب مثالاً مثيراً للاهتمام على نشر الفترة . .

الفَصْل الثّاني عَشَر

أدَب أوروبّا الشرقية في القرن السابع عَشر

الأدب الروسي :

شهدت نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر في روسيا حوادث سياسية عاصفة تميزت بنضال مكثف ضد الاقطاعية دفع اليها الفلاحون الذين اجهدتهم عبودية الأرض فقراً ، والبويار (Boyar) الذين كان النبلاء الاقطاعيون قد الحقوا بهم الهزيمة . وزاد الوضع تأزماً تدخل السويديين والبولنديين الذين صدتهم الجهود المتحدة للشعب الروسي . وصفت أيام القلاقل هذه في سلسلة من القصص التي عكست لانتفاضات السياسية والاجتماعية كما خلدت ذكرى الموجة العارمة من الوطنية ضد التدخل الاجنبي . لهذا تحطمت اناقة التقليد المسكوفي للأدب ومهارته ، وأدخل كتاب جدد وقراء جدد من المراتب الاجتماعية الادنى المواضيع العلمانية والواقعية والفلكلور الى الأدب . وتتوفر الامثلة على ذلك في القصص التي تروى احتلال مدينة آزوف (Azov) عام ١٦٣٧ على ايدي قوزاق الدون (Don Cossacks) وحصار الاتراك اياها عام ١٦٤١ ، التي تعتبر اعمالا أدبية بارزة . ساعدت العلاقات الدولية لدولة مسكوفي (Muscovy) على تدفق الأدب العلماني من الغرب . وهكذا حلّت القصة العلمانية المترجمة ، وقصة الفروسية ، والقصة الفكهة ، محل الأدب التعليمي الديني البيزنطي ، او سارت جنباً الى جنب معه ، كما شرع الفولكلور يفرض نفسه بشكل ملحوظ .

في النصف الثاني للقرن السابع عشر بدأت القصة الروسية العلمانية في الظهور . والى جانب القصص التي لا زالت تسيطر عليها تقاليد الكنيسة

المحافظة ، ظهرت قصص هزلية مثـل «قصـة فرول سكوبييف» (Povesto Frole Skobeyeve) «وقصة كارب سطولق» (Sutulove Povesto Karpe) وكلتاهما خاليتان من المبادىء الاخلاقية والدينية المتعارف عليها . كما بدىء كتابة هجـائية وهازئـة للبلاط والكنيسة والاجـراءات القانـونية . وقـد تم تحـويل السـيرة الـذاتية لزعيم المؤمنين القدامى الحبر الاعظم افاكوم (Avvakum) التي كتبت بـين عامـي ١٦٧٢ و١٦٧٥ والمسماة «سيرة حياة الحبر الاعظم افاكوم بقلمه» من الشكل الاكلـيريكي للسيرة الدينية التقليدية الى قصة جدلية حادة ، كتبت بلغة المحادثـة التـي تتدفـق بالحيوية والحياة .

في بداية القرن السابع عشر ، وتحت تأثير الانماط البولندية بشكل رئيسي بدأ الشعر يتطور ، وكان في أول امره بدائياً خلوا من التنظيم الايقاعي ، لكن أدخل بعد ذلك الشعر الذي يعتمد على عدد المقاطـع وجـرى تطـويره . في عام ١٦٧٢ وبمساعدة قس لوثري ألماني في موسكو يدعى ايوغان كوتغـرد كريكوري (Iogann Gotfrid Gregori) أنشىء مسرح علماني بلاطي استعمل مسرحيات غربية بشـكل اساسي . وظهرت في نفس الوقت تقريباً ، وفي موسكو بالذات ، أولى محاولات سيميون أوف بولتسك (Simeon Of Poltosk) للكتابـة للمسرح المدرسي . تتمتـع بأهمية خاصة هزلية «كوميديا قصة الابن المبذر» (نشرت عام ١٦٨٥) ، وفيها كيِّفت القصة الانجيلية لتعالج موضوع الآباء والابناء في روسيا . وهكذا نستطيع ان نرى ان الادب الروسي كان في النصف الثاني من القرن السابع عشر انتقالياً ما بين الأدب القديم والأدب الحديث الذي يبدأ بمطلع القرن الثامن عشر .

الأدب البولندي :

بدأت الفترة الباروكية مبكرة جداً في بولندا . ففي عام ١٥٦٤ دعا البولنديون اليسوعيين للاقامة في البلاد ، وهكذا منـذ عام ١٥٧١ بدأ الاثـر البروتستنتـي في التضاؤ ل . كان الاسلوب والنظرة الباروكيان للأمور ملائمين للروح البولندية . اتصفت تلك الفترة بانتاج أدبي وفير بالرغم من الحرب المستمرة تقريباً . بل ربما اعكس الأدب باسلوبه المتوتر النزاع الخارجي الذي تميز به القرن السابع عشر .

لقد نظم ميكولاج سب زارزنسكي (Mikolaj Sep Szarzynski) الذي كتب بشكل رئيسي شعراً دينياً يشبه كتابات الشعراء الميتافيزيقيين الانكليز - مبشراً بالشعر الباروكي . وفي هذه الفترة شاعت بالدرجة الأولى الأنواع الشعرية الهجائية والرعوية - وكان في مقدمة الشعراء النقاد كرزتوف اوبالنسكي (Krzysztof Opalinski) ، وكانت مجموعته الهجائية «ساتيري» (Satyry) ١٦٥٠ مريرة متشائمة وواسعة المدى . مثل الاتجاه الرعوي في الأدب صاموئيل تواردوسكي (Samuel Twardowski) مؤلف «دافنيس» (Daphnis) ١٦٣٨ والرومانسية «بسكالينا الساحرة» (Nadobna Pasqualina) ١٦٥٥ ، وهي قصة حب مقدس دنيوي تمثل أوج وروعة منجزات الباروكية البولندية . كما أدخلت مجموعة شعر في الحب عنوانها «روكسولانكي» (Roxolanki) ١٦٥٤ للشاعر زيمون زيمورويك (Szymon Zimorowic) ومجموعة اخرى لأخيه بارتولومي (Bartlomie) عنوانها «رعويات» (Sielanki) عناصر درامية موضوعية الى القصيدة الرعوية التقليدية ، فقد طبقت صور الحرب والموت على الخلفية الرعوية بتأثير رهيب وتنافر باروكي نموذجي . كما كان هنالك شكل أدبي شبيه لكنه أقل شكلية وأكثر خشونة جاء بالكثير من الشعر الذي يصور الحياة الريفية ، كان أكثره نجاحاً مؤلف عنوانه «فوتوم» (Votum) للشاعر زيكينو مورزيتن (Zbigniew Morsztyn) الذي يعد أروع ما كتب في مجال الشعر الديني . وفي المقابل نجد مؤلفات ابن عمه جان اندرزيج مورستين (Jan Andrzej Morsztyn) الذي تميزت لغته بالمبالغة الاسلوبية الايطالية من القرن السادس عشر . كما أن تعقيده الشكلي ومهارته هما أمران لم يجاريه فيهما أحد . وقد ظلت ترجمته لمسرحية «السيد» للشاعر المسرحي الفرنسي كورنيل الترجمة البولندية النموذجية .

تميز العصر بطموحه الذي يرمي الى وضع ملاحم بطولية . ربما كان الباعث على ذلك ما جرى من حوادث تاريخية كالحروب مع السويد وروسيا وتركيا ، وكالثورات الداخلية ومحاولات ادخال اصلاحات دستورية . الهمت ملحمة تاسو «القدس المحررة» التي ترجمها بيوتر كوشانوسكي (Piotr Kochanowski) ترجمة رائعة محاولات وطنية لكتابة ملحمات في المواضيع القومية ولا سيما ملحمة «حرب تشوسيم»

(Wojna Chocimska) (١٦٧٠) العنيفة التي ألفها وكلو بوتوك(Waclaw Potock) .
وهناك ملحمة ثانية عنوانها «بسالومـوديا بولسـكا» (Psalmodia Polska) (١٦٩٥) للشاعر وسباجان كوشوسكي (Wespazjan Kochowski) الذي ألفها نتيجـة لتأثـير انتصار جوان الثالث على الأتراك بالقرب من فيينا عام ١٦٨٣ ، وهي معركة شهدها المؤلف . كان هذا العمل أول مثال لموضوع طوره شعراء الحركة الرومانتيكية وهو النظرة التنبؤية لمصير بولندا .

لم يرق نثر الفترة الى مستوى شعرها ، مع أنه كانت هناك وفرة من المذكرات في طليعتها مذكرات جان كريزوستوم باسك (Jan Chryzostom Pasek) وهو مزارع ملاك وجندي . تشتهر الفترة كذلك بظهور الرسالة كشكل أدبي . ومن روائعها رسائل جون الثالث سوبيسكي (III Sobieski John) الى زوجته ، لما تزخر بـه من عاطفة ورقة ، ولتجاربه اليومية في القتال والدبلوماسية . ثمة تطور هام آخر هو قيام أدب شعبي لا يعرف مؤلفوه مثل «الهزليات البذيئة» (Komedia Rybaltowska) ، وهي بشكل عام نقدية وشعبية من نوع الهزليات الشائعة كتبها بشكل رئيسي كتاب من عامة الناس . كان بيوتر باريكا (Poitr Baryka) أحد المؤلفين المسرحيين القلائل الذين عرفت اسماؤهم ، وكاتـب مسرحية احتفـالية عنوانها «الملك الفـلاح» (Z Chlopa Krol) (اخرجت عام ١٦٣٣) ، حيث يطـور الكاتـب مقدمـة «ترويض النمرة» لشكسبير (Taming Of The Chrew) . وصلتنـا من هذا النـوع حوالي ٣٠ مسرحية مجهولة المؤلف ، وهي تتضمن وصفاً واقعياً للعادات الشعبية ، وتتخللها مواقف هزلية غريبة تنتقد (عن طريق التقليد) المواضيع الرفيعة للأدب الرسمي ، وهي تقدم بذلك احتجاجاً غير مباشر ضد التمييز الاجتماعي .

أمتدت آخر مرحلة للأدب الباروكي (حـوالي ١٦٧٥ ـ حوالي ١٧٥٠) عبـر حقبة مديدة من الانحطاط ، لم يميزها سوى ظهور أول كاتبة والشخصية الكبرى لستانسلا وكونارسكي (Stanislaw Konarski) الذي نظم شعراً باللاتينية وكتب مأساة بالبولندية عنوانها «تـراجيديا ابامنيونـدي» (Tragedia Epaminondy) ، ومقـالات سياسية ، وكان مصلحاً في حقول التعليم والأدب والنظام السياسي .

لم يلق الأدب الباروكي تقديراً كاملاً حتى اواسط القرن العشرين . ويمكن اعتباره اكثر الاساليب البولندية بقاء لتكرر الكثير من ملامحه وميزاته في الفترة الرومانتيكية ، وفي الكتابات الحديثة .

الأدب الأرمني :

ظهرت في القرن السابع عشر علامات تشير الى أن الأرمن بدأوا يشقون طريقهم من الانحطاط الثقافي الذي امتد عدة قرون . وظهرت اعمال الاسياد الاتراك والفرس بشكل بارز في كتب تاريخية الفها اراكيل التبريزي (Araqel Of. Tabriz) وزكريا القسيس (Zaqaria) وأرميا شلبي كومورجيان (Eramia Chelebi Kömürjian) ، الا انه كان هناك بعض الاحتكاك بالعلماء الغربيين والمؤلفات اللاتينية . اشترك اوسكان اوف اريفان (Oskan Of Erevan) المولود عام ١٦١٤ في المستعمرة التجارية التي أسست حديثاً في نيوجولفا (New Julfa) التابعة لأصفهان مع الدوميناكني بيرانديلي (Pirandelli) ، بطبع اول كتاب مقدس بالارمنية في أمستردام عام ١٦٦٦ .

وبدءاً من القرن الثالث عشر مارس الكتابة الخيالية عدد من الشعراء التروبادرو الشعبيين ، أشهرهم نهابت كوتشاك (Nahabet Kuchak) (القرن السادس عشر) ، وهو أحد الشعراء الأرمن الأفذاذ الذين تغنوا بالحب الجسدي ، ثم يليه . هوفناتان نقاش (Hovnatan Naghash) (١٦٦١ - ١٧٢٢) . وفي القرن التالي برز أشهر هؤلاء الشعراء اروثين صياديان (Aruthin Sayadian) الذي يدعى احياناً صيات نوفا (Sayat- Nova) .

الأدب الهنغاري :

كانت هنغاريا في القرن السابع عشر لا تزال مجزأة الى ثلاثة اجزاء اولها ذلك الجزء الذي حكمه الاتراك والذي لم يلعب أي دور في تطور الادب الهنغاري . وثانيها الجزء الخاضع لأسرة هابسبرغ الذي كان منفتحاً على الأثر الايطالي ،

والألماني ، والكاثوليكي . والجزء الثالث وهـو ترانسلفـانيا كان على اتصـال وثيق بالفكر البروتستنتي ، الهولندي منه والانكليزي . كان جانوس أبازاي سير(Janos Apaczai Csere) أهم عالم وكاتب بروتستانتي في القرن السابع عشر ، وقد حاول في مؤلفه الرئيسي ، وهو موسوعة هنغـارية ان يلخص العلـم في زمانـه ، الا ان الكتاب يشير الى تطور المفردات التقنية البلغارية .

في نهاية القرن السادس عشر كانت حركة الاصلاح الديني المضاد تتسارع في غربي هنغاريا ، وقد برز كاردينال يسوعـي هو بيتـر ارزمانـي (Peter Pazmany) كخطيب وأستاذ للنثر الهنغاري ، وككاتب مقالات من الطـراز الأول . امتـازت كتاباته بصفة رئيسية بقوة اسلوبه ـ فهو واضح وإن لم يكن بسيطاً ويستعمل تعابير متداولة ـ وبترابط الافكار ، وكانت مؤلفاته مثاراً للجدل . ويعتبر كتابه «الدليل الى الحقيقة الالهية »(Isteni Igazsagra Vezerlo Kalauz) ١٦١٣ وفيه يدحض المبادىء غير الكاثوليكية ـ تحفة من النثر الباروكي .

تحت تأثير اليسوعيين أفاء الكثير من الارستقراطيين الهنغـاريين الى العقيدة الكاثوليكية ، وبعثوا بأبنائهم الى الجامعات الكاثوليكية النمساوية والى روما إذ تعرفوا على الاسلوب الباروكي الذي لا يمكن ان نراه في مؤلفات ميكلوس زريني (Miklos Zriny) وهـو سياسي وجنـرال هنغـاري عظيم في عصره . وكان معظـم مؤلفاته النثرية عرضاً لافكار سياسية واستراتيجية ، وأعظم انجاز له ملحمة عنوانها «مخاطرة زيجيت»(Szigeti VeszeDelem) في خمسة عشر «كانتو» ، وقطعـة شعـرية حول حصار زجنتفار(Szigetvar) ١٥٦٦ ، التي دافع عنها جد «زريني» الأكبر ضد الاتراك . ومع أن أثر الملحمـة الكلاسيكية واضح الا أن المؤلف هنغـارياً عميق الاصالة . وقد نجح زريني في تطعيم الحقائق التـاريخية بقيم رمـزية عبـرت عن افكاره السياسية . كما ألف شاعر ملحمـي آخـر في هذه الفتـرة اسمـه اصطفـان كيونكيوسي(Istvan Gyongyosi) العديد من قصائد الميلاد ، وامتاز بقوة الابتكار ، وسهولة استخدام الاوزان . لذا كانت مؤلفاته جد منتشرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر . ويبدو أن قرض الشعر كان ـ خلال هذه الفترة ـ النمط السائد بين جميع الطبقـات . فقـد نظـم الـوطنيون الهنغـاريون الـذين حاربـوا الألمان وأسرة

هابسبرغ (ويدعون بالهنغارية) «كوروث» قصائد آخاذة الروعة وصفاً لحالة فقرهم وبؤسهم وافراحهم ، والاعمال العظيمة لشخصيات القدرة البارزين ، وليس هذا فحسب ، وانما كانت تلك القصائد ـ الاغاني مصدر الالهام للعديد من الشعراء الهنغاريين ، وبالتالي امتازت بصفات فنية رفيعة .

الأدب التشيكي :

أدى اندحار القوات البوهمية البروتستنتية على ايدي أسرة هابسبرغ عام ١٦٢٠م في معركة الجبل الأبيض الى الحاق الاقاليم التشيكية بامبراطورية أسرة هابسبرغ والى محو البرتستنتية من البلاد . حل القادمون الجدد محل النبلاء ، وكانوا قليلي الاطلاع على اللغة التشيكية . وأستمرت التقاليد الادبية التشيكية بين اللاجئين فقط الذين من أبرزهم جان آموس كومنسكي(Jan Amos Komensky) . وأظهرت مؤلفاته التي بحثت المشاكل التعليمية واللاهوتية باللاتينية والتشيكية معاً أنه كاتب ومفكر على المستوى الأوروبي . وكان مؤلفه «متاهة العالم وفردوس القلب» احد أعظم المنجزات التشيكية في النثر الأدبي . كان بعض الادب اليسوعي الجديد ذي نوعية رفيعة، ولاسيما شعر بدرتيش برايدل(Bedrich Bridel) والمؤلفات اللاتينية لبوهوسلاف بالبين(Bohuslav Balbin) الذي تجلت وطنيته التشيكية في دراساته ماضي بلاده ، وفي دفاعه الرائع عن اللغة التشيكية .

في بداية القرن الثامن عشر لم تعد التشيكية لغة الاغراض الادبية العليا واقتصرت المؤلفات الأدبية على مسرحيات بدائية غير مصقولة كتبت بالعامية الدارجة وعلى الكتيبات الشعبية ، وشعر الاغاني الشعبية الذي عكس بقوة التململ وعدم الرضاء بين الفلاحين .

الأدب الكرواتي :

شغل ايفان جوندوليك(Ivan Gundulic) ـ مؤلف الملحمة المثيرة «عثمان» (Osman) وفيها يصف انتصار البولنديين على الاتراك عام ١٦٢١ ـ أهم مركز في

الأدب الكرواتي في القرنين السابع عشر والثامن عشر . كما نظم ايفـان بونيك ـ فوسيسفيك (Ivan Bunic - Vucievic) عدداً من القصائد الغنائية البديعة ، وكتـب الشاعــران اغنـــات ديردفيك (Ignjat Durd - Evic) وانطـــون كانـــزليك (Antun Kanizlic) شعراً على النمط الباروكي . وعالج اندريجه كاتشيك ميوسيك (Andrija Kacic Miosic) المواضيع التاريخية حسب الصيغ الشعرية الشعبية للشاعر الجوال في حلقة تعالج التاريخ السلافي الجنوبي من الاسكندر الأكبر (الذي اعتبر بطلاً سلافياً) الى عصره (١٧٥٦) . كما كتب تيتو برزوفاكي (Tito Brezovacki) كوميديات ومثل في شعره النقدي روح العصر .

الأدب السلوفيني :

دمرت حركة الاصـلاح الدينـي المضـاد جميع الانتـاج الادبـي البروتستنتـي لخمسين عاماً بدءاً من منتصف القرن السادس عشر باستثناء «الكتاب المقدس» ، ولم ينتعش الأدب الديني الا حوالي عام ١٧٠٠ بكتابة مواعظ باروكية ألفها جاينز زفيتوكرسكي (Janez Svetokriski) وروجريج (Rogerij) ومسرحيات كتبت بمناسبة اسبوع الآلام من تأليف رومولد (Romuald) في اسلوب نقي نسـبياً . وكان أهـم عمل علماني ذلك الوصف الألمعي الوطنـي بالالمانية لـ كارنيولا (Carniola) الـذي وضعه البارون جانيز فاجكارد فلفاسور (Janez Vajkard Valvasor) .

الأدب الروماني :

أستمرت طباعة الكتب الرومانية الدينية في القرن السابع عشر ، وأعطيت زخماً جديداً في ترانسلفانيا وولاشيا ومولدافيا وذلك بالجدل الناجـم عن الاصـلاح الديني .

وفي مولدافيا حيث كانت الاديرة مراكز للدراسات اللاهوتية وجد رد الفعل ضد الاصلاح الديني تعبيره في مؤلف عنوانه «الجواب» (Raspuns) ١٦٤٥ لمطران يدعى «فارلام» (Varlam) . «والجواب» موجه ضد تعليمات عقائدية كالفينية طبعت

عام ١٦٤٢ . هرب مطران مولداً في عالم لاهوتي كبير اسمه دوسوفتي(Dosoftei) الى بولندا ، اثناء القتال بين بولندا وتركيا ، وفي عام ١٦٧٣ نشر هناك أول ترانيم رومانية شعرية هي أول شعر بكتب بالرومانية ، وعاد الى مولدافيا عام ١٦٧٥ . وفي عام ١٦٧٩ ترجم طقس القربان المقدس من الاغريقية . اما مساهمته الاخرى البـارزة في الادب الرومانـي فتتمثـل بـ «سـير القديسـين» (Vieata Si Petrecere Sfintilor) (١٦٨٢ - ١٦٨٦) التي ادخل فيها مصطلحات شعبية وشجع بواسطتها تطور اسلوب نثري اكثر مرونة .

في حوالي نهاية القرن السابع عشر أصبح دير سناغوف(Snagov) بالقرب من بوخارست مركز نشاط أدبي ، وطبعت الكتـب بالرومـانية والاغـريقية والسـلافية والعربية . كما أدخل طباع روماني اسمه ميهاي صطفيان(Mihai Stefan) الطباعة الى القوقاز حيث طبعت اولى الكتب الجورجية . وبلغ الأدب الديني أوجه بترجمة للكتاب المقدس عام ١٦٨٨ ، أصبحت الاساس لكل الترجمات التي تمت فيما بعد. وصل التأريخ أوجه بالمؤ رخين الانسانيين لمولدافيا القرن السابع عشر الذين قادهم ميرون كوستين .(Miron Costin) . كتب كوستين تاريخاً لمولـدافيا ونظـم قصيدة حول تاريخ البلاد مستعملاً اللغـة البولنـدية ، وأتـم هذا العمـل ابنـه نيقـولاي (Niculae) الذي كان رائداً في جمعه الفولكلور والاساطير . امـا ديمتـري كانتيمـير (Dimitrie Kantemir) امير مولدافيا والمؤ رخ واللغوي الكبير فقد كتب باللاتينية عن تاريخ رومـانيا ومولـدافيا والامبراطـورية العثمانية . ويشغـل نيقـولاي ميلســكو (Nicolae Milescu) مركزاً خاصاً بين المؤ رخين المولدافيين ، اذ ألف كتباً لاهـوتية وتاريخية وسياحية . وكان المؤ رخون الـولاشيون(Walachian) على العمـوم أقـل اصالة وأكثر تعبيراً عن ذاتهم .

الباب الخامس

القرن الثامن عشر

ميزات العصر

ان تسمية القرن الثامن عشر بعصر العقل هي تسمية مفيدة ، لكنها لا تعطينا الا نصف الحقيقة وتسبب بالاضافة الى ذلك ـ الالتباس والفوضى في الصورة العامة للعصر ، لأن اولوية العقل كانت من علائم بعض فترات العصر السابق . والقول بان القرن الثامن عشر تميز بدافعين رئيسيين هما العقل والعاطفة اكثر صحة . فقد انعكس احترام العقل في السعي خلف النظام والتناسق واتباع الاصول والمعرفة العلمية . اما العواطف فانعكست في الاحسان وتمجيد العلاقات الشخصية ، والحماس الديني ، والاحساس والعاطفة المفرطة . في مجال الأدب شجع الحافز العقلاني على الهجاء والنقد والنقاش ، والفكاهة الفكرية ، والنثر البسيط ، اما العاطفة فأوحت بالرواية النفسانية وبشعر الرفعة .

يتمثل انتشار روح الفكاهة الفكرية والنقد والجدل بشكل واضح في انكلترا في مؤلفات الكسندر بوب(Alexander Pope) وجوناتان سويفت(Jonathan Swuft) وصاموئيل جونسون(Samuel Johnson) ، وبهذا كانت استمرار التقليد جون درايدن من القرن السابع عشر . وتأسست الرواية كشكل رئيسي من الاشكال الفنية ، وذلك بواقعيتها العقلانية التي انعكست في مؤلفات هنري فيلدنغ(Henry Fielding) ودانيال دوفو(Daniel Defoe) وطوبياس سمولت(Thobias Smollet) ومن ناحية اخرى بالكشف النفسي لروايات صاموئيل ريتشاردسون (Samuel Richardson) ولورنس ستيرن (Laurence Sterne) في رواية «ترسترام شاندي» (Tristram Shandy) . اما قصائد الطبيعة التأملية مثل كتاب جيمس تومسون (James Tomson) «الفصول» (Seasons) فهي علمية جزئياً فضلاً عن أنها تجسيد للاحساس . في حين نجد أن الرواية القوطية (Gothic Novel) تجمع الثمرات التجريبية الناجمة عن دراسة الماضي التي غدت الطراز المتبع ، مع العاطفة المبالغ فيها ، والدارجة التي تستغل عناصر ما فوق الطبيعة وما هو مرعب . اما في فرنسا

فتتركز الصفة المميزة الرئيسية للفترة في الكتابات الفلسفية والسياسية لحركة التنوير ذات الأثر العميق في جميع أنحاء اوروبا والتي أرهصت بالثورة الفرنسية . كرس فولتير وجان جاك روسو وشارل منتسكيو والموسوعيون مثل دانيس ديدرو وجـان دالمبرت (Jean Dalembert) الكثير من كتاباتهـم للجـدل حول المسائـل الاجتماعية والدينية التي غالباً ما أحدثت تصادماً مباشراً مع السلطات .

في مستهل القرن اتجه الادب الالماني نحو النماذج الانكليزية والفرنسية ، مع ان الكاتب المسرحي والناقد الادبـي كوتولـد افـرايم لسينـغ (Gotthold Ephraim Lessing) قدم ابتكارات تمهيدية ، لأن الفترة الكبرى للأدب الالماني جاءت في خاتمة القرن ، عندما وجد استثمار العواطف وتفخيمها أقوى تعبير له فيما سمي بحـركة العاصفة والتأكيد (Sturm And Drang) ، ويقترن بها اسمان من ألمع اسماء الادب الالماني هما يوهان وولفغانغ فون غوته (Johann Wolfgang Von Goethe) وفردريك شيلـر (Friedric Schiller) اللـذان تخـطيا في المسرحية والشعـر هيجـان «العاصفـة والتأكيد» .

الفَصْـل الأول

الأدَب الانكليزي في القـرن الثامِن عَشر

بعـد الحـروب الاهلية في القـرن السابـع عشر ، انصبـت الرغبـة الاولى والاساسية في انكلترا على توفير جو من الهدوء والتضامن ، وكان هناك اهتمام عملي بالقواعد السلوكية ادى الى قيام معايير نقدية والكثير من الكتابات التاريخية والسياحية التي استجاب لها كل الناس العقلانيين الذين يعتبر حكمهم على الأمور ذوقاً رائداً ، واعطى كل هذا دعماً اجتماعياً قوياً للانجاز الفني في مجـالي الادب والفـكر ، وفي الفنين العامين والشعبيين الرسم والهندسة المعمارية . كان المجمع الكبير من الافكار الذي اطلق عليه اسم الطبيعة الجسر بين النظام وحياة القلب كما وجد تذوق لحدائق يتخذ شكل المناظر الطبيعية او ما يسمى تنظيم الطبيعة حسب اسلوب معين جنباً الى جنب مع تذوق المناظر الموحشة والخرائب والفن المعماري القوطي ، والفن التزييني الصيني . وفي الأدب كان رعب الرواية القوطية ، ومبالغة القصة الشرقية نظريتين لأثر العقل المسيطر . في مجال الفلسفة تمم التأمل الاجتماعي لتوماس هوبز وجون لوك المستند على الملكية المثالية الفلسفية لجورج بيركلي(George Berkely) ومؤلفات ديفيد هيوم(David Hume) وهو مفكر كبير ، من أواخر القرن الثامن عشر انتهى بالتأمل الذاتي العقلاني غاية ما يمـكن حتـى صادف العـواطف الثابتـة في دخيلـة الانسان .

شعر العصر الاغسطي :

أعطيت فضائل النظام والانساق واحترام المؤلفين الكلاسيكيين الاغريق منهـم واللاتين اعلى قيمة لها في نهاية القرن السابع عشر عندما كتب جون درايدن اعماله حسب مؤلفات فيرجل وغيره من الشعراء اللاتين من عصر الامبراطور اغسطوس ،

وقلدها أحياناً تقليداً مباشراً . وينطبق هذا أيضاً على الكسندر بوب (Alexander Pope) اعظم شاعر هجاء ومبدع في القرن الثامن عشر . أطلق اسم العصر الاوغسطي على حكم الملكة آن (١٧٠٢ ـ ١٤) الكاتب الانكليزي اوليفر جولدسميث (Oliver Goldzmith) (توفي عام ١٧٧٤) وكان قد أطلق في فرنسا على عصر راسين وكورنيل وموليير .

ان البواكير الشعرية لالكسندر بوب هي ـ بشكل رئيسي ـ أدبية في وحيها ، وقد عالج في القصائد التي جمعها في مجلده الاول (١٧١٧) اشكال «الشعر المحلي» (غابة وندسور) والشعر التعليمي «مقالة في النقد» والرسالة البطولية «الويزا الى ابلارد» (Eloisa To Abelard) والبطولي الساخر «اغتصاب الضفيرة» كل ذلك بمهارة بالغة واحساس شعري مرهف . ومع ان مزدوجته البطولية المقفاة ذات العشرة مقاطع أقل روعة من مزدوجة درايدن ، الا انها ادفأ نفساً ، وأغزر تنوعاً ، ولا تقل عنها روعة وفكاهة ساخرة . ومن الممكن تتبع أثر الكتاب الكلاسيكيين في أعماله طيلة حياته ، وبخاصة في ترجمات «الياذة» ١٧٢٠ «واوديسة» هوميروس ١٧٢٥ ـ ٢٦ أو في تقليده لهوراس ١٧٣٣ ـ ٣٨ وتتميز «تقليدات هوراس» (Imitations Of Horace) بهجومها المتحمس ضد شخصيات من العصر ، كما تعرض آراءه في الموقف الأدبي والعام . وقد جعل النقد الساخر بالتلميح والهجاء المقذع اكثر وزناً بأن عرض وجهة نظره بعناية كناقد في نصوص واستشهادات من حياة الكاتب نفسه ، وغالباً ما تمجد فضائل الصداقة المخلصة . وتتجلى روعة بوب أفضل ما تتجلى في قصيدته المسماة «دانسياد» (Dunciad) ١٧٢٨ ، وهي نقد لاذع للبلادة في ثلاثة كتب أضيف اليها كتاب رابع فيما بعد ، ويعمق أثر النقد فيها بما استعمل من اشارات وتلميحات مقتبسة من ملاحم كلاسيكية وقصائد دانتي وملتون عن الكون .

وتتبدى بوضوح صفات الذكاء العقلي والاحساس المرهف والمهارة الشعرية في شعر بوب اللاحق بالمواضيع الاخلاقية والاجتماعية ، اذ عرض في مقالاته الاخلاقية (Moral Essays) و «مقال عن الانسان» (An Essay On Man) ١٧٣٣ ـ ٣٤ استجابته الواضحة والخياليةللمواقف الفكريةلعصره. وتمثل الناحيتان الرئيسيتان في شخصه

ككاتب ، وهما الهجاء والدعوة والاخلاقية ، ذلك التوازن الاغسطي بين العقل والشعور .

كان بوب عضواً في حلقة أدبية «تورية»[1] هي «نادي سكربليروس» (Scribleriusclub) الذي كان تجمعاً غير رسمي ضم جوناتان سويفت وجون اربثنوت (John Arbuthnot) وجون جاي (John Gay) وتوماس بارنل (Thomas Parnell) الذين كرسوا انفسهم لكتابة مذكرات شخصية مثالية متحذلقة سموها مارتينوس سكربليروس (Martinus Scriblerus) . وكانت بعض المؤلفات الهجائية التي انتجها النادي تعاونية مشاركة الا أن هؤلاء الشعراء كانوا جد متنوعين . يتميز الكثير من قصائد سويفت بخيال مرح وتعابير شيقة . وترتكز شهرة جون جاي وسمعته على تحفته البارعة «اوبرا الشحاذين» (Beggar's Opera) ١٧٢٨ الا ان مؤلفه «الترفيا اوفن المشي في شوارع لندن» (Trivia,or, The Art of Walking ofin The Street Of London) وقصصه الخرافية (Fables) المنظومة شعراً جديرة التقدير . اما قصيدة توماس بارنيل «قطعة ليلية عن الموت» (Piece Of Death Night) (التي نشرت بعد وفاته) فذات أهمية لتأثيرها المبكر على شعر الاحساس الذي عبر عنه خير تعبير الشاعر ادوارد يونغ (Edward Young) في «افكار ليلية» (Night - Thoughts) ١٧٤٢ ـ ٤٥ وعلى «شعراء المقابر» . وقد قلد الكثيرون شعر بوب لكن لم يجاريه الا القلائل .

ويرى اوليفر غولد سميث (Oliver Gold Smith) في قصيدته «القرية المهجورة» (The Deserted Village) ١٧٧٠ كيف يمكن التخلص من جدل بوب القوي بتوسل استدرار العاطفة .

بعد وفاة بوب كان كبير الناقدين صاموئيل جونسون الذي تتصف قصيدتاه «لندن» (London) ١٧٣٨ «وغرور الرغبات الانسانية» (Vanity Of Human Wishes) بكآبة اصلها اللاتيني (الشاعر جوفينال) وحسمية التعبير التي تعد مساهمة لا تضاهى في الشعر الانكليزي .

---

(١) التوري : Tory : عضو في حزب بريطاني مؤيد للسلطة الملكية ومقاوم للتغيير والاصلاح .

كتاب المقالات والكراسات :

يدين التطور الرائع للنثر الانكليزي في القرن الثامن عشر بالكثير لانتشار الصحافة الشعبية . فقد أثار انقضاء فترة قانون الرقابة ١٦٩٥ (Licensing Act) الميل الشعبي للجدل ، ولكنه زاد من خطر المقاضاة بتهمة الخيانة العامة او إثارة الاضطرابات ، وهكذا اتجه المؤلفون الى كتابة الرواية ، والى المجاز والتلميح كذرائع يفلتون بها من العقاب ، وبلغ عدد الصحف التي كانت تصدر خلال العقد الاول من القرن الثامن عشر حوالي ٢٠ صحيفة يرفدها عدد لا حصر له من الكراسات الجدلية ، رغم ان غيض هذا الفيض جدير بأن يسمى ادباً ، فالكثير مما كتب في دورية «الحرفي» (The Craftsman) ١٧٢٦ ـ ٤٧ التي يديرها بولينغبروك (Bolingbroke) وتشيسترفيلد (Chesterfield) كان يستهدف بالهجوم رئيس الوزراء السير روبرت وولبول (Sir Robert Walpole) وجديرة باسم (الادب) «مراجعة قضايا فرنسا» (Review Of The Affairs Of France) لدانيال دفو ، وذلك لما اتسمت به من وضوح وشعور بالصلة بالقارىء ، وهما امران يتطلبهما الجدل المطبوع والقاسم المشترك بين الكتابات النثرية للعصر . كما يبدو تداخل الصحافة بالأدب على احسن وجه في مؤلفات دوفو الذي كان نثره المرسل وان شابته الصنعة ـ والواضح يفوق الاهتمامات السياسية او التجارية الآنية ، وقد أظهر مقدرة مذهلة على تصور موقف ما بمجرد ان قرأ او سمع عنه في كتابه «يوميات سنة الطاعون» ١٧٢٢ . وعندما تحول الى كتابة الروايات ، وهو في حدود الستين أظهر نفس الدهاء ، وأستغل مقدرته على التشخيص بغية تأثير خيالي قوي .

ويعتبر الاعضاء الخياليون «لنادي السبيكتيتور» (المتفرج)(Spectator Club) الناطقين باسم مؤلفيهم في قضايا المجتمع . وهكذا يمكننا ان نعتبر دوريتي «التاتلر» (Tatler) (١٧٠٩ ـ ١١) و«السبيكتيتور» (١٧١١ ـ ١٢) بأنهما على صلة بأدب الرواية ، وأنهما تفرغان بقالب روائي ما تعرضانه للتحليل من شخصيات خيالية ، ووسع عنصر الرواية في هذه الدوريات عالماً اجتماعياً مصغراً ، يمكن اضفاؤه بصيغة واتجاه اتسما بالوقار ، والنكهة الفكهة الحرفة ، وبخاصة في الدورتين الآنفتي الذكر .

اطلقت للمؤلفين الحرية في معالجة اي موضوع شاؤوا يأخذون بحبكته

مداورة ومن خلف قناع، كما هي الحال بالنسبة لوصف السير ريتشارد ستيل (Sir Richard Steele) لآراء السير روجر دوكوفرلي (Sir Roger De Coverly) في الزواج، او يطرقونه مباشرة كما هي الحال بالنسبة لمقالات جوزيف اديسون (Joseph Addison) حول قصيدة «الفردوس المفقود» للشاعر جون ميلتون. وأدارت «التاتلر» (Tatler) و«السبيكتيتور» (The Spectator) حواراً جاداً خلواً من الانحياز او التعصب الديني او السياسي. ودفعا به لتسلية الطبقات الوسطى المرفهة. فضلاً عن ذلك فإن الدوريات الجديدة اوجدت الجمهور الذي كتب له الروائيون، وضمنت ان يكون النثر الجديد مسلياً جدياً ومهذباً، شأن مقالات فيلدنج التي ضمنها رواياته، ناهيك عن أن أديسون ادار على موائد الشاي والمقاهي ليس الأدب وحده، انما الفلسفة والعلم كذلك. وكان ستيل في دوريته «التاتلر» الحافز الاخلاقي، لما اتصفت كتابته من ود وصداقة، وهو ما مدّ اسلوب اديسون الأكثر هدوءاً بالدعم العاطفي اللازم. وكانت حصيلة عملهما المشترك ـ في اطار مجموعة ـ اكثر من مجرد جمع موهبتيهما معاً، لأنهما عندما انفصلا لم يبلغ أي منهما أوجه.

استمر التقليد الأصيل «للسبيكتيتور» في دورية جونسون «الرامبلر» (Rambler) ١٧٥٠ ـ ١٧٥٢ وفي دورية جولد سميث «مواطن العالم» (Citizen of the World) (١٧٦٢). من الناحية الفكرية فاقت مقالات جونسون كتابات اديسون، لكنها افتقرت السحر الناجم عن ملاقاة «السبيكتيتور» للقارىء في مستواه دون تنازل مصطنع من جانبها. وبحرية اشمل وصف جولد سميث النواحي الغريبة والمؤثرة للانسانية، فكان داعية للحس الشخصي اكثر من اديسون لكن اقل من تشارلز لامب (Charles Lamb) الذي اتى فيما بعد.

وخلال النصف الثاني من القرن، امتصت الصحيفة اليومية مقالات الدوريات اذ ظهرت مقالات جونسون التي كانت تنشرها «الآيدلر» في «اليونيفرسال كرونكل» (The Universal Chronicle) و«مواطن» جولد سميث (رسائل صينية) في «ذي ببليك ليدجر» (The Public Ledger).

هجاء سويفت :

اصبح جوناثان سويفت (Jonathan Swift) المولود في ايرلندا من أبوين انكليزيين، والذي تلقى تعليمه في ايرلندا ـ شخصية ادبية مسيطرة في انكلترا، وبطل ايرلندا المفضل لدفاعه عن مظالمها. . كان رجلاً واسع الاطلاع وذا فكاهة عقلانية حذقة كرّس الكثير من وقته للسخرية من العقول الدعيّة، ونال بلسانه تشريحاً وتجريحاً كل من آنس فيه الادعاء ديناً وفلسفة وعلماً، فكان يمكر به متظاهراً بوقار ـ بأنه يشاطره الرأي بقضية ما، ثم يفترض ان خصمه يجاريه موافقة في عملية الانتقاص من تلك القضية، ليظهر منطقياً شخصها في النهاية، وبالتالي يسخف هذا الخصم. ويظهر اسلوبه عنوان كرّاسته الرائعة «نقاش يثبت بأن إلغاء المسيحية في انكلترا ربما يسبّب ازعاجاً، وربما لا يؤدي الى النتائج الكثيرة الطيبة المتوخاة وذلك بسبب الأوضاع الحاضرة».

يتضح التلميح الساخر هنا بكل مهارة. ويبينّ الكراس التالي الى اي حد يستطيع سويفت ان يكون لاذعاً «اقتراح حديث لمنع اطفال الفقراء من أن يكونوا عبئاً على والديهم أو على البلاد» (١٧٢٩) وذلك بتسمينهم ليكونوا طعاماً على موائد الأغنياء. ويهدف المقال الى إخجال الجمهور ليدرك مدى الفقر في ايرلندا. وقد رفعت مقالة «رسائل البزار» (The Drapiers Letters) (١٧٢٤ ـ ٢٥) من فن كتابة الكرّاسات الى مرتبة الأدب. اما «رحلات جوليفر» (Gulliver's Travels) ١٧٢٦ فهي «قصص حق» شأنها شأن روبنسون كروزو (Robinson's Crusoe) للكاتب دوفو. وفي «معركة الكتب» ١٧٠٤ يلجأ سويفت الى المجاز الهزلي يسخر به مما هو بطولي. وهذه الصيغة شائعة في كتابة الكرّاسات السياسية بغية تحريك المهادنين من النقاد والمفكرين الحديثين الذين يهتمون بشكل أناني بالتقدم على حساب الإدراك الصحيح للضعف الانساني والخطيئة الانسانية. وفي اكثر مؤلفاته تنوعاً وبراعة «قصة حوض» (A Tale of A Tub) (١٧٠٤) يلم سويفت بأطراف سائر هذه الأشكال الأدبية. ولا يتردد في استعمال اعمال المرء الجسدية التي لا تذكر صراحة، ليرمز الى النقائص الاخلاقية، وهو امر سمحت به جميع العصور. ولربما نقى وطهر الطموح الخائب تألق تلميح سويفت الساخر الناقد والجازم لكنه لم يدع في أي من

مؤلفاته بأنه على حق، وان بقية الناس دنيئون، ويتضح ذلك في الكتاب الرابع «رحلات جوليفر» اذ يجد جوليفر نفسه في خضم من مخلوقات مفسدة وأخرى فاضلة (صورها سويفت بأشخاص «الياهو» (Yahoos) الذين يشبهون القردة «الهوينميز» (Houyhnhnms) (الذين يشبهون الخيول) وهذا نفس وضع سويفت بالذات. وكان اختراعه وابتداعه، متواصلين غير منتهين، بحيث يستطيع ان يجلي في كل موضوع يعالجه. وبشكل رئيسي يذكر صديق سويفت جورج بيركلي(George Berkely) اسقف كلوين (Cloyne) في ايرلندا كفيلسوف مع ان كتيباته ومحاوراته الافلاطونية ذات قيمة ادبية. وهو على ذلك شأنه شأن سويفت محباً لبلده، يعبر عن آرائه بقوة دفاعاً عن مصالحها في «الكويريست»(Querist) .

ركز النقد الأدبي ـ الذي ظهر للمرة الأولى على شكل نشاط دائم وواسع الانتشار ـ على قواعد ثابتة شهرة الشعراء الانكليز الرئيسيين وسمعتهم أمثال شكسبير وملتون، وبدرجة ادنى تشويسر وسبنسر، اذ ارسى جونسون قواعد نصوص حديثة لشكسبير عام ١٧٦٥، كما ارساها لويس ثيوبولد(Lewis Theolbold) بشكل أبرز في مؤلفه «استعادة شكسبير» (Shak Espeare Restoreo) (١٧٢٦) وفي طبعة للمسرحيات عام ١٧٣٣ كانت اول عمل رائد في نقد النصوص.

عمل بعض النقاد الأفراد مثل جون دنيس (John Dennis) واديسون (Addison) وبوب (Pope) وجونسون (Johnson) ضمن اطار القواعد الكلاسيكية الحديثة التي وضحها وشرحها نقاد فرنسيون مثل نيقولا بوالو ولكنهم كيفوها لتناسب مشاعرهم ورؤآهم الشخصية. وبشكل رئيسي عالجت النظرية النقدية الالهام الشعري، والتذوق الجمالي، وهو وصف نفسي متزايد للعملية الأدبية.

هاجم كتّاب اللورد شافتسبري (Lord Shaftesbury) المسمى «ميزات الرجال والعادت والآراء والأزمنة»(Charactericts of Men, Manners Opinions, Times) ١٧١١ (نقح ووسع ١٧١٤ ـ ١٧٢٣) الحماس او الخيال في الدين وأصر على اهميته في الأدب ليسموا بالعقل الى حالة من التأمل الهادىء. وشغل العصر بما يسمى «السمو» وهي عقيدة فهمت بشكل غامض ولكن تجلت بقوتها ليس في النقد الأدبي للقرن فحسب ـ بل في الشعر ايضاً اذ افترض شافتسبري «شعوراً اخلاقياً» يجذب

الانسان طبيعياً الى ما هو حسن وجميل. وسعى لرفع النقد فوق مستوى الشاحنات السياسية او الدينية. اما اديسون الذي اتصف بتبسيط النظريات الصعبة وجعلها في متناول الجميع ـ اكثر من كونه مفكراً اصيلاً ـ فكانت له معالجة متزنة للأدب مهدت السبيل للنقاد الذين اتوا بعده، والذين طوروا مثل هذا النوع من الآراء.

وتناول جونسون بالنقد اولئك الذين يحكمون على الأمور الأدبية بالعقيدة، وليس بالادراك العقلي، وأصر على ان الرأي الأدبي يجب ان يرتبط بالخبرة. واعتقد بأن الأدب يكون ذا قيمة فقط عندما يوضح التجربة الانسانية. وتكمن عظمتد كناقد في اطلاعه الانساني الواسع، وفي ان أسسه النقدية واضحة على الدوام، وانها بمنأى عن سلطان النزوات وهي بمفهومها العام اخلاقية. وعندما يخطىء في امر ما فسبب ذلك عدم كفاية الخبرة، وليس النقص في الادراك النقدي. كانت الفردية بالنسبة له ولمعظم نقاد عصره تعني التشويه، اذ كانت الطبيعة ـ تلك التجربة التي يشترك فيها الناس طراً ـ الشغل الشاغل للأدب. ويمكن استنتاج مركز جونسون في النقد الانكليزي، من مقدمته التي صدر بها طبعته لأعمال شكسبير.

لنعرض الحقائق اولاً ثم نفحصها:

إن الذي جعل من جونسون ناقداً عظيماً، هو الذي جعله بالمثل محدثاً عظيماً ـ كما يصفه جيمس بوزويل (James Boswell) في كتابه «حياة جونسون» (Life of Johnson) وصاحب الأسلوب النثري العظيم في كتابه «راسيلاس» (Rasselas) ١٧٥٩ وفي دورية «رامبلر» (Rambler). ومع ان «معجم اللغة الانكليزية» (Dictionary of the English Language) (١٧٥٥) الذي وضعه لم يكن اول قاموس باللغة الانكليزية الا انه ادخل اساليب في الاستشهاد، على استعمال الكلمات التي لم تتغير إلا قليلاً، منذ ان نشر القاموس. وجونسون كمعجمي كان أبداً مهتماً بالدقة، وقد وجد في المفردات المشتقة من اللاتينية ادق أشكال الدلالة شأنه ـ في هذا الصدد ـ شأن السير توماس براون (Sir Thomas Brown) الذي بنى اسلوبه حسب اسلوب جونسون.

الثورة في الذوق :

خلال النصف الثاني من القرن، اشتد الميل نحو تعبير نفسي للرأي الأدبي الذي يستند الى الشعور الشخصي الفريد من نوعه. فبينما نجد ان السير جوشوا رينولدز (Sir Joshua Reynolds) يساند في كتابه «محاضرات» (Discours) (١٧٦٩ - ٩١) الأعراف الكلاسيكية الجديدة التي تدعو الى التقليد، نرى ادوارد يونغ (Edward Young) ، في كتابه «حدس في الانشاء الأصيل» (Conjectures On Original Composition) ١٧٥٩ وضع العبقرية الأصيلة فوق العلم. فكان بالغ الأثر عظيمه في اوروبا، كما هو شأن شافتسبري في دعوته الى مبدأ الأفلاطونية الحديثة. كما اهتم توماس وورتون اهتماماً متزايداً بالأدب الوسيطي وادب عصر النهضة في مؤلفاته «تاريخ الشعر الانكليزي» (١٧٧٤ - ١٧٨١) و«ملاحظات حول ملكة الجنيات» (Observations on the Faerie Queene) ١٧٥٤، وكذلك فعل الاسقف ريتشارد هيرد (Richard Hurd) في كتابه «رسائل في الفروسية والرومانس» (Letters on Chivalry And Romance) ١٧٦٢ .

ويتضح هذا الميل كذلك في كتاب «اوسيّان» لجيمس ماكفرسون (James Macpherson) ١٦٧٢، وفي القصائد الوسيطية «لتوماس تشاترتون» (Thomas Chatterton) ومجموعات الشعر السابق، وبخاصة مجموعة الاسقف توماس بيرسي (Thomas Percy) المسماة «بقايا الشعر الانكليزي القديم» (Reliques of Ancient English Poetry) ١٧٦٥ .

وكان المؤشر الآخر الهام للرأي النقدي المتغير هو القسم الأول من مقالة جوزيف وورتون (Joseph Warton) المسماة «مقالة حول كتابات وعبقرية بوب» وذلك بتأكيده على «السمو» على انه علامة الشعر الصادق وحرية التعبير. ويشير مديحه «للتوهج الشاعري» والخيال الخلّاق «للشاعر الى تلك القاعدة التي بنى عليها الشعراء والنقّاد الرومانطيقيون. وتؤكد جميع هذه المؤلفات اهمية الخيال في الشعر، لكن اصالتها تكمن في هذا التجديد وليس في اية معالجة ثورية.

ولربما كانت اكثر المؤلفات ثورية مقالة توماس تايرويت (Thomas Tyrwhitt) «مقالة في لغة تشوسر وشعره» ١٧٧٥ - التي حطمت وهماً سابقاً حول تشوسر بأنه

كان عديم المهارة في النظم الشعري ـ اما ملاحظات وليام بليك(William Blake) الهامشية على كتاب رينولدز المسمى «محاضرات» (Discourses) فقد كانت صيحات غاضبة ضد العقيدة الأكاديمية، اكثر منها نقداً ثورياً، مع انها تمثل نظرية ادبية مضطردة الثبات، اذا ما اخذت مع مؤلفات بليك الأخرى.

الرواية :

كان تطور الرواية الانكليزية شأنه في ذلك شأن الروايات الأخرى طبيعياً ووطنياً محلياً ، إذ كان لأبطال « دوفو البيكاريين » أصول في أدب الرواية الاليزابيثي الذي شارك فيه توماس ناش (Thomas Nashe) وروبرت غرين وتوماس دلوني (Thomas Delone) . إلاَّ أن « مول فلاندرز » (Moll Flanders ١٧٢٢ و « الكولونيل جاك » (Colonel Jack) و « الكابتن سينجلتون » (Captain Singleton) كانوا بدورهم تضخيماً خيالياً لحياة متشردين فعليين من الزمن نفسه ، كما أن أشهر رواية لدوفو (Deffoe) وهي « روبنسون كروزو » (١٧١٩) بنيت على حقائق معاصرة . أما روايا صاموئيل ريتشاردسون فاعتمدت على مصادر أصلية ، فرواية « باميلا » (Pamela) (١٧٤٠) كانت مبنية على رسائله لتي اصدرها بعنوان « رسائل كتبت الى أصدقاء معينين » A Letters Written to and For Particular Frien ds) وهي مجموعة من الرسائل النموذجية غرضها تمكين « القراء الريفيين من أن يكتبوا رسائلهم بأنفسهم » وذلك بتحديد « الأسلوب المنشود والأشكال المطلوبة ، وكيف يفكرون ويتصرفون بشكل صحيح ، وبحكمه في قضايا الحياه الانسانية العامة » . وفي رواية « كلاريسا » (١٧٤٧ ـ ١٧٤٨) أنتج ريتشاردسون (Richardson) مؤلفاً في نثر الرواية والتحليل النفسي للقوة الغاشمة فأرسى بذلك أسساً للتطور الأبعد مدى ، مما كان له اثر عميق على تطور الرواية في أوروبا الغربية كلها .

إن النجاح الذي لاقته رواية « باميلا » (Pamela) بتركيزها على دواعي الاحترام الأخلاقي ، وإهمالها الأشكال الأدبية المتعارف عليها أثار حفيظة هنري فيلدينغ (Henry Fielding) ، ذلك الرجل المثقف الرفيع التهذيب ، الأنيق الذوق ، وذو الخبرة الاجتماعية الواسعة ، والذي لم يلبث أن بسط فيها لسان

سخريته ، بروايته « شاملا » (Shamela) ولكن اثناء عمله الروائي وبعد أن التفت الى روايته الكبرى الأكثر استقلالاً ، وهي « جوزيف اندروز » Joseph) Andrews (١٧٤٢ ، وجد فيليدنيج في شكل الرواية ، وخاصة في شخصية القس أدمز (Parson Adams) أكثر مما توقع . أما وصفه اللاحق لرواية « جوزيف اندروز » ـ التي تعتمد على تتابع الأحداث ـ بأنها « قصيدة ملحمية هزلية نثرية » فهو أكثر ملاءمة لرواية « توم جونز » (Tom Jones) ١٧٤٩ المحكمة الحبكة التي أظهرته بوضوح أكبر في صورة الفنان المدرك لفنه . ثم إن الفصول التي يمهد بها لكل كتاب من كتب الرواية تمدها بعرض نقدي للأسباب والمبادىء التي اعتمدتها ، وتظهر تقدماً فنياً هاماً ، لأنها تبين المؤلف على انه الروح المكونة للقصة . وحتى في ذلك الوقت ، كان مؤلفو الروايات الواقعية (وحتى ريتشاردسون نفسه) ، يمتدحون قصصهم بادعائهم الدقة التاريخية . وأكد فيليدينج على حق المؤلف في أن يعالج ويكيّف قصته صراحة لمصلحة الحقيقة الفنية . ثم أن القول بأن انجازه فني بشكل رئيسي معناه إهمال وحدة نظرته الفنية والفلسفية .

كان طوبياس سمولت (Tobias Smollett) هو الصحفي الآخر الذي اشتهر كروائي وكان شبيه دوفو حياةً وانتاجاً ، وفي كثرة تنوع أعماله في الأعمال ، فمن جراح بحري ، أصبح طبيباً فاشلاً ، الى كاتب رخيص فمترجم ومؤرخ ، وعرف السجن كما عرفه دوفو ، فكانت حياته الشائعة والمتعددة الجوانب مصدر روايته « رودريك راندوم » (Roderick Random) ١٧٤٨ ، فهو يحرك أبطاله ال«يبي القلب ، المتدني المرتبة الاجتماعية ، ليقوموا بمغامرات فضفاضة الترابط ، تماماً كما يفعل أبطال دوفو . لكن فيما نرى أن مصدر فردية أبطال دوفو هو محيطهم ، فإن أبطال سمولت مخلوقات ذات شخصيات قائمة بذاتها وفرديتها ، عبر عنها بأسلوب الكاريكاتير اللامع ثم أن كتابات سمولت تنقصها روح التنبؤ المأساوي المتسمة بها كتابات ريتشاردسون ، كما ينقصها إدراك فيليدنج للكوميديا الانسانية ، وصورته عن الحياة خشنة غير مصقولة ، لكنها تعبير مؤثر للشعور بوحشية الخط العنيد . اما قدرته على الاستفادة من الصفات المميزة للسلوك الانساني وجعلها صوراً تطارد مخيلتنا في كتابه « همفري كلينكر » (Humphry Clinker) (١٧٧١) فلم يضارعه فيها إلا تشارلز ديكنز في القرن التاسع عشر .

كان تطور الرواية سريعاً ومتنوعاً ، وفي الأربعين عاماً التي تلت صدور « روبنسون كروزو » احتفظت بقالب التتابع الزمني للأحداث التي تؤدي الى نتيجة تنبأها لها مؤلفها الذي يفرض وجوده على الرواية بأكملها . إلاَّ أن لورنس ستيرن (Laurence Stene) غيرَّ بشكل جذري هذا القالب ذا التتابع الزمني ، بأن وضع أول رواية انطباعية ، واحدى أعظم المؤلفات باللغة الانكليزية ، وهي رواية « تريسترام شاندي » (Tristram Shandy) ١٧٦٠ التي تعرض الحياة بصورة فكهة ، على انها تدفق من الحوادث بدون ترابط الا في وعي مجربها . وعلينا أن ننتظر حتى القرن العشرين لنجد خلفاءه الحقيقيين الذين طوروا امكانيات مثل هذه الرواية .

تكمن أهمي [illegible] ترانتو » (Castle of Otranto) ١٧٦٥ لمؤلفها هوراس ولبول (Horace Walpole) في كونها أول حلقة في سلسلة طويلة من الروايات القوطية التي تدغدغ مشاعر القارىء بإثارة الخوف والرعب من قصص عناصر ما وراء الطبيعة غريبة الخلفية ، تعود الى عهد غابر . وفي هذا النوع من التقليد الأدبي كتبت كلاراريف (Clara Reeve) روايتها « بطل الفضيلة » (The Chanpion Of Virtue) ١٧٧٧ ، وآن رادكليف (Ann Radcliffe) روايتها « ألغاز أدولفو » (The Mysteries of Udolpho) ١٧٩٤م ، كما خط ماثيو لويس (Mathew Lewis) قصته « الراهب » (The Monk) ١٧٩٦ . وكانت الرومانسية العاطفية ناحية أخرى من عبادة الاحساس (التي درجت في القرن الثامن عشر) والتي يمكننا ان نراها في « قس ويكفيلد » (Vicar of Wakefield) ١٧٦٦ للكاتب توماس هاردي وفي « رجل الشعور » (Man of Feeling) لهنري مكنزي (Henry Mackenzie) (١٧٧١) وفي « أحمق راق » (Fod of Quality) ١٧٦٤ ٦٠ ، وفي « رحلة عاطفية » (Sentimental Journey) ١٧٦٨ لِـ ستيرن (Sterne) ١٧٦٨ . في جميع هذه الروايات نرى أن وصف شعور الكاتب ، وليس ما يراه كان بالغ الأثر على مفاهيم العاطفة و « عبادة القلب الفياض بالشعور » . وطورت الامكانيات التي تعتمد على الخلفية الغريبة عما هو انجليزي الى مدى أوسع في رواية « الواثق » (Vathek) (١٧٨٦) الشرقية لوليام بكفورد (William Bekford) كما كان كتابه

« أحلام وأفكار اليقظة » وحوادث ۱۷۸۳ يتكشف عن إحساس متطور في وصف تجاربه الشخصية خلال رحلاته ، وكان ذا أثر في احداث تغير جذري في الذوق .

وتبرز « افيلينا » (Evelina) وهي انجح رواية ۱۸۸۹ لفاني بيرني Fanny) Burney) الصفات التي جعلتها كاتبة يوميات عظيمة ، وهي الاهتمام العفوي بالحياة ، والتقييم الهادىء للعرف الاجتماعي . وقد تعلمت الى حد ما من تصوير سمولت (Smollett) للشذوذ الانساني ، الاّ أن إدراكها لبنية مسرحياتها كان واضحاً وراسخاً .

الشعر اللاحق : الشعر التأملي :

ظهر الميل الجارف الى الوحدة وتأمل مظاهر الوفاء والعظمة في الطبيعة في كتابات شافتسبري ، وفي حوالي عام ۱۷۲٦ كانت قصيدة « شتاء »(Winter) للشاعر تومسون مقدمة لنيل القبول العام . اما « الفصول »(The Seasons) ۱۷۳۰ وهي القصيدة المتطورة عن سابقتها ، والأطول منها نفساً ، فلا يربط بين اجزائها سوى احساس الشاعر فهي ليست حية في تفاصيلها فحسب ، بل درامية في وصفها للطبيعة من مناظر وظواهر . وقصيدة هولد سميث « القرية المهجورة » (Deserted Village) ۱۷۷۰ تدافع عن النظرية الأوغسطية الداعية الى الوصف العام في تصوير الطبيعة الانسانية وغير الانسانية . كما كانت قصيدة وليام كوبر William) Cowper) « مهمة » (Task) ۱۷۸٥ آخر قصيدة في هذه السلسلة .

التفت كوبر بناظريه نحو التلال والغابات التي تكللها الثلوج في وطنه وستون (Weston) في بكنغهام شاير (Buckingham Shire) نشداناً للراحة من الرعب الديني ، اذ كان لقصيدته « مهمة » الاستطرادية ذات الطابع الهادىء والتمكن اللغوي المتكأ المريح للشعر من اجل الشعر دون أن يكون فيها الدافع الاستدلالي لتومسون ، أو البريق الشهواني لكريستوفر سمارت (Christopher Smart) مؤلف « اغنية لداوود »(A Song to Dvid) ۱۷٦۳ ، « وترانيم »(Hymns) وهما قصيدتان تمجدان دقائق الطبيعة ، التي ترمز الى حب الله للانسان .

كرس الشاعر الغنائي المبدع ، وليام كولنز (William Colins) نفسه لكتابة القصيدة الغنائية من نوع « الاود » وهي صيغة شعرية ترفع حسب اعتقاد الاوغسطيين من قدر قوة الربط في خيال الشاعر منزلة اياه فوق هيكل النقاش الصقلي . وقصيدة توماس جراي (Thomas Gray) « مرثاة في مقبرة ريفية في ساحة الكنيسة » (نشرت عام ١٧٥١) توحي بصورة مصغرة عن مثل الشعر التأملي الاغسطي ، باطار موضوعها ، وطابعها الوقور الذي يوحي بالالفة والدفء .

شعر بيرنز وبليك :

يقع الشاعران الغنائيان الكبيران روبرت بيرنز (Robert Burns) ووليام بليك (William Blake) الى حد ما خارج تقاليد القرن وأعرافه ، وحظي ديوان بيرنز « قصائد باللهجة الاسكتلندية بصورة رئيسية » (Poems, Chiefly in the Scot Tish Dialect) ١٧٨٦ بنجاح آني ، وذلك بسبب الاهتمام المتزايد بالشعر « البدائي » ، مع أن هذا الاهتمام كان في الغالب علمياً او يتصف بالهواية الفنية . على أية حال ، لم تنشأ مفردات بيرنز وجرسه من اية نظرية شعرية بل من اللغة العامية الدارجة في بلدة ايرشاير (Ayrshire) ومن الثروة الضخمة لأغاني الشعب الاسكتلندي التي كم نظم الشعر لالحانها القديمة ، كما اعاد لها عدة مجموعات من الكلمات . كان بيرنز ناقداً ناجحاً وحيوياً للنواحي الشخصية والاجتماعية ، ولأن خلفيته لم تكن علمية اكاديمية ، لذا غذت قراءاته عبقريته ، دون ان تخضعها لمتطلبات التعليم (التي اعاقت شاعراً مثل جراي(Gray) . ويعتبر واحداً من كتاب العصر القلائل الذين احتفظوا بصورة شعبية عن العالم . اما قصائد بليك بعنوان « اغاني البراءة » (Songs of Innocence) ١٧٨٩ « وأغاني الخبرة » (Songs of Experience) ١٧٩٤ فهي حقاً سليلة ترانيم اسحق واتس (Isaac Watts) لكن ما ادركه واتس في ضوء المبادىء الاخلاقية ، ادركه بليك بحدث واسلوب فريدين ، أصيلين ، فصاغة قصائد دقيقة مؤثرة تتميز برؤيا شخصية غريبة يمكن وصفها بأنها « حلم السائح الضائع » . وعندما اصبحت ارتباطاته أكثر خصوصية زاد بليك عزلته عن أي جمهور من القراء يمكن أن يستجيب له ، وهكذا ابتعد شعره اكثر فأكثر نحو الرمزية الصوفية المعقدة التي نجدها في كتبه التنبؤية مثل « اول كتاب لاورايزن » (The

First Book of Urizen) أو « كتـاب لوس » (The book of Los) ١٧٩٥ الـذي لم ينشره حسب المفهوم العادي للكلمة ، بل حفره بشكل جعل فهمه عسيراً ، وكانت النتيجة تلك الكتب المصورة الرائعة التي تتكامـل فيهـا القصيدة والصـورة . . . وشأنه شأن بيرنز ثار بليك على الامكانيات المحدودة للبشر ، وتلك ناحية يتميز بها هذان الشاعران عن عصرهما .

النثر الخيالي والنثر الغريزي المعرفة :

ادى ازدياد السفر وتوفر وقت الفراغ ، وهواية الادب بين الأسر الغنية ، بله ازدياد أهمية الملاحظات الشـخصية الى تجميع عدد وافـر من مجموعـات الرسائـل والمذكرات التي بلغت اوجها أولاً في فرنسا ممثلة برسائل ومذكرات مدام دوسبفينيه (Mme De Sevigné) ودوق دوسانت سيمون (Duc De Saint Simon) وفي عام ١٧٠٩ بدأت رسائل الليدي ماري وورتلي مونتاغيو (Lady Mary Wortley Montagu) وبعد ١٧ عاماً بدأت مذكرات اللورد هارفي (Lord Harvey) المسماة (Memories of The REign of George) « مـذكرات حكم الملك جورج الثانـي » ، بينما بدأ اللـورد تشيسترفيلد وهوراس وولبـول سلسـلتيهما من « الرسائـل » (Letters) حوالي عام ١٧٤٠ . اما رسائل جيلبرت وايت (Gilbert White) التي نشرت عام ١٧٨٩ تحت عنـوات « التـاريخ الطبيعـي وآثـار سلبـورن » (The Natural History And Antiquities of Selborne) فهي اقل تمشياً مع الطراز السائد آنئذٍ الا انها ممتعة لسحرها الخالي من أي تظاهر ؛ وتوضح ان عين الريفي المحبة للتفاصيل لم تكن نشطة في الفترة الرومانطقية وحدها . من ناحيته انتج وليام كوبر مجموعة من الرسائل الخاصة الجميلة الرشيقة الحادة الملاحظة . ومن حيث الاسلوب يقف شيستر فيلد في الناحية المقابلة اذ نشد متعمداً صيغة من التعبير أرادها مثالا للكمال في اللباقـة ، وحسـن الترتيب والكياسة ، وذلك عندما عالج عادات عصره ولباقته . وأكثر الرسائل عبثاً وقسوة هي رسائل هوراس وولبول (Horace Walpole) الذي تعتبر كتاباته موجـزاً لذوق وتاريخ وسيرة الفترة الجيورجية ، وفي نواح منها يتسم بالاصلاح والاعتدال كما كان في مجال الفن ذواقة محباً للفن القوطي وللطباعة الغريبة الثمينة ، والصور القديمة الموّضحة ، والزجاج الملون بالصور والزخارف .

كان بوزويل (Boswell) الذي اشتهر منذ امد طويل بكتابه « حياة جونسون » (Life of Johnson) استاذاً في النثر الانكليزي . وعندما نشرت يومياته في القرن العشرين كشفت عن رائد متمعن في دخائل الانسان وعن ناقد وافر المعلومات عن لندن في القرن الثامن عشر . كما أن « مذكرات ورسائل مدام اربليه » (The Diary And Letter of Mme D'Arblay) (فاني بيرني Fanny Burney) « وسيرة حياة » المؤرخ ادوارد جيبون (Edward Gibbon) تمثلان بدورهما ما هو رائع كثير التنوع في عصرهما .

لم تستطع الكتابات التاريخية الانكليزية أن تتخلص مما وصمت به بأنها تأتي في المؤخرة بالنسبة لفرنسا وايطاليا والمانيا حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، اذ نشر ديفيد هيوم (David Hume) أول مجلد من كتابه «تاريخ انكلترا» (History Of England) عام ١٧٥٤ . ثم ظهر كتاب وليام روبرتسون (William Robertson) «تاريخ اسكتلندا» (History Of Scotland) عام ١٧٥٩ وكتاب «تاريخ حكم الامبراطور شارل الخامس» (History Of The Reign Of The Emperor Charles V) عام ١٧٦٩ بالاضافة الى المساهمة المتزايدة عن مدينة ادنبره في الكتابات الفلسفية والاجتماعية . ثم جاء سفر ادوارد جيبون «تاريخ انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها» (History Of The Decline And Fall Of The Roman Empire) عام (١٧٧٦ ـ ١٧٨٨) ويشتهر هذا العمل العظيم بعناية الدؤوب المفرقة بالتفاصيل ، وبأحكامه المحنكة . وكان اسلوب جيبون رائعاً متزناً . اذ تجلى بالاضافة الى تشكك هيوم واسلوب روبرتسون ـ بالانسجام الفكري بين النثر الذي استعمله ، والفكر الذي عرضه وبتحيز ممتع خاص به .

اما بالنسبة للكتابات الفلسفية والسياسية في أواخر القرن فالملاحظ ان الفكر الحر شرع ينهك المدافعين الدينيين ويزحزحهم عن مواقعهم ، متجلياً في كتابات توماس بين (Thomas Paine) وجوزيف بريستلي (Joseph Priestley) ووليام جودوين (William Godwin) والسير جيمس ماكنتوش (Sir - James Mackintosh) وكان ادموند بيرك (Edmund Burke) المنافح الاكبر عن التقاليد والحفاظ عليها ، واستاذ

الاسلوب العاطفي في النثر ، ومن اعظم العقول المسيطرة في فن الرسائل السياسية وبالتالي فهو على طرفي نقيض بهذا الصدد مع جونيوس(Junius) وهو الاسم الادبي لكاتب لم تحدد شخصيته ، والذي كانت موهبته الصحفية الهجائية ذات قيمة عابرة .

المسرحية :

مع ان القرن الثامن عشر كان عصر الممثلين الكبار أمثال صاموئيل فوت (Samuel Foote) وديفيد جاريك(David Garrick) فهو هزيل بكتابة المسرحيات . ولم يكن من كتاب مسرحيين باستثناء فيلدينج الذي تمتع ببعض الاصالة ، وجولد سميث «تمسكنت فتمكنت»(She Stoops To Conquer) ١٧٧٣ .

ورغم الكثرة التي كتبت للمسرح فالموهوبون ادبياً لم يكونوا ما خلا ريتشارد برنزلي شيريدان الذي لمع - في نهاية القرن -(Richard Brinsley Sheridan) في مسرحية «المتنافسون»(The Rivals) ١٧٧٥ وبخاصة في مسرحية «مدرسة الفضائح» (The Schol For Scandal) وأظهر بأن له مقدرة مسرحية وأدبية قمينة بكتابة مسرحيات عظيمة بالمعنى الصحيح للكلمة .

الأدب الاسكتلندي بالانكليزية والاسكتلندية :

بينما كان كتاب النثر الاسكتلنديون يعدون العدة لتحدي الانكليزية في أرضها وبينما كان اتحاد عام ١٧٠٧ يشير الى الوشائج الثقافية الاوثق بين البلدين عما كانت عليه قبل قرن ، كان هناك تيار معاكس ظاهر في الشعر . وفي سنة الاتحاد تقريباً ظهر أول مجلد لجيمس واطسون(James Watson) وعنوانه «مختارات من القصائد الاسكتلندية الهزلية والجدية» ١٧٠٦ ضمت شعراً باللغة العامية الدارجة بالاضافة الى الانكليزية ، امتدت من قصيدة «كرستيس كيرك اون ذي كرين»(Christes Kirk On The Green) الى شعر أحدث مثل «سبمسون السعيد»(Happie Simson) ثم تلاه ديوان آخران ألين رامزي (Aline Ramzi) وهما «دائم الخضرة»

١٧٢٤ ، ثم توالت مجموعات ديفيد هيرد(David Herd) وجون بنكرتـون(John Pinkerton) وجيمس جونسون ، وجورج تومسون . وجميعهـا تكشف عن وعـي قومي جديد شرع باعادة متعمدة للمنجزات السابقة الى الذاكرة ، وبالتالي لكتابة اعمال اصيلـة تحـذو حذو هذه المنجـزات «عرفـا وتقليداً» . وبضياع الشـخصية السياسية للبلاد أصبحت الفروق الثقافية ذات بال ، فلغة المتعلمين كانت تسلك السبيل الذي طرقه النثر المكتوب بالانكليزية الدارجة في انكلترا ، اما في الشعر فما زال قلب اللغة الاسكتلندية ينبض بوهن ، وعدته اللغـة الشائعـة ولغـة الاغانـي والقصائد الغنائية من نوع «البالاد» التي أعيد طبعها آنئذ . وازدهر شعر رامـزي (Ramsy) شأنه شأن روبـرت فيرغسـون(Robert Fergusson) (١٧٥٠ ـ ١٧٧٤) وروبرت بيرنز (١٧٥٩ ـ ,! . ظل باتحاد هذه العناصر . لان القوة السريعـة للغـة الحديث الاسكتلندية ، والخفة الموسيقية المرحة للاغاني ، والاشكال والاسـاليب الشعرية ، مثل القطعة الشعرية في قصيدة «سمسون السعيد»(Happie Simson) والشعر التأملي المرح ، والرسالة الشعـرية ، كل هذا ساعـد على تلاحـم التقليد العامي للغة وبخاصة بما استعمله الشعـراء امثـال الاخـوة سمبيلـز(Sempills) ، ووليام هاملتون من جلبرت فيلد(Gilbert Field) وان لم يكن لهذا الشعر الجـديد البعد والقوة الفكرية مما اتصف بها شعر «المكارس» ومع ذلك كانت صفات بارزة ، شديدة الجاذبية . ويتجلى هذا اكثر ما يتجلى في اغناني الحب مثل «دنكان جراي» (Dincan Gray) «ولو كنت في الهـواء البـارد»(O'wert Thou In The Cauld Blast) واغاني المرح والعاطفة مثل قصيدة «الشحاذون المرحون»(The Jolly Beggars) وفي قصائد فيرغوسون(Fergusson) الرصفية اللاذعة دون مرارة ، مثل «ركي العجوز» (Auld Reikie) «والفراشة»(Butterfly) . وابدع بيرنز في شعر الحب الغنائي والنقد والهجاء متابعاً السير من حيث توقف دنبار(Dunbar) . اما الشعر الغنائي فقد بلور الاغاني المتناقلة والمجهولة التأليف في اشكال شعبية موثوق بها . وفي بيرنز يلتقي الكثير من التقاليد ، لانه يؤكد بشعره على المواضيع والاشكال الادبية القائمـة في عصره ، ويطورها ويرسخ من اقدامها نازعاً بها الى الكمال ، وبشكل يبين فيه انه بحق شاعر قومي ، وإن كان هناك اي شاعر اهلا بوصف «باعث على الحياة» فهو

بيرنز ، لكن لسخرية التاريخ الادبي ـ ان برهن على شيء ، فعلى انه محرر للشعر الانكليزي وليس لشعر بلاده .

كانت الشاعرات من بين أفضل الشعراء الثانويين لهذه الفترة ، مثل الليدي كريزل بيلي(Lady Grisel Baillie) وجين اليوت(Jane Eliot) والليدي آن ليندسي (Lady Anne Lindsay) والليدي نيرن(Lady Nairne) اما الشعراء الذين نظموا بالانكليزية فقد شارك تومسون في قصيدته «الفصول» (١٧٢٦ ـ ١٧٣٠) جافين دوغلاس(Gavin Donglas) المقدرة على جعل الشتاء أروع من الصيف ، ويعطينا صوراً بطيئة الحركة «لكالدونيا في جو رومانطيقي» . وتبدي قصيدة «القبر» لـ روبرت بلير(Robert Blair) ١٧٤٣ تذوقاً كئيباً مروعاً وان كان شائعاً في الشعر الاسكتلندي . وجديرة بالذكر ـ في هذا الصدد قصيدة «تحطم سفينة»(Shipwreck) (١٧٦٢) للشاعر وليام فالكونر(William Falconer) ١٧٦٢ ، التي أعجب بها بيرنز . كما ان قصيدة «الشاعر الشعبي» ١٧٧١ ـ ٧٤ لـ جيمس بيتي(James Beattie) قمينة بالاعتبار لاهميتها التاريخية كقطعة رومانطيقية مبكرة . ويجب ان نلاحظ هنا ثلاثة مؤلفات شعبية كان لها أثر في هذا العصر هي : مأساة جون هوم (John Home) المسماة «دوغلاس» ١٧٥٦ الاسكتلندية موضوعاً لا لغة ، وبعض الاجزاء العظيمة من القصائد المسماة «اوسيان»(Ossian) لـ جيمس مكفرسون (James Macphersoni) التي أعطت اوروبا صورة عن «الغالي» النبيل ، ورواية «رجل الاحساس» ١٧٧١ لـ هنري مكنزي التي فضلها روبرت بيرنز الشاب على غيرها .

الفَصْل الثّاني

الأدَب الامريكي في القرن الثامن عشر

وفي امريكا استمر كوتن ماذر(Cotton Mather) ـ بمطلع القرن الثامن عشر ـ في السير على النهج القديم . وكانت اعماله مثل تاريخه الضخم عن «نيوانجلند» البيورتانية المسمى «ماغنا ليا كريستي امريكانا»(Magnalia Christie Americana) عام ١٧٠٢ ، وكتابة المكين «مانيود كتيو أد مينيستيريوم» (Manuductio Ad Ministerium) أو «مقدمة للكهنوت» ١٧٢٦ دفاعاً عن العقائد البيورتانية القديمة .

كما دافع جوناثان ادواردز(Jonathan Edwards) ـ مؤسس «اليقظة الكبرى» وهي احياء ديني حرّك الساحر الشرقي لامريكا لعدة سنوات ـ بفصاحة عن اعتقاده وايمانه المتقدين بالعقيدة الكلفينية ، وخاصة المبدأ القائل ان الانسان الذي وجد ساقطاً لا يستطيع ان يحصل على الفضيلة والخلاص الا برحمة الله ـ وذلك في مقالته «حرية الارادة»(Freedom Of Will) ١٧٥٤ . وقد دعّم دعواه تلك رابطاً اياها بنظام ميتافيزيقي معقد ، كما تجلّ جداله بنثر واضح ، وجميل احياناً .

الا ان ماذر وادواردز كانا يدافعان عن قضية كانت بحكم المنتهية . فقد اتجهت مجموعة قساوسة نيوانجلند امثال جون وايز(John Wise) وجوناثان ميهيو (Jonathan Mayheo) وجهة دين اقل تزمتاً . وبشرّ صاموئيل سيول(Samuel Sewall) بتغييرات اخرى في «يومياته» المسلية التي تغطي السنوات ١٦٧٣ ـ ١٧٢٩ . ورغم كونه متدينا مخلصاً فقد أظهر في سجلاته اليومية كيف ان الحياة التجارية في نيوانجلند حلت محل البيورتانية المتزمتة باتخاذها مواقف اكثر دنيوية . وتصف «يوميات»(Journal) السيدة سارا نايت(Mme Sara Knight) بتفصيل او بروح هزلية ، رحلة قامت بها تلك السيدة الى نيويورك عام ١٧٠٤ . وعبّرت

بوضوح وواقعية عما شاهدته وعلقت عليه من وجهة نظر مؤمنة صحيحة العقيدة ، الا ان صفة من الخفة في كتاباتها الفكهة اظهرتها أقل حماساً بكثير من المؤسسين الحجاج لمستعمرة نيوانجلند . كما ان وليام بيرد(William Byrd) من فيرجينيا في الجنوب وهو احد اصحاب المزارع الارستقراطيين - اظهر ذلك البون الشاسع بينه وبين سبعة من كتاب تآكلت قلوبهم من الكآبة والسوداوية في نظرتهم للحياة . اما مؤلفاته الرئيسية فهي «تاريخ الحد الفاصل»(The History Of The Dividing Line) ١٧٢٨ وهو سجل لرحلة استطلاعية قام بها عام ١٧٢٨ «ورحلة الى ارض عدن»(A Journey To The Land Of Eden) وهو وصف لزيارة قام بها الى املاكه على الحدود عام ١٧٣٣ . هذا وان السنوات التي امضاها في انجلترا وفي اوروبا وفي اوساط ارستقراطيي الجنوب مدّته بالمرح ورشاقة الاسلوب . ورغم انه انجليكانيا متدينا فقد كان فكها خفيفاً ، كأنه واحد من اصحاب الظرافة في فترة عصر «عودة الملكية» الذين اعجب بمؤلفاتهم . اكد عنف الثورة الامريكية على وجود خلافات آخذة بالتفاقم بين المفاهيم السياسية الانكليزية والامريكية . وبينما كان المستوطنون الامريكيون يميلون للاعتقاد بان الثورة متفجرة ولا بد ، لكن بينما هم يخوضون حرباً ضروساً ، ويجهدون لتأسيس حكومة امة جديدة كان يستأثر بمشاعرهم عدد من الكتاب السياسيين المؤثرين جداً أمثال صاموئيل آدمز(Samuel Adams) وجون ديكنسون(John Dickinson) اللذين آزرا المستوطنين ، والموالي جوزيف كالاوية حتى أطل كل من بنجامين فرانكلين(Benjamin Franklin) وتوماس بين(Thomas Paine) مشرفين، ففاقوهم جميعاً.شرع فرانكلين المولود عام ١٧٠٦ بنشر كتاباته في جريدة أخيه المسماة «نيوانجلند كورانت»(New England Courant) بدءامن عام ١٧٢٢ . وفيها تصدى للدفاع عن طبقة الحرفيين والمزارعين ؛ واستجاب لها القراء لبساطة لغتها ونقاشها العملي . وحظيت بشعبية واسعة فكرة فرانكلين القائلة ان التفكير السليم خير دليل ، وتجلت بوضوح في «تقويم ريتشارد الفقير»(Poor Richard Almanac) بين عامي ١٧٣٣ و١٧٥٨ وقد شحنها بأقوال مأثورة فكهة كتبها ريتشارد سوندرز(Richard Saunders) الذي لم يكن متعلماً بل خبيراً واسع المعرفة . كما ظهرت له «سيرة الكاتب الذاتية»(Autobiography) التي كتبها بين

عامي ١٧٧١ و١٧٨٨ وهي سجل لنشوئه من ظروف متواضعة ، كما تعطي درساً دنيوياً يشير الى اقتراحات بشأن النجاح في المستقبل . ان ثقافة فرانكلين ـ حصيلة جهده الذاتي ـ التي تتصف بالعمق والشمول كانت المعين المتدفق مادة ومهارة لمقالات متنوعة ، وكراسات وتقارير حول النزاع مع بريطانيا العظمى وكثير منها كان بالغ التأثير في تقرير وصياغة قضية المستوطنين الامريكان .

غادر توماس بين موطنه انكلترا قاصداً فيلادلفيا ليصبح محرراً لمجلة ، (١٤) شهراً ليصبح اكبر مدافع عن قضية المستوطنين ورافع للوائها . وقد خلفت كراسته المسماة «التفكير السليم» بصماتها على المستوطنين ، وشجعتهم على اعلان استقلالهم . اما مقالات «الازمة الامريكية»(The American Crisis) (كانون الاول ١٧٧٦ الى نيسان ١٧٨٣) فقد شجعت الامريكيين محرضة اياهم على الاستمرار في القتال خلال احلك سنوات الحرب . ولما كانت تستند الى معتقدات بين «الربوبية» البسيطة ، لذا أظهرت النزاع على انه ملودراما مؤثرة ، يمثل المستوطنون فيها دور الملائكة ، والمستعمرون الانكليز دور قوى الشر . ودعائياً كانت مثل هذه اللوحات بالاسود والابيض بالغة الاثر ، ويكمن السبب الآخر لنجاح بين في حماسة الشعري الذي ارسله بكلمات وتعابير عاطفية ، اقتبست وحفظت في الذاكرة امداً طويلاً .

الأمة الجديدة :

في فترة ما بعد الحرب لم يعد بعض هؤلاء الرجال قادرين على التأثير، اذ كان ينقص توماس بين وصاموئيل آدامز الأفكار البناءة التي يستجيب لها المهتمون بتشكيل حكومة جديدة، الا ان بعضهم كان اكثر توفيقا. ففرانكلين اثر تسامحه وادراكه السليم على المؤتمر الدستوري، فضلا عن لفيف من المؤلفين ارتفعوا لمصاف القادة في الفترة الجديدة مثل ثوماس جفرسون(Thomas Jefferson) والكتاب الموهوبين للمقالات التي نشرت في «الفيدرالية»(The Federalist) وهي سلسلة من ٨٥ مقالا نشرت عام ١٧٨٧ وعام ١٧٨٨ تحث على فضائل الدستور الجديد المقترح، كتبها الكساندر هاملتون(Alexander Hamilton) وجيمس ماديسون(James Madison) وجون جاي(John Jay) . ولما كانت هذه الاعمال تتميز بعمق البصيرة في معالجة قضايا

الحكومة، وبمنطقها الهادئ اكثر من تمييزها بالفصاحة غدت بمثابةتقرير كلاسيكي عن النظرية الحكومية لأمريكا. فضلا عن أنها كانت ـ بنفس الوقت ـ بالغة الأثر على المشرعين الذين صوتوا على الدستور الجديد. واصبح هاملتون الذي ربما كتب ٥١ مقالا فيدرالياً أحد قادة الحزب الفيدرالي(Federalis Party) . وبوصفه اول سكرتير للخزينة (١٧٨٩ ـ ٩٥) ـ كتب رسائل رائعة الاثر في تدعيم الحكومة القومية على حساب حكومات المقاطعات.

كان توماس جفرسون كاتبا سياسيا ذا أثر اثناء الحرب وبعدها. وكما اشار ماديسون(Madison) تتلخص فضائل موجزه الرائع حول«اعلان استقلال» في انه شرح واحد للحقوق الانسانية، كتب باسلوب وطابع يلبي المناسبة الكبرى كما يناسب روح الشعب الامريكي. وبعد الحرب صاغ المبادىء الدقيقة لعقيدته، ونشرها مسلسلة في عدة مقالات، لكنه شرحها بشكل أوفر واغنى في رسائله وفي كلماته «التدشينية» التي حث فيها على الحريةالشخصية والفردية والاستقلال المحلي ـ وهي نظرية في اللامركزية تغاير ايمان هاميلتون بدولة فيدرالية قوية. ومع اعتقاده بان كل الناس خلقوا متساوين ظل جفرسون يؤمن بان «ارستقراطية طبيعية» من (الفضائل والمواهب) يجب ان تتولى المراكز الحكومية العليا.

الشعراء والشعر:

اصبح الشعر خلال الثورة الامريكية سلاحا ذا حدين، اذ استعمله الموالون للتاج، والداعون الى الاستقلال على حد سواء، يعبرون فيه عن جدلهم، ويمجدون ابطالهم شعرا واغنية مثل «يانكي دودل»(Yankee Doodle) «وناثان هيل»(Nathan Hale) «والخاتمة»(Epilogue) وقد لحن معظمها حسب الحان بريطانية شعبية، وبالأسلوب يشابه قصائد بريطانية أخرى للفترة .

واستخدمت اولى قصائد فيليب فرينو(Philip Freneau) الهجائية الشهيرة كمحرك في الحرب الاهلية، وهكذا كانت أداة دعائية قوية الأثر. وبعد هذه القصائد التفت الى النواحي المختلفة على الساحة الامريكية. ومع انه نظم الكثير حسب الاسلوب الجامد للكلاسيكيين الجدد الا ان قصائد مثل «صريحة الجدي البري»،

وحول «النحلة» كانت غنائية رشيقة دقيقة الاحساس، وتبشر بحركة أدبية قدر لها ان تصبح هامة في القرن التاسع عشر.

المسرحية والرواية:

وفي السنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر تم تأليف مسرحيات وروايات تتحلى ببعض الاهمية التاريخية. ومع ان المجموعات المسرحية كانتنشطة في امريكا منذ امد قصير الا ان اول هزلية امريكية اخرجها محترفون ممثلون كانت «المقارنـة» (contrast)(١٨٧٨) ل رويال تايلر(Royall Tyler) وهي تعكس اصداءً كثيرة من جولدسميث وشريدان، الا انها جلت شخصية امريكية من نيوانجلند مما يسمى «يانكي» وكانت سابقة لكثير غيرها في السنوات التالية، كما كان لها فضل اضافةعنصر وطني محلي للمسرح.

كتب وليام هيل براون(William Hill Brown) اول رواية امريكية عنوانها «قوة التعاطف»(The Power of Sympathy) ١٧٨٩ التي اظهرت للمؤلفين كيف يتغلبون على دميم التعصب القديم ضد هذا الشكل الادبي باتباع الرواية العاطفية التي ابتدعها ريتشاردسون. وقد أخذ باسلوب هذه الرواية فيض من الروايات العاطفية حتى نهاية القرن التاسع عشر اذ نهج هيو هنري براكنريدج نهج دون كيشوت لسرفانتيس، كما سار على درب فيلدنج، ونال بعض النجاح الشعبي في رواية «الفروسية الحديثة»(Modern Chivalry) ١٧٩٢ ـ ١٨١٥ التي تفتقد الديموقراطية وتصور بشكل ممتع حياة الحدود اما الروايات القوطية المثيرة فقد لبست طابعاًأمريكياً الى حد ما، في ورايات شارل بروكدين براون(Charles Brackden Brown) مثل «ويلاند»(Wieland) ١٧٩٨، و«لآرثر ميرفين»(Arther Mervyn) و«ادغار هنتلي» (Edgar Huntly) لكن اهمية جميع هذه المؤلفات لا تكمن في كونها منجزات فنية بارزة بقدر ما كانت بدايات ذات قيمة تاريخية.

الفَصْـل الثّالث

الأدَب الفرنسي في القـرن الثامِن عَشر

سنوات الانتقال :

من الممكن القول بأن مرحلة جديدة في الأدب الفرنسي دشنت عام ١٦٨٥ نتيجة لالغاء «مرسوم نانت» (Mantes) الذي كان قد أدى الى كبت سائـر اشـكال التعبير البروتستنتي ، كما ويمكن اعتبار الثورة الفرنسية نهاية لهـذه الفتـرة . فقـد اختفت من الصـورة شخصيات عظيمـة مثـل موليير وكونيي ولاروشغوكولـد(La Rachefaucauld) وراسـين ومعظـم الكتّـاب الـرئيسيين الآخـرين ، إلاّ ان روح الـكلاسيكيين وعبقريتهـم ما زالـت ماثلـة حية . وقـد كان هنـاك تعـديل لهـذه الـكلاسيكية في الوجـدان الاجتماعـي الـذي تكشف في كتـاب «شـخصيات» (Caractères) لمؤلفه جان دولا برويير (Jean de la Bruyère) مبشراً بالاحسان الذي دعا اليه القرن الثامن عشر.

وفي هذه الأثناء اهتم كتّاب كثيرون بالنقد اكثر من التفاتهم للعمل المبدع . فان شارل بيرولـت (Charles Pearault) الـذي يذكر بشـكل رئيسي بقصص عن الجنيات المسماة «قصص الوزة الام» (Contes De Ma Mère L'Oye) (١٦٩٧) هاجم سمعة العالم القديم وشهرته في قصيدته «عصر لويس العظيم» (Le Siècle De Louis Le) ١٦٨٧ ، حيث يؤكد ان عصر لويس الرابع عشر يقارن بعصر الامبراطـور الرومانـي اغسطـوس . إلاّ ان نيقـولا بوالـو - شأنـه شأن لافنتـين (La Fontaine) ولابـرويير (La Bruyère) استقبـل باشمئزاز آراء بيرولـت ، ولـم تحـدث المهادنـة والتسوية ما بين دعاة القديم (Ancien) وهم جماعة بوالو ودعاة الحديث (Moderne) الا في عام ١٧٠١ .

ومع ان الاجيال التي تلت اعتبرت عودة راسين الى المسرح بمسرحية «إستر» (Esther) (اخرجت للمرة الأولى عام ١٦٨٩)، وبشكل خاص بمسرحية «اثالي» (Athalie) ١٦٨١، اعظم حدث بتاريخ المأساة في الثلاثين عاماً الأخيرة من حكم لويس الرابع عشر، الا ان كاتيا مسرحياً آخر هو بروسبر جوليو دوكربلون (Prosper Jolyot de Crébillon) تسنم - عهد ذاك - قمة الشهرة بمسرحيات رهيبة تجمد الدم في العروق، اشهرها «راداميست وزنوبيا» (Rhadamiste et Zénobie) ١٧١١ المليئة بالاغتيالات، والتباس الشخصية والنزاع الأودبيبي.

وكتب جان فرانسوا رينارد (Jean-François Regnard) عدداً كبيراً من المسرحيات الهزلية الخفيفة السطحية، معتمداً أساليب الهزليات الفنية من نوع «الفارس» اشهرها «المقامر» (Le Joueur) ١٦٩٥.

وكان فلورنت كارتون دانكور (Florent Carton d'Ancourt) المشهور باسم دانكور (Dancourt) كاتباً آخر غزير الانتاج بكتابة الهزليات، وذا مهارة في رسم الانماط الاجتماعية. وارتقى الين - رينيه ليساج (Alain-René Lesage) مستوى ارفع؛ وكان اول نجاح له على المسرح عندما اخرج مسرحية «كريسبين» ؛ منافس سيده» (Crispin, Rival de Son Maitre) عام ١٧٠٧ ومسرحية «توركاريه» (Turcaret) ١٧٠٩ وكلتاهما جريئة نابضة بالحيوية.

إن اهم رواية كتبت خلال هذه السنوات هي «مغامرات تلماك» (Les Aventures de Telemaque) (نشرت عام ١٦٩٩) لِـ فرانسوا فينيلون (François Fénelon) الذي اشتهر ليس كالكيركي فقط، بل كأديب مبدع بمقالة «تعليم البنات» ١٦٨٧. اما «مغامرات تلماك» التي تروي بنثر بديع، رحلات تلماخوس ابن عوليس بعد حصار طروادة فقد كتبت للدوق بورغون (Duc de Bourgogne) وريث العرش الفرنسي، وبلغت غاية في النجاح بعد نشرها مباشرة. عبر فينيلون فيها عن افكار تقدمية ذات صفة سياسية واجتماعية، وغالباً ما بطّنها بنقد خفيّ لسياسات لويس الرابع عشر، كما قدم فيها مزيجاً غريباً لاقطاعية وسيطية وحكم مطلق متنور، واصبحت الرواية على يديه اداة لنشر افكار معينة متطورة.

ان التراجع عن «الارثوذكسية» المطلقة لرجل الدين جاك بنين بوسيه (Jacques

عبر عنه اكليريكيون آخرون امثال اسبري فلاشيير(Esprit (Benigne Boussuet Fléchir) اسقف نيم (Nimes) وجان بابتيست ماسيلون(Jean-Baptiste Massilon) اسقف كليرمون (Clermont) وجانسنييت باسكيه كيسنيل(Jansenist Pasquier Quesnel) وبخاصة فينيلون الذي انتقد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في كتابة «تفسيرات لمبادىء القديسين حول الحياة الداخلية»(Explications Des Maximes Des Saints Sur La Vie Interieure) اما ريتشارد سيمون (Richard Simon) الذي ادى به تطبيقه للأساليب الشديدة من النقد الانجيلي، في كتابه «تاريخ نقدي للعهد القديم» (Histoire Critique du Vieux Testament) ١٦٧٨ الى تهمة الهرطقة فطرد من سلك النظام الذي كان يتبعه.

ويظهر اتجاه نحو مفهوم نسبي عالمي - وهي وجهة نظره القائلة بان الحسن والسيء والصالح والطالح، هي مفاهيم نسبية، وان ما هو صالح في مجتمع ما قد يكون غير صالح في مجتمع آخر - في مؤلفات شارل دوسان دنيس دوسان افريمو (Charles De Saint-Denis De Saint-Evremond) الذي عاش في المنفى في انجلترا وهولندا من عام ١٦٦١ حتى وفاته عام ١٧٠٣. وقد تمتع كفرد ومفكر حر بذكاء حاد ونقدي ، وشجع على النسبية الآنفة الذكر كتاب «رحلات وذكريات حول امريكا» (١٧٠٣) (Memoires sur L'Amerique) للبارون دولاهورتان(Baron De La Horrtan) وبترجمة انطوان غالان (Antoine Galland) لكتاب الف ليلة وليلة.

ميزت النظرية النسبية معظم أعمال برنار لوبوفييه سير دو فونتنل(Bernard Le Bovier, Sieur De Fontenelle) الذي اشتهر بطلاوة اسلوبه، وبذكائه الوقّاد قبل عام ١٦٩٠. ويعتبر كتابه «ازدواجية العالمين»(Entretiens sur la Pluralité Des Monde) عام ١٦٨٦ فريداً في بابه كمثال على التعميم العلمي، وعلى الهجوم العنيف على التعصب. وقد أظهر هنا كما اظهر كتابه «تاريخ المعجزات»(Histoire des Oracles) ١٦٨٧ عقلاً مشككاً لا يتأثر بثقات الفلسفة والدين.

كان بيير بيل(Pierre Bayle) الذي نفي لكونه بروتستنتياً مجادلاً بشكل رئيسي - يهاجم الخرافات ، ويبحث في فضائل الملحد في كتابه «افكار متنوعة حول المذنب» (Pensées Diverses Sur La Comète) ويدافع عن حرية الضمير في كتابه «تعليق

فلسفي» (Commentaire POhilosophique) ١٦٨٦ . واهم مؤلفاته وابلغها اثراً هو معجم تاريخي ونقدي (Dictionnaire Historique et Critique) ١٦٩٧ . ولربما كان هذا الزخم من المعرفة اضخم واعظم كمّاً مما يقدمه رجل واحد . وفي القرن الثامن عشر اعتبر بيل مشككاً، الا ان بعض القرّاء الحديثين يأنسون فيه شعوراً دينياً راسخاً .

كان فونتنيل وبيل أبرز مبشرين بالحركة التي عرفت فيما بعد بحركة «التنوير» . ومن المؤلفات التي اسهمت في هذا الصدد «تنهدات فرنسا المستبعدة» (Les Soupirs De La France Esclave) (١٦٨٩ ـ ١٦٩٠) وهو كتاب مجهول المؤلف. ومن المؤلفين نذكر القس كاستيل دوسان بيير (Abbé Castel de Saint Pierre)

الادب الخلّاق :

المسرحية :

اغرى نجاح كربلون فرانسوا ماري اروي (François-Marie Arouet) ـ الذي كان يكتب تحت الاسم الادبي «فولتير» ـ بالكتابة للمسرح المأساوي، وفي عام ١٧١٨ اخرجت مسرحية «اوديب» (Oedipe) وهي الأولى من ٣٠ مأساة حاز بعضها نجاحاً لامعاً وخاصة «زاير» (Zaire) (اخرجت للمرة الأولى عام ١٧٣٢) و«محمد» (Mahmet) عام ١٧٤٢ . وقد تميّز الشكل الأدبي الذي استعمله كسلاح في جدله الفلسفي بالاسلوب الايقاعي العنيف، والتأثيرات العاطفية المغرقة، التي غالباً ما اوحى بها شكسبير، واحترام متفاوت الدرجة لذوق وأعرف عصر سابق وقد تمتع كتّاب آخرون بشهرة واسعة في عصرهم، اذ ضرب هودار دو لا موت (Houdar De La Motte) الرقم القياسي في النجاح المالي، بمسرحية «اينس دو كاسترو» (Ines De Castro) ١٧٢٣، كما أن مسرحيات بيريت دوبلوي (Buyrette De Belloy) اخرجت اكثر من مرة.

ألف فيليب نيريكول دستوش (POhilippe-Nericault Destouches) هزليات من النوع الذي يعتمد على الشخصيات بالدرجة الأولى، وكان هدفه منها اخلاقياً،

مثل «الكونت المغرور» (Le Glorieux) ١٧٣٢ التي تعتبر افضـل ما كتـب في هذا المجال. وتناولت الشعراء بالهجاء مسرحية «مجانين الشعر» (Metromanie) ١٧٣٨ ـ للكاتب الكسي بيرو (Alexis Piron) وعلى اية حال فان اعظم شخصين موهوبين من كتاب الهزليات هما بيير كارليه دو شمبلان دو ماريفو (Pierre Carlet de Chamblain de Marivaux) وبيير اوغسطـين كارون دوبومـارشيه (Pierre-Augustin Caron de Beaumarchais) . كتب اولهما هزليات نثرية قوامها المكيدة الناعمة ويشـكل فيهـا الحب القوة الدافعة، واشهر هزلياته: «لعبة الحـب والحـظ» (١٧٣٠) (Le Jeu de l'Amour Et Du Hasard) يتميز دو ماريفو بمهارة التحليل النفسي ورشاقته وبأسلوبه البديع الصقل وبشخصياته المسفسطة المتطورة حضارياً. تصور مسرحياته المجتمع الباريسي المخملي المعاصر في القرن الثامن عشر.

وكتب المغامر السياسي والمتآمر المالي بومارشيه عدداً من المسرحيات اجدرهـا بالتقدير «حلاق اشـبيلية» (Le Barbier de Sciville) ١٧٧٥ «وزواج فيغـارو» (Le Mariage de Figaro) ١٧٨٤ . أدت الى نجاح المسرحيتين المستمر، رفعة الفكاهة ، والنقد الاجتماعي الجريء لطبقة النبلاء، وبخاصة شخصية فيغارو المرح، والخالي من كل وهم، والفصيح الذي لا يحفل بأي رادع اخلاقي.

جرت عدة محاولات للتخلص من التمييز الكلاسيكي المتزمت ما بين المأساة والملهـاة اذ كتـب نيفيل دو لا شوسيه (Nivelle De La Chaussée) ـ الـذي كانـت مسرحيتـاه الرئيسيتـان «التعصـب الـدارج» (Le Prejuge A La Mode) ١٧٣٥ «وميلانيد» (Mélanide) (١٧٤١) ـ هزليتين حذف منهما ما هو هزلي ، فتمثلتا بذلك القلق والأزمـات المنـزلية. لكن اكثـر المسرحيات اهمية من حيث استمرارهـا هي المسرحية المنزلية، وهي ما يسمى بمأساة الطبقـة المتوسطـة (Tragédie Bourgeoise) التي طورها دنيس ديدرو (Denis Diderot) الذي ابتدع نظرية عن مسرحية تصعِّد المشاعر ، منتقياً شخصياتها من طبقة اجتماعية اكثر تواضعاً، لاعتقاده بأن الأشكال الأدبية التقليدية استنفـدت اغراضهـا بالتـالي فالمسرحية اداة مفيدة لاستنتـاج هذه الدروس الاجتماعية التي كانت عزيزة بالنسبة للقرن الثامن عشر.

وتعزيزاً لرأيه هذا كتب مسرحيتين هما «الابن الطبيعي» (Le Fils Naturael)

١٧٥٧ «والاب» (Le Père De Famille) ١٧٥٨ . ممهـداً بذلك الطـريق لكتّـاب آخرين وبخاصـة ميشيل جان سيدان (Michel Jean Sedaine) بمسرحية «الفلسفـة بدون معرفـة» (La POhilosophie sans le Savoir) ١٧٦٥ . وسبسـطيان مـيرسيير (Sebạstien Mercier) الذي حوّر مسرحية «روميو وجولييت» ، تحت عنوان «قبور فـيرون» (Les Tombeaux de Verone) (١٧٨٢) . تكمـن اهمية هذا النـوع من المسرحية بانها مهّدت السبيل للمسرحية الرومانطيقية في القرن التاسع عشر.

الشعر :

في عداد الغنائيات من طراز «الأود» هناك عدة قصائد قيمة «مسيحية وفلسفية» (Odes Chrétiennes Et Philosophiques) نشرت عام ١٧٧١ للشاعـر فرانـك دوبومبينيان (Le Franc De Pompignan) . ويستحق ابـن راسـين العـظيم لويس راسين (Louis Racine) الذكر هنا لقصيدته «الدين» (La Religion) ١٧٤٢ وفيها يعبّر عن عواطف الكاثوليكية «الجانسنية» (Jansenist) وقد نظمهـا بروح تذكرنـا بلغـة باسكال ـ شأنه شأن شارل ـ بيير كولاردو (Charles-Pierre Colardeau) في رسائله المساة «هيرويد» (Heroides) . على اية حال كان فولتير الشخصية الشعرية الرئيسية حتى اواخر القرن، لأنه كان الوحيد من ابناء عصره الذي استطاع ان يكتب قصيدة ملحمية بعنوان «الهنرياد» (La Henriade) . لكن الكثير من قصائده ليس سوى نقد لاذع، بينما يفيض بعضهـا مثـل «قصيدة حول مصيبـة ليشبونـة» (Poeme sur la Desastre de Lisbonne) ١٧٥٦ برقة كبيرة.

في النصف الثانـي من القـرن نشر جاك دوليل (Jacques Delille) قصيدتـه الوصفية التعليمية «الحدائق» (Les Jardins) في أربعة أجزاء كما كتب انطوان ـ لينارد ثوماس (Antoine-Léonard Thomas) مسرحية غنـائية عنوانهـا «الأود عن الزمـن» (Ode Sur La Temps) ١٧٦٢ . ويشمخ من بين هؤلاء جميعاً الشاعر الأعظم ربيب القسطنطينية: اندريه شنييه (André Chénier) الذي انتهى عنقه تحت المقصلة وذلك «بقصائده» من نوع الأود وبمرثيات وقصائد وهجاء من بحر الأامب (Odes, Elegies, Iambes) المتسمة جميعاً بالعاطفة الشخصية والجمال الكلاسيكي النقي.

الرواية :

اخذت الرواية في القرن الثامن عشر في الارتقاء، اذ نشر الآن رينيه ليساج (Alain-René Lesage) «جيل بلاس» (Gil Blas) على ثلاث مراحل بفترات زمنية يفصل ما بينها عشرة اعوام (١٧١٥، ١٧٢٤، ١٧٣٥) وذلك بعد ان نشر قصة نقدية عنوانها «الشيطان على عودين» (Le Diable Boiteux) ١٧٠٧ يدين فيها بالكثير للأدب الاسباني ولا سيما وصف رحلات جيل بلاس (Gil Blas) عبر اسبانيا. اما صورها النقدية فعديدة ولكن الرواية تخطت ذلك بعيداً، بعد ان نشر القس بريفوس (Abbé Prévost) في آخر مجلد من مذكراته المسماة «مذكرات رجل من الطبقة الرفيعة اعتزل العالم» رواية «مانون لسكو» (Manon Lescaut)، فهي تجسد الجمال والخيانة في شخص البطلة مانون، بينما يمثل حبيبها دي غريو (Des Geieux) الذي كان وجدانه أبداً اضعف من مشاعره العاطفية المفرطة المعروفة باسم الاحساس المرهف. اما روايات ماريفو (Marivaux) مثل «حياة ماريان» (La Vie De Marianne) (١٧٣٦ - ١٧٤٢) و«الفلاح السعيد» (Le Paysan Parvenu) ١٧٣٥ - ١٧٣٦ فهادئة بالمقارنة بغيرها. كما تظهر قوة بريفوست (Prevost) كذلك في «رواية هلوييز» (La Nouvelle Héloïse) ١٧٦١ لِـ جان جاك روسو التي تعكس تأثير الكاتب الانكليزي صاموئيل ريتشاردسون. تمتعت هذه الرواية التي سيقت باطار رسائل بشهرة فائقة. فالتشخيص مرح، ووصف الجمال الطبيعي وافر، وهو شيء غير معتاد في القرن الثامن عشر.

ويمثل هذا المؤلف اوج ما يعرف «بالاحساس المرهف» الذي بشّر بالحركة الرومانطيقية. تجلى هذا الخط من التطور بنشر الرواية الغربية «بول وفيرجيني» (١٧٨٧). لبرناردان دو سان - بيير (Bernardin De Saint-Pierre) ورواية «معارف خطرون» (Les Liaisons Dangereuses) ١٧٨٢ المكتوبة على شكل رسائل لمؤلفها كودلالودو لاسلو (Choderlos de Laclos) وروايات ديدرو. وتجمع قصص فولتير القصيرة والفلسفية مثل «زاديك» (Zadig) ١٧٤٧ و«كانديد» (Candide) ١٧٥٩ ما بين النقد السياسي اللاذع والأسلوب الفكه الهش وهما ما تزالان تحتفظان بروعتهما بعد قرنين. ازاء نشوء الرواية في القرن الثامن عشر ثمة تطور مماثل في المذكرات التي

تعتبر الآن مفيدة للمؤرخ والناقد الأدبي. وتمدنا «مذكرات» (Mémoires) الدوق سان سيمون بمعلومات وافرة عن حياة البلاط والنشاط السياسي بين عامي ١٦٩١ و١٧٢٣. وروسو هو الشخصية الهامة الثانية في هذا المجال، اذ اتصفت «اعترافاته» (Confessions) (١٧٦٥ ـ ٧٠) بصراحتها والكآبة في تجملاتها لشخص الكاتب، وتمتاز بما تتبسط به من تحليل شخصي ذي تعمق نادر، يساق ادبياً باسلوب بالغ المهارة. وبذا فهي نوع جديد من السيرة الذاتية، مما يقوم دليلاً على انه كان ممن استبقوا الرومانطيقية.

التنوير:

كان القرن الثامن عشر اقل روعة في اشكاله الأدبية التقليدية منه في تطور الفكر الذي التقت تياراته لتؤلف ما يسمى الآن بعصر التنوير. فقد نفخ فونتنيل الفكر الفرنسي توجيهاً جديداً عقلانياً ومشككاً. وشاركه في هذا المنحى بيل(Bayle) وترجمات لمؤلفات الفيلسوف الانكليزي جون لوك (John Locke). وتنطوي «رسائل فارسية» (Lettres Persanes) ١٧٢١ لـ شارل لويس دوسكوندا دو مونتسكيو (Charles-Louis de Secondat de Montesquieu) على افكار اكثر تطوراً تكسوها صيغة ادبية فكهة جذابة.

وتشمل هذه الأفكار النواحي التالية: الأهمية الأكبر للأخلاق بالمقارنة بالعقيدة؛ الدين ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى، اذا عري من عناصره الموحى بها، وأخضع لضوء العقل، والحاجة الى التسامح الديني، وظلم الطغيان. ولما كانت هذه الأفكار جديدة بالنسبة للقارىء الفرنسي في القرن الثامن عشر، فقد حرّضت الفكر وهزت اركان التعصب. كان نجاح «رسائل فارسية» رائعاً.

انتشرت المقالات الربوبية والملحدة انتشاراً واسعاً خلال العقد التالي من القرن الثامن عشر، اذ عالج كاتب «سيرة محمد» هنري دو بولا نفير(Henri De Boulainvilliers) حقوق النبلاء ضد الحكومة، وقدم نظرية شهيرة حول الأصل الألماني للدولة الفرنسية في كتابه تاريخ الحكومة القديمة لفرنسا» (١٧٢٧)(Histoire De L'Ancien Gouvernement De La France) ثار النقاش حول مواضيع سياسية

مماثلة، بدأ احياناً غير ضار في نادي انترسول (Club De L'Intersol) حين التقى النبلاء والبورجوازيون على قدم المساواة. أسس هذا النادي عام ١٧٢٤، ونظمه الأب آلاري (Alary) كما ضم في عضويته الأب دوسان بيير (Abbé De Saint-Pierre) ورينيه لويس (René Louis) والماركيز دارغنسون (D'Argenson) (الذي اصبح فيما بعد - ولفترة قصيرة - وزير خارجية) ومونتيسكيو. كان النقاش حراً والآراء لا تسير حسب ما جرى التعارف عليه، وبكل تأكيد لم تكن ترضي للسلطة لأن النادي حل عام ١٧٣١ بقرار رئيس الوزراء الكاردينال دوفليري(Cardinal De Fleury).

حدثت تطورات كبيرة في العشرين سنة التي تلت، وكان السبب الرئيسي هو نزول فولتير الى الحلبة، اذ لم يلبث ان رفع عقيرته بانتقاد رجال الدين والنبلاء وسخريته اللاذعة من الفلاسفة الذين عفا عليهم الدهر، كل ذلك بلغة بسيطة، وبمزيج من رائع التهكم اللطيف والنقد المعتدل، وجاءت آراؤه هذه في كتابه «رسائل فلسفية» (Lettres Philosophiques) (١٧٣٤). إن الانجازان الرئيسيان لهذا العمل هما تقديم الحضارة الانكليزية على انها النموذج الذي يجب ان يحتذى، ونشر فلسفة «لوك» على صعيد شعبي. بعد عام ١٧٣٤ كانت «الاحساسية» - او النظرية القائلة بأن جميع الأفكار تنبع من الأحاسيس - احدى المبادىء الأساسية لحركة التنوير. حمل (البرلمان) ومحكمة القضاة على «الرسائل الفلسفية» في باريس وأمرا بحرقها.

في نفس العام ظهر كتاب مونتيسكيو «بحث اسباب عظمة الرومان وانحطاطهم» (Considérations Sur Les Causes De La Grandeur Des Romains Et De Leur Descendence) ١٧٣٤. وفيه عرض للعوامل العقلية والمادية والعسكرية والسياسية التي تكمن خلف عظمة وانحطاط روما. في الكتاب ايضاً تعليقات ومقارنات عديدة تجعله واقعياً، كما يتضمن نظرية سياسية واسلوباً تاريخياً. كما عبر فينيلون، مثله مثل مونتيسكيو، للطغيان في كتابه «نقاط الفحص الذاتي للملك» (١٧٣٤) (Examen De Conscience D'un Roi).

وقبل عام ١٧٨٩ كانت مقالة الكساندر بوب بعنوان «مقالة عن الانسان» قد

طبعت بالفرنسية اكثر من - ٦٠ مرة -، ورحب الجمهور المتعطش، والذي اعدته فلسفة غوتفرد ولهم ليبتز (Gottfried Wilhelm Leibniz) للمبادىء التي دعت اليها المقالة، وهي الانسجام والنظام والتفاؤ ل. كما الهمت مقالة بوب فولتير اثناء كتابته «محاضرات شعرية عن الانسان» ١٧٣٨ (Discours En Vers Sur l'Homme) .

تعتبر الدعاية القوية لأفكار لوك لولب «مقالات فلسفية حول عدم استقرار المعلومات الانسانية» (La Philosophie Du Bon Sens) ١٧٣٧ للماركيز دارجان، (Marquis D'Argens) . وحدث الشيء نفسه لأفكار السير اسحاق نيوتن على يد العالم الفلكي والرياضي بيير لويس مورو دو موبيرتيوس (Pierre Louis Morea De Maupertius) قم على يد فولتير في كتابه «عناصر فلسفة نيوتن» (Eléments De La Philosophie De Newton) ١٧٣٨.

كما يظهر تقبل الرأي العام المتزايد لهذه الأفكار من نشر مجلد صغير عام ١٧٤٣ من خمس مقالات يحمل عنوان «الحرية الجديدة في الفكر» (Nouvelles Libertés) ، نسبت مقالتان منها لفونتينل ومقالة اخرى وهي اكثرها اهمية بعنوان: «الفلسفة» (La Philosophie) نسبت الى اللغوي الموسوعي سيزار شسنو دومارسيه (Cesar Chesneau Dumarsais) تصف مقالة «الفلسفة» الفيلسوف بأنه آلة انسانية تستطيع بحكم تركيبها الميكانيكي التأمل في عملها. والفيلسوف يعمل بفعل العقل. إن مفهوم الفيلسوف او الحكيم على انه عضو من الصفوة المختارة غير المسيحية، يقوده العقل، اكثر ميلاً للشك منه الى التصديق، ويجنح الى المادية، كان مفهوماً يميز حركة التنوير الفرنسية. كان هذا اول تعريف واضح للكلمة.

وتحتوي مقالة عنوانها «مقدمة لفهم الروح الانسانية» (Introduction A La Connaissance De L'Esprit Humain) ١٧٤٦ بقلم لوق دو كلابيير ماركيز دو فوفينارغ (Luc De Clapiers, Marquis De Vauvenargues) عناصر من مبدأ النفعية (اليوتيليتارية) وعلامات تأثر بكتاب بقلم ايرل اوف شافتسبري عنوانه «استيضاح عن الفضيلة» ترجمه الى الفرنسية ديديرو الذي أقدم النائب العام على حرق كتابه «افكار فلسفية» (Pensées Philosophiques) عام ١٧٤٦ وفيه دافع «ديدرو» عن «الربوبية». ولم يلبث ان الحق كتابه هذا «بمقالة عن العمى» (Lettre sur Les

(Aveugles حوالي ١٧٤٩ وهي نقاش صريح للنتائج الخلقية للأعمال المثيرة، وقد أدت الى حبسه. كما ان كتاب «عادات» (Les Moeurs) ١٧٤٨ لفرانسواز فنسان توسان (François-Vincent Toussaint) كان دفاعاً اوسع نطاقاً عن الربوبية والأخلاقية الطبيعية. وقد حاز هذا العمل على شعبية كبيرة، لكنه أحرق علناً ـ كانت مؤلفات جوليان اوفروي دو لامبتري (Julien Offroy De La Mettrie) اكثر تطرقاً في دعوتها الى المادية الكاملة، كما انكر دولاميتري بصراحة وجود الروح في كتابة «التاريخ الطبيعي للروح» (Histoire Naturelle De L'Ame) ١٧٤٥. وفي عام ١٧٤٨ أرسى مونتسكيو احدى دعائم الفكر الفرنسي، بكتابة «روح القوانين» (L'esprit Des Lois)، ورغم ان المؤلف كان دائماً يفضل ان يفسر لا ان يصدر أحكاماً، فيما يتعلق بالأنظمة دينياً وسياسياً، فقد وجد نفسه متورطاً في جدل مر. كان التراث الرئيسي الذي خلفه هو نظريته عن الملكية الدستورية، وفصل السلطات، ونظرية اثر المناخ على طبيعة الشعوب. كما اعطى مونتيسكيو في كتاب «روح القوانين» فلسفة القرن الثامن عشر نزعة سياسية لم تكن معهودة من قبل.

كان هناك ايضاً كتابات أدبية تناصب الفلسفة العداء، اذ حاول الأب جان بابيتست غولتير (Jean-Baptiste Gaultier) ان يبرهن على إلحاد «مقالة عن الانسان» و«رسائل فارسية» (Lettres Persanes) كما هاجم كتاب ديدير و «تأملات فلسفية» بمقالتي «تأملات معقولة» (Pensées Raisonnables) «وتأملات ضد الفلسفة» (Pensées Anti-Philo Sophiques). هذا إضافة الى عدة مقالات نقدية تهاجم كتاب «روح القوانين». لكن افضل كتاب معاد للفلسفة في النصف الأول من القرن هو كتاب «ضد لوكريشوس» (Anti-Lucretius) ١٧٤٧ للكاردينال مليشور دوبولينا (Cardinal Melchior De Polignac) حاول فيه ان يدافع بأسلوب لاتيني رصين عن فلسفة ديكارت ضد المادية الآخذة آنئذ بالتزايد.

وفي النصف الثاني من القرن اتسمت الحركة الفلسفية بمنجزات عظيمة وبمقاومة عنيفة. يبدو هذا الأمر بوضوح وخاصة في «الموسوعة» (Encyclopedie)، التي اوكل مشروعها الى ديديرو وجان دالمبرت (Jean D'Alembert) وسرعان ما توسع المشروع الى انتاج مجموعة كاملة اصيلة للمعرفة ذي قاعدية نظرية لدراسة

المعرفة والتاريخ الثقافي، وهذا ما لخصه دالمبرت في مقالته الأولى. بسط العديد من المقالات الأفكار الجديدة بالنسبة للدين والسياسة، ولذا واجهت «الموسوعة» مصاعب جمة وخطيرة اثناء مرحلتي نشرها. كانت اولى المشاكل حين وجهت تهمة الهرطقة الى احد المساهمين، وهو الأب جان مارتان دوبراد (Jean-Martin De Prades) بسبب اطروحة كتبها. اما الثانية فكانت نتيجة تصادف نشر بعض المقالات الخطرة (ولا سيما مقالة والمبرت عن جنيف) مع ازمة سببتها محاولة للاعتداء على الملك. واخيراً بمساعدة الفارس لويس دوجوكور (Louis De Jucourt) نجح ديديرو في إنهاء العمل عام ١٧٦٥. وهكذا ساعدت الموسوعة، وكتاب كومت دو بفون (Comte De Buffon) «التاريخ الطبيعي» ١٧٤٩ - ١٨٠٤ (Histoire Naturelle) الذي عالج علوم الجيولوجيا والنبات والحيوان بتعمق كبير - كثيراً على تقدم المعرفة. والأهم من ذلك مساهمة «الموسوعة» في نظرية التقدم العلمي التي تبناها معظم المؤلفات الفلسفية لهذه الفترة، كما كانت موضوعاً لمحاضرة في السوربون عام ١٧٥٠ القاها ترغو (Turgot) الذي اصبح فيما بعد رئيساً للوزراء، فضلاً عن انها ألهمت كتابات عن المدينة الفاضلة «يوتوبية» وتلقت آخر تعبير لها في مؤلف يلم بطموح القرن الثامن عشر عنوانه «صورة تاريخية مجملة وسريعة لتقدم العقل الانساني» ١٧٩٥ (Esquisse D'Un Tableau Historique Des Progrès De L'Esprit Humain) كتبه الرياضي والفيلسوف الثوري الماركيز دو كوندورسيه (Marquis De Condorcet).

كان جان جاك روسو احد المنشقين عن نظرية التقديم، اذ النظرية القائلة بالطبيعة الخيّرة للبشر. والأثر المفسد للمجتمع في مؤلفيه «محاضرات في العلوم والفنون» (Discours Sur Les Sciences Et Les Arts) ١٧٥٠، ومحاضرة في «أصول وأسس عدم التساوي بين البشر» ١٧٦١، وفيها يهاجم الملكية، ويؤكد على حق الانسان في الثورة على الحاكم الطاغية. تبع هذين الكتابين المؤلف الاشتراكي الجريء «دستور الطبيعة» (Le Code De La Nature) الذي كتبه مورلي (Morelly). وهو هجوم على الملكية الفردية باعتبارها رأس كل الشرور، ووضع مبادىء المجتمع الجيد والصالح على اساس دستور من القوانين. كما استعرض اتيان دو دوكونداياك (Ettenne De Condillac) في كتابه «خصائص الأنظمة» (Traite Des Systèmes)

١٧٤٩ الفلسفات السابقة وسعى الى وسيلة لتجنب اخطائها. اكد كونديالك على العنصر اللغوي في الفلسفة. اما «خصائص الاحساس» ١٧٥٤ (Traite Des Senations) فهو أبلغ تعبير لنظرية الاحساس الوفير.

هاجم الفيلسوف كلود اندريان هيلفاتيوس (Claude-Andrien Helvetus) في مقالته البليغة «حول العقل» (De L'Esprit) سائر أشكال الأخلاقية المستندة الى الدين، واقترح المبادىء النفعية كبديل لها. وقد أثار نشر هذه المقالة علناً وبإذن ملكي اعطي دون انتباه ـ ازمة، اضطر الكاتب على إثرها ان يسحب أقواله، كما اوقف نشر «الموسوعة» وحرقت مقالة «حول العقل» مع مؤلفات فلسفية اخرى متنوعة منها مؤلف لفولتير لا ينطوي على اي ضرر عنوانه «قصيدة حول العقل الطبيعي»(Poéme Sur La Loi Naturelle).

تحسن وضع الفلاسفة بسرعة وبشكل مفاجىء بسبب عداء نشب بين الحكومة وألد اعدائهم، «جمعية يسوع» التي حرمت في فرنسا عام ١٧٦٤. وسمح للموسوعة بالاستمرار في تلك الأثناء كان كتاب روسو «العقد الاجتماعي»(Le Contrat Social) قد نشر عام ١٧٦٢. وفيه اعلن ان الرجل البدائي طليق من كل قيد، وان المجتمع لا يوجد الا برضاء الانسان الفرد وبمحض إرادته بواسطة العقد الاجتماعي وان السلطة العليا للحكم في أي مجتمع شرعي تكمن في ايدي الشعب. بعد عامين ظهر كتاب «نظرات في حكومة فرنسا القديمة والحديثة» للماركيز دارغنسون (D'Argenson) بعد وفاته، وفيه يطالب بتوسيع للديمقراطية ضمن اطار الملكية الفرنسية.

وقبل ان تهدأ عاصفة «العقد الاجتماعي» نشر روسو كتاب «اميل»(Emile) فأثار اعصاراً من النقد. ويعتبر موضوع «اعتراف عقائدي يقوم به قس من سافويارد» الذي يتضمنه كتاب «اميل»، «أقوى وافصح دعوة الى الربوبية» البناءة، بينما كان للكتاب اجمالياً أثر عميق ودائم على التعليم الأوروبي.

ترك قسيس ابرشية مغمور يدعى جان مسلير (Jean Meslier) رفضاً مطولاً لكل الأديان ودفاعاً عن الالحاد. وفي عام ١٧٦٢ نشر فولتير كتاب «ملخص عن شعور جان مسلييه» (Extrait Des Sentiments De Jean Meslier) حافظ فيه على عدائه الدائم للمسيحية بما أوتي من قوة تعبيرية. وجاء بعده كتاب بول هنري

ديترتش بارون هولباش، بعنوان «الكشف عن المسيحية» (١٧٦١) الذي اتبعه بعدد من المقالات. وفي عام ١٧٧٠ نشر اشهر مؤلفاته «نظام الطبيعة»(Système De La Nature) الذي بلغ فيه الفكر المعادي للدين اوجه في القرن الثامن عشر، اذ عرف الروح بانها فكرة زائفة، او انكر وجود الله، واعلن ان الحاجة تملي جميع ما يقوم به الانسان من أعمال.

لا يمكن الذهاب الى أبعد مما وصلت اليه آراء هولباش التي تعتبر أقصى نقطة تصلها حركة التنوير في علاقتها بالدين وما وراء الطبيعة. وفي هذه الأثناء نادى ديديرو بمبدأ مادي يستند الى تفسير شخصي لعلمي الطبيعة والحياة بشكل خاص وذلك في محاورات له على شكل ملحق «برحلة بوغانفيل» (كتبت عام ١٧٧٢ ونشرت عام ١٧٩٦) «وحلم دالمبرت» (كتب عام ١٧٦٩ ونشر عام ١٨٣٠ ـ وقد سأل ديديرو ـ بمرونة عقلية متناهية ـ عدداً من الأسئلة تفوق ما أجاب عليه.

دفع القس رينال(Abbé Raynal) بالفكر الاجتماعي والسياسي لتلك المرحلة قدماً بكتابه «التاريخ الفلسفي والسياسي للمؤسسة الأوروبية والتجارة في الهندين (الشرقية والغربية)» (١٧٧٠ ، نقح عدة مرات) ، ثم اقتفى أثره القس مابلي (Abbé Mably) الذي عبر عن أفكار أشتراكية في كتابه «التشريع» ١٧٧٦ ، بينما نجد أن كتاب هولباش «النظام الاجتماعي» ١٧٧٣ (Systeme Social) هو أفضل عرض فرنسي لفلسفة سياسية نفعية . وبعد ان تسلم لويس السادس عشر العرش عام ١٧٧٤ لم يكتب الا القليل من الفكر الجديد لسنوات عديدة . فقد بالغ الفلاسفة في عرض قضيتهم ، ومع ذلك قدموا للاجيال كسباً غير منقطع المعين للفكر الانساني .

الأدب الاقليمي (البروفنسالي) :

كان القساوسة في القرن الثامن عشر مسؤولين بشكل رئيسي عن الانتاج الأدبي بلغة لانجدوك(Languedock) لهجة الجنوب . ومن الشخصيات الأدبية التي يجدر ذكرها هنا الأب ج . ب فافر(J.B. Favre) الذي كتب رائعة من الوعظ ،

وقصيدة بطولية ساخرة «حصار كادار وسا» (Le Siège De Cadaroussa) ، ورواية تصف العادات الريفية في عصره ومسرحيتين هزليتين . كما نشر قس آخر هو جان كلود بيرو دو برادنياس (Jean - Claude Peyrot De Pradinas) قصيدة عنوانها «الفصول الأربعة» (Les Quatre Saisons) عام ١٧٨١ . وهناك شاعران اصيلان هما الاخوان اوغست وسيريل ريكو أوف مونتبليير (Rigaud Of Montpellier Auguste, Cyrille) . كما كان للشاعر الشعبي بيير هلييه (Pierre Hellies) من طولوز ـ نوعاً من الخشونة الجذابة . في بروفانس ، كان توسان غرو (Toussain Gros) من ليون ذا تأثير كبير ، وكان اسلوبه ولغته يدعوان الى الاعجاب ، لكن من المؤسف انه أضاع مواهبه في تأليف أعمال تافهة خاصة بمناسبات معينة . أما غاسكونيا فأشهر شاعر فيها كان سيرين ديسبورين (Cyrien Despourins) .

الأدب الوالوني[١]

ازداد انتشار اللغات واللهجات المحلية ، وقد أدى نجاح الأوبرا الهزلية في لييج (Liege) الى كتابة عدة نصوص مسرحية شهيرة . كما نتج عن مسرحيات «الرحلة الى شود فونتان» ١٧٥٧ «والمجند اللييجي» «ومرض الوسواس» تشكيل المسرح «اللييجي» نسبة الى لييج (Liege) . وفي الشعر الغنائي اتصفت القصيدة الغنائية الراقصة المسماة «جرامينيون» (Cramignon) ، واغاني عيد الميلاد المسماة «نويل» (Noels) بصبغة واقعية أصلية .

---

(١) الوالونيون (Wallon) شعب يقطن جنوبي شرقي بلجيكا وشمالي فرنسا



الفَصْل الرَّابع

الأدب السويسري في القرن الثامن عشر

الأدب السويسري الفرنسي :

رغم أن بدايات الأدب السويسري الفرنسي تعود الى عصر الاصلاح لم يبرز أدباء سويسريون كتبوا بالفرنسية على مستوى عالمي قبل نهاية القرن الثامن عشر ، أشهر هؤلاء وأولهم جان جاك روسو الذي ولد في جنيف ، والذي وصف نفسه في «العقد الاجتماعي» بأنه مواطن دولة حرة . شارك روسو في المفاهيم السياسية والنفسية لجميع سكان سويسرا ، كما يظهر في كتابه «نظرات في حكومة بولندا» . ومن الكتاب الذين عالجوا مادة سويسرية نذكر هـ .ب سوسور (H.B. Saussure) أحد مؤسسي علم الجيولوجيا الحديث ، كما يتضح من كتابه «رحلات عبر الألب» (Voyage Dans Les Alpes) (١٧٧٩ - ١٧٩٦) .

الأدب السويسري الالماني :

تتميز بدايات أدب القرن الثاني عشر في سويسرا الناطقة بالالمانية بأعمال الشاعر البيرني (نسبة الى مدينة بيرن) البرخت فون هيلر (Albrecht Von Haller) الذي تعبر قصيدته «الالب» (Die Alpen) عن جمال مناظر جبال الألب ورفعتها والصفاء الأخلاقي الذي يتميز به سكانها . اما سلومون جيسنر (Salomon Gessner) فيشتهر بقصائده الرعوية المنثورة . ان أكثر أعمال يوهان فون ميلر (Johannes Von Muller) أهمية هو «تاريخ الاتحاد الفيدرالي السويسري» (١٧٨٦ - ١٨٠٨) ، الذي

لم يصلنا منه سوى بعض أجزائه ، ومع ذلك فهو يعتبر اكثر المؤلفات التاريخية تمثيلاً للنيو كلاسيكية الالمانية ، وقد كان له تأثيره البعيد على اسلوب الكتابات التاريخية . قاومت مدرسة للنقد الادبي في زوريخ العقلانية والكلاسيكية الفرنسية ، وشجعت تذوق الأدب الانكليزي في المانيا . وهكذا أدت مؤلفاتهم الى بدء احياء للمفاهيم الدينية والقومية ، اذ كتب .ج . هـ . بستالوزي (J.H. Pestalozzi) أول قصة قروية بالالمانية ، الا انه ضمنها نواة تأملاته اللاحقة عن الطبيعة وقدر الانسان .

الفَصْل الخامِس

الأدَب الألماني في القـرن الثامِن عَشر

عصر التنوير :

اذا كان الدين العامل المسيطر فكرياً وروحياً في القرن السابع عشر ، فقد أدت حركة التنوير في القرن الثامن عشر الى ردة فعل . اذ ادعى الانسان الآن بأنه قادر على فهم الكون بفضل امتلاكه لهبة العقل السماوية . رفض المفكرون المثاليون والتجريبيون على حد سواء السلطة التقليدية واعتقدوا انه لا مكان للغموض أو لمبادىء الخطيئة الاصلية او للقدرية في عالم عقلاني تتحكم به قوانين العلة والنتيجة ، فالشر في نظرهم كان نتيجة لاوضاع حياتية غير عقلانية ، والانسان قادر على تحسين قدره بمتابعة العلم والتعليم . كما أصبح الاعتقاد المتفائل بكمال الانسان شائعاً .

كان هذا الاعتقاد يعتمد على استعمال العقل وبذل الجهود التي لا تكل في خدمة تحسين اوضاع البشر . ولما كان الانسان العملي الناجح يحظى باحترام اكبر من المسيحي المتدين ، فقد اشتد التركيز على الذوق والادراك السليمين وهكذا تميز الأدب بصفة تعليمية ظاهرة .

العقلانية :

استعادت الحياة الفكرية في المانيا نشاطها بسرعة بعد الانتفاضات الاجتماعية حرب الثلاثين عاماً . أرسى ليبنيز قواعد العقلانية ، وهو أول الفلاسفة الألمان العظام ، وبظهوره على المسرح الفكري لم تبق العلاقة بين الله والانسان ضمن حدود العقيدة المسيحية . تميزت الحياة الدينية الالمانية بعودة الى مبدأ «التقوى» وهو

حركة دينية في القرن السابع عشر في المانيا ، دعت الى التقوى والرجوع الى الكتاب المقدس ـ وقد تركت آثارها في مجال الشعر الديني . أصبح التأكيد ليس على اتباع التعاليم بل على التجربة الروحية الفردية .

في الأدب بدأت الافكار الجديدة بالظهور ، وساعدت حركة تقليد للدوريات الانكليزية ، مثل «السبيكتيتور» و«التاتلر» و«الفارديان» على احياء الذوق الأدبي . وكانت احدى مميزات الأدب الالماني في القرن الثامن عشر هي التأثير المستمر بالأدب الانكليزي . بدأ هذا التأثير أول ما بدأ بـ جوزيف أديسون وجوناثان سويفت ودانيال دوفو والكساندر بوب ، ثم تبعه أثر جيمس تومسون وجون ملتون وادوارد يونغ . وأثر ريتشاردسون تأثيراً عميقاً على نشوء الرواية الاخلاقية ، بينما بشر كتاب يونغ «تخمينات حول الكتابات الأصلية» بحقبة جديدة في الأدب الالماني قدر لها ان تتأثر بعمق بالشعراء الاسكتلنديين امثال جيمس ماكفرسون مجموعة «اوسيان الشعرية» ، والاسقف بيرسي «بقايا وأثار الشعر الانكليزية القديم» وشكسبير ، وهذه الحقبة هي التي تعرف بحركة «العاصفة والقهر» .

رد الفعل ضد العقلانية :

نجح الناقد جوهان كريستوف كوتشد (Johann Christoph Gottsched) بين عامي ١٧٢٤ و١٧٤٠ في القيام باصلاحات أدبية في ليبزغ تتفق والكلاسيكية الفرنسية في القرن السابع عشر . فقد نقى المسرح من الشوائب ووضع القواعد التي سينتج على أساسها الأدب الجيد وينقد . الا أن القيود التي وضعها كوتشيد سرعان ما واجهت مقاومة من عالمين سويسريين هما ج .ج بودمر (J. J. Bodmer) وج .ج برتنجر (J. J. Breitinger) ، إذ أصرا على أنه لا يجوز للعقل أن يسيطر على الخيال ، مستشهدين بملحمة ملتون الشهيرة «الفردوس المفقود» . أسفر الجدل في حوالي منتصف القرن عن ظهور جماعة من الكتاب في ليبزغ من مدرسة كوتشر نفسه أطلق عليهم اسم «المساهمون البرمنيون» (Bermen) نسبة الى الصحيفة التي نشروا مؤلفاتهم بها ، وقد ظهرت فيها عام ١٧٤٨ الدفعة الأولى لملحمة «المسيح» (Der

(Messias (انهيت عام ١٧٧٣) من نظم ف . ج . كلوبستوك (F.G. Klopstock) والتي سبب موضوعها ضجة عندما ظهرت أجزاؤ هـا الاولى . لكن عبقـرية هذا الشاعر كانت أقرب الى الغنائية ، لذا اشتهرت قصائده من نوع «الاود» التي برزت فيها مواضيع وطنية وعاطفية . كما أظهر ـ في هامبورغ ـ فردريك فون هاجيدورن (Friedrich Von Hagedorn) الى أي مدى من الكمال يصـل شعر المناسبات . بينما نظم ايوالـد كرستيان فون كليست (Ewald Christian Von Kleist) شعـر طبيعـة رائعاً . في هذه الاثناء ساعد الاهتمام بالآثار الالمانية القديمة على نمو الحركة «الباردية» (الشاعر الشعبي) التي قادهـا هـ .و فون جرستبـرغ (H. W. Von Gerstenberg) وف . ف كرتشمان (F. F. Kretschmann) ومايكل دنيس (Michael Denis) مترجم قصائد «اوسيان» لماكفرسون .

تأثير ليسينغ (Lessing)

كان جوتهولد افريم ليسينغ (Gotthord Ephrain Lessing) أو ناقد ألماني حظي بسمعة في سائر انحاء اوروبا ، كما كان كلوبستـوك أول شعـراء المانيا الحديثـين الملهمين ، وكان (شأنه شأن كوتشد) على ثقة تامة بالكلاسيكية الحديثـة . الا أن كلمة كلاسيكي كانت تعني بالنسبة له ـ كما عنت بالنسبة لمعاصره جج ونكلمان (J.J. Wincklemann) ـ الفـن والادب اليونـانيين ، وليس مجـرد شبـه الـكلاسيكية الفرنسية . مع أن شرح ليسينغ لنظرية ارسطو في المأساة كانت مليئة بالاهتمامـات الاخلاقية لعصر التنوير ، فقد تطلـع الى انجلتـرا ، وليس فرنسـا لاحياء المسرح الالماني . وكانت مسرحياته اعمالاً رائدة في هذا المجال ، اذا كانت «الآنسة سارة سامبسون» (Miss Sarah Sampson) (أخرجـت للمـرة الاولى عام ١٧٥٥) مأسـاة بورجوازية حسب النمط الانكليزي . كما كانت «مينا فون بارنهلم» (Minna Von Barnhelm) ١٧٦٧ هزلية تنضـح بروح مسرحيات جورج فاركوهـار (George Farquhar) وفي «امليا كالوتي» (Emilia Calothi) ١٧٧٢ أعاد ليسينغ كتابة «مأساة الحياة العامة» بصيغة مقبولة لحركة «العاصفة والقهر» (Sturm And Drang) . وأخيراً لاقى ليسينغ قبولاً لشعره غير المقفى (بلانك) حسب وزن «الايامب» كوسيلة تعبير في الدراما الرفيعة وذلك في مسرحية «ناتان الحكيم» (Nathan Dervise) ١٧٧٩ .

تقدم الأدب الالماني الى الامـام بفضـل ليسينـغ ابعـد بكثـير من المنجـزات الضعيفة للنصف الأول من القرن . وبشرت المأساة المنزلية بحبكتها التي تركز على مشكلة التمييز الطبقي بمسرحيات تتضمن نقـداً اجتماعياً وسياسياً واضحـاً في فتـرة «العاصفة والقهر» ، كما بشر ناثان «بمسرحية الافكار» حسب الكلاسيكية الجديدة لويمار(Weimar) . أما مؤلفات ليسينغ النظرية فقد انزلت النقد في المقام الأول من الفنون الادبية . وكان لرفضه الحاسم للشعر الوصفي أثر بالغ على كتابات الجيل الذي تلاه ، بينما مهد هجومه على سلطة فرنسا الأدبية لاهتمام أكبر بالنماذج الانكليزية ولتوخي أصالة وطنية محلية .

ساهم س. م ويلاند(C.M. Wieland) في اتساع آفاق الخيال الالماني بادخاله خلفيات بعيدة وغريبة تحت تأثير الوحي الفرنسي . وقد طوى الاهمال جميع اعماله باستثناء رومانسيتـه الشعـرية «اوبـرون»(Oberon) (نشرت عام ١٧٨٠) . لكن ويلاند ساهم في تطوير القصص بخدمة النثر الالماني بروايته النفسية «أغاثون» (Agathon) (١٧٦٦ ـ ١٧٦٧) ومؤلفــه الهجائـي «البلهــاء»(Die Abderiten) ١٧٧٤ . كان لويلاند كثير من الاتباع الذين نهجوا نهجه ، كما أن الرواية الالمانية مدينة بالكثير للنموذج الذي قدمته «أغاثون» الا ان قاعدتها وشكلها الأدبي اقتبسا عن الانماط الانكليزية .

عصر غوته(Goethe) : العاصفة والقهر :

وقعت الفترة النيوكلاسيكية والرومانـطيقية ، وهـي أعظـم فتـرة في الأدب الألماني ، ضمن حياة يوهان وولفغانغ فون غوته(Johann Wolfgang Goethe) . وذهب عصره الى أبعد مما ذهبت اليه حركة التنوير في استبدالها الدين بالعلم ، ذلك أنه لم يعط العلم الا مكانة نسبية لقضية الحياة الرئيسية ، بل وضع أهمية كبيرة على الشعور بسبب الامكانـات المحـددة للعقـل . وهـكذا أصبـح للحافـز والغـريزة والعاطفة والخيال الواسع والحدس أهمية شبه دينية ، على انها الوشائج التي تربط الانسان بالطبيعة الالهية . وأصبح المثل الاعلى للعصر الكلاسيكي ، الذي سرعان ما سمي «بالانسانية»(Humanitat) ، هو الشخصية الكاملة التطور التي يتوازن فيها

العقل والشعور بانسجام تام . وهناك ثلاث مراحل يمكن تمييزها في تطوير هذه النظرة : العاصفة والقهر ، والكلاسيكية ، والرومانتيكية .

كان غوته ينتمي الى ما عرف بحركة «العاصفة والقهر» ، كما أنه أثر فيها أعمق الأثر . ولقد هدفت هذه الحركة الى التخلص من مذهب العقلانية . يمكن تبين بذور حركة العاصفة والقهر في كلوبستوك والقوى الروحية لحركة «التقوية» (Pietism) وكذلك في المقاومة المتزايدة للذوق الكلاسيكي الفرنسي بينما تبدأ تأثير روسو وادوارد يونغ وجيمس ماكفرسون وشكسبير ، الذي ترجمت مؤلفاته مؤخراً ، مركزاً بالغ الاهمية . اصبحت الطبيعة والعبقرية والاصالة الشعار الذي نادت به هذه الحقبة ، وجابه الجيل الجديد شعوراً متزايداً بل طاغ من عدم الرضاء بحضارة العصر . وحلت عبادة الطبيعة محل الدين التقليدي ، ولم يعترف بسمو أي قانون على الوجدان الفردي . وهكذا تطلبت النظرة النموذجية للحياة جهداً دائباً كجهد فاوست(Faust) . أصبح القهر والاحتجاج والثورة والتطلع وخيبة الأمل أموراً ظاهرة من كافة النواحي ، وغدت الفردية ممثلة بالـ «أنا» ظاهرة مسيطرة في الادب والفكر .

اكدت الكتابات النقدية لـ هـ . و . فون جيرستنبرغ(H .W . Gerstenberg) الشعور الشخصي في مسائل الذوق ، الا ان الدفع الرئيسي في هذا المجال جاء من يوهان جورج هامان(Johan George Hamann) الذي أكد على وظائف اللغة الايمائية والرمزية ، وكان تلميذه يوهان كوتفريد فون هيردر(Johan Gottfried Herder) الذي ادرك - كما لم يدرك احد من قبل - فكرة التطور التاريخي وهكذا أوجد التيار الرئيسي لحركة «العاصفة والقهر» . كان مذهب هيردر المسمى «الانسانية» أساسياً بالنسبة للكلاسيكية الالمانية الحديثة . فقد أكد على قيمة الاستمرار التاريخي في الأدب وأشار الى الأغنية الشعبية والقصيدة الغنائية من نوع «البالاد» ورومانسيات العصور الوسطى باعتبارها مصادر ايحاء ، اذ كانت «بقايا وآثار الشعر الانكليزي القديم» للاسقف بيرسي قد. أثارت الاهتمام بهذه الأشكال الأدبية المتوارثة . أثر هذا العمل «على الشعراء الذين أسسوا عام ١٧٧٢» أخوة الايكة» والذين ينتسبون الى سواد الفلاحين او الطبقة المتوسطة الدنيا . كان ج .هـ . فوس(J.H . Vos) قائد

هذه المجموعة ومؤلف القصيدة الرعوية الشهيرة «لـويز»(Luise) (١٧٩٥) ، كما كان فلاحاً المانياً شمالياً يمثل طبقته خير تمثيل .

كان اسم حركة «العاصفة والقهر» يقترن بصورة وثيقة باسم غوته الذي تعرف على هيردر الذي أثار اهتمامه بالفن المعماري القوطي والاغنية الشعبية وشكسبير . وكان الكراس الذي حمل عنوان «طريقة الحياة الالمانية والفن الالماني» (١٧٧٣) بياناً رسمياً لحركة «العاصفة والقهر» . ويبدو أن تلك الآراء الجديدة أطلقت عبقرية غوته من عقالها . جاءت أول مسرحية هامة للحركة وعنوانها غوتز فون بيرليخنفن (Gotz Von Berlichingen) بقلم غوته (عام ١٧٧٣) ، ثم أتبعها بأول رواية هامة لحركة «العاصفة والقهر» ، وهي «آلام فرتر»(Dieleidem Des Jungen Werthers) (عام ١٧٧٤) التي اطلقت شهرة المؤلف في العالم أجمع . وضع غوته نماذج لجميع الاشكال الادبية ، فاصبحت الصورة المثلى لعصره . كان ج .م .ر . لينز (J.M.R. Lenz) و .ف .م . فون كلينغر (F.M.Von Klinger) وج .آ . ليزويتز(J.A. Leisewitz) وهـ .ل . فاغنر(H.L. Wagner) وفردريك مولر (Friedrich Muller) من مقلدي ما عرف بالقلق الشكسبيري (نسبة الى شكسبير) الواضح في مسرحية «كوتز فون بير ليكنغين»(Götz Von Berlichingen) الأدب المسرحي أهم انتاج أدبي لحركة «العاصفة والقهر» وأكثره تمييزاً لها . مسرحياً ألهم هذا الانتاج الرغبة في عرض شخصيات شكسبير العظيمة التي تسيطر عليها العواطف القوية . وهكذا اعطيت جميع النواحي الاخرى في المسرحية من حبكة وتركيب وشكل مرتبة ثانوية بالنسبة للشخصيات ، فرفضت بذلك كل الاعراف المقبولة ـ أدبياً واجتماعياً وسياسياً واخلاقياً . .

دخلت حركة «العاصفة والقهر» مرحلة جديدة باخراج مسرحية «اللصوص» (Die Rauber) ١٧٨١ لـ يوهان كريستوف فردريك شيلر(Johan Christoph FriedrichChiller) وكان المؤلف قد كيفها بمهارة حسب متطلبات المسرح أكثر من سابقاتها . كانت هي ومسرحية شيلر التالية ، وعنوانها «المكيدة والحب»(Kabale Ind Liebe) ١٧٩٥ تحفاً تبشر بالكثير . وتدين المانيا بمسرحها القومي الى فترة «العاصفة والقهر» اذ تأسست خلالها المسارح الدائمة في هامبورغ ومانهايم وغوتا ،

كما أسس مسرح بيرغ(Burg Theater) الذي يسمى الآن مسرح هوفبرغ(Hofburg Theater) في فيينا عام ١٧٧٦ .

الكلاسيكية الجديدة(Neoclassiciem) :

كان ضبط النفس مفقوداً كموضوع في حركة «العاصفة والقهر» ، لذا سرعان ما انهكت هي نفسها . نتج عن ذلك شكل من المثالية الأخلاقية أكثر ايجابية في شعر غوته وشيلر وفلسفة عمانويل كانت(Immanuel Kant) ، وأصبحت مشكلة الحرية مشكلة خطيرة بتأثير الثورة الفرنسية التي أعتبرها الأدب الالماني بشكل عام نوعاً من التحذير . آمن شيلر بان التناقض بين الواجب والميل الطبيعي يمكن أن يحل بمجرد أن تصبح الاخلاقية طبيعة ثانية ، وهذا لا يتم الا من خلال تأمل الجمال وانتاجه . وهكذا أصبح للفن وظيفته التعليمية وبالتالي كان التعليم الجمالي احد الاهداف الرئيسية للكلاسيكية الجديدة . بدأ غوته مرحلة جديدة بسفره الى مدينة ويمار (Weimar) عام ١٧٧٥ ، بينما اتجه شيلر بعد كتابه «دون كارلوس»(Don Carlos) (أخرجت عام ١٧٨٧) من الشعر الى دراسة التاريخ والفلسفة . وقد أتسمت السنوات العشر الاول التي قضاها غوته في ويمار بتجديد صداقته مع هيردر (Herder) ، وبوظيفته العامة كوزير دولة ، وبارتباطه العاطفي بشارلوت فون ستين (Charlotte Von Stein) ولم تتضح افكاره تماماً الا بعد اقامته في ايطاليا (١٧٨٦ - ١٧٨٨) حيث ركز أهتمامه على ثلاثة اعمال مسرحية ، فاعطى «افيجينا يافي تورس» (Iphigenie Auf Tauris) شكلها النهائي وأكمل «اغمون»(Agmont) واعاد تصميم «توركواتوتاسو»(Torquato Tasso) . وفي حوالي هذا الوقت كانت رواية «تدريب ويلهام ميستر»(Wilhelm Meister Lehrjahre) (١٧٩٥ - , ! . ظ(قد أصبحت كتاباً يبحث في سلوك الحياة . وهي مثال بارز على الرواية التعليمية بل صيغة مميزة للأدب الألماني ، ذات تأثير على الذين مارسوا هذا الشكل الأدبي في المستقبل .

قبل ان ظهرت رواية «ويلهلم ميستر» كان الادب والفكر الالمانيان ، قد بلغا درجة من الاستقرار في الشكل والافكار ضرورية لكل فترة أدبية عظيمة . وفي العام الذي توفي فيه ليسينغ (١٧٨١) كان «كانت»(Kant) قد نشر كتابه «نقد العقل

المجرد»(Critik Der Reinen Vernunft) . وتحت تأثير هذا الكتاب أتجه شيلر لدراسة علم الجمال الذي كانت اولى ثمراته قصائده الغنائية الفلسفية ، ومقالاته مثل تلك «حول التعليم الجمالي للانسان» (١٧٩٥ - ١٧٩٦) «وحول الشعر البسيط والعاطفي» .

تتميز السنوات ١٧٩٤ - ١٨٠٥ وهي الفترة التي ارتبط فيها غوته وشيلر بأواصر صداقة متينة في جينا(Jena) وويمار - بأنها شهدت أوج الحركة الكلاسيكية الجديدة الأدبية في المانيا ، إذ زود شيلر الحركة بالقاعدة النظرية ، كما أثر غوته بصفته مدير المسرح الدوقي على مجمل الانتاج المسرحي في المانيا . وبتشجيع منه اتجه شيلر من الفلسفة الى الشعر ، وبين عامي ١٧٩٨ و١٨٠٥ - سنة وفاته - كتب شيلر سلسلة من المسرحيات الكلاسيكية تعتبر أروع ما كتب بالالمانية ، وهي الثلاثية «ولنشتاين» و«ماري ستيوارت» «وعذراء اورليان» ثم «وعروس مسينا» «ووليام تل» وقد أنهى عمله المسرحي بالمسرحية غير الكاملة «ديمتريوس» .

على كل ، وباستثناء هذين الشاعرين ، لم يكن الأدب معافى اذ سيطرت على الخشبة المسرحيات الشعبية الى اقصى الحدود من انتاج أ . فون كوتزبو. A) (Von . Kotzebue . هناك فجوة كبرى بين مؤلفات ك . ب . موريتز.K . P) (Moritz أو روايات ف . م . فون كلينكر الفلسفية اللذين كتبا في السنوات التي تلت ، وبين رواية غوته «ويلهلم ميستر» . ان أروع ما كتبه غوته في سنواته الاخيرة ، مسرحية «فاوست»(Faust) التي تعتبر أعظم مساهمة المانية في الادب العالمي . في الجزء الاول(Part . I) ١٨٠٨ نرى يأس فاوست وعقده مع مفستوفليس (Mephistopheles) وحبه لغريتشين(Gretchen) ، اما الجزء الثاني (١٨٣٢) فيغطي حياة الساحر في البلاط وكسبه هيلانة طروادة وخلاص فاوست بعد تطهيره . كان مبدأ تحقيق اغراض الحياة بتوسل العمل الدؤوب والنشاط الغبري الذي يتكشف في فاوست موضوعاً اساسياً لكتابه غوته وهو في أوج نضوجه . وقد أكدت روايته المأساوية «دي والفرواند شافتن»(Die Wahlverwand Tschaften) عام ١٨٠٩ على موضوع «الاعتزال» . اما «رحلات ويلهلم ميستر» -(Wilhelm Meister Wander Jabre ١٨٢١ - ١٨٢٩ ذات اليوتوبية «الاجتماعية والتي تعلم الكبت فتعطينا صورة

نقدية عن نشوء التصنيع . وتـدل مؤلفـات «الشعـر والحقيقـة» (Dichtung And Wahrheit) ١٨١١ ـ ٣٣ والقطـع المسرحية ، والكتابـات العلمية ، والقصائـد الغنائية على تعدد جوانب منجزات غوته .

الحقبة الاولى من الحركة الرومانتيكية :

لم تبدأ الحركة الرومانتيكية كحركة احتجاج ضد الكلاسيكية الجديدة لمعدنية ويمار (Weimar) بقدر ما كانت امتـداداً راديكالياً لبعض معتقداتهـا واهتماماتهـا ، وبخاصة تأكيدها على القديم الاغريقي باديء الأمر الذي تاق اليه الكتاب توقهم للفردوس . يستطيع الشاعر الرومانتيكي ان يخلق عالمه الشخصي من الواقع أو من الخيال ، كما يحول كل ما يشتهيه الى شعر . ولما كانت طبيعته الفـردية ، وطـرق معالجته للقضايا متنوعة ، غير محدودة ، لذا لم يكن هناك من حدود للمبتـكرات التي تمت مضموناً وشكلاً بفضل تلك الثروة الهائلة من المواهب الأدبية التي برزت حينذاك في طول المانيا وعرضها نابعة من مختلف طبقـات المجتمـع . شعـر الجيل الصاعد بأنه حر وقادر على أن يعد النظر في كل القيم المقبولة والممثلة ليس فقط في مجال الفن والأدب بل في سائر المجـالات الاخـرى . اصبـح اللاوعـي موضوعـاً للدراسة الجدية ، وشاعت عناصر ما فوق الطبيعة ، بينما أدت الذاتية الرومانتيكية الى الصوفية دينياً . وقد قام الفيلسوف ي . ج . فيخته (J . G . Fichte) واللاهوتي ف . د . ا شليرماكر (F . E . E . Schleiermacher) بدور هام في نشوء الرومانتيكية الالمانية وتطورها .

كان من المحتم ان تنتج خيبة أمل من «الانا» في الفكر والأدب . نشأ فردريك هولدرلين (Friedrich Holderlin) أحد أعظم الشعراء الغنائيين الالمان ومؤلف رواية «هايبريون» (Hyperion) ١٧٩٧ ـ ٩٩ كمعجب بشيلر . ثم داهمه اليأس عندمـا ادرك استحالة توقه الى عصر من المثـالية البطـولية والجمال ، على شاكلـة اليونـان القديمة . اما يوهان فردريك ريختر (Johann Freidrich Richter) المعـروف باسـم جان بول (Jean Paul) فكان تلميذاً لهيردر . وحازت رواياته التي تفتقر الى الشكل على شعبية رائعة لما زخرت به من عاطفة وأبداع واسلوب غريب وتفاصيل وافرة .

كما أن اهتمامه المستمر بالحياة المعاصرة كان ظاهرة جديدة مما جعل عمله يبشر «بقصة القرية»(Dorfge Schichte) التي شاعت في العقود التالية . اما رواياته الرئيسية التي كتبت بين عامي ١٧٩٥ و١٨٠٤ فهي «هسبيروس»(Hesperus) «وكوينتوس فيكسلين»(Quintus Fixlein) «وسيبنكاس»(Siebenkas) «وتايتان»(Titan) «والعصر الغريب»(Flegel Jahre) .

أسست أول مدرسة رومانتيكية صحيحة في جينا(Jena) عام ١٧٩٨ . وكان لودفيك تيك(Ludvvig Tieck) وهو أحد قادة المدرسة ، قد شرع بتطوير حماس لشكسبير وللدراما الاليزابيثية والاصبانية سايره طيلة حياته . اما القاعدة النظرية للرومانتيكية فقد أرسى دعائمها الاخوان اوغسط وهلم وفردريك فون شليغل (August Wilhelm, Freidrich Von Schlegel) . أصر هذان الناقدان الرومانتيكيان على القول بان أولى واجبات النقد الفهم والتذوق . ويمكننا ان نجد أعظم انجاز خيالي في القصائد الغنائية والروايات المقطعة الاوصال التي كتبها نوفاليس(Novalis) (الاسم الأدبي لفردريك فون هارنبرغ) ، والتي تنقل القارىء الى عالم القصة الخرافية عن الجنيات(Marchen) ، بما فيها من صوفية مسيحية ورومانتيكية وسيطة ورمزية . كل هذا واضح بشكل خاص في مؤلف «هنريخ فون اوفتر دنجن» (Heinrich Von Ofter Dingen) عام ١٨٠٢ . وتتضح الشعبية العالمية التي اكتسبتها هذه الحركة في الترجمات العديدة الرائعة ومن أبدعها ترجمة مسرحيات شكسبير بقلم . ف شليغل(A.V Schlegel) الذي نادت مقالاته وآرؤه بان الأدب الحديث (او الرومانتيكي) يجب ان يعالج الحياة الحديثة في جميع مؤاهرها ، وقدمت «ويلهلم ميستر» كنموذج يحتذى .

الفَصْل السَّادس

الأدب الهولندي في القرن الثامن عشر

كان ظهور أول جمعية أدبية(Dichtgenootschap) عام ١٦٦٩ نذير انحطاط في الأدب الهولندي أستمر خلال القرن الثامن عشر . لقد أستنزف الرخاء المادي حيوية الأمة ، وحتى الشاعر الموهوب هيوبرت بوت(Hubert Poot) خالطه الوهم الذي شاع في زمانه بأن الزخرف الشديد والشكل المحدد هما مقياس الشعر الجيد . والنثر ايضاً أصبح يتألف بمعظمه من الترجمات والمقالات المفخمة . ومما له دلالته أن جستس فان ايفن(Justus Van Effen) كتب بالفرنسية قبل ان يؤسس «المشاهد الهولندي» (دو هولندش سبكتيتور)(De Hollandsch Spectator) (١٧٣١ - ١٧٣٥) . إن المقارنة تكشف عن بون واسع بين أسلوبه البسيط وأسلوب معاصريه ، كما أن واقعيته الوصفية تربطه بمؤلفين شعبيين هما اليزابيث ولف - بكر (Dlithabeth Wolff - Bekker) وآجي دكن(Aegi Deken) .

استطاعت اليزابيث ولف - بيكر الشاعرة وكاتبة المقالات - بعبقرية خلاقة ان تجمع بين العقلانية والرومانتيكية . أدت علاقتها مع اغاتا دكن(Agatha Deken) كصديقة وزميلة في الكتابة الى تأليف اول رواية هولندية عنوانها «سارة بيرج هارث» (Sara Burger - Hart) عام ١٧٨٢ ، على شكل رسائل رفعتها الى السيدات الهولنديات الشابات . والرواية رائعة بما فيها من فكاهة وواقعية ، الا انها مدينة بالكثير للروائي صاموئيل ريتشارد سون ، كما ان ذكاء اليزابيث وفكاهتها تسود كتابها المؤلف من ثمانية مجلدات والذي يهدف الى تهذيب الشباب وعنوانه «ويلم ليفيند»(Willem Leevend) ١٧٨٤ - ١٧٨٥ .

في حوالي نهاية القرن كان لفيف من الشعراء بينهم هيرونيموس فان الفن (Hieronymus Van Alphen) ورجنفيس فيث(Rhijnvis Feith) وجاكوبس بلامي

(Jacobus Bellamy) وانتوني ستارينغ (Antony Staring) في حالة من رد الفعل ضد الكلاسيكية الجديدة ، الا ان ستارينغ كان الوحيد الذي أظهر أكثر من صدى عن العاطفة الالمانية لما أتسم به من حذاقة ، ولموهبته باجادة الوصف . اما معاصروه فقد فضلو ويلم بيلدرديجك (Willem Bilderdijik) الذي غطت المبالغة في أسلوبه المجلجل على عبقريته ، الا ان حماسة البروتستنتي أبقى على بصماته في حركة الاحياء (Réveil) وهي حركة روحية حفزت الانتعاش الأدبي في الثلاثينات من القرن الثامن عشر .

الفَصْل السَّابع

الأدَب الايطالي في القـرن الثامن عَشر

المأساة :

في عام ١٧١٣ أخرج عالم الآثار من فيرونا اسمه فرانسيسكو سكبيون مافي (Francesco Scipione Maffei) مسرحية «ميروب»(Merope) وهي مأساة لاقت نجاحاً منقطع النظير ومهدت السبيل لاصلاح المسرح الايطالي التراجيدي . وبين عامي ١٧٢٦ ـ ١٧٤٧ كتب انطونيو كونتي(Antonio Conti) ـ احد المعجبين بشكسبير ـ أربع مآسي رومانية باسلوب شعري غير مقفى (بلانك فيرس) . ولم يبرز أي كاتب مسرحي تراجيدي هام قبل عام ١٧٨٢ ، وهو تاريخ كتابة «سول» (Saul) للكاتب فيتوريو الفيبري(Vittorio Alfieri) . بالمقارنة بمسرحيات بيترو ميتستاسيو(Pietro Metastasio) وباولو رولي(Paolo Rolli) المسماة ميلودراما (Melodrama) وهي نصوص لحنت أو أخرجت كمسرحيات تراجيديات «الفيبري» خشنة مريرة غير مرنة . وقد اختار المواضيع الكلاسيكية والانجيلية وطمح في ان يحرك جمهوره بعواطف نبيلة وحماس وطني نتيجة لكرهه للطغيان وحبه للحرية . كان أثر الفيبري في الفترة الرومانتيكية عظيماً ، كما انه مثل كارلو كولدوني كتب سيرته الذاتية بنفسه ، وتتكشف ثناياها عن وصف لنضاله من اجل تزويد ايطاليا بمجموعة درامية تضاهي مالدى الأمم الاوروبية الاخرى .

الهزلية :

كان اصلاح متيستاسيو لنص الاوبرا موازياً في منتصف القرن الثامن عشر لاصلاح كولدوني(Goldoni) للهزلية . أثناء القرن السابع عشر كانت الكوميديا

ديلارتي(Commedia Dell'Arte) - وهي ضرب من المسرحية تعتمد على الحركات وتمتلىء بالارتجال والغناء والتقليد الصامت واللعب على الحبال ، وغالباً ما ادّاها ممثلون قديرون قد حلت بالتدريج محل الملهاة العادية ، لكنها أنحطت في بداية القرن الثامن عشر الى مجرد التهريج والهزل البذيء بشخصيات ثابتة ، وسلوك تقليدي . كان معظم الحوار مرتجلاً ، والحبكة (وهي سلسلة معقدة من الارشادات المسرحية تعرف باسم السيناريو) كانت غالباً ما تشمل الزواج بالاكراه ، وسوء طالع المحبين ، ومكائد الخدم واسيادهم . ونجح كولدوني في استبدال هذا النوع التقليدي من الهزل المرتجل الذي عماده الحركة والبذاءة بهزليات ذات نص مكتوب . كان يعطي وصفاً دقيقاً لشخصياته الا انه على عكس موليير لا يغوص الى أعماق النفس . صور بفكاهة وحيوية الحياة في البندقية ، وبلهجة أهلها الف الكثير من هزلياته . كما كتب منافس كولدوني الجدلي المر وابن مدينة (البندقية) كارلوكوسي (Carlo Gozzi) هزليات وشعراً هجائياً .

دنيا العلم :

كان جيامباتيستا فيكو(Giambattista Vico) ولودفيكو انطونيو ميوراتوري (Ludvico Antonio Muratori) ، وأبوستولو زينو وشبيوني مافي,(Scipione Maffei, Apostolo Zeno) كتّاباً انعكس فيهم الوعي التاريخي ، اذ جمع ميوراتوري المصادر الأساسية لدراسة العصور الوسطى الايطالية ، بينما تحرى فيكو في كتابه «العلم الحديث»(Scienza Nuova) ١٧٢٥ - ١٧٤٤ القوانين التي تتحكم بتقدم الجنس البشري ، ومن دراسة للانسان حاول أن يستنتج القوانين التي تقوم بموجبها الحضارات وتزدهر ثم تنحط . كرس جيوفاني ماريا مازوشيلي وجيرو لاموتيرابوشي نفسيهما لدراسة التاريخ الادبي . كما أن النقد الأدبي أثار الاهتمام اذا أدرك جيان فنسير وكرافينا وفيكو ومافي ولودوفيكو انطونيو ميوراتوري وآخرون غيرهم فيما كانوا يدافعون عن تقليد الكتب الكلاسيكية ان هذا التقليد يجب أن يتم بحذر وهكذا استبقوا وجهات نظر شاعت فيما بعد .

التنوير :

مع انتهاء السيطرة الاسبانية ، وأنتشار افكار التنوير في فرنسا أدخلت الاصلاحات بالتدريج في اجزاء مختلفة من ايطاليا . وقد قادت روح العصر الجديدة رجالاً من الطبقة الوسطى ـ العليا لأن يدرسوا كيف تعمل القوانين الاقتصادية والاجتماعية . كما وجدت افكار ومطامح حركة التنوير صدى لها في الصحافة الجديدة مثل دورية «بيترو فيري»(Pietro Verri) «الكافي»(Il Caffè) ١٧٦٤ - ,, . ظ .

يجسد جيوسيب باريني ـ(Giuseppe Parini) الذي يقابل الكساندر بوب في انجلترا وبوالو في فرنسا ـ أكثر من أي كاتب آخر الاحياء الادبي في القرن الثامن عشر . اذ وصف في مؤلفة « اليوم »(Il Giorno) (نشر في أربعة اجزاء ١٧٦٣ - ١٨٠١) وهو عمل نقدي طويل لما يسمى « حقوق ذوي الدم الأزرق » ـ يوما في حياة نبيل من ميلان ، وأظهر بسخرية مبطنةٍ عبث طريقة كاملة من الحياة وتفاهتها . وتعتبر قصائده الغنائية من نوع « الاود » المشبعة بنفس الروح في الاصلاح الخلقي والاجتماعي من روائع الشعر الايطالي .

ويعتبر الهجاء المتضمن في « المواعظ »(SERMONI) ١٧٦٣ لـ غاسبارو كوزي(Gasparo Gozzi) (الأخ الأكبر لكارلو) اقل حدة ، مع انه موجه لاغراض مماثلة وقد عرض في دورييه « لاغازيتا فينيتا »(La Gazzetta Veneta) « ولوسرفاتور »(L'osservatore) تاريخا حيوياً للحياة في البندقية ، ضمنه درساً عملياً في الاخلاق ، فيه الكثير من المنطق السليم . هذا وان تلك الشخصية المثيرة للجدل جيوسيبي(Giuseppe Baretti) صاحب الدورية النقدية « السوط الادبي » (La Frusta Letteraria) التي هاجم فيها المؤلفين السيئين ، تعلم الكثير في انكلترا نتيجة اقامته الطويلة فيها ، وقد ساعدته صداقته لصاموئيل جونسون على الاستقلالية والقوة ، وان لم يكن ذا رأي صائب دوما . كانت الرواية الفلسفية المسماة « رحلة أنريكو وانتون »(Viaggi di Enrico Wanton) ١٧٤٩ - ١٧٦٤ والتي اتخذت شكل رحلة خيالية للكاتب البندقي زاكاريا ساريمان(Saccaria Seriman) أكثر المؤلفات الهجائية شمولاً في عصرها .

الفَصْل الثّامِن

الأدب الاسباني في القرن الثامن عشر

بدأ تجديد الحياة الفكرية في اسبانيا بعد تأسيس سلالة بوربون على أثر حروب النزاع على العرش الاسباني (١٧١٠ ـ ١٧١٤) . وقد انشئت عدة اكاديميات ابقاها أثراً الاكاديمية اللغوية الاسبانية لريال التي تعرف الآن باسم « اكاديمية ريال الاسبانية »(Real Academia)(Espanola) التي اسست عام ١٧١٣ بغية الحفاظ على نقاء اللغة . بدأ الادباء يدرسون خارج اسبانيا ، فاكتشفوا الى أي حد خرجت اسبانيا عن الطريق الفكري لغربي أوروبا . كما أن روحا جديدة من البحث في التراث القومي جعلت العلماء يفيئون الى الماضي ليكشفوا عن الادب الوسيطي المنسي . فكتب قيّم المكتبة الملكية غريغوريوميان اي سيسكار(Gregorio Mayans Y Siscar) أول دراسة لسيرة حياة أعظم روائي اسباني هو ميغويل دوسيرفانتيس . كما قام مؤرخ كنسي يدعى انريك فلوريز(Enrique Florez) وفيه ساعد على احياء الخلفية الثقافية الكاملة لاسبانيا الوسيطية المسيحية . وهناك اعمال أدبية بارزة اكثر أهمية مما ذكر ، وهي نشر ملحمة من القرن الثاني عنوانها « قصيدة سيدي » (Pozma de mio Cid) من تأليف كونز الودو برسيو ، « وكتاب الحب الطيب » (Libro de Buen Amor) لجوان رويز(Juan Ruiz) وقد نشر للمرة الاولى . نتج عن هذا كله نقاش بين القديم والحديث جرى خلال العقود الوسطى للقرن ، مما اضطر الجانبين الى أن يراجعا موقفيهما ، مما بشر بمولد معالجة نقدية جديدة للأدب . وهنا يبرز اسمان هما اغناسيو دولوزان كلارامنت(Ignacio de Luzan Claramunt) الذي ادى مؤلفه في قضايا الشعر الى اثارة الجدل الكلاسيكي الجديد الكبير في اسبانيا ، وبنيتو جيرونيمو فييجو اي مونتجرو(Benito Jeronimo Feijoo Montenegro) وهو راهب بندكتي قدم مساهمة كبيرة لتحرر اسبانيا الفكري ، بمهاجمته الخطأ والتعصب

والخرافة أنىّ وجدها . في مجال النثر الخيالي نجد مؤلف « ليالٍ حزينةً »(Noches Lugubres) لـ جوزيه كاد السوفــازكويز (José Cadalso Vazquez) الــذي يبشر بالرومـانتيكية ومـؤلف « فـريه جيرونــديو »(Fray Gerundio) ١٧٥٨ لـ جوزيه فرانسيسكو دواسلا(José Francisco de Isla) ، وهـو عمـل هجائـي يذكر برواية الكدية(Picaresque Novel) .

أما الشعر الذي كان يغط في سبات عميق طيلة مائة عام ، فقد رفع رأسـه بوجل على أيدي مجموعة من الشعراء من سلمنكا يقودهم دييغو كونزاليس(Diego Gonzalez) تطلعوا حوالي عام ١٧٧٥ نحو لويس دوليون(Luis de Leon) سعيا وراء الالهام ، كما حاولت مجموعة اخرى في أشبيلية بعد عقدين من الزمن احياء امجاد هريرا(Herrera) . أما خوان ميلنديس فالديس(Luan Melendez) ـ الذي تعلـم كيف يفكر على طريقة الانكليزي جون لوك ، ويشعر على طريقة الانكليزي ادوارد يونغ ـ فقد جسد مجموعة من التأثيرات الجديدة العاملة آنئذ . وساعد خلال تمرنه على احياء الشعر ليعودا الى حياته الطبيعية رغم ما تكشّف عنه انه كان رجل صناعة اكثر منه شاعراً عظيما .

شهد النصف الثاني من القرن في مجال المسرحية معركة كبرى حول القواعد الكلاسيكية التي عنت بشكل رئيسي الوحدات الثلاث : المكان والزمان والعمل . وأظهرت مسرحية « لاراكيل »(La Raquel) ١٧٧٨ لـ فنسنت انطونيو غراسيا دولا هيرتـا اي مينـوز(Vincente Antonio Gracia de la Huerta Y Munoz) امـكانيات مدرسة الاصلاح . وكان من نصيب رامون دولا لا كروز(Ramon de la Cruz) أن يسد الثغرة باحيائه الهزلية النقـدية النثـرية ذات الفصـل الواحـد(Paso) والقطـع المسرحية المتوسطــة الطــول لـ لوب دوريدا (Lope de Ruzda) وسيرفــانتيس (Cervantes) ولويس كونيونيس دوبنافنته(Luis Quinones de Benavente) وكانت مسرحياته المكونة من فصل واحد والتي تقدم صوراً نقدية للحياة في مدريد ، تتبع قانون الوحدات الثلاث ، ولا تثير حفيظة دعاة الصفاء الكلاسيكي . كانت بآن معاً متعة للجمهور كما عادت بالمسرحية الى التعليق على الحياة والمجتمع . وطبق لياندرو فرنالد يزد موراتن (Leandro Fenandez de Moratin) القاعدة نفسها على المسرحية

الكاملـة الطـول ، وانتـج هزليات زاخـرة بالجـدية الاجتماعية العميقـة وصالحـة للاخراج . ويعتبرْ حواره في « الكوميديا الجديدة » (La Comedia Nueva) ١٧٩٢ « وموافقه العذراء » (El si de Las Ninas) ١٨٠٦ من أجود ما كتب نثراً في القرن الثامن عشر .

الفصل التاسع

الأدب البرتغالي في القرن الثامن عشر

كان القرن الثامن عشر في البرتغال شأنه في اسبانيا ، نثرياً حتى في شعره . لكن بالتدريج ظهرت علامات ثورة ادبية ما لبثت تتطور حتى غدت حركة رومانتيكية ، اذ صب لويس انطونيو فيري (Luis Antonio Verney) جام احتقاره على اساليب التعليم في كتابه « الطريقة الصادقة للدراسة »(Verdadeiso Metodo de Estudar) ١٧٤٦ . كما تطلع الليبراليون في افكارهم الى انكلترا وفرنسا ، واليهم بعود ـ بشكل رئيسي ـ الفضل في الاصلاح الذي اصاب كل فرع من فروع الادب . من هؤلاء الاشخاص يمكننا ان نشير الى الكساندر دوغوزماو(Alexandre de Gusmao) وزفير دوا وليفيرا (Xavier de Oliveira) وانطونيو ربيروسانشيس (Antonio Ribeiro Sanches) وجوزيه كوريا داسيرا(José Correia de Serra) وأفيلاربرو تيرو (Avelar Brotero) وفرانسيسكو مانويل دونا سيمنتو(Francisco Manuel Do Nascimento) ، كما اسهمت الجمعيات الادبية الجديدة بدورها في عملية الاصلاح . في عام ١٧٢٠ أسس الملك جون الخامس اكاديمية ريال التاريخية البرتغالية (Accademia Real da Historia Portuguesa) التي ضمت في عضويتها رجالا مثل مانويل كاتانودوسوسا (Manuel Caetano de Sousa) مؤلف السفر الضخم « التاريخ سلالة البيت الملكي البرتغالي » (١٧٣٥ ـ ٤٩) اما اكاديمية ريال العلمية التي أسست عام ١٧٧٩ فقد قدمت دراسات في تاريخ الادب البرتغالي . ضمت هذه الجمعية بعضويتها سائر العلماء المشهورين تقريباً في نهاية القرن ، امثال المؤرخ الاكليريكي فري مانويل دوسينا كيولا (Frei Manuel do Cenacula) ، والعالم انطونيو ربيرودوس سانتوس ، وجوابيدرو ربيرو(Joao Pedro Ribeiro) الذي ربما اعتبر أول مؤرخ عصري لبلاده . كما ضمت نقاداً أمثال فرانسيسكو

ألكساندر لوبو (Francisco Alexandro Lobo) وفريه فورتوناتو دوساو بوفنتورا (Freil Fortunato de Sao Boaventura) .

في عام ١٧٥٦ أسس أنطـونيو دنيس داكروزاي سيلفـا (Antonio Dinis da Cruze Silva) الاركاديا لويزيتانيا (Arcadia Luisitania) التي كان على رأس اهدافها التخلص من الأثر الاسباني . وقد دَلّ الشعر الرعوي لِدومنيغوس دوس ريس كوتيا (Domingos dos Reis Quita) على عودة الى التقليد الوطنـي قبـل قرنـين . يظهـر الاخلاص والمعاناة في القصائد ذات الشهرة الأكبر وعنوانها « ماريليا دي درسيو » (Marilia De Dirceu) ١٧٩٢ وهي قصائد غنائية في الحب ذات خلفية رعوية كتبها توماس انطونيو كونزاغا (Toma's Antonio Gonzaga) . وفي عام ١٧٩٠ ظهـرت اركاديا جديدة (Nova Arcadia) كان ابرز اعضائها الشاعران المتنافسان مانيول ماريا باربوسا دو بوساج (Manuel Maria Barbosa du Bucage) وجـوزيه اغوسـتينيو دو ماسيدو (José Agostino de Macedo) .

خارج نطاق الجمعيات الادبية وقف المنشقون الذين تميز بينهم كاتبـان على الأقل . قلائل هم النقاد البرتغاليون الذين تمكنوا من الهزء والسخرية ، كما تمكن نيكولاو تولنيتو دو الميدا (Nicolau Tolentino de Almeida) الذي صور عادات عصره وشوائبه بدقـة مدمـرة . كما كرس فرانسيسـكو مانـويل دو ناسيمنتـو (Francisco Manuel do Nascimento) المعروف باسمـه الادبـي فيلينتـو اليسيو (Filinto Elisio) نفسـه لتنقية اللغـة واعـادة عبـادة شعـراء القـرن السـادس عشر ، متحـولاً الى الرومانتيكية قبل وفاته بقليل ، وهكذا مهّد الطريق لنجاحها في البرتغال .

في اوائل القرن حاول المؤلفـون الشـعبيون انعـاش المسرحية في لشبونـة ، وتدين الاوبرا البرتغالية (Operas Portuguesas) ١٧٣٣ ـ ١٧٤١ لانطـونيو جوزيه داسيلفا (Antonio José da Silva) علمها لترصيع الحوار النثري بالالحان والرقصات والاغاني الشعبية الخفيفة . وقد حاولت الاركاديا لنزتانيا (Arca'dia Lusitana) أن ترفع من مستوى المسرح فوجدت نماذجها مفضلـة في الروائـع القديمـة في القـرن السادس عشر ، لكنها فتشت عن الايحـاء والالهـام في المسرح الفـرنسي . الا أن محاولاتها باءت بالفشل بسبب نقص الموهبة المسرحية ، والاستجابة الشعبية . وكان

مانويل دوفيكريدو (Manuel De Figueiredo) نموذجاً يمثل هذا الاتجاه خير تمثيل اذ انتج ـ نثراً وشعراً ـ ١٤ مجلداً من المسرحيات في مواضيع قومية ، عندما حاول ان يكتب مسرحيات « صحيحة اخلاقياً ومسرحياً » ، لكنها لم تمثل على المسرح اطلاقاً ، لافتقارها للحيوية .

الفَصْل العَاشِر

الأدَب الاسكندنافي في القرن الثامن عَشر

الادب السويدي :

بعد وفاة شارل الثاني عشر عام ١٧١٨ ، وانهيار امبراطوريته ، تطور في السويد بالتدريج موقف نفعي من الحياة والادب . كان اولوف فون دالن (Olof Von Dalin) المصمم الأكبر للافكار الجديدة التي عممتها حركتا التنوير في انكلترا وفرنسا . تلَّقى ثقافته في لند (Lund) ثم انقلب الى استوكهام ، وبدأ ينشر دورية اسبوعية غفلاً من اسمه اطلق عليها : « الآرغوس السويدية » (Then Swanska Argus) (١٧٣٢ ـ ١٧٣٤) ، صممت على نمط مجلة جوزيف اديسون . كانت هذه الدورية أول مشروع صحفي جدي في السويد ، وعلامة مميزة لبداية حقبة جديدة حلت فيها أفكار التشكيك والتنوير والباروكية حتى الكلاسيكية محل الآراء التقليدية الراسخة ، كما انحسر التأثير الألماني ليحل محله التأثير الانجليزي والفرنسي الطبقة المتوسطة تستلم مقاليد الادب . انتقد دالن في ارغوس (Argus) مثالب العاصمة وسخر منها ، وفي « قصة الحصان » (Sagan Om Hasten) ١٧٤٠ اثبت انه متمكن من الهجاء المجازي . وكتب ـ فضلا عن ذلك ـ بعض المسرحيات شبه الكلاسيكية ، كانت اكاديمية الطابع ، لكن دونما حياة شأنها شأن الكثير من المحاولات المسرحية في اوائل القرن الثامن عشر ومنتصفه . اما مسرحية « الغندور السويدي » (Den Suenska Spratthoken) ١٧٤٠ ، وهي هزلية كتبها الكونت كارل كيلينبورغ (Count Carl Gyllenborg) والأبيقوري غوستاف فيليب كروتز (Gustan Philip Creutz) وصديقه الردافي غوستاف فردريك كيلبرغ (Gustaf Fredrik Gyllenborg) وفي المجموعة الشعرية « الحمامة الحزينة » (Den Sorgande

(Turturdulfwan تندب فر و نوردنفلخت (Fru Nordenflycht) تقترن اسماء هدفك شارلوتا نوردنفلخت (Hedvic Charlatta Nordenflycht) وفاة زوجها في قصائد غنائية ذات نغمة ذاتية بالغة العمق . كان كروز شخصية مقلدة اكثر سفسطة ، ومع ذلك فكتاباته القليلة التي تتصدرها قصيدته الرعوية « آتيس اوش كاميلا » (Atis Och Camilla) تكشف عن تمكنه من الصيغة الادبية ومن الفن الشعري .

كان تطور النثر ـ وبشكل خاص الرواية ـ أبطأ . وأول رواية حقة هي « ادالريك جيوتلداس افنتير » (Adalrik Och Giothildas Afventyr) ١٧٤٢ ـ ١٧٤٤ لِـ جاكوب مورك (Jacob Mork) وأندرز تورنجرين (Anders Torngren) ويبرز فيها اثر الملاحم الايسلندية . لم يكن في السويد في القرن الثامن عشر الا كاتبان ذوا شهرة أوروبية ، وهما العالمان كارل فون لن (Car Von Linné) ١٧٠٧ ـ ٧٨ والصوفي امانيول سويدنبرغ (Emanuel Swedenborg) ١٦٨٨ ـ ١٧٧٢) .

تأخذ الفترة الغوستافية اسمها من الملك غوستاف الثالث (Gustav III) ١٧٤٦ ـ ١٧٩٢ وهو رجل لامع وراعية للأدب والفن اولى المسرح والأوبرا اهتماماً خاصاً ، وبفضل رعايته تطور تقليد مسرحي مناسب . وقد كتب غوستاف نفسه بعض الأعمال الادبية افضلها اوبرا بعنوان « غوستاف فازا » (Gustaf Vasa) ، كتب نهايتها بالتعاون مع يوهان هنريخ كلجرين (Johan Henrik Kellgren) والملحن ي . ج نومان (J .G . Noumann) اصر كلغرين (Kellgren) الشاعر الاكاديمي العظيم والفصل في الذوق الأدبي ، على أن يبني الادب السويدي على الانماط الكلاسيكية الفرنسية ، وقد بدأ حياته الادبية كرجل عقلاني وناقد على طريقة فولتير ، الا انه تقبل على مضض افكاراً مهيئة للرومانتيكية فيما بعد .

في المجلة الرئيسية الناطقة باسم ادباء العاصمة « استكهلمسبستن » (Stockholmsposten استعمل فكاهته العقلية الجدلية ، ضد توماس ثوريلد (Thomas Tjorild أحد المنادين المشاكسين بالعبقرية الفردية . وبعد وفاته حل كارل كوستاف أف ليوبولد (Carl Gustaf Af Leopold) محله واستمر الجدل محتدماً . الا أن كارل هذا فرض المقاييس شبه الكلاسيكية على الاكاديمية وطبقّها في قصائده الغنائية ومآسيه المنمقة الاسلوب . كتب يوهان غابرييل اوكزنستيرنا (Johan

Gabriel Oxenstierna أكثر مؤلفاته أصالة بينما كان يعمل كدبلوماسي في فيينا . وتتجلى قصيدته « الحصاد » (Skördarne) ١٧٩٦ وقصيدته الغنائية من نوع « الاود » « وعنوانها كاميلا » (Ode to Camilla) بشعور جمال الطبيعة من النوع الذي يسبق الرومانتيكية . وشعرياً كان بينت لدنر (Bengt Lidner) الداعية الرئيسي لحركة ما قبل الرومانتيكية ، وأبرز أعماله قصيدته الغنائية « غريفنان سباستاراس دود » (Grefvinnan Spastaras Dod) ١٧٨٣ .

يقف كارل مايكل بلمان بعيداً عن مثل العصر المتصارعة ، فكان شاعراً وموسيقياً جمع بين الواقعية في الاسلوب وروح النكتة والادراك الدقيق الفريد للغة والجرس وبذلك كان اعظم شاعر غنائي سويدي في القرن الثامن عشر .

عبرت اطروحة السكرتير الأول للاكاديمية السويدية نيلزفون روزنشين (Nils Von Rosenstein) في التنوير (Om Upplysning) (١٧٩٣) عن مثل الحقبة الغوستافية . وهناك عدة مذكرات كتبها ج . ي أدلربيث (G.J. Adlerbeth) و ج . ي إهرنسفارد (G.J. Ehrensvard) وغيرهما ، وكلها تخلق المناخ الفكه والمصطنع لبلاط غوستاف الثالث فأما خلفه غوستاف الرابع فلم يشجع الادب ، ومع ذلك كتبت انّا ماريا لنغرين (Anna Maria Lenngrein) بعض افضل شعرها الهجائي بين عامي ١٧٩٥ و١٨٠٠ ، وأغلبه موجه ضد العيوب الارستقراطية . اما القصائد الرعوية العاطفية التي نظمها فرانس ميكائيل فرانزن (Frans Mikael Franzen) فمشحونة بالمثالية التي سبقت الحركة الرومانتيكية المستقاة من مصادر انكليزية والمانية كما نظم بصفته اسقفاً بعضاً من اكثر الترانيم شعبية في الكنيسة السويدية .

الادب الدانمركي :

كان القرن الثامن عشر فترة خصبة بالادب الدانمركي ، وكان الاسم العظيم في النصف الاول منه هو لدفيغ هولبرغ (Ludvig Holberg) النرويجي المولد . اعظم مساهمات له كتبها للمسرح الدانمركي الذي افتتح عام ١٧٢٢ هي ٣٢ مسرحية كوميدية من النوع الذي يركز على الشخصية والعادات ، بالاضافة الى بعض

المسرحيات المجازية الداعية للاخلاق كتبها في شيخوخته . كان يهدف الى ايجاد ادب دانمركي حديث حسب الخطوط الأوروبية ، وأن يضحك الناس بكشف عيوبهم امام انظارهم . وكان عقلانياً معتدلاً متأثراً بالمفكرين الانكليز والفرنسيين ، وفضلا عن ذلك نظم قصائد هجائية مثل « بيدربارس » (Peder Paars) ١٧١٩ ، وهي قصيدة بطولية ساخرة ، ورحلة نيقولاى كليمي الى العالم السفلي (باللاتينية (١٧٤١)) . ويعتبر مؤلفاه « افكار اخلاقية » (Moralske Tanker) ١٧٤٤ « ورسائل » (Epistler) ١٧٤٨ ـ ١٧٥٤ ابدع الامثلة على صيغة المثال السياسي الدانمركي . هذا بالاضافة الى اسهامة ببعض المؤلفات التاريخية القيمة .

من معاصري هولبرغ كان أنبغ الشعراء الغنائيين هم هـ ـ م بروسون (H. A Brorson) ، وهو شاعر صوفي تتصف ترانيمه التقوية بخلفية من الحزن والالم الشخصي ؛ وأمبروزيوس ستب (Ambrosius Stub) وأغلب قصائده دينية أو تربوية ، او حكم فكهة ، او اغاني شراب . اما الهجّاء كرستيان فولستر (Christian Falster) فكان الجزء المحافظ المتمم لهولبرغ . وكان فردريك ايلشوف (Friedrich Eilschov) ويانز شلورب سيندورف (Jens Schelderup Sneedroff) الذي حرر دورية « المشاهد الوطني » (Den Patriotiske Tilskuer) تلميذين عقلانيين لهولبرغ .

في نهاية القرن تقريباً حدث احياء ذو أهمية للادب الدانمركي ، اذ كتب النرويجي يوهان هرمان وسل (Yohan Herman Wessel) ـ وهو احد اعظم الفكاهيين الذين كتبوا بالدانمركية « حب بدون جوارب » (Kierlighed Vden Strom per) وهو تقليد ساخر من تقليد الدانمركيين فلاوبرا الايطالية والتراجيديا الفرنسية التي حلت محل هزليات هولبرغ ، ولا سيما مسرحيات نيلز كروغ بردال ، ويوهان رودال برون ، وما زالت قصائد الأخير الخفيفة الفكهة ، وقصصه المنظومة شعراً شائعة محبوبة .

في الوقت نفسه كان هناك احياء للشعر العاطفي متأثر بالأدبين الالماني والانكليزي ، وكان يوهان ايوالد (Johanns Ewald) الذي ربما كان اعظم شاعر غنائي دانمركي ـ اول من غاص في الماضي الدانمركي ليكتشف الروعة الشعرية الكامنة

في كتاب « جستا دانوروم » (Gesta Danorum) للكاتب سكسوكراماتيكوس (Saxo Grammaticus) وخاصة في الاساطير والملاحم والقصائد البطولية من نوع « البالاد » . وقد نظم مسرحيات شعرية وقصائد وصفية ذاتية عميقة . كانت « الصياد » ١٧٧٩ (Fiskerne) أول مسرحية دانمركية جدّية عومل فيها الناس العاديون بشكل بطولي . كما تأثرت مذكراته « حياة افكار » (Levnet of Meninger) بالكاتب الانكليزي لورنس ستيرن ، والكاتب الفرنسي جان جاك روسو . وقلّد يانز بكيسن (Jens Baggesen) ـ بادىء ذي بدء ـ اعمال هولبرغ وويسل الهجائية ، لكنه تطور بالتدريج ليصبح شاعراً متميزاً بارزاً رغم اختلاف نوعية شعره من قصيدة الى اخرى بشكل واضح . وفي مؤلف « المتاهة » (Labyrinten) ١٧٩٢ ـ ٩٣ وصف رحلاته في اوروبا حسب طريقة سترن (Sterne)

تميزت نهاية القرن الثامن عشر بالكثير من الهواية الادبية ، ومثال ذلك ب . ج هايبرغ (P . A . Heiberg) الهجاء العنيف الراديكالي الذي تأثر بالثورة الفرنسية ، وطرد من الدانمارك وقضى سحابة (٤٠) عاماً من حياته لاجئاً سياسياً في فرنسا . كما وشاطره هذا المصير مولت كونراد برون (Malte Conrad Bruun) بتأليفه كتاباً أسماه «الارستقراطيين» .

الأدب النرويجي :

كان عدد من كتاب الدانمارك الرئيسيي من مواليد النرويج ، ومن أبرزهم ليدفغ هولبرغ (Ludvig Holberg) ، ثم في نهاية القرن برز منهم أعضاء الجمعية النرويجية . أسست هذه الجمعية في كوبنهاجن عام ١٧٢٢ على أيدي نرويجين مقيمين فيها ، وتطلعت الى الأدب الفرنسي لايجاد نماذج تحتذى اكثر من اهتمامها بالادب الانكليزي أو الالماني . كان من اعضائها يوهان هرمان ويسل ، ويوهان نوردال برون الذي نالت مأساته «زارين» (Zarine) جائزة أدبية عام ١٧٧٢ ، والمفكر كلاوس فاستنغ (Claus Fasting) . اما في النرويج نفسها فكان النشاط الأدبي الملحوظ قليلاً ، مع آن تأسيس الجمعية الملكية النرويجية للمعرفة عام ١٧٦٠ في تروندهايم كان دليلاً على أن النرويج شرعت تؤكد على مطامحها الثافية .

الأدب الايسلندي :

يعتبر كتاب «مواعظ للمنزل»(House - Postil) لمؤلفه جون فيدالن(Jon Vidalin) اسقف سكالهولت أفضل مثال على النثر الايسلندي في أوائل القرن الثامن عشر . وهناك أدباء مرموقون في أواخر القرن الثامن عشر منهم أكرت اولافسون (Eggert Olafsson) الذي قام بمسح جغرافي لايسلنده وشعبها نشر عام ١٧٧٢ . وقد عبر في شعره عن العقلانية في القرن الثامن عشر ممتزجة بالوطنية الرومانتيكية . اما جون شتاينغريمسون(Jon Steingrimsson) فيذكر الآن بسيرته الذاتية التي يصف فيها ثوراناً بركانياً عام (١٧٨٣) ، والمجاعة التي تلت ذلك . كما ترجم جون بورلاكسون(J ón Porlaksson) قصيدة «الفردوس المفقود» لملتون وقصيدة «مقال عن الانسان» لبوب .

كتب فنرجونسون(Finnu Jonsson) أسقف سكالهولت «التاريخ الاكليريكي لايسلنده» ١٧٧٢ ـ ١٧٧٨ ، وهو يغطي تاريخ المسيحية في ايسلنده . اما جون اسبولين(Jon Espolin) فكتب «سجلات ايسلندية» وهو تاريخ لايسلنده من عام ١٢٦٢ .

الفَصْل الحَادي عَشَر

الادب الروسي في القرن الثامن عشر

يرجع تاريخ الأدب الروسي الحديث الى العقد الأول من القرن الثامن عشر عندما بدأت المؤلفات الادبية تطبع بشكل متميز عن الكتب الرسمية والدينية . كانت الكلاسيكية هي الحركة المسيطرة في أدب القرن الثامن عشر ، ولكن في النصف الثاني منه حلت الحركة العاطفية محل الكلاسيكية ، كما ان الحركة العاطفية نفسها كانت تفسح المجال لتتراجع أمام الرومانتيكية والواقعية حوالي عام ١٨٠٠م .

نشوء الكلاسيكية الروسية :

ان أبرز شخصية أدبية في مطلع القرن الثامن عشر هي شخصية **فيوفان** بروكوبوفتش(Feofan Prokopovich) رئيس اساقفة نوفغورود ، واحد ندماء بطرس الاول الكبير ، وقد أرسى أسس موضوعين رئيسين في الأدب الروسي هما الاوتوقراطية كنوع من الحكم والهجاء كوسيلة لمهاجمة الخصوم السياسيين .

في السنوات الاولى من القرن انتشر بعض الشعر الوقور في المديح تخليداً لذكرى الانتصارات الروسية ، كما كانت امثلة على الصيغة الادبية الجديدة من قصائد الحب الغنائية والقصائد التأملية الرثائية . كذلك شهدت هذه الفترة تطور المسرحية الروسية العلمانية ، ولكنها ـ بشكل عام ـ كانت فترة تحضيرية للتطور الذي تم فيما بعد .

شجع نمو المؤسسات الثقافية وتأسيس أول اكاديمية للعلوم في سانت بطرسبورغ (St . Petersburg) عام ١٧٥٥ وأول جامعة في موسكو ١٧٥٥ ، وأول مسرح في سانت بطرسبورغ ١٧٥٦ ، على تطوير الميول الادبية . كانت القصيدة

الغنائية من نوع «الاود» والمأساة هي الاشكال الادبية الرئيسية ، وقد دعت كلتاهما الى الحتمية المتنورة . وكما هي الحال في غربي أوروبا كانت عبادة العقل أساس التذوق الجمالي للحركة الكلاسيكية الجديدة .

كان الكتاب الرئيسيون للحركة الكلاسيكية هم الأمير انتيوخ ديمتريفتش كانتمير(Antiokh Dmitriyevich Kantemir) أول شاعر علماني روسي وفاسيلي كيريلوفتش ترادياكوفسكي(Kirillovich Trediakovsky Vasily) احد أبرز علماء عصره وميخائيل فاسيليفتش لومونوسوف(Michail Vasilyevich Lomonosov الشاعر واللغوي والعالم والناقد الادبي والكساندر بتروفتش سوماروكوف (Aleksandr Petrovich Sumarokov) الشاعر والكاتب المسرحي . يشتهر كانتمير بشكل رئيسي بقصائده الغنائية وأعماله الهجائية التسعة ، ويعتبر مؤسس النقد الروسي . اما ترادياكوفسكي فبدأ عمله الادبي بترجمة مؤلف بول نالامنت(Paul Tallemant) «رحلة الى جزيرة الحب» أول عمل في الحب الجنسي ينشر في روسيا ، كما ساعد على اصلاح العروض الروسي اما لومونوسوف فابتكر الاساليب الثلاثة الشهيرة للشعر التي تميزت بها الحركة الكلاسيكية الجديدة الروسية وهي : الاسلوب الفخم للقصائد البطولية ، والقصائد الغنائية من نوع «الأود» ، والاسلوب المتوسط للاعمال المسرحية التي تتطلب الحديث العامي والدارج ، والاسلوب الادبي المنخفض للهزليات والحكم والاغاني والرسائل النثرية والوصف الدقيق .

طور لومونوسوف كذلك الدراسة النظرية للغة الروسية التي ادعى انها لا تقل مستوى عن أية لغة اوروبية اخرى في غناها الطبيعي وجمالها وقوتها .

كان سوماروكوف(Sumarokov) الذي كتب أول مأساة روسية كلاسيكية عنوانها «خوريف»(Khorev) ١٧٤٧ متمرساً في اشكال أدبية متعددة ، ومعارضاً لاسلوب لومونوسوف المنمق . ويدين بشهرته وشعبيته لقصائده الغنائية العديدة في الحب ، والى مراثيه وشعره الرعوي . كما كتب ست مسرحيات مأساوية بما فيها اقتباس لمسرحية «هاملت» ، واربع ملاه . وقصد بأعماله المأساوية المتأثرة براسين الى تعليم الطبقة النبيلة دروب أخلاقية ، وهذا نفس ما هدف اليه في مسرحياته الهزلية . كما كشف في دوريته «النحلة الدؤوب»(Trudolyubivaya Pchela) عن

الفساد بين الموظفين ، وهاجم ملاكي الاراضي لسوء معاملتهم عبيد الارض ، الا انه دافع عن عدم المساواة الاجتماعية باعتبارها شيئاً طبيعياً وقانونياً . كما ارست مقالاته النقدية وقصصه الخرافية أسس النقد في العقد التالي .

كان أول تحول عن الكلاسيكية من عمل ميخائيل متفيفتش خيراسكوف (Mikhail Matveyevich Kheraskov) الذي أشتهر بقصيدتين ملحميتين بناهما على نمط فولتير ، وهما «هنرياد روسيادا» (Henriade - Rossiyada) التي نظمها عام ١٧٧١ - ٧٩ حول احتلال ايفان الرهيب لـ قازان (Kazan) ، «وفلاديمير فوزروجديوني» (Vladimir Vozrozhdyonny) ١٧٨٥ حول موضوع ادخال القديس فلاديمير المسيحية الى روسيا .

المواضيع السياسية والعاطفية :

اختار كتاب الفترة - متأثرين بثورة القوزاق والفلاحين - موضوع عبودية الارض على انه اكثر المواضيع التي عالجوها أهمية . وازداد الاثر الاجتماعي للادب ازدياداً ملحوظاً مما ادى الى توسع دائرة القراء والى المشاركة النشيطة في الادب لجميع الطبقات . هاجم سوماروكوف في مآسيه الثلاث الاخيرة فكرة الحاكم المستبد ، ودعا الى ان يكون الامبراطور متنوراً . في مسرحية «تيلمخيدا» (Tilemakhida) ١٧٦٦ - وهي ترجمة حرة لمؤلف فنلون المسمى «تلماك» - اعلن سوماروكوف انه اذا كان للقيصر سلطانه على جميع ابناء الشعب ، فللقوانين سلطانها على القيصر نفسه . بينما قامت الامبراطورة كاثرين الثانية بتحرير دورية على نمط الـ «سبيكتيتر» الانكليزية حيث صبت فيها جام احتقارها على ترياكوفسكي (Trediakovsky) كان أعظم كابتين في هذه الفترة هما كاتب مسرحي اسمه دنيس فونفيزين (Denis Fonvizin) وكاتب وناشر اسمه نيقولاي نوفيكوف (Nikoloy) . بدأ فونفزين عمله الادبي بترجمة قصص خرافية ، ثم انتقل الى كتابة خرافات اصيلة هجائية مثل «الثعلب والواعظ» ١٧٦٢ التي كتبها مباشرة بعد وفاة الامبراطورة العجوز اليزابيث (يلزفيتا بتروفنا) هاجم فيها رياء رجال بلاطها . ولكن فونفيزين نجح ككاتب مسرحي عندما اخرج هزليتين نثريتين هما «برغادير» (Brigadir) «ونيدوروسول»

(Nedorosol) . شأنـه شأن فونفيزين وجـه نوفيكوف ـ هجـاءه ليس ضد عبـودية الارض بالذات ولكن ضد اساءة ملاكي الاراضي استعمال سلطاتهم . وقد صدّر دوريته «ذكر النحل»(Truten) (١٧٦٩ ـ ١٧٧٠) بالعبارة ذات المغزى : «انهـم يعملون وانت تعيش على جهدهم» . أوقفت الامبراطورة كاترين الثانية الدورية لشهر عام ١٧٦٩ ، وبعد ذلك خفف نوفيكوف من هجائـه ، وفي نهـاية ١٧٧٠ توقفت عن الصدور اما دورية نوفيكوف الثـانية المسماة «المدعـي»(Pustomelya) فغُلقـت بدورهـا بعــد صدور عددين منهـا . وفي دوريتــه الثالثــة «الرســام» (Zhivopisets) نشر عام ١٧٧٢ عملـين هجـائيين شهـيرين هما «جـزء من رحلـة» ورسالة الى فلالي . تعطي الاولى انطباعاً صارخاً عن فقر الفلاحين وعبوديتهم ، بينما تعكس الثانية عقلية اسيادهـم . ان عدم هجـوم نوفيكوف على نظـام عبـودية الارض أنقذه من غضب كاترين ولكنه سلب نقده من فعّاليته كاداة ثورية . كان أهــم روائــي في هذه الفتــرة هو فيودور اليكسانــدروفتش ايمــين (Fyodor Aleksandrovich Emin) الذي تعتبر أفضل رواياتـه «رسائـل ايرنسـت ودورافـرا» ١٧٧٦ وهي ترجمة حرة «لرواية هلواز» لجان جاك روسو ، وهي هامة لكونها محاولة في الرواية الروسية للتحليل النفسي لمشاعر الناس العاديين وافكارهم . وفيها كشف ايمين عن شرور العبودية ، لكنه لم يهاجمها كمؤسسة . امـا ابنـه نقـولاي ايمـين (Nikolay Emin) ـ وهو بدوره روائي شعبي ـ فكان أقل اهتماماً بالظلم الاجتماعي في عصره . وتظهر رواياته الاثر المتزايد للمدرسة العاطفية . كان ميخائيل ديمتريفتش تشلكوف(Mikhail Dmitriyevitch Chulkov) ـ وهو روائي شعبي جاء من الطبقات الدنيا ـ مهتماً بتسلية قرائه ، لذا كانت تنقص رواياته الدعوة الى الاخلاق الرفيعة التي تزخر بها أعمال الكتاب الكلاسيكيين .

بين عامي ١٧٧٠ و١٧٨٠ ترسخت الحركة العاطفية في الأدب ، وظهـرت بوضوح في ترجمات حرة للأوبرا الفرنسية الهزلية . وتبع هذه الترجمات اوبرا هزلية محلية مثـل «روزانـا اي لوبيم»(Rozana i Lyubim) ١٧٧٨ لنيقـولاي بتــروفتش (Nicolay Petrovich) التي كان موضوعها الرئيسي تفوق المساواة الاخلاقية على عدم المساواة الاجتماعية . ويمكن تلمس الطابـع المعـادي للعبـودية في الاوبـرا الهـزلية

الاخرى في هذه الفترة مثل «حادث مع عربة»(Neschastye Ot Karety) (١٧٧٩) لـ ياكوف بوريسوفيتش كنياشنن(Yakov Borisovich Knyazhnin) وقارئة الفنجان (Kofeynitsa) لـ «ايفان كريلوف»(Ivan Krylov) وهو أعظم كاتب خرافات روسي و«الطحان والمشعوذ ووسيط الزواج» لـ الكساندر اونيزيموفتش ابلسيموف (Aleksandr Onisimovich Ablesimov) اثارت الثورة الامريكية التي غطاها نوفيكوف في دوريته «أخبار موسكو» مشكلة واجبات الحاكم الاتوقراطي نحو رعاياه . وأكد فونفيزن(Fonvizin) ان على القيصر ان يخضع لقوانين البلاد ، كما يخضع ادنى رجال رعيته . وقد عالج ايفان ايفانوفتش خمنتسر(Ivan Ivanovich Khemnitser) الموضوع نفسه ، بينما طالب كنياشنين في مأساته «روسلاف» (١٧٨٤) بأن يكون الامبراطور خاضعاً لقوانينه وحمل هذا الشعور كاترين على ان تأمر باتلاف جميع نسخ هذا المؤلف . وحتى نيكوليف(Nikolev) صرح في مأساته «سورنيا أي زامر»(Sorena i Zamir) ١٧٨٤ بأن تحطيم الطاغية واجب وليس جريمة . وتبدت أول ظاهرة تشير الى تدني قوة الكلاسيكية في القصائد القصصية الشعبية لابوليت فيودوروفيتش بوغدانوفتش(Ippolit Fyodorovich Bogdanovich) وخاصة في مؤلفة «داشنكا»(Dushenka) (١٧٧٥) المقتبس عن مؤلف لافونتين(La Fontaine) «حب سايك وكيوبد»(Les Amours De Psiché Et De Cupidon) وقد أعتبر الكتاب العاطفيون بوغدانوفتش على انه سلفهم .

كان صوت كافرلا درشافن(Gavrila Derzhavin) أعظم شاعر روسي في القرن الثامن عشر أقوى تعبير عن التغير من الكلاسيكية الى العاطفية . وأظهرت مؤلفاته الاولى ـ القصائد الغنائية من نوع «الاود» وغيرها ـ تأثره بـ لومونسوف ، وسومار وكوف ، لكنه سرعان ما أتخذ لنفسه موقفاً مستقلاً من الشرور الاجتماعية . وتمتلىء قصيدته (من نوع الاود) التي نظمها بمناسبة وفاة الامير مشيرسكي(Prince Meshchersky) (١٧٧٩) بالتأملات في سرعة زوال الحياة وحتمية الموت ، لكنها تنتهي بالتسليم للقدر بمرح يذكرنا بالشاعر الروماني هوراس . وفي العقد التالي بلغ درشافن أعلى مستوى له بنظمه قصائد من «نوع الاود»(Ode) مثل «اسر اسماعيل و الى النبيل» . وتعود أفضل قصائده مثل «الشلال» ١٧٩٤ «والطاووس» وقصائده التي نظمها حسب تقليد الشاعر الاغريقي القديم اناكريون جمعت عام ١٨٠٤ مثل

«دعوة على العشاء» و«الحياة في زفانكا» (من املاك الشاعر) الى هذه الفترة . تقبل درشافن العبودية باعتبارها امراً طبيعياً وقانونياً كما أن شعره عبر عن وجهة نظر الطبقات الحاكمة . الا ان في عرضه للحياة اليومية بشكل واقعي ، وتبسيطه للاسلوب الشعري بادخاله اللغة الدارجة دعا الى جعل الشعر ديموقراطياً .

أثار الأدب الروسي في التسعينات من القرن الثامن عشر الذي تأثر بالثورة الفرنسية مواضيع حقوق الانسان ودور الأمة ككل . رحب اليكساندر راديشيف (Aleksander Radichef) في قصيدته الغنائية من نوع «الاود» المسماة «الحرية» (١٧٨١) ـ ٨٣) بالثورة الاميركية ، وهاجم العبودية . الا ان هجاءه الاتوقراطية جعل كاترين الثانية تعتبر قصيدته ثورية ، اذ هدد فيها القيصر بالاعدام .

وباستثناء المؤلفات النقدية العنيفة التي كان من بينها الهزلية الشهيرة «تشيكان»(Chicane) ١٧٩٨ لـ فاسيلي فاستليفتش كابينت ، كانت الحركة الأدبية الرئيسية هي العاطفية المفرطة ، التي قادها نيقولاي كارامزين(Nikolay Karamzin) تتميز العاطفة الروسية بأنها تجمع بين الادراك الذاتي للأمور ، وترفض التجديد الكلاسيكي والادعاء الكلاسيكي بان الانسان بطبيعته يعمل بشكل مثالي . وقد قابل كارامزين التركيز الكلاسيكي على العقل بالمبدأ القائل بان تعبير عن الشعور ايضاً .

فضلاً عن ذلك تبنى العاطفيون ادعاءات الاحساسية بأنها شرط مسبق للانطباع الجمالي ، مؤكدين على القاعدة العاطفية للفن . كان كارامزين على عكس درشافن أقل اهتماماً بالواقع منه بالمشاعر والأمزجة التي يثيرها الواقع في الشاعر . وكان أعظم ابداع شعري له «تدفق القلب الحزين الواهن» . وقد عبر كرامزين عن هذا المزاج المرثاوي ، الذي تميز به شعره الاخير في روايته الشهيرة «ليزا المسكينة» (Poor Liza) ١٧٩٢ التي نجد فيها لاول مرة في أدب الرواية الروسي النصوص الوصفية المستعملة للتأكيد على مشاعر البطل تصبح عنصراً اساسياً هاماً في الرواية . وفي روايته «جوليا»(Julia) جعل حياة الريف تبدو مثالية شأنها شأن «عناق الطبيعة» . وكانت رواياته مثل «جزيرة بور نهلولم» «وسيراموربنا» ١٧٩٣ تبشران بظهور الرواية الروسية الرومانتيكية .

الأدب الجيورجي :

انتعش الأدب في جيورجيا على يد مصنف المعاجم سلخان ـ سابا اوربلياني (Sulkhan - Saba Orbeliani) (١٦٥٨ ـ ١٧٢٥) الذي كتب مجموعة خرافات سماها «كتاب الحكمة والكذب» . اما الشعراء الرئيسيون للفترة فكانوا ديفيد كيراميشقيلي David Kuramishvili وبيساريون كباشفيلي(Bissarion Gabashvili) .

الأدب اللاتفي :

أدى فقدان الاستقلال السياسي في القرن الثالث عشر الى منع تطور طبيعي للأدب اللاتفي من الشعر الشعبي . والكثير من الشعر اللاتفي انما هو محاولة لاعادة هذا الاتصال . اتى الادب المكتوب متأخراً ، وكان الالمان من رجال الكنيسة هم الذين شجعوه اما الادب العلماني اللاتفي فبدأ في القرن الثامن عشر على يد ج . ف . ستندر(G . F. Stender) الذي أنتج قصصاً تعليمية أو تصويراً رعوياً لحياة الريف متمشياً وروح عصر التنوير . عبثاً حاول ان يستبدل الاغاني الشعبية بقصائد غنائية من تأليفه . وهكذا ، وبطريقته الخاصة ، أكد على ان الثروة الهائلة من الاغاني الشعبية (حوالي ٤٠٠ الف منشورة وحوالي مليون مسجلة ولكن غير منشورة) كان على الدوام وفي جميع العصور ذات وجود شائع ومنتشر في الأدب اللاتفي . وفي القرن السابع عشر حارب فيوريكرز(Fuereccerus) الفلوكور بروح محبة اكثر مما هي عدائية ، وهو شاعر حساس أدخل اعرافاً وتقاليد شعرية وقوافي جديدة ، كما استعمل احياناً عناصر اسلوبية استقاها من الاغاني الشعبية اللاتفية ومن ج . مانسيليوس(G . Mancelius) مؤسس النثر اللاتفي .

الفصل الثاني عشر

آداب أوروبا الشرقية الأخرى
في القرن الثامن عشر

الأدب البولندي :

أدى الاتصال مع غربي اوروبا وبخاصة مع فرنسا وانكلترا الى اضفاء صفة مميزة على أدب فترة التنوير في بولندا التي شحنت مشاعر كتابها بالرغبة في انقاذ الثقافة القومية من آثار التقسيم والحكم الاجنبي . شملت التطورات الادبية نشوء المسرحية وادخال الدوريات والرواية ونشر اول قاموس بولندي ، وظهور القصائد البطولية القصيرة من نوع «البالاد» .

جاء تأسيس المسرحية في بولندا متأخراً . وأقدم حادثة ذات مغزى في هذا المجال كانت تدشين المسرح القومي في وارسو عام ١٧٦٥ . كان هناك ثلاثة كتاب مسرحيين رئيسيين هم : فرانسيسزك بوهومولك(Franciszek Bohomolec) الذي أنتقد الارستقراطيين في ترجمات حرة مكيفة لاعمال موليير . ووجيك بوغسلوسكي (Wojeiech Boguslawski) الذي كتب أوبرا قومية هزلية عنوانها «كراسوفون وجبلون» ١٧٩٤ ، وفرانسيزك زابلوكي(Fricyk W Zalotach) ١٧٨١ ومسرحية «صرماتزم»(Sarmatyzm) ١٧٨٥ . ظهرت هزليات الكساندر فردرو(Aleksander Fredro) عندما كانت الحركة الرومانتيكية في طريق التطور . وأظهرت تأثيرات موليير وكارلوكولدني ، كما يبدو في مسرحية «الانتقام»(Zemsta) عام ١٨٣٤ . تبرز هذه المسرحيات بتشخيصها اللامع للانماط البشرية ، وبتركيبها المسرحي الحاذق وبسهولة أوزانها . كانت معظم الكتابات النثرية في تلك الفترة مشبعة

بالتعليم الاخلاقي ، وفيها ظهرت الدوريات (مثال ذلك «مونتيو» ١٧٦٥ - ١٧٨٥) ، ونشر قاموس بولندي بين عامي ١٨٠٧ و١٨١٤ . كما كتب الاسقف آدم ناروزويز(Adam Naruszewicz) في اوائل فترة التنوير ، وتعكس مؤلفاته الشعرية اذا أخذت حسب ترتيبها الزمني الانتقال من الشعر الباروكي الى الشعر الكلاسيكي . ناهيك عن انه كتب تاريخياً لبولندا استعمل فيه الاساليب العلمية الحديثة في البحث. ونظم أهم شاعر وهو الاسقف كراسيكي(Ignacy Krasicki) ذو النظرة الاوروبية والميل الفكري المشكك قصيدتين هزليتين بطوليتين هما «مايزيس» (Myseis) ١٧٧٥ «ومونا كوماكيا» (Monachomalia) (١٧٧٨) بالاضافة الى «ساتيري»(Satyry) ١٧٧٩ وقصص خرافية واخلاقية . كان رائعاً بتعابيره المختصرة ، واناقته الشكلية ، وفكاهته العقلية . كما أدخل الرواية «مغامرات ميكولاج دوزدياد شنسكي» ، فاظهر بذلك تأثره بسويفت وروسو . هناك شاعران آخران بارزان هما ستانسلاوترمبيكي(Stanislau Trembecki) الذي كان لدواوينه مكانة هامة في الكلاسيكية البولندية ، على انها نماذج للسلاسة في الاسلوب ، وتوماز كاجيتان واجيرسكي(Tomaz Kajetan Wegierski) وهو مفكر حر معجب بفولتير فعبر عن نظرة عقلانية في قصيدة بطولية ساخرة عنوانها «اورغاني» (Organy) . أستمر الشعر الغنائي بالتطور ، اذ طور فرانسيزك كاربنسكي (Franciszek Karpinski) ملامح الاسلوب الباروكي في قصائد رعوية شعرية شعبية واغان دينية ، بينما اعاد الكاتب التجريبي فرانسيزك ديونيزي نيازنين(Franciszek Dyonizy Kniaznin) كتابة الكثير من مؤلفاته السابقة لاضفاء تناسق في اسلوبه . وبشرت مؤلفاته الشعرية الهادئة والعقلانية بالمواضيع الرومانتيكية للشعر الشعبي والخرافة الشائعة وحياة الغجر .

الهم الاهتمام بالاصلاح وحب الوطن كتابات جوليان ايرسن نيامسويز(Juhan Ursyr Niemcewicz) الذي تعمق في الشعر الانكليزي ، وقام بترجمات لقصائد غنائية انكليزية من نوع «البالاد» في وقت مبكر من حياته . كانت قصيدته الاصيلة المسماة «دمي»(Dumy) الاولى من نوعها في بولندا ، كما أدخل الى وطنه الرواية التاريخية بروايته «جان زتيزينا»(Jan Z Teczyna) ١٨٢٥ التي يظهر فيها أثر السير

وولتر سكوت(Sir Walter Scott) وكانت هزليته «عودة الرسول» واحدة من أفضل المؤلفات الدرامية للفترة ، كما كانت «اغان تاريخية»(Spiewy Historyczne) ١٨١٦ واسعة الانتشار .

بعد فقدان الاستقلال الوطني على أثر تقسيم البلاد للمرة الثالثة بين روسيا والنمسا وبروسيا ١٧٩٥ ـ ١٧٩٦ ، أستمر تقليد الشعر الوطني على يد الشعراء الجنود اللاجئين في الكتائب البولندية لجيش نابوليون . نذكر في عدادهم جوزيف وبيكي(Josef Wybicki) الذي أصبحت قصيدته الوطنية «مازوك دابرووسكييجو» (Mazurek Dabrowskiego) ١٧٩٧ نشيداً قومياً لبولندا عام ١٩١٨ .

الأدب الهنغاري :

كانت الفترة الممتدة بين عامي ١٧١١ و١٧٧٠ فترة انحطاط في الأدب الهنغاري فلم تظهر سوى اعمال بارزة في مجالات المذكرات والتاريخ وتاريخ الادب . ومن أبرز المؤرخين ماتياس بل(Matyas Bél) وجيورجي بري(Gyorgy Pray) واستيفان كاتونا(Istvan Katona) .

أما الفترة بين عامي ١٧٧٢ و١٨٢٥ ، وهي فترة التنوير ، فمع أهميتها البالغة بالنسبة لتطور الروح الهنغارية ، لم تنتج سوى كتاب قلائل من الدرجة الاولى . وكان التنوير الهنغاري اكثر تقبلاً للافكار الانكليزية والفرنسية من ابتكار وانتاج تطورات اصيلة .

بدأت الفترة الجديدة عام ١٧٧٢ بنشر اول مؤلف لجيورجي بسينيه(Gyorgy Bessenyei) وهو ترجمة من الفرنسية لقصيدة الكساندر بوب «مقال عن الانسان» . هدفت جميع مؤلفاته لان تكون تعليمية ، وكانت مسرحية «مأساة اجيس»(Agis Tragediaja) ١٧٧٢ مجرد أداة لنشر أفكاره المعادية للحكم المطلق . واتسمت اول رواية حقيقية بالهنغارية «رحلة تاريمنيس»(Tarimenes Journey) (١٨٠٢ ـ ١٨٠٤) بالهجوم المر على كل ما يتعارض ووجهات نظر التنوير . وفيها يهاجم باسينيه بالتلميح المدمر نقائص المجتمع الانساني . وقد أدى تأثيره الشخصي الى حمل عدد

من زملائـه الضبـاط مثـل سانـدرو باروشي(Sandor Baroczi) وابراهـــام بركاسي (Abraham Barcazy) على محاولة نقل افكار حركة التنوير الى الجمهـور الهنغـاري بالهنغارية .

أدت الافكار الجديدة ، التي كانت من حيث الاساس تقليدية ببعض الادباء امثـال جوزف كفادانـي(Josef Gvadanyi) وانـدراس دوغـونيكس (Andras Dugonics) لكتابة مؤلفات لها بعض القيمة الادبية ، وكانت في نفس الوقت - مسلية مما زاد في شعبيتها . تعتبر «رحلة الكاتب بالعدل الريفي الى بيودا» ١٧٩٠ ، وهي افضل مؤلفات كفاداني ، اعتذاراً ودفاعاً عن القيم التقليدية موجهة ضد الافكار الاجنبية الغازية . وكانت قصة الحب العاطفية ذات الخلفية التاريخية رواية «اتلكا» (Etelka) ١٧٨٨ لـ دوغورنكس اول اكثر الكتب الهنغارية رواجاً وقـد استعمـل كفاداني ودوغوتيكس لغة شعبية خالية من الأثر الاجنبي ، وربما كان هذا أعظـم فضائلها . وخلف ادام بالتوزي هورفات(Adam Paloczi Horvath) كنزا من الشعر الشعبي والموسيقا ممثلاً بمجموعة من ٤٥٠ قصيدة .

كانت نهاية القرن الثامن عشر فترة اكتشاف وتجارب لغوية . وقد تبع الرواد الاوائل الذين استعملوا الوزن الشعري الكلاسيكي الشاعر بندك فيراغ(Benedek Virag) الذي اسبغ اصالة شاعرية على أشكال شعرية كانت بالنسبة لمن سبقه مجرد تجارب شكلية . وكان دور دانيال برزيني(Daniel Berzsenyi) الذي نشر مجلداً من الشعر عام ١٨١٣ أنه اظهر ماذا يستطيع الشاعر الاصيل ان يعمله بالوزن الشعري الكلاسيكي . يعتبر برزيني عملاقاً في فن التعبير ، والذي يجعلنا نتذكر شعره ابداً ما يتصف به من قوة وزخم في التعبير ورسوخ في العقيدة . تعتبر قصيدته الغنائية من نوع «الاود المسـاة» الى الهنغاريين «وصلاة» «وقصيدته التأملية» عندما يقترب الشتاء تعبيراً عن سرعة زوال القوة والصداقة وكل شيء ما عدا الله .

بشكل عام لم تلق أفكار حركة التنوير في هنغاريا ترحيباً ، فقد سجن عدد من الكتاب لتعاطفهم معها ، وكان أكثرهم موهبة الشاعر جانوس باتساني(Janos Batsanyi) الذي ضمن لنفسه مكانة في تاريخ الادب الهنغاري ، بقصيدته «حول

التغييرات في فرنسا» التي تعتبر انذاراً عنيفاً لكل الطغاة لكي يعتبروا بما جرى في بلاد السين .

كان العمل الوحيد ذو القيمة الادبية لـ جوزيف كرمان(Josef Karman) رواية عاطفية اسمها «اوراق فاني»(Fanni Hagyomanyai) وهي تمثل خطوة هامة في تاريخ الرواية الهنغارية .

وأول شاعر غنائي هام منذ شاعر عصر النهضة بالنيت بالاسي هو مهالي كزوكوناي فيتيز(Mihaly Csokonai Vitez) الذي اكمل التقليد الهنغاري الشعري الصافي . وتعتبر اغانيه الكثيرة «الى ليلاً»(Lilla) مزيجاً موفقاً من رشاقة أسلوب الروكوكو (الشعر الزخرفي) ، ومن افكار أقل سطحية مما تبدو . ويظهر أثر روسو واضحاً في بعض قصائده الطوال . وكانت قصيدة «اغتصاب الضفيرة» للاكساندر بوب مصدراً روحياً لملحمته «دوروثي»(Dorottya) ١٨٠٤ ، ومع ذلك تظل قصيدته اصيلة وهنغارية في طابعها . فلغة القصيدة محكمة حيناً ، مبتذلة احياناً ، اما المواقف الهزلية فخشنة ينقصها التهذيب الا أنها مسلية . ضمن الشاعر ساندور كزغالودي(Sandor Kisfaludy) لنفسه مكانة في الأدب الهنغاري بمؤلفه «الحب الكئيب»(Kezergo Szerelem) وهو سلسلة من الاغاني يربط ما بينها خيط قصصي واه ، وقد أظهر الشاعر مهارة في ابتداع تنويعات لموضوع الحب التعيس مبتكراً شكلاً شعرياً شديد التعقيد من اثني عشر بيتا سمي شعر «هيمفي»(Himefy) . ومن بين مؤلفاته الجيدة ثلاث قصص نشرت مجتمعة عام ١٨٠٧ وهي «كزوبانك» (Csobanc) «وتاتيكا»(Tatika) «وسوملو»(Somlo) . وقد كتبها جميعاً حسب طابع الرومانسي الفروسي . كان فرنك كزنسي(Ferenc Kazinczy) شاعراً عادياً ، الا انه شديد الاثر كأديب لانه كان محور الحياة الادبية طيلة ٤٠ عاماً . وكانت مفاهيمه السياسية متطورة تقدمية ، وقد كلفته فترة سجن لست سنوات . كان يهدف دوماً الى النهوض بالادب وصفائه ، ليس باروكياً ولا شعبياً ، كما أنصب اهتمامه على الاسلوب ، وترأس المجددين اللغويين(Neologi) الذين قاومهم دعاة الفاء اللغوي (Orthologi) . وهدف الى تجديد اللغة الهنغارية واغنائها ليجعلها مناسبة ، صالحة للتعبير عن أكثر المفاهيم تعقيداً .

الادب الروماني :

يعكس معظم القرن الثامن عشر صورة من الاضطهاد الاجتماعي والانحطاط . وقد شاع بين الناس أدب علماني وشبه ديني غني على شكل مخطوطات . الاّ أنه لم يحدث أي تقدم بالمقارنة بالماضي . وفي مولدافيا نشأ مركز ثقافي جديد في راداوتي(Radauti) . وكانت اعظم منجزات العصر «سير القديسين »(Minei) (الاعوام ١٧٧٦ - ١٧٨٠ ، ١٨٠٧ ، ١٨١٥) وتألف كل منها من ١٢ مجلداً نشرت في رمنيكو فيلسيا وفي دير نيامت(Neamt) وتميزت بلغتها الفنية الصافية مما جعلها تضاهي الكتاب المقدس الذي نشر عام ١٦٨٨ .

أما الشعر الغنائي فقد نظم حوالي نهاية القرن حسب تقليد وعرف الشاعر الاغريقي القديم اناكريون على شكل أغان غزلية (١٧٦٩ - ١٧٩٩) قام بقرضها الشاعر اليكو فاكارسكو(Alecu Vacarescu) ، الذي ألف أبوه انياشيتا (Ienachita) - وكان بدوره شاعراً وداعية للأخلاق - أول كتاب نحو بالرومانية ، بينما فاق ابنه ايانكو مؤسس الشعر الروماني من سبقه بقصائده . اما رابع شاعر من عائلة فاكارسكو فهو نيقولا .

وفي ولاشيا (Walachia) سار الشاعر . ب . ب موميلينو (B. P. Mumuleanu) حسب التقليد والعرف الغنائي الآنف الذكر .

الأدب السلوفيني :

في حوالي عام ١٧٥٠ ظهرت حركة بعث جديد للادب في سلوفين بدأها الراهب ماركو بوهلين(Marco Pohlin) المعارض لادخال الصبغة الالمانية على الادب السلوفيني . وقد كتب مؤلفات تعليمية وترفيهية ودينية . وبمبادرة منه بوشر بنشر أول تقويم شاعري عنوانه « تمارين في الكتابة »(Pisanice) (١٧٧٩ - ٨١) كما قام انطون لنهارت(Anton Linhart) بجمع تاريخ نقدي ثم اقتبس ملهاتين تستند احداهما على مسرحية « زواج فيغارو » لبو مارشيه.

وكان الشاعر العقلاني والتعليمي فلنتين فودنك(Valentin Vodnik) محررا

لاول دورية تكتب بالسلوفينية وهي « اخبار لجبجانا »(Lublanske Novice) (١٧٩٧ ـ ١٨٠٠) ، ونحويا ومصنف معاجم وداعية للفرنسية ، لأن اللغة السلوفية كانت معترفا بها في أليريا(Illyria) محافظة نابليون (١٨٠٩ ـ ١٨١٤) . أصبح الأدب علمانيا ، وقدر له أن يكون وسيلة ايقاظ الوعي القومي .

الفَصْل الثّالِث عَشَر

الآداب الكلتية في القرن الثامن عَشر

الأدب الويلزي :

كان منتصف القرن الثامن عشر أغزر فترات الادب الويلزي بعد القرن الرابع عشر ، إذ عاد الى الانتعاش بعد حقبة من الركود . فقد حسّ كورونوي أوين (Goronwy Owen) ـ الذي الهمته الفترة الأوغسطية الانكليزية ـ وأعاد استعمال البحور المتزمنة « للسيود »(Cywydd) بالويلزية « أودل »(Awdle) وكذلك الاشكال الشعرية القديمة التي اعتمدت على التناسق الصوتي(Cynghanedd) وهو نظام معقد من الجناس والسجع . كما ادخل مقداراً جديداً وواسعاً من المواضيع ، وهكذا أسس مدرسة كلاسيكية جديدة من الشعر الويلزي . أما الشعراء الرئيسيون لهذه المدرسة فهم وليام وين أوف لانكن هافل ، وادوارد ريتشارد ، وايفان ايفانز . يرتبط الكثير من نشاطهم بالجالية الويلزية في لندن ، وجمعية سيمر ودوريون (Cymmrodorion) . وانتهى نشاطهم هذا الى تأسيس مهرجانات شعرية في ويلز نَشرت الاشكال الكلاسيكية للشعر الويلزي .

كان ديفيد توماس (دافيد دو أريري) من أعظم الشعراء الذين خلفوا أوين ، لكنه مع ذلك تمرد على التزمت الكلاسيكي شأنه شأن شعراء آخرين اشتركوا في المهرجان السنوي للشعر .

اتخذ كلاسيكيو القرن الثامن عشر موقف الحياد من حركة الاحياء الديني المنهجي (Methodist) إلاّ أن الحماس الديني ادى الى وضوح جديد، ومصدر الهام خصب للشعراء ، وبخاصة الشعر الحر ـ ومؤلفي الترانيم الدينية ، مثل وليام وليامز اوف بانت ـ اي ـ سيلين اول شاعر نظم على البحور الحرة لهدف جدي، وآن

جريفتس (Ann Griffiths) وكثيرين غيرهما . والترانيم هامة هنا لما لها من تأثير على الشعر العلماني الذي نُظم فيما بعد .

كان النثر الويلزي ضيق النطاق لمدة طويلة بعد عام ١٧٥٠ . وشهدت نتائج الثورة الفرنسية الكثير من النشاط في الفكر السياسي. كان اهم شاعر سياسي هو جون جونز (John Jones) وبعد تأسيس مطابع الدوريات اصبحت الكتابات السياسية جزءاً هاماً من الأدب الويلزي الذي استمر الى القرن التاسع عشر.

الشعر البريتاني :

يعتقد الكثيرون ان الأدب البريتاني يبدأ عام ١٦٥٩ ، عندما ادخل جوليان مونوار (Julien Maunoir) كتابة اكثر صوتية. ولكن المؤلفات من نوع الأدب البريتاني الأوسط ظلت تظهر حتى القرن التاسع عشر، ويتألف معظمها من مسرحيات تعالج خلق الكون ومعجزات المسيح والقديسين استنبطت مواضيعها من الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث وقصص الفرسان التي اقتبست عن الفرنسية او اللاتينية . أظهرت المسرحيات التي تصور القديسين البريتانيين ملامح من الأصالة. وفي القرن الثامن عشر وضع العديد من المعاجم البريتانية الا أنها كانت قليلية الأهمية من الناحية الأدبية، ولكن هناك اسماً واحداً ظل حيّاً هو اسم كلود ـ ماري لولي (Claude-Marie Le Lae) الذي نظم قصائد هجائية مثل «الكلب» و«موعظة مايكل مورن»(Mikel Morin) .

الادب الاسكتلندي الغيلي (Scottish Gaelic)

يمكن القول بانه لم ينشر اي أدب علماني بالغيلية قبل عام ١٧٥١ . بعد هذا التاريخ دوّن الشعر القديم بجمعه من افواه الرواة. ويقدر أن معظم الالهام الذي دفع بالادباء الى طبع المؤلفات بالغيلية في القرن الثامن عشر بحافز من الكساندر ماكدونالد (Alexander Macdonald) الذي نشر مجموعة من المفردات غيلية عام ١٧٤١ وأول كتاب اسكتلندي غيلي من الشعر العلماني عنوانه «بعث الانسان

الاسكتلندي القديم» عام ١٧٥١ . وقد جمّع رفاقه نازلاً بهم من المرتفعات لينضموا الى الأمير شارل ادوارد في ثورة ١٧٤٥ ، وذلك بقصيدة عنوانها «دعوة مثيرة لعشائر المرتفعات» وبأغنية ترحيب بالأمير. اما أروع ما كتب فمسرحية من نوع «الاسكترا فاغانزا» (وهي تقليد مفرط السخرية لمواضيع جدية) عنوانها «ذي بيريلين اوف كلان رنالد» (The Birlinn of Clanranald) التي تصف رحلة من ييست الجنوبية (South Uist) في جزر الهبريديز الى كاريكفرغوس (Carrickfergus) في مقاطعة انتريم (Country Antrim) من ايرلندا الشمالية، ونظم فضلاً عن ذلك قصائد في وصف الطبيعة والحب واغاني شراب وقصائد هجائية مرّة لاذعة.

نشر دنكان ماسنتاير (Duncan Macintyre) الذي تأثر كثيراً بـ ماكدونالد ، قصائده عام ١٧٦٨ ، إلاّ أن الرجلين اختلفا في المزاج والتدريب لأن ماكدونالد تلقى تعليماً رسمياً ، بينما كان ماسنتاير اميّاً . كما كان ماكدونالد طموحاً ومستقلاً وقلقاً ، بينما كان ماسنتاير على عكس ذلك. حارب الأخير الى جانب آل هانوفر في معركة فالكيرك ، ثم قام بمدح جورج الثالث في قصيدة «آروان دون راي» (Oran Don Righ) ، لكنه كان مراقب حراج في شبابه يعمل على حدود مقاطعتي بيرت وارغايل، وتلك خلفية اعظم قصيدتين من قصائده هما «مديح بن دورين» (The Praise Of Ben Dorain) و«اغنية الى مستي كوري»، (Song To Misty Corrie) وتشتهران بقربها الحميم ، من الطبيعة، وتفاصيلها الدقيقة ، ونوعيتها الشخصية والغنائية . اما اشهر اغنية حب له فقد وجهّها الى زوجته ماري(Mairi) .

من الشعراء المشهورين في القرن الثامن عشر نأتي على ذكر جون ماكدّرم (John Maccodrum) مؤلف مرثاة للسير جيمس ماكدونالد اوف سليت ، والكثير من الشعر الفكه والنقدي، وروبرت ماكييه (Robert Mackay) الذي ادت ملاحظته الدقيقة، وموهبته في النقد المتعلق بابناء اقليمه الى الكثير من النقد الاجتماعي الشعري، والى الفهم الذكي والدقيق والمرح للطبيعة الانسانية ، ووليام روس (William Ross) شاعر المجموعة الرومانتيكي الذي كان الحب التعيس مناسبة لأفضل قصائده مثل «فيز غار لوأين (Feasgar Luain) و«اوران ايل» (Oran Eile) .

كان دوغالد بوكانان (Bugald Buchanan) ، الذي ساعد المبجل جيمس

ستيوارت اوف كيلبن في تحضير ترجماته الغيلية للعهد الجديد عام ١٧٦٧ ، اعظم ناظم للشعر الديني الغيلي في القرن الثامن عشر وتتصف قصيدتاه «يوم القيامة» و«الجمجمة» بقوة التأثير والكآبة وسعة الخيال.

الغيلية الايرلندية (Irish Gaelic)

يُعد القرن الثامن عشر فترة انحسار بالنسبة للأدب الغيلي الايرلندي. كان آخر ازهار عظيم للتقليد الشعري في منستر (Munster) قصيدة «فناء وسط الليل» (The Midnight Court) نظمها بريان ماريمان (Biran Merriman) الاستاذ في مدرسة كلير. وبعد هذه القصيدة اصبح الشعر الايرلندي مجرد اغان شعبية.

وفي خلال القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر، كانت الكتب الوحيدة المكتوبة بالنثر الايرلندي اسفاراً تعليمية كنيسة وكتب العبادة. كما استمر تقليد كتابة المخطوطات على يد بعض النسّاخ حتى منتصف القرن التاسع عشر لم يكن في ايرلندا اي نشاط ادبي باستثناء حفنة من المتعلمين ، اذ كان الجميع من اميين.

الادب الالماني (١) (Manx)

ليس لدينا من أدلة تذكر على اي وجود لتراث شفهي غني سابق في «جزيرة مان» (Isle of Man) . وكان اول نص مكتوب باللغة الألمانية ترجمة لكتاب «الصلوات العامة» قام بها ويلزي اسمه جون فيليبس اسقف سودر ومان (Sodor and Man) . وقد وصلتنا هذه الترجمة في مخطوطة فريدة ترجع الى حوالي عام ١٦٣٠ .

أما القصائد الغنائية البطولية القصيرة من نوع « البالاد » ـ والتي تناقلها الناس فهدفت الى إعطاء معلومات ملخصة عن تاريخ الجزيرة ـ دونت في المخطوطات ابتداء من عام ١٧٧٠ ، لكنها لم تطبع قبل عام ١٠٨٢ . ويعود تاريخ نظمها الى القرن السادس عشر ، كما يرجع أول وجود مكتوب لقصيدة « تاس اليام

---

(١) نسبة إلى جزيرة «مان» .

دون » (Bss Illiam Dhone) (وهي من نوع « البالاد » تتحدث عن اعدام وليام كرستيان عام ١٩٦٣ ، ويبدو أنها كتبت بعد هذا التاريخ بقليل لأنها تشير الى مصير عائلات خصومه الى عام ١٧٨١ بعد إحيائها وتوسيعها . ويحيا التقليد البطولي في جزء من قصيدة عنوانها (Fin As Osshin) ، وهي من نوع « البالاد » تدور حول موضوع « أوسياني » جمعت من التقاليد الشفهية .

ويأخذ الشعر الالماني - في معظمه - شكل الأغاني التي تنشد في عيد الميلاد ، أو مجرد أغان دينية تتحدث عن مواضيع مثل سقوط الانسان وفدائه (موضوع مفضل) ألفت لتنشد عند الصلاة التي تقام أمسية عيد الميلاد .

الفهـرس

هذا الكتاب

يقدم لنا هذا الكتاب صورة متكاملة ومختصرة لتطور العلوم والفنون والآداب الغربية مع لمحة عن تراجم مشاهير الكتّاب والأدباء الذين ساهموا في تطوير الآداب الغربية منذ نشأتها وحتى عصرنا الحاضر. كما يلقي الضوء على التأثير المتبادل بين ثقافات الشعوب الغربية وأثرها في نموّ ثقافة العالم وحضارته وما عمل حولها من ترجمات وبحوث ودراسات، مع وصف تاريخي لأساليب الكلام ومنازع إنشائه وصياغته ومذاهبه ومدارسه ومناهجه في مختلف العصور الأدبية ولكل شعب من الشعوب التي تنتمي الى عالم الغرب، شاملاً أسماء الأدباء من كتّاب وشعراء وعلماء وفلاسفة وأشهر ماكتبوه باللغات الاوروبية بدءاً من الإغريقية القديمة وانتهاءً باللغات التي تتحدث بها شعوب أوروبا والأمريكيتين.

والكتاب هو مجرّد دليل يتلمس به الطالب، في مختلف كليات الآداب، والدارس طريقه للوصول الى المعرفة بالآداب الغربية وأخذ فكرة عنها يساعده في انتقاء مصادره للاستزادة من العلم في هذا المجال، كما أنه زاد مفيد للمثقف يفتح أمامه آفاق مواطن الأدب ومناهله في الغرب.

ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا الكتاب يغني المثقف عن مطالعة مائة كتاب من الكتب المختصة بالآداب الغربية.




تاريخ
الأدب
العربي
تأليف
نخبة من الأساتذة المختصّين
علي مولا
Ali Moula



للدراسات والترجمة والنشر

الجمهورية العربية السورية

دمشق

بوابة الصالحية ــ دار المهندسين

هاتف ٢٢٨٨٥٥ ــ ٢٢٨٢٥٥

ريع الدار مخصص
لمدارس ابناء الشهداء
في القطر العربي السوري

تاريخ
الأدب الغربي

تاريخ

الأدب العربي

(في جزءين)

الجزء الثاني

نخبة من الأساتذة المختصين

الباب السّادس

القرن التاسِع عَشر

ميزات العصر

يتميز القرن التاسع عشر في الأدب الغربي ـ وهو الفترة الأكثر حيوية ومتعة من كل الفترات بما له من تأثير خاص من حيث انه فترة نشوء العديد من الأشكال الأدبية الحديثة التي تفرعت عنها . كما أن التأثيرات التي تأصلت أو تطورت أثناء هذه الفترة من رومانتيكية ورمزية وواقعية تنعكس جميعاً ، في تيار الأدب الحديث ، فضلاً عن أن كثيراً من المظاهر الاجتماعية والاقتصادية للقرن العشرين تحددت أبعادها في القرن التاسع عشر . يتجلى ذلك خاصة في التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية للنمو المطرد في التصنيع الذي بدأ في انكلترا بأواسط القرن الثامن عشر ، مما يطلق عليه عموماً عهد الاصطلاح (الثورة الصناعية) . بيد أن من الممكن تمييز تطورات عديدة جرت في ذلك القرن ، وبخاصة ما يتعلق بنمو ما يمكن تسميته بالوعي الاجتماعي الذي طرأ في أواسط الفترة ونهايتها .

فقد سادت الرومانتيكية كحركة أدبية في أوائل القرن التاسع عشر وتتحدد بدايتها في فترة (العاصفة والقهر) في الأدب الألماني . إن إدراك هذه المرحلة الأولى من مراحل الرومانتيكية تبدو تصحيح غاية في الأهمية للفكرة السائدة القائلة بأن الأدب الرومانتيكي بدأ في الأدب الانجليزي على يد ووردزورث(Wordsuworth) وكولوريدج (Coleridge) ونشر مجموعتهما الشعرية « القصائد الغنائية » عام ١٧٩٨ . وبالرغم من صحة الرأي القائل بأن الثورة الفرنسية التي تفجرت عام ١٧٨٩ ، والثورة الصناعية التي تحدثنا عنها كانتا عاملين اجتماعيين وسياسيين هامين أثرا تأثيراً عميقاً على الشعراء الرومانتكيين في مستهل القرن التاسع عشر في انكلترا ، فإن مظاهر جمة في الأدب كان منبتها مصادر فلسفية وأدبية . وقد تحققت الخلفية الفلسفية للأدب في القرن الثامن عشر بشكل رئيسي على يد (جان جاك روسو) الذي ترك تأثيره على ووردزورث ، بله كتاب ألمانيا في المرحلة الأولى للرومانتيكية شأن فردريك هولدرن (Friedrich Holderlin) ولودفيك تيك

(Ludwig Tieck) وفي فرنسا على الكاتب برناردين دوسان بيير الذي صور في قصته « بول وفرجيني » الفيض العاطفي لأدب القرن التاسع عشر الابداعي الرومانتيكي . كان تأكيد روسو أساساً على الفرد وعلى طاقة الالهام فيه . ونظراً للايجابية التي اتصفت بها فلسفة (روسو) نرى أن هذا التأثير يمثل ردة فعل سلبية الى حد ما تجاه عقلانية القرن الثامن عشر بتأكيدها على العقل . ويمكن تتبع نفس التأثير في فلسفة عمانوئيل زويدنبرغ (Swedenborg) الذي انحاز لأولئك الذين وجدوا في البحث عن المفتاح المفقود الذي تتفتح به مغاليق الحياة بتوسل الحدس ، وإعطاء التبصر عبر الخبرة وبذا تكون هذه الفلسفة استمراراً للفلسفة الالمانية التي تعود الى عهد سبينتوزا (Spinoza) والتي تؤكد على دور الفرد والمعرفة الشخصية (الذاتية) ، ونقصد بذلك تثقيف الفرد نفسه بنفسه .

والايمان بالمعرفة الذاتية كان في الحقيقة موضوعاً رئيسياً في الاتجاه الرومانتيكي . حاول كتّاب أواخر القرن الثامن عشر الفرنسيون أمثال فابر دوليفيه (Fabre D'olivet) في توضيح العالم المادي من خلال ما سموه « نفحة الحياة » المشابهة للالهام الذي أورده كل من وورد زورث وكولوريدج . ويؤمن الرومانتيكيون بأن حقيقة الأشياء لا يمكن التوصل الى فهمها إلا بدراسة أحاسيسهم في إطار الطبيعة والأصالة . نتيجة لهذا التأكيد على الالهام استطاع الشاعر أن يتخذ دوراً أساسياً في الاستيطان والخيال . وفي نفس الوقت نجد أن التقاليد الشكلية التي تتبع المبادىء الكلاسيكية رفضت لأنها قواعد مقيدة . عملت الرؤية الواضحة لهدف الشاعر ودوره في التأكيد على لغة العاطفة ولغة الرجل العادي ، حتى أن ووردزورث حاول إيجاد مفهوم مبسط وجديد . وتحلل الشعر من محتواه الاجتماعي الذي لصق به في القرن الثامن عشر ، وأخذ الشاعر بعد هذا لا يتفاعل إلا مع الحقيقة المطلقة ومع نفسه . هنالك موضوعان رئيسيان يحددان إبداعية الشاعر الرومانتيكي وهما : رؤية جون كتيس (John Keats) الخيالية وفكرة السوبرمان التي أطبقها لورد بايرون (Lord Byron) .

وفي الحقيقة أصبحت المعالجة التهكمية الساخرة للبطل البايروني موضوعاً طرقه كتّاب الرواية اللاحقون امثال فيودور ديستويفسكي (Fyodor Dostoyevesky) رغم وجود سوابق رومانتيكية لهذا البطل .

وانطلاقاً من كون ديستويفسكي كاتباً روسياً نستطيع تبين مدى انتشار الحركة الرومانتيكية عبر أوروبا كلها . أما في بلاد مثل اسبانيا وايطاليا وهنغاريا وبولندا والبلقان فقد اتخذت الرومانتيكية شكل المسرحية ، رغم أن انكلترا لم تنتج اعمالاً عظيمة في هذا النوع الأدبي . تتسم فترة أوائل القرن التاسع عشر وأواسطه بسيادة الشعر والنثر أكثر من سيادة المسرحية . وكان الأسلوب الرومانتيكي في الشعر شائعاً في كل مكان من أوروبا : اذ نجده لدى جوسية دي اسبرونسكيدا (José De Espronceda) في اسبانيا ، و (أجوفوسكولو) (Ugo Foscolo) وجياكومو ليوباردي (Giacomo Leopardi) في ايطاليا حيث كانت الرومانتيكية موازية للمشاعر القومية ، وألكسندر بوشكين (Alexaadr Pushkin) وميخائيل ليرمونتوف (Mikhail Lermontov) في روسيا وآدم ميكيفتش (Adam Mikiewicz) في بولندا . وفي أمريكا ترافق وجود الشعور الرومانتيكي مع ظهور الشعر القومي ، ويمكن ملاحظة ذلك في قصص المغامرات للكاتب الأمريكي جيمس فنيمور كوبر (James Fenimore Cooper) وفي المحتوى الغامض وفوق الطبيعي الذي نجده لدى ادجار آلان بو (Edgar Allan Poe) ، وكذلك شعر والت ويتمان (Walt Whitman) وهنري واد زورث لونجفيلو (Henry Wadsworth Longfellow) ، وفي فلسفة رالف والدوامرسون (Ralph Waldo Emerson) المتعالية وهنري ديفيد ثورو (Henry David Thoreau) الذي عملت رومانتيكيته على تأكيد قوة الفطرة في الارتفاع بمستوى التجربة .

بدأ حافز الشعر الرومانتيكي يتراجع بعد حوالي عام ١٨٣٠ ، وبذا أفسح المجال للأساليب الأخرى الأكثر فاعلية ، بالرغم - كما يقول ج.م. كوهن - من استمرارية الانسان الذي لا قيمة لوجوده والفنان الذي يُساء فهمه ، والعاشق التعيس ، والتشوه الذي اعتور الشخصية الهملتية في المجتمع بسبب حساسيتها المفرطة ، ظلت هذه النماذج ماثلة لكي نجد فيها الفنان نفسه . وهذا القول مأخوذ من كتاب كوهن « تاريخ الأدب الغربي » ١٩٥٦ .

يمكن القول إن أول شعراء ما بعد الرومانتيكية هو الألماني هانيريش هاين (Heinrich Heine) ، لكن الشعر الألماني في منتصف القرن التاسع عشر سار-

بشكل رئيسي - في ركاب ووردزوورث ، بالرغم من وجـود اتجاهـات جديدة لدى أوغست فون بلاتين هاللرمونـده (Agut Von Platen Hallermünde) والنمسـاوي نيكولوس لينو (Nikolaus Lenau) . إلا أن التطور الرئيسي حدث في فرنسا بنمو حركة دعيت بالبارناسية (Parnassianism) التي أوجدها تيوفيل غوتييه Théophile) (Gautier ولم تكن بحقيقتها سوى فرع من الرومانتيكية أكثر منها معارضة لها . عكفت البارنـاسية عبـر التـركيز على الأسس الشـكلية الصرفـة للشعـر وبتوسـل الجماليات وفكرة « الفن من اجل الفن » على تغيير مسـار الشعـر الفـرنسي نافـذة بتأثيرها البالغ الى خارج فرنسا . كان حامل رايتها الأكبر الشاعر بودلير الذي آمن « بأن كل ما هو بعيد عن الجمال الفني قبيح لا جدوى فيه » وتفرع عن هذا التطور نمو الانطباعية والرمزية نتيجة أخذ بعض العناصر الفنية من الحركات الأخـرى في الرسم والنحت والموسيقى . استخدم بول فيرلين وهو من رواد الانطباعية الايحاء والبيئة والقوافي الرشيقة لكي يحقق ما يريده من تأثير . أمـا الرمـزية التـي جاءت لانتقاء الكلمات والصور بغية ايجاد حالات فكرية ومعانٍ معينة فيمكن ملاحظتها في أعمال ستيفـان مالارميه (Stephane Mallarmé) وآرثـور رامبـو Arthur) (Rimbaud . ويعود الفضل في تقدم الشعر الفرنسي في أواسط القرن التاسع عشر وأواخره لمنجزات أفراد اعتمدوا الابتكارات الشخصية .

استدعـى انتشـار الثقافـة في انكلتـرا انتشـار المكتبـات والحاجـة الى كتابـة الروايات . وقد انتقدت جين أوستن (Jane Austen) في مطلع القرن التاسع عشر ذلك الانتشار الواسع للرواية الغوطية التي كانت رسـولاً عمـل على إضفـاء روح القرون الوسطى على الرومانتيكية في أواخر القرن الثامن عشر ، موضحة ما ذهبت اليه في روايتها « دير نورث آنجر » (North Anger Abbey ، كما صورت الصراع بـين الشعـور والحس الابداعـي في روايتهـا « العقـل والعاطفـة » Sense And) (Sensibility . وفي فرنسا تجلى الصراع بين الثقافـة والعاطفـة في أعمال بنجامـين كونستان (Benjamin Constant) في قصته « آدولف » (Adolphe) ١٨١٦ كما ظهر في قصة « الأحمر والأسود » ١٨٣٠ للكاتـب ستانـدال (Stendhal) ، وفيما بعـد بقصة جوستاف فلوبير « مدام بوفاري » ١٨٥٧ . وأكمل جي دي موياسان Guy) (De Maupassant ما بدأه فلوبير (Flaubert) وأونـوريه دي بلـزاك Honoré De)

(Balzac من واقعية وحـذق في انتقـاء الـكلمات ، تلك الأشياء التـي ظهـرت في أعمالهما . جارى موياسان في فرنسا جيوفاني فيرجا (Giovani Verga) في ايطاليا ، وانتهى الأمر بالغاً ذروته الى الطبيعة المتطرفة عند اميل زولا الذي وصف كتاباتـه النثرية في رواياته مثل « تيريز راكان » بأنها « تشريح جراحي أدبي » .

إلا أن إعطاء صفة الواقعية والقومية لأدبـاء الفتـرة الكبـار يبـدو بعيداً عن الحقيقة . فمثلاً جورج اليوت وتشارلز ديكنز وتوماس هاروي في انكلترا ، ونيقولا غوغول وايفان تورجنيف وليو تولستوي وفيودور ديستويفسكي وأنطون تشيكوف في روسيا ، نجد لدى هؤلاء الكتاب واضحاً ميلاً تجاه الأدب الاجتماعي الهادف الذي أيقظته قوى التحرر والانسانية والاشتراكية في عديد من البلاد الغربية .

كان انحدار المسرح الرومانتيكي الى مستوى الميلودراما عاماً في كل أوروبـا تقريباً . هذا المسرح الجديد كان أبطأ من الرواية في معالجة قضايا الحياة المعاصرة . وحينما حلت فترة الاحياء الأدبي على يد النروجي هنريك ابسـن Ibsen عادت الى الظهور الصراعات الرومانتيكية للخيال والواقع من جهة ، وما هو فردي واجتماعي من جهة أخرى . وينطبق ذلك ايضاً على مسرحيات أوغست سترندبرغ السويدي (August Strindberg) . وفي روسيا أصبح المسرح الحديث ذا تأثير كبير ، بحيث يمكن متابعة منشئه الى مسرحية « المفتش » للروسي غوغول عام ١٨٣٦ ، وان كان ممكناً مصادفته فيما بعد كذلك في مسرحية « شهر في الـريف » للكاتـب تورجنيف ١٨٥٠ ، وبخاصة في أعمال (أنطون تشيخوف) الذي كان من أحسـن كتـاب المسرح في هذه الفترة .

الفَصْل الأول

الأدَب الانكليزي في القرن التاسع عشر

ان اصطلاح الحركة الرومانتيكية (Romantic Movement) يقود لحد ما إلى الالتباس ، لأنها لم تكن حركة بالمدلول الصحيح للكلمة ، كما ان كلمة رومانتيكي) هي غاية في الغموض والعمومية الى درجة تقارب خلوها من أي معنى . فكتاب هذه الفترة متباينون أشد التباين بطبيعةعملهم ،تباينهم في اسلوبهم النقدي . وهم لم يطلقوا هذه التسمية على أنفسهم ، وانقضى زمن قبل أن يتعرف الناس على منجزاتهم .

من الممكن اذا ما أخذنا هذه الاعتبارات بالحسبان أن نعزل السمات المميزة للرومانتيكية الانكليزية ، لارتباطها الواضح بانتفاضات الفترة اجتماعياً وسياسياً : فالثورتان الأمريكية والفرنسية في تأكيدهما على الحقوق الطبيعية ،وعلى أهمية الفرد قد انعكستا على مواقف الأدباء أمثال وليم بليك ، وكان ذلك جلياً في آرائهم حول الشعر . ففي القرن الثامن عشركان الاتجاه الأول في المسائل الشعرية يهدف الى تأكيد ما هو عام ، وينظر إلى الشاعر كناطق باسم المجتمع ، ويخاطب جمهوراً مثقفاً ومتجانساً ، كي يصل في النهاية الى الحقيقة كهدف أخير . بينما نجد أن الرومانتيكية انتهت الى منشأ الشعر بأنه التجربة المغرقة في فرديتها ، وأنست في الشاعر فرداً يتميز عمن حوله بقوة إدراكه ، متخذاً مما يرسمه له تفكيره موضوعاً أساسياً . وتبعاً لذلك اختلف الموقف بالنسبة للجمهور ، فالشاعر كيتس على سبيل المثال يقول : « لم اكتب في حياتي كلمةشعر واحدة وأنا أفكر بالرأي العام ولو للحظة » . فالشعر والحالة هذه تكمن حقيقته في ذاته ، أما الحكم الفصل في هذا الموضوع فهو صدق المشاعر فقط .

والتركيز على الإحساس الذي نجد أفضل تمثيل له في قصائد الشاعر بورنز (Burns) كان إلى حد ما استمراراً لمذهب قديم هو (مذهب الإدراك الحسي) ، الا أنه يحظى هنا باهتمام خاص، وكان له وجود في العديد من تعاريف الرومانتيكية للشعر . تحدث (وورد زورث) عن الشعر بأنه « الانسياب التلقائي لمشاعر عنيفة » . وبالتالي فإن أفضل الشعر ما عبّر عن أعظم المشاعر طاقة ، وتتأثر درجتها بمدى قوة خيال الشاعر على العمل . والخيال كما يراه كولوريدج ـ في النوع الأمثل من الشعر ـ هو القوة التي تجعل من الكائن الشاعر قريباً من الألوهية . وبهذا تختلف الرومانتيكية كنظرية ، عن الكلاسيكية الجديدة في إعطاء الخيال دوراً بالغ الأهمية . ومقومات الشعر بالنسبة لِـ صاموئيل جونسون تتحدد في التجديد : الخيال وملكة التمييز . أما بليك فقد كتب يقول : «هنالك قوة واحدة فقط تجعل من الشاعر شاعراً حقاً ، هذه القوة هي الخيال وبالأحرى الرؤ ية السماوية » ، أما ملكة التمييز التي يعبر عنها باصطلاح التنظيم الواعي ، فقد وجد فيها دوراً ثانوياً . وأكد الرومانتيكيون على نتاج العقل الباطن ، والأحلام والهواجس ، كما أكدوا على أمور ما فوق الطبيعة ، وعلى نظرتهم الفطرية تجاه العالم . تلك النظرة التي لا تختلف بشيء عن نظرة الأطفال ، وتكمن قيمتها بتحللها من قيود العقل المتمدن . وهنالك دليل آخر على الإقلال من شأن ملكة التمييز ، وهو موقفهم تجاه الشكل الأدبي ، فإذا كان لا بد للشعر من أن يكون تلقائياً وصادقاًوجياشاً، فمن الضروري بالدرجة الأولى أن يصاغ طبقاً لمستلزمات الخيال المبدع .

نصح وورد زورث شاعراً ناشئاً بقوله : « اذا كان شعوركفياضاًفأوله ثقتك ، حينئذٍ تأخذ قصيدتك شكلها وأبعادها كما تفعل الشجرة في تلقي الحياة من الجذور التي تعطيها كيانها » . وهذه النظرة العضوية للشعر تتناقض والمذهب الرومانتيكي حول أنواع الآداب، إذا اخذنا بعين الاعتبار اللياقة اللغوية لكل منهما ، وهذا ما أوحى بالشعور بأنه لا يمكن بلوغ السمو الشعري بالنصوص القصيرة .

رافقت المفهوم الجديد للشعر الحاجة لاسلوب جديد، فقد وجد ووردزورث

وخلفاؤه وخصوصاً الشاعر كيتس أن الأسلوب الشعري السائد في أواخر القرن الثامن عشر قديم متكلف لا يناسب بحال من الأحوال التعبير عن مفاهيمهم . لذلك حاول ووردزورث أن يعود بالشعر الى لغة الكلام الدارج ، ففي العام ١٨٠٠ ، حينما نشر آراءه في مقدمة الطبعة الثانية من «القصائد الغنائية» أزف الأوان لحدوث تغيير . فمع مطلع القرن الثامن عشر ، ساد التصلب الشعري بعد أن كان يتميز بالمرونة ، وتحول الى لغة تقليدية ، واذا ما استثنينا الشاعرين بورنز(Burns) وبيليك(Blake) ، لما وجدنا من شعر الدرجة الاولى ببريطانيا منذ أربعينات القرن الثامن عشر إلا النذر اليسير .

وأدى الالحاح على أهمية الفرد الى التركيز على الأحاسيس الأدبية . وأكثر المشاعر التي طغت ، وكان لها أهميتها ، كان الشعور بالحاجة الى الطبيعة الخارجية التي لا تنفصل تماماً عن التغييرات الاجتماعية التي خلفتها الثورة الصناعية ، وبالتخصيص تحول الناس من المناطق الريفية الى المدن الكئيبة التي طفقت تنمو سريعاً . إن الانسان بالقرب من الطبيعة يعتبر نفسه أقرب الى الخالق . وفي مثل هذه البيئة بقي هناك متسع للشعور العفوي .

ففي ذوبانه في الطبيعة وفي فهمه إياها استطاع الانسان ان يفهم نفسه . كما ان ما هو رائع وما وراء الطبيعة كانا مجالين آخرين لاستكشاف منجزات العقل البشري ، وكانا مصدراً أساسياً للسمو والتحليق فكرياً سواء في الزمان أو المكان وبذلك كانا أيضاً مواضيع الكتابة الرومانتيكية .

يجب أن لا نبالغ في مدى جدة الحركة الرومانتيكية أو ظهورها المفاجىء . فالنظريات التي ظهرت في النقد كانت متوقعة في القرن الثامن عشر وما قبل . الفرق الرئيسي ويكمن فقط في تحويل بالتركيز بالاضافة الى ذلك لا يمكن ان نطلق على كل مؤلفي الفترة اسم رومانتيكي أمثال جين أوستن وجورج كراب (George Crabbe) وتوماس لوف بيكوك(Thomas Love Peacock) . كما ان الكثير مما يبدو أنه خالد على مر الزمن في روايات أديب رومانتيكي مثل سكوت نستطيع ان نصفه باللارومانتيكي . بالاضافة الى ذلك فإن الرومانتيكيين البارزين كانوا مختلفين فيما بينهم: فبينما نجد بايرون مفوهاً في تمجيده شعر القرن الثامن عشر

ومندفعاً في هجومه على ووردزورث وكيتس ، نجد شيللي يقول ووردزورث بأنه مقصر في الخيال ، كما لم يوافق بليك على أي من نظريات وورد زورث في النقد .

الشعر :

كان اللقاء الذي تم عام ١٧٩٥ بين الشاعرين وليام وورد زورث وصاموئيل تيلور كولوريدج بداية أكثر الصداقات الأدبية إثماراً . وكان ظهور « القصائد الغنائية » عام ١٧٩٨ مغفلة من اسم المؤلف نقطة تحول وانطلاقة جديدة في الشعر الانكليزي ، كما أن المقدمة التي صدر بها ووردزورث الطبعة الموسعة من « القصائد » كانت بمثابة بيان لمنطلق أدبي جديد . كانت مساهمة وورد زورث في هذا الكتاب الهام تنحصر - بشكل رئيسي - بمجموعة من القصائد التي « تعطي روعة الجديد لأشياء تحدث كل يوم » ، وكانت هذه القصائد هي المسبب للقسم الاعظم من العداوة . ومؤكد ان ووردزورث لم يكن دائماً شديد الثقة بنفسه خاصة اذا طالعنا قصائده في مراحلها الأولى ، لأن بساطته المفرطة وواقعيته غالباً ما اوقعتاه في مهاوي تفاهة الأسلوب ، ولم تنجح محاولاته في الارتفاع بهذه القصائد فوق مستوى الحكاية ، بيد انها كانت في أحسن حالاتها تتميز بالقوة والبداهة .

يقول كولوريدج : « لقد أضاف وورد زورث قصيدتين أو ثلاث قصائد تعبر عن شخصيته وهي مكتوبة بأسلوب مكين مندفع وجياش العاطفة . وهذه الاشياء بمجموعها تمثل عبقريته» . وتأتي على رأس هذه القصائد قصيدة « دير تنترن »(Tintern Abbey) التي عبر فيها وورد زورث تعبيراً سامياً عن الطبيعة والوجود الغامض الذي عمل على توجيهه وتدعميه وتسليته في وحدته . وهو يملك القدرة الفائقة على نقل المعاني الخبيئة لمشهد ما ، او إضفائه معنى رفيعاً على حدث تافه لا معنى له . وكما يشرح في سيرته الذاتية الشعرية بعنوان « المقدمة » قائلا : « هناك في وجودنا مواقع من الزمن » لحظات يمكن عندها بوضوح مفاجىء ان نرى جوهر الأشياء . ان قدرته على استحضار هذه اللحظات هي سر قوته العظيمة . والشعر كما يقول « يستمد أصوله من الشعور الذي يتكون في لحظة تجلٍّ » . ومما يوضح هذا القول ايضاحاً تاماً قدرته على استحضار التأمل المتألق الهادىء، وعلى

تجديده لخلق مثل هذه اللحظات من الفهم المستنير . وعلى الصعيد نفسه من الأهمية نجد العواطف التي يعبر عنها في قصيدته الرزينة العصماء « مـايكل » ١٨٠٠ ، وكذلك في قصائد بعنوان « لوسي » المتسمة بالبساطة المؤثرة ، وفي الاشارة التي نلتقيها في مقاطع من « المقدمة » وأخيراً بلاغته في قصيدته : « تأملات في الخلود » ١٨٧٠ . والشاعر ووردزورث لا يسير على وتيرة واحدة وبمستوى واحد ، فاذا ما خانه - في وقت ما - الخيال ، اسف وابتذل ، أو غاص في البلاغة الاخلاقية الجوفاء والأسلوب المطنب ، غير أن ما قام به من انجازات رائعة أمر لا مرية فيه .

ونجد كذلك أن صفة التأمل العميق تميز أحسن اعمال كولوريدج . ففي قصيدته « صقيع منتصف الليل » التي نظمها عام ١٧٩٨ يعرض حالة فكرية في زمان ومكان معينين ، متنقلا بسهولة ويسر من خلال ترابط الأفكار . ونجد ان قوة الترابط هذه تغدو أقل خضوعاً لسيطرة الشعور في قصائده الساحرة مثل « انشودة البحار القديم » ١٧٩٨ و« قبلاخان » و« كريستابل » (وكلتا الاخيرتين نشرتا عام ١٨١٦) .

أما انشودة « البحار القديم » فأرق ما نظم في إظهارها المهارة الرائعة في السرد القصصي والجو الخيالي والتصوير البديع واعطاء الرمز ، اضافة الى الخط الأخلاقي المعقد الذي نجده مسيطراً على القصيدة . كان كولوريدج يتمتع بطاقات هائلة لم يظهر منها الا القليل ، ومع ذلك تبقى أعماله عظيمة وذات زخم بالغ التأثير . وتعطي قصائده المسماة « مختارات من حديث الطاولة » ١٨٣٥ فكرة عن مواهبه ومجالات اهتمامه ، كما أن محاضراته ومقالاته وبخاصة تلك المتعلقة بشكسبير ، ومجموعات الملخصات التي كتبها توحي بالانطباع نفسه. أما مجموعته المسماة « السيرة الأدبية » التي كتبت عام ١٨١٧ فعبارة عن حلقة بحث مثيرة من الشعر والنقد ذات أهمية بالغة . كل هذه الأشياء تجعل من كولوريدج واحداً من أكثر كتاب عصره ثقافة بناءة ، فقد أثر تأثيراً عميقاً في حركة النقد في مراحلها المتأخرة .

ومن الشعراء الأقل شاعرية نجد توماس مور (Thomas Moore) الذي بدأت مجموعته « أغاني ايرندية » بالظهور عام ١٨٠٧ ، وهي أحدى المجموعات الشعرية التي تتمتع بشعبية واسعة. وكذلك روبرت ساذي(Robert Southey) الذي كان على

علاقـة وثيقـة بووردزورث وكولـوريدج ، وعضـواً بارزاً في جماعــة « شعــراء البحيرة » ، وكان ينشد الالهـام الشعـري في منطقـة البحـيرات التابعـة لمقاطعتـي كامبرلاندو ويستمورلاند. ورغم ان قصائده الملحمية الفخمة لا تشجع القـارىء على مطالعتها ، ظـــل يجتذب القراء بقصائده الاقصر ، وأعماله النثرية المتنوعة مثل « حياة نلسون » ١٨١٣ ، « وتاريخ الحرب في شبه الجزيرة » ١٨٢٣ وكذلك مجموعته الكلاسيكية لحكايا الاطفال وعنوانها « الدبب الثلاثة » .

إن الأمر الذي يسترعي انتباهنا ذلك المدى من التنوع في الانتاج الادبي لهذه الفترة، والذي يمدنا به الشاعر جورج كراب الذي اطلق عليه اسم آخر الشعـراء الاوغسطينيين. ويمكن القول بأن جذوره الادبية ترسخت في تربة القـر ن الثامـن عشر، وهـي جملـة من أحـاسيس وقيم، وقـدر كبـير من مفرداتـه، يضـــاف اليها استعماله للدوبيت الملحمي . يختلف كراب عن الشعراء الاوغسطينيين الأوائل في الموضوع ، فهو يركز على حياة الفقراء والطبقة المتوسطة في قصص واقعية خالية من العواطف ، ويظهر مواهب مقبولة من ناحية السرد القصصي ، وقوة الـوصف في حكاياتـه الشعـرية التـي وضعـت على أسـاس نفسي ، مثـل « القـريـة » ١٧٨٣ و« المدينة » ١٨١٠ و« حـكايات شعـرية » ١٨١٢ و« حـكايا القصر » ١٨١٩ ، فرفعت من شهرته معيدة اليه الاعتبار كشاعر بعد ردح من الأهمال والنسيان .

عند ظهور المجموعة الشعرية « القصائد الغنـائية » كان بايرون ما زال في العاشرة من عمره ، وشيللي في السادسة ، وكيتس في الثالثة ، وترعرع ثلاثتهم في ظل حروب نابوليون ثم في عهد الاطاحة به عام ١٨١٥ ، وهذا امر لا يقل اثارة بالنسبة اليهم عن اقتحام سجن الباستيل عام ١٧٨٩ بالنسبة للشعراء الاكبر سنّاً . كان شيلي (Shelley) بشكل خاص مولعاً بالسياسة متأثراً بشكل خاص بسحر آراء وليام جودوين (William Goodwin) الفوضـوية ، اذ ظهـر له كتــاب عام ١٧٩٣ بعنوان « العدالة السياسية » . والحماسة الثورية التي هي اندفاع غامض الى حد ما بهدف تحرير الانسانية هي قوام مقالة شيلي النقدية بعنوان « دفاع عن الشعر » التي كتبها عام ١٨٢١ ونشرت عام ١٨٤٠ ، وفيها يشيد بالشعراء كمشرعين للعالم غير معترف بهم . ويتلظى هذا الحماس في ثنايا مجموعتيه الشعريتيين : « الملكة ماب »

نظمت عام ١٨١٢ ، و« ثورة الاسلام » ١٨١٨ ، والمسرحية الغنائية الرفيعة المستوى « بروميثيوس طليقاً » ١٨٢٠ . يمثل شيلي الشاعر النبي ، كما هو واضح في قصيدته « اغنية الى الريح الغربية » التي نظمها عام ١٨١٩ ، الا ان روحه النبوية يشوبها الغموض الذي غالباً ما أدى الى اعطاء صورة مهزوزة عن قدراته الشعرية . ويأخذ عليه النقاد بأنه انسان عاطفي يقع من آن لآخر على موضوع معين ، ثم يفلت الزمام للصيغ الشعرية تتدافع على هواها في تدفقها .

وهذا الامر صحيح بالنسبة لأعماله الاقل رصانة ، لكن يجب أن لا يقوّم شيلي على أساس انه يحاول تقليد الشاعر دون (Donne) او كيتس ، فالمادة التي يعالجها متسامية جامعة ، ويأتي التعبير عنها منسجماً معها . وبالرغم من ان عوامل الرثاء للذات والتعابير النفسية غير الناضجة قد أضرت بسمعته ، فإن أفضل ما اعطى من قصائد كما في قصائده الغنائية القصيرة والقسم الأكبر من مرثية « ادونيس » ١٨٢١ و« ازيماندياس » (Ozymandias) و« انتصار الحياة » تحلق به شاعراً ينتزع الاعجاب قوة وصدق انفعال . اما شهرة الشاعر جون كيتس التي تدعمها رسائله الرائعة فلم تخضع للتقلبات التي أصابت شهرة شيلي . فهو شاعر غني بالأحاسيس وأعماله المبكرة مثل « انديميون » (Endymion) ١٨١٨ بالغة التأثير متناهية الفخامة لأنه قادر على السيطرة على نفسه . ولا شك أنه احس بأن حياته لن تطول ، ولذا اندفع بعزيمة قوية مكرساً نفسه للوصول بفنه الى درجة الكمال . فقد طرق كل أشكال الشعر ، فقصيدة « ايزابيلا » ١٨٢٠ محاولة متقنة هدفها اضفاء جو العصور الوسطى ، وقطعته الملحمية « هايبريون » (Hyperion) ١٨٢٠ تتسم بالرصانة والجرس الموسيقي . لكنه آنس بأسلوبه صلة قربى بأسلوب الشاعر ميلتون (Milton) يقول « كم أتمنى ان اعطي ذاتي مقابل مشاعر تختلف عن هذه » .

ونجد مثل هذه المشاعر في بعض قصائد كيتس مثل « السنوات العجيبة » ١٨١٩ و« أمسية في سنت آجنس » (St. Agnes) وفي أغانيه العظيمة مثل « اغنية إلى العندليب » و« اغنية الى وعاء يوناني » و« اغنية إلى الخريف » . وهي اضافة الى قصيدته الملحمية «هابيريون» (Hyperion) تمثل قمة ما أنجزه كيتس من شعر

موضحاً فيها ما أطلق عليه عهد ذاك ضبط المشاعر على شكل المعنى الرمزي ، وبمعنى آخر ان المواضيع المعقدة تعالج عبر فيض من التفاصيل .

من الشعراء الرومانتيكيين العظام الخمسة يبرز الشاعر بايرون مختلفاً اختلافاً رئيسياً عن اقرانه فقد كتب في قصيدته الطويلة « دون جوان » دونما تهكم يقول : « عليك بالايمان بالشعراء أمثال ميلتون ودرايدن وبوب ، وليس عليك أن تقيم وزناً لشعراء أمثال ووردزورث وكولوريدج وساذي(Southey) . وهنا نجد تناقضات ملفتة للنظر ضمن أعماله : ففي قصيدته الطويلة « تشايلد هارولد »(Childe Harold) ١٨١٢ ـ ١٨١٨ يظهر بمظهر الرومانتيكي الأول ، كما أن عنصر الميلودراما يتضح من جديد في ديواني « مانفريد » (Manfred) ١٨١٧ و« قابيل »(Cain) ١٨٢١ . ويتبدى بايرون مخالفاً غيره كل المخالفة حينما يظهر بمظهر المتعالي والمتهكم ، حينما يكون سيد البداهة ويقترب من الصفاقة في هجائه . وتتمثل أعماله الخالدة في مجموعة من الكتب « بيبو »(Beppo) ١٨١٨ ، و« دون جوان » ١٨١٩ ، وهي ضرب من روايات التشرد الضاحك مرسلة شعراً ، وأخيراً « شبح الحكم الصائب » ١٨٢٢ مع مجموعة من الأغاني الشعرية .

من أفضل شعراء الجيل الثاني من الرومانتيكيين نجد جون كلير(John Clare) ، وهو فلاح من منطقة نورث هامبتون شير عانى التعاسة فقراً ومن ثم جنوناً ، لكنه كرس نفسه تكريساً نبيلاً لمواهبه الشعرية . فقد تميز بالبساطة الفطرية ، ووضوح الاسلوب ، والملاحظة الدقيقة وبتوازن يقارب توازن الكلاسيكيين ، كما ان الوقار غير المصطنع في موقفه تجاه الحياة جعل منه شاعراً ذا تأثير هادىء ولكنه قوي . أما الشاعر توماس لوفيل بيدوز(Beddoes) الذي تذكرنا تصوراته وأوهامه حول الموت وأشعاره الكئيبة بالمسرحيين اليعاقبة ، وبذا فهو يمثل قطبا مغايراً للشاعر كلير وقد تمتع بموهبة لا بأس بها في الأوزان الشعرية ، وتنجلي بأحسن صورها في المقاطع الغنائية للمأساة المشوهة التي كتبها بعنوان «السخرية من الموت» التي شرع بكتابتها عام ١٨٢٥ ونشرها عام ١٨٥٠ ، غير أن إفراط الأحاسيس لديه يدفع السأم الى النفس . وهنالك الكاتب الساخر توماس هود (Hood) الذي نال ـ بوقت من الأوقات ـ شهرة واسعة لكن نادراً ما يقرأ الآن .

وتأتي بعض قصائده في الاحتجاج الاجتماعي كما في «أغنية القميص» ١٨٤٣ ، وقصيدة «قضية جنيات منتصف الصيف» ١٨٢٧ مؤكدة بانه لا يمكن تجاهلها البتة .

الرواية :

طغى على القصة النثرية في نهاية القرن التاسع عشر مبدأ تقديس الأحاسيس المتمثل في الرواية التي تتناول بمواضيعها الشعور أو الرعب . وبقيت الرواية القوطية تلازم أعمال كتاب أمثال ماري شيللي التي تعالج في قصتها « فرانكنشتاين » (Frankenstien) ـ عبر المخاوف المفزعة التي تعتمد على العلم ، مواضيع الظلم الاجتماعي « والبدائي النبيل » . وهناك الكاتب تشارلز ماتيورين(Maturin) مؤلف قصة « ميلموث التائه » التي تتميز رغم تفاهتها بقوة أخاذة . غير ان الروائيين كانوا أقل براعة من الشعراء بمعالجة مواضيع ما وراء الطبيعة ، وبذا كانت اعمالهم مرشحة للفشل .

هيأت روح المحاكاة الساخرة للكاتبة جين اوستن نقطة الانطلاق اذ كشفت زيف الرواية التي تعتمد على رد الفعل الانفعالي المدروس دراسة دقيقة . ففي قصتها « نورث آنجر آبي » التي بدأتها حوالي عام ١٧٩٨ ونشرت عام ١٨١٧ تنتقد الرواية القوطية بتهكم يداخله شيء من التعقيد . وفي روايتها « الادراك والأحاسيس » التي باشرتها عام ١٧٩٥ ونشرت عام ١٨١١ ، تلقي الضوء على السجايا التي تذكرها في عنوان الرواية ، وذلك بفهم وتعاطف بالغين . وقد تعمقت المفاهيم الاخلاقية للكاتبة بتعمق قدرتها على الكتابة ، وبلغ فنها ذروته في رواية « ايما » ١٨١٥ .

وتعتبر جين اوستن الكاتبة المتحدثة باسم العقل السليم والذكاء ، وهي تضع قيما ايجابية بشكل يمكنها من مجابهة الامور التي تهدف الى مهاجمتها والحكم على أساسها . فهي ولا مرية روائية بسيطة ، تطوف في مجالات محدودة ومنتقاة ، تصف بعينها الفاحصة بدقة متناهية أحابيل العلاقات بين الناس ، دائبة في البحث وراء اكتشاف مبادىء السلوك التي تحرك هؤلاء الناس ، لكن تحليلها من حيث المبدأ

عاطفي ، وفي المقام الأول تتسم روايتها بسخرية ناعمة ، متمكنة من الحوار تكتب باقتضاب متناه ، لا تضيع كلمة بين يديها .

لا ينطبق هذا كله على موهبة السير والتر سكوت ، فقد كان في مستهل حياته الادبية شاعراً مجيداً ، عندما نظم روايات شعرية تاريخية مثل « سيدة البحيرة » ١٨١٠ . وبتحوله الى النثر ، مبتدئاً برواية « ويفرلي » جرى قلمه في الخمس عشرة سنة التي تلت باكثر من عشرين رواية تعتبر انجازاً رائعاً اذا ما حكمنا عليها من حيث تأثيرها البالغ . وتتبدى روعته حينما يعالج تاريخ اسكوتلندا الحديث ، كما في «جاي مانرنغ »(Mannering) ، أو في رائعته «في وسط منطقة ميدلوثيان» ١٨١٨ . وقد التقى بضرب من التقارب مع صديقه ووردز ورث حينما تبنى أسلوب ولغة عامة الناس . ووجدت مواهبه المسرحية العظيمة وقوته في رسم الشخصيات تعبيرها الحي في الحوار ، لكنها ترتكز بفعل الحاجة الى حس أعمق بالشكل المسرحي .

طرق الكاتب توماس لوف بيكوك الرواية من باب آخر ، وهو كاتب ساخر لم يقم كبير وزن للحبكة ، ولا تعدو رواياته المحادثة يعرّي بها الكثير من ادعاءات العصر . وفي روايته «دير الكوابيس» (Nightmare Abbey) ١٨١٨ يعرض بسخرية زخارف الرومانتيكية ، عبر تضمين بعض الشخصيات الأدبية المقنعين باقنعة شفافة أمثال كولوريدج وبايرون وصديقه شيللي بحيث يتمكن من السخرية من مبادىء الرومانتيكية المفرطة . ومن بين الروائيين الاقل شهرة ماريا أيدج ورث(Edgeworth) التي ألهمت سكوت بقصصها عن ايرلندا ، وسوزان فيريير(Ferrier) ، وهي اسكتلندية برعت بالسخرية اللاذعة . وهناك اسكتلندي آخر هو جون غالت(Galt) الذي كتب رواية « حوليات الدير » ١٨٢١ ، وهي تشبه رواية جيمس هوج(Hogg) « اعترافات مذنب » في أنها ليست من الروايات الكلاسيكية الرفيعة ، والرواية الأخيرة قوية في معالجتها للكالغينية وما فوق الطبيعة .

نماذج مختلفة من النثر :

انعكس اهتمام الرومانتيكية بالفردية على الأعمال النثرية ، اذ نجد ويليام

هازليت كاتباً مستقياً ومندفعاً ، وهو في الوقت ذاته ناقد بناء واسع المجال ، بالرغم من خلوه من التعاطف مع شعر القرن التاسع عشر . وتتمثل أحسن أعماله المتسمة بطابعه الخاص في « محاضرات حول الكتاب الهزليين في بريطانيا » ١٨١٩ ، وفي « روح العصر » ١٨٢٥ التي تكمن قيمتها في تصويره معاصريه من الكتاب . أما تشارلزلامب(Lamb) فكاتب مقالة اكثر فردية ومتحمس موضوعي لايحابي بنقده. ففي مجموعة مقالاته « ايليا » ١٨٢٣ و « آخر مقالات ايليا » ١٨٣٣ يبرز لام (Lamb) صورة بالغة الاتقان عن نفسه ، وهي تبدو غريبة الاطوار ، حادة الذكاء ، عاطفية ، دافئة الاحساس ، فيها حنين ورقة . ويظهر اعتراف من نوع آخر بقلم توماس دي كوينسي(Thomas de Quincey) الذي أتت روايته « اعترافات متعاطي أفيون انكليزي » نتيجة ادمانه على هذه المادة . ولا تزال روايته « ذكريات عن شعراء البحيرة الانكليز » تلقى الكثير من الاهتمام . وهنالك ناقد وكاتب مقالة من وزن أخف ، وهو لي هانت(Hunt) الصديق الحميم المخلص للشاعر كيتس . وكانت صحافته الجريئة أثناء تحريره مجلة « الفاحص »(Examiner) ذات تأثير واسع .

وهنالك الكلاسيكي وولتر سافاج لاندرو(Walter Savage Landor) الذي يتضح أسلوبه المتعالي بأحسن صوره في أغانيه الشعرية المقتضبة ، وفي سلسلة من « الأحاديث الخيالية » التي بدأت بالظهور عام ١٨٢٤ . وتعرضت وجهة النظر المناهضة للرومانتيكية للسخرية اللاذعة على صفحات النشرات الأدبية ، ومنها «جريدة ادنبرة» (Edinburgh Revew) التابعة لحزب (الويغ) (Whig) التي بدأت بالظهور عام ١٨٠٢ ، وكان يحررها فرانسيس جيفري (Francis Jeffrey) ، ثم تلتها نشرات نافستها ، وكانت تابعة لحزب التوري(Tory) ومنها « النشرة الفصلية » ١٨٠٩ و « مجلة ادنبرة » عام ١٨١٧ ، وجميعها اتفقت على انتقاد وجهات النظر المعارضة للشعراء الرومانتيكيين انتقاداً مراً وأحيانا شرساً . لم تقف هذه النشرات عند حد النشاط الأدبي ، وانما استطاعت بهجومها على المحاباة والشتائم أن تضع نظاماً لصحافة جريئة ومستقلة .

المسرحية :

قام كبار الشعراء الرومانتيكيون بمحاولات بصدد المسرحية المأساوية ، وكما أطلقوا عليها اسم المسرحية الغنائية ومثلت مسرحيا - بشكل محدود - واحدة أو اثنتان منها مثل « تأنيب الضمير » (للشاعر كولوريدج ، ومثلت للمرة الأولى عام ١٨١٣) ومسرحية « مارينو فالبير » للشاعر بايرون (ونشرت عام ١٨٢١) ، غير ان معظم هذه المسرحيات لم يقدم على خشبة المسرح ، أو أنها كانت غير جديرة بذلك ، لأن كتابها كانت تعوزهم الموهبة المسرحية أو الدراية الكافية بالفن المسرحي ، وبدا أغلب ما قاموا به من نشاطات مسرحية خليطاً من مسرح اليعاقبة ، ويمكننا - الى حد ما - أن نستثني الشاعر بايرون الذي اهتم بالمسرح ، وتمتع بشيء من الموهبة فيه ، الا أن معظم أعماله كانت تفتقر الى الحيوية . أما مسرحية شيللي بعنوان « تشنشي »(Cenci) التي كتبها عام ١٨١٩ ، ومثلت لأول مرة عام ١٨٨٦ ، فتتمتع بشيء من القوة والاندفاع **لكنها ميلودراما صرفة ، تردد الكثير** من أصداء شكسبير ، مما يضعها تقريباً في مصاف المحاكاة الساخرة .

أما من جهة عروض المسرح العامل في دور العرض المسرحي مثل « كوفنت جاردن »(Covent Garden) و « درووري لين »(Drury Lane) وغيرها فتضمنت الميلودراما والمسرحية الهزلية ، والايمائية والخارجة على المألوف . كان العرض يجري أمام جمهور مشاكس متعطش للعواطف . أظهر بعض كتاب المسرحيات الأكثر جدية شيئاً من الموهبة ، ورغم أن بعض هزليات تلك الآونة كانت على جانب من الحيوية ، على عكس الملهاة العادية الجامدة والباعثة على السأم ، نرى أن القرن التاسع عشر قد فشل في تقديم عروض مسرحية سواء المأساوية منها أو الهزلية .(في مقابل ذلك يجب النظر الى النقد الأدبي الواضح والتأملي الذي كتبه كولوريدج وهازليت ولامب) .

أثر الرومانتيكية وعلاقته بالعصر الفيكتوري

تينيسون : (Tennyson)

لقد اصطلح على تقسيم القرن التاسع عشر الى فترتين متميزتين هما

الرومانتيكية والفيكتورية . تبدأ الأولى في القرن الثامن عشر ، وحددت نهايتها بين عامي ١٨٣٠ و ١٨٣٢ . ولذلك التقسيم في الحقيقة ما يبرره لأن كيتس توفي عام ١٨٢١ ، وشيللي عام ١٨٢٢ ، وبايرون عام ١٨٢٤ ، وسكوت عام ١٨٣٢ . كما كتب كولوريدج أحسن أعماله قبيل عام ١٨٣٢ وهذا ينطبق كذلك على وورد زورث رغم بقائه في عداد الأحياء حتى عام ١٨٥٠ . مع ذلك لا نجد أي انقطاع ملموس ، ففي الفترة بين ١٨٣٠ - ١٨٣٢ نشر ألفريد لورد تينيسون(Tennyson) أول رواية شعرية له ، ولم تكن هذه السنوات نقطة تحول في تاريخ الثقافة مثلما كانت الأعوام ١٦٦٠ ، أو ١٧٩٨ ، أو ١٩١٤ . حينما بلغ القرن التاسع عشر نهايته فعلا . وكانت القصة إحدى الاشكال الادبية الآخذة سمت التطور باستمرار وظلت بالاحرى متأثرة بالنشوء ، تلك الكلمة التي درجت في فكر القرن التاسع عشر . فقد ترك جيل الرومانتيكيين الأوائل أمثال ووردزورث وكولوريدج وسكوت بصماته على خلفائهم من العصر الفيكتوري . يعود الفضل بشكل رئيسي لكل من وورد زورث وكولوريدج في ترسيخ دعائم الشعر وتثبيته ودفعه في النهج الذي تقبله الناس حتى نهاية القرن. كما كانت آراء ووردز ورث في الشعر جوهرية لجمهور الشعراء وقرائهم في القرن التاسع عشر ، ومنها تعريف الشعر على أنه « سيل تلقائي من المشاعر القوية » ، وتصمميه على أن الهدف من أشعاره أنها « جاءت نعمة تعلم الشباب واجب الافادة منها ، والتفكير بها وتحسسها على مر العصور » .

وعلى ذلك فمهمة الشعر كشف الحقيقة ، وكان الشاعر بنظر الناس نبياً ومبشراً « بعجائب العالم وازدهاره » على حد تعبير ماتيو آرنولد (Mathew Arnold) . لم يحدث من قبل أن اعتبرت الطبيعة ـ وهي العالم الخارجي ـ المصدر الأساسي لالهام الشاعر. وانطلاقا من هذا أصاب كتاب القرن التاسع عشر نجاحا غير عادي في اتخاذهم الطبيعة مصدراً لاعمالهم باخلاص وتبصر بالغين ، ذلك النجاح الذي تمثل في أعمال تينيسون وماتيو آرنولد ، وجيرارد مانلي هوبكنز (Gerard Manley Hopkins) وجورج ميريديث(George Meredith) ، والذي نراه أيضاً في اعمال الناثرين من أمثال اميلي برونتي(Emily Bronte) وجون راسكن (John Ruskin) وجورج أليوت(George Eliot) وتشارلز كينجسلي(Charles Kingsley)

وتوماس هاردي(Thomas Hardy) وروبرت لوي ستيفنسون (Robert Louis Stevenson) وكتاب آخرين . من قصيدة تينيسون « آبار النار » الى قصة هوبكنز « شلالات الكستناء من نار الفحم » ، ومن وصف راسكن جبال الألب في أول مرة رآها الى قصة هاردي « سهل ايجدون » نجد أدب القرن التاسع عشر تجاوز كل القرون الماضية في الأخذ بنظرية سحر الطبيعة .

خلف هذا كله يكمن مذهب ووردزورث في تمجيد الطبيعة ، التي تدفع بقدسيتها الى السمو الاخلاقي ، وأنه بقدر نجاح الكاتب في تحرير روح الحقيقة - على حد تعبير توماس كارلايل - بقدر ما يكون خيرا تجاه البشرية . فضلا عن ذلك ، وبالرغم من ظهور حركة أوكسفورد وغيرها من حركات هدفت الى ايقاظ النشاطات الدينية ، شهد القرن عزوفا عن الحقائق الدينية التقليدية ، مما مكن ووردزورث من تزويد العديد من المشككين بمعتقد بديل . كما خلق الانتقال الى الحياة المدينية الصاخبة رغبة بالغة في الهرب منها ، وتوقع القراء من شعرائهم أن يعملوا على إعادة أمجاد العالم الأولى اليهم .

وهكذا نجد أن قدراً كبيراً من أدب العصر الفيكتوري يتميز في صميمه باللاأدرية ، بالرغم من تميزه بحب الطبيعة ، وعلو كعبه في طريقة التفكير وجديته تجاه المبادىء الأخلاقية . يمثل الشاعر « تينيسون » روح العصر لأنه استطاع ببراعة التعبير عن الشكوك السائدة ، كما استطاع الافصاح عن افكاره الخبيثة . ففي قصيدته « الذكرى » ١٨٥٠ ، يوضح طريقة تفكير القرن التاسع عشر تماما ، كما فعل ميلتون في « الفردوس المفقود » ، والشاعر بوب في « مقالة عن الانسان » والشاعر ووردزورث في المقدمة(Prelude) ، وكل منها تمثل فترتها. لقد طرحت على بساط البحث أمور مثل الخلود والتطور والعناية الآلهية ، ومع ذلك رأى تينيسون في الكرامة الانسانية معتقداً راسخاً ، كما وجد متعة لا توصف في الطبيعة والفصول ، ولم يساوره أدنى ريب في أن « هدفا واحداً فقط هو الذي يكتب له الدوام » . ووضع نصب عينيه « حدثا مقدسا بعيد المنال » . لم يكن تينيسون يؤمن بمذهب الجماليات كما لم يكن هاربا من الحقيقة . كان متماشيا مع الفكر ولم يحد عن أي مما تتضمنه فكرة التقديس الديني أو الجيولوجيا أو علم الأجنة أو نظرية التطور ، التي

نظم فيها الشعر قبل ظهور كتاب داروين « أصل الأنواع » بعدة سنين . ويعتقد هنري سيدجويك(Sidgwick) ، وهو من متحمسي اللاأدريين ، بأن تينيسون عبر تعبيراً جميلاً ومؤثراً « للحد الادنى من الايمان الذي لا يمكن قهره او توريثه ، بل لا يمكن للبشرية الاستغناء عنه لانه ضرورة حياتية » .

اشتهر تينيسون ـ بعد ان كان مغموراً لفترة بسيطة ـ ليس لأنه من افذاذ العصر الفيكتوري ، وانما لاخلاصه في استخدام الطبيعة ، والمهارة التي استطاعت مواضيعه استلهامها لأعطاء الرمز حالات الشعور .

أثر الثورتين الفرنسية والصناعية :

يعتبر القرن التاسع عشر ـ من ناحية معينة ـ نتاج الثورة الفرنسية . ففيه استمد الشعر الانكليزي شخصيته من الفترة الرومانتيكية التي تميزت بالثورة والانفعال ، ثم ما لبثت أن حولت اتجاهها نحو ردة فعل محافظة ، وكانت في الاصل تتعاطف مع التطلعات الفرنسية .

وبغض النظر عما خلفته الثورة الفرنسية من قيم ثابتة، عمل المتطرفون والليبراليون معاً ـ في انكلترا ـ على الخلاص من ردة الفعل العارمة . كان الظلم الاجتماعي واللامساواة أموراً تجثم على صدر العصر الفيكتوري. واندلعت الثورة الفرنسية اصلا ضد هذه الأمور، وبالرغم من اضطرار انكلترا على أن تصر على طريقة حياتها القديمة في حربها مع نابليون التي استمرت عشرين عاماً، إلا ان مسألة «ظروفها الراهنة» ظلت تبرز. لم يشهد القرن التاسع عشر ما خلفته الثورتان الفرنسية والرومانتيكية فحسب وانما شهد كذلك الانقلاب الصناعي . وهكذا كانت النقمة بسبب أوضاع المظلومين والشعور بأن شيئاً ما يجب أن يحدث قبل فوات الأوان ، كل ذلك كان شغل كتاب العصر الفيكتوري الشاغل ، وهم على تنوعهم وكثرتهم نذكر منهم جيريمي بنثام(Bentham) وكارليل وراسكن وديكنز ودزرائيلي ومسترجاسكال(Gaskell) وتشارلز كينجسلي وماتيو آرنولد ووليم موريس وكثيرين غيرهم. بالطبع لم يوفق جميع هؤلاء في تشخيص العلة المشتركة، كما لم يوفقوا في وصف العلاج المشترك. فقد طالب بنتام باصلاح النظام التشريعي ضماناً

لانتصار النفعية التي هي «مبدأ السعادة القصوى» بينما عمل كارليل على تشجيع الايمان والصدق والزعامة. كما حث كل من موريس(Morris) وراسكن على حب الطبيعة والفن والاعتزاز بالبراعة الحرفية ، على حين كان الحل المنشود في الاشتراكية المسيحية بالنسبة للكاتب كيسنجلي ، وانتشار الثقافة والتربية بين الناس بالنسبة للشاعر آرنولد . قام الروائيون بتبيان المفاسد أو بانتقادها وانتهوا بها الى خيال القراء ومفاهيمهم بشكل لا يمكن ان يعفو عليه الزمن .

واذا أخذنا بعين الاعتبار التغييرات التي رافقت القرن التاسع عشر الفينا أن التشبث بالسلطة الاجتماعية القديمة المتوارثة التي طالما أصرت عليها انكلترا، والكمال الذي كان الكتاب يعتبرونه مسلمة لامرية فيها حيال ادعاءات تلك السلطة ، وما كانت تخفيه من قيم خاصة بها كان شيئاً مثيراً للانتباه . فقد أوهم الروائيون والشعراء والنقاد انفسهم بوجود عالم يرتكز بأساسه على الطبقة العاملة . ففي قصة ديكنز «البيت المهجور»(Bleak House) نجد ان الارستقراطية القديمة تمثلها عائلة ديدلوك(Dedlock) وهي آخذة طريقها الى الزوال كي تحل محلها غيرها ممثلة باسرة راونسوليز(Rouncewells) . ومهما يكن المجتمع قليل الأهمية بالنسبة لديكنز فانه يهيمن على الجموع الانسانية . ولم يداخل السرور العصر الفيكتوري حين أدرك ان انكلترا ـ وهي في طريقها لان تصبح شغل العالم الشاغل ـ فقدت الكثير مما كانت تضفيه العصور القديمة على شخصيتها الفريدة وخاصة العصور الوسطى . كما كان الادراك بأن عصر الايمان والفروسية ولّى إلى غير رجعة اكبّ القراء على روايات (سكوت) يلتهمونها بشراهة .

وبالفعل كانت معتقدات العصور الوسطى ذات أهمية عظمى . فقد ظهرت في اعمال تينيسون واعمال الاخوة روزيتي(Rossettis) وآخرين غيرهم من فترة ما قبل الرافائيلية في اعمال كارليل وراسكن وموريس وكذلك في الاعمال الهندسية لشخص يدعى ا . و . ن بيوجين(A.W.N. Pugin) والسير تشارلز باري(Charles Barry) وآلفريد ووترهاوس(Alfred Water House) وجيلبرت سكوت(Gilbert Scott) . أتت رواية كارليل «الماضي والحاضر» لكي تعارض الحاضر الذي شوهته النفعية والالحاد والمادية والميل الى الفنون والتعقيدات المادية ، بذلك الماضي الذي

تميزه الحياة المتناغمة لرهبان القديس ايدموندز بوري(St. Edmunds Bury) وطالب راسكن بتطبيق مبدأ القوطية(Gothic) في عصر الآلة ، بينما حلم موريس بمدينة لندن نظيفة ، صغيرة ناصعة البياض ، كما كان يحلم بمكان لا على التعيين يستطيع فيه الناس العودة الى رونق الحياة الحقيقي .

بذور التأثيرات على الفكر الفيكتوري :

كان للشهرة التي حظي بها توماس كارليل في النصف الأول من القرن التاسع عشر معنى خطير لأن رسالته كنبي كانت تحض على خلق جيل مشكك لا يؤمن إلا بآلهة العهود القديمة ايمانه بالمصلح الديني كالفن . وفي كتابه «الثورة الفرنسية» ١٨٣٧ يصور التاريخ على أنه نتاج أحكام قائمة على الفساد والذنوب ، وهو في اعمال : «سارتور ريزارتوس»(Sartor Resartus) و«الماضي والحاضر» ، و«بحث في الأبطال» ، و«عبادة البطل» «والبطولة عبر التاريخ» - يدعو القراء الى الاصاخة لـ «صوت الأبدية» والى تبجيل العظماء الذين كان بمستطاعهم سماع ذلك الصوت بشكل أوضح من الآخرين . وسرعان ما أخذ تأثير كارليل بالانحسار اذ شعر الناس بالملل من أسلوبه الانفعالي ، واعجابه المفرط بالقواد العظام ، ومع ذلك فقد ألهم جيلاً بأكمله ، وبعث فيه الحماس والقوة ، وكانت كتاباته في احسن حالاتها على جانب من التأثير وحسن التعبير ، وهي تجسم رؤ يا فردية رفيعة المستوى .

ورغم ان كارليل لم يكن يدين بأية عقيدة معينة ، فقد استخدم اللغة الدينية على الدوام ، وجعلته رسالته الدينية يرتبط بالجناح المؤمن في الصراع الذي حدث في القرن التاسع عشر . اطلق الفيلسوف جون ستيوارت ميل(John Stuart Mill) على الكاتبين بنثام (Bentham) وكولوريدج لقب «الافكار المولدة» للقرن التاسع عشر . وكان بنثام أبا الفلاسفة الراديكاليين والنفعيين والمفكرين الاحرار أمثال جيمس وجون ميل وهربرت سبنسر وجورج هنري لويس(Lewes) وليزلي ستيفن وجون مورلي وفريدريك هاريسون ، وكذلك أباً لكل من آمن بأن من الممكن توجيه الانسان الاتجاه السليم عن طريق الثقافة والنقاش الحر وتطبيق مبادىء النفعية تطبيقاً متنوراً . واوضح كولوريدج في اعماله النثرية المتأخرة مثل «أمور تساعد على

التفكير» و«حول بناء الكنيسة والدولة» أن التفسيرات الدينية والسياسية القديمة قد تصلح جوهرياً للتطبيق لان التغيير قد طرأ على العرض فقط . ومن الممكن تتبع تأثير دعوته الى الاحياء الفلسفي للمسيحيةفي آثاركتاب عاشوا في تلك الآونة امثال جون سترلينغ(John Sterling) وجوليوس هير(Julius Hare) وتوماس ماتيو آرنولد وفردريك دينيسون موريس(Fredrick Denison Maurice) . وواضح ان كارليل بقي مستمراً في نشاطه ، حتى أن جون ستيورات ميل نفسه اعترف صراحة بأن كولوريدج أغنى وعمق معرفته بالقوى التي تشد الناس بعضهم الى بعض في المجتمع .

أما ج .ا . فراود(Froude) ـ وهو مؤرخ وتلميذ لكارليل ومسجل لحياته ـ فينزله مع جون هنري نيومان المنزلة التي أنزل فيها ميل كلا من بنثام وكولوريدج . وبمعنى آخر يضعهما في طليعة أدباء التيارين الفكريين اللذين كان لهما هوى في نفسه. ورغم ان كلا الرجلين يبدوان رجلي دين كل بطريقته الخاصة، فانهما بالنسبة لفراود على طرفي نقيض، ومع ذلك فكلاهما ينتميان الى تيار كولوريدج. وضع نيومان كولوريدج في عداد الرجال الذين كان لهم أثرهم على اليقظة الروحية، رغم انه لم تنعكس عميقاً آثار أي من الحركات الدينية التي حدثت في انكلترا ، ومنها الحركة التراكتارية(Tractarian) التي ركزت بالحاح على الطقوس الدينية التقليدية ، ـ كما ان انفصال نيومان عن الكنيسة الانكليزية كان له التأثير السلبي نفسه على الأدب ـ فيما عدا قصة فراود «نقمة الايمان» ١٨٤٩ و«حركة الاصلاح المضادة» ١٨٨١ ، وقصة شارلوت م . يونغ(Yonge) «وريث ريدكليف»(Heir Of Red Chyffe) ١٨٥٣ ، وقصة ج . هـ . شورت هاوس بعنوان «جون انجلسانت» (John Inglesant) ١٨٨٠ ، ومقاطع قليلة من قصة مارك باتيسون(Marj Pattison) (ذكريات) ١٨٨٥ ، وافتتاحية ماتيو آرنولد في قصته «نقاش في امريكا» ١٨٨٥ التي تتحدث عن الفيلسوف الامريكي ايمرسون . غير أن نيومان لم تتوفر له براعة الاسلوب النثري في بحثه «مرافعة من اجل الحياة» ١٨٦٤ فحسب ، وانما يعتبر كتابه هذا احد مؤلفين أو ثلاثة من أكثر كتب العصر أهمية .

ومن كتب تلك الفترة الهامة «اصل الانواع»(Origin Of Species) للانكليزي

تشارلـز داروين(Charles Darwin) الـذي كتبـه عام ١٨٥٩ . بقيت النشاطـات العلمية والفلسفية والتاريخية حينـذاك تتمتـع بقيمتهـا الأدبية . وربمـا كان تعبـير «الاصل» آخر الأعمال العلمية الهامة التي كتبت ، لكي يفهمها القارىء العـادي ويتمتع بها . رغم أن داروين لم يبتكر نظرية التطور ، الا انه دفع عصره الى ادراك مفاهيم الاصطفاء الطبيعي ، والتطور الذي لا نهاية له . وبمساعدة تلميذه ت . هـ . هاكسلي(Huxley) استطاع أن يلزم الناس باعادة النظر في كثير من فرضياتهم التي كانت مسلمات لا تقبل الجدل حول مفهـوم الله والطبيعـة وحيال انفسهـم . وانتاب المسلمات الدينية القديمة من بعد داروين الانحسار والتراجع ، وساد شك سرعان ما انتشر بأن الحياة تخضع لمؤثرات قوى خارجة على نطاق الفرد بل تسير حتمياً نحو نهاية لا مفر منها . ولم يتبلور هذا المفهوم بشكل فوري ، غير انه حلت الشكوك والمناظرات والمخاوف محل الاندفاع غير الواعي في الأدب والحياة معاً . واذا كانـت رواية ديكنـز «اوراق بيكويك» (Pickwick Papers) ورواية ثاكري (Thackeray) «معرض الغرور»(Vanity Fair) يمكن اعتبارهما تمثلان الشطر الاول من القرن ، فيمكن اعتبار كل من رواية جورج اليوت «ميدل مارتش» وروايتـي توماس هاردي «تيس الدور برفيل» و«وجود الغامض» تمثل الشطر الثاني منه .

الرواية :

بلغ الأدب الفيكتوري ذروة عطائه في الرواية ، لان الكثير من شعر هذه الفترة أصيب بالانحطاط ، خاصة وأننا نجد بعض الاسماء اللامعة قد أصبحـت مغمورة فيما بعد ، مثال روبرت براوننج الذي بلغت شهرتـه شأواً بعيداً في نهـاية القرن كعالم نفس ماهر ومفكر متعمق وواعظ متحمس . وكانت مساهمة العصر الفيكتوري في المسرحية قليلة الأهمية ، اما النقد ، اذا ما استثنينا ماثيو آرنولد ، فخاوٍ من الهدف ، وليس له اتجاه معين . الا ان العصر الفيكتوري جاد بروائيين من الطـراز الاول امثـال تشارلـز ديكنـز واميلي برونتـي وجـورج اليوت وتوماس هاردي وهنري جيمس . كما أن هذه الفترة ضمت مجموعة كبيرة من الروائيين الآخرين ، الذين وان كانوا قد لمعوا في بعض المجالات ، فقـد بقـوا دون مرتبـة الكتاب المذكورين آنفاً ومن هذه المجموعة : آنتوني ترولوب ، شارلـوت برونتي ،

ويلكي كولنز ، مارك روثر فورد ، روبرت لوي ستيفنسون ، جورج مور (Moore) وجورج جيسنج ، وغيرهم . اما ديكنز وثاكري فقد صنفا كأفضل روائيين في العصر الفيكتوري . لكن ديكنز انتقد فيما بعد لولعه بالميلودراما والعاطفية والفوضوية ، وحاز ثاكري قصب السبق لكونه فناناً أرقى وأبلغ وعياً لذاته . بيد أن المفاضلة بينهما ، رجحت ـ من جديد ـ كفة ديكنز فتبوأ منزلة أرفع الروائيين الفيكتوريين ، متجلياً في روايته «أوراق بيكويك» كرائد للاسلوب الهزلي في القرن الثامن عشر خاصة وانه انتهى بمجموعة من الروايات اكثر حذقاً وتعقيداً كانت السبب في شهرته المطبقة ومنها «البيت المهجور» و«دوريت الصغيرة» و«آمال عظمى» و«صديقنا المشترك» . وكانت علاقته بجمهوره فريدة متميزة ، اذ كان يعمد احياناً الى تبديل حوادث الحبكة القصصية ، لكي تتلاءم وذوق الجمهور أو يحورها خوفاً على قلوب القراء من خيبة الأمل . . .

أما المثقفون من القراء ، فقد أخذوا عليه بعنس الأمور في رواياته ، ومنها انه رسم شخصياته رسماً كاريكاتورياً أكثر منه رسماً عادياً ، وكثير منها كانت نماذج مسرحية لا تفتأ تردد عبارات هدفها إثارة الاهتمام لدرجة الاسفاف ، ومن هذه المآخذ ايضاً الخيالية والتصنع في حبكته القصصية ، فضلاً عن ان حسه بالشكل الفني كان جامداً . وبغض النظر عن كل هذه المآخذ بله طريقته في الوقوف الى جانب شخصياته أو ضدها فلم يكن هناك من يضارعه من الروائيين الانجليز ، في حيويته الفائقة والتجديد ، وقوة الخيال المتماشية وقوة الملاحظة . هذا بالاضافة الى حماسه المفرط في اعطاء التفاصيل ، ويبدو بانه كان يتحسس طريقه الى المشاهد والمواقف بتوسل الخيال ، وبعد ان يشحنها بالمشاعر والاحاسيس يجعل منها تحقيقاً وتجسيداً لرؤ ياه التخيلية .

لقد قيل إن الرواية في انكلترا نضجت على يد جورج اليوت (واسمها الحقيقي ماري آن ، ماريا ايفانز) اذ أن ما قامت به ـ في الواقع ـ من أعمال ادبية تتميز بالنضج الفكري الذي جلت به متقدمة من سبقها وعاصرها من كتاب . فكانت واعية للفكر المتطور في عصرها ، وسباقة لترجمة (Leben Jesu) للكاتب ديفيد فريدريش شتراوس ذلك السفر الذي أقلق الارثوذكسية لتجريد الكتاب المقدس من

الخرافات . ونظراً لانها شبت على التقاليد الكنسية أبعدت عنها لتورطها بالتعبير عن الافكار الحرة ، وسرعان ما أصبحت من جماعة اللاأدريين . وبذا كانت نموذج عصرها في هذا المجال كما كانت ايضاً في المحافظة على جوهر الاخلاق الدينية ، وشعورها الذي لازمها طيلة حياتها بان رسالة ملقاة على عاتقها تجاه الانسانية ، فكانت تحتفظ لنفسها بحب جارف لمعاهد طفولتها التي لها ركن مكين في ذاكرتها ، وللناس الذين عاصروا طفولتها في مقاطعة (وور ويكشير) فكنّت لهم حباً وتعاطفت مع معتقداتهم . ويضاف لتلك الميزات سيطرتها التامة على الوقائع الاجتماعية والنفسية مما اتاح لها ان تخرج بسلسلة من الروايات الرائعة ، منها «آدم بيد»(Bede) و«طاحونة على نهر فلوس» وأشهرها جميعاً «منتصف آذار» ، ويرجح بان تكون هذه الروايات أحسن الروايات الانجليزية في هذه الفترة . قدم كل من توماس هاردي وجورج اليوت أحسن كتاباتهما بمعالجتهما الحياة الريفية ومشاهدها وشخصياتها . غير أن هاردي كان في الاصل شاعراً ، يكمن موضوعه الرئيسي في الحالات الشعورية التي تنعكس على خلفية مأخوذة من الطبيعة ، وتتزين هذه الخلفية بألوان تلك الحالات الشعورية .

كان احساس هاردي بوباء المدينة الحديثة الدخيل ، وبتخلي الله عن البشرية ، وباعراض الناس عن الطبيعة ، اموراً وجدت تعبيرها في رؤ يته للانسان على انه سجين مصيدة هي من نسج المصير المحتوم ، تلك الرؤ ية التي تتوضح في سائر اعماله ولا سيما في الملحمة المسرحية الشهيرة «الامراء» . ومع ذلك كان شديد الملاحظة حيال أي مظهر من مظاهر الطبيعة ، يصفه وصفاً خيالياً اميناً ومؤثراً ، وليس هناك من يضارعه في النثر الانكليزي ، من حيث وصفه السماء ليلاً او وصفه العاصفة في روايته «بعيداً عن الحشد الهائج» او رسمه لشخصية ايجدون(Egdon) حيث في روايته «عودة المحارب» ، أو وصفه الشتاء في منطقة فلينت كوم آش (Flintcomb Ash) والصباح الباكر في منطقة تالبوثيز(Talbothays) في روايته «تيس الدو برفيل»(Tess Of The Durberville) . ان مقدرة هاردي في قوة التأمل المركز طبعت شخصيته على كل عمل لمسته يداه ورفعته الى مصاف كبار روائيي أواخر القرن التاسع عشر . ولم تتأثر شهرته بمنافسة جورج ميريديث(George Meredith) المثقف الذكي ، وان كان هناك من متحد له فهو الكاتب هنري جيمس الذي لم

تظهر اعماله بشكل رئيسي إلا في القرن التالي . ان ميزات التركيز والاصالة بوأته أيضاً مركزاً رفيعاً في مصاف الشعراء ، ربما شاركه فيه جيرارد مانلي هوبكنز (Hopkins) ، ولكن لم يصله حتى آلجرنون تشارلز سوينبرن(Swinburn) الذي تبين فيما بعد أنه لم يقدم شيئاً ذا قيمة رغم انه اعتبر يوماً ما رائد شعراء الفترة وأثار حوله ضجة وصخباً بالغين .

النقاد :

يقف ماتيو آرنولد في طليعة نقاد العصر الفيكتوري . ولم يبلغ هذا المستوى الا ناقدان فقط هما لزلي ستيفن(Leslie Stephen) والتر بيتر(Pater) . اما النقاد الآخرون امثال والتر بيجهوت(Bagehott) ور . هـ . هاتون(Hutton) و و . أ . هنلي روبرت لوي ستيفنسون وجون أدينغتون سيموندز والسير ادموند جوس (Gosse) وآخرون غيرهم ، فدونهم منزلة في سلم الترتيب .

وفي كتابه «تاريخ الفكر الانكليزي في القرن الثامن عشر» ١٨٧٦ حقق الناقد ليزلي ستيفن(Leslie Stephen) مستوى جيداً من النجاح بوقت كان فيه من المجازفة مناقشة تاريخ الفكر ـ وعبر مقالات عديدة جمعت في كتابين احدهما بعنوان «دراسات كاتب تراجم» ، والثاني بعنوان «ساعات في المكتبة» ، وفي تراجم جمة في كتاب «قاموس التراجم القومية» ، أظهر دراية فائقة ، ومهارة في تصنيف الكتاب كلا حسب خلفيته التاريخية والاجتماعية والفكرية ، كما أظهر موهبة فذة في تمييز منطلقاتهم الاخلاقية. وكان ستيفن جديراً بالاهتمام بالنظر لأنه واحد من جماعة ضمت ت . هـ . هاكسلي و . ك . كليفورد وهنري سيد جويك . الذين لم يألوا جهداً في اضفاء شيء من الاحترام على مبدأ اللاأدرية .

كان والتر بيتر رائد علم الجمال الأول يختلف اختلافاً تاماً في تفكيره عن هؤلاء النقاد . كان مفهوم «التقويم» بالنسبة له أقل أهمية من مفهوم «التمتع والتقدير» . وسواء كتب عن ووردزوورث، أو تشارلزلام، أو السير توماس براون فهدفه هو سبرغور ميزاتهم الفريدة ثم استخلاص هذه الميزات، ومن ثم تقديمها «صافية جاهزة» . اضطلع بيتر بهذه المهمة على أحسن ما يرام ، الا ان النقد الذي

يعالج كل المواضيع بطريقة واحدة يصبح ثقيلاً مملاً . كان صاحب الفضل في اعطاء النقد مبادئه الثابتة وتوجيهه الوجهة السليمة الأديب ماثيو آرنولد ، وكانت أفضل الكتابات النقدية التي تلت تتخذ الأسس التي وضعها . ربط آرنولد بين حس الشاعر وفكره الثاقب من جهة ، وحماسه للوقوف على الاوضاع الفكرية والروحية للعالم الحديث من جهة ثانية . وعمل على رفع مستوى النقد الأدبي الانكليزي الذي تردى في مهاوي الاقليمية الضيقة ، وانطلق به يسير جنباً الى جنب مع الفكر الاوروبي المعاصر . وفي وقت بلوغ الرومانتيكية أوجها ، لفت آرنولد الانتباه الى كثير من عيوب الشعر الرومانتيكي ، ومنها حاجته الى الفكر السليم والمادة الشعرية والشكل الشعري ، وأشار بالمقابل الى حسنات الكلاسيكية من حيث رصانتها ومكانتها المرموقة وتكاملها . وهو يعتقد بأنه في حالة ظهور ديموقراطية جديدة خالية من الانضباط ، فان على الأدب آنذاك ان يقوم بدور أكثر أهمية من ذي قبل في الحفاظ على المستويات الاكثر تمدناً . ولذا عمل جاهداً بغية تقديم معايير يجري على أساسها التمييز بين الغث والثمين ، ويعطي آرنولد عدة تفسيرات للنقد ، ويتوسع فيها كي تشمل جميع مجالات الثقافة الواعية .

في كتابه «الثقافة والفوضى» ١٨٦٩ اقترح ان تكون الثقافة الليبرالية المتحررة العلاج الافضل والأمثل لغرور وضيق أفق جماعة اللامثقفين الفيليستينين (Philistines) أو الطبقة الوسطى غير المثقفة . وبالرغم من انطلاقته الفكرية هذه وجد في الدين أرفع مراتب الثقافة ، فقد شعر بأنه رغم اعتناق الناس المسيحية وعدم استطاعتهم الاستغناء عنها ، لا يمكنهم في الوقت نفسه تبنيها على الشكل الذي كانت عليه ، وانطلق يبحث عن مرتكز ثابت للدين ، من وجهة نظر التجربة الروحية ، وبسطها في كتب عديدة هي غاية في الأهمية ، منها «القديس بولس والبروتستانتية» ١٨٧٠ و«الادب والمعتقد» ١٨٧٣ و«الله والانجيل» ١٨٧٥ وأخيراً «آخر الابحاث في الدين والكنيسة» ١٨٧٧ . وتباينت الآراء حول القيمة الدائمة لهذه الكتب ، لكنها اتفقت على ان آرنولد كان مخلصاً في جهوده لارجاع الحياة والايمان الى المعتقد الديني ، بوقت كان مهدداً فيه بالجنوح نحو الفكر من جهة ، وبتقبله ببساطة كل الصيغ الدينية المبتذلة من جهة اخرى .

نهاية العصر الفيكتوري :

ظهرت في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر دلائل واضحة على أن الدوافع الاساسية التي سيرت القرن في ركابها كالرومانتيكية والانجيلية والحركة الانسانية ، والنزعة التفاؤلية قد فقدت قيمتها ، فغدا الشعراء محبين للجمال بدلاً من كونهم مشرعين للانسانية ، ورويداً رويداً انكفأ الروائيون على انفسهم عاكفين على مواضيعهم التي عالجوها . بدأت بوادر التقهقر عند اوسكار وايلد . وعلى يد صامويل باتلر انهارت عدة افكار اعتبرها العصر الفيكتوري مقدسة، منها البيت والعاطفة الابوية والكنيسة . كما ان اصداء الاستعمار ، اخذت تتردد في الصيحات التي اطلقها روديارد كيبلنج(Rudyard Kipling) ، وعلى يدي برنارد شو جرى التحول في الدراما من شكلها المعروف الى الدعاية والجدل . بقي القرن التاسع عشر يتثاقل في خطاه دونما اتزان ، حتى اندلعت الحرب العالمية الاولى وجرفت ما أتى بعده من آثار عصر الملك ادوارد ملك انكلترا .

الأدب الآنكلو ـ ايرلندي في القرن التاسع عشر .

شهدت فترة القرن التاسع عشر تبدلاً في الأدب الانكلو ايرلندي . وعرفت بعض المبادىء في المستعمرة الانكلو ايرلندية كالقومية والليبرالية والثورة ، وكانت الرومانتيكية قد بدأت تؤثر على الفنون . زد على ذلك أن حركة التمسك بالماضي بدأت باماطة اللثام عن تاريخ اللغة الغالية التي لم يطوها النسيان تماماً ، بدليل ان الكاتب الانكليزي سويفت قام بترجمة قصيدة عن الايرلندية . غير أن شارلوت بروك(Brook) وهي ابنة كاتب مسرحي وروائي كانت اول من قام بترجمات واسعة في هذا المجال . وهكذا ولدت القومية الايرلندية ، وأنتشرت تبعاً لذلك كتب لا حصر لها تتحدث عن ايرلندا .

الشعر : ولد الشعر الانكلو ـ ايرلندي على يد توماس مور(Moore) ، وهو شاعر متعدد النشاطات ، كان يقوم باداء الاغاني التي يؤلفها . وفي كتابه «أغان

ايرلندية» ١٨٠٨ حاول وضع حل لمشكلة وضع الكلمات الانكليزية المناسبة للفكر الشعري الايرلندي . وغالباً ما كانت تُطرح في سطور هذه الاغاني الحماسية مساوىء ايرلندا على ألسنة المغنين في الصالونات الانكليزية ، الامر الذي كان يدعم القضية الايرلندية. ونجد الى جانب أغانيه ان ملحمته الشرقية «لالا روك»(Lalla Rookh) التي ظهرت عام ١٨١٧ قد اكسبته الشهرة والثروة معاً وعلى ذلك أصبح مور بطلاً قومياً وتبوأ مكانة لم يرق اليها من قبل أي شاعر ايرلندي، رغم انه لم يجد من ضرورة للكتابة باللهجة المحلية، أو من حاجة لاستخدام أسلوب الشعر الشعبي، خدمة لتأكيد القومية الايرلندية. أما معاصره جورج دارلي(Darley) فكتب بأسلوب متقن يذكرنا بشعراء العصر الاليزابيثي او شعراء القرن السابع عشر . وفي عام ١٨٤٢ أصدرت جماعة وطنية أسمها (ايرلندا الفتاة) جريدة اسمتها «الأمة» ، تزعم هذه الجماعة توماس أوزبورن ديفيس(Thomas Osborne Davis) وهو كاتب فذ ونزيه وانضم لاسرة تحرير هذه الصحيفة عدد من الكتاب . كانت هنالك نشرة أخرى اسمها «مجلة جامعة دبلن» استمرت أربعين عاماً وربما كانت أحسن المجلات التي صدرت في ايرلندا . وأسهم في تحريرها معظم كتاب ايرلندا وأهمهم جيمس كليرنس مانجان(Mangan) وهو كاتب غير منتظم في كتاباته ، غزير الانتاج ، نظم في سائر فنون الشعر ، ويعتبر من حيث انتاجه الجيد أعظم شعراء ايرلندا . وكان شديد التأثر بالرومانتيكيين الألمان وأثر بدوره على الكاتب ادجار الان بو . ومن بين الشعراء البارزين السير صامويل فيرجسون(Sir Samuel Ferguson) الذي تناول مواضيع ايرلندية بطريقة بالغة الاصالة ، واستمد الهامه الى حد ما من النماذج الأدبية الغالية ومن الكاتب وليم آلينجهام(William Allingham) الذين نظم قصة شعرية طويلة ممتعة بعنوان «لورنس بلومفيلد في ايرلندا»(Laurence Bloomfield In Ireland) ١٨٦٤. واستقر في انكلترا وأصبح صديقاً للكاتب دانتي جابرييل روزيتي(Dante Gabriel Rossetti) وتبنى أسلوب كتابة ما قبل الحركة الرفائيلية التي أوجدت علاقة بينه وبين وليام بتلريتيس(William Butler Yeats) كما ربطت اسمه بفترة ما من الأدب الايرلندي .

النثر : نجد بين الروائيين تشارلز ماتيورن(Maturin) الذي كان لروايته «ميلموث التائه» تأثيرها الواسع في ارجاء اوروبا . ولعل الروائية ماريا

ايدجوورث(Maria Edgeworth) أكثر منه شهرة ، وقد خرجت بعدة روايات كان هدفها تثقيفياً . عرفت المؤلفة ايرلندا معرفة جيدة ، ووصفتها بعمق وبأسلوب فكه في روايتها «حصن راك رنت» ١٨٠٠ وكذلك في حكاية عنوانها «المتغيبون» ١٨١٢ . ولكونها ابنة اقطاعي ، كانت تؤمن جازمة بأن حل مشاكل ايرلندا يكمن في تحسين نظرة الاقطاعيين . وهناك ايضاً جوزيف شيريدان لوفانو(Le Fanu) ، وهو كاتب ناجح من طراز آخر. وبحكم كونه صاحب مجلة جامعة دبلن ومحررها في الستينات كتب عدة روايات وقصصا قصيرة يعالج معظمها الغموض والجريمة وما فوق الطبيعة . كما كان سيد قصص الاشباح في ايرلندا الى جانب كونه شاعراً اتصفت سائر أعماله بالنفحة الشعرية التي رفعت من قيمتها ، ولم تعد مجرد قصص للاثارة فقط .

الأدب الاسكتلندي باللغة الانكليزية :

كان ظهور النثر بالعامية من جديد ـ وبشكل رئيسي في مجالات الرواية والقصية ـ مظهراً مميزاً للقرن التاسع عشر في الأدب الاسكتلندي المكتوب باللغة الانكليزية . انقسم الكتاب الى فريقين : فريق استخدم اللغة الاسكتلندية في الحوار والانكليزية في السرد القصصي ومنهم السير والترسكوت وجيمس هوغ (Hogg) سوزان فيريير(Ferrier) وجورج ماكدونالد ومارجريت أوليفانت ووليم بليك وروبرت لويس ستيفنسون . وفريق آخر منهم جون جالت(Galt) وديفيد موير (Moir) ولويس جراسيك جيبون وهو من كتاب القرن العشرين ، استخدموا شكلاً من أشكال الاسكتلندية او الانكليزبة المطعمة بالاسكتلندية . وكان من مزايا اسلوب جالت في كتابه «حوليات الدير» في اخراج الكتاب على انه من وضع شخص يتحدث اللغة الاسكتلندية أن توصل الى تجانس في روح النص وقد وردت العبارات الاسكتلندية الصميمة مدهشة للغاية . أما سكوت فكان ـ من جهته ـ أوسع أفقاً ، نتيجة التباين بين اللغتين الانكليزية والاسكتلندية ، كما في روايته «الكف الاحمر» بالرغم من ان استخدامه الانكليزية في الكتابة واقتصاره في الحوار المتقن بالاسكتلندية على شخصيات ليست بذات أهمية ، كان يؤدي الى جعل اسلوبه مختلطاً ومتفاوتاً ولا يفي بالغرض .

تميزت المدرسة التي دعيت بمدرسة كليليارد للنثر الروائي(Killiard) بالوصف الحسي للحياة في اسكتلندا وباستخدام اللهجة الاسكتلندية. وظهرت هذه المدرسة في نهاية القرن التاسع عشر ، وكانت تضم يان ماك لارين(Maclaren) واسمه الحقيقي جون واتسون(Watson) ، و . ر . كروكيت والسير جيمس باريّ (Barrie) . تعرض جورج دوجلاس براون في كتابه «البيت ذو النوافذ الخضراء» بالنقد اللاذع للآراء العاطفية التي يبديها ماكلارين في «قرب شجيرة الورد البري الجميلة» ، والنفاق في اعطاء صورة مثالية لحياة القرية الموجود في كتاب باري «النافذة المزينة بالخيوط» . ولم تكن حكاية براون القاسية والعنيفة سوى ضربة مؤقتة موجهة لمدرسة كيليارد .

ومع أن كثيراً من الكتاب قد عالجوا هذه الفترة ، الا أن ما قدمته من شعر كان مخيباً للآمال ولم يبق مما يحمل بصمات التقاليد الاسكتلندية من روايات عالجت أمور ما فوق الطبيعة سوى اثنتين هما : «كلميني»(Kilmeny) للكاتب جيمس هوج ١٨١٣ ، و«ملحمة الساحرة» للكاتب بيل سكوت ١٨٧٥ . كما كانت هنالك بعض الاشعار الغنائية بالعامية للكاتب والتر سكوت وآلان كانينغجهام وجورج ماكدونالد. بيد أن الفترة التي تلت عهد الشاعر بورنز(Burns) شهدت انتشار الأشكال الشعرية المهترئة التي تتناول مواضيع التباكي والسخرية . كما ان الدواوين الشعرية التي أطلق عليها اسم «ويسل بنكي»(Whisle - Binkie) كانت أكثر الدواوين انتشاراً ، وهي تساوي في قيمتها شعر جماعة كيليارد ، وتتأتى شهرتها من أنها كانت معياراً لذوق الفترة الشعري . ومما تجدر اليه الاشارة شعر جيمس تومسون في ديوانه «مدينة الليل الرهيب» ١٨٧٤ ، وشعر الكسندر سميث في ديوان «جلاسكو» ، وجون ديفيد سون في ديوانه «المواثيق» ١٩٠١ ، وكلها كتبت بالانكليزية . وخلافاً لما هو عليه شعر جماعة كيليارد أظهرت هذه المجموعة تأثير العالم الحديث وما قدمه من أفكار .

الفصل الثاني

الادب السلت في القرن التاسع عشر

أدب ويلز (Welsh) .

الشعر : بدأت الأوزان الشعرية التقليدية بالزوال في القرن التاسع عشر . ومع ان كمية شعر في هذه الفترة كانت وفيرة، الا انه ركيك . وربما كان الشاعر ابين فارد(Eben Fard) آخر من ساهم مساهمة فعلية في أدب ويلز و يظهر أثر كتاب الترانيم الذين اشتهروا في القرن الثامن عشر في تطور الاغنية الشعرية . في الحقيقة نجد ان كل ما ظهر من شعر في القرن التاسع عشر يغاير أصله الديني . كما يظهر أثر الاغاني الانكليزية المعاصرة في أحد مؤلفات جون بلاكويل(Blackwell) بعنوان «آلون»(Alun) . وهو سيد الأغنية الشعرية العامية المعاصرة . يظهر الكثير من الاصالة في أعمال ييفان جلان جيريونيد(Ievan Glan Beirionyd) واسمه الحقيقي ايفان ايفانز الذي أسس مدرسة ايرايري(Eryri) الشعرية ، وقد استلهم ذلك من المناظر الطبيعية لمنطقة سنودونيا . تبعت الشعراء الغنائيين الاوائل جماعة أكثر بوهيمية منهم ضمت تالهاريان(Talhaiarn) واسمه الحقيقي جون جونز، ومايني دوج (Myny Dog) واسمه الحقيقي ريتشارد ديفنز وكيريوغ(Ceiriog) واسمه الحقيقي جون هيوز(Hughes) . يعتبر هذا الأخير أعظم ناظمي الشعر الغنائي في هذا القرن . ولم يبرع في القصيدة الطويلة سوى شاعر واحد فقط هو ايلوين(Islwyn) واسمه الحقيقي وليام توماس . أما كتابه «العاصفة» فسلسلة من التأملات في الحياة والفن .

النثر : كان القرن التاسع عشر اكثر الفترات خصباً بالنثر الويلزي رغم ان معظمه رديءٌ لأنه كان نتاج اشخاص لم يحصلوا الا على قدر يسير من الثقافةفي

لغتهم الاصلية وانقطع اتصالهم بماضيهم الأدبي . كما ان الجزء الاعظم من النثر أفسده الاسلوب الطنان الذي تبناه أتباع الكاتب وليم أووين بيو(Owen Pughe) الذي حاول استعادة التقاليد الادبية . ظهر مقدار ضخم من النشاطات النثرية من مجلات وكتب دينية وتراجم ومواعظ ورسائل وأعمال ضخمة مثل «الموسوعة» و«تاريخ البريتون والويلزيين» . أصبحت الكتابة السياسية جزءاً هاماً في أدب ويلز ، وأهم كاتبين سياسيين في هذا القرن هما صاموئيل روبرتس Samuel) Roberts) وغويليم هيريثوغ(Hiraethog) واسمه الحقيقي وليام ريز(Rees) . حاول لويس ادواردز(Lewis Eduards) الذي كان مؤسساً ومحرراً لاحدى المجلات ادخال مستويات أعلى من النقد الادبي الاوروبي . وهنالك بعض المحاولات الجديرة بالاهتمام في الكتابة المبدعة ، غير أن الروائي العظيم الوحيد هو دانيل أووين (Owen) الذي تصور اعماله التأثير البالغ للدين على المجتمع خلال هذه الفترة في ويلز .

أدب البريتون(Breton)

احياء أدب البريتون :

تجدد الاهتمام بلغة البريتون بوقت كانت فيه حكومة فرنسا المركزية تحاول فرض اللغة الفرنسية على منطقة بريتانيا والقضاء على اللغة المحلية ، كما دفع بهذا الاهتمام الى الامام نشر مجموعة شعرية شهيرة بعنوان «قصائد بطولية بريتونية» عام ١٨٣٩ . نظمت هذه المجموعة الشعرية في القرى على يد تيودور هيزارت دولافيل ماركيه(Marqué) الذي أعلن بأنها باقية على مر الزمن ، وتمثل جزءاً من التقاليد الشعبية البريتونية ، بالرغم من شك العلماء المتكلمين بالبريتانية . في منشئها .

بلغت الهجمات النقدية ضد هذا الكتاب ذروتها حوالي عام ١٨٧٠ حينما أوضح كل من ر . ف . لومن(Le Men) في الكتاب الذي اعاد طبعه بعنوان «كاثوليكون»(Catholicon) وفرانسوا ماري لوزيل(Luzel) في مقالة ظهرت عام ١٨٧٢ ، بأن كتاب «قصائد بطولية برتيونية» ينقسم الى أقسام ثلاثة :

١ ـ قصائد قديمة أعاد تنظيمها المحرر او آخرون ، وخاصة الاغاني العاطفية والملاحم .

٢ ـ قصائد حديثة نظمت بشكل تبدو وكأنها من العصور الوسطى .

٣ ـ قصائد منتحلة تدور حول شخصيات كشخصية الساحر ميرلين (Merlin) .

لكن رغم كل ذلك تبقى مجموعة «قصائد بطولية بريتونية» ذات أهمية كبرى ، لان القصائد التاريخية التي تضمها ، والتي تظهر الصراع التقليدي ضد الظلم ذات أثر يعتد به . ثم ان هذه المجموعة ايقظت الكتاب البريتون ، كما حثت الكاتب لوزيل(Luzel) نفسه على جمع الأغاني الشعبية الاصلية ، وعلى نشر «مجموعة ملاحم بريتانيا الجنوبية» ، وأخيراً ، وبالتعاون مع الكاتب آناتول لوبراز (Le Bras) ، نشر مجموعة بعنوان «اغان شعبية لجنوب بريتانيا» .

النثر : بالاضافة الى ما سبق ، قام لوزيل بجمع الحكايات الشعبية وقصص البطولة ، ونشر بعضها بلغة البريتون ، وبعضها الآخر ترجم الى الفرنسية . أما شريكه لوبراز الذي سبق ذكره فقد نشر قصصاً تدور حول الموت مثل قصته «مناظرات في الموت» ١٨٩٨ ، ونجد ان المواضيع الأدبية والتقليدية مختلطة في القصص بشكل يصعب تمييزها عن بعضها . وفي الوقت الذي لم يعتمد فيه الكتاب البريتون على قصص البطولة الشعبية في مادتهم الادبية كانوا يعمدون الى تحويل وقائع حياتهم الى قصص أدبية .

لم تكن معظم الأعمال الأدبية الدينية التي نشرت آنئذ تتصف بالاصالة . ورغم كل ما سلف فكثير من شعب البريتون الذين لم يقرؤوا اكثر من كتاب واحد بلغتهم الأم لا بد انهم قرأوا كتاب «حياة القديسين» . كان معظم كتاب المسرح منصرفين الى تدبيج المواعظ الاخلاقية والدينية ومنهم توسين لوجاريك(Toussaint Le Garrec) والاب ج . لوبايون(Le Bayon) الذي قام باحياء عدة مسرحيات من القرون الوسطى منها «صوت الدم» و«في سهول الفلاحين» و«في الطريق الى بيت لحم» .

الشعر : بقي البريتينيون طيلة قرنين تقريباً يعبرون عن مشاعرهم بقصائد كانت تنشر على شكل نشرات صنفت تحت عناوين معينة ، فهي اما «سونيو» (Soniou) ، وهي أغان تمجد الحب مع قصائد هجائية، وأغان للاطفال وأهازيج زواج ، او «جيرسيو»(Gwerisiou) وهي مجموعة تحوي ملاحم أو نشرات مطوية تصف آخر الاحداث في بريتانيا والاماكن الاخرى . ينتمي كتاب هذه المجموعات الى سائر فئات الشعب ممن لم يطلع الا القليل منهم على «مجموعة قصائد بريتونية» ، كما ان هذه القصائد كانت تنتقل من احتفال الى آخر . قام الكثير من الشعراء بنشر دواوينهم بعد ظهور «قصائد بطولية بريتونية» . ان أهم من ظهر في هذه الآونة ـ ولا شك ـ جان بيير كالوك(Calloch) الذي قتل في الحرب عام ١٩١٧ ، ونشرت قصائده عام ١٩٢١ بعنوان «الركوع» .

الفَصْل الثّالث

الأدَب الامريكي في القـرن التاسع عشر

أوائل القرن التاسع عشر :

بعد الثورة الامريكية ثم بعد حرب عام ١٨١٢ ، كان الكتاب متحمسين لتأسيس أدب قومي بكل معنى الكلمة. ونتيجة لهـذا الحماس نبـغ أربعـة من كبـار الكتاب ، وبادروا الى تطوير أدب النصف الأول من القرن وتحسينه ، وهـم وليام كولن برايانت(Cullen Bryant) وواشنطن ايرفنـج(Washington Irving) وجيمس فينمور كوبر(Cooper) وادجار آلان بو .

اشتهر «برايانت» من مواليد نيوانجلند وهو في سن الثالثة والعشرين بقصيدته «تأمـلات في الموت» عام ١٨١٧ . وهـي ـ شأنهـا شأن بعض قصائـده ـ متأثرة بشعراء القرن الثامن عشر الانجليز ، وبـ وورد زورث وغيره من الرومانتيكيين ، كما نظم أشعاراً غنائية تتغنى بالطبيعة وتمثل مناظر منطقة نيو انجلنـد تمثيلاً حياً . عمل براينـت زمنـاً طويلاً كمحـرر ليبـرالي مكافـح في جريدة «ايفننـج بوست» (Evening Post) لكنها شهرته انحسرت قليلاً بظهور شخص من منطقة نيويورك هو واشنطن ايرفنج .

أنضم ايرفنج ، وهو أصغر أفراد عائلة تاجر ناجح ، الى لفيف من الشباب الثائر في المدينة ، وقاموا باصدار نشرات باسم «سالماجوندي» (Salmagundi) عام ١٨٠٧ تناولت بالنقد مثالب المواطنين في حي مانهاتان . وتبع ذلك كتاب «تاريخ نيويورك» ١٨٠٩ تحت اسم مستعـار ديدريش نيكر بـوكر(Knickerbocker) وهـو تاريخ ساخر يتهكم من الحذلقة العلمية ، ويركز على بعض العائلات الهولنـدية العريقة . وواضح ان ايرفنج كان يترسم خطى الهجائيين من أرباب الكلاسيكية

الجديدة في انكلترا الذين أخذ عنهم الكتابة باسلوب براق ومهذب . وبعد تعرفه على السير والترسكوت واطلاعه على الأدب الالماني الخيالي أضاف بحثاً في الرومانتيكية الى مؤلفه «كتاب الصور» ١٨١٩ وكتاب «قاعة بريس بريدج» (Brace Bridge) ١٨٢٢ وكتب اعمالاً أخرى . وهكذا كان أول كاتب امريكي يفوز بثقة النقاد الانجليز واحترامهم .

ربما كان جيمس فينمور كوبر أوسع شهرة من ايرفنج وقد تأثر بوالتر سكوت في رواياته ، وخاصة برواية « ويفرلي » . استطاع كوبر انجاز أفضل أعماله في « حكايات جرابات الجلد » ١٨٢٣ ، وهي سلسلة نقع في خمسة أجزاء كتبت عن حياة واحد من رجال الحدود يدعى « ناتي بامبو » (Natty Bumppo) . هذا وان مهارته في نسج حوادث التاريخ بشكل تخرج عنها حبكة مبتكرة ، وبراعته في اتخاذ أبطال رواياته من مواطنين يعرفهم ، أعطته شهرة ليس في أمريكا وانكلترا فحسب ، وانما على صعيد القارة الأوروبية أيضاً .

ثم يأتي إدغار آلان بو الذي نشأ في الجنوب وعاش وعمل كاتباً ومحرراً في بالتمور (Baltimor) وفيلادلفيا وريتشموند ونيويورك . ويتجلى معظم عمله بمهارته التحليلية التي تبدت واضحة حينما كان يعمل محرراً ، إذ كان يستفتي ذوق الجمهور آناً بعد آن بشكل بلغ من الدقة حداً وصلت فيه أعداد المجلات التي كانت تطبع تحت اشرافه أرقاماً لم يسبق لها مثيل ، كما ظهرت طاقته في التحليل في مقالاته النقدية بحيث كان يعبر بوضوح عن وجهات نظرة ويطبقها تطبيقاً منطقياً ومعقولاً .

كانت قصص الرعب القوطية التي كتبها بو طبقاً لما اكتسبه في دراساته لأكثر المجلات شهرة في عصره ، ومن روائعها « انهيار منزل أشر » (Usher) و « قناع الموت القرمزي » و « برميل كاتسيلادو » ، وبعض القصص الأخرى التي أداها طبقاً لأسلوب نفسي مدروس دراسة جيدة . وكذلك كانت قصصه البوليسية مثل « جرائم شارع المشرحة » ١٨٤١ التي يعتبرها المؤرخون الأولى في بابها . وأصاب بو شهرة لا بأس بها كشاعر بقصيدته « الغراب » ١٨٤٥ . وربما كان لأعماله وخصوصاً كتاباته الانتقادية وقصائده الجيدة الصنعة أثر في فرنسا أكثر من أي مكان آخر ، إذ قام الشاعر الأديب شارل بودلير بترجمتها .

وهناك روائيان آخران قدما من الجنوب بلغا شهرة واسعة في أوائل القرن هما : جون بنلدلتون كينيدي (John Pendleton Kennedy) ووليم جلمور سيميز (Simms) ، كتب أولهما في « حظيرة السنونو » ١٨٣٢ بروح مفعمة بالتفاؤل والسرور بالحياة في المزارع الكبرى . وتكمن عظمة سيميز في كتابة الروايات التاريخية المشابهة لروايات سكوت وكوبير والتي عالجت تاريخ حدود أمريكا وتاريخ كارولانيا الجنوبية . وهو يظهر في أفضل مزاياه في قصته « يماسي »(Yemassee) ١٨٣٥ ، وبعض القصص الثورية الأخرى .

النهضة الأميركية :

أضفى الكتَّاب ، الذين ظهروا في ثلاثينات القرن واستمروا في نشاطهم حتى نهاية الحرب الأهلية ، روحاً جديدة على أعمالهم واتخذت منجزاتهم شكلاً آخر . فمنهم الكتّاب الساخرون ، والكلاسيكيون من منطقة نيو انجلند ، وهيرمان ميلفل (Melville) ، ووالت ويتمان (Walt Whitman) . وربما حدث ذلك بسبب تأثرهم بشكل أو بآخر بانتشار مفاهيم الديمقراطية التي انتصرت عام ١٨٢٩ إثر تسنم آندرو جاكسون منصب رئاسة جمهورية أمريكا . وهناك تفسير آخر يعزو ذلك الى تأكيد الرومانتيكية في كثير من آداب الفترة على المشاهد والشخصيات المحلية . ونجح هؤلاء الكتّاب في أمريكا لأنهم ضمنوا الكثير من معالم بلادهم وملامحها في صفحات كتبهم .

والأعمال الأدبية التي تتصف باللمسات الحية كانت بشكل خاص أعمال مجموعتين من الكتاب الساخرين الأمريكيين ممن ظهرت أعمالهم بين الأعوام ١٨٣٠ و١٨٦٧ . فقد رسمت احدى هاتين المجموعتين اليانكي ، للمنطقة الشرقية السفلى ، تلك الشخصيات التي كانت تجادل جدلاً مرتجلاً في تعليقها على المواقف السياسية والاجتماعية . وأهم كتاب هذه المجموعة سيبا سميث(Seba Smith) وجيمس راسل لوويل (Lowell) وبنجامين ب شيلابر (Shillaber) الذين استطاعوا عهد ذاك ان يفهموا بعمق منطقة نيو انجلند بشكل لم يجاره أحد قط . وفي المنطقة الجنوبية الغربية قام كتّاب برسم صور حية عن الناس الذين كانوا

يعيشون متاخمين للحدود المشتعلة بالحروب ومنهم ديفي كروكيت Davy) Crockett) ، أوغوسط بولدوين لونج ستريت (Auqustus Balduin Longstreet) ، جونسون ج. هوبر (Hooper) ، توماس بانجز ثورب (Thorpe) ، جوزيف ج. بولدوين (Joseph G. Baldwin) ، وجورج واشنطن هاريس (George Washington Harris) ، وكلهم أبرزوا ذلك الاهتمام بالرجل العادي الذي كان جزءاً لا يتجزأ من ديموقراطية الرئيس جاكسون .

مثقفو الطبقة العليا في نيو انجلند :

بالرغم من أن لويل(Lowell) كان لفترة ما واحداً من الكتاب الذين اتصفت سخريتهم بالعشوائية ، كان طيلة حياته الفكرية - بحكم منبته - عضواً برابطة « مثقفي الطبقة العليا » ذات الصلة الوثقى بجامعات هارفارد وكيمبريدج وماساشوستيس، إذ نجد كل من عمل مع هذه الرابطة من الكتّاب كان ارستقراطي المنشأ وكان بعضهم أساتذة جامعات ، ومنهم هنري وادزورث لونج فيلو(Long Fellow) وأوليفر وندل هولمز بالاضافة الى لوويل . واستقوا جميعهم من الثقافات الأجنبية ، فقد تبنى لونج فيلو الأساليب الأوروبية في السرد القصصي ، وفي النظم الشعري للقصائد القصصية التي تتناول تاريخ أمريكا ، كما نجحت بعض أشعاره الغنائية الأقل وعظاً في الجمع بشكل ناجح بين الأسلوب الفني والموضوع . أتى هولمز في شعر المناسبات ، وكذلك ما نشره في سلسلة « مائدة الإفطار » بمسحة من المرح للأدب المتزمت ، كما ضمن لويل الكثير مما يتعلق بموطنه في أشعاره بقصائد تصف طبيعة أمريكا . وتعطي اغانيه الانطباع عن مشاعر نبيلة وبخاصة « أغنية تمجيداً لجامعة هارفارد » .

أتباع الفلسفة المتعالية :

كانت قرية كونكورد القريبة من كمبريدج ، في مقاطعة ماساشوستس ، مقراً لزعماء جماعة أخرى في نيو انجلند لعبت دوراً هاماً . تمهد السبيل أمام هذه الجماعة بظهور مذهب ديني دعي (بالتوحيدية) الذي حل محل الكالفينية كعقيدة

دينية لعدد جمّ من سكان نيو انجلند في أوائل القرن التاسع عشر. وبدأ الكاتب رالف والدو ايمرسون (Emerson) أشهر فلاسفة جماعة كونكورد كداعية للتوحيدية ، غير أنه اكتشف ان هذا المذهب يحد من معتقداته الواسعة الأفق رغم الليبرالية التي اتصفت بها التوحيدية . وأصبح فيما بعد واحداً من أعلام الفلسفة المتعالية يؤمن كغيره من الأفلاطونيين القدامى والمحدثين بأن الادراك الذاتي الذي يسمو بالمنطق والخبرات هو السبيل لكشف أنصع الحقائق . تتأرجح المواضيع في برنامجه انتقالاً من أدنى الأشياء والأعمال اليومية الى تحليقات الخيال والمعتقدات الراسخة الملهمة . وتتصف أعماله بعمق التفكير وروعة التصوير الشعري لمعتقداته ، ومن هذه الأعمال : « مقالات » ١٨٤١ ، و « رجال نموذجيون » ١٨٥٠ و « سمات انكليزية » ١٨٥٦ . كما كانت أشعاره الغنائية غير المصقولة والمحملة بالأحاسيس والأفكار أقرب ما كتب في زمنه الى شعر القرن السابع عشر الصوفي . وهنالك زميل لأمرسون ذو شخصية تهكمية لاذعة ينفرد تفكيره بنهج خاص ، وهو هنري ديفيد ثورو (Thoreau) الذي كان عاملاً ومساحاً وعالم طبيعة في وقت من الأوقات ، وهو في أسلوبه العلمي غير المصقول أقرب في أعماله من أمرسون نفسه ، كما كان أدنى منه الى التهكم والسخرية . فهو معلق له صفات اليانكي (الشمالي) شديد الحماس للتعابير والجمل المتناقة . وانتهى به الأمر أن أصبح رجلاً عميق الثقافة ذا كتب واسعة الانتشار عن أدب الغرب الأمريكي الكلاسيكي ، وكتب أخرى عن شرق أمريكا . ونتيجة لهذه الميزات اشتهر بعملين من أعماله الأدبية هما « أسبوع على ضفاف نهري كونكورد وميريماك » و « والدن » (Walden) ١٨٥٤ . وهذا الكتاب الأخير سجل لخبراته وجولاته في الفترة التي عاش فيها في كوخ بجانب جسر والدن ، كما هي كذلك دفاع عن اعتقاده بأن على انسان العصر الحديث ـ إذا دعا الأمر ـ ان يبسط حاجاته بغية امتصاص رحيق الحياة .

ويعرض ثورو في مقالته « العصيان المدني » (Civil Disobedience) ١٨٤٩ وجهات نظره الفوضوية حول مفهوم السلطة ، مؤكداً أنه في حالة جنوح السلطة « فالظلم يستتبع ظلماً من نوع آخر وإذن يتوجب خرق القوانين وجعل الحياة في

حالة مواجهة لكبح آلة الظلم ومنعها من المضي في سيرها » ويقترن بهاتين الشخصيتين الهامتين عدد من حاملي لواء الفلسفة المتعالية أدنى مرتبة مثل برونسون آلكوت (Bronson Alcot) جورج ريبلي (George Riply) أوريستس براونس (Orestes Brownson) . أما فوللر فقد عملت في تحرير أهم مجلة للفلاسفة المتعالين « دايال » (Dial) كما لعبت دوراً هاماً في الحركة النسائية .

المصلحون والمؤرخون في نيو انجلند :

كانت ثورات ١٨٤٨ بطبيعة الحال نتيجة شملت العالم ، هدفها إحداث تغيير شامل، وقد أثارت انتباه جمهور واسع من الأمريكيين. وكانت بوادر الاصلاح تلوح في الأفق وخصوصاً في نيو انجلند ، وشارك كثيرون في الاصلاح حتى الفلاسفة المثاليون وأدباء الطبقة العليا ، إذ نجد لويد جاريسون William Loyd) Garrison) الزاهد المتعبد والمتزمت عصب الكفاح ضد العبودية . كانت جريدته الأسبوعية « المحرر » على قلة رواجها العنصر الفعال لهذا الكفاح ، وكان في عداد المساهمين في تحريرها جون جرين ليف وتيير (Whittier) وهو واحد من اعظم الكتّاب المرتبطين بحركة الإصلاح . فقصائده البسيطة المعبرة التي تدعم قضية تحرير العبيد جمعت في دواوين مثل « قصائد نظمت أثناء تفاقم مشكلة تحرير العبيد » ١٨٣٧ و« أصوات الحرية » ١٨٤٦ و « أغانٍ للعمل وقصائد أخرى » ١٨٥٠ . ومن حيث التأثير فإن هارييت بيتشرستو(Harriet Beecherstowe) تعدّ في طليعة روائيي حركة الإصلاح ، إذ جمعت روايتها « كوخ العم توم » ١٨٥٢ بين روح النكتة المعاصرة ، والقصة العاطفية ، بهدف زيادة التأثير في قضية الزنوج .

وهنالك جماعة أخرى من الكتّاب ـ تضم روائياً عظيماً ـ ممن ساهموا في أدب نيو انجلند أثناء فترته الذهبية ، ضمت عدداً من المؤرخين الذين مزجوا بين الأساليب الثقافية التي تعلموها في الخارج ، وبين السرد القصصي المأساوي المفعم بالحيوية ، ومنهم جورج بانكروفت مؤلف « تاريخ الولايات المتحدة » ، الذي أخرج في اثني عشر جزءاً عام ١٨٨٢ ، وجون لوثروب موتلي (Motley) الذي تعقب تاريخ الجمهورية الهولندية وهولندا المتحدة في تسعة أجزاء رشيقة أتمها عام

١٨٧٤ . ومن قياديي هذه الجماعة فرانسيس باركمان الذي كتب سلسلة من المؤلفات بين الأعوام ١٨٥١ و١٨٩٢ كمؤرخ للتناحر الشرس بين فرنسا وانكلترا ، ذلك التناحر الذي قرب الحدود الأمريكية من بعضها بعضاً ، كما سجل رحلاته الخاصة الى الغرب الأمريكي في قصته « درب أوريغون » (The Oregon Trail) .

هوثورن ، ميلفل ، ويتمان :

كان التاريخ كذلك من المواضيع التي جرى تصويرها في حكايات وقصص الأديب ناتانيل هوثورن (Nathaniel Hawthorne) أبرز كتاب القصة القصيرة ممن ظهروا في نيو انجلند في ذلك الوقت . وضعت أحداث الكثير من قصصه وأعماله الطويلة ضمن خلفية المستعمرات الأمريكية الثلاث عشرة مؤكداً على البعد الزمني الذي يفصلها عن منطقة نيو انجلند في القرن التاسع عشر . ومن أشهر روائع قصصه « الحرف القرمزي » ١٨٥٠ ، وكذلك « المنزل ذو السقوف السبعة » ١٨٥١ التي تبحث في الماضي والحاضر . ومن القصص الأخرى التي جرت أحداثها في بلاد نائية قصة « إله الحقل الرخامي » ١٨٦٠ . وأظهرت هذه القصص - على بعدها مما عبر عنه هوثورن نفسه « بضوء النهار العادي» . تبصراً عميقاً بالتحليل النفسي ، كما عالجت المشاكل الجمالية المعقدة .

هنالك كاتب شهير آخر هو هرمان ميلفيل الذي كان - في وقت من الأوقات - جاراً وصديقاً للكاتب هوثورن ، اتخذ ميلفيل البحر محوراً لعمله بعد تحصيله البسيط في المدرسة ، وسفينة صيد الحيتان على حد تعبيره « كانت كلية ييل التي تعلم بها ، وجامعة هارفارد التي أكمل فيها تعليمه » . أول الكتب التي خرج بها للقارىء كانت قصصاً خيالية ،. . تبدو لواقعيتها كما لو كانت كتابة حقيقية عن تجاربه كبحار ، ومنها : « تايبي » (Typee) و « أومو » (Omoo) ١٨٤٧ ، كما كانت أعماله فيما بعد مثل « ردبورن » (Redburn) ١٨٤٩ و « السترة البيضاء » ١٨٥٠ . وبين عامي ١٨٤٦ و١٨٥١ استفاد من اكبابه على قراءة الفلسفة والآداب الكلاسيكية ، ومن اطلاعه على كتابات هوثورن المجازية والرمزية . وتركزت هذه الفائدة في تحويل اهتماماته وتطلعاته ، واتخاذها وجهة جديدة . كانت أول نتائج هذه

الاهتمامات الجديدة رواية « ماردي » ١٨٤٩ ، وهو كتاب متعدد المواضيع ، متفكك الأفكار ، ويعتبر من كتبه المرحلية ، قلد فيه الفرنسي رابليه في استعماله المجازات الأدبية ، وفي تعليقاته على الأفكار الشائعة عهد ذاك كالسياسة والمؤسسات والأدب والدين والأمم . أما أساليبه الجديدة التي تبناها ، فقد أثمرت في رواية « موبي ديك أو الحوت الأبيض » ١٨٥١ ، وهي غنية بالرموز ، وتدل على ذكاء حاد في ترابطها وتكاملها وان كانت على جانب من التعقيد .

وفي قصصه القصيرة مثل «بينوتو كيرينو» ، وهي الأولى من نوعها ، وفي أعمال أخرى مثل روايته التي تعتمد التحليل النفسي بعنوان « بيير »(Pierre) ١٨٥٢ وفي الرواية القصيرة « بيلي باد » (Billy Buod) نستطيع تلمس ومضات عبقريته التي خرجت برواية « موبي ديك » (Moby Dick) .

من الذين تغنوا بمنطقة مانهاتن وامتدحوها نجد والت ويتمان Walt) (Whitman الذي لم ينعم النظر في الجانب المظلم من الحياة كما فعل ميلفيل . كان ويتمان يؤمن بديموقراطية الرئيس جاكسون التي تأنس في الانسان العادي قمة أهدافها . وبوحي من مفهوم الرومانتيكيين عن رسالة الشاعر وبدافع من تأثره بفلسفة ايمرسون المتعالية نشر عام ١٨٥٥ أول طبعة من كتابه « أوراق العشب » . وعلى مرّ الزمن خرجت تسع طبعات من هذا الكتاب مزيدة ومنقحة . في هذه السيرة الذاتية المكتوبة شعراً أراد ويتمان أن يعرض أفكار الرجل العادي ومعتقداته ومشاعره وخبراته في حقبة حاسمة من فترات النزعة الفردية الأمريكية . واجه ويتمان صعوبات كثيرة في اكتساب الأنصار ، لأنه كان صريحاً غير ملتزم بطريقة تفكير أصحاب المدرسة المتعالية . ولأنه استخدم الشعر الحر بدلاً من الشعر العمودي المقفى ، وأخيراً لأن قصائده لم تكن مرتبة ترتيباً تقليدياً . لكن رغم ذلك حاز ثقة النقاد ، وبلغ في وقت من الأوقات، ، المنزلة التي اعتبر فيها واحداً من أعظم شعراء أمريكا .

الفترة بين الحرب الأهلية وحرب ١٩١٤ :

كانت الحرب الأهلية نقطة تحول في تاريخ الولايات المتحدة، ومنطلقاً الى سبل جديدة في الحياة ، شأنها شأن الثورة الأمريكية وانتخاب « آندرو جاكسون »

رئيساً للبلاد . فقد ازدادت أهمية الصناعة ، وانشئت المعامل ونمت المدن ، بينما تراجع الاهتمام بالزراعة وفقدت سيطرتها . أما الحدود التي كانت على الدوام عاملاً هاماً في الخطة الاقتصادية فقد امتدت نحو الغرب ، ثم ما لبثت ان تلاشت نهائياً قبيل القرن التاسع عشر . وبالطبع رافق ظهور أمريكا الحديثة تبدلات هامة في الأدب .

كتّاب الأدب الهزلي :

كانت هنالك جماعة من الكتّاب الهزليين بلغوا الشهرة بأساليب تغاير كل المغايرة نهج من سبقهم من كتّاب الرعيل القديم ، رغم ما استمروا عليه من استخدام للأساليب السالفة في الأدب الهزلي ، وفي عدادهم تشارلز فارار براون (Charles Farrar Browne) وديفيد روس لوك (David Roolocke) وتشارلز هنري سميث (Charles Henry Smith) وهنري ويلرشو (Henry Wheeler Show) وادجار ويلسون ناي (Edgar Wilson Nye) وآرتيموس وورد (Artemus Ward) وبتروليوم ف. نازبي (Petroleum V. Nasby) وبيل آرب (Bill Arp) وجوش بيلنجز (Josh Billings) وبيل ناي (Bill Nye) .

ونظراً لأن هؤلاء الكتّاب كانوا يخاطبون جمهوراً متحمساً لقوميته ، فقد أهملوا رسم الشخصيات الاقليمية التي تبناها من سبقهم من الأدباء الهزليين ، وتبنوا دور الكتّاب الهزليين الأقل فردية . وبذا تحولت طبيعة الكتابة الهزلية من رسم للشخصيات الى أفانين لفظية كانت تؤدي الى الأخطاء اللغوية ، والنطق وانتشار العامية ، فضلاً عن الكلمات التي تعامل خطأ على انها لاتينية واللفتات المغرقة بالتعمق العلمي الفارغ . وباختصار كان كل ما كتبوه سيئاً ، غير أن ألوف المواطنين الأمريكيين وجدوا فيهم ـ سواء في ذلك الوقت أو مابعده ـ ملاذاً للتسلية .

القصة والكتّاب الاقليميون :

أعطى الكتّاب الاقليميون في القصة ـ وكان يتوقع نجاحهم ـ أنفسهم مهمة رسم شخصيات اقليمية ، الأمر الذي لم يتقيد به كتّاب الأدب الساخر الجدد بل

تخلوا عنه كلية . ونجد واحداً من أوائل هؤلاء الكتَّاب الذين أصابوا نجاحاً واسعاً ، بريت هارت(Harte) الذي ينكر أنه مدين بأي شيء لكتَّاب ما قبل الحرب الهزليين الاقليميين . ولا يقتصر هذا الأمر على هارت وإنما عبر عنه آخرون بدورهم ، فأظهروا فيما كتبوه التطابق مع أساليب من سبقهم . وفي فترة قصيرة أخذ انتاجهم بالظهور، ومنه رواية هنرييت بيتشرستو «أهالي المدينة العتيقة» ١٨٦٩ ، وروايتها « قصص سام لوسون » ١٨٧١ وتعتبر تلك الروايات نقوشاً حلوة عن منطقة نيو انجلند . وتحكي رواية « ضجيج في المخيم وقصص أخرى » لمؤلفها بريت هارت الحكايات المسلية والفكهة عن حياة المخيمات في كاليفورنيا . ثم هناك ادوارد ايجلستون في رواية « مدير المدرسة » ١٨٧١ وتروي طرائف الأيام الأولى للاستيطان في مقاطعة انديانا . وترى القصص ولحد ما بعض الروايات التي سار مؤلفوها بركب هؤلاء الكتَّاب الثلاثة حتى مطلع القرن العشرين . وجاءت حقبة صورت فيها سائر مناطق البلاد في قصص لها لونها المحلي . وهناك لون آخر من الكتابات مثل وصف جورج و. كيبل (Cable) لزنوج لويزيانا ، وحديث توماس نيلسون بيج (Page) عن زنوج فرجينيا ، وعن زنوج جورجيا للكاتب جوويل تشاندلر هاريس (Joel Chanddler Harris) ، وعن سكان الجبال للكاتبة ميري نويلز مارفري (Mary Noailles Murfree) واسمها المستعار (تشالز ايجبرت كرادوك (Charles Egbert Craddock) ، وعن شعب نيو انجلند المتكتم للكاتبة سارة اورن جوويت (Jewett) وميري ا. ويلكنز فريمان ، وعن شعب مدينة نيويورك للكاتب هنري كايلر بانر (Bunner) ووليم سيدني بورتر الذي عرف باسم (او. هنري) . وكان الهدف المعلن لهؤلاء الكتَّاب الاحاطة بحياة مختلف الأقاليم وتصويرها تصويراً حياً ، وبذا أسهموا بزيادة التفاهم في أمة متحدة ولم تكُ تلك القصص واقعية الا من زاوية ضيقة ، نظراً لحنين الكتَّاب لاستلهام الماضي بدلاً من الاهتمام بتصوير الزمن الذي يعيشون فيه ، ولبحثهم عن مظاهر الحياة الأقل سحراً ، واخيراً بسبب عدم تطويرهم بإدخال عنصري الفكاهة والعاطفة . ومع انهم تأثروا بتقاليد القصص جاءت اعمالهم الروائية مرحلية ممهدة السبيل للواقعية ، لأنهم قاموا فعلاً بتصوير عامة الناس تصويراً فيه الكثير من التعاطف كما

شغلوا أنفسهم باللهجات والعـادات المحلية ، والبعض منهـم على الأقـل تجنـب القوالب الرومانتيكية العاطفية القديمة .

أما صامويل لانجهورن كليمنز (Samuel Langhorne Clemens) الذي عرف باسم مارك توين (Mark Twain) فانضوى تحت لواء كتَّاب الفكاهة الأدبية والأدب المحلي . وبحكم عمله كعامل متمرن في الطباعة عرف كتَّاب الفكاهة الاقليميين لفترة ما قبـل الحـرب ، وكان نداً لهـم . وارتقـى سلـم الشهـرة بوقـت كان فيه الكاتبان : آرتيمـوس وورد (Artemus Wardd) وبـريت هارت(Breat Harte) وأتباعهما يحظون بشعبية منقطعة النظير ، وكانت باكورة كتبه ، شأنهـا شأن كتبـه المتأخرة ، لا تعدو كتب اسفار كان ولاؤه فيهـا واضحـاً لكتَّـاب ما قبـل الحـرب الفكاهيين المتمرسين ، ومن مؤلفاته : « الأبرياء خارج البلاد » ١٨٦٩ و « الحياة الخشنة » ١٨٧٢ . أما رواياته ـ « مغامرات توم سوير » ١٨٧٦ و « الحياة على نهر المسيسيبي » ١٨٨٣ و « مغامرات هاكليري فين »(Finn) ١٨٨٤ ، تعتبر الأخيرة أجود أعماله لأنها أعادت صورة الحياة في وادي المسيسيبي ـ ، فتبدو أكثر التصاقـاً بأعمال من سبقه من كتَّاب الفكاهة والتلوين الأدبي المحلي . ونجده حتى في أحسن اعماله لا يقاوم إغراء القيام بدور المهرج والغوص في لُجَّة الاسفاف . لكن رغم كل ما أخذ عليه كان واحداً من اعظم كتَّاب أمريكا وأمرحهم فاق متى بمهارته اساتذته في اخر التفاصيل المثيرة ، بله حنكته في رسم الشخصيات .

كان وليم دين هاولز (Howells) ، الذي ولد وترعرع في أوهايو ، يدعو في كتابة القصة الى تبني اسلوب واقعي جديد ، ويتلخص مفهومه في البداية بتصوير واقعي لأوجه الحياة العـادية مع بعض التحفظـات، لأنـه كان يفضـل الملهـاة على المأساة، كما كان متكتاً حيال مسألة الاحتشام . وبرزت صيغته الأدبية بأبهى حللها في رواية « رحلة زواجهـم » ١٨٧٢ و « حادثـة عصرية » ١٨٨٢ و « سـايلاس لابام » ١٨٨٥ . وقد آثر من رواياته تلك التي سبقها اطلاع على أدب تولستوي، وبعد اقتناعه به « بغية وضع الفن على الدوام دون الانسانية » ، كما يقول . وفي روايات كتبها فيما بعد مثل « آني كيلبورن » ١٨٨٨ و « خطر الثروات الحديثة » ١٨٩٠ لم يختر شخصياته لمجرد انها مألوفة وعادية، وإنما لاتساع مجال الحديث عن المجتمع والسلطة والاقتصاد في القصص التي تدور حولها .

أصحاب المذهب الطبيعي :

وفي نهاية القرن التاسع عشر أتجه كتاب امريكيون آخرون وجهة المذهب الطبيعي الذي يعتبر مرحلة أكثر تطوراً من مراحل الواقعية . تغطي اعمال هاملن جارلاند بعض أوجه هذا التطور بما كتب من قصص قصيرة وروايات استعملها كوسيلة للوعظ اجتماعياً وسياسياً فكان بذلك اكثر صراحة من هاولز بما ركز من اضواء على التفاصيل الاكثر ايلاماً في كفاح المزارع ، وفي معالجته مشكلة الجنس . وتبرز مواهبه الخاصة في كتاب «الدروب المطروقة» ١٨٩١ ، «وردة داتشر كولي» ١٨٩٥ . وتشكل هذه الاعمال بالاضافة الى ما كتب في النقد الادبي حول القصة الجديدة تحت عنوان «الاصنام المحطمة» ١٨٩٤ اسهاماً واسعاً بالحركة التي أخذت سمت التطور .

وكان كتاب آخرون في الولايات المتحدة في الفترة نفسها وربما بعدها من غلاة اتباع المذهب الطبيعي الفرنسي بزعامة اميل زولا(Emil Zola) . على سبيل المثال نجد تيودور داريزر(Theodore Dreiser) يعالج مواضيع كانت تبدو غاية في الجرأة بالنسبة لاتباع الواقعية الأوائل ، ويوضح معتقداته الخاصة كأي ملتزم بالمذهب الطبيعي ، وذلك برسمه الشخصيات وميله الى حل العقدة القصصية . ونظراً لايمانه بان «أعمال الناس ليست مجموعة من الحتميات منبعها التفاعلات الكيميائية» فقد أظهر شخصياته عاجزين عن تولي شؤ ونهم بأنفسهم ، ولايمانه كذلك بأنه «لا يفوز بقصب السبق الا العداء السريع ، وأن الغلبة في النهاية للاقوى» فقد أظهر شخصياته مهزومين امام خصوم اقوى وأمضى . وأفضل كتبه رواياته التالية : «كاري»(Carrie) ١٩٠٠ ، و«جيني جير هارت»(Jennie Gerhardt) ١٩١١ و«الممول»(Financier) ١٩١٢ ،و «العملاق» (Titan) ١٩١٤ و «مأساة امريكية» ١٩٢٥ .

يقف الكاتب حيال احتمالين اثنين : أما أنه لم يحمل نفسه المشقة في الاتيان باسلوب للرمزية متقن الصنعة والزخرف كذاك الذي نجده في أعمال الطبيعيين الفرنسيين ، أو انه لم يول عمله كبير اهتمام : واذا كان في الأمر اهمال ، فليست

الحال كذلك بالنسبة لـ ستيفن كرين(Crane) وفرانـك نوريس اللـذين أكبـا على عملهما جهد طاقتهما . فـ كرين انطباعي النزعة في قصصه القصـيرة حينما يهيء التفاصيل ويطلقها لكي تجسد مفهوم الانسان المقهور بحكم الظروف والبيئة . وقد أعجب فرانك نوريس بقدرته على ابتكار التعابير الموجزة التي تعمل عمل القبس في اعطائـه وميضـاً آنياً ينـير كل أوجـه الحياة ولـذا حاول أن يحـذو حذوه في استنباط مثل هذه التعابير والمشاهد ، ونجد كل رواياته تعكس هذا الوميض ، كما في «ماك تيج»(Macteagus) ١٨٩٩ ، و«الاخطبوط» ١٩٠١ و«الحفـرة» ١٩٠٣ . مات كلا الكاتبين كرين ونوريس في ميعة الصبا ، اما أعمالهما فقد بزت كل انتاج القرن العشرين مما كتب في حقل الرواية فيما بعد ، رغم افتقارها للنضج .

هنري جيمس :

بظهور مؤلفات هنري جيمس(Henry James) الذي ولد في نيويورك وعاش منفياً في انكلترا اتخذت القصـة منحى جديداً لهـا ، وهـو لم يختلف بالـرأي عن الواقعيين والطبيعيين في عصره بأن على القصة ان تخلـق الواقـع . لكنـه عبـر عن مفهومه للواقع بتفسيرين اثنين ، أولهما ، ان الواقع ينبع عبر معالجة الكاتب اياه ، وثانيهما ان الواقع يأتي من وصف الكاتـب اياه وصفـاً فريداً متميزاً . وعلى ذلك فالتبصر العميق ، والتجربة المتكاملة ، لا يعادلان أهمية المهمة الحساسة الملقاة على عاتف الفنان . ويظهر كتابه «فن القصـة» ١٨٨٤ ، وهـو مجموعـة مقـالات عن الروائيين الذي يحوي مقدمات نفيسة لاعماله بانه يعالج مشاكل فنه علاجـاً أمينـاً وواعياً . ويشكل كل من الكتاب والمقدمات منطلقـاً هامـاً للبحـث في فن كتابـة القصة .

وككاتب قصة قصيرة من الطراز الاول تتأتى أهمية «هنري جيمس» أول ما تتأتى من رواياته التي جسد فيها مبادئه تجسيداً حياً . وفي طليعتهـا «الامـريكي» (The American) ١٨٧٧ ، «صورة سيدة»(The Portrait of a lady) ١٨٨١ «مدللو بوينتون»(The Spoils Of Poynton) ١٨٧٩ «كل ما تعرفـه ميزي»(What Maisie Knew) ١٨٩٧ «أجنحة الحمامة»(The Wings Of The Dove) ١٩٠٢ ، «السفراء» (The Ambassadors) ١٩٠٣ و«الوعاء الذهبـي»(The Golden Bowl) ١٩٠٤

واتسمت أولى هذه الروايات بالعالمية ، لما بسطه فيها من صراع بسبب العلاقات الاوروبية الامريكية وابراز شخصيةومعنويات كل من الفريقين . وبمرور الايام تزايد اهتمام هنري جيمس بالتقلبات النفسية لشخصياته ، كما أهتم بترجمة ما يعتلج في نفوسهم ، وما يدور في خواطرهم ، وتصوير مشاعرهم .

نقاد العصر الذهبي :

ساهم كثير من الكتاب ، من الذين يتباينون بمذاهبهم الادبية ، في خلق تراث أدبي ازدهر وأثمر في الفترة ما بين الحرب الاهلية وحرب ١٩١٤ ، وعرف باسم أدب الثورة الاجتماعية . وأنبرت الروايات تهاجم نفوذ التجارة الذي بدأ بالتعاظم يوماً عن يوم ، كما استهدفت فساد السلطة الذي استشرى بدوره . ونجد بعض الكتاب يرسمون في خيالهم شكلاً من أشكال المدينة الفاضلة . فـ هنري آدامز يصور في روايته «الديموقراطية» ١٨٨٠ الفساد السياسي والعجز . اما رواية ادوارد بيلامي(Edward Bellamy) وعنوانها «التطلع الى الوراء» ١٨٨٨ فهي إدانة للنظام الرأسمالي وفي الوقت ذاته تصوير خيالي لمدينة فاضلة يدرج عليها مجتمع تعاوني ، يتم تحقيقها عام/ ٢٠٠٠/ . ويدعو هاولز(Howells) في روايته «مسافر قادم من آلترووريا» ١٨٩٤ إلى نوع من التوازن تقوم فيه الدولة بتنظيم حياة الناس . شهد عام/ ١٩٠٦/ نشر رواية «الغابة» للأديب آبتون سنكلير(Upton Sinclair) ، وهي أول عمل أدبي من أعماله الكثيرة وينتقد فيه الاقتصاد الأمريكي، وطراز الحياة في الولايات المتحدة، كما يدعو الى تبني المبدأ الاشتراكي علاجاً لهذه المشاكل .

وهنالك شاعران نجحا في تجسيد نقدهما في أغان شعرية أولهما ادوين ماركهام في قصيدته «حامل المجرفة» ١٨٩٩ ، وفيها رفع عقيرته بالاحتجاج ضد ابتزاز العمال ، كما لوح بالثورة تلويحاً خفياً ، وسرعان ما أثارت اهتمام العالم . وبعد عام واحد ظهرت قصيدة بعنوان «أغنية في حالة تردد» للشاعر وليم فون مودي (Moody) ، وفيها يستنكر اتساع الاستعمار الامريكي ويعتبره خروجاً على ما وضع من مبادىء ، وظهرت قصيدته الثانية «الى جندي سقط في الفيليبين» ١٩٠١ ، وفيها

يعالج الموضوع نفسه انما بزخم اعنف . وبظهور المجلات الدورية اشتهرت جماعة من الصحفيين كنقاد من الدرجة الاولى في امريكا ، وأطلق عليهم الرئيس روزفلت لقب «مثيري الفضائح» . ويعتبر كتاب «تاريخ شركة ستاندارد للبترول» ١٩٠٤ للكاتبة بَدا م . تاربل(Tarbell) وكذلك كتاب «عار المدن» للكاتب لنكولن ستيفن (Steffen) مساهمة فعالة لعضوين من طائفة كبيرة رفعت راية الحرب الصحفية .

هنري آدامز :

إن أشد الهجمات ضد الحياة العصرية تدميراً واكثرها ثقافة يتمثل بهجوم احد افراد عائلة (آدامز) ، وهو هنري في «سيرته الذاتية» ، وكان سليل أسرة عريقة من أسر نيوانجلند . أصبح هنري آدامز استاذاً كبيراً ومؤرخاً بعد حصوله على ثقافته في جامعة (هارفارد) وفي الخارج . من كتبه «تاريخ الولايات المتحدة» «وجبل سان ميشيل»(Mont - Saint - Michel) «وثقافة هنري آدامز»(The Education Of Henry Adams) ـ ويتذمر فيها بجرأة مؤكداً فكرته القائلة : ان بحث الانسان الابدي وراء نوع من النظام في العالم ، أو بغية تزويده بشيء من الايمان ، جعله يلهث خائباً دونما طائل . وكان للأسلوب الهادىء والمثقف الذي خرج به كتابه الاخير أكبر الاثر في التأكيد على ما يريد هذا الانسان الشاعر المتشائم ان يقوله في رسالته الى الانسانية .

الشعر : كانت نهاية القرن التاسع عشر والسنوات الاولى للقرن العشرين فترات عجاماً بالنسبة للشعر الامريكي ، ورغم ذلك وبالاضافة الى الشاعر ويليم فون مودي(William Vaughn Moody) قام شاعران كبيران بنظم أغان دامت طويلاً بعد أن طوى النسيان كثيراً من الشعراء الادنى درجة ، احدهما سيدني لانير (Lanier) الجنوبي المولد وهو موسيقي موهوب استخدم الايقاع الموسيقي والافكار الرئيسية لموضوعات السيمفونيات ، وسبكها في أغان حلوة مثل «القمح» و«السيمفونية» و«مستنقعات جلين» . وشأنه شأن الكثير من معاصريه ، وبدافع من خيبة الامل التي ألمت به نتيجة التبدلات في الحياة الامريكية ، ترجم شكوكه ومخاوفه ومقترحاته في أحلى قصائده وأغناها .

وثـانيهما شاعـرة تدعـى ايميلي ديكنســـون (Emily Dickinson) من منطقــة نيو انجلند، وقد جمعت في شخصيتها بين الخجل والمرح والغرابة ، ولم تسمح بنشر أي من دواوينها وهي في قيد الحياة . لم يظهر ديوانها الأول الا عام ١٨٩٠ ، أي بعد انقضاء أربع سنوات على وفاتها ، لتتبعه ـ وعلى فترات ـ مجموعاتها الاخرى . وكشفت الأيام فيما بعد انها تركت أثرها على من جاء بعدها من الشعراء وبخاصـة بأسلوبها المتميز لغوياً في الزمن غير التام ، وبراعتهـا في القـافية ، والابتعـاد عن الايقاعات الشعرية التقليدية ، وميلها الى تحميل المقاطـع الصغـيرة معانـي مركزة خفية . لم تختلف ديكينسـون عن لانير(Lanier) في اكتشافهـا قيمـة الخيالات الفكرية واندفاعها في التعبير عن أفكارها وأحاسيسها . وتتجلى موهبتها أحسن ما تتجلى في قصائد مثل «الافعى» و «أحبها وهي تطوي المسافات» و «العربة» و «أحب الصيف أكثر من الطيور» وأخيراً قصيدة «هنالك بصيص من ضوء» .

الفَصْل الرّابع

الأدَب الاسترالي والنيوزيلندي في القرن التاسع عشر

بدءاً من نهاية القرن الثامن عشر حتى مطلع القرن العشرين ،طفقت آداب اوستراليا ونيوزيلندا ، في تطوير خصائصها اسلوباً وموضوعاً وقوالب لغوية . جرى هذا التطور على مستويات مختلفة ، متأثرة بظروف بيئية وتاريخية مختلفة ، ومثال ذلك حقيقة ان المستوطنين الاوائل في استراليا كانوا يضمون فيمن يضمون جماعة من المحكومين ، الذين عملوا تجاراً في نيوزيلندا وانشؤ وا لهم فيها مستعمرات . عملت الفروق الجغرافية وما أبداه سكان البلاد الاصليون من عنيف المقاومة والسرعة التي تم بها الاستيطان ، ودرجة الاحتكاك مع بريطانيا والبلاد الاخرى ، عملت تلك العوامل متضافرة على تطور كلا الأدبين الفردي والمحلي . لم ينجز كتاب القرن التاسع عشر في نيوزيلندا سوى القليل من الكتابات الادبية . وسنأتي على ذكر كتابها وأدبها في بحث آخر .

وبالامكان تمييز ثلاث فترات رئيسية في تاريخ أدب اوستراليا . ففي الفترة الاولى التي تمتد بين عامي ١٧٨٨ و١٨٨٠ ساد الادب الوصفي والوثائقي . وكانت الفترة الثانية الممتدة بين عامي ١٨٨٠ و١٩٤٠ فترة توسع وتماسك وزيادة في المسؤ وليات وهكذا يعكس الأدب الاسترالي في تباين ضروبه التنوعات الكبيرة التي حدثت في المجتمع . أما الفترة الاخيرة وتمتد من عام ١٩٤٠ وما بعد ، فتتميز بتزايد النشاط الادبي الذي عالج مشكلة نمو وتأثر الهجرة والتصنيع واستصلاح مناطق شاسعة من الريف .

كانت حياة الذين استقروا في منطقة (نيو ساوث ويلز) ـ من المحكومين والاداريين والجنود من جهة ، وحياة المستوطنين الاحرار الذين أتوا بعدهم من جهة

ثانية ـ سلسلة من الصراعات فوتت الفرصة على ازدهار الفنون بشكل عام . ومعظم من تمتع بشيء من الموهبة من المستوطنين تصدوا بأقلامهم لوصف وطنهم الجديد ، ومما زاد في تنوع المادة الادبية وإلهام الكتاب أمور مثل أوضاع حقول استخراج الذهب .

انهمك الكتاب أول الأمر بتسجيل الاحداث المتعلقة بالحياة في المستعمرات ، وباستخدامهم اياها مرتكزاً ابداعياً لحبكات قصصهم ، وهكذا انشغلوا بالحديث عن حياة المحكومين ، ومشاكل الرواد والمستوطنين الجدد ، وأحوال حقول استخراج الذهب ، وتناولوا جوانب من الحياة تختلف كلية عن العالم القديم ، كالمناظر الطبيعية والجفاف ولصوص الغابات ، وحرائق الاشجار الصغيرة ، واتساع الغابات ووحشتها ، والحياة النباتية والحيوانية الغريبة .

وهنالك روايتان لكاتب انجليزي هو هنري كنجسلي(Kingsely) تتجليان عن تغير في النظرة حيال أوستراليا . فرواية «مذكرات جيوفري هاملن» (The Recollections Of Geoffry Hamlyn) ١٨٥٩ تتحدث عن أسرة انكليزية فاءت الى حياة الدعة ورغد العيش في مدينة ديفون(Devon) نتيجة لما عملته في مراعي منطقة (نيو ساوث ويلز) ، وفي رواية «أسرتا هلياز وبورتون» ١٨٦٥ يحكي المؤلف قصة أسرة من الحدادين تهاجر من مدينة تشيلسي)(Chelsea) (في انكلترا ، وتستقر في اوستراليا وتتبوأ مركزاً على شيء من الاهمية . ومن الكتاب الذين برزوا في تصوير حياة المحكومين ماركوس كلارك في روايته «من اجل حياة بسيطة» ١٨٧٤ وفيها يدين وسائط النقل ، كما يتحدث عن أوضاع السجون في المستعمرات . ويجمع الكاتب رولد بولدروود(Rolf Boldrewood) ، وهو الاسم المستعار للكاتب توماس الكسندر براون(Thomas Alexander Browne) في رواياته بين الحوادث المثيرة لحمى البحث عن الذهب ، ومغامرات لصوص الغابات . وتؤكد معظم روايات هذه الفترة على البيئة المتباينة الألوان ، المختلفة الوصف ، والحبكة المثيره المتداخلة .

كان تطور الشعر في المئة عام الأولى ابطأ من تطور النثر ، وكان الشعراء يحاولون ما استطاعوا اقتباس الأسلوب الرومانتيكي الانكليزي في نظرته الى الطبيعة وتمثل الشعر التأملي تطبيقاً على مواضيع من صميم اوستراليا . وبكتابة «ملاحم

الغابة والقوافي الشعرية السريعة» الذي ظهر عام ١٨٧٠ولمع نجم الشاعر آدم ليندزي جوردن(Adam Lindsay Gordon) وتمتع بشهرة واسعة .

الفصل الخامس

الأدب الكندي الانكليزي في القرن التاسع عشر

يعود أقدم تاريخ لكتابة أدب كندي بالانكليزية الى زمن الثورة الامريكية بين عامي ١٧٧٥ و١٧٨٣ ، وهو في معظمه ثمرة ذلك الحدث الكبير . كان على الموالين الامريكيين الذين قدموا الى المستعمرات الشمالية واتخذوها مقراً لهم ان يحددوا صبغة مناطق نوفاسكوشيا(Nova Scotia) ونيوبرانزويك(New Brunswick) وكندا العليا التي تتحدث الانكليزية وأن يستلموا زمام المبادرة بكتابة الأدب . بلغ عدد هؤلاء اربعين ألفاً ، واستقروا في المستعمرات التي لم تشترك في الثورة . كان جوزيف هو (Howe) في ذلك الوقت شخصية مرموقة في حياة نوفا سكوشيا(Nova Scotia) السياسية ، لأنه كان محرراً لجريدة «نوفا سكوشيان» وشاعراً يقرض قصائد وطنية وقصصية، وكاتباً له عدة مؤلفات من أدب الرحلة. وفي عام ١٨٣٥ ، ظهر أول عمل أدبي ـ جدير بانتباه العالم ـ في جريدة «نوفا سكوشيان» ، وهو رواية : «صانع الساعات ، أو اقوال وأعمال ساميويل سليك من مدينة سليك فيل» . كان حافز مؤلفها توماس تشاندلرهاليبرتون(Haliburton) على الكتابة تلك الاراء المغلوطة للاسر الموالية لحزب (التوري)(Tory) حول الحملات التي كانت في صالح بريطانيا او ضد امريكا . وان ما تحويه تلك الرواية بالاضافة الى بعض الصور الحية النادرة عن حياة الحدود -جعل منها رواية كلاسيكية من النوع المتدني بله ترتيب حوادثها الذي لا شكل معيناً له والتكرار الذي يبعث الملل في النفوس .

عاش هؤلاء الكتاب الاوائل في المقاطعات البحرية التي جذبت أفضل الموالين الامريكيين ثقافة وحملتهم على مغادرة ساحل الاطلنطي الشمالي . أما أولئك الذين استقروا في كوبك أو حطت بهم الرحال على ضفاف نهر (سانت لورنس) وحدود منطقة (نياجارا) فكانوا ادنى منزلة في السلم الاجتماعي ، ومعظمهم من

المزارعين. بدأت الحركة الادبية في هذه المناطق قبل بدئها في المنطقة الشرقية السفلى. وأول علم يطالعنا في هذا الاقليم هو جون ريتشاردسون الذي تشكل مغامراته العسكرية مع تاريخه الحافل خلفية لا تقل إثارة عن رواياته. وأفضل كتبه سفر بعنوان «واكوستا» ١٨٣٢، يحكي فيه قصة نزول الزعيم الهندي بونتياك(Pontiac) الذي وفد الى مناطق (متيشيكي ماكنياك) و (ويترويت) عام ١٨٦٣ آتياً من اوتاوا. ومن المهاجرين الانكليز الاوائل الاكثر ثقافة شقيقتان هما كاترين بارتريل (Catherine Parrtraille) وسوزانا مودي(Moodie). ومع انهما كانتا تنشران روايات وقصصاً للاطفال، وقصائد، الا انهما اشتهرتا خاصة لاصدارهما مؤلفات في السيرة الذاتية، منها «غابات كندا البعيدة» ١٨٣٦ للكاتبة ترايل(Traill) و «الاشجار الوعرة» للكاتبة مودي(Moodie). ويشكل هذان المؤلفان سجلين اجتماعيين مثيرين عن حياة الرواد. ومن معاصري هاتين الكاتبتين شاعران من المهاجرين ينتميان الى الطبقة العاملة هما الكسندر ماك لاكلان وقد ضمت قصائده مذكرات عن البؤس واللامساواة الاجتماعية في اسكوتلندا، كما تروى قصة حب الشاعر لوطنه الجديد، اما الثاني فهو تشارلز هيفيسيج(Heabysege) الذي تميزت قصائده المثيرة بقوة الموضوع بالرغم من كونها عادية مفخمة اللغة، وتكمن قوتها فقط بما تضمنت من تشكيك ديني واخلاقي، ومنها «الكونت فيليبو» (Count Filipoo) ١٨٦٠ «وابنة جيبتا»(Jephthan's Daughter) ١٨٦٥ و «شاؤ ول»(Saui) ١٨٥٧.

الفَصْل السَّادس

الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر

فترة الثورة وحكم نابليون ١٧٨٩ - ١٨١٥ :

اندفعت الجمهورية التي أعقبت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ لحماية نفسها من الاخطار التي أحدقت بها من الداخل والخارج معاً وبشكل لم يفسح للكتاب ، باستثناء الصحفيين السياسيين وأدعياء الحزب ، الا مجالاً ضيقاً . في خضم تلك الاحداث ، تناول بعض اولئك الكتاب ما يجري بالنقد والتشهير وبخاصة كامیل ديمولين(Desmoulins) وانطوان دو ريفارول(Rivarol) اللذين اشتهرا بالهجاء العنيف . وهنالك الشاعر اندريه دوشينيه(Chenier) الذي ألهب عنف الثورة مشاعره مما دفعه لنظم قصيدة بعنوان «القوافي»(Les Iambes) وهي صيحة غاضبة اطلقها فيما كان ينتظر تنفيذ حكم الاعدام .

والأدب الآخر الذي بقي قائماً خلال السنين الأولى للثورة كان نتاج بعض المتطرفين امثال الفوضويين المبعدين وبعض المتعصبين والفرديين . فرواية «السيد نيكولا» لمؤلفها ستيف دو لا بريتون(De la Bretonne) تعبير عن التغير الاجتماعي في مدينة باريس إبان الثورة ، ألم بها بنظرة شاملة ، وكانت بالتالي سجلاً متكرراً لما حدث من مغامرات فضلاً عن كونها سيرة ذاتية . وقد كان للكتاب السيء السمعة الذي وضعه الماركيز دوساد(De Sade) (١٧٤٠ - ١٨١٤) بعنوان «جوستين ، أو أحزان الفضيلة» (١٧٩١) ، باتجاهه المتطرف نحو مذهب اللذة ، اثر بارز على طرح موضوع الغزلية في الأدب . وخلف الكاتب سباستيان روش نيكولا شامفور (Chamfort) مجموعة من الامثال والقصص القصيرة التي اكسبته شهرة لا بأس بها .

اما جوزيف جوبير(Joseph Joubert)فهو الفيلسوف الاخلاقي الوحيد الذي امتلك القدرة على التعبير الدقيق عن تأملاته الحاذقة .

ومع أن نابليون حصل على السلطة عن طريق الثورة فانه سرعان ما الغى الحريات التي أقسم على الدفاع عنها ، لذا ترتب على الكتاب العظام ان يقوموا بنشاطهم سراً تطاردهم الشرطة . كان أبرز وألمع هؤلاء فرنسوا رونيه شاتوبريان (François René - Chateaubriand) الذي ما انفكت قريحته على عطائها الادبي ضيلة خمسة عشر عاماً من بداية القرن . وحفز هذا الكاتب على انجاز مهمته الادبية وبته الى الايمان المسيحي كمبدأ للتلاحم الاجتماعي اضافة الى ما قاسى من نفي ومعاناة ، وكانت الحصيلة كتابه «أصل المسيحية» ١٨٠٢ . ومن شواهد كتاباته في الدفاع عن المسيحية وغيرها روايتان قصيرتان هما «أتالا» ١٨٠٢ و«رينيه» وملحمته الشعرية «الشهداء» ١٨٠٩ .

كان تأثير شاتوبريان عظيماً ، ففي رواية «رينيه» نجد البطل يتجاذب نوازعه تأثير الاغراء في ترك الواقع الممل والانكفاء الى الامال العذاب في اللانهاية التي تحمله الى عالم الاحلام والخيال ، وتكون الاجابة فرض مشاعر العزلة النفسية الرومانتيكية على أحاسيس العصر المقبل . وهنالك تأثير رومانتيكي آخر هو فكرة تبني الاشياء الدخيلة على الأدب ، تلك الفكرة التي نادى بها شاتوبريان ، واستلهمها من أسفاره في امريكا وبرزت جلية في كتابه(Les Natchez) . غير ان أفضل ما خلفه من أعمال خالدة «مذكرات شاتوبريان» التي نشرت عام ١٨٤٩ .

أوجد الكاتب بيفير دو سناكور(De Sénacour) ذلك التقليد المعاصر في ان يكون البطل انطوائياً ناقداً لذاته في كتابه المشهور «اوبرمان»(Oberman) ١٨٠٤ .

وظهرت شخصية مدام دوستال(De Stael) الثورية واضحة في مقالاتها الانتقادية مثل «حول الادب» ١٨٠٠ و«حول المانيا» ١٨١٠ . ففي المقال الاخير تجلت للفرنسيين عبقرية المدنية الالمانية الرومانتيكية لاول مرة ، ولعبت المؤلفة دوراً فعالاً في توجيه ذوق العصر . كما مهدت قصص الرعب القوطية وأعمال غوته الاولى ومسرحيات شيللر الطريق امام ثورة أدبية رافقت تبدل المناخ السياسي .

فترة العودة الى الملكية ما بين عامي ١٨١٥ ـ ١٨٤٨ :

كانت ثمرة فترة السلم النسبي واستتباب النظام في عهد لويس فيليب بعد حوادث الشغب التي جرت في عهد لويس الثامن عشر وشارل العاشر منجزات أدبية رائعة لجيل الفترة الرومانتيكية . وقد استخدم تعبير الرومانتيكية لتحديد خطوط منهج جديد للتجربة البشرية وهي تغيير شامل للفكر والذوق شاركت في تحقيقه عهد ذاك أوروبا بأكملها . اذ أجمعت كلمة الفنانين من شعراء وروائيين ونحاتين ورسامين وموسيقيين على المشاركة في النقاش وصياغة أسس حديثة تجسد الافكار الجديدة . أسس فيكتور هوغو وشارل اوغوستين دوسان بوف(Beuve) عام ١٨٢٧ جماعة اطلقت على نفسها اسم «سيناكل»(Cénacle) ، وقد ضمت الادباء : الفريد دوفيني(Alfred de Vigny) وآلفريد دوموسيه(Alfred De Musset) وبروسبير ميريمية (Prosper Mérimée) وتيوفيل غوتييه (Theophile Gautier) وجيرار دونيرفال (Gérarad De Nerval) والكساندر دوماس(Alexandre Dumas) . ضمن هذا الاطار استطاعت قوى الرومانتيكية الجديدة ان تنفذ خططها قبل ليلة عرض مسرحية فيكتور هوغو «ايرناني»(Hernani) على المسرح الفرنسي، فكانت ليلة مشهورة اختتمتها اعمال شغب قام بها ممثلو الكلاسيكية الذين تخطاهم الزمن .

صدرت بيانات وكتابات صريحة مهدت الطريق أمام الثورة الادبية . ففي مقالة كتبها ستندال ، وهو الاسم المستعار للكاتب هنري بيل(Beyl) ووضع لها عنواناً جذاباً «راسين وشكسبير» اثبت فيها انسجام الجمهور المسرحي مع الاثارة التي تتصف بها مآسي شكسبير اكثر من انفعاله بالصيغ المسرحية الثابتة التي خرج بها راسين . يعرف ستندال الرومانتيكية بانها وجهة جديدة للتذوق الادبي . ويعرفها هوجو بقوله : انها «تحرر في الادب» وهذا التعريف على اقتضابه وعموميته يلخص جوهر هذه الحركة . نادى الرومانتيكيون الفرنسيون بحق الفرد في أن يضع مسألة تحقيق ذاته كأنسان فوق النواحي الاخلاقية ، وطرحت الرومانتيكية مظاهر متباينة ، بل متناقضة : فالانطواء النفسي ، والانفعال العاطفي ، وتأليه ما هو خيالي ومترفع ، والنظرة الانسانية ، والصوفية ، كلها امور يمكن تمييزها في كبريات

الاعمال الادبية لهذه الفترة . ومجمل القول : ان الرومانتيكية كانت أدباً لم يعترف بأي قانون ما خلا قانون الحرية .

شعر الرومانتيكيين الفرنسيين :

بالرغم مما تمتع به كثير من الرومانتيكيين من حرية التعبير عما يعتلج في نفوسهم من مشاعر شخصية كالألم والفرح ، كانوا على يقين بان الضمير الاجتماعي لن يجد من ناطق باسمه أفضل من الشعر . وتأكدت هذه القناعة بمرور الزمن . وتمثل قصائد الفونس دو لا مارتين(Alphonse De La Martine) بشكل خاص تطور الرومانتيكيين في هذه الفترة . فالمواضيع الشخصية كالتي تتحدث عن تجربة حب فاشلة كموضوع «التأملات» ١٨٢٠ بدأت تشوبها الاحاسيس الدينية ،و «ايقاعات شعرية ودينية» ١٨٣٠ . ثم نجده في «الحواس والافكار» ١٨٣٩ شديد الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية ، يعبر عن الندم على أنانيته الحزينة ويتعاطف مع الانسانية ويبدي ايمانه بمستقبلها .

بعد ان نفس فيكتور هوجو عن أحزانه الشخصية وخيبة أمله ، بما نظم من قصائد مثل «أغاني المساء» ١٨٣٥ ، و«اصوات من الاعماق» ١٨٣٧ ، نجده في قصائد أخرى يعبر عن قلق العصر . في «أضواء وظلال» ١٨٤٠ انتهى الى القناعة بأنه النبي المكرس لجيل أفضل .

وتظهر قصائد الفريد دوفيني المعبرة عن ذاته أبعد ما تكون عن شعر هوجو الجماهيري الغزير . فهو يمجد في ديوانه «قصائد قديمة وحديثة» ١٨٢٦ تلك اللحظات الحاسمة في الاسطورة العالمية والتاريخ ، منذ ظهور الانجيل حتى القرن التاسع عشر . وتصور مجموعة قصائد «نهاية السفر» بواسطة الرموز رحلة طويلة تبدأ من القلق الذي يسببه الشك ، وينتهي باليقين الى المعرفة الراسخة . وهكذا تحل السكينة والتفاؤل في هذه المجموعة محل خيبة الأمل التي تميز قصائده الاولى .

وآلفريد دوموسيه هو الوحيد بين الشعراء العظام الذي حافظ على استقلاليته السياسية والادبية ورفض بعناد وضع نفسه في خدمة أية قضية جماهيرية . وأفضل اعماله وأشهرها ديوانه «الليالي» ١٨٣٥ الذي يتابع فيه ما يحدث لقلب حطمه حب

فاشل يرسله شعراً غنائياً تشوه بعض مقاطعه مقدرة الشاعر على اللهجة الخطابية المباشرة التي لم يستطع التخلص منها .

ومن الشعراء الاقل جودة مارسلين ديبورد فالمور(Valmore) التي عملت ممثلة ونظمت قصائد رائعة وقوية وسان بوف(Beuve) في مجموعته «جوزيف ديلورم» ١٨٢٩ ، واوغست بريزو (Brizeux) في كتابه «ماري» ١٨٣١ وجميعهم اتباع مخلصون للرومانتيكية ، وشعراء من ذوي العواطف الصامتة الذين اقتصروا على التعبير عن خبايا النفس العميقة . يمكن بمقارنة هذا التحفظ من جانب هؤلاء الشعراء بالشاعر المنطلق بيتروس بوريل(Petrus Borel) وفيلوتيه اونيدي (Philothée O'Neddy) واوغست باربيه(Auguste Barbier) ذلك الشاعر الهجائي العنيف ، وبيير جان دو بيرانجيه(Pierre Jean De Beranger) المتقد نشاطاً وحيوية . كما يجدر بالذكر آلوزيوس برتراند(Aloÿsius Bertrand) في ديوانه «جاسبار في الليل»(Gaspard De La Nuit) ١٨٤٢ وموريس دوجيرين (Maurice De Guérin) في ديوانه «سونتور»(Le Centaure) ١٨٤٠ ممن شاركوا في إبراز القصيدة النثرية .

المسرح الرومانتيكي :

نادى فيكتور هوجو في مقدمته لمسرحية «كروموبل» عام ١٨٢٧ بالتخلي عن وحدة الزمان والمكان كما نادى بتواجد عناصر الملهاة والمأساة معاً في المسرحية الشعرية الحديثة بهدف تحطيم الاعراف الكلاسيكية التي تتحكم بالبنية المسرحية . وعلى صعيد المسرح ، كما على صعيد الشعر ، صاغ ذلك العبقري الاصيل ، قوانينه الخاصة لتحقيق أهدافه الخاصة .

كان الكساندر دوماس الاب(Alexandre Dumas Pére) أول من حقق نجاحاً مسرحياً في مسرحية «هنري الثالث وبلاطه» التي مثلت عام ١٨٢٩ . وزاد من مكانة المسرحية الشعرية ما حققه هوجو من نجاح في مسرحيتي «ايرناني»(Hernani) ١٨٣٠ و«ري بلا»(Ruyblas) ١٨٣٨ . اما مسرحية «شاترتون»(Chatterton) للكاتب فيني(Vigny) ١٨٣٥ فهي أقرب الى الكلاسيكية في الشكل واللغة المركزة . وتسجل مسرحية «لورنزاكيو»(Lorenzaccio) لالفريد دي موسيه(De Musset)

١٨٣٤ انتصاراً لاسلوب شكسبير المسرحي . لم يعمد موسيه البتة الى محاولة مجاراة ذوق العصر بالنسبة للطابع المسرحي المحلي والابهة التاريخية كما فعل هوجو ودوماس . ويوجد شيء من طبيعته المتطرفة في بطل روايته الفاسق «لورنزاكير» (Lorenzaccio) ، كما أن فطنته تنعكس على ملهاته المختلفة. لقد كتب مسرحياته لهدف واحد هو ارضاء حاجاته الذاتية لذا احتفظت من بين كل مسرحيات العصر برونقها وجمالها .

الرواية الرومانتيكية :

تدين الرواية الفرنسية الحديثة للرومانتيكية بمكانتها المهيمنة ، فالرومانتيكية هي التي انتجت رواية التحليل الذاتي ، والرواية التاريخية ، وتلك التي تتناول المجتمع المعاصر ، كما في اعمال ستاندال وبلزاك . فرواية «آدولف» (Adolph) لمؤلفها بنجامين كونستان(Constant) ورواية «اللذة»(Volupté) لمؤلفها سانت بوف(Beuve) سيقتا على شكل سير ذاتية تتسلط فيها الاضواء على الشخصية الرئيسية عن طريق معرفة الذات التي لا ترحم. وليست روايات كل من دي موسيه في «اعترافات فتى العصر» ، ١٨٩٢ ، و«رافييل» للشاعر لامارتين و«دومينيك» ١٨٦٣ لمؤلفها اوجين فرومفتان (Fromentin) الا امثلة اخرى لاسلوب التصوير الذاتي مباشرة او غير مباشرة . وكلا الكاتبين كونستان في «الصحيفة المحببة» و«الدفتر الاحمر» وستندال في رواية «الصحيفة» التي نشرت بعد وفاته هدفاً من كتابة هذه القصص الى الوصول لمعرفة الذات عبر تسجيل مذكرات حللا فيها شخصيتهما تحليلاً دقيقاً وجريئاً . وعملت الرواية التاريخية ، شأنها شأن المسرحية التاريخية ، على ارضاء الجماهير التي أحبت اللون والمغامرات اللذين حفل بهما الماضي . وفي هذا المجال قلدت قصص والتر سكوت العاطفية الرومانسية تقليداً اعمى . وتحكي رواية فيني(Vigny) «المتآمرون» قصة مؤامرة في عهد الكاردينال ريشيلو، وهي مديح لطبقته الاجتماعية من النبلاء . واستحضر فيكتور هوجو مدينة باريس ايام العصور الوسطى في روايتيه«كنيسة نوتردام» و«احدب نوتردام» ١٨٣١ غير انه ضمن الحبكة القصصية بعضاً من التشاؤم الفلسفي ، وذلك بموت ابطاله أو مقتلهم . وشيئاً فشيئاً عمد اونوريه دو بلزاك(Honoré De Balzac) الى ملاءمة كل رواية من

رواياته ومسلسلاته الروائية مع اللوحات المزخرفة لمجتمع القرن التاسع عشر الفرنسي ، وذلك بعد اقراره باسلوب العصر المتبع في الروايات التاريخية والسير الذاتية. هذا ما نجده في «الملهاة الانسانية» (La Comèdie Humaine) . وتصف بعض هذه الروايات مآسي حياة الناس في المقاطعات الفرنسية ، كما هو واضح في رواية «اوجيني جراندية» ، وبعضها الآخر أتى على وصف العواطف المعقدة والعنيفة لخضم الحياة في باريس ، ذلك الخضم الذي مارست عليه كل قوى الطغيان الحديثة تسلطاً غير محدود ، من مشاكل البورصة والسياسة والصحافة . وكان بلزاك كذلك سيد الرواية التي تركز على الشخصيات ، كشخصية جوبسيك (Gobsek) الجشعة ، والحب الابوي في «الاب جوريو» (Goriot) ١٨٣٤ ، والحسد في رواية «ابنة العم بيتي» ١٨٤٦ . غير ان هذه الروايات التي تتناول بالتحليل الحياة العصرية عليها ولا بد ـ حسب رأي بلزاك ـ ان تتوج بدراسات فلسفية ، مثل رواية «بحثاً عن المطلق» (La Recherche De L'Absolu) وفيها يواجه الانسان بقدراته المحدودة وطموحه قوى الاقدار في صراع يائس .

كتب ستندال (Stendhal) روايات اصبحت ذات تأثير خطير بفضل حيويتها ودقتها . ويعكس ابطال رواياته الشباب مزاجه وذكاءه المتوقد ، غير ان رواياته ، كانت كروايات بلزاك ، وثائق اجتماعية وسياسية . وقام ستندال بوضع رواية (La Chartreuse De Parme) عام ١٨٣٩ في ايطاليا ، ذلك البلد الذي أحبه من اعماقه وكان احد عوامل نشأته الادبية ، كما عمل في رواية «الاحمر والاسود» على تسجيل الجو الاخلاقي للمجتمع الفرنسي زمن العودة الى الملكية ، وعكس كل عوامل الثورة بطبيعته المنشقة . اما رواية «حديث عن الحب» ١٨٢٢ التي يشيد فيها بمبدأ العاطفة فانها فهرس ثمين للروايات ، وهنالك كتب اسفار يعلق فيها على هذه الروايات تعليقاً أخاذاً .

وتغدق جورج صاند (George Sande) الكثير من مشاعرها وفنها في كتابة قصة عاطفية مثل «ليليا» (Lélia) ١٨٣٣ ، وفي رواية اخرى محلية مثل «مستنقع الشيطان» ١٨٤٦ . وتخلى دوماس (Dumas) عن المسرح لينصرف الى روايات المغامرات المبتكرة ، وخصوصاً «الفرسان الثلاثة» و«الكونت دي مونت كريستو»

١٨٤٥ . اما اوجين سو(Sue) فعمل على تطوير اساليب القصة المسلسلة في رواية «اسرار باريس» ١٨٤٣ .

وبالرغم من الاخطاء المعروفة عن الرومانتيكية من اسهاب وحاجتها الى شكل أدبي واضح فقد كانت فترتها العصر الذهبي للرواية والقصة القصيرة . استطاع شارل نودييه(Nodier) بما يبدو وكأنه أسلوب طبيعي أن يجر قراءه الى عالم الاحلام ، كما في رواية «تريلبي»(Trilby) ١٨٢٢ . وقدم بروسبير ميريميه (Prospere Mérimée) ـ وهو ارفعهم فناً ـ شكلاً للقصة الرومانتيكية الغامضة ، كما اعطى تفسيراً يحتمل الخطأ والصواب حول جموح العاطفة الرومانتيكية ، كما في رواية «كولومبا» التي تتحدث عن حب الانتقام ، ورواية «كارمن» ١٨٤٥ .

كتاب التاريخ ونقاد الحركة الرومانتيكية :

كان للرومانتيكية تأثير على مبادىء الكتابة التاريخية والنقد الادبي لدرجة اعتبر معها نمطان من الانماط الادبية المقبولة في الحدود المرسومة لها . فعلى سبيل المثال اجرى اوغستين تيري(Thierry) تغييراً في السجلات التاريخية الاولى مستخدماً في ذلك قدرته على السرد القصصي . وانطلق مؤرخون آخرون مثل فرانسوا بيير غيوم غيزو(Guizot) في كتابة التاريخ مثل «تاريخ ثورة انكلترا» ١٨٢٦ وآليكسي دوتوكفيل في «حديث عن الديموقراطية في امريكا» ١٨٣٥ ، بغية اثبات نظرياتهم عن طريق فحص للحقائق . واعتبر أكبر المؤرخين الرومانتيكيين ـ وهو جول ميشليه (Michelet) ـ كتابة التاريخ اعادة بعث للحياة . وقد أثار كتابه العظيم «تاريخ فرنسا» تطوراً مستمراً نحو الحصول على الحرية . وأعمال سانت بوف (Sainte Beuve) هي النقد الادبي الوحيد الذي تبقى من هذه الفترة . وقد تمتع بادراك وفهم واضحين للطبيعة الانسانية عبر الكلمة المكتوبة ، مما جعل «صور أدبية» الذي نشرته الاسبوعية «حديث نهار الاثنين» نموذجاً لتوقد الذهن .

حركة انتشار الأفكار :

تعززت عملية التواصل مع فكر القرن الثامن عشر بفضل جماعة دعوا بـ «الايديولوجيين» الذين انتهوا بوجهات نظر العلماء الموسوعيين الى نتائجها المنطقية ،

رغم ما لاقوه من معارضه منظّري الفلسفة المتعالية(Trans Cendalists) الذين اكدوا بفلسفتهم على ما هو فطري وروحي ، وفضلوه على ما هو تجريبي . ومن الفلسفات التي كانت اكثر اتساقاً وروح العصر المتطور الفلسفة الموضعية(Positivism) التي نادى بها اوغست كونت(Conte) الذي أشتهر بنظرته الصوفية الى العلوم وبنزعته الانسانية . استبعدت الوضعية فكرة التأمل فيما وراء الطبيعة واقتصر اهتمامها على تقصي الحقائق وحسب . ومن تلامذة كونت الفيلسوف (ليتريه)(Littré) الذي يعود اليه فضل تصنيف قاموس ضخم بعنوان «قاموس اللغة الفرنسية» ـ الذي لا غنى عنه في الأدب الفرنسي لما اتسم به من دقة في اعطاء التعاريف وتمكنه من تقصي نمو اللغة الفرنسية تقصياً تاريخياً . أما هنري دوسان سيمون(De Saint Simon) فاهتم بالتدقيق في البنى الاجتماعية لهذه الفترة ، ثم هنالك شارل فورييه(Fourrier) وبيير جوزيف برودون(Proudhon) وفيليسته دو لا مينيه (Félicité De La Mennais) الذين بشروا بالاشتراكية الحديثة بما طرقوه من مباحث نقدية .

الجمهورية الثانية والامبراطورية الثانية ١٨٤٨ ـ ١٨٧٠ :

في شهر شباط من عام ١٨٤٨ ثار أهالي باريس ضد نظام لوي فيليب البورجوازي المتعنت ، وتمخضت هذه الثورة الشعبية عن ولادة الجمهورية الثانية . غير انه بدءاً من عام ١٨٥٢ فرضت الرقابة أبان حكم نابوليون الثالث .

وزادت أهمية الافكار التي نادت الحركة الوضعية لتجاوبها مع تصميم البورجوازية على ترسيخ أقدامها . كما سيطر الاسلوب العلمي على الحياة الثقافية . وعمد كل من ارنست رينان(Renan) وايبوليت تين(Taine) الى تحليل الحقيقة التاريخية والأدب بغية الوصول الى حقيقة موضوعية . وبقيت المثالية الرومانتيكية ماثلة في اعمال قلة من الشعراء ، بيد ان كثيراً من حملة الاقلام نشطوا ضد الجيل السابق وعرف هذا النشاط المعادي في الشعر باسم الحركة البارناسية(Parnassian Movement) ، أما في مجال الرواية فقد اتخذ اسم الواقعية(Realism) .

ذيول الحركة الرومانتيكية :

كانت صلة الوصل بين مرحلتي الابداعية الأولى والثانية ثلاثة من الشعراء هم

فيكتور هوجو في اعماله الاخيرة ، وجيرار دونرفال(Gérard De Nerval) وشارل بودلير(Baudelaire) .

كانت حياة دونرفال (De Nerval) بحثاً محموماً متواصلاً عن الفردوس الذي كان حلم طفولته ، والذي حرم منه على الدوام بالالم وخداع الحياة . ويتمثل جوهر أفكاره بعملين نثريين هما «سيلفي»(Sylvie) ١٨٥٤ و «اوريليا» ١٨٥٥ ، وفي أغانيه الاثنتي عشرة بعنوان «الوحوش الوهمية» ١٨٥٤ . ويعتبر دونرفال تجسيداً خالصاً للنزعة الرومانتيكية ، وكان ما حفلت به اعماله من ابتكارات تمهيداً لمحاولات الشعر الحديث . يبدع فيكتور هوجو الذي عاش منفياً في مطلع عهد الامبراطورية الثانية في (جيرسي)(Jersey) وجيرنزي(Guernsey) ـ وهما جزيرتان في القناة الانجليزية ـ بما نظم من أجمل الاشعار الغنائية كما في «تأملات» ١٨٥٦ ، وبما خط يراعه من مذكرات ذاتية يتحدث فيها عن حياة انسان عانى بصبر دون ان يتراجع طيلة خمسة وعشرين عاماً من الكفاح والألم . وألف ملحمة عن الانسانية عنوانها «سيرة الاجيال» ١٨٥٩ ، تلك الملحمة التي ضمنها ملحمة أكبر هي «ملحمة الخليقة» . كما كتب رواية المجتمع الانساني «البؤساء» عام ١٨٦٢ ، وفيها يطلق العنان لكل ما يفيض به قلبه الكبير من أمان وآمال .

كان أثر بودلير بالغ الاهمية على المنحى الذي اتخذه الشعر بعد وفاته . واستطاع باستخدامه شعراً مدروساً مكيناً ان يجمع بين الكآبة النفسية والبحث عما هو مثالي . وقد جمعت قصائده كلها بعنوان «أزهار الشر» ١٨٥٧ . أدخل هوجو اثارة جديدة الى الشعر الفرنسي ، ومما لا شك فيه أن هذه القصائد ذات العواطف الجياشة تكشف دون ما خلاها زوايا من الحياة الانسانية كانت تعتبر من المحرمات . فقد أفصح بمجموعته «قصائد نثرية قصيرة» ـ بما في لغتها من حاجة ماسة لاستخدام حرية الاوزان ـ عن الجانب العاطفي للحياة التي بدأت تعرف آنذاك باسم «حديثة» . اما الكتيب الذي كتبه بعنوان «قلبي الخالي» فانعكاس مؤثر لنفس معذبة .

ردة الفعل البارناسية :

كان شعراء البارناسية مصممين على انقاذ الشعر الفرنسي من التخبط العاطفي والكلامي غير الدقيق للرومانتيكية . وبتوجيه من تيوفيل غوتييه(Gautier) الـذي نادت قصائده بكمال الشكل الظاهر مع التأكيد على أنه لا يمكن لعمل فني مهما كان مخلص الاحاسيس ان يتوقع الخلود دون تحقيق ذلك الكمال .

أول زعيم للبارناسيين كان شارل ماري رينيه لوكنت دوليل(De Lisle) وقد عمل تحفظه وتمسكه بأهداب التقاليد على إخماد جذوة الحياة في شعره رغم ما تحلت به قصائده من روعة ، ظلت لا حياة فيها بشكل يثير الاستغراب ، وهي سواء جمعت تحت عنوان «قصائد قديمة» ١٨٥٢ أم «قصائد متوحشة» ١٨٦٢ تعبر عن توقـه الى الهرب ، واللجوء الى إحياء عظمة الماضي الفطرية ، وان لم يكن فالى عوالـم لم يطأها بشر من قبل ، لكن مغالاته المفرطة في ضبط شعره ضبطاً قاسياً شل إلهامـه الشعري .

وعلى صفحات مجلة الحركة البارناسية علـت صيحـة تنـادي بكمال الشـكل الظاهر ، مرتفعة من افواه ادباء أمثال لوكونت دوليل(Leconte De Lisle) وبودلير وغـوتييه(Gautier) ، شأن ما نادى به من قبـل تيودور دوبـانفيل(Theodore De Banville) وسولي برودوم(Sully Prudhomme)وفرانسواز كوبيه(Françoise Coupé) وجوزيه ماري دي هيريديا(De Heredia) يتقارضـون الثنـاء لعودتهـم بالشعـر الى سابق عهده من نقاء الطبيعة .

الرواية الواقعية ومسرح العادات الاجتماعية :

نتيجة لتطور الدراسات العلمية بعد عام ١٨٥٠ اضطر الروائيون ان يبنـوا أعمالهم على أسس صحيحة من الحقائق التي لامراء فيهـا . وناشـد الاديب شان فلـوري(Champfleury) واسمـه الحقيقـي جول اوسـون(Husson) الـروائيين ان يتحلوا بأكثر ما يستطاع من بساطة ، بما يختارونـه من مواضيع تتعلـق بالاوضـاع الانسانية ومظاهرها . أما امام الواقعيين ، ذلك الرومانتيكي التائه جوسناف فلوبير (Flaubert) الذي نذر نفسه لفن بلغ حد الكمال متنزها عن الفردية والكلاسيكية ،

سواء اكان اختياره لموضوع يمت الى الرومانتيكية كما في «اغواء القديس انطوان» ١٨٧٤ «وسالامبو» ١٨٦٢ ، أم اختياره لمواضيع اكثر ملاءمة للعصر شأن رواياته التي تتحدث عن الحياة العصرية مثل «مدام بوفاري»(Bovary) ١٨٥٧ و«التربية العاطفية» ١٨٦٩ . وفي كلتا الحالتين كانت اعماله بحثاً مجهرياً دقيقاً وملاحظة أدق ، اذ أخضع سائر أعماله لتحليل دقيق للحبكة ، ولكل ما يتطلبه الاسلوب البعيد عن الفردية . وهذا ما جعل روايتي «مدام بوفاري» و«التربية العاطفية» من أعظم روايات القرن التاسع عشر . وبذا اسهمت واقعيته ووضوحه بالكثير في سبيل تخليص القرن من شعور الطبقة البورجوازية بالرضا والانغماس في العواطف . وتعتبر نشرة فلوبير «المراسلة» شاهداً مؤثراً على إخلاصه لفنه .

قام كل من جول دي غونكور(De Goncourt) وأخوه ادموند بجمع الوثائق وتسجيل الملاحظات في ضواحي باريس وأحيائها السكنية الفقيرة ، وأجريا تحقيقات ميدانية لحالات مرضية ، وترجما كل هذه الاشياء الى حوادث قصصية في رواياتهما ، ولم يقلا براعة عن فلوبير بحسن استخدام الاسلوب النثري ، كما دللا على موهبتهما بدقة الملاحظة ، في تحرير اليومية الأدبية بعنوان «الصحيفة اليومية» .

أما فيما يتعلق بالمسرح فكان الفشل الذي منيت به مسرحية هوجو «بورغراف» (Purgraves) ١٨٤٣ بداية النهاية بالنسبة لأحلام الرومانتيكية . أتخذ اميل أوجيه (Augier) من البورجوازية الباذخة موضوعاً لكتاباته . وصور الكسندر دوماس الابن مشاكل عصره الاخلاقية منها والاجتماعية في مسرحيات مدبجة تدبيجاً حسناً مثل «غادة الكاميليا» التي مثلت لأول مرة عام ١٨٥٢ ، وأستخدم اوجين لابيش (Labiche) موهبته في المسرح الهزلي الفارس(Farce) بهدف الوقوف على حقيقة أعمق خبايا الطبيعة الانسانية .

الجمهورية الثالثة ، من عام ١٨٧٠ :

بالرغم من أن الحرب الألمانية الفرنسية عام ١٨٧٠ كانت نقطة تحول في تاريخ فرنسا الا أنها لم تكن كذلك على الصعيد الأدبي ، اذ بقي الأدب غير متأثر بها . دفع الروائيون وفي طليعتهم زولا بالواقعية مرحلة الى الامام ، وشكلوا مدرسة

تنتمي الى الفلسفة الطبيعية . وبحلول عام ١٨٨٥ تمكن كل من الفيلسوف هنري برغسون (Henry Bergson) وفردنياند برونتير (Ferdinand Brunetière) ، وخاصة بما قام به هذا الأخير من نقد للافكار السائدة من حض جيل جديد من الروائيين على اعادة عنصر المثالية الى الرواية والشعر .

المدرسة الطبيعية :

وبتأثير المؤرخ الادبي تين (Taine) والعالم كلود برنارد توصل اميل زولا الى مقولة مؤداها أن من واجب الرواية أن تدرس « الطباع الانسانية والتكيفات العميقة الأثر للعضوية البشرية تحت ضغوط البيئة والأحداث » . وانطلق في تأليف سلسلة من الروايات بلغت العشرين ، منها رواية « عائلة روجون ماكار » (Maqart) التي غدت فيما بعد «تاريخاً اجتماعيا » لاسرة منفردة زمن الامبراطورية الثانية » . وتقف اثنتان منها في الصف الأول ، لوصفهما حياة الطبقة العاملة وصفا طبيعيا ، وهما « السكر » ١٨٧٧ و « جيرمنيال » ١٨٨٥ .

جاءت بشائر ولادة المدرسة الطبيعية (Naturalist School) عام ١٨٨٠ في مجموعة من القصص القصيرة عن الحرب الالمانية ـ الفرنسية ، عنوانها «أمسيات في ميدان» (Médan) وكان زولا أحد المسهمين في هذه المجموعة ، كما ظهر فيها غي دي موباسان لأول مرة برائعته «كرة الشحم» . وبالاضافة الى ٣٠٠ قصة قصيرة كتب ستاً من الروايات أحسنها «الصديق الوفي» ١٨٨٥ ، وفيها يرسم عالم صحافة باريس بواقعية موجعة .

ومن الكتاب الذين آووا إلى فيء المذهب الطبيعي : ادمون دو غونكور (Edmond de Goncourt) الذي بدأ الكتابة بعد موت أخيه . والفونس دوديه (Daudet) وهو روائي كتب «مغامرات تارتاران دو تاراسكون» (Tartarin de Tarascon) الفذة ١٨٧٢ ، وكاتب قصص قصيرة تتميز بالحيوية واثارة العاطفة منها « رسائل من طاحونتي» في ١٨٦٩ و « أحاديث يوم الاثنين » ١٨٧٣ . ومع أن الكاتب جول فاليه (Vallés) يقف على عتبة الفلسفة الطبيعية ، فقد كتب ثلاثية روائية بأسلوب يداني السيرة الذاتية بعنوان « جاك فنترا » (Vingtras) ١٨٧٩ .

وعلى صعيد المسرح أظهر هنري بيك(Becque) في مسرحيته « الغربان » التي نشرت عام ١٨٨٢ كثيرا من تطلعات المدرسة الطبيعية . وأوجد آندريه انطـوان André) Antoine) المسرح الذائع الصيت المعروف باسم « المسرح الحر » لخدمة أغـراض المذهب الطبيعـي . ومـع أن جول رونـار(Renard) كان يتمتـع بكل خصـائص الطبيعية لكنه استخدم هذا المذهـب لخدمـة السرد القصصي والاسلـوب النثـري اللذين اقتصرا على ما هو جوهري فقط .

ردود الفعل تجاه المذهب الطبيعي :

تهكم بعض الكتاب على هذا المذهب من حيث أسلوبه الذي يستخدم دقة الوصف المفرطة ، وقارنوه بالفلسفة المادية لعصر الديموقراطية . ويطالعنا الكاتب باربـي دورفيبي(D'aurevilly) بأجـود أعمالـه في رواية « النسـاء الشريرات » ١٩٠٠ ، المكونة من ست قصص قصيرة ، هي على حد تعبيره نتاج يراع انسـان « يؤمن بالشيطان وسلطانه على العالم » . وفي روايته « البلياد »(Pleiades) يسرد أحد أبطالها : الكونت دو غوبينو(Comte de Gobineau) رحلات ثلاثة من الشبان يتوهمون انهم فوق الجبلة البشرية ، ويفاخرون بأنهم ينتمون لعرق يحتقر كل ما عداه . ويضـع الكاتـب فييه دوليل آدم(Villiers De L'Isle — Adam) غطرسـة العلماء وطغيان المال في قفص الاتهام ، كما يتهكم على الانتصارات الزائفة للطبقة المتوسطة .

كان الكاتب جوري كارل هسمانز(Huysmans) تلميذاً لزولا في أول حياته الادبية لكن خيبة أمله في المذهب الطبيعي وما يتطلبه من تقييد الواقع في حدود معينة دفعه نحو الايمان الديني ، وعلى مفترق الطرق بين ايمانه بالدين والمذهب الطبيعي وقف هذا الكاتب لكي يكتشف البرج العاجي للمبدأ الجمالي . وكان إن بادر لكتابة أحسن رواياته من حيث الشهرة وهي « وجها لوجه أمام المزاج » ١٩٢٢ . وتصف آخر رواياته مراحل رحلته التي انتهت به الى الدخول في تجربة صوفية كاملة للديانة المسيحية . كتب الكاثوليكي المتزمت ليون بلوي(Bloy) روايتين في السيرة الذاتية هما «اليائس» ١٨٨٦ و «المرأة الفقيرة» ١٨٩٧ ، وفي هذه الأخيرة يستشيط غضباً من قسوة العصر .

ومن الروائيين الذين كانت ردة فعلهم هادئة عميقة بول بورجيه(Baurger) وموريس باريه(Barrés) الذي كانت باكورة انتاجه عملا معقدا هو سلسلة من الروايات تحت عنوان « الشيء الذي أعبده » ١٨٨٨ ، وهنا ينقل فلسفته في الأنانية رافعا الصنم رمزاً لتجربة عاطفية غريبة من نوعها تتصف بالعنف . وكتب الضابط البحري بيير لوتي(Loti) روايات فريدة يحلل فيها مشاعر أولئك الذين يجهدون للتخلص من تعقيدات حياتهم بتوسل الرحلات والسفر ، لكنهم يخفقون في طرد الكآبة واليأس . . .

بدأ أناتول فرانس(Anatole France) حياته الأدبية انعزالياً يغوص بحلم فيه حكمة الوثنية وجمالها ، غير أن قضية دريفوس(Dreyfus) - وهي أزمة حادة نشبت حول ضابط يهودي اتهم بالتجسس ، وانتهت من حلبة القضاء الى ميدان الفكر تنشر بذور الشقاق بين اكثر الأدباء التصاقا بعضهم ببعض - جرفته في غمرة أحداثها الى مجابهة الجناح اليميني . ولم يسلم بطل مسلسل رواياته « التاريخ المعاصر ١٨٩٧ - ١٩٠٠ » من هذه الدوامة ، اذ انجرف هو الآخر في الصراع السياسي خارجا من عزلته المشككة ، مندفعا في غمرة الكفاح الى جانب العدالة والسلطة الانسانية .

الحركة الرمزية :

لاقت مبادىء البارناسية التي تنادي بالموضوعية والجمود العاطفي معارضة اولئك الذين كانوا يفترضون جدلا ان نظم الشعر ليس سوى تعبير عن تجربة داخلية تأخذ شكلاً آخر . وقد أوضح بودلير للرمزية السبيل الواجب اتباعه . والاشكال الطبيعية ، كما تؤكد هذه الحركة ، ليست الا رموزاً متعددة لحقيقة واحدة ، ومن خلال تنوع هذه الرموز واختلافها يكتشف الشاعر وحدة متماسكة غامضة غير ملموسة .

حاول آرتور (Arthur Rimbeaud) بشكل جدي أن يجعل من نفسه خياليا بكل معنى الكلمة ، وفي سبيل الوصول الى زوايا في الوعي مظلمة وغير معروفة اهتم بالخيال بكل اشكاله ، وقد لاقى منه هذا الدخول التجريبي في منابع

الوعي الشعري كثيرا من اعادة النظر والاتهام في كتابه « فصل في الجحيم » (Une saison en enfer) ١٨٧٣ . وتشهد قصائده المنشورة « الاشراقات » (Illuminations) التي نشرت عام ١٨٨٦ كيف كرس وجوده كله طلبا لسبر الوجود ، كما تشهد - في الشكل - على متانة اللغة الجديدة التي استخدمت للتعبير عن هذا المضمون .

هذا وتنبأ آخرون بهذا الوعي الشعري الجديد . والقصائد المنثورة التي نظمها لوتريامون (Lautrèamont) واسمه الحقيقي ايزيدور دوكاس (Isodore du Casse) بعنوان «أغاني مالدورور» (Les Chants Maldoror) والتي كرسها تمجيداً للشر جارياً في تأليفها على وضع الصور الخيالية جنباً الى جنب بشكل عشوائي جاعلا منها كتاباً تستقي منه السريالية . وهنالك قصائد تريستان كوربيه (Tristan Corbier) التي تزخر بالصور البدائية المتفجرة ، بينما نجد أن قصائد شارل كرو (Cros) نظمت بمرارة تعم كل شيء وتحول كل شيء الى لا شيء .

استطاع بول فيرلين (Paul Verlaine) بسرعة أن يحرر نفسه من التزامات البارناسية التي اقتصرت سابقا على كبح مشاعره الجامحة ، وأثمرت صداقته مع ريمبو عن أزمة عاطفية تردد صداها في كتابه « أغانٍ بلا كلمات » ١٨٧٤ وبالدرجة الأولى في كتاب « الحكمة » الذي نشر عام ١٨٨٠ وفيه نجد الشعر ممتزجا بالتوبة المسيحية . امتاز فيرلين بصدق الاحساس وسحر الاسلوب ، وصورت موسيقاه اللغوية تصويراً مسبقا للتناغم الكامل الذي ميَّز الرمزية .

وأثمرت محاولة تحرير النفس من التقاليد ومن العيش ضمن عقدة الخوف من الاماكن الضيقة التي يسببها الضيق والسأم شعراً غامضاً ملتوي القافية ، كما حدث للشعراء بين ١٨٨٠ و١٨٨٥ الذين عرفوا باسم «المتحللون» (Decadents) . لكن هذا التحلل جاد فعلاً بشاعر حقيقي واحد هو جول لافورج (La Forgue) الذي تنقل قوافيه المشوشة صورة عن طبيعته الخجول المتناقضة .

كانت الرمزية توضيحاً للمناخ الذي ظهرت فيه تلك الفلسفة المثالية : الهيلجية (Hegelianism) . ويرتكز مبدأ الرمزية على الاعتقاد بان العالم الذي تدركه الحواس انما هو انعكاس للعالم الروحي . واتخذ الشعراء القصيدة وسيلتهم لادراك ما وراء الطبيعة وعمد العديد منهم لنظم الشعر بقافية حرة خالية من الايقاع والوزن .

أما الشخصية البارزة في هذه الحركة : ستيفان مالارميه(Mallarmé) فينزله تلامذته منزلة احد قديسي الأدب لبساطته وفقره واخلاصه لكل ما هو جمالي ، وقد حقق اصالته العميقة الفريدة في بابها ، بكتابيه «ايروداياد»(Hérodiade) و «مع اله الحقل ظهراً». تثبت أعماله ان الكلمات لا تتلاءم مع بعضها بعضاً فحسب، وانما تترابط كذلك في فترات الصمت بين الوقفة والاخرى . ونلحظ ان كل واحدة من قصائده انما هي نتاج تأمل طويل ، وتستدعي من جانب القارىء صبراً مماثلاً لكي ينتهي الى فهم معانيها الشعرية .

أرتفع مالارميه بالحركة الرمزية التي فشلت كاتجاه شعري ، لأنها توقعت ان تأخذ من الشعر أكثر مما تعطيه . وفي عام ١٨٩١ انفصل عن الرمزية احد مؤسسيها وهو جان موّرا (Moréas) وناقضها بحركته التي دعاها الرومانية(Ecole Romane) وأثمرت ردة الفعل هذه بعض الشيء ، لكنها كانت ثماراً لا حياة فيها رغم احتمال تأثر بول فاليري(Valéry) بها ، وهو الصديق الصدوق لمالارمية ، دون ان يكون تلميذاً له كشاعر ، وربما تأثر بها كذلك شارل مرّاس(Maurras) .

ولئن كان العام ١٩٠٠/ لم يشهد أي تغيير يذكر في الذوق الادبي ، الا ان الأدب نفسه شأنه شأن كل الفنون الاخرى ، كان يضمر ثورة قوامها تفكير بعض الفلاسفة ، تلك الثورة التي لا تقل أهمية عن الأحداث التي كانت في طريقها الى الظهور والتي غيرت وجه اوروبا القديمة ، وقوضت أعرافاً اجتماعية كانت مقبولة لدى الناس جميعاً .

انشغل أئمة أدب البروفنسال بعد الثورة الفرنسية ، مثل ف . ج . رينوار (Raynouard) بتقاليد آداب القرون الوسطى البراقة ، فظهرت الصحف ، وانتظم الشعراء في جماعات وقاموا بجمع انتاجهم الشعري على شكل كتب مثل جماعة المغنين الجوالين التسعة (Nine Troubadours) الذين نشروا كتاب «اكليل البروفنسال» عام ١٨٢٣ . أما جماعة (رواد الفيلي بريج) (Felibrige) فكانوا كلهم تقريباً من الاكاديميين الذين خاطبوا بانتاجهم القلة المثقفة .

ومن الذين خاطبوا جمهوراً أوسع أربعة من شعراء الشعب هم جان انطوان فيردييه (Verdié) من بوردو الذي كتب نتفاً هزلية انتقادية ، وجون روبول (Reboul) ، وهو خباز من مدينة نيم (Nimes) الذي لم يتجاوز انتاجه محاولته الاولى «الملاك والطفل» ١٨٢٨ ، وفيكتور جيلو (Gelu) من مرسيليا ، وهو كاتب متصلب ، الا ان قوته الشعرية لا تنكر ، وأخيراً أعظمهم جميعاً رائد جماعة الفيليبير (Felibres) المعروف باسم جاك جاسمين (Jacques Jasmin) . ونذكر من الأدباء المرموقين الذين كتبوا بلهجة اللانج دوك (D'oc) الماركيز دو لا فار آليه- (De La Fare Alais) . وأظهر كل من جوزيف روماني (Roumanille) وفريدريك ميسترال رغبة لاستثارة أمة البروفنسال في تجديد وعيها بامجادها الماضية . وكان شعر روماني اللاديني يتحرك تبعاً لاخلاصه في نظم شعره ، اما اعماله النثرية فتألقت بمباهج الفكاهة . إلا ان أحسن اعمال ميسترال التي تقف شامخة بين سائر اعمال الشعراء الآخرين ، هي ـ ولا ريب ـ مجموعة قصائده الطويلة وعنوانها «ميريو» (Merio) ١٨٥٩ و«كالوندو» (Calendau) ١٨٦٧ ، وحسبه أنه جمع ونشر عام ١٨٥٢ ديواناً ضمنه اسماء كل الاعلام الذين اشتهروا فيما بعد ومن أشتهر سابقاً مثل جاسمن (Jasmin) . وكان روماني في عداد الشعراء السبعة الذين تواجدوا في/ ٢١/ أيار من عام ١٨٥٤ في قلعة (فون سيجوني) (Font Segugne) قرب منطقة (آفينيون) حيث أسسوا رابطة (فيلي بريج) (Felibrige) ، وهي مجموعة من الكتاب دفعتهم الرغبة في رفع مستوى أدب البروفنسال . اما الشعراء الستة الباقون فهم ميسترال ، وتيودور اوبانيل (Aubanel) . وآنسيلم ماتيو (Mathieu) وجون برونيه (Brunet) ، وآلفونس

تافان(Tavan) وبول غييرا(Giéra) ومن بين هؤلاء يتقدم تيودورأوبانيل(Théodore Aubanel) من آفينيون(Avignon) وهو عامل طباعة ، فيثبت بجدارة انه يقف على قدم المساواة من حيث الأهمية مع ميسترال وروماني ، اذ كان اكثر جماعة الفيليبر - ولا خلاف - عمقاً وأثبتت أغانيه الشعرية أنها بالغة الأصالة .

والتحق بجماعة الفيليبر الاوائل كتاب أمثال لوي روميوز(Roumieux) وفيليكس جرا(Gras) وهو مقلد لميسترال ، و و . س . بونابار ويز(Wyse) وهو من أصل ايرلندي ، وشارل ريو(Rieu) الذي دعي شارلون(Charloun) وهو ناظم اغان شعبية . وسرعان ما أنتقل مذهب ميسترال من مقاطعة الى مقاطعة ، وعمل على تنشيط المحاولات الشعرية في أرجاء المناطق التي تتحدث لغة الأوك(Oc) ، ومن هذه الأعمال نجد ما كتبه جوزيف رو(Roux) من مدينة ليموج ، وأوفرينيا آرسين فيرمينوز(Auvergnat Arséne Vermenouze) وريورج . ج . بيسو (Rouergue J. Bessou) . وبكل الاحوال لم يحظ مذهب ميسترال بموافقة كتاب بروفنسال الجماعية .

ومن بين الذين تصدوا له بالمعارضة أ . فور(A. Foures) من منطقة (لانج دوك) في مؤلفه «على المشواه»(Les Grilhs) ١٨٨٧ واستمر بعض هؤلاء الشعراء الذين سطعت اسماؤهم براقة في بداية حياتهم الادبية بالتطور خلال العقود الاولى من القرن العشرين ، ونذكر على سبيل المثال الاديب ميسترال الذي نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٤ .

الفصل السابع

الأدب الألماني في القرن التاسع عشر

المدرسة الابداعية (الرومانتيكية) الثانية

ما ان حل عام ١٨٠٤ حتى كانت المدرسة الابداعية الاولى متشتتة، وعلى كل بدأ بعد عامين طور آخر للرومانتيكية في مدينة هايدلبرج (Heidelberg) على أيدي كليمانس برنتانو (Clemens Brentano) واكيم فون آرنيم (Achim Von Arnim) وج . ج .. فون جوريس (J. J. Von Gorres) ، وكان أفضل نتاج يوضح خصائصها مجموعة من الاغاني الشعبية تحت اسم (Des Knaben Wunderhorn) (١٨٠٥ - ١٨٠٨) . وكانت أشعار برنتانو وجوزيف فون ايخن دورف (Joseph Von Eichendorff) الغنائية أخاذة لما فيها من خصائص موسيقية . وبخلاف المدرسة السابقة ألف كتاب هايدلبرج اعمالا تاريخية، كما جمعوا أغاني وقصصاً شعبية نثرية ذات طابع رومانسي ، ولذا فان تأثيرهم المباشر على الحياة الفكرية كان أعظم . وتبدأ من هذه الفترة أيضاً دراسات فقه اللغة الالمانية ، وأدب القرون الوسطى والوعي القومي ، وهي الأمور التي مهدت للثورة ضد نابليون .

وعندما انتهت مدرسة هايدلبرج حوالي عام ١٨٠٩ ، اتبعت الحركة الابداعية خطين اثنين للتطور أحدهما ألماني شمالي والآخر متصل بمدينة ورتمبرج (Wurttemberg) . ففي الشمال كان أعظم شاعر مسرحي بروسي هنريك فون كليست ، (Heinrich Von Kleist) على صلة بالحركة الرومانتيكية، وقد وصف التشوش العقلي الناجم عن الصراع بين الفكر والشعور في مسرحياته «امفتريون» (Amphitryon) (التي نشرت عام ١٨٠٧) «وبنتسيليا» (Penthesilea) (التي نشرت عام ١٨٠٨) و«الأمير فردريخ فون هومبرغ» (Prinz Friedrich Von Homburg)

(التي نشرت عام ١٨٢١ بعد وفاة مؤلفها) . وأشتهر زكاراياس فيرنر Zacharias) (Werner بما كتب من مآسٍ تتعلق بالقضاء والقدر والاستشهاد ، وفي خلال الفترة نفسها نجد الروائي العبقري أي . ت . ا هوفمان (E.T.A.Hoffmann) يتمكن من خلق عالم من الخيال الجامح ذي خصائص مروعة على الاغلب ، كما ساهم بنشر الابداعية الالمانية في اوروبا . أما ويلهالم موللر (Wilhelm Muller) الذي أتبع خطى بايرون فقد أثار مشاعر التعاطف الالماني مع اليونانيين والبولنديين المضطهدين .

كانت المدرسة السوابية (Swabian) تمثل آخر اطوار الابداعية وقد أعتبرت القصائد الغنائية التي نظمها لودفيج اولاند (Ludwig Uhland) زعيم هذه المدرسة ، في المرتبة الثانية بعد قصائد شيللر من حيث التقدير الشعبي . وأستمر اولاند وجوستينوس كيرنر (Justinus Kerner) وجوستاف شواب (Gustav Schwab) وغيرهم في التقليد الابداعي ، ولكن دون الزخم الذي كان لقوته الاصلية .

وكانت وفاة جوته عام ١٨٣٢ العلامة الدالة على انتهاء الحركة الانسانية العالمية التي ميزت القرن الثامن عشر . ومع أن بعض الابداعيين البارزين عاشوا حوالي عشر سنوات بعد جوته ، كانت الحركة قد فقدت تأثيرها . كانت الابداعية أكثر التصاقاً في الحقول المحافظة غير الأدبية أما في السياسة فاستطاعت ان تلوّن الفكر الالماني فترة تزيد على القرن بسبب تحالفها مع القومية الناهضة . وأما في الأدب فكان أثر جوته نفسه اكثر رسوخاً ، وقلة هم الذين لم يتأثروا بنتاجه ، رغم ان هذا التأثير كان يتخذ أحياناً شكل الثورة على هيمنته الجليلة .

وكبتت الحكومات المحافظة حرية الفكر ، كما أحبطت الرقابة الشديدة جهود الكتاب في فرض الحلول للامراض الاجتماعية . وسيطرت على الأدب فكرة التحرر من الوهم بقدرة الانسان على احراز النهايات الشامخة ، وحل التقويم التشاؤمي عن دور الانسان في الحياة مكان المواقف المتفائلة او البناءة التي سادت ذات مرة . وللانسجام مع هذا التغير في الموقف سعى الكتاب الى التحرر من عبودية الفكر الاتباعي الجديد ، ومن الفكر الابداعي ، ليس بالرفض على الدوام ، وانما بتوسل التكيف في أغلب الاحوال .

قام أعظم كاتب مسرحي في فترة ما بعد نابليون ، وهو فرانـز جريلبا رزير (Franz Grillparzer) ، عن ادراك تام بكتابة مسرحياته في قوالب تتبع تقليد الاتباعية الجديدة . ورغم ذلك أفتقرت مسرحياتـه لقـوة الثقـة بالنفس ، كما أفتقـرت الى الشجاعة .

فقد كان ضعف الارادة موضوع مسرحياته المأساوية ، وبالتالي لا طائل من جهود الانسان في مواجهة قوى الظروف المهيمنة . والعالم عاجز عن منح الرضاء للانسان . لأن ما يقدر على منحه الهدوء الداخلي إنما هو استغـلال الموارد الـذاتية للنفس الانسانية ونكران الذات . لقد كان القدر قوة خارجية في أولى مسرحياتـه «الجدة»(Die Ahnfru) (التي مثلت عام ١٨١٧) . أما في ثلاثية الجزة الذهبية(Das Goldene Vliess) (١٨٢٠ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٤٢) فتمثل القدر في اتحـاد الشـخصية والظـروف . وفي «ميديا»(Medea) وقف الشريكان في زواج منعزلين عاجزين عن تسوية خلافاتهما بسبب من شعورهما بالذنب .

وتخلل هذا العنصر مسرحيات جريلبـارزير (Grillparzer) ففـي «سافـو» (Sappho) ١٨١٨ التـي كتبـت على طريقـة «توركواتـو تاسـو»(Torquato Tasso) لجوته ، وصف لفاجعة شاعرة حاولت عبثاً ان تحتفظ بحبيبها الاصغر سنـاً ، كما عرض علينا حماقة الطموح في مسرحية «حلم هي الحياة»(Der Traun ein Leben) (١٨٣٤) والمترجـة الى الانـكليزية عام ١٩٤٦ ، كما عالـج سقـوط حاكم نتيجـة طموحه المفرط في «قيام وسقوط الملك اوتوكار»(Konig Ottokars Gluck Und Ende) عام ١٨٢٣ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٣٨ ، بينما أوضح ان العمل الـذي يحدث في غير أوانه يكون مصدراً للشر وذلك في «نزاع عائلي في هابسبـرغ»(Ein Bruderzwist In Habsburg) حوالي ١٨٤٨ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٤٠ .

وسادت حالة الكآبة التي كانت لدى جريلبارزير معظم أعمال تلك الفتـرة وبخاصـة في اعمال ت . د . جرابـه(C.D.Grabbe) وجـورج بوخنـر(Georg Buchner) وغـزت حتـى مسرحيات ف . ريمونـد(F. Raimund) و . ج . ن . نيستـروي(J.N.Nestroy) الهـزلية الشـعبية في فيينـا . واتضـح جلياً ان تراث الكلاسيكية الجديدة والرومانتيكية كان مرفوضاً ، الا ان خيبة الأمل الناجمة لم تؤد

الى نمو ايمان جديد بعد. ولذا نجد ان القيم الراسخة كانت في المسرحية الجديدة موضع شك وانتقاص. وقد أدت شكوك جريلبارزير في طاقته الخلاقة، وطموحاته المتضاربة الى وجود التناقضات في أعماله مقيدة بحافز يدفعه الى خلق شكل أدبي تقليدي تقريباً . ولم يكن جراب يهدف الى الكمال في الشكل الادبي . وكان الخطأ المأساوي لابطاله ناجماً عن اعتقاد مضلل بقدرتهم على السيطرة على مجرى التاريخ ، ان الاضطراب في عالم خلو من المغزى كان أقوى من جهود الافراد . كما بدا العالم خلوا من المغزى بالنسبة لبوخنر ، لكن بوخنر كاتب مسرحي ذو معالم واضحة اكثر من جراب لأن رؤياه أكثر راديكالية . كان خائب الأمل بسبب عدم كفاءة أدعياء الثورة ، وقد شنت كتاباته الحرب ضد المثل غير القابلة للتحقيق والاسلوب الخطابي الزائف اذ انتقد المسرحية الابداعية وضبابية الافكار الابداعية في ملهاته «ليونس ولينا»(Leonce Und Lena) التي نشرت عام ١٨٥٠ ، أما «موت دانتون»(Dantons Tod) (التي نشرت عام ١٨٣٥ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٣٩) فتمثل مأساة التشاؤم البطولي ، على حين نجد ان الفرد كان عالقاً في شبكة القوى الاجتماعية المعادية ، في (فويزك)(Woy Zeck) التي نشرت عام ١٨٧٩ بعد وفاة مؤلفها ، وهكذا كانت اعمال بوخنر اتهاماً للنظامين الاجتماعي والكوني معاً .

الشعر الغنائي

كانت السوداوية والذاتية الكئيبة من خصائص الشعر الغنائي عند نيكولاوس ليناو(Nicolaus Lenau) . وإن التقليد العظيم في الشعر الاتباعي الجديد أو الابداعي جعل من الممكن الوصول الى كمال الشكل الادبي ، لكن من الصعب ان يكون أصيلاً . ويتضح هذا بوفرة في اعمال الشاعرين فريدريك ركرت(Friedrich Ruckert) واوجست فون بلاتين ـ هاليرموند(August Von Platen - Hallermunde) وهما ابرع شاعرين منهجيين . كان روكرت عالماً وشاعراً بارزاً ، وانجازه الشعري الاصيل تصوير للصراع بين العقل والارادة وببراعة كيف بلاتين ـ هاليرموند اللغة الالمانية لتتلاءم وشكلاً شعرياً غريباً ، وذلك في «سونيتات من البندقية»(Sonnette Aus Venedig) (١٩٢٥) .

كان الشعر الاتباعي نموذجاً يحتذى بالنسبة لادوارد موريك(Eduard Morike) ايضاً ، ولم يكن يضارع براعته الشكلية الا تصويره الشجي للطبيعة وللحياة الريفية ، فقد بحث بروح فكاهية مشاكل الفنانين في عالم غير متجانس مع الفن ، وذلك في «رحلة موزارت الى براغ»(Mozart Auf Der Reise Nach Prag) (١٨٥٦) كما كانت الطبيعة مصدراً للالهام عند أنيت فون دروست - هولشوف ، (Annette Von Droste - Hulshoff) التي عبر ايقاعها العنيف ولغتها الكئيبة عن مخاوفها من القوى اللاعقلانية في الحياة ، كما تجلى ذلك في «السنة الروحية»(Das Geistliche Jahr) (١٨٥١) . وساعد الشعور الديني على توازن الرؤيا لديها ، كما نفح شعرها نضجاً اعمق .

لم يهاجم احد الابداعية بقسوة كما هاجمها هنريك هين(Heinrich Heine) ، اذ كان ولا يزال يعتبر في المانيا شخصاً مثيراً للجدل ، وخاصة لانه اخضع الميول القومية الالمانية والقومية الرومانطيقية للنقد المرير ، لكن مؤلفه «كتاب الاغاني» (Buch der Lider) (١٨٢٧) اصبح واحداً من افضل كتب مختارات الشعر الغربي المعروفة . لقد وصف هين الأحلام والحنين وجلاهما بواقعيته كمجرد ادعاءات . واننا لنجد الأمل والألم الواقعيين الناجمين عن مرضه الطويل الاخير في مجموعته الشعرية(Romanzero) (١٨٥١) وفي الاشعار التي نشرت بعد وفاته ، وقد حل الايمان بالله مكان اعتقاده السان سيموني(Saint - Simonian) [1] المبكر (برد الاعتبار للحواس) . أما اعماله النثرية الاقل شهرة ومنها «مشاهد من الرحلات» (Reisebilder) (١٨٢٦ - ١٨٣١) و(Lutezia) (١٨٥٤) وهي مجموعة من التقارير عن الحياة في فرنسا و«عن تاريخ الدين والفلسفة في المانيا»(Zur Geschichte Der Philosophie Und Religion In Deutschland) (١٨٣٤) ، وهو تحليل للحياة الفكرية وللتاريخ الالمانيين ، فقد بوأته مركز السيادة للنثر الساخر المستاء من الرزانة والتظاهر . أما أروع انتقاداته السياسية فملحمة شعرية عنوانها «المانيا : احدى

---

(١) نسبة إلى الكونت سان سيمون ١٧٦٠ - ١٨٢٥ مؤسس الفلسفة الوضعية (Positivist Philosophy) التي وسعها ونشرها اوغست كومت وهي تستبعد الدين المنزل وما هو ميتافيزيقي وتستبدلها بدين الانسانية والاخلاق .

حكايات الشتاء (Dentschland : Ein Wintermarchen) (١٨٤٤) وفيها هجوم عنيف على اعدائه وعلى الاوضاع السياسية في عصره .

وفي عام ١٨٣٥ صدر مرسوم عن المجلس التشريعي الاتحادي يحظر كتابات هين بالاضافة الى كتابات لودولف فينبارغ (Ludolf Wienbarg) وكارل جاتزكوف (Karl Gutzkow) وهنريك لوب (Heinrich Laube) وتيودور مونـدت (Théodor Mundt) . ولقد اهدى فينبارغ كتابه «الحملات الجمالية» (Asthetische Feldzuge) (١٨٣٤) الى (المانيا الفتاة) ذلك الاسم الذي اطلق فيما بعد على الكتاب الذين انسجموا راديكالية الشباب الهيجيلين والتحرريين السياسيين الذين اصيبوا بخيبة أمل بسبب الرقابة الشديدة والحكومة المتسلطة . ونادى فينبارغ بالحاجة الى أدب يعالج المشاكل السياسية والاجتماعية . أما كارل جاتزكوف فقام بنقد الاخلاقية والاستقامة التقليديتين في روايته فالي المرتاب (Wally, Die Zweiflerin) (١٨٣٥) وفي مسرحيته «اوريل اكوستا» (Uriel Acosta) (التي مثلت عام ١٨٤٦) . وكان المنفى مصير كل من تجرأ على نقد النظام السياسي والاجتماعي القائم ، اما لودفيج بوردن (Ludwig Borne) ذلك الكاتب الناثر ذو الموهبة الرفيعة فقد ارتضى باريس منفاه مختاراً ، وكان عمله «رسائل من باريس» (Breife Aus Paris) (١٨٣٠ - ١٨٣٣) وثائق اجتماعية قيمة ، كما اضطر الشاعران الغنائيان الهامان جورج فيرفيج (Georg Herwegh) وفرديناند فريلجرات (Ferdinand Freiligrath) الى الهرب ، آحدهما الى سويسرا والآخر الى لندن . وكان هناك شاعر محافظ هو عمانوئيل جايبل (Emanuel Geibel)، الذي تمثل شعره الوطني في مجموعاته «اصوات العصر» (Zeitstimmen) (١٨٤١) (Juniuslieder) (١٨٤٨) و «هيرالد ينادي» (Heroldstrufe) (١٨٧١) . وكان جايبل زعيم مدرسة ميونيخ الشعرية التي رعاها ماكسيميليان الثاني البافاري . ومن شعرائها هنريك ليوتولد (Heinrich Lenthold) الوحيد الذي ضرب على أعمق الأوتار الحساسة . ونادراً ما كانت روايات بول فون هيس (Paul Von Heyse) القصيرة تثير القارىء ، اما قصة فيكتور فون شيفل (Victor Von Scheffel) الشعرية (Der Trompeter Von Sackingen) (١٨٥٤) وروايته ايكهارد (Ekkehard) فيخيل انهما غير مقنعتين رغم شهرتهما في حياته .

كانت الواقعية ـ وهي في الأغلب ذات وجه اقليمي ـ مصدراً للاصالة الحقيقية عهد ذاك . أما الواقعية الشعرية ـ وهو تعبير ابتكره اوتو لودفيج ـ(Otto Ludvig) فهدفت الى تصوير الواقع الحياتي ، لكن بقدر ما كان ذا شأن فني وقيمة فعلية . وتركز الانتباه على الواقعية الجديدة لكن ليس على وجهها المرضي البشع شأنها شأن المدرسة الطبيعية المتأخرة . وكان الهدف الرئيسي للكاتب الواقعي ان يكتشف القيم الايجابية في الحياة اليومية دون الاشارة الى الافكار المتسامية . وقادت التغيرات في الأنظمة الاجتماعية حفنة من النقاد الاجتماعيين الى الارتياب في التطورات التي رافقت بداية التحول الى حياة المدينة . وأكثر هؤلاء شهرة كارل ماركس(Karl Marx) الا أن فلسفة التشاؤم لدى آرثر شوبنهاور(Arthur Schopenhauer) والافكار المادية عند لودفيج فيرباخ(Ludwig Feuerbach) توصلنا بدورهما الى تقويم اكثر اتزاناً لقدرات الانسان .

وتطورت في نفس الفترة فلسفة وضعية حاول اربابها ـ عن طريق قياس التمثيل ـ ان يطبقوا على دراسة الادب والمجتمع الطرائق التي اعتقدوا مخطئين انها كانت خاصة بالعلوم الطبيعية وهذا ما أدى الى دراسة المصادر والنصوص التي اعطتها صبغة رسمية اول مدرسة منظمة هامة للتاريخ الأدبي في المانيا ، ألا وهي مدرسة ويلهيلم شيرر(Wilhelm Scherer) وقام شيرر بالاضافة الى خلفية اريك شميدت(Erich Schmidt) وجاكوب مانيور(Jakob Minor) بتوطيد نقد الأدب الحديث كانضباط اكاديمي . وأضفى جاكوب(Jacob) وويليهلم جريم(Wilhelm Grimm) وكارل لاخمان(Karl Lachmann) صفة الاحترام التقليدي على دراسات العصور الوسطى الالمانية .

وركز كتاب الأدب القصصي على المواضيع التي يحسنون وصفها لأنها مألوفة لديهم فكارل ايميرمان(Karl Immermann) الذي تأثر عمله بالاتباعية تأثراً بالغاً قام بتصوير الفلاحين المكبين على عملهم المتشبثين بريفهم وذلك في روايته «العزبة» (Der Oberhof) (١٨٣٩) . اما روايات الالمانية الدنيا(Ut De Franzosentid) (١٨٥٩) و(Ut Mine Stromtid) (١٨٦٢ ـ ١٨٦٤) لفريتز رويتر(Fritz Reuter)

فزخرت بالشخصيات المتميزة فردياً والتي جعلتها اللهجة المفعمة بالحياة تبدو اكثر اقناعاً . وأصبح كلاوس جروت(Klaus Groth) نموذجاً للشاعر الاقليمي بعد اصداره(Quickborn) ١٨٥٣ وهي مجموعة من الاشعار الغنائية ، كانت اللهجة المستعملة فيها ترتبط بوضوح بين اعماله واللغة العامية بشكل يذكرنا بالاغاني الشعبية .

وبدوره استمد ادالبرت ستفتر(Adalbert Stifter) الكثير من القوة من موطنه في غابة بوهيميا التي جعلها مسرحاً لبعض قصصه والتي جمعها في(Studien) (١٨٤٤ ـ ١٨٥٠) «الحجارة الساطعة»(Bunte Steine) (١٨٥٣) . وكان عالم الاحداث اليومية بالنسبة لستفتر رمزاً للمغزى العاطفي ، ولذا صورها بعناية في رواية «صيف هندي» (Der Nach Sommer) (١٨٥٧) . وتأثر هذا الكاتب بغوته في عمله (Wilhelm Meister) ولذا أكد على قوة الفن في التثقيف ، كما حاول ان يرينا كيف أن قانون الرقة ، أي العمل الانساني المرتكز الى العدالة والبساطة وضبط النفس والنشاط المقيد والاعجاب بالجمال ، ذو فعالية في إحداث نوع من الحياة النموذجية التي تتفق والحياة الطبيعية .

وكان التحليل النفسي الصفة المميزة لواقعية اتو لودفيج(Otto Ludwig) ففي «بين السماء والارض»(Swischen Himmel Und Erde) (١٨٥٦) صراع ضمن احدى عائلات الحرفيين مدروس بموضوعية أخاذة مع تكوين دقيق للشخصيات . وهناك كاتب واقعي آخر هو تيودور ستورم(Theodor Storm) الذي كان جو موطنه شليزويج هولشتاين(Schelswig - Holstein) يضفي على عمله طابعاً مميزاً ، لقد خضعت العناصر الابداعية في عمله للوصف الواقعي ، رغم ما تخلل قصصه النثرية وأشعاره الغنائية على حد سواء من احساس بسرعة زوال الحياة . وحفز الانشغال الرومانطيكي بالماضي الفكر والكتابة التاريخيين ، وهناك معالجة للماضي في بعض روايات ستورم القصيرة ، لكن بعض الكتاب جعلوا من التاريخ موضوعهم الرئيسي ، وبينهم ويليبالد أليكسيس(Willibald Alexis) واسمه الحقيقي و . هارينغ(W. Haring) ، وويلهلم هوف(Wilhelm Hauff) وجوستاف فريتاج (Gustav Freytag) ، و . هـ . ريهل (W.H.Riehl) . وكانت قصص

اليكسيس ، وأشهرهـا «بنطـال المرافـق بريدو» (Die Hosen Des Herrn Von Bredow) (١٨٤٦) مصطبغة بحس الدعابة المرهفة مع احساس بمناظر براندنبرج الطبيعية . أما أفضـل أعمال فريتـاج فتتجلى بتصـويره للتغـيرات الاجتماعية والاقتصادية في «الحساب : مالك وما عليك» (Soll Und Haben) (١٨٥٥) ، وفي الملهاة التي كتبها تحت اسم «الصحافيون» (Die Journalisten) (والتي مثلت عام ١٨٥٢ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٨٨٨ .

وكان تحليل ويلهلم رابي (Wilhelm Raabe) للحياة الاجتماعية أعمق ، وقـد أستبق طرائف القرن العشرين في السرد القصصي ، بما ركزه من اهتمام على القصة نفسها وعلى الطريقة التي تُروى بها على حد سواء ، وشنَّ هجومه على ضيق أفق المادية البورجوازية ، كما هاجم قومية امبراطورية بسمارك . وفي أعمالـه الأخـيرة (Stopfkuchen) (١٨٩١) و «وثائـق فوجيلسانـج» (Die Akten Des Vogelsangs) (١٨٩٥) وصف رابـي شخصيات غريبـة الاطـوار ذات حياة ذاتية غنية ، وقـد حصلت على الحرية الروحية . أما تشاؤمه ودعابته فلا يضارعهما الا ويلهلم بوش (Wilhelm Busch) ذلك الشاعر الانتقادي الذي أشتهر بقصته الشعرية ذات الصور الهزلية المسلسلة (Max Und Moritz) (١٨٦٥) . ان سخريته الصريحة من النقائص الانسانية تعري بقسوة الرياء والأوهام المضللة .

وكشفت مسرحيات فردريك هيبل (Friedrich Hebbel) عن الواقعية الشعرية في أعنف صورها ، وكان عمله تركيباً للتحليل النفسي والمعتقدات الميتـافيزيقية ، تقود الدوافع الباطنية العميقة شخصياته الى مصيرها ، فمسرحيتاه «جـودت وهـيرود ومريمنه» (Judith, Herodes Und Mariamne) و (Gyges Und Sein Ring) ـ وكانتا بين ١٨٤٠ و١٨٥٦ ـ تصفـان هؤلاء الـذين عانـوا الهزيمـة ، لأن شخصيتهم الغاضبة لم تسمح لهم بالتوصل الى تفاهم . وقام في آخـر مسرحياتـه «النبلنجيون» (Die Nibelungen) (التي مثلت عام ١٨٦١) بتفسير اسطـورة قديمـة وفق أفكاره النفسية والميتافيزيقية الخاصة . أما شعره الغنائي فعماده التطابق الشديد مع النمو والانحلال في الطبيعة . وكانت واقعية تيودور فونتين (Theodor Fontane) بارعـة ومؤثـرة لما حفلـت به من دعابـة وتهـكم . وتميزت رواياتـه عن الحياة في

براندنبرج بالتبصر النفسي وتفهم المشكلات الاجتماعية في «الزانية»(L'adultera) (١٨٨٢) و(Irrungen Wirungen) (١٨٨٨) و(Frau Jenny Triebel) (١٨٩٢) و (Effi Briest) (١٨٩٥) ، بحيث تتصادم العلاقات الانسانية مع المجتمع ، فتصمد أو تتحطم حسب قوتها الفطرية .

لقد كان فريدريك نيتشه(Fredrich Nietzsche) ارهاصاً لأدب القرن العشرين ، ففي كتابه(Die Geburt Der Tragodie Aus Dem Geiste Der Musik) (١٨٧٢) والمترجمة الى الانكليزية باسم «مولد المأساة» عام ١٩٠٩ نجد ان التمييز بين عنصري الجمالية(Apollonian) والشهوانية(Dionysian) في الفن كان له نتائج هامة ، فقد انتشرت وجهة النظر القائلة : بأن الفن الكلاسيكي لا يستطيع ان يكون هادئاً فحسب ، بل يمكن كذلك ان يكون نشوانياً ، وأن أصول المسرحية اليونانية تحدرت من الطقوس العربيدة السرية للديانة الديونيسوسية(Dionysian) . ان تشديد نيتشه على الحاجة الى تحرير الشخصية من القيود الأخلاقية المسيحية التقليدية (وقد شجب عودة الموسيقار ريتشارد فاجنر(Richard Wagner) الى المسيحية) وشكه بالنسبة لصحة اقوال الفنان ومكانه في المجتمع ، وتنبؤه بنشوء مبدأ العدمية ، وفر ذخيرة من الافكار وخميرة فكرية ، للجيل القادم من الكتاب .

وكانت الموضوعية العلمية هي الفكرة الرئيسية للمذهب الطبيعي في ألمانيا كما كانت أعمال اميل زولا في فرنسا هي النموذج الرئيسي لها . وظهرت في عام ١٨٨٤ مختارات من الشعر الغنائي تحت عنوان (Dichtercharaktere) وموضوعها الحياة في المدن ، لكن الثورة الحقيقية قام بها أرنو هولز (Arno Holz) الذي تكشف في « كتاب الأزمنة »(Buch der Zeit) (١٨٨٦) عن كونه أول شاعر هام من شعراء المذهب الطبيعي . وقام مع يوهان شلاف (Johannes Shlaf) بكتابة ثلاث قصص نشرت تحت عنوان « بابا هملت » (Papa Hamlet) (١٨٨٩) ، حاولا فيها مخلصين أن يصورا أدق تفصيلات الحياة حتى في مظاهرها المرضية والقذرة ، وعالج هولز في العديد من قصائده حياة الفقراء . وكان جيرهارت هوبتمان(Gerhart Hauptmann) أهم كتاب المسرحية الطبيعية . واشتهرت مسرحيته « قبل الفجر » (Vor Sonnenaufgang) (١٨٨٩) والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩١٢) لكونها

مكتوبة بالأسلوب الروائي ، وهي مسرحية لا بطل لها ودونما حبكة ملائمة . أما النسّاجون » (Die Weber) (١٨٩٢) والمترجمة الى الانكليزية عام (١٩٦٢) - وهي أيضاً مسرحية دون حبكة - فصرخة إتهام ضد الفقر الرهيب الناجم عن التصنيع . أما « معطف من فراء القندس »(Der Biberpelz) ١٨٩٣ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩١٢ - وهي واحدة من المسرحيات الكوميدية الألمانية القليلة الناجحة - فبسمة سخرية على طبقة الموظفين البروسيين التي تفوقت عليها غسالة ذكية بما جبلت عليه من فطرة سليمة ، أما « ادعاء هانل » (Hanneles Himmelfahrt) (١٨٩٣) فمثلت بدء تجربة هوبتمان مع المسرحية « الأبله في المسيح » (Der Narr in Christo, Emanuel Quint) (١٩١٠) والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩١١ عن طاقته ككاتب روائي نثري .

وفي أعقاب هوبتمان كتب عدد من المؤلفين بطريقة المذهب الطبيعي ، كان من أشهرهم هرمان سوديرمان (Herman Sudermann) .الذي اشتهر بمسرحيته (Ehre) (١٨٨٩) ، والمترجمة الى الانكليزية باسم « ما لا تستطيع النقود شراءه » و (Heimat) (١٨٩٣) والمترجمة باسم « ماجدا » (Magda) عام ١٨٩٦ وهما مسرحيتان تنتقدان أخلاقيات الطبقة المتوسطة . وماكس هالب(Max Halbe) في « المراهقة » (Jugend) (١٨٩٣) وهي مسرحية تروي قصة حب مراهق .

وخلال القرن التاسع عشر تخلى الأدب الألماني بصورة متزايدة عن المفهوم المثالي للانسان، وتحول الى تقويم عملي أكثر، منتقصاً الواقع، عاكساً بذلك قيام فكر وضعي ومادي في العلوم . وأثبت هذا ضيق الأفق ، وانسجاماً مع علم الكونيات العلمي النسبي الجديد في القرن العشرين . وشرع الخيال الفني يصور رؤ يا للعالم أكثر تعقيداً من ذي قبل .

الأدب النمساوي

شجعت اصلاحات ماريا تيريزا (Maria Theresa) وابنها جوزيف الثاني (Joseph II) على إحياء اللغة والثقافة الألمانيتين في النمسا ، وبخاصة في المسرح

الألماني . وعادت فيينا مرة ثانية مركزاً للمسرحية كتب فيها لمسرح البلاط (Burgtheater) كتّاب مسرحيون من أمثال جوزيف شريفوجيل (Joseph Schreyvogel) وهنريك لوب (Heinrich Laube) وادوارد فون بايرنفيلد (Eduard Von Bauernfeld) وفرانز جريلبارزير . أما مسرح الدولة الشعبي (Volksbühnen) فقدم مسرحيات عن حكايا الجان لفرديناند رايموند (Ferdinand Raimund) ، ومسرحيات عن الفلاحين للودفيج انزينجروبر (Ludwig Anzengruber) . كما قدم مسرحيات يوهان نيستروي (Johann Nestroy) الشعبية . أما الكتّاب المسرحيون من أمثال جوزيف فون هامار بيرجستال (Joseph Von Hammer - Purgstall) وجاكوب فالميراير (Jakob Fallmerager) فرادوا بمعالجاتهم الأماكن البعيدة ، بينما كتب فرانز ستيلز هامر (Franz Stelzhamer) ، وهو أحد الكتّاب المسرحيين الاقليميين العديدين ، باللهجة النمساوية العليا . وتتضمن قائمة كتاب المسرحية المنتجين في تلك الفترة أسماء تشرلز سلسفيلد (Charles Sealsfield) وفردريك فون شوارزنبرج (Friedrih Von Schwarzenberg) وأدالبرت ستفتر (Adalbert Stifter) (أنظر العنوان السابق « الواقعية والنزعات الاقليمية ») وفرانز كرينوتر (Franz Kranewitter) ، وفي حوالي نهاية القرن كتب فرديناند فون سار (Ferdinand Von Saar) وماري فون ابنر ايشنباك (Marie Von Ebner - Eschenback) وصفاً واقعياً لمجتمعي البرجوازية والفلاحين على حد سواء . أما الروائي بيتر روزيجار (Peter Rosegger) والمسرحي لودفيج انزينجروبر (Ludwig Anzengruber) فكتبا عن حياة الفلاحين وخففت دعابات انزينجروبر (Anzengruber) من مواعظه الجدلية في مسرحيته « الوزير من كير شفيلد » (Der Pfarrer Von Kirchfeld) (١٨٧٠) . و « العرض الرابع » (Das Vierte Gebot) (١٨٧٧) .

الفَصْل الثّامِن

الأدَب السويسري في القرن التاسع عشر

الأدب السويسري الألماني :

ان اكتساب الشهرة العالمية وما رافقها من التقدير النقدي داخل الوطن لم يكونا ليحدثا دوماً في الأدب السويسري في القرن التاسع عشر . وهكذا نجد أن « عائلة روبنسون السويسري » (Der Schweizerische Robinson) (١٨١٢ - ١٨٢٧) والمترجمة الى الانكليزية عام ١٨٨١ ليوهان دافيد ويس (Johann David Wyss) و « Heidi » (١٨٨١) ليوهانا سبايري (Johana Spyri) كانت نماذج على نجاح عالمي الانتشار حققته أعمال لم تنل الا تقديراً ضئيلاً في وطنها . وفي غضون ذلك أنجبت برن (Bern) أعظم روائييها : ألبرت بيتزيوس (Albert Bitzius) الذي كتب تحت الاسم المستعار جيريمياس جوتهيلف (Jeremias Gotthelf) والذي جمع القوة الملحمية مع معرفة عميقة بالطبيعة الانسانية في سلسلة من الروايات العظيمة التي تصف حياة مجتمعات الفلاحين السويسريين وصفاً دقيقاً . أما جوتفريد كيللر (Gottfreid Keller) وكونراد فرديناند ماير (Conrad Ferdinand Meyer) وهما من كتّاب زيوريخ (Zurich) فقد اشتهرا في أدبي القصة والشعر . ولقد وصل كيللر أولاً الى قمة قواه الابداعية في (Der grune Heinrich) (١٨٥٤ - ١٨٥٥) والتي نقحت بين عامي ١٨٧٩ و١٨٨٠) ، ثم ماير في ملحمته الشعرية « آخر أيام هوتون » (Huttens Letzte Tage) (١٨٧١) واعتمد ماير في مواضيعه على الجبال وبلاطات أمراء الماضي . وككاتب روائي انغمس في حياة عصر النهضة وثقافته .

وحفل شعر كيللر ونثره بالدعابة والحيوية والمرح ، وهي أمور تنسجم مع موقفه الانساني أساساً ، وقد اتخذ حبه لبلاده أشكالاً مختلفة ، من ترانيم في تمجيد وطنه الى النقد الاجتماعي اللاذع . وشدد على أهمية هذه الفترة مؤ رخ من بال (Basel) يدعى جاكوب بيركارت (Jakcob Burckhardt) وقفى على أثره تلميذه هنريك ولفلين (Heinrich Wolfflin) متابعاً ومتمماً ذلك الجزء من عمل استاذه المتعلق بتاريخ الفنون الجميلة .

الأدب السويسري الفرنسي :

كان الأدب السويسري الفرنسي في بداية القرن التاسع عشر على صلة وثيقة بحلقة مدام دوستايل (Madame de Staël) صاحبة النفوذ ، والتي غالباً ما كانت تستضيف أبرز رجال الفكر في أوروبا الغربية في بيتها الواقع على بحيرة جنيف (Geneva) وكانت هذه السيدة مع بنيامين كونستانت (Benjamin Constant) من أصل سويسري ، وتأثر عملها بهذا الأصل . كان سيمون دي سيموندي (Simonde de Sismondi) وهو من جنيف ، عضواً في آخر حلقة مدام دوستايل وقد كتب « تاريخ الجمهوريات الايطالية في العصر الوسيط » في السنوات (١٨٠٧ و١٨١٨) . (Histoire des républiques italiennes du moyen âge) .

ووصف رودولف توبفر (Rodolfe Toepffer) عالماً أكثر ألفة وأنساً في «مكتبة عمي» (La Bibliotheque de mon oncle) (١٨٣٢) ، بينما أظهرت أشعار جوست أوليفييه (Juste Olivier) وطنية واضحة وخلفت مقتطفات هـ . ف . اميل H. F.) Amiel) (Journal intime) (١٨٨٣ - ١٨٨٤) تأثيراً عالمياً مدوياً .

الأدب السويسري الايطالي :

يستخدم حوالي ٩ ٪ من سكان سويسرا الايطالية كلغتي تخاطب وكتابة . وتضم مجموعة الأدباء السويسريين الايطاليين فرانشيسكو سواف Francesco) Soave) من لوجانو (Lugano) الذي ترجم لجون لوك (John Locke) وسالومون

جيسنر (Salomon Gessner) الى الايطالية ، وقد اقتفى خطى ثانيهما وكتب روايته الأخلاقية (Novelle Morali) التي ظهرت في عدة طبعات وأشاعت قصة ويليام تل في ايطاليا ، كما تضم المجموعة ستيفانو فرانشيني (Stefano Franscini) الذي ساعد في إحداث وحدة التيسينو (Ticino) وربطها بروح الاتحاد الفيديرالي السويسري ، وكان عمله الرئيسي « سويسرا الايطالية » (La Svizzera Italiana) (١٨٣٧ - ١٨٣٨) يحمل شعاراً لاتينياً هو « إن أعظم آمالي أن تتطلع جبال الألب الى ايطاليا » وكان كتابه « وصف جديد لسويسرا » (Nuova Statistica Della Svizzera) ١٨٤٧ وصفاً مؤثراً بشكل بارز لسويسرا .

الفَصْل التّاسِع

الأدَب الهولندي في القرن التاسع عشر

مع أن مقالات جاكوب جيل في « تحريات وخيال » (Onderzoek en Phantasie) (١٨٣٨) وضعت معايير جديدة للنقدين الفلسفي واللغوي في الأدب الهولندي فقد اكتسحته الموجة المتنامية للرومانتيكية كما اكتسحت الشاعر انتوني ستارينج (Antony Staring) . وفي الوقت نفسه أيقظت المعتقدات الرجعية لحركة التنوير الفلسفية حب النضال عند الكالفينيين (Calvinisits) الذين أدركوا أن مركزهم الحصين بات مهدداً .

وقد حاول ويليم بيلدرديجك (Willem Bilderdijk) وتلميذه آيزاك دا كوستا (Isaac da Costa) أن يذكر الأمة برسالتها المقدسة. ووفرت الروايات التاريخية الأجنبية ـ وبخاصة أعمال شاتوبريان وسكوت ـ نماذج للابداعية القومية التاريخية. فنشر دافيد فان لينيب (David Van Lennep) في عام ١٨٢٦ مقالة طالب فيها أن يحتذى نموذج سير والتر سكوت ، بكتابة الرواية ، وقد استجاب ابنه جاكوب لهذا الطلب في روايته (De Pleegzoon) (١٨٣٣) ، والمترجمة الى الانكليزية باسم « ابن بالتبني عام ١٨٤٧) . ورغم أن أعماله لا يطلع عليها الآن سوى القلة ، فقد كان كاتباً خصب الانتاج في مجالات الشعر والرواية والمسرحية ونصوص الأوبرا والترجمة (عن بايرون وسكوت وشكسبير) والتاريخ والنقد الأدبيين . وكانت رواية أيرنوت دروست » (Aernout Drost) هيرمنجارد من روابي اوك بريال » (Hermingard van Elkenterpen) الأهم في هذا الصدد لما تمتعت به من مقومات الرواية الحديثة . وأسس دروست ايضاً صحيفة أدبية جديدة هي (De Muzen) (١٨٣٤) كانت صادقة مع روح الاحياء الجديدة (Réveil) شأنها شأن روايته.

وقد قام رجلان من هيئة تحرير الصحيفة ، هما المؤرخ ر . سي . باكهويزن فان دن برنـك(R. C. Bakhuizen Van den ybrink) وآيفـي راردوس يوهانـي بوتجيتـر (Everardus Johannes Potgieter) الذي غدا فيما بعد زعيماً للتخصصـة الأدبية ، بمتابعة الحملة في سبيل اصلاح المعايير النقدية ، وذلك في مجلة المرشد(De Gids) «التي عرفت كذلك باسـم «السفـاح الأزرق» بسبـب معالجتهـا القـاسية لسياسـة الارضاء . لقد قام بوتجيتر بتعريف الرواية التاريخية . ونفـذت انابسبـوم توسـان (Anna Bosboom Toussaint) أفكاره محولة مثالية دروست(Drost) المسيحية العالمية الى إيمان بروتستانتي قومي من العصر الذهبـي . ولـم يكن أشهـر كتبهـا «الرائـد فرانسيس»(Major Frans) (١٨٧٤) عمـلاً تاريخياً ، بل كان ينتمـي الى مجموعـة السياسة التحررية والنساء المحررات . وكان لاحدى الروايات التاريخية تأثير أكبر من قيمتها الأدبية . لقد أيقظت رواية هيندريك كونشنس(Hendrik Conscience) التي عنوانها(Leeuw Van Vlaanderen) (١٨٣٨) ، «أسد الفلانـدرز» (١٨٥٣ - ١٨٥٧) وعياً قومياً في الفلاندرز استكمل نضجه في عصر النهضة الفلمنكية .

كان نيكولاس بيتس (Nicolas Beets) أشهر شعراء عصره ، ورغم انه كُرِّم كشاعر بروتستنتي قومي إلاّ أن شهرته ترتكز على صوره الوصفية الاسكتشات) في (Camera Obscura) (١٨٣٩) ، التي لا تزال المبالغة في تقديرهـا قائمـة لما سمِّي بدقة ملاحظة التفاصيل على طريقة ديكنز . ولـم تكن الدعابة الـذكية عنـد بوتجيتـر تتمتـع بالسحـر الـذي كان لبيتس أو يوهانـز نيبيلـوت Johannes) Kneppelhout) الذي كتـب (Studententypen) (١٨٣٩ - ١٨٤١)١ ، والـذي كان التماسه للأصالة يحرم أسلوبه البساطة والوضوح . وساهمت المعـايير النقـدية المتزنة والشخصية والصارمة عند الناقد كونـراد بوشـكين ويت Conrad Busken) Huet) ، الكاتب التقدمي الذي ترك الكنيسة في إنزال الكتابة الهولندية في مقامها اللائق بين الكتابات الأوروبية الغربية . وجمعت مقالات ويت في كتاب « الصور الخيالية الجامحة » والنقد الأدبي (Litterarische Fantasien en Kritieken) (١٨٦٨ و١٨٨٨) . أما مؤلفه(Het Land Van Rembrandt) (١٨٨٢ - ١٨٨٤)فهو أفضل ما يمثل أعماله الأخيرة . وفي غضون ذلك قامت ضجة تسبب بهـا أحـد الكتّـاب

المغمورين ويدعى ملتاتولي (Multaloli) ، وهو الاسم المستعار للكاتب ادوارد دوويس ديكر (Eduard Douwed Dekker) الذي كشف عن كامل حدة وأثر اللغة في كتابه (Max Havelaar) (١٨٦٠) ، وذلك بما احتوى من نقد بارع للاستغلال الهولندي لجزر الهند الشرقية . وتأرجحت كتابة ديكر في (Wouterge Pieterse) (١٨٦٥ - ١٨٧٧) و «رسائل غرامية» (Minnebrieven) (١٨٦١) ما بين أقصى درجات العاطفية والفوضى ، والهجوم على المعتقدات التقليدية وخطط الاصلاح المثالية غير العملية . ورغم ان الشعر كتقليد كان بغيضاً اليه حظي ديكر بإعجاب الشباب من الأجيال الجديدة . فقد سجل أول شعراء الثمانينات وهو جاك بيرك (Jacques Perk) صوراً وصفية مستخدماً أسلوب ديكر الفكه ، وذلك قبل أن يكتب مجموعة من السونتات أسماها (Mathilde) (التي نشرت عام ١٨٨٢ بعد وفاته) والتي فتحت عهداً جديداً في الأدب الهولندي .

كان ظهور المجلة الدورية « المرشد الجديد » (De nieuwe Gids) (عام ١٨٨٥) بداية نهضة جديدة في أدب شمالي الأراضي المنخفضة . وحصراً ، تختلف هذه الدورية عن مجلة المرشد (De Gids) التي سبقتها ، بما خاضته من نضال في سبيل مثل أعلى جمالي. وقاد هذه الحركة الشاعران ويليام كلوس (Willem Kloos) وألبير فيروي (Albert Verwey) ، والناقد الغنائي العنيف لودفيج فان ديسيل (Lodewijk Van Deyssel) كما ارتبط بها المسرحي والشاعر والناشر فريدريك فان ايدين (Frederik Van Eeden) الذي احتل مكانة خاصة . وفي عداد المقربين منها : هيرمان جورتار (Herman Gorter) الذي أصبح الشاعر الرئيسي الأول بعد ظهور مؤلفه (Mei) عام ١٨٩٩ ، والشعراء ايلين لابيدوت شورات Hélène) Lapidoth - Swarth) وبيتر كورنيليس بوتنس (Pieter Cornelis Boutens) . وجان هندريك ليوبولد (Jon Hendrik Leopold) ومن الذين ينتمون الى هذا الجيل ايضاً جاكوبوس فان لوي (Jacobos Van Looy) الذي كتب نثراً تصويرياً ولويس كوبيروس (Louis Couperus) الذي وصف النشاطات الاجتماعية عند الهجيين (The Hague) .

الفَصْل العَاشِر

الأدَب البلجيكي في القرن التاسع عشر

الأدب البلجيكي باللغة الفلمنكية :

أطلق ويليم فيرهوفن (Willem Verhoeven) وجان باتيست فيرلو(Jan Baptist Verlooy) قبل نهاية القرن الثامن عشر ردود فعل ضد مؤلفات الحركة الانسانية في القرن السادس عشر الا أنهما أهملا روائع القرون الوسطى . وساعد على هذا الاحياء « الريدر كاريون » (Rederijkers) الذين استمروا على استخدام الفلمنكية لا الفرنسية . وكتب كاريل بروكار (Karel Broeckaert) أدباً مفرغاً في أسلوب حواري يمتاز بروح التحرر الفكري وذلك على نمط مقالات جوزيف أديسون (Joseph Addison) في مجلة « المتفرج » (Spectator) وكتب بروكار أيضاً أول قصة بالنثر الفلمنكي عنوانها (Jellen en Mietje) عام ١٨١١ وجسَّد الشاعر بيتر جوست دي بورشجريف (Peter Joost de Borchgrave) التحول من الكلاسيكية الى الرومانتيكية ، كما كتب جان باتيست هوفمان (Jan Babtist Hofman) مسرحيات «بورجوازية» .

وبدأ تأثير الابداعية بالظهور في القرن التاسع عشر . وكان على صلة بنمو الوعي القومي . وأما الجيل الأكبر من الكتاب وأهمهم جان فرانز ويلميز (Jan Frans Willems) وجان باتيست دافيد(Jan Baptist David) وفيليب بلومار(Philip Blommaert) وفرديناند سنيلار (Ferdinand Snellaert) فمع أنهم ظلوا عقلانيين قاموا بالكشف عن تراث القرون الوسطى الغني . وينتمي الى هذه المجموعة أيضاً شاعران هامان من الجيل الجديد هما كاريل لودفيج ليديجان(Karel Lodwijk Ledeganck) وبرودنس فان ديس (Prudens Van Duyse) أما جيل الشباب فكان

إبداعياً أكثر وبصورة عفوية ، كما تدل أعمال هندريك كونشنس مبدع الرواية الفلمنكية . أما تيودور فان ريدجسويك (Theodoor Van Rijswijck) ويوهان الفريدي دي ليه(Johan Alfried de laet) فقد حررا الشعر المفاهيم والأشكال الأدبية الاتباعية ، كما هاجمت قصص يوجين زيترنام(Eugeen Zetternam) وبيتر فرانز فان كيركهوفن (Petrus Frans Van Kerckhoven) ـ المسرفة بالابداعية ـ الشرور الاجتماعية .

وفي عام ١٨٦٠ بدأت ردة فعل على الابداعية قادها الكاتب الواقعي جان لامبرخت دوميان سليكس(Jan Lambrecht Domien Sleecks) وغدت الكتابة تتميز بالملاحظة الحادة ووصف الطبيعة المحلية والدعابة، ولم يكن التشاؤم بالامر النادر فيها، وهذا ما نراه في رواية (Ernest Staes) (١٨٧٤) لانطون برجمان (Anton Bergmann) ، «وقسم عزيز»(Een dure eed) (١٨٩٢) لفرجينيالافلينج (Virgine Loveling) . أما الشعراء يوهان ميشيل دواتزنبرج(Johan Michiel Dautzenberg) وجان فان بيرز(Jan van Beers) وروزالي لافلينج(Rosalie Loveling) مع أول ناقد فلمنكي هام وهو ماكس روزيه(Max Rooses) فقد عكسوا الطريقة الواقعية الجديدة.

وكان هناك نهضة مدهشة في الفلاندر الغربية شبيهة بهذه الواقعية، على رأسها شاعر غنائي يدعى جويدو جيزيل(Guido Gezelle) وداعية للقومية هو هوجوفيريس (Hugo Verriest) ، الذي نفح النثر حيوية جديدة. أما البريخت رودنباخ(Albrecht Rodenbach) الذي توفي قبل أن تنضج مواهبه فنظم اغاني عن الكفاح، وقصائد غنائية تدل على عمق التفكير، وملاحم هامة ومأساة شعرية أسماها «غودرن» (Gudrun) (١٨٨٢).

أما المجلة النقدية«عن اليوم والغد»(Van nu en Straks) التي رفعت من شأن الادب الفلمنكي في أوروبا فقد تأثرت بجيزيل وفيريس ورودنباخ أكثر من تأثرها بجيل الثمانينات. وبكل الاحوال، قام كتاب الثمانينات وفي طليعتهم الشاعر الحديث المعقد بول دي مون(Pol de Mont) ، بتوسيع آفاقهم ، ممهدين الطريق لمن خلفهم، بتشديدهم على الفردية ومبدأ «الفن للفن».

الادب البلجيكي باللغة الفرنسية

لقد جاء الحافز للنهضة الادبية البلجيكية التي طال انتظارها من ماكس وايلر(Max Waller) مؤسس المجلة النقدية الواسعة النفوذ «بلجيكا الفتاة»(La Jeune Belgique) عام ١٨٨١، والتي أعطت اسمها لحركة هدفت أن تصل الى تعبير أدبي ذي «وعي» بلجيكي حقيقي. وضمت هذه الحركة مجموعة من الكتاب ذوي المواهب الفردية الرفيعة الذين ينشدون اهدافا متماثلة بطرائق مختلفة.

ومن الروائيين الذين كانوا على صلة مبكرة بالحركة كان هنالك كاميل ليمونييه (Camille Lemonnier) ويوجيين ديمولديه(Eugène Demolder) وجورج ايكو (Georges Eekhoud) وهم أكثرهم نفوذا. أما روائيو «بلجيكا الفتاة» المتأخرون فكان من بينهم جورج فيريه(Georges Virrès)، الذي وصف بحماسة مفرطة حياة الفلاحين في كمبلاند(Kempenland) أو (كامبين)(Campine) وموريس ديزومبيو (Maurice des Ombiaux) الذي صور أبناء بلدته بدعابة ماكرة.

ومن بين الذين أثارتهم حركة «بلجيكا الفتاة» مجموعة من الشعراء المهتمين بالاسلوب واللغة، وفي عدادهم جويجوار ليروا(Grégoire Le Roy) وهو شاعر رمزي غنائي موهوب، وألبر موكيل(Albert Mockel)، وهو شاعر وناقد ومؤسس المجلة النفدية الرمزية الواسعة النفوذ(La Wallonie). وبكل الاحوال حجب نور هؤلاء ثلاثة من الشعراء ذوي المنزلة العالمية وهم اميل فيريران(Emile Verhaeren) وموريس ماتيرلنيك(Maurice Maeterlinck) وماكس ألسكان (Max Elskamp). لقد مجد فيريران كفاح الانسانية في سبيل العدالة الاجتماعية، واهتم ماتيرلنيك، مبدع المسرحية الشعرية الرمزية بالكشف عن المعنى الباطني للحياة، بينما عالج ألسكان مواضيع من الأدب الشعبي والأساطير.

أما أبرز الكتاب المسرحيين فكانوا ماتيرلنيك مؤلف(L'Oiseau bleu) التي مثلت عام ١٩٠٨، والمترجمة الى الانكليزية باسم «الطائر الأزرق» عام ١٩٠٩، وفيريران وجورج رودنباخ. واتسمت أعمال الكاتب المسرحي والروائي والناقد ادمون بيكار بالافكار الاشتراكية والرمزية والانطباعية.

وشهدت هذه الفترة كذلك بداية التأريخ الرسمي الحديث والنقد الحديث، وذلك في أعمال جودفروا كورت(Godefroid Kurth) ، وكان هنري بيرين(Henri Pirenne) مؤ رخا بارزا، كما ازدهر الفن والنقد والادبي، وبلغ الجو الذي يساعد على ازدهـار الثقافـة أوجـه بتـأسيس «الاكاديمية البلجيكية الملـكية للفـن والادب الفـرنسيين عام (١٩٢٠). (Belgian Académie Royale de Langue et de Littérature Françaises)

الأدب البلجيكي باللغة الولونية (Walloon)

ازداد عدد الشعراء الولونيين (Walloon) والكتاب باللهجات الاخرى خلال القرن التاسع عشر. فنظم شارل نيكولا سيمونون(Charles-Nicolas Simonon) المقطوعات الشعرية المثيرة للمشاعر في «لي كوبريه»(Le Côpareye) (وهو اسم ساعة كاتدرائية سان لامبير)، كما كتب فرانسوا بايوز (François Bailleux) اشعاره الساخرة في (Mareye) بينما نظم الشاعر الغنائي الولوني العظيم نيقولا ديفريشو (Nicolas Defrêcheux) مؤلفه الشهير «دعني ابكي» (Leyiz-implorer) (١٨٥٤). وكان تأسيس «جمعية ليبج للأدب الولوني» في ليبج عام ١٨٥٦ ذا أثر بالغ على اللغة والأدب على حد سواء. وازداد عدد القصائد والأغاني والمسرحيات، وحتى عدد الترجمات الى اللغة الولونية عن مؤلفين من أمثال لافونتين واوفيد وهوراس.

وفضلاً عن ليبج ذات الانتاج الغزير ظلت أجزاء اخرى من بلجيكا مراكز نشطة للكتابة باللهجات المختلفة. واستطاعت نامور (Namur) في القرن التاسع عشر ان تزهو بشارل فيرو (Charles Wérotte) ونيفولا بوزريه(Nicolas Bosret) الشاعر الذي اشتهر بأغانيه المؤثرة (Bia Bouquet) وظهرت اعمال جان باتيست ديسكان (Jean-Baptiste Descamps) وغيره في اينوه (Hainaut). وكانت برابان الولونية (Walloon Brabant) موطن الكاتب اللاذع الأب ميشيل رينار(Abbé Michel Renard).

وعند نهاية القرن التاسع عشر اختار العديد من الكتّاب الذين استخدموا اللهجات الولونية واقعية نظرية غير عملية متوسلين اياها لوصف الحياة اليومية. وظل افقهم ضيقاً بعض الشيء بسبب التقاليد الاجتماعية. وكان بين الشعراء جوزيف فرنتيس (Joseph Vrindts) وقبل الجميع يتوجب ذكر هنري سايمون(Henri Simon)، الشاعر الذي تغنى بالفلاحين العاملين. وتتضمن قائمة كتاب المسرحية الناجحين أندريه ديلشيف (André Delchef) وادوار ريموشان (Edouard Remouchamps) الذي زاوجت ملهاته الشعرية الهزلية - من نوع الفودفيل (Vaudeville) «تاتي مصففة الشعر» (Tâti l'périquî) التي مثلت عام ١٨٨٥ - بين قوة الملاحظة والبراعة الفنية.

الفَصْل الحَادي عَشَر

الأدَب الايطالي في القـرن التاسع عشر

كان القرن التاسع عشر فترة غليان سياسي في ايطاليا، وانغمس العديد من الكتاب في الأمور العامة، وصار أغلب الأدب الذي كتب بهدف سياسي جزءاً من التراث القومي ـ ولو لم يكن ذا قيمة ذاتية ـ مؤثراً في جميع الذين يقدرون الحرية وليس في الذين كتب لأجلهم فقط.

الابداعية الأولى:

كان يوجو فوسكولو (Ugo Foscolo) من بين اوائل الكتّاب المكافحين في سبيل وحدة بلادهم وتحررها من السيطرة الأجنبية، ووفق هذا الكاتب ما بين المشاعر العاطفية والكمال في الشكل الأدبي متأثراً بالنماذج الكلاسيكية. وكان كتابه «آخر رسائل جاكو بواورتيس» (Le Ultime lettere di Jacopo Ortis) (١٨٠٢) بالغ التأثير والشعبية. وهو قصة سردت في إطار سلسلة من الرسائل عن شاب دفعه حبه الخائب لامرأة، وحبه لوطنه الى الانتحار. ويقال الشيء نفسه عن قصيدة «عن الأضرحة» (Dei Sepoleri) (١٨٠٧) التي نظمت غنائياً، وفي اقل من ثلاثمائة بيت حول موضوع الالهام الذي توصيه قبور العظماء، وفيها يحض الشاعر الايطاليين ان يكونوا جديرين بتراثهم، وتركت هذه القصيدة اثرها الواضح على حركة توحيد ايطاليا او البعث القومي، وما زال للمقطع الذي امتدح فيه فلورنسا ـ لاحتفاظها برماد ميكالنجو (Michelangelo) وميكيافيلي (Machiavelli) وجاليلو (Galileo) في كنيسة سانتا كروس (Santa Croce) ـ شعبيته في ايطاليا. ومما يظهر كذلك خصائص فوسكولو الشعرية البارزة قصيدتان من الشعر الغنائي من نوع «الأود» (Ode) تمجدان الخصائص الآلهية للجمال، واثنتا عشرة سونتية تقف في مستوى روائع

بترارك وتاسو، وقصيدة ناقصة هي «آلهات الحسن الثلاث» (Le Grazie) وكتب للقراء الانجليز مقالات نقدية عن الأدب الايطالي، عندما كان منفياً في انجلترا من (١٨١٦ حتى عام وفاته ١٨٢٧).

وتتحد الوطنية والاتباعية عند فوسكولو مكونتين عاطفة واحدة تقريباً واشتهر فنشنزو مونتي (Vincenzo Monti) بقدرته على تحريك المشاعر، وقد رأى في الثورة الفرنسية خطراً على بلاده فكتب «الحاج البابوي» (Il pellegrino apostolico) (١٧٨٢) و (La Bassvilliana) (١٧٩٣، والمترجمة الى الانكليزية باسم «كفارة هوجن» عام ١٨٠٥) وأثنى على انتصارات نابليون في قصيدته «برميثيوس» (Prometeo) و«شاعر الغابة المظلمة» (Il bardo della selva nera) و«سيف فريدريك الثاني» (La spada di Federico II) (١٨٠٦) اما في «التعصب» (Il fanatismo) و«الخرافة» (La supertizione) (١٧٩٧) فهاجم الباباوات، كما أطرى النمساويين فيما بعد. وهكذا كان كل حدث عظيم يدفعه الى تغيير آرائه، ومرده الافتقار الى الايمان السياسي. ورغم ذلك بلغ العظمة في «جمال الكون» (La bellezza dell'universo) (١٧٨١). وهي قصائد غنائية من وحي المشاعر الوطنية وكذلك في ترجمته للإلياذة التي تعتبر من روائع الاتباعية الكلاسيكية الحديثة.

وفي نهاية القرن الثامن عشر احتل ميلشيوري كيساروتي (Melchiorre Cesarotti) مركزاً بارزاً في عالم الثقافة وأثّر مؤلفه (Poesie di Ossian) (١٧٦٣ - ١٧٧٢) على فوسكولو وليوباردي وغيرهما، وذلك لما اتسم به من خيال غامض وكئيب، وهي خصائص مخالفة للتأثير الاتباعي الى حد كبير. وكانت مقالته (Saggio sulla filosofia delle lingue) (١٧٨٥) ذات اهمية في الجدل الدائر حول اللغة الايطالية. وكان الاتجاه نحو اتباعية متحذلقة رد الفعل ضد التعابير الفرنسية التي فضل بعض كتاب القرن الثامن عشر الافراط في استعمالها. وبين هؤلاء الصفائيين انتونيوسيزاري (Antonio Cesari) الذي نشر طبعة جديدة موسعة لقاموس (Vocabolario della Crusca) (وهو اول قاموس ايطالي قامت بنشره «اكادمية كروسكا» (Accademia della Crusca) عام ١٦١٢، كما كتب سيزاري «حول الوضع الحالي للغة الايطالية» (Sopra lo Stato presente della lingua italiana) وسعى الى

تثبيت تفوق توسكان ودانتي وبترارك وبوكاشيو كنماذج خالدة، لكن عارضت احدى المدارس اللومباردية هذا التفوق التوسكاني، واصدر فنشنزو مونتي (Vincenzo Monti) زعيم هذه المدرسة كتابه «اقتراح حول بعض التصحيحات والاضافات الى قاموس كورسكا» (Proposta di alcune correzioni ed agguinte al vocabolario della Crusca) هاجم فيه توسكانية كروسكا. وانغمست ايطاليا بأكملها في الجدال حول اللغة والأدب والسياسة.

وكان بترو جيوردانـي (Pietro Giordani) كاتبـاً وطنياً واتبـاعياً وصفـائياً في الوقت نفسه. ويعتبر خلاصة لكل الحركات الأدبية في عصره. ورغم قلـة اعمالـه وضآلة اهميتها نسبياً انفرد بلقب آخر ممثل عظيم للحـركة «الصفـائية»(Purismo) وذلك لما له من مركز بين معاصريه وحملت السيطرة الفرنسية في ايطاليا الناس على ادراك ان المطامح التقليدية في الوحدة السياسية والاستقلال ممكنة التحقيق، اذ كان نابليون قد الغى الولايات المنفصلة وأدال حكامها. واقتنع الايطـاليون انـه ليس بمقدورهـم الاعتماد على المساعـدة الأجنبية، فالفـرنسيون الـذين دخلـوا ايطـاليا كمحررين اثبتوا بالواقع انهـم سادة مستبـدون. وكان الشـكل الأدبـي الاتباعـي المتكلف مرتبطاً بالسيطرة النابليونية ولذا بدأت القوى المناهضة للاتباعية تظهر الى الوجود عندما سقط نابليون. ونالـت الابـداعية الادبية حظـوة الفـرنسيين الـذين اعتقدوا خطأ انهم شبيهون بالابداعيين الألمان.

وحدثت معركة من اجلها ما بين ١٨١٦ و١٨١٨ وخاصـة في ميلانـو حيث صدرت المجلة الدورية (Il Conciliatore) وكان في عداد محرريها ج. بيرشيت (G. Berchet) الشاعر الوطني ومؤلف (La lettera semiseria di Grisostomo) (وهو اول بيان رسمي عن الابداعية) ومنهم كذلك سيلفيو بيليكو (Silvio Pellico) ول. دي بريم (L.di Breme) وجيوفيتـا سكالفينـي (Giovita Scalvini) و ي. فيسكونتـي (E.Visconti) لكن محاولات هؤلاء انتهت بالصمت عام ١٨٢٠ عندما اعتقل البوليس النمساوي العديد منهم بسبب آرائهم التحررية وكان من بينهم «بيليكو» الذي كتب فيما بعد تقريراً شهرياً عن تجاربه في السجن (Le mie prigioni) (١٨٣٢) والمترجمة الى الانكليزية باسم «سجوني» عام ١٨٥٣ ويبدو ان المدرسة الجديدة كانت اجمالاً

متناغمة مع التقاليد الايطالية. ورغم ما اظهرتـه من تأييد دراسـة الاعمال الحديثـة باللغات المختلفة والاستقلال عن التقاليد والمحاكاة الاتباعية. وكان المناصر الرئيسي للابـداعية اليسانـدرو مانزونـي (Alessandro Manzoni) وعملـه الـرئيسي هوا) Promessi Sposi) (١٨٢٥ - ١٨٢٧) : (والمترجم عام ١٨٨٩) الى الانكليزية بعنوان «الخطيبان» ويروي حكاية عاشقين من الفلاحين تصدى لعرقلة زواجهما واحد من النبلاء الأشرار ، الا ان شملهما التأم بعد عدة مغامـرات خلال الحـرب والثـورة والطاعون .

وتعد هذه الرواية من روائع الأدب الايطالي الحديث، بل تقف في مصـاف اعظم الروايات العالمية وتتخلل سلاسة واناقة ودعابة مانزوني هذا العمـل الـذي تتصف خلفيته التي تعود الى القرن السابع عشر بالحيوية، مع حبكة روائية معقدة. اما عبقريته كشاعر فتتجلى في قصائده الغنائية من نوع «الأود»(Il cinque maggio) والمترجمة الى الانكليزية باسم «دستور نابليون» التي كتبها بمناسبـة وفـاة نابليون و (Marzo) عام ١٨٢١ وفي مقاطع من «التراتيل المقدسـة» (Inni Sacri) وهـي خمس قصائد في احتفالات المهرجانات الكنسية يصف فيهـا العـواطف الانسـانية. امـا مسرحيتـاه المأساويتـان (Il conte di Carmagnola) (التـي عرضـت عام ١٨٢٠) و (Adelchi) (١٨٨٢) فتظهر تغلب الابداعية على الاتباعية، وتتضمن مقاطـع ذات

وكان جيوفاني باتيستا نيكوليني(Giovane Battista Niccolini) كاتباً مسرحياً بارزاً آخر في الفتـرة الرومـانتيكية تطـور اسلوبـه بالتـدريج من الـكلاسيكية الى الابداعية ، لكنه لم يتخط الدائرة المحلية ، رغم ان بلاغته حثت أبناء وطنه على حب الحرية .

وكان جياكومو ليوبـاردي (Giacomo Leopardi) اول شعـراء هذا العصر في ايطاليا، وهو عالم ومفكر بارز، وكانت اعماله في فقه اللغة وكتاباته الفلسـفية في (Operette morali) كافية وحدها لوضعه في مصاف عظماء كتـاب القـرن التاسـع عشر. لكنه عاش حياة الوحدة ينغّص حياته الفقر والمرض، ولذا احس بخيبة الأمل منذ كان في العشرين من عمره ورغم انه طوّر مبدأ التشاؤم العالمي،ويرى الحياة شراً والموت الراحة الوحيدة، ظل شعره المستند الى هذه الافتراضات المريرة الباعثة على اليأس ابعد ما يكون عن الكآبة والحزن وقد جمعت سائر اشعاره في ديوان واحد هو «الأغاني» (I Canti) (الـذي نشر اول مرة عام ١٨٣١) وكانـت له بعض الأشعـار

الوطنية التي لاقت شعبية آنية. الا ان افضلها ما صدر عن وحي غنائي عميق، ومن هذه القصائد قصيدة في التأمل واخرى عنوانها (A Silvia) نظمها في ذكرى فتاة ذوي عود حياتها عندما كانت في العشرين، وثالثة عنوانها (Le ricordanze) تصور طفولته، ورابعة عنوانها (Il passero solitario) تشبه الشاعر الوحيد بالعصفور الدوري الذي يغني بمفرده. اما القصيدتان (La quiete dopo la tampesta) و(Il sabato del villaggio) فصورتان حيّتان عن القرية. وجميع هذه القصائد توازن بين عمق المعنى وجمال الشكل الادبي وبساطة الاسلوب والزخم والجرس الموسيقي للألفاظ.

حركة تحرير ايطاليا وما بعدها

كان الأدب في ايطاليا بعد عام ١٨٢١ منصرفاً لرصد الاحداث السياسية الجانحة نحو تحرير ايطاليا، وكانت الوطنية المحرك الرئيسي للكّتاب الابداعيين والاتباعيين على حد سواء.

وقد خلقت روايات مانزوني اثرها العميق على كثير من الكتّاب للأخذ بنهجه. وكان للرّسام والكاتب السياسي ماسيمو تاباريللي دازيجيلو (Massimo Taparelli d'Azeglio) هدف سياسي في كتابه (Ettore Fieramosca) الذي يدور حول حدث بطولي وقع ابان عصر النهضة، ومع ان هذا الكتاب حافل بالوقائع، فهو مفعم بالحيوية. واصبح دازيجيلو المناصر للملكية البيدمونتية (Piedmont) رئيساً للوزراء اكثر من مرة، وقد كتب خلال اوقات فراغه مذكرات رائعة هي (I miei ricordi) اما فرانشيسكو جويرازي (Francesco Guerrazzi) المناصر للجمهورية ومن اتباع مازيني فكتب عدة روايات تاريخية ابرزها «حصار فلورنسا» (L'assedio di Firenze) وكانت الكتابة وسيلته لمحاربة الظلم والاضطهاد، وقد قاد الثورة التوسكانية عام ١٨٤٨، ومع ذلك كان اذا ما فرغ من النشاط السياسي يكب على التأليف، يشد قراءه باسلوبه الملتهب، لكنه لم يكن دائماً دقيقاً في الأمور التاريخية. وقد كان غاريبالدي (Garibaldi) يحفظ لفوسكولو (Foscolo) عن ظهر قلب قطعته المسماة (Dei Sepolcri) وكثيراً ما اطلق اتباعه على بعضهم بعضاً اسماء شخصيات جويرازي.

وكان آخر الروائيين التاريخيين في عداد جماعة غاريبالدي. وقد كتب ج. س. آبا (G.C.Abba) رواية بعنوان (Da Quarto al Volturno) وهو تقرير مؤثر عن حملة

غاريبالدي العسكرية عام ١٨٦٠ ، كما كتب ابولتيو نيفو (Ippolito Nievo) رواية (Le confessioni di un italiano) (١٨٥٨) وهي مسلسلة ليتو لم ترتفع الى مستوى الروائع لافتقارها الى التنقيح بسبب موت مؤلفها المبكّر. اما جيوسيبي مازيني (Giuseppe Mzzini) ، اعظم القادة السياسيين في حركة تحرير ايطاليا، والمنافح عن الجمهورية الايطالية، فكتب الكثير في الأدب والسياسة، مناصراً الابداعية في البداية، ثم معارضاً اياها لما فيها من تركيز على الفرد، لكنه متين الاسلوب، صادق الايمان في كل ما كتب .

وقد الف معظم اعماله السياسية في لندن اثناء فترة نفيه، ومنها «الايمان والمستقبل» (Fede ed avvenire) (١٨٣٥) و «واجبات الرجال» (Dei doveri degli uomini) (١٨٤٤) والى شباب ايطاليا» (Ai giovani d'Italia) (١٨٦٠).

اما فنشنزو جيوبرتي (Vincenzo Gioberti) فاضطر الى مغادرة بلاده بسبب حبه للحرية وقد نشر مؤلفه «التفوق الخلقي والمدني للايطاليين» (Del primato morale e civile degli italiani) عام ١٨٤٣ ، دفاعاً عن الحقوق التاريخية والاخلاقية للايطاليين وحقهم في الحصول على الاستقلال، كما أيد الاتحاد الكونفدرالي الايطالي تحت رئاسة البابا. ويشكل هذا الكتاب اساس العقيدة السياسية للايطاليين، من غير اتباع مازيني الذين لعبوا دوراً في ثورة ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ، لكن فشل هذه الثورة حمل جيوبرتي الى مراجعة آرائه، وعاد يناصر اقامة الملكية بزعامة اسرة سافوي (Savoy) في مؤلفه «الاحياء المدني لايطاليا» (Rinnovamento civile d'Italia) (١٨٥١).

وشاع الأدب الوطني وانتشر خلال هذه الفترة، ويعتبر كتاب لويجي ستيمبريني (Luigi Settembrini) «مذكرات حياتي» (Ricordanze della mia vita) واحداً من افضل الأمثلة على ذلك.

وهناك كتب اخرى من تأليف مانزوني (Manzoni) وليوباردي (Leopardi) وبيرشيت (Berchet) وجابرييل روزتي (Gabriele Rossetti) والناقد كارلو بورتا (Carlo Porta) الذي اتخذ من الفرنسيين والنمساويين هدفاً لسخريته، وجيوسيبي جيواكينو بيلي (Giuseppe Gioacchino Belli) الذي استخدم مواهبه في دقة الملاحظة الخارقة لوصف حياة الناس في روما البابوية، وذلك في الفي سونيتة. وازداد الاطلاع

على انتقـادات جيوسيبـي جيوستـي (Giuseppe Giusti) ايضـاً. وكان فرانشيسـكو دالونجارو (Francesco Dall'Ongaro) واليردو اليردي (Aleardo Aleardi) وجيوفاني براتي (Giovanni Prati) كتاباً ابداعيين عاطفيين ووطنيين. كان براتي حامـل لواء «الابداعية الثانية». وهي حركة ازدهرت بـين ١٨٥٠ ـ ١٨٧٠ وتميزت بالعـاطفية والتكلف. واستقبلت قصيدة براتي (Ermengarda) (١٨٤١) كقصيدة ذات اصالة، كما امتدح اليردي كثيراً، الا ان هؤلاء ومقلدي مانزوني العاديين أساؤوا الى سمعة الابداعية، وسببـوا رد فعـل كاردوشي (Carducci) وبـدوره كان نيكولـو تومـاسيو (Niccolo Tommaseo) وطنياً ابداعياً يأتي في المرتبة الثانية بعد مانزوني كأعظم شاعر وكاتب مقالات كاثوليكي في عصره. جمع في شخصيته وعمله خصائص متضاربة، الا ان بعض قصائده رائعة.

كان جيوسي كاردوشي (Giosuè Carducci) شخصية بارزة تحـول دعمـه الحماسي للقضية القومية خلال كفاح ١٨٥٩ ـ ١٨٦١ الى خيبة امل بسبب ما تورطت فيه المملكة الجديدة من مصاعب. وتنضح بعض اشعاره بمرارة الخيبة والثورة. وتضـم مجموعتاه «قواف جديدة» (Rime nuove) و«قصائد بربـرية» (Odi barbare) وقد ظهرتا في الثمانينات افضل قصائده بما فيها من استرجاع عهد الطفولـة واثـارة ذكريات المناظر الطبيعية والتفجع على الأحزان العائلية والعرض الملهم للأحداث التاريخية والجهود الطموحة لاحياء امجاد تاريخ روما، والأعجاب الشديد الصادق بالحضـارة الـوثنية (رغـم ما في ذلك من مفارقـة تاريخية)، فقـد حاول ان يكيّف العروض اللاتيني مع الشعر الايطالي، جارياً قلمه ببعض القصائد الجيدة، الا ان معارضته للرومانتيكية وخطبه النثرية المطولة احدثت رد فعل عنيفاً، ولم يطل امد اصلاحه العروضي. وفضلاً عن كل هذا كان عالماً ومؤرخاً للأدب ظلت لمقالاته الأدبية قيمـة خالـدة، رغـم ان النقـد الادبـي الفلسفـي ـ كنقـد دي سانـكتيس (De Sanctis) لـم يكن ملائماً لطبيعته.

ويعتبر فرانشيسكو دي سانكتيس (Francesco De Sanctis) ـ الذي نفاه حكّام نابولي من آل بوربون ان الادب تعبير عن الأوضاع الاجتماعية والاخلاقية وقد دشّن النقد الجمالي على اساس مكين من التدريب الفلسفي ولم تحـرز «مقـالات نقـدية»

(Saggi Critici) و«تـاريخ الأدب الايطـالي» (Storia della letteratura italiana) «الشهرة المتوخاة في ايامه لكنها نالت التقدير فيما بعد وقادت الى الاحياء الفلسفي الذي بدأ في اواخر القرن التاسع عشر.

وحـاز جيوفانـي باسـكولي (Giovanni Pascoli) شهـرة واسعـة اثنـاء حياة كاردوشي، الذي خلفه في كرسي الأدب الايطالي في جامعة بولونيا. وكان الفن الذي قدمه في اغلبه انطباعياً، ومجزءاً كما كانت لغته متكلفة احياناً، الا ان الصفة الغنائية في شعره مترددة الوحي بدايتها (كما في (Myricae) عام ١٨٩١) لكنها ترتد عالية النبرة حالما يخوض مواضيع العصـور القديمـة الشامخـة عن التـراث الرومانـي وايطـاليا العظمى، يعبّر عن مزاجه الحقيقي في اغاني كاستيلفيشيو (Canti di Castelvecchio) (١٩٠٣) وفي اتباعية «قصائد عربيدة» (Poemi conviviali) (١٩٠٤). وأصدر في السنوات التالية على شرف مدينتين مقدستين هما روما وتورينو تراتيل بطولية باللغتين اللاتينية الانسانية، والايطالية المتكلفة عمداً ولكن ما كتبه محـاكاة لكاردوشي ودي انونزيو ادنى قيمة من تلك القصائد التي استوحاها من مؤثرات اكثر تواضعاً.

برز جيوفاني فيرجا (Giovanni Verga) كأعظم الروائيين الايطاليين في عهده فقد كان استاذ الواقعية الايطالية، وتوصل الى القـوة المؤثـرة في أفضـل رواياتـه (I malavoglia) (١٨٨١، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٣) باسم «بيت بجانب شجرة المشملة» (Medlar) و «السيد السير جيسوالدو» (Mastro — don Gesualdo) (١٨٨٩) ورصدها لوصف الاوضـاع الكئيبـة في صقلية خلال الشطـر الأول من القرن. وكان ذا موهبة خاصة في كتابه القصة القصيرة كما في (Novelle rusticane) ومع ان نجاحه لم يكن فورياً فما انفك عظيم التأثير على تطور الادب الايطالي. اتبـع اسلوبـه كل من لويجـي كابوانـا (Luigi Capuana) وفيديريكو دي روبرتـو (Federico De Roberto) الذي كتب «نواب الملك» (I vicerè) (١٨٩٤) وهي رواية ممتازة. ولكي يضمـن هذان المؤلفـان الحصـول على صورة واقعية للحياة اقتربـا بمواضيعهما من الحياة في مناطقهما خالقين بذلك تقليد الرواية «الاقليمية»، وهذا ما ينطبق بدوره على ماتيلد سيراو (Matilde Serao) وريناتو فوشيني (Renato Fucini) والى حد ما على انطونيو فوجازارو (Antonio Fogazzaro) مع ان شخصياته كانت

تتحرك ضمن دائرة اوسع . وكان «فوجـازارو» رجـلاً تقياً ، متأثـراً الى حد بعيد بمانزوني والابـداعيين الألمان ، ولـكن روايتيه الاخيرتـين «القـديس» (IL Santo) (١٩٠٦) التي اشتهرت لما اثارته من انتقادات السلطات الدينية العليا ، و «ليلى» (Leila) (١٩١١) لم تكونا لتعادلا الرقة والاغراء العاطفي المتوضعين في عمل سابق هو رواية (Piccolo mondo antico) (١٨٩٥) ، المترجمة الى الانكليزية عام ١٩٠٦ باسم «الوطني» وتعتبر أفضل اعماله كافة و (Piccolo mondo moderno) (١٩٠٠ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٠٧) باسم «الرجل العصري» .

وحاول «فوجازارو» ان يقابل بين الواقعية في عصره ومثاليته الشخصية منصرفاً باهتمامه الى الأمور النفسية اكثر من بقية الكتّاب الواقعيين، ومع ذلك لم يصل البتة الى قوة فيرجا .

وأحرز اميليو دي مارشيه (Emilio De Marchi) شهرة باقية لكنها اقل بريقاً، وتكشفـت رواياتـه وخصوصـاً (Demetrio Pianelli) (١٨٩٠) عن طبيعـة مفـكرة رحيمة .

أما ادموندو دي اميسيس (Edmondo De Amicis) فكان كاتباً مختلفاً تماماً، وقد اصبحت قصته (Cuore) (١٨٨٦ ، والمترجمة عام ١٩٦٠ للمرة الأولى باسم «قلب الغلام» من روائع أدب الاطفال ، كما ان كتب الرحلات وقصصه القصيرة تمثـل بالفعل مزاج جماهير العامة في عصره .

وأخيراً خلـق كتـــاب «الخلاعـــة الميلانية» (Scapigliatura milanese) حركة اصطبغت الى حد بعيد بالابداعية الحقيقية، (وليس «الابداعية الثـانية» التـي ثارت الحركة ضدها اصلاً. وهي حركة تكره الحياة البورجوازية المنظمـة، وتستقـي من معين البوهيميين الفرنسيين. ويأتي في طليعـة هؤلاء الكتّـاب الروائـي جوزيبي روفاني (Giuseppe Rovani) مؤلف «المائة عام» (I cento anni) (١٨٥٩ ـ ١٨٦٠) واميليو براجا (Emilio Praga) والشاعر والموسيقار اريجو بويتو (Arrigo Boito) الذي كان يضع كلمات الاوبرا لجوزيبي فيردي (Giuseppe Verdi) .

وسادت الطريقة التاريخية في النقد الادبي، كما ظهرت ابحاث كثيرة تهدف

الى توضيح التاريخ السياسي والأدبي تحت تأثير اليساندرو دانكونا (Alessandro D'Ancona) و أ. بارتولي (A.Bartoli) و س. دي ليفا (C.De Leva) وباسكالي فيلاري (Pasquale Villari) و د. كومبارتي (D. Comparetti) و ج. آي. اسكولي (G.I. Ascoli).

الفَصْل الثّاني عَشَر

الأدب الاسباني في القرن التاسع عشر

كان الأدب الاسباني في الثلث الأول من القرن التاسع عشر لا يزال متأثراً بالحروب النابليونية وبما اعقبت من آثار دامت فترة طويلة. والتمس العديد من الأحرار الذين نفاهم فرديناند السابع (Ferdinand VII) ملاذهم في فرنسا. وعندما عادوا الى اسبانيا بعد وفاته عام ١٨٣٣ كانوا متأثرين بالابداعية الفرنسية الى الحد الذي يمكننا فيه اعتبار هذا التاريخ بداية للحركة الابداعية في اسبانيا.

وغدت الارض ممهدة لهذا في كاديز (Câdiz) **منذ ١٨١٤ وذلك بالمناظرات التي** استهلها الالماني يوهان نيكلاوس بول فون فابر(Johann Niklaus Böhl von Faber) حول موضوع القيم الأدبية ، وفي برشلونة بأصدار المجلة النقدية(El Europeo) عام ١٨٢٣ ، وفي مدريد بالمقالة التي كتبها اوجستين دوران (Augustin Duran) عن المسرحية في عصر النهضة الاسبانية الذهبي (Siglo de Oro) وبكتابة « مجموعة من الاغاني الشعبية من نوع البالاد » (Collection de romances antiguos) (١٨٢٨ - ١٨٣٢). وكانت الابداعية الاسبانية من وجوه عدة عودة الى روح روائعها الاقدم عهداً. وكانت الخصائص الشكلية للمسرحية الاسبانية الابداعية وأهمها امتزاج الانواع الادبية ، ورفض الوحدات ، والتنوع في البحر - من ميزات مسرحيات لوب دي فيجا ومعاصريه الذين عالجوا فضلا عن ذلك ، العديد من المواضيع .

ووصلت الحركة الى اسبانيا متأخرة جيلا كاملا عن بقية البلدان الاخرى ، كما انها لم تستمر فيها طويلا، ولم تصبح البتة مدرسة ولم يكن لها زعيم معين . فخوسيه دي اسبرونسيدا (José de Espronceda) هو الكاتب الابداعي الوحيد الذي عاش الابداعية ، وأعماله الشعرية « تلميذ من سالامانكا » (Etudiante de

Salamanca) و« الأغاني » Cancionesz) والعمل الناقص « العالم الشيطاني »El)
diablo mundo) هي القصائد الغنائية الذاتية الوحيدة القيمة التي انتجتها هذه الفترة ، كما كانت علامة بارزة في تطور الشكل الأدبي الشعري . أما مسرحية « دون الفارو أو قوة القدر » (Don Alvaro o la Fuerza del sino) للكاتب انجيل دي سافيدرا ، دوق ريفاس (Angel de Saavedra, duque de Rivas) والمقدمة التي كتبها الناقد أنتونيو ألكالا جاليانو (Antonio Alcalà Galiano) لقصيدة سافيدرا القصصية « المغربي اللقيط » (El moro expósito) (١٨٣٤) فهما أقرب تعبير عن الفلسفة الابداعية.

وكشف ثلاثة من الشعراء عن أن تحرير الشخصية الفردية كان واحداً من اهتمامات الابداعية ، وعبر جوستا فو أدولفو بيكير (Gustavo Adolfo Bécquer) عن عواطفه الشخصية المعذبة في (76 Rimas) ، وكتب رامون دي كامبوموراي كامبو سوريو (Ramôn de Campoamor y Campoosorio) (Doloras) و (Humoradas) و (Pequenos Poemas) (وهي أشكال شعرية أدبية من إبداعه محاولاً العودة بالشعر الى عالم الافكار ، كما كتب جاسبار نونيزدي آرسي (Gaspar Nûnêz de Arce) « صرخات القتال » (Gritos del combate) وهي عظات وطنية حماسية تدافع عن الديمقراطية . واستبق الشاعر المتأخر سالفادور رويدا (Salvador Rueda) ، غيره الى النزعة العصرية بما قدمه من ابتكارات ، وأثر على خوان رامون جيمينز (Juan Ramôn Jiménez) ، كما كان مصوراً محلياً بارعاً ومليئاً بالحيوية .

كانت الكوستمبريزمو (Costumbrismo) حركة بدأت قبل الابداعية وازدهرت في الوقت نفسه ، وعنيت بالكتابة النثرية الواقعية ، ضمن اطار روائي في أغلب الاحوال ، وكانت تشبه كتابات جوزيف أديسون (Joseph Addison) وريتشارد ستيل (Richard Steele) في مقالات كوفرلي (Coverly) وكانت (Cuadro de constumbers) و (articulo de costumbres) صوراً وصفية أدبية قصيرة عن العادات والتصرفات والشخصيات ، وفيما هدفت الأولى الى الوصف لمجرد الوصف كانت الثانية نقدية وانتقادية اكثر . وربما كان أول عمل من هذا القبيل « رسائل من فقير عاطل عن العمل (cartas d'un pobrecito holgazân) (١٨٢٠) للكاتب سيباستيان

دي مينانو (Sebastiân de Miñano) إلا ان اهم هذه الاعمال ما انتجـه خوسيه دي ماريا نولارا (José de Mariano Larra) ، الكاتب النثري البارز وأعظم مفكر ناقد في عصره ، والذي شرّح مجتمعه دونما رحمة في (Articulos) (١٨٣٥ ـ ١٨٣٧) ، وما قدمه رامون دي ميسونيرو رومانوس (Ramôn de Mesonero Romanos) هو صورة حية عن الحياة المعاصرة في « مشاهد من مدريد » (Escenas martritenses) (١٨٣٦ ـ ١٨٤٢) .

وما كتبه سيرافين استيبانيز كالديرون (Serafin Estèbanez Calderón) الذي صور العـادات والقصص الشعبـي والتـاريخ في الأنـدلس في «مشاهـد أنـدلسية» (Escenas Andaluzas) (١٨٤٧) وساعدت هذه الكتابات وما شابهها ، بما فيها من عناصر واقعية ومحلية على التمهيد لاحياء الرواية .

كانت الرواية أعظم المساهمات الاسبانية في الأدب الا ان انتاجها ظل محدوداً أكثر من قرنين . وكانت أولى روايات الاحياء الادبي ممتعة لما فيها من قوة ملاحظة ووصف (هما استمرار للكوستمبريزمو)، وليس لما فيهـا من خصـائص خيالية أو قصصية . فقد حددت الروائية فيرنان كاباليرو (Fernan Caballero) الأسلوب الفني للملاحظة الذي أعاد للرواية اعتبارها ، وذلك في (La Gaviota) (١٨٤٩) والمترجمة عام ١٨٦٧ الى الانكليزية باسم «النورس» وبدأت الفترة العظيمة للرواية الاقليمية بالتحفة الرائعة للكاتب بيدرو انتـونيودي آلاركون (Pedro Antonio De Alarcón) وعنوانها «القبعة ذات الزوايا الثلاث عام ١٩١٨» (El Sombrero De Tres Picos) وهي قصة مذهلة تصف حقد الفلاحين . ومع أن الـواقعية المحلية سادت أعمال خوان فاليرا (Juan Valera) أيضاً ، فقد تميزت رواياته الى جانب ذلك بنظرة التحليل النفسي وبخصائص التجرد الموضوعي . وكان خوسيه مارياديي بيريدا (José Maria De Pereda) أعظم الكتاب الاقليميين ، ومثلت واقعيته بعثاً قوياً للطبيعة كحقيقة ثابتة أهم من الفرد ، كما كشف مؤلفاه «الرقة» (Sotileza) (١٨٨٤) «وفي أعـالي الجبـال» (Peñas Arriba) (١٨٩٣) عن دعمـه القيم التقليدية في شؤون الـدين والاسرة والحياة الـريفية . أمـا اميليا كونتيسـة باردوبـازان (Emilia, Condeza De Pardo Bazan) في رواياتها عن غاليسيا (Los Pazos De Ulloa) ١٨٨٦ ، والمترجمة

عام ١٩٠٨ الى الانـكليزية باسـم «ابـن الجـارية» و«الطبيعـة الأم» (La Madre Naturaleza) (١٨٨٧) ، فقد حاولت المواءمة بين وجهة النظر المسيحية الاسبانية ، ومبادىء المدرسة الطبيعية الفرنسية مما كشف التنافر بينهما ،لكن هذه الكاتبة عادت في رواياتها المتأخرة الى الواقعية الاسبانية الحقيقية . أما أهـم روائـي في استـورياس (Asturias) فهو أرماندو بالاسيو فالديس(Armando Palacio Valdés) .

وبالاضافـة الى ممارسـة هذه الاقليمية نجـد ان خصـب روايات بنيتـو بيريزغالدوس(Benito Pérez Galdós) يكون عالماً قائماً بذاته . فبعد ان عايش احد أكثر فصول التاريخ الاسباني اضطراباً قام باعادة خلق ما سبقه من فصول مبتدئاً بالحرب مع نابـوليون . وقـد ضمـت الـروايات السـت والاربعـون لمجموعتـه (Episodios Nacionales) (١٨٧٣ ـ ١٨٧٩) و (١٨٩٨ ـ ١٩١٢) سبعين عاماً من تاريخ البلاد فعم بذلك اجيالاً من الاسبان الكثير مما يعرفون من تاريخ بلادهم .

كان هناك بضعة أعمال بارزة في المسرحية التي انحرفت بعد التطور الابداعي القصير . وأحرز مانويل تامايواي بوس(Manuel Tamayo Y Baus) الشهرة بعمل وحيد هو: (Un Drœmœ Nuevo) (١٨٦٧ ، والمترجم عام ١٩١٥) . الى الانكليزية باسـم «مسرحية جديدة». والتـي كانـت شخصياتهـا أفـراد فرقـة شكسبير للتمثيل (بمن فيهم شكسبير نفسه) وشهّر اديلاردولوبيز دي ايالا(Adelardo L'opez De Ayala) بالنقائص البورجوازية في «السطح الزجاجي»(El Tejado De Vidrio) (١٨٥٧) و(Consuelo) (١٨٧٠) وكانـت جائـزة نوبـل للآداب عام ١٩٠٤ من نصيب خوسية ايكيجاري اي ايزاجوير(José Echegary Y Eizaguirre) الذي تنقسم مسرحياته الثلاث والستون الى مجموعتين رئيسيتين . تحولت المسرحية في المجموعة الاولى منهما الى ميلودراما، وقد سعت جاهدة لاحداث التأثير، كما تميزت بالزيف الـرئيسي في الشـخصيات والعـواطف والمواقف. أمـا المجموعـة الثـانية فتشكل مسرحية جادة مأساوية على الاغلب عن المشاكل الاجتماعية ، هي في أغلب الاحوال مأساوية . أما خواكين ديسنتـا(Joaquin Dicenta) فاقتـرب بالمسرحية من الواقـع بدراسته الواقعية الكئيبة عن أوضاع الطبقة العاملة ، كما في «خوان خوزيه»(Juan José) التي عرضت عام ١٨٩٥ . وقلّص فشل التغلب على المشـاكل الناجمـة عن

التحول في التأليف من الرواية الى المسرحية من النجاح الكامل في المسرح للكاتب بيريز جالدوس(Pérez Galdós) الذي دفعته رغبته في إثارة الوعي الاجتماعي للتحول الى المسرح بصورة متزايدة . وكانت أهم مسرحياته «الحقيقة»(Realidad) (١٨٩٢) والمجنونة في اليت (La Loca De La Casa) (١٨٩٣) و«اليكترا»(Electra) ١٩٠١ .

الأدب الكاتالاني : (Catalan)

ظهر في عام ١٨١٤ كتاب «قواعد اللغة الكاتالانية والدفاع عنها» (Gramàtica Y Apologia De La Lengua Cathalana) للكاتب جوزيب باو بالوت اي توريس (Josep Pau Ballot I Torres) البشير بالنهضة الأدبية واللغوية (Renaixensa) التي ميزت الفترة الابداعية في كاتالونيا . وبكل الاحوال أدرك الرواد الأوائل ما في اللغة القديمة من نقائص قعدت بها عن التعبير عن الافكار الروحية والفكرية . ولعبت «مؤسسة الدراسات الكاتالانية» (The Institut D'estudis Catalans) التي تأسست في برشلونة عام ١٩٠٧ دوراً بارزاً في الاغناء المتعمد ، وفي تنقيح اللغة الكاتالانية باعتبارها وسيلة لنقل الفكر المعاصر .

وكانت قصيدة بونافينتورا كارليس أريبو(Bonaventura Cales Aribau) الوطنية «قصيدة غنائية الى وطن الاجداد»(Oda A La Pâtria) (١٨٣٢) وقصائد يواكيم روبيو إي اورس(Joaquim Rubio I Ors) وفيكتور بالاجوير (Victor Balaguer) هي التي مهدت الطريق لصوفية خاسنتو فيرداجوير سانتالو(Jacintó Verdaguer Santalo) ، الشاعر الملحمي العظيم ومؤلف(L'Atlàntida) (١٨٧٧) و (Canigó) (١٨٨٦) . وقد حقق ميجيل كوستا اي لوبيرا(Miguel Costa I Llobera) كمالا كلاسيكياً في الشكل الادبي . ووجدت كاتالونيا شاعرها الحديث العظيم الاول في خوان ماراجال أي جورنيا(Joan Maragall I Gorina) الذي ترك بصماته واضحة على من تبعه من الشعراء وذلك بما تميز به من خصائص روحية من جهة . ولاعتقاده ـ لسوء الحظ ـ بأن الالهام يحل الفنان من تبعة نشدان الكمال شكلاً من جهة أخرى .

وأرست كتابات ربيو اي اورس(Rubió I Ors) النقدية أسس النثر الكاتالاني

الحديث ، وكذلك كتابات فرانشيسكو بي اي مارجـال(Francisco Pi I Margall) أحد الرؤساء الاربعة للجمهورية الاسبانية التـي قامـت عام ١٨٧٣ ، وكتابـات جوزيب توراس اي باجيس (Josep Torras I Bages) مؤلف (La Tradició Catalana) (١٨٩٢) . وكان كاتب المقالات يوجيني دورس(Eugeni D'ors) واسمه المستعار(Xenius) واحداً من أفضل كتـاب النثـر وأبلغهـم تأثيراً، وكانـت روايتـه الفلسفية «الجذور العميقة»(La Ben Plantada) ١٩١١ واحدة من أبرز الاعمال في الأدب الكاتالاني الحديث .

وقدم الكتاب المسرحيون الكاتـالانيون مسرحيات تمتـاز بالاصالـة الجـديرة بالاعتبار وأحرز انجيل جويميرا(Angel Guimera) شهرة اوروبية بمسرحية(Terra Baixa) ١٨٩٦ ، والمترجمة عام ١٩١٤ الى الانكليزية باسم «مارتا من المنخفضات». وكتـب اجنـاسي اجليسياس (Ignasi Iglésias) ، الـذي تأثـر بالكاتب المسرحـي الالمانـي جيرهـارت هوبتمان (Gerhart Hauptmann) الكاتـب الالمانـي المسرحي من القرن التاسع عشر العديد من المسرحيات ومـن بينهـا المسرحية التـي تقارب مستوى التحف الرائعة «العجائز»(Els Vella) (١٩٠٣) .

وأدى اخماد الديكتاتور ميجيل بريمو دي ريفيرا(Miguel Primo De Rivera) (١٩٢٣ - ١٩٢٩) للغات الاخرى عدا القشتالية(Castilian) الى القاء تبعة الابقاء الادبي على اللغة الكاتالانية بصورة رئيسية على المفكرين المنفيين الى مدينة مكسيكو الى سانتياجو(Santiago) في شيلي .

الأدب الغاليسي(Galician)

أحيت الحركة الابداعية الاحساس المحلي والاهتمام بالاشياء الغاليسية ، لكن ليس باللغة نفسها ، وهو عين ما أحدثته الحرب في شبه الجزيرة . وكانت ألعاب الزهور أو اللقاءات الشعرية(Xogos Froraes) وهـي مرادف(Jocs Florals) لعـام ١٨٦١ في الكاتالانية والبروفانسية ، وظهور أول قامـوس (١٨٦٣) وأول كتـاب لقواعد اللغة الغاليسية عام ١٨٦٤ هي أهم علامـات التغيير . وكان فرانشيسـكو أنون اي باز(Francisco Anón Y Paz) أول شاعر بارز في هذه اللغة المبعوثة ، ومن

أبرز خصائصه حبه للوطن وللحرية . اما روزاليا دي كاستروRosalia De) (Castro ، وهي أعظم اسم في الأدب الغاليسي فعكست روح سكان الريف الغاليسي في «أغان غاليسية»(Cantares Gallegos) (١٨٦٣) ، أما «الاوراق الجديدة»(Follas Novas) (١٨٨٠) الاستبطانية الى درجة اليأس فعكست أحزاناً شخصية عميقة . وبينما كان ادواردو بوندال اي أبنتيEduardo Pondal Y) (Abente والشاعر الذي احس بالماضي البطولي احساساً مبهماً مهتماً بالطبيعة والاساطير السلتية كان فالنتين لاماس كارفاجال(Valentin Lams Carvajal) الصوت المعبر عن ضمائر الفلاحين .

ولم تظهر انجازات أدبية مشابهة في النثر ، وقدم أويليو ريبالتاAurelio) (Ribalta ، ومانويل لوجريس فريري(Manuel Lugris Freire) وهيراكليو بيريز بلاسر(Heraclio Pérez Mlacer) قصصاً قصيرة ، الا أن ضوء هؤلاء خبا دون نور كاتبتي الرواية الرفيعتي المنزلة اميليا باردوبرازان(Emilia Pardo Brazàn) وروزاليا دي كاسترو(Rosalia De Castro) اللتين اختارتا الكتابة لجمهور أوسع باللغة القشتالية .

الفَصْل الثّالِث عَشَر

الأدَب البرتغالي في القـرن التاسع عشر

شهد القرن التاسع عشر نهضة عامـة في الأدب البرتغـالي ، وكان الممثـلان الرئيسيان للابداعية هما هواو باتيستا دي ألميدا جاريت(Joao Baptista De Almeida Garrett) في الشعر والمسرحية ، وأليكزاندر هيركيولانو(Alexandre Herculano) في النثر ، وقد سلخا في المنفـى بضـع سنـوات من حياتهما تسـديداً لثمـن تحـررهما السياسي . وقـد أطلـع ألميدا جاريت على الآداب الانجليزية والفـرنسية وأدخـل الابداعية القومية الى البرتغـال عبـر ملحمتـين هما(Camoes) (١٨٢٥) و(Dona Branca) (١٨٢٦) . كما كان للشاعـر أنتـونيو فيليسيانـو دي كاستيلـو(Antonio Feliciano De Castilho) الذي جمع بين الابداعية والاتباعية تأثيره الواسع على جيل من الشعراء الشبـاب امثـال هواو دي ليمـوس(Joao De Lemos) وسـوريس دي باسوس(Soares De Passos) وتوماس ريبيرو(Tomàs Ribeiro) الذي أحرز الشهرة بقصيدة تتقد حماسة وطنية عنوانها(Dom Jaime) (١٨٦٢) . وفي عام ١٨٦٥ قام انتيرو دي كونتيال(Antero De Quental) طالب الفلسفة الالمانية والشعر الالماني ، وتيوفيلو براجا(Teófilo Braga) ، تلميذ اوجست كونت ، بقيادة ثورة على المكانة الاولوية لكاستيلو ، مما خدم الأدب عامة والشعر خاصة . وحفل ديوان «حقـل الزهور»(Campo De Flores) (١٨٩٣) للشاعر هواو دي ديوس(Joao De Deus) بأروع ما في اللغة من قصائد شعرية قصيرة تتميز بالبساطة والعفوية. وكان ابيليو مانويل جويرا جانكوير و(Abilio Manuel Guerra Junqueira) وريث فيكتور هيجو والطامح لان يكون ثائراً اجتماعياً ، شديد الميل الى الجلجلة الصـوتية والاسلـوب الطنّان . وتحول الى تصوير حياة الفلاحين في ديوانه(Os Simples) (١٨٩٢) الذي يعتبر أفضل أشعاره . وكان أقـرب الشعـراء شبهـا به أنتـونيو دورات جومينرليل

(O Anti و (١٨٧٥) (Claridades Do Sul)مؤلف (António Duarte Gomes Leal) - Cristo) (١٨٨٦) الذي استطاع التوصل الى الصدق الهادىء في المواضيع البسيطة . وبرز أنتونيو كانديدو كونجالفيس كريسبو (Antonio Candido Gonçalves Crespo) كأفضل شاعر برناسي في بلاده . وبالمقابل أكب سيزاريو فيردي (Cesario Verde) على الاهتمام بالروح الشعرية للحقائق العامة . وكانت «الوحيد» (Sól) (١٨٩٢) للشاعر انتونيو نوبر (António Nobre) برتغالية الموضوع والمزاج والايقاع الى حد كبير . وطوّر هذا الشاعر والشاعر تيكسيرا دي باسكويس (Teixeira De Pascoais) ممارسة (Saudosismo) (التوق أو الحنين) ، الأمر الذي ألهم مدرسة كاملة من الشعراء . ووجدت الرمزية الفرنسية في يوجينيو دي كاسترو (Eugenio De Castro) شاعراً قديراً متحمساً .

وجد ألميدا جاريت (Almeida Garrett) في محاولته اعادة تنشيط المسرحية من واجبه ان يخلق مسرحاً ومسرحيات وجمهوراً وممثلين على حد سواء . وأثبت انه اعظم مسرحي في بلاده بعد فيشنتي (Vicente) بتقديمه (Un Auto de Gil Vicente) (١٨٣٨) ، و« صانع سيوف من سانتا ريم » (O Alfageme de Santarém) (١٨٤١) (Frei Luis de Sausa) (١٨٤٣ والمترجمة عام ١٩٠٩) باسم «الاخ لويز دي سوسا» . وافرغ انطونيو هوزية اينيس (Antonio José Enes) القضايا المحلية الآنية في قالب مسرحي بروح التحرر الشديدة التحدي ، كما كتب ايرنستو بيستر (Ernesto Biester) المسرحية الاجتماعية ، اما فرناندو كالديرا (Fernando Caldeira) فقدم الملهاة . وكان هوداودا كامارا (João da Camara) أبرز كتاب المسرحية في عصره وأهم اعماله هي « الفونسو السادس » (Alfonso VI) (١٨٩٠) و (Rosa Enjeitada) و (Os Velhos) (١٨٩٣) . وتتضمن قائمة كتاب المسرحية التاريخية هنريك لوبيز دي مندوسا (Henrique Lopes de Mendonça) ومارشيلينو ميسكيتا (Marcelino Mesquita) ، والكاتب الموهوب هوليو دانتاس (Julio Dantas) مؤلف (A severa) (التي عرضت عام ١٩٠١) و (Santa Inquisiêâo) (١٩١٠) و (A ceia dos Cardeais) (١٩٠٢) (Rosas de Todo O Ano) وعاد هيركيولانو من المنفى ، وهو يتقد حماسة للسير والترسكوت (Sir Walter Scott) ، فاستهل الرواية الغرامية التاريخية بتقديمه (O Monasticon) (١٨٤٤) و (Lendas e Narrativas) (١٨٥١) . فقلده

الكثيرون ، ومنهم اوليفيرا ماريكا (Oliveira Marreca) وأرنالدو داجاما(Arnaldo da Gama) وبينهيرو تشاجاس (Pinheiro Chagas) . وقد لاقت بعض الروايات نجاحاً شعبياً ، ومنها (A Mocidad de D. Jôa V) للكاتب ريبيلو داسيلفا(Rebelo da Silva) و (Um Ano na Côrte) للكاتب هواودي أندريد كورفو . (Jaâo de Andrade Corvo) . فكان هذا عصر الرواية العظيم ، وألمع اعلامها هم : كاميلو كاستيلو برانكو(Camilo Castelo Branco) وج . ج جوميز كويلهو(J. G. Gomes Coelho) المعروف باسم هوليو دينيس (Julio Dinis) وعلى الاخص خوسيه ماريا ايكادي كويروس (José Maria Eça de Queirós) ولقد كان برانكو استاذ اللغة والحبكة الدرامية أو الميلودرامية ، اما كويلهو فوصف الحياة الريفية في(As Pupilas do senhor Reitor) (١٨٦٧) ، بينما قدم كويروس الواقعية في روايته الرائعة(O Crime do Padre Amaro) (١٨٧٦) . واهم كتاب المذهب الطبيعي هما : هوليو لورينسو بنتو (Julio lourenço Pinto) ولويس دي ماجالهيس (Luis de Magalhaes) اما افضلهم فكان فرانشيسكو تيكسيرا دي كويروس (Francisco Teixeira de Queirós) الذي سعى الى عرض مجتمعه المعاصر في مسلسليه(Comédia do Campo) و (Comédia Burguesa) ورسخ هيركيولانو (Herculano) قدمه كزعيم للمؤرخين الحديثين في شبه الجزيرة بتقديمه تحفتيه الرائعتين « تاريخ البرتغال »(Historia de Portugal) (١٨٤٦ - ١٨٥٣) و (Da Origem e Estabelecimento da Inquisiçao em Portugal) (١٨٥٤ - ١٨٥٩) . وازدهر التاريخ مع فايكاونت سنتاريم Visconde de Santarém مؤرخ الكورتيس ، خوسيه سيماود الوز سيوريانو(José simâo da Luz Soriano) مؤرخ الدستورية ، ولويس أنتونيو ريبلوداسيلفا(Luis Antonio Rebelo da Silva) عن فترة حكم آل فيليب في اسبانيا، وخوسيه ماريا لاتينو كويلهو (José Maria Latino Coelho) عن ديكتاتورية بومبال (Pombal) وتبع هنريك داجاما باروس (Henrique de Gama Barros) وأنطونيو داكوستا لوبو(António da Costa Lôbo) خطى هيركيولانو . وقدمت اعمال هواكيم بيدرو دي اوليفيرا مارتينس (Joaquim Pedro de Oliveira Martins) الدليل على الخيال النفسي والقدرة المكينة القادرة على طرح الأفكار العامة ، والموهبةالفذة في السرد الرائع ، وترك لنا في كتاباته العديدة صوراً كثيرة عن أهم الشخصيات في بلاده . وفي القرن العشرين كان هناك

تأكيد على الاتجاه نحو التوثيق العلمي والموضوعية ، ويعتبر العمل البارز « تاريخ البرتغال » (Historia de Portugal) الذي أشرف على تحريره دامياو بيريس (Damiao Peres) ، أفضل معالجة شاملة في هذا الحقل برمته .

الفَصْل الرّابع عَشَر

أدَب امريكة اللاتينية في القرن التاسع عشر

أدب الثورة

انتشر الاضطراب السياسي في أمريكا اللاتينية مع تقدم القرن الثامن عشر ، وتمكنت الافكار الفرنسية من اختراق سور السيطرة الضعيفة الذي فرضته اسبانيا والبرتغال على الفكر في العالم الجديد . وأصبحت الفتن المبكرة هادفة اكثر بعد الأحداث التي اختبرت فيها مبادىء الثورة الفرنسية في المستعمرات البريطانية في الشمال . وبرزت المطابع والمجلات الدورية الى الوجود في كل مكان ، وتسارعت المثل العليا الى الظهور في الجمعيات الادبية التي أسسها المتحررون من شباب أمريكا اللاتينية العائدين من الخارج . وكانت احدى اولى ثمار هذه الاتصالات مع الفكر الأجنبي جمعية (Brazilian Inconfidência Mineira) الفاشلة التي تأسست عام ١٧٨٩ ، وهي « عصبة من الشعراء » يرأسها هواكيم خوسيه داسيلفا كزافيير (Joaquim José da Silva Xavier) ويدعمه عدد من الكتاب الممتازين الذين كانوا اعضاء في مدرسة ميناس لشعراء الملاحم وشعراء الاتباعية الجديدة التي لم يكن لها نظير في المستعمرات الاسبانية عهد ذاك . وكانت اوروغواي (Uruguai) (١٧٦٩) لخوسيه باسيليودي جاما (José Basilio da Gama) و« كرامورو »(Caramuru) (١٧٨١) لخوسيه دي سانتاريتا ديوراو (José de Santa Rita Durâo) ملحمتين برازيليتين قوميتين عظيمتين ، وطابعهما المميز حب الوطن . ويعتبر ظهور الهنود كشخصيات أدبية بشيراً بالاستقلال الفكري البرازيلي . وقد بقي توماس انتونيو جونزاجا (Tomâs Antônio Gonzaga) ، مؤلف اغاني الحب الى (Marilia de Dirceu) (١٧٩٢) ، اكثر شعراء الهوى شعبية في اللغة البرتغالية . وعندما انبثقت البرازيل أخيراً كامبراطورية بعد انتصار غير دامٍ عام ١٨٢٢ ، برزت شخصية أدبية واحدة فقط ممثلة للكفاح البرازيلي في سبيل الاستقلال هي شخصية الشاعر خوسيه

بونيغاسيو دي اندرادا اي سيلفا (José Bonifâcio de Andradae Silva) الذي كشف في أشعاره العاطفية العنيفة مثل (Poesias) (١٨٢٥) عن تشابه مع بايرون ، وأصبح شاعر البرازيل الابداعي الأول .

وترك الكاتب الفنزويلي فرانشيسكو دي ميرانـدا (Francisco de Miranda) يوميات رائعة كشفت عن مدى استفادته من الاحتكاك بـ « التجربة الامريكية العظيمة » في الولايات المتحدة . وكان مواطنه سيمون بوليفار (Simón Bolivar) قد لقب بـ «مفكر الثورة» الذي تسربت من خلال تحليله التنبؤي بالوضع الاجتماعي والسياسي بعض افضل الأفكار الفرنسية ، وبخاصة افكار مونتسكيو وروسو . وكان حلم بوليفار بقيام الاتحاد الكونفدرالي لولايات أمريكا اللاتينية يلاقي تأييد الكراريسي الأرجنتيني المتقد حماساً برنار دو مونتيجودو (Bernardo Monteagudo) . ولكن الكاتب المكسيكي خوسيه هواكين فيرنانـديز دي ليزاردي (José Joaquim Fernández de Lizardi) الذي اطلق عليه اسم « المفكر المكسيكي » (El pensador mexicano) ، وهو اسم صحيفته الثورية التي أسسها عام ١٨١٢ ، كان المحرّر الوحيد الذي يمكن اعتباره من رجال الادب وارتكزت شهرته الى حد كبير على القصة التي تصور حياة المشردين (El Periquillo Sarniento) (١٨١٦ ، والمترجمة عام ١٩٤٢) الى الانكليزية باسم الببغاء المُغضِب، والتي اعتبرت اولى الروايات في أمريكا اللاتينية .

وجدت الثورة في الشعر الغنائي الشعبي والبطولي مجالا للتعبير الشعبي ، وجاء مع النصر الشعر الوطني الأكثر بقاء والذي كان يمثل طوراً واحداً فقط في اعمال ثلاثة من الشعراء البارزين الذين تجاوزت روعة انتاجهم الكفاح في سبيل الاستقلال ولم يتقيد من بين هؤلاء الشعراء بالمواضيع المطروحة خلال سنوات الثورة ، وبالروح التي سيطرت عليها سوى الشاعر الاكوادوري خوسيه هواكين اولميدو (José Joaquin olmedo) الذي تعتبر أروع قصائده (La victoria de Junin, Canto a Bolívar) (١٨٢٥) افضل مثال على الشعر البطولي المكتوب بالاسلوب الاتباعي في امريكا اللاتينية . اما الشاعر الفنزويلي أندريس بيلو (Andrês Bello) في قصيدته الفيرجيلية (Silva a la agricultura de la zona tôrrida) (١٨٢٦) فقد حرّض اتباعه في امريكا

اللاتينية ان يحولوا سيوفهم الى شفرات للمحراث ، وان يعيشوا الحياة التي توفرها أمريكا المدارية الغنية للرجال الأحرار . واكتسب بيلو في السنوات اللاحقة شهرته كعالم نحوي وناقد ومترجم ومشرع ومرب وكأب لأول جيل من المفكرين في شيلي .

أما خوسيه ماريا دي هيريديا (José Maria de Heredia) الكوبي ، شاعر أمريكا اللاتينية الغنائي الابداعي العظيم الاول ، فقد قضى معظم حياته في المنفى ، في فنزويلا ونيويورك والمكسيك ، إذ أثرت الطبيعة الرائعة على قصائده الشهيرة (En el Teocalli de Cholola) (١٨٢٠) و (Odo al Niagara) (١٨٢٤) وساهم في الحركة الادبية الابداعية الجديدة التي قادت شعوب امريكا اللاتينية الفتية الى الاستقلال السياسي .

الابداعيون الرومانتيكيون

لم يؤد الاستقلال السياسي في اسبانيا والبرتغال الى التخلص من الفوضى السياسية في السنوات الاولى للتكوين . اما الاستقرار الاقتصادي والسياسي لمعظم الامم الجديدة فجاء في السنوات الاخيرة من القرن . وألهبت المواضيع الامريكية خيال « المحررين » ولكن الأشكال الأدبية الاتباعية الجديدة لم تزل مقدسة لا يجوز مسها . وحددت الابداعية الاوروبية الطريق للاستقلال الثقافي ايضاً مع ان تلك الطريق سارت في اتجاه الطرق التي اتضحت معالمها عند الكتاب الفرنسيين والانجليز والاسبان . اما الشكل الادبي والتحفظ الاتباعي الجديد فحلت مكانهما الحرية الابداعية والفردية والحدة العاطفية ، وهي معتقدات تناسب الأوضاع والمزاج الخاص في امريكا اللاتينية . وكان اللاجئون السياسيون الهاربون من حكم خوان مانويل دي روساس (Juan Manuel de Rosas) في الارجنتين أشهر الابداعيين الاوائل ، وقد حدد زعيمهم استيبان اتشيفيريا (Esteban Echeverria) الطريق في قصيدته (La cautiva) (١٨٣٧) ، التي تعتبر أفضل قصائده ، واول اندماج للمواضيع والصور القومية في الاشكال الشعرية الجديدة الأكثر ملاءمة ؛ كان هذا بعد اقامته في فرنسا (١٨٢٦ ـ ١٨٣٠) عندما كانت الابداعية في الاوج . اما

دومينجو فاوستينو سارمينتو (Domingo Faustino Sarmiento) فقاد الهجوم الغاضب على روساس في (Facundo) (١٨٤٥) ، وهي دراسة أولى جادة للسهل العظيم (Pampas) وتقاليد رعاة الأبقار(Gaucho) ، وأدى هذا التشديد على المسرح القومي للاحداث الى ظهور انماط ادبية وطنية دون نموذج اصلي اوروبي ، وهو أدب رعاة الابقار في الارجنتين والاورغواي . وظل هذا الموضوع فترة طويلة محور القصص والاغاني الشعبية ، كما أصبح مدار بعض القصائد الممتازة ، ومنها قصيدة رافاييل اوبليجادو (Rafael obligado) (١٨٨٧) عن شاعر شعبي اسطوري يدعى سانتوس فيجا(Santos Vega) ؛ وقصيدة اخرى رائعة عنوانها (Fausto) (١٨٨٦ ، والمترجمة عام ١٩٤٣) الى الانكليزية باسم(Faust) للكاتب استانيسلاو ديل كامبو (Dstanislao del Campo) وعالج خوسيه هيرنانديز (José Hermandez) هذا الموضوع اخيراً بأسلوب ملحمي في(Martin Fierro) (١٨٧٢ - ١٨٧٩) والمترجمة عام ١٩٣٦ باسم «راعي الابقار: مارتين فيرو».

لقد كانت هذه القصائد «البدائية» في محاكاة الاغاني الشعبية والاحاديث لشعراء رعاة الابقار الشعبيين واحدة من اثنتين من المساهمات الاصيلة لامريكا اللاتينية في الأدب الغربي . أما الثانية فنشأت من اهتمام الابداعيين بالبحث عن الجذور القومية . وبلغت هذه الاثارة الابداعية قمتها الشعرية في القصيدة الرثائية «تبار» (Tabare) (١٨٨٦ ، والمترجمة الى الانجليزية عام ١٩٥٦) لكاتب من الاورغواي يدعى خوان زوريلادي سان مارتين(Juan Zorrilla De San Martin) وتتحدث عن مصير الشارواس(Charruas) سكان البلاد الاصليين الذين هزمهم الغزاة الاسبان . وكان من نتائج تأثير هذا الماضي في النثر نشوء ذلك النوع الفريد الآخر من أدب امريكا اللاتينية (Tradición) المكتوب باسلوب الطرفة التاريخية ، والذي صقل على يدي الكاتب البيروي المتمكن من النثر الفكاهي ريكاردو بالما (Ricardo Palma) مؤلف(Tradiciones Peruanas) (بين ١٨٧٢ و١٩١٠ ، والمترجمة عام ١٩٤٥) باسم «فرسان البحري». ولم يكن للابداعيين البرازيليين ماض عريق ، ولذا مجدوا الجمال في وطنهم المداري ، كما تحدثوا عن الحياة البسيطة للهنود الذين اعطوا صفة المثالية بحنين يتسم بالتراخي . وكانت قصائد دو مينجوز خوسيه

جونكالفيس دي ماجالهيس (Domingos José Gonçalves De Magalhâes) «حنين وتنهدات شعرية» (Suspiros Poéticos e Saudades) بداية الحركة الابداعية ، التي وجدت في مراحلها الاولى أفضل تعبير يمثلها في الكتابات الملهمة والغنية بالألوان لانتونيو جونكالفيس دياس ، (Antônio Gonçalves Dias) الذي يعتبر بالفعل واحداً من أبرز شعراء الفترة الابداعية في امريكا اللاتينية . أما أفضل ما يمثل الابداعية في مراحلها الاخيرة فهي أشعار الشك واليأس لدى مانويل انطونيو الفاريس دي ايزيفيدو(Manuel Antônio Alvares De Azevedo) وهو من المدرسة الشيطانية(Satanic School) ومؤلف(A Noite Na Taverna) (حوالي عام ١٨٥١) . والاشعار الاجتماعية السياسية لانتونيو دي كاسترو الفيس(Antônio De Castro Alves) مؤلف(Os Escravos) (١٨٧٦) .

الواقعيون والطبيعيون : ساعد اهتمام الابداعيين بالاشياء الغريبة غير الطبيعية وبما هو رائع على تبيان الطريقة القومية الجديدة في العيش والتي لم تتفتح براعمها بعد . وتطور الصور الوصفية لنمط حياة الشعب وعاداته المعاصرة الى رواية واقعية سلوكية ظهرت بعد منتصف القرن بفترة قصيرة . وأخذت الرواية منذ ذلك الوقت دوراً رئيسياً في أدب امريكا اللاتينية ، لكنها ظهرت في وقت واحد تقريباً مع النماذج العديدة الممثلة للاتجاهات الادبية المتعاقبة في اوروبا ، والتي قدم اساتذتها القوالب التي سبكت فيها مواضيع امريكا اللاتينية . وقدم خوسيه مارمول(José Mârmol) للعالم الخارجي وصفاً دراميا للحياة في الارجنتين تحت حكم روساس (Rosas) الاستبدادي في الرواية الابداعية(Amalia) (١٨٥١ - ١٨٥٥) (والمترجمة الى الانجليزية عام ١٩١٩) . وعبر جبال الانذز بدأ الكاتب الواقعي البرتوبليست جانا(Alberto Blest Gana) في تقديم سلسلة من الروايات المسماة(Costumbrista) عن الحياة في شيلي ، وتعتبر أفضلها رواية(Martin Rivas) (١٨٦٢ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩١٨) ، بينما نظم الكاتب الكولومبي جورج آيزاكس(Jorge Isaacs) القصيدة القصصية المأساوية «ماريا»(Maria) (١٨٦٧) ، أما خوان ليون ميرا(Juan León Mera) فقدم(Cumandâ) (١٨٧٩) للاعداد المتزايدة من الصورة الخيالية الابداعية الرفيعة عن الحياة الهندية المثالية .

وظهرت الرواية الحقيقية اولا في البرازيل عام ١٨٤٤ ، عندما نشر هواكيم مانويل دي ماسيدو(Joaquim Manuel De Macedo) رواية «السمراء الصغيرة»(A Moreninha) وتمتع هذا الشكل الادبي بعد ذلك بنمو منتظم مضطرد في البرازيل . أما الروائي خوسيه مارتينيانو الينكار(José Martiniano De Alencar) الذي لا زال من أكثر الروائيين شعبية في بلاده ، فاستهل نوعاً جديداً من الرواية البرازيلية المسماة(Indianista) بتقديمه «الهندي الجواراني»(O Guarani) (١٨٥٧) و«ايراسيما» (Iracema) (١٨٦٥ ، والمترجمة الى الانجليزية عام ١٨٨٦) . ولكن هذه القصص الابداعية عن الحب بين الهنود والبيض كانت تمثل مظهراً واحداً فقط من نشاطات الينكار الادبية المتنوعة ، والذي التفت كذلك الى المناطق النائية ليصف الحياة والعادات في الاراضي البرازيلية الداخلية ، ومع ان(O Gaùcho) (١٨٧٠) و«رجل من المناطق الداخلية»(O Sertanejo) (١٨٧٦) تميزتا بالروح الابداعية فتعتبران من أوائل الانواع الأدبية الاقليمية المزدهرة التي سبقت الرواية القومية الحقيقية . وشارك كاتبان آخران في تقديم هذا النوع الانتقالي من الأدب وهما الفريدو ديسكرانيول تاوني(Alfredo D'Escragnolle Taunay) ، الذي اصبحت روايته (Inocência) (١٨٧٢ ، والمترجمة الى الانجليزية عام ١٩٤٥) مفضلةلدى الجميع ، وبرناردو جويمارس(Bernardo Guimarâes) ، الذي كانت روايته المؤيدة لمبدأ الغاء الرق(Escrava Isaura) (١٨٧٥) خطوة حاسمة في الاتجاه نحو روايات الاحتجاج الاجتماعي .

أما الواقعية الحقيقية ، ذات الميل المحدد باتجاه المذهب الطبيعي فتمثلت بدايتها في رواية(Memórias De Um Sargento De Milicias) (١٨٥٤) للكاتب مانويل انتونيو دي الميدا(Manuel Antônio De Almeida) . ولكن الرواية لم تبدأ بفضح امراض سوء التعادل النفسي والاجتماعي في الظروف الاقتصادية المتغيرة بسرعة الا في منتصف سبعينات القرن التاسع عشر ، فكتب الويزيو ايزيفيدو (Aluizio Azevedo) ، وهو مثال مبكر على الاحتجاج الاجتماعي على طريقة روائيي القرن العشرين ، روايات رائعة أشهرها(O Mulato) (١٨٨١) و(O Cartiço) (١٨٩٠ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «بيت برازيلي» عام ١٩٢٦) . أما هواكيم

ماريا موكادو دي اسيس(Joaquim Maria Machado De Assis) الذي كان أقل اهتماماً بالمظاهر الخارجية للحياة البرازيلية ، فتفحص العقد النفسية عند البرازيليين ، واكتسب شهرة واسعة كأفضل كاتب أصيل موهوب في بلاده . وكانت ثلاثيته(Bras Cubas) (١٨٨١ ، والمترجمة عام ١٩٥٢) الى الانكليزية باسم «تأبين الرابح الصغير» ، و(Quincas Borba) (١٨٩١ ، والمترجمة عام ١٩٥٤) الى الانكليزية باسم «فيلسوف أم كلب ؟» و «الدون كاسمورو»(Don Casmurro) (١٩٠٠) ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٣) ، علامة بارزة في أدب امريكا اللاتينية . وهناك روائيان آخران ساعدا كذلك على وضع الرواية البرازيلية في طريق لم يتبع في أي مكان آخر الا بعد حوالي جيل هما جوليو ريبرو(Julio Ribeiro) وراوول دي افيلابومبيا(Raùl De Avila Pompéia) .

وبعد منتصف القرن اكتسب عدة كتاب سياسيين ابداعيين شهرتهم بكتابة المقالات كان من بينهم خوان مونتالفو(Juan Montalvo) ويوجينو ماريا دي هوستوس (Eugenio Maria De Hostos) وهواكيم نابوكو(Joaquim Nabuco) وهو شاعر تجريبي تهكمي ، وكاتب مقالات ، فكان الشخصية الادبية الرئيسية ، ومهد شعره الطريق للشعر الجديد عند الجيل التالي من الثوار .

الفصل الخامس عشر

الأدب الاسكندنافي في القرن التاسع عشر

الأدب السويدي

كانت التغيرات السياسية في السويد حتى عام ١٨٠٤ تعني بروز القومية المتقدة كاحدى خصائص الابداعية السويدية . أما تعاليم بنيامين هوير (Benjamin Hoijer) الكانتية ، (نسبة الى الفيلسوف كانت) ، وتأثيرات شيلر وجوته والابداعيين الالمان على الأدب السويدي فأدت الى وضع المثالية في قلب هذه الحركة . وقادت الجمعيات الطلابية الهجوم على المدرسة التقليدية ، في مجلاتها الدورية مثل (Polyfem) (١٨٠٩ ـ ١٨١٢) و(Phosphorus) (١٨١٠ ـ ١٨١٣) . ونظم بيير دانييل اتيربوم (Per Daniel Atterbom) وهو ألمع الشعراء الفوسفوريين (نسبة الى مجلة «فوسفورس») موهبة ، قصيدة (Prolog) (١٨١٠) لمجلة (Phosphorus) فأظهرت موهبته وكشفت عن التزامه بالابداعية . أما فيلهلم بالملاد (Vilhelm Palmblad) ، وهو ناشر وكاتب ناثر ، فقاد المناظرة والجدل العنيف في أبالا (Uppsala) ، وفعل لورنزو همرشولد (Lorenzo Hammarsköld) ويوهان أسكيلوف (Johan Askelöf) وكلاس ليفين (Clas Livijn) الشيء نفسه في استوكهولم ، بينما ناصر التقليديين كل من يوهان فاليريوس (Johan Valerius) وب . أ . وولمارك (P . A . Wallmark) ويوهان والين (Johan Wallin) .

وفي غضون ذلك قامت جمعية أخرى هي «الجمعية القوطية» (Götiska Förbundet) منذ بداية تأسيسها عام ١٨١١ ، بالدفاع عن الفكرة القائلة بأن دراسة الماضي القوطي يمكن ان تفيد المجتمع أخلاقياً . كتب ونظم أحد اعضائها ايساياس

تينير(Esaias Tegnér) قصيدة لاقت نجاحاً شعبياً هي(Frithiofs Sago) (١٨٢٥) وكانت مبنية على موضوع اسكندنافي قديم .

وكان تينير ، مثله في ذلك مثل أ . ج . جيرٌ (E . G . Geijer) يقدر الأساطير الشمالية القديمة قدرها لما تبين فيها من انماط أدبية ، وهي اشكال كانت موجودة في الاساطير اليونانية والميتافيزيقا الابداعية التي يظهر فيها الدين والفلسفة والشعر وكأنها شيء واحد . ومع ذلك فان مثل تينير العليا في وضوح الفكر والكمال في الشكل الادبي كانت تدفع به أحياناً الى الوقوف الى جانب التقليديين في كفاحهم ضد الافكار الغامضة وضد الابتكارات الجديدة في الشكل الادبي .

وكان العديد من مشاهير الابداعيين علماء مثقفين يجاهدون في شعرهم لتجسيد نظام فلسفي أو تفسير للتاريخ . وكانت أكثر المحاولات طموحاً من هذا النوع «جزيرة النعيم»(Lycksa Lighetens Ö) (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) وهي قصة رمزية تعالج مغامرات ملك اسطوري يدعى استولف(Astolf) كما تعالج تاريخ الشعر كتوضيح لابتعاد الانسان عن الاله . وربما كان ايريك يوهان ستانيليوس(Erik Johan Stagnelius) أعظم الشعراء ، وقد وقف بعيداً عن المدارس والحلقات . وكان البكاء على الروح الانسانية السجينة في عالم من الظلمات والخطيئة هو الموضوع المتكرر في «زنابق شارون»(Liljori Saron) (١٨٢١) . وهناك بعض الكتاب الابداعيين الثانويين الجديرين بالذكر ، منهم أدولف تورنيروس(Adolph Törneros) وبير الجيستروم(Per Elgström)وصامويل هيدبورن (Samuel Hedborn) وايرفيد اوجست افزيليوس(Arvid August Afzelius) الذي قام بجمع الاغاني الفولكورية .

أما في النثر فكان الروائي كارل يوناس لاف المكفيست(Carl Jonas Love Almqvist) أعقد الشخصيات الابداعية المتأخرة ، يجمع الخيال المفرط بجانب الواقعية ، وكأستاذ للاسلوب النثري كان في أفضل حالاته في القصة القصيرة الطويلة ، والتي طغت فيها طريقة سترنبرج(Strindberg) في اثارة القضايا للنقاش . وترسخت الرواية فعلا على يد فريدريكا بريمير(Fredrika Bremer) مؤلفة «الجيران»(Grannarna) (١٨٣٧) والتي ظهرت لها «صور وصفية من الحياة

العادية» بدءاً من ١٨٢٨ . وكتبت صوفي فون كنورينـج (Sophie Von Knorring) عن الأسر الارستقراطية بالدرجة الاولى ، أما الكاتبة الشعبية اميلي فلايجر كارلين (Emilie Flygare — Carlén) فأصدرت عدة قصص عالجت فيها الحياة على الساحل الغربي ، من أهمها (Rosen Pa Tistelön) (١٨٤٢ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «وردة تيستيلون» بين ١٨٤٤ و١٨٥٠) .

وشقت الواقعية طريقها متقدمة ببطء ، بالرغم من نموذج الشاعر الفنلندي - السويدي العظيم يوهان لودفيج رونبرج (Johan Ludvig Runeberg) . وكان الأدب في الاربعينات والخمسينات أثراً من آثار الابداعية بصورة رئيسية ، وتجلى تأثيرها حتى في أعمال الناقد برنارد اليس مالمستروم (Bernhard Elis Malmstréôm) الـذي كان معارضاً اياها ظاهرياً ، والذي تظهر مرثيته «انجليكا» (Angelika) (١٨٤٠) تشابهاً مع أشعار الشاعر المعاصر كارل فيلهلم بوتيجـر (Carl Vilhelm Bôttiger) والشاعر الاقـدم كارل اوجسـت نيكانـدر (Karl August Nicander) . وصـدرت مجموعـة جيدة من الاشعـار عن الحـركة الـتـي عرفـت باسـم (الاسكندنـافية) (Scandinavism) ، وكان أقدر أعضائها كارل فيلهلم اوجست ستراندبـيرج (Carl Vilhelm August Strandberg) الذي كان يكتـب تحـت الاسـم المستعـار «تـاليس كواليس» (Talis Qualis) ، والذي قدم في فترة لاحقة ترجمة ممتـازة لبعض قصائـد بايرون . وكتب اوجست بلانش (August Blanche) «صـور من الحياة الـواقعية» (Bilder Ur Verkligheten) وهـي قصص قصـيرة ناجحـة تصـور الحياة في استوكهولم ، كتبت باسلوب يتميز بالدعابة والمرح ، ولاقت رواجاً شعبياً ، أمـا فرانز هيدبيرج (Frans Hedberg) فكتب مسرحيات تاريخية تتسم بالفخامة والابهة .

وأصبحت الواقعية الشعرية منهجاً رسمياً لشعـراء الستينـات الـذين كانـوا يكتبون باسماء مستعارة ، وبينهم كارل دافيد من ويرسين (Carl David Of Wirsén) وادوارد باكستروم (Edvard Backs Tröm) وبونتوس ويكنر (Pontus Wikner) وكارل سنيولسكي (Carl Snoilsky) ، وهو الوحيد الذي امتلك الحساسية والموهبة الشعرية الضروريتين للتقيد بهذا المنهج . واندفع ويرسين ، من ناحية أخرى ، باعتبـاره سكرتيراً للاكاديمية السويدية ، لمعارضة المجددين بعنف . ووقع فيكتور ريدبيرج

(Viktor Rydberg) بين المذهبين المثالي والطبيعي وقد ابتدأ حياته الفكرية صحافياً راديكالياً كروائي وشاعر وناقد ، وانتهى به الأمر استاذاً جامعياً وناظماً للقصائد الفلسفية . ويتكون عمله الهام المبكر من رواية ايديولوجية هي (Den Siste Athenaren) (١٨٥٩ ، والمترجمة عام ١٨٦٩) الى الانكليزية باسم آخر الاثينيين، ومن مبحث هو «تعاليم الكتاب المقدس عن السيد المسيح» (Bibelns Lara am Kristus) (١٨٦٢) ، ومهد هذان العملان الطريق للمذهب العقلي العلمي .

تضافرت اربعة تأثيرات لتحرر الأدب السويسي من التقاليد المتحجرة ، وهي الكتابات الانكليزية لتشارلز داروين وهيربرت سبنسر وج . س . ميل ، والمذهب الطبيعي الفرنسي عند اميل زولا ومسرحيات الكاتبين النرويجيين هنريك ابسن (H . Ibsen) وبيورنشترين بيورنس (Bjorns Tjerne Bjrnson) وكتابات جورج براندس النقدية . وتعتبر أعمال اوجست ستريندبيرج (August Strindberg) وهو أعظم كاتب سويدي - أول وأفضل ما يمثل الأدب الحديث الناجم عن ذلك ، فمسرحيته «السيد اولوف» (Master Olof) (التي نشرت عام ١٨٧٢) تعتبر بداية المسرحية الحديثة ، وروايته (Rôda Rummet) (١٨٧٩ ، والمترجمة باسم «الحجرة الحمراء» عام ١٩١٣) بداية الرواية الحديثة . وبز ستريندبيرج كافة كتاب الثمانينات بمن فيهم جوستاف اف جيرشتام (Gustaf Of Geijerstam) مؤلف (Erik Grane) (١٨٨٥) وآن شارلوت ادجرين ليفلير (Anne Charlotte Edgren — Leffler) والكاتبة الموهوبة فيكتوريا بينيديكتسون (Victoria Benedistsson) ، وتعرضت الاخيرتان بالكتابة عن المنزلة غير الملائمة للمرأة في المجتمع . وكشفت قصص بينيديكتسون عن الخصائص الاقليمية في الأدب النثري الجديد ، كما يلحظ في رواية «من سكاين» (Fran Skane) (١٨٨٤) . أما الشعر الاقليمي فيتمثل في أعمال البرت باث (Albert Baath) وأولا هانسون (Ola Hansson) وكلاهما من سكاين .

وظهر في عام ١٨٨٨ رد فعل فيرنر فون هيدنشتام (Verner Von Heidenstam) ضد مذهب المنفعة (Utilitare anism) والمذهب الطبيعي ، وذلك في ديوانه الشعري «سنوات الرحلات والتجول» (Vallfart Och Vandringsar) وأكسبه شعره المتأخر وقصصه التاريخية جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٦ . ومتأثراً باسلوب

هيدنشتام ، نظم اوسكار ليفرتن (Oscar Levertin) شعراً مليئاً بالحيوية والمعتقدات الماضية ، ولعب نقد ليفرتن دوره في تكوين الذوق المعاصر .

وكان جوستاف فرودنج (Gustaf Fröding) متأثراً بهيدنشتام كذلك ، إذ تمتزج الكآبة مع المرح في سائر اشعاره . ورغم كونه مهدداً بالجنون فقد نشر خمس مجموعات من القصائد قبل ان يفقد عقله عام ١٨٩٨ ، في وقت رسخت به مكانته كواحد من أعظم الشعراء الغنائيين في السويد . وتجلت روح الاقليمية في الشعر الابداعي الجديد عند فرودنج ، وهو من مقاطعة فارملاند (Värmland) ، أما مقاطعة دالارنا (Dalarna) فنالت نصيبها في أعمال اريك اكسل كارلفيد (Erik Axel Karlfeldt) الذي حاز على جائزة نوبل عام ١٩٣١ على اشعاره الناضجة .

وتطورت القصص النثرية في غضون ذلك على يد سيلما لاجرلوف (Selma Lagerlöf) وهي أول سويدية فازت بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٩ ، وحازت السلسلة الطويلة من الروايات والقصص القصيرة التي كتبتها ، بدأ من Gôsta Berlings Saga) (١٨٩١) ، على شعبية عالمية لدى ترجمتها . وكان بيرهالستروم (Ber Hallstrom) أمهر في كتابة القصة القصيرة منه في كتابة الرواية ، كما كان ألبرت انجستروم (Albert Engstrom) وهو كاتب فكه ، وواحد من أكثر الكتاب شعبية في السويد ، ابداعياً بدوره في حبه للجزر الصخرية (The Skerries) .

الأدب الفنلندي باللغة السويدية

لم يترسخ الأدب الفنلندي باللغة السويدية الا في القرن التاسع عشر ، أما قبل ذلك فكان متقطعاً الى حد ما ، وذلك بالرغم من وجود بضعة شعراء ممتازين من أبرزهم جاكوب فريز (Jacob Frese) وجوستاف فيليب كروتز (Gustaf Philip Crutz) وفرانز ميكايل فرانزين (Frans Mikael Franzén) . وظهر الشعب الفنلندي والوطن الفنلندي بمناظره الطبيعية لاول مرة أدبياً في أعمال يوهان لودفيج رونبرج (Johan Ludvig Runeberg) الذي أصبح شاعر البلاد القومي . وكتب زاخارياس توبيليوس (Zacharias Topelius) روايات تاريخية على طريقة سكوت ، أهمها (Faltskarns Berattelser) (١٨٥٣ - ١٨٦٧) والمترجمة عام ١٨٧٢ الى الانكليزية

باسم «قصص الجرَّاح» كما كتب بعض القصائد وقصص الاطفال. أما يوهان فيلهلم سنيلمان (Johan Vilhelm Snellman) تلميذ الفيلسوف الالماني هيجل . فعرض الافكار التي تؤكد على أهمية الثقافة المحلية والقومية ، وأثر على نحو فاصل على المنزلة الرفيعة للغة الفنلندية التي أنزلت المكانة التي كانت للغة السويدية ، وغدت لغة رسمية قومية عام ١٨٦٣ .

وفي حوالي نهاية القرن التاسع عشر بدأ الأدب السويدي ـ الفنلندي يتقدم المكتوب بالفنلندية ، ومن أبرز كتاب هذه الفترة الانتقالية جوزيف يوليوس ويكسيل (Josef Julius Wecksell) وكارل اوجست تافاستستيرنا (Karl August Tavaststjerna) وظهرت في أوائل القرن العشرين مدرسة من كتاب النثر عرفت باسم «المتمهلين او المتقاعسين» (Dagdrivarna) تميزت بالطابع الشكوكي والتحليل الحاد . ومن أبرز اعلامها رونارشيلد (Runar Schildt) الذي عالج المشاكل الاخلاقية والفنية في قصصه ومسرحياته ويمكننا ان نذكر من الشعراء ايرفيد مورن (Arvid Mörne) وبيرتيل جريبنبرج (Bertel Gripenberg) .

الادب النرويجي

بدأ في النرويج بعد عام ١٨١٤ عصر جديد مثير وصعب ، اذ بدا وكأن هناك فرصة لنشوء ثقافة نرويجية وطريقة نرويجية في العيش مستقلتين، لكن كانت هناك اختلافات عميقة في الآراء حول افضل السبل الى انجاز ذلك . وكان الشاعر الناقد يوهان سيبستيان ويلهافن (Johan Sebastien Welhaven) الممثل الرئيسي للذين اصروا على عدم اهمال العنصر الدانماركي في الثقافة ، اما هنريك ويرجلاند (Henrik Wergeland) فكان الناطق الرسمي باسم الذين دفعتهم كبرياؤهم القومية الى المطالبة بالانفصال الكامل عن الدانمارك . وكان ويلهافن يمثل الطريقة العقلانية الهادئة والتحفظ والانضباط والذوق الفني المتعمد ، وهو ما تمثله مجموعة سونيتاته « فجر النرويج » (Norges doemring) (١٨٣٤) ؛ اما ويرجلاند فأعنف عاطفة وثورة ، وكانت ملحمته الضخمة « الخلق والانسانية والمسيح » (Skabelsen, mennesket og messias) (١٨٣٠) مثالا غضاً ، لكنه نموذج عن الروح التي أثارت اعجابه .

وهيمن ويرجلاند على العصر كشاعر وخطيب ومصلح اجتماعي ، اما الصدام بينه وبين ويلهافن ، بله الصدام بين الزمرتين المرتبطتين بهما ، الـوطنيون (The Patriots) والانتيلجنسيا (والطليعة الفكرية)(The intelligentsia) ، فقد بدأ واستمر صراعاً ايديولوجياً باساليب معدّلة .

واستمر ادب منتصف القرن ، المعروف « بالابداعية القومية » في النرويج ، في عكسه للتطلعات الطموحة للبلاد . ومما له دلالته على الاهتمام الواضح بالماضي ما قام به بيتر كريستين اسبيورنسين(Beter christen Asbjornsen) ويورجين انجيبريتسن مو (Jorgen Engebretsen Moe) من جمع ونشر « الاقاصيص النرويجية الشعبية »(Norske folkeeventyr) بين ١٨٤١ و١٨٤٤ وكذلك مجموعة مانيوس بروستروب لاندستاد (Magnus Brostrup Landstad) « الاقاصيص الغنائية الشعبية النرويجية » (Norske Folkeviser) (١٨٥١) وهذا بالذات ما أظهره بيتر اندرياس مونش (Peter Andereas Munch) في مؤلفه الواقع في ثمانية اجزاء عن تاريخ الشعب النرويجي (١٨٥٧ - ١٨٦٣) وكان آيفر آسين (Ivar Aasen) الروح الخلاقة وراء حركة (Landsmal) التي هدفت الى ترسيخ لغة ادبية تستند الى اللهجات الريفية ذات الصلة باللغة النرويجية القديمة . وكثيرة هي الكتب التي نشرت في تلك السنوات ، بما فيها الاعمال الاولى لابسن (Ibsen) وبيورنس (Bjornson) وتعنى عن وعي بالماضي البطولي للنرويج وبحياة الفلاحين فيها. والى هذه السنوات أيضاً تعود أشعار أزموند اولافسون فيني(Ausmund Olafsson Vinje) الغنائية ، وهو مؤسس المجلة الدورية (Dolen) والذي تبنى اللغة النرويجية الحديثة (Nynorsk) كلغة أدبية في اعماله .

ونشرت كاميلاكوليت (Camilla Collett) شقيقة ويرجلاند ، (Wergeland) في عام ١٨٥٥ مؤلفها « بنات الحاكم » (Amtmandens dottre) وهو يدل - إذا اخذنا بعين الاعتبار مكانة المرأة في المجتمع - على بداية اتجاه حظِي بتأييد الناقد الدانمركي الواسع النفوذ جورج براندس (Gerog Brandes) ذلك الاتجاه الذي بلغ الذروة في السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر في أدب « المشاكل » الواقعي لدى ابسن وبيورنس » ومعاصريهما . وكانت « اعمدة المجتمع »

(Samfundets Stotter) (١٨٧٧) حلقة البداية في سلسلة من مسرحيات « المشاكل » التي انزلت ابسن مكانة عالمية ، وكان حتى عهد ذاك كتب مسرحيتين شعريتين هما « براند » (Brand) التي نشرت عام ١٨٦٦ و« بيركنت » (Beer Gynt) (١٨٦٧) ، ومسرحيته الثنائية الطويلة (Kejser Galilaeer) (١٨٧٣) . والمترجمة باسم « الامبراطور والغاليلي » عام ١٨٧٦ . وظهرت اول مسرحية هامة من هذا النوع للكاتب بيورنشتيرن بيورنس (Bjornstjerne Bjornson) تحت عنوان (En Fallit) عام ١٨٧٥ ، والمترجمة عام (١٩١٤) باسم «المفلس». ومع ان بيورنسن لم يصبح البتة شخصية عالمية كابسن ، لكنه شخصية نرويجية رئيسية في عصره ، كروائي مسرحي وشاعر غنائي ، وكأديب مهتم بالأمور العامة .

وكان الروائيان يوناس لاي (Jonas Lie) واليكساندر كيلاند (Alexander Kielland) بالاضافة الى ابسن وبيورنسن اهم الشخصيات الرئيسية في الادب النرويجي الحديث ، وكانوا مسؤ ولين عن انتاج ضخم وهام من العمل الأدبي الذي ظهر بين ١٨٧٠ ، ١٨٨٤ ، كما تدل العناوين المترجمة التالية : أعمال ابسن « بيت الدمية » (Et dukkehjem) « الاشباح »(Gengangere) ، « عدو الشعب »(En Foke Fiende) و« البطة البرية »(Fildanden) ، مسرحيات بيورنسن : « النظام الجديد»(Detny system) و «القفاز»(Dn handske) و «خارج نطاق قدرتنا»(Over aeve) ، وروايته «ميراث آل كيرت»(Det flager i byen og pa havnen) وروايات لاي : «هيّا !»(Gaa paa!) و «واحد من عبيد الحياة»(Livss laven) و «عائلة في جيلي»(Familjen paa gilje) وروايات كيلاند(Skipper worse Gift) (المترجمة باسم «السم») و «الحظ(Fortuna) وكان كيلاند كاتباً بارزاً بارع الاسلوب ، وروائياً فذا ذا ضمير اجتماعي عميق ، وحماس اصلاحي نشيطهما ثمرة اعجابه بجون ستيوارت ميل(John Stuart Mill) .

وشدد أدب السبعينات من القرن التاسع عشر على التطور والتعبير الشخصيين انسجاماً مع الموقف التفاؤ لي فيما يتعلق بالتغيرات الاجتماعية والتقدم . وفي السنوات العشر التالية جعلت الشكوكية المتزايدة والتحرر من الأوهام الكتاب أكثر مرارة في هجومهم على المؤسسات الاجتماعية « الراسخة » وأدى نشر هانس هنريك ياجر (Hans Henrik Jaeger) لروايته «من كرستانيا بوهيميا »(Fra

(Kristiania-Bohêmen (١٨٨٥) ، بما فيها من تأييد للاباحة الجنسية ، الى خلق فضيحة على المستوى الشعبي . وكانت أمالي سكرام (Amalie Skram) النصر الأكبر للمذهب الواقعي الطبيعي ، كما يتضح في روايتها« سكان هيلمير » (Hellemyrs Folket) (١٨٨٧ - ١٨٩٨) التي تقع في أربعة اجزاء . اما آرني جاربورج (Arne Garborg) الشاعر والروائي والكاتب المسرحي والناقد ، فكان كاتباً ارفع منزلة بكثير ، ارتكزت شهرته العظيمة في البداية على روايته « التلاميذ الفلاحون » (Bondestudentar) (١٨٨٣) ، ولربما كانت الحلقة الشعرية « هوكتوسا » (Haugtussa) (١٨٩٥) اعظم انجاز له . وقد عكست مؤلفاته حركات متتابعة من الإبداعية (الرومانتيكية) ، والواقعية ، والواقعية الطبيعية والرومانتيكية الجديدة .

الأدب الدانماركي

الفترة الابداعية : وصلت الحركة الابداعية الى الدانمارك من المانيا ، وكانت متأثرة الى حد ما بالابداعيين الالمان(German Jena (Romantics) وبالاتباعية الجديدة عند جوته وشيللر . وقد ترجم الكاتب النرويجي هنريك ستيفانس (Henrik Steffens) فلسفة ف . و . شيلينج (F.W. Schelling) في الدانمارك ، ولكن الابداعيين الدانماركين الرئيسيين منحوا هذه الفلسفة شكلا مختلفاً جداً عن الشكل الأصلي . ولم يفز ا . و . شاك فون ستافيلد (A.W. Schack von Staffeldt) بشهرة واسعة خلال حياته ، اذ افتقر شعره الميتافيزيقي الى ما يجعله يروق للناس . وكان آدام اوهلنشلاجر (Adam ochlenschlâger) زعيم الحركة الابداعية في الدانمارك ، وقد ظهر في روائعه المتعددة الفريدة ، في الشعر والمسرحية والنثر ، تأثير الابداعية الألمانية ، وبخاصة تأثير الشاعرين جوته وشيللر . وكانت أروع اعماله « مسرحية لاحدى أمسيات منتصف الصيف » (Sanct Hansaften-spil) و« علاء الدين » (Aladdin) و« هاكون جارل »(Hakon Jarl) ، وهي احدى مسرحياته المأساوية العديدة التي تجري حوادثها في الشمال ، ومجموعة قصائده الدرامية « هيلكه » (Helge) (١٨١٤) . وما تزال الأغاني والتراتيل الشعبية والتاريخية والاشعار الشخصية للشاعر ن . ف . س جروندفيج (N.F.S. Grundtvig) تحتفظ بمكانة باقية

في الأدب الدانماركي . ولما كان جروندفيج يشاطر الابداعية الحماس للأمور المتعلقة بالعصور الاسكندنافية القديمة ، فقد ترجم لمؤ رخين من القرن الثالث عشر هما ساكسو جراماتيكوس (Saxo Grammaticus) وسنوري ستورلوسن (Snorri Sturluson) ، كما ترجم « بيوولف » (Beowulf) حتى قبل ظهورها باللغة الانجليزية الحديثة . وكان مؤلفه « الدليل الى تاريخ العالم » (Handbog: verdens-historien) مزيجاً من الثقافة والرؤى التنبؤ ية والجنون . وقد كتب برنارد سيفيرين انجمان (Bernhard Severin Ingemann) روايات تاريخية ، ومجموعة شعرية عنوانها « هولجر دانسك » (Holger Danske) تدور حول مواضيع الفروسية والشهامة والقومية ، كما نظم أشعاره الغنائية البسيطة في « اغاني الصباح والمساء » (Morgen og aftensange) . اما يوهانس كارستن هوش (Johannes Carsten Hauch) فكتب مسرحيات مأساوية وفلسفية وروايات ونظم شعر تأملياً .

الواقعية الابداعية : ظهرت العناصر العقلانية والواقعية الجديدة بعد الربع الاول من القرن في اعمال بول مولر (Paul Moller) الذي كتب أول رواية دانماركية عن الاحداث المعاصرة ، وهي « مغامرات طالب دانماركي » (En Dansk Students eventyr) (١٨٢٤) ، كما كتب أشعاراً مثيرة وأقاصيص خرافية تتبدى أحياناً عن تحرر شخصي من الوهم ، كما ظهرت تلك العناصر في أعمال ستين ستينس بليتشر (Steen Steensen Blicher) الذي حاول ان يفسر الطبيعة الانسانية باستسلام حزين في « الطيور المهاجرة » (Traek) Fuglene) . ونظم بليتشر بعض أشعاره الممتازة بلهجة جوتلاند (Jutland) ، اما قصصه القصيرة العديدة التي استهلّها عام ١٨٢٤ بالقصة البارعة « يوميات كاتب الابرشية » (En landsbydegns dagbog) فكانت تضرب على وتر يتراوح ما بين الحزن والاستسلام ، والدعابة والسخرية .

ومن الكتاب الثانويين في تلك الفترة توماسين جيلمبورج - ايرنسفارد (Thomasine Gyllembourg Ehrensvärd) الذي أحرزت روايته « قصة من الحياة اليومية » (Eh hverdagshistorie) (١٨٢٨) نجاحاً رائعاً ؛ وأندرياس دي سان اوبين (Andreas de Saint-Aubin) الذي كتب رواياته تحت الاسم المشتعار كارل

برهارد(Carl Berhard) ؛ وكارل باجر (Carl Bagger) الذي صدمت روايته « حياة شقيقي » (Min broders levned) (١٨٣٥) العالم الادبي بما فيها من واقعية جريئة .

الواقعية الشعرية : أخلت الابداعية المبكرة مكانها حوالي عام ١٨٣٠ لواقعية شعرية أقل بساطة وأكثر تأملا واهتماماً بالشكل الادبي منها بالمحتوى . وحاول يوهان لودفيج هيبرج (Johan Ludvig Heiberg) الذي قاد هذه الحركة ان ينشط المسرحية الدانماركية باستلهامه الملهاة الهزلية الفرنسية الخفيفة المسماة « فودفيل » (Vaudeville) ووضع الواقعية الشعرية والواقعية المبتذلة جنباً الى جنب في مسرحياته الابداعية الجادة « التلال الفاتنة » (Elverhoj) و« يوم النيام السبعة » أما أفضل أنجازاته فهي الملهاة الشعرية «روح بعد الموت»(En sjael Efter Doden) (١٨٤١) . وهيبرج هو الناقد الأدبي الرئيسي في عصره ، وكان متأثراً تأثراً عميقاً بفلسفة هيجل . ويتضح في «رسائل من شبح»(Gjenganger — breve) (١٨٣٠) ان هنريك هيرتز(Henrik Hertz) اعتبر الكمال في الشكل الادبي الشعري أهم من المضمون ، وكتب هيرتز أيضاً مسرحيات كوميدية وأخرى ابداعية جادة منها(Kong Rene's datter) (١٨٤٥) والمترجمة باسم « ابنة الملك ريني » (عام ١٨٥٠) .

احياء الشعر الغنائي : قاد الشعراء المهتمون بالمعالجة الجمالية للحب والطبيعة عملية احياء الشعر الغنائي في الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر . وتغنى كريستيان وينتر (Christian Winther) الذي اشتهر بروايته الشعرية الطويلة « هروب الايل » (Hjortens Flught) (١٨٨٥) بمحاسن جزيرته الأصلية (Zealand) ، كما تغنى بمحاسن المرأة . اما لودفيج بودتشر(Ludvig Bodtcher) فنظم شعراً حساساً ، كان في بعضه متأثراً بما شاهده في ايطاليا . ويعتبر اميل اريستروب (Emil Aarestrup) شاعر الدانمارك الجنسي الأول ، وكانت ملحمة الموجة الاخلاقي المتزمت فردريك بالودان موللر(Frederik Paludan-Müller) والمسماة(Adamo Hamo) (١٨٤١ ـ ١٨٤٨) نقداً مريراً لمجتمعه المعاصر . اما أهمية هانزكريستيان اندرسون (Hans christian Andersen) فتتجلى بما قدمه من قصص الجنيات التي كانت معظم مواضيعها من ابداعه ، بالاضافة الى ما كتبه من روايات

ومسرحيات وكتب رحلات وقصائد كما كتب قصة حياته (Mit livs eventyr) (١٨٥٥) والمترجمة باسم « قصة حياتي التي لا تصدّق » عام ١٩٥٤) .

ويحتل سورين كيركجارد (Soren Kierkegaard) مكانة فريدة في الادب الدانماركي ، وقد عبر عن فلسفته الدينية الرفيعة في اعمال مثل (Enten Eller) (١٨٤٣ والمترجمة باسم «اما/ أولاً : فقرات من الحياة » عام ١٩١٤) و(Stadier Paalivets vei) (١٨٤٥ ، والمترجمة عام ١٩٤٠) باسم «مراحل في طريق الحياة» ، وقد أمضى السنوات الأخيرة من عمره في هجوم غاضب عنيف على « المسيحية الرسمية » .

وأشرف مير آرون جولد شميت (Meir Aron Goldschmidt) على تحرير «القرصان» (Corsaren) وهي مجلة اسبوعية ثائرة معارضة للملكية ، بينما عني في الكثير من رواياته وقصصه القصيرة بحياة اليهود في المجتمع الدانمركي . ولم يظهر في الخمسينات او الستينات من القرن التاسع عشر كتاب جدد ذوو اهمية . وكان اكثرهم اصالة هانز ايجيد شاك (Hans Egede Schack) الذي كشفت روايته «المستغرقون في احلام اليقظة» (Phantasterne) (١٨٥٧) عن مواهب رائعة في التحليل النفسي .

الأدب الايسلندي

لقي الانبعاث الأدبي واللغوي في ايسلندا في مطلع القرن التاسع عشر تشجيع ثلاثة من الرجال على وجه التحديد . وهم عالم فقه اللغة هالجريمور شيفنج (Hallgrimur Scheving) وسفنبيورن ايجيلسون (Sveinbjorn Egilsson) الشاعر ومؤلف المعاجم ، وبيون جانلوجسون (Björn Gunnlaugsson) الفيلسوف وعالم الرياضيات . وكانت الحركة الرئيسية في هذا الانبعاث هي الابداعية ، التي قدمت الى اسكندنافيا مع الفيلسوف الالماني هنريك ستيفنس (Henrik Steffens) عندما جاء لالقاء محاضراته في كوبنهاجن (Copenhagen) بين ١٨٠٢ و١٨٠٤ . ونظم بيارني ثورارينسن (Bjarni Thorarensen) المتأثر بستيفنس ، الشعر القومي الذي اصبح نموذجاً للشعر الغنائي في القرن التاسع عشر . اما يوناس هالجريمسون (Jonas

Hallgrimsson) فتفوق على ثوراريـنسن في نظم الشعر. وكان هالجريمسون واحداً من اربعة من الكتّاب الذين ساهموا في تحرير المجلة الدورية (Fjölnir) (وتعني «المتعدد الاهتمامات»، والتي هدفت الى تطعيم النظرية الادبية والتطبيق الادبي بالمعتقدات الثورية، وكانوا معادين للتقليدية كما اجمعوا على رفض استخدام الشعـر المقفـى. وبين من تعرض لانتقادهم سيجوردور بريدفورد (Sigurdur Breidfjörd) والكاتب الانتقادي بولو هيالمار(Bölu-Hjalmar) وهما من شعراء الطبقة العاملة.

وقد حل محل هذه المجموعة في الأربعينات من القرن التاسع عشر مجموعـة اخرى من الشعراء ابرزهم بينيديكت جروندال (Benedikt Gröndal) وستينجريمور ثورستنسـون (Steingrimur Thorstéinsson) ومـاثياس جوكومسـون (Matthias Jockumsson) . وقد نظم جروندال شعراً غنائياً جزل الاسلـوب، وكتـب قصتين خياليتين نثريتين وترجمة ذاتية «الأيام» (Daegradvöl) (١٩٢٣)، امـا ثورستنسـون فنظم شعر الطبيعة والقصائد الانتقادية القصيرة، ولكن افضل اعماله تمثل بترجمـة «الملك لير» (King Lear) (١٨٧٨) و«ألف ليلة وليلة» (١٨٥٧ - ١٨٦٤)، واعتبـر جوكومسون الأعظم بين هؤلاء الشعراء الغنائيين الثلاثـة لأنـه كتـب «هلجريمـور بترسـون» (Hallgrimur Pétursson) (١٨٧٤) وترتيلـة «ابـو الأرواح» (Fadir andanna) وترجم لشكسبير ايضاً، كما ترجم مسرحية «براند» (Brand) لإبسـن. وكان الشاعر جريمور تومسين (Grımur Thomsen) معاصراً لهذه المجموعة ولكنه تميّز عنها، فشعره أقل تمتعاً بالصفة الغنائية، واكثر بساطة وتجهماً، وهو ما تجسده قصة همينج اسلاكسونار (Hemings folkkur Aslakssonar) (١٨٨٥).

وظهر ثلاثة من الشعراء الموهوبين في الشطر الأخير من القرن وهم ثورشتين ايرلنجسون (Thorsteinn Erlingsson)، مؤلف «صـوت العصـور» (Aldaslagur) (١٩١١)، واينار بينيديكتسون (Einar Benediktsson)، وهو من اتباع الابداعية الجديدة، وستيفـان .ج . ستيفانسـون (Stephan G. Stephansson)، وكان منفياً يشعر بالمرارة، وقد حسب الناس في ايسلنـدا سخريتـه المبطنـة من صميم الأدب الواقعي.

وشهد القرن التاسع عشر نهضة في النثر الخيالي فكتب جون ثورودسين (Jon Thoroddsen) روايتين احتلتا مكاناً متكافئاً مع مكانة قصص البطولات في العصور الوسطى، وهما (Piltur og Stùlka) (١٨٥٠ والمترجمة باسم «فتى وفتاة» عام ١٨٩٠)، والرواية التي لم تكتمل «رجل وامرأة» (Madur og Kona) (١٨٧٦). وتميز هذا الكاتب باسلوبه النثري، وبمهارته في رواية القصص، وبملاحظته المتفهمة والفكهة لحياة الفلاحين وللحياة في المدن الصغيرة.

الفَصْل السّادس عَشَر

الادب الروسي في القرن التاسع عشر

الشعر: كان اليسكاندر بوشيكن (Aleksander Pushkin) اعظم شاعر روسي في اوائل القرن التاسع عشر. ومع ان قصائده المبكرة كشفت عن براعة فائقة في الأسلوب والنظم، فلم يحرز ما عجز اي شاعر روسي آخر عن بلوغه من تكامل الفكرة والشخصية، والدعابة الانسانية الرقيقة، والفهم الصحيح والعميق للقلب الانساني والبراعة اللغوية المذهلة ببساطتها وعمقها الا بعد ان اصدر قصيدته القصصية الرائعة «فيفجيني اوناجين» (Vevgeny Onegin) التي نظمها بين عامي (١٨٢٣ و١٨٣١). اما قصائده القصصية الاخرى التي نظمها في تلك الفترة وهي «الكونت نولين» (Count Nulin) (١٨٢٥) و«البيت الصغير في كولومنا» (Domik v Kolomne) (١٨٣٠) فكشفت عن مسحة انتقادية هازلة، ومزج للواقعية والتهكم، وتعاطف ودي مع نقاط الضعف الانسانية. وكانت «الغجر» (Tsygane) و«بولتافا» (Poltava) تحفتين تتميزان بطابعين مختلفين تماماً، فأولاهما مأساة حبٍ فاشل، والثانية تمجيد للملك البطل في شخص بطرس الأول الكبير (Peter I the Great). ونظم بوشكين خلال الفترة نفسها اعظم اشعاره الغنائية، كما قرض القصيدة البليغة «النبي» (Prorok) التي يكثر الاستشهاد بها. وكتب كذلك بعض حكايا الجنيات شعراً في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر والقصيدة الرائعة «الملك سلطان» (King Saltan) و«الفارس البرونزي» (Meny Vsadnik) (١٨٢٣) وفيها يجسد بطرس الكبير القوى الجوهرية في الطبيعة التي تكتسح الانسان التافه في طريقها. ولم تتفوق اية قصيدة اخرى لبوشكين على هذه القصيدة، لما تضمنت من تيارات الرعب التي توحي بها اسماء الأصوات فيها. ومن مسرحياته الشعرية الهامة المسرحية التاريخية «بوريس كودونوف» (Boris Godunov) (١٨٣١).

وكان الشاعر العظيم الآخر في تلك الفترة ميخائيل ليرمونتوف (Mikhail Lermontov) الذي قفز الى الشهرة عام ١٨٣٧ بالقصيدة التي نظمها عند وفاة بوشكين، والتي ادت الى نفيه. وكانت معظم قصائد ليرمونتوف الابداعية مثل «المبتدىء» (Mtsyri) (١٨٤٠) والقصيدة الشهيرة «الشيطان» (Demon) (١٨٣٩) تعالج مواضيع قوقازية.

وهناك عدد من الشعراء الأقل اهمية في تلك الفترة الابداعية منهم ايفان ايفانوفيتيش ديمتريف (Ivan Ivanovich Dmitriev) وهو من مريدي الكاتب العاطفي كارامزين (Karamzin) ومنهم ايضاً كريلوف (Krylov) الذي تعتبر مواعظه القصصية الخرافية البسيطة العميقة من بين أثمن كنوز الأدب الروسي. اما فاسيلي زوكوفسكي (Vasily Zhukovsky) الذي اشتهر بالترجمة فابتدع اسلوباً شعرياً جديداً يعتمد على مبادىء كارامزين. ونظم المراثي كثير من شعراء هذا العصر الذهبي. من امثال افجيني باراتينسكي (Yevgeny Baratynsky)، بينما عبر غيرهم من أمثال كوندراتي فيودوروفيتش ريلييف (Kondraty Fyodorovich Ryleyev) عن مقتهم ظلم القياصرة، ممجدين الموت في الصراع ضدهم.

النثر : انتهى العصر الذهبي للشعر مع نهاية بوشكين وليرمونتوف ، وبدأ العصر العظيم للنثر الخلاق. وكان بوشكين في السنوات الأخيرة من عمره يتحول بصورة متزايدة نحو النثر. كما احرزت رواية ليرمونتوف (Geray Nashevo Vremeni) ١٨٣٩ ـ ١٨٤٠ والمترجمة باسم «بطل العصر» عام ١٨٨٦ نجاحاً فورياً، وكان بطل هذه الرواية واحداً من النماذج السيئة التكيّف مع المجتمع التي كثرت في جيل ليرمونتوف. فالبطل هنا رجل ذو مواهب فذة ولكنه ذو رغبة نهمة مدمرة للأشياء غير المألوفة .

وكان اول روائي واسع الشهرة في القرن التاسع عشر ميخائيل نيكولايفيتش زاجوسكين (Mikhail Nikolayevich Zagoskin) الذي لاقت روايته «يوري ميلوسلافسكي» (Yury Miloslavsky) (١٨٢٩)، ـ وتدور حول طرد البولنديين من روسيا عام ١٦١٢ ـ ترحيباً جماهيرياً لما فيها من روح قومية صريحة. كما كان اليكساندر اليكساندروفيتش بستوزييف (Aleksander Aleksandrovich

(Bestuzhev (واسمه المستعار مارلينسكي) روائياً ابداعياً شهيراً. اما نيكولاي جوجول (Nikolay Gogol) فكان كاتباً بارزاً ذا تأثير بالغ على الأدب الروسي وعلى الحركة الثورية الروسية. ولكنه اوكراني الأصل، ينظر الى الروس من وجهة نظر الغريب الى حد ما، فقد كشف للروس عن حقيقتهم واثار الأفكار العنيفة في عقولهم. واتضح التأثير الثوري لكتابات غوغول عام ١٨٣٦ عند عرض ملهاته (Revisor) (والمترجمة باسم «المفتش الحكومي» عام ١٩٦٨)، والتي عالجت موضوع الموظفين في احدى المدن الأقليمية النائية، لكنها تعرض بخلفيتها صورة مصغرة للدولة الروسية . ولم يُمَنع عرض هذه المسرحية لما شحنت من بداعة الاضحاك الذي اعتبره غوغول الميزة الايجابية الوحيدة فيها . وأدى الاحتجاج الذي واجهته المسرحية الى ذهاب غوغول الى ايطاليا حيث أكمل الجزء الأول من روايته الشهيرة (Myortwye Dushi) ١٨٤٢ ـ ١٨٥٢ والمترجمة باسم «الأرواح الميتة» عام ١٨٧٧ .

وأدت احدى قصص غوغول الأخيرة (Shinel) ١٨٤٢ والمترجمة باسم «المعطف» عام ١٩٤٩ الى ظهور مدرسة كاملة من الكتاب، هي المدرسة الواقعية والطبيعية» التي كان المع كتابها فيودور دوستويفسكي (Fyodor Dostoyevsky) . ومن ابرز اعماله في الفترة الأولى من حياته الأدبية قصص عن الأحياء الفقيرة في سانت بطرسبرغ وعن الحياة المهينة للموظفين الحكوميين، كما نجد في Bednye) (Lyudi ١٨٤٥، والمترجمة باسم «الفقراء» عام ١٨٩٤). وسجن دوستويفسكي في سيبيريا عام ١٨٤٩ لانتسابه الى مجموعة ثورية. ونشر لدى عودته مجلة ليساهم عن طريقها في حل المشكلة التي تنجم عن تحرير الاقنان الوشيك الحدوث والعلاقة الجديدة التي من المحتم ان تنشأ بين ملاكي الأرض والفلاحين. واتخذ في مجلته «إبوكا» (Epokha) موقفاً وسطاً بين دعاة الرق والمحافظين من ناحية، وبين المنادين بضرورة الأخذ بالثقافة الأوروبية الغربية والثائرين الذين تجمعوا حول مجلة «سوفريمنيك» (Sovremennik) وتعني «المعاصر» من ناحية اخرى. اما محاولة دوستويفسكي اقامة جسر فوق الهوة الفاصلة بين جماهير الفلاحين الأميين والطبقات المثقفة بتأييده دعوة المثقفين الى ان يعودوا للأرض فانتهت بالفشل. واما رواياته الأربعة العظيمة (Prestupleniye inakazaniye) (١٨٦٦، والتي كانت الجريمة

والعقاب» أفضل ترجمة لها عام ١٩٥٥) و (idiot) (١٨٦٨ - ١٨٦٩ والمترجمة باسم «الابله» عام ١٩٥٥) و«بسي» (Besy) (١٨٧١ - ١٨٧٢) والمترجمة باسم «الشياطين» عام ١٩٥٣) (Bratya Karamazovy) (١٨٧٩ - ١٨٨٠) والمترجمة باسم «الأخوة كارامازوف» عام ١٩٥٨)، فكانت كلها تظهر فهمه للقلب الانساني وللمظاهر المأساوية في الحياة الى جانب «لحظات اشراق» تجعل منها روايات خالدة.

ومع أن ايفان تورجنيف (Ivan Turgenev) كان يفتقر الى لحظات الاشراق عند دستويفسكي تجاوزت قصصه ورواياته المشاكل المحلية لتكشف عن سر الابدية . وأما روايته (Zapiski okhotnika) (١٨٥٢) ، والمترجمة باسم « مذكرات صياد » عام ١٩٥٠ ، والتي يظهر فيها الأقنان أفضل من أسيادهم ذكاء واحتشاماً وانسانية ، فكانت بشيراً بالغاء الرق . وقد عززت روايات تورجنيف الاولى شهرته كمفكر متحرر وواحد من أفضل كتاب النثر في عصره . اما اعظم رواياته « آباء وأبناء » (Otsy i deti) (١٨٦٢) والتي تعالج الهوة بين ابناء الجيل الواحد ، فقد أثارت ضده الكتاب اليساريين الذين اعتقدوا ان بازاروف (Bazarov) (بطل القصة النهلستي العدمي) كان صورة كاريكاتورية لهم . ولم يتمكن تورجنيف مطلقاً من استعادة شعبيته بين الشباب التقدميين . وقد تعمقت العداوة بينه وبين الراديكاليين بسبب روايته » (Dym) (١٨٦٧ ، والمترجمة باسم « الدخان » عام ١٩٤٩) ، والتي روى فيها حقائق مريرة عن كل طبقات المجتمع الروسي ، و (Nov) (١٨٧٧ ، والمترجمة باسم « الأرض العذراء » عام ١٨٧٧ ايضاً) التي حلل فيها الحركة الثورية الروسية ، وتكهن بالقوة المتعاظمة لطبقة الاداريين . ولم يُعترف بشعبيته ثانية الا في آخر زيارة قام بها لروسيا .

وهناك كاتب مبدع آخر في هذا القرن وقف بمعزل عن مسرح الادب وهو ليو تولستوى (Leo Tolstoy) الذي رفعته روايتاه العظيمتان (Voyna i mir) (١٨٦٥ - ١٨٦٩ ، والمترجمة باسم « الحرب والسلام » عام ١٩٢٥) و« آنا كارنينا » (Anna Karenina) (١٨٧٥ - ١٨٧٦) الى قمة المجد . وحتى انكاره لفنه بعد تحوله الى الدعوة الى المسيحية عام ١٨٧٦ فشل في التأثير على مكانته . وكانت العلامة المميزة لتولستوى كفنان مبدع هي عبقريته في تحليل الشخصيات . أما في « سوناتا

كروتزر » (Kreytserova Sonata) (١٨٩١) و« موت ايفان ايليتش » Smert Ivana Ilyicha (١٨٨٦) ، و (Voskre seniye) ١٨٩٩ ، والمترجمة باسم « البعث » عام ١٩٠٠) ، فقد فرضت عبقريته الخلاقة نفسها فوق المعتقدات الدينية والفلسفية التي شوهت العديد من قصصه الاخيرة .

وأحرز ايفان جونكاروف (Ivan Goncharov) نتائج مذهلة بتكديسه ما يبدو بالتفاصيل غير الهامة في أجمل رواياته « ابلوموف » (Oblomov) (١٨٥٩) . وكان اليكسي بيسمسكي (Aleksey Pisemsky) روائياً رئيسياً آخر ، وبالرغم من شعبية مسرحيته « القدر القاسي » (Gorkaya Sudbina) (١٨٥٩) فقد أظهرت ما في المبالغة في التصوير الواقعي للحياة من أخطار فنية .

المسرحية والانتقاد والقصص القصيرة في أواخر القرن التاسع عشر

تعرض اليكساندر اوستروفسكي (Aleksandr Ostrovsky) ، وهو اكثر الكتاب المسرحيين المحترفين انتاجاً في هذا القرن ، لأخلاقيات العمل المتدنية ، وجهل طبقة تجار موسكو ووحشيتهم ، واحتج عليها في مسرحيتي «المفلس» (Bankrut) (١٨٥٠) و «العاصفة»(Groza) (١٨٦٠) .

اما الكاتب الانتقادي العظيم في هذا القرن ، وهو ميخائيل سالتيكوف (Saltykov Mikhail) فكان من أعمدة الحركة الراديكالية باعتباره رئيس تحرير « حوليات الوطن » (Otechestvennye Zapiski) . وقد كتب واحدة من أروع روايات القرن وهي (Gospoda Golovlyovy) (١٨٧٦ ، والمترجمة باسم « عائلة جولوفليوف» عام ١٩٥٥) وكان بطلها جوداس الصغير(Indushka) يفوق حتى أنذل شخصيات غوغول كسلاً وبطالةً وتعاطياً للمسكرات .

ومع أن القصة القصيرة تطورت على أيدي العديد من الكتاب ، أمثال نيكولاي ليسكوف (Nikolay Leskov) مؤلف (Ocharovanny Strannik) (١٨٧٣ ، والمترجمة باسم « الهائم المسحور » عام ١٩٢٤) و(Zayachy Remiz) (١٨٩٤ ،

والمترجمة باسم «أرنب التخوم» عام ١٩٤٩) فأنطون تشيخوف (Anton Chekhov) هو الذي غدا استاذها المعترف به ، والذي كان مجدداً عظيماً في المسرحية كذلك . كان تشيخوف أول كاتب روسي يتبنى موقفاً سياسياً محايداً ، كتب معظم قصصه القصيرة وهو ما يزال على مقاعد الدراسة في كلية الطب ، وعندما كان في مطلع عهده كطبيب ينفق على اسرته في موسكو . ويمكننا ان نلاحظ أثر المهنة عليه في ابنائها الذين كان يعرضهم ، وفي موقفه من شخصياته القصصية ، وهو ما يظهر في قصصه القصيرة «السهب» (Step) (١٨٩١) و «قصة مضجرة» (Skuchnaya Istoriya) و «المبارزة» (Duel) و «العنبر رقم ٦» (Plata No 6) (١٨٩٢) ، وكذلك في مسرحياته الأربع الشهيرة : «النورس» (Chayka) (١٨٩٦) و «العم فانيا» (Dyadya Vanya) (١٨٩٧) و «الشقيقات الثلاث» (Tri Sestry) (١٩٠٠ - ١٩٠١) و «بستان الكرز» (Vishnyovy sad) (١٩٠٣ - ١٩٠٤) .

اما مكسيم غوركي (Maxsim Gorky) فكان يفيض حنوا وشفقة ، ولكن نحو الطبقة العاملة فقط ، وقد انتمى منذ البداية الى العمل الثوري ، اذ ثقف نفسه بنفسه ، كما تحمل وطأة العيش السيء الذي كان يعيشه العامل والحرفي الروسي . اما قصيدته الابداعية المنثورة « اغنية بيتريل العاصف » (Pesnya o burevestnike) (١٩٠١) مع اللازمة التي تتكرر فيها « العاصفة ، العاصفة على وشك الهبوب » فقد أصبحت الشعار الحماسي العنيف للحركة الثورية . وحاول غوركي في مسرحيته الاولى » (Na dne) (١٩٠٢ ، والمترجمة الى الانجليزية باسم « الاعماق الدنيا » عام ١٩٥٩) التي لاقت نجاحاً شعبياً كبيراً ، أن يفلسف حالات الفقر على المسرح الروسي - واذا تركنا جانباً رواياته المبكرة وخاصة « الأم » (Mat) (١٩٠٦) فأكثر أعماله اثارة للاعجاب سيرة حياته الذاتية في الثلاثية التي كتبها بين ١٩١٣ و١٩٢٣ والمؤلفة من (Detstvo) (والمترجمة باسم « الطفولة » عام ١٩٥٠) و (V lyudyakh) (والمترجمة باسم « في العالم » عام ١٩٣٦) و (Moi Universitety) (والمترجمة باسم «جامعياتي» عام ١٩٢٤) .

الأدب الاوكراني

سادت الواقعية الادب الاوكراني في القرن التاسع عشر ، وكان أول ممثل لها ايفـان كوتليا ريفسـكي (Ivan Kotlyarevsky) ، الـذي كتـب القصيدة الساخـرة المحـاكاة والمسلاة « انيدا » (Eneida) (١٧٩٨) ومسرحية « ناتالـكا بولتافـكا » (Natalka Poltavka) (١٨١٩) . كما كتـب بيوتـر جولاك ـ ارتيموفسـكي (Pyotr Gulak — Artemovsky) وايفجينـي جريبيونـكا (Yevgeny Grebyonka) ومواعظ قصصية واقعية وقصائد قصصية غنائية من نوع « البالاد » وأغاني ابداعية . وكتب جريجوري كفيتكا (Grigory Kvitka) ـ الذي كان يوقع بالاسم المستعار كريتسكو اوزنوفيانينـكو (Gritsko Osnovyanenko) ـ روايات واقعية منهـا « مـاروسيا » (Marusya) (١٨٣٤) و« اوكسانـا الرقيقـة » Serdeshnaya Oksana (١٨٤١) و« ساحرة كونوتوب» (Konotops kaya vedma) الا أن مؤسس الأدب الاوكراني الحديث هو الشاعر الابداعي وكاتب النثر والمسرحية والرسام والديمقراطـي الثائر تاراس شيفتشينكو (Taras Shevchenko) الذي اشتهر خاصـة بمجموعتـه الشعـرية « لاعب الكوبزار » (Kobzar) . وتابعت ماري ماركوفيتش (Mary Markovich) ـ التي كانت تكتب تحت الاسم المستعار ماركو فوفشوك (Marko Vovchok) ـ التقليد الـذي اتبعـه شيفتشينـكو في كتابـة النثـر ، وأفضـل اعمالهـا رواية «كارمليوك» (Karmelyik) و« قصص شعبية » (Narodniye rasskazy) (١٨٥٧) . أمـا الأدب البارز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فيتضمن أشعار يوري فيدكوفيتش (Yury Fedkovich) ورواياته ومسرحياته ، وكذلك الروايات الاجتماعية التي كتبهـا ايفان نيشوي ـ ليفيتسكي (Ivan Nechuy — Levitsky) وأهمهـا « نيكولادز يريا » (Mikola Dzerya) و« سيميا كايداشا » (Semya Kaydasha) (١٨٧٨) ، والروايات الاجتماعية والنفسية التي كتبها أفاناسي رودشينكو (Afanasy Rudchenko) ، الذي كان يوقع تحت الاسم المستعار (Panas Mirny) ، وأهمها « أيجب ان تخور العجول اذا كانت الزريبـة مليئـة ؟ » (Razve revut voly Kogda yasli polny) و« خليع » (Propashchaya sila) والمسرحيات الاجتماعية التي كتبها مارك كروبيفنيستكي (Mark Kropivinitsky) ، وأهمهـا « اطلـق للقلـب حريتـه يقـدك الى العبـودية » (Day

(Miroyed. ili « كولاك أو العنكبـــوت » و « saroltsu Volyu Savedyot V nevolyu)
pauk) والمسرحيات الاجتماعية والنفسية التي كتبها ميخائيل ستارتيســكي (Mikhail
Staritsky) وأهمهـــا : «آه ، لا تذهبـــي يا جريتس» (Oy , ,ekhodi, Grityu) و
«الموهبـــة» (Talent) ورواية «بـــوكدان خملنتســـكي» (Bogdan Khmelintsky)
والمسرحيات الكوميدية الانتقادية التي كتبها ايفـان توبيليفيتش (Ivan Tobilevich)
والذي كان يكتب تحت الاسم المستعار «كاربنكو كاري» (Kar penko — kary) ،
وأهمها «مائة الف» (Stotysyah) و «المالك» (Hozyain) و «الهرج والمرج» (Sueta) .
اما العالم والكاتب الثوري العظيم ـ وهو ايفان فرانكو (Ivan Franko) ـ فقد ارتقى بالواقعية الانتقـادية الى مستـوى أرفـع ، واصفـاً الصراع بـين العمالَ والمستغلـين الرأسماليين معتبراً الناس القوة المحركة الرئيسية في التاريخ . وهنـاك بـين أعمالـه العديدة الجديرة بالذكر مجموعة قصائده وأشعاره المسماة «مـن القمـم والحضيض» (Vershiny iniziny) (١٨٨٧ ـ ١٨٩٣) ، والقصص القصـــيرة والـــروايات الاجتماعية : «بوريسلاف الضاحك» (Borislav smeyetsya) (١٨٨١ ـ ١٨٨٢) و «البوا أو الافعى العـاصرة» (Boa Constrictor) (١٨٧٨) و «قصص بوريســلاف» (Borislavskiye rasskazy) ، والعمل المسرحي «السعادة المسروقة» (Ukradennoye schastye) وملحمة (Moizey) (١٩٠٥ ، والمترجمة باسم «موسى» عام ١٩٣٨) .

أدب جورجيا

نقل الاحتلال الروسي (١٨٠١) جورجيا الى فلك الحياة الفكرية الاوروبية فازدهـــر الشعـــر الابداعـــي في اعمال الكســنـــدر تشافتشـــا فادزي (Aleksander Chavchavadze) ، كما نظم نيكولوز باراتشـفيلي (Nicoloz Baratashivili) القصائـد الشعرية الغنائية على طريقـة بايرون . وتطـور المسرح الجورجي الحـديث بقيادة جورجي ييريستافي (Georgy Yeristavi) . وكان بين الروائيين الواقعيين لافرينتـي أردازيانـي (Lavrenty Ardaziani) وايليا تشافتشـــا فادزي (Ilya Chavachavadze) ويعتبر أبرز أديب جورجي في العصر الحديث .

الفَصْل السَّابع عَشَر

الأدب البولندي في القرن التاسع عشر

هيمنت فترة اتباعية بولندية ثانية متميزة ، دعيت بالاتباعية الزائفة طيلة سنوات «دوقية وارسو العظمى » (التي أنشأها نابليون ١٨٠٧ ـ ١٨٠٩) ، و« مملكة

الكونغرس » ذات الهيئة التشريعية تحت الحكم الروسي . وبشكل عام ، كانت الكتابات الاتباعية الكاذبة ، المقيدة بمبادئها الصارمة ، تفتقر الى الحيوية وعاد الادب الى اتصاله بالغرب خلال فترة التنوير الفلسفي ، وأصبح معبراً عن الوعي القومي . ورغم كونه أدب مجتمع يجتاز أزمة سياسة حادة ، كان له تأثير على البلدان المجاورة ، وأثر كراسيكي (Krasicki) بشكل خاص على الكتاب الروس والتشيكيين والرومانيين .

بدأت الفترة الابداعية في بولندا متأخرة عن انجلترا والمانيا ، كما انها استمرت فترة أطول . واعتبرت اعظم عصور الادب البولندي . وصادف بزوغ الرومانتيكية ضياع الاستقلال ، ولذا وجد فيها الكتاب تعبيراً عن حالتهم النفسية الخاصة ، وأعطت الحاجة الى تفسير قدر بولندا قوة في الرؤيا ووزناً اخلاقياً لأعمال الشعراء الرومانتيكيين الثلاثة آدم ميكيويكز (Adam Mickiewicz) وجوليوس سلوفاكي (Juliusz Slowacki) وزيجمونت كراسينسكي (Zygmunt Krasinski) ، الذين اعتبروا رواد كفاح في سبيل الحركة القومية . ونظم هؤلاء الشعراء القصائد أثناء وجودهم في المنفى ، وبذا حافظوا على الايمان بالقدرة على استعادة الاستقلال البولندي ، ونفح اهتمامهم بالأمور السياسية والتاريخية الادب الابداعي البولندي طاقة وعاطفة روحية . كان ميكيويكز أعظم الشعراء البولنديين وزعيم الفترة

الابداعية ، وهو مؤلف الشعر (Poesye) (١٨٢٢ ـ ١٨٢٣) ، أول حدث أدبي هام في تلك الفترة . وكان المجلّد الاول منه ـ الذي يضم القصص والقصائد القصصية الغنائية من نوع «البانود» يبدأ بمقدمة هامة تفسر اعجابه بهذه الاشكال الادبية الاوربية الغربية . ويحتوي الجلد الثاني على القسمين الثاني والرابع من « دزيادي »(Dziady) التي جمع فيها الشاعر ما بين الادب الشعبي والجو الصوفي ليخلق منها نوعاً جديداً من المسرحية الابداعية . وكتب ميكيويكز أعظم أعماله بعد عام ١٨٢٤ ، اثر نفيه الى روسيا بسبب نشاطاته الثورية عندما كان طالباً ؛ وأهم هذه الاعمال « سونيتات القرم » (Sonety Krymskie) (١٨٢٦) ، والجزء الثالث الخيالي من « دزيادي » (Dziady) (١٨٣٣) ، و« كتب عن الأمة البولندية وحياتها » (Ksiegi narodu poskiego pielgrzymstwa polskiego) (١٨٣٢) ، ويعطي فيه تفسيراً مسيحياً لقدر بولندا ماضياً ومستقبلاً ، محاكياً فيه الاسلوب النثري للكتاب المقدس ؛ والملحمة الرائعة بان تاديوش (...Pan Tadeusz) (١٨٣٤) .

أودى اخماد العصيان المسلح (١٨٣٠ ـ ١٨٣١) بالنخبة المثقفة الى المنفى في فرنسا ، وهناك التقى ميكويكز بسلوفاكي (Slowacki) وكراسنسكي وسيبريان نورويد (Cyprian Norwid) . اما سلوفاكي ذلك الكاتب الابداعي ، (بكل ما في الكلمة من معنى الذي تجلت عبقريته في مختلف أعماله فكتب قصصاً شعرية مجارياً بها اسلوب بايرون ، كما نظم شعراً غنائياً رائعاً ، متأثراً بالمواضيع الوطنية . فمسرحيته « كورديان » (Kordian) (١٨٣٤) تدور حول التآمر والمشاكل الناجمة عن الالتزام ، وكانت « في سويسرا »(W szwajcarii) (١٨٣٩) قصيدة ذات طابع رعوي محوَّر تسامى بها الشاعر لدرجة فريدة من الصقل وربما كانت أفضل عمل شعري غنائي بالبولندية . وكرس سلوفاكي معظم أعماله للمسرح ، ورغم انه لم يقصد بها الإخراج على خشبة المسرح إلاّ انه يعتبر واضع أسس المسرحية المأساوية البولندية ويظهر فيها تأثره بالمسرحية الابداعية الفرنسية وشكسبير والمأساة الاغريقية وكالديرون الاسباني . وعكف سلوفاكي في سنواته الاخيرة على كتابه « الملك

الروح » (Krol-Duch) (١٨٤٧) ، وهي ملحمة غنائية رمزية غير تامة تصف تاريخ الشعب البولندي على انه سلسلة من التجسيد للروح الاصيلة في الأمة .

ونشر زيجمونت كراسينسكي (Zygmunt Krasinski) (دون ذكر اسمه كعادته في كل اعماله) (Nieboska Komedia) (١٨٣٥ ، والمترجمة باسم « الكوميديا غير الالهية » عام ١٨٧٥) ، التي تعرضت ، لأول مرة في اوربا ، للصراع بين العالمين المتعارضين : الارستقراطيين ، والجماهير المحرومة حتى من حقوقها الطبيعية . وكانت مسرحيته الثانية « ايريديون » (Irydion) (١٨٣٦) ، قصة رمزية عن مصير بولندا ، عرضها على شكل صراع بين اليونانيين والرومان . وفي « لحظة ما قبل الفجر » (Prze d'swit) (١٨٤٣) تفسير مسيحي للتاريخ البولندي ، وعاد فقدم ثانية تفسيراً لهذا المفهوم عن بولندا باعتبارها « المسيح بين الأمم » في « مزامير المستقبل » (Psalmy Przysztosci) (١٨٤٥) . وتميز العديد من الاعمال الابداعية في بولندا بعرض العناصر الخيالية وما فوق الطبيعة في اطار واقعي .

لم تتكشف عبقرية سيبريان كاميل نورويد (Cyprian Kamil Norwid) كاملة حتى القرن العشرين . وأخطأ الناس بالحكم عليه خلال حياته ، فظل مغموراً الى حد ما ، لأنه تقبل بعض أفكار الابداعية بوقت انتقد فيه الآخرين ، وبصورة رئيسية لتحفظه الفكري التهكمي . ومن أهم الأعمال التي نشرها في حياته محاورة شعرية حول علم الجمال أطلق عليها اسم «برومیتیدیون »(Promethidion) (١٨٥١) وفيها شرح نظرية المهمة الاخلاقية والاجتماعية للفن سابقاً بذلك جون راسكين . ونشر النص الاصلي لمجموعته الغنائية الهامة « فيدميكوم » (Vade -mecum) لأول مرة عام ١٩٤٧ . وقام بتجارب في الشعر الحر وايقاع الكلام ، كما بشّر بالرمزيين الفرنسيين بطريقته المماثلة في عرض المفهوم الشعري .

وكوّن أدباء الابداعية الاولى الثانويون المدرسة البولندية ـ الاوكرانية ، التي برز فيها أنتوني مالكزيوسكي (Antoni Malczecoski) لقصيدة واحدة كتبها ، وهي القصة الشعرية الابداعية « ماريا » (Maria) (١٨٢٥) ، وتمثل قصة حب وخيانة تتميز بأصالة الاسلوب والتوتر الدرامي وحدّة المزاج .

وكان كتاب النثر البولنديون المنفيون أقل عدداً من الشعراء . وأسهم زيجمونت ملكوفسكي (Zygmunt Milkowski) ، تحت اسمه المستعار تيودور توماز جز (Teodor Tomaz Jex) في كتابة عدد كبير من الموضوعات ، بما فيها الادب الشعبي وتاريخ بلاد البلقان . اما موريسي موشناكي (Maurycy Mochnacki) ، ذلك المدافع المتحمس عن الابداعية ، وأول ناقد بولندي يربط أدب بولندا بتقدمها السياسي فكتب في النقد الادبي وكان له تأثير على النظرية الادبية ، لكنه لم يكن تأثيراً نافعاً تماماً . كما كانت الاعمال التاريخية لذلك المفكر العظيم المتعدد الاهتمامات يواكيم ليليويل (Joachim Le Lewel) ـ مثالا مثيراً للاعجاب عن نثر تلك الفترة .

وكنتيجة للتقسيم كان الشعر الابداعي في بولندا محدوداً ضمن الحلقات المحلية المغلقة . وتشكلت في وارسو حلقة من الشعراء الشباب الا أن نشاطاتها ظلت محدودة بسبب الضغط السياسي . وكان تيوفيل لينارتوويكز (Teofil Lenartowicz) أكثر المواهب تطوراً فيها . اما ريزارد فينسنتي بيرونسكي (Ryszard Wincenty Berwinski) شاعر الراديكالية الاجتماعية فكتب « الشعر » (Poezje) (١٨٤٤) و« دراسات في الأدب الشعبي » (Studia o Literaturze Ludowej) (١٨٥٤) ، التي كانت تبتعد بعض الشيء عن التفسيرات القومية الابداعية ، مؤكدة على أهمية الملكية العالمية المشتركة للتقاليد الشعبية .

وانتشرت الكتابات النثرية بين المقيمين في بولندا أكثر مما انتشرت بين كتاب المنفى . وكان هنريك رزيوسكي (Henryk Rzewuski) ينتمي الى القرن الثامن عشر روحياً ، ويصور كتابه « مذكرات سيفيرين سوبليكا » (Pamiastki Seweryna Soplicy) جو التقليد الباروكي . ومع تقدم القرن كان من الممكن تمييز اتجاه نحو الواقعية في روايات جوزيف كورز ينيوفسكي (Jozef Korzeniowski) وأهمها «سبكيولانت » (Spekulant) (١٨٤٦) و« كولوكاشيا » (Kollakacja) (١٨٤٧) .

اما الروائية نارسيزا زميكوفسكا (Narcyza zmichowska) واسمها المستعار كابريلا (Gabryella) ، فكتبت « الوثني » (Poganka) (١٨٤٦) ، وهي قصة رمزية نفسية استبقت بتحليلها البارع للمشاعر أحاسيس القرن العشرين . لكن ابرز كاتب نثرٍ

هو جوزيف اينياسي كرازيفسكي (José Ignacy Kraszewski) الذي توزع انتاجه على مئات المجلدات في الادب القصصي والتاريخ والأنثروبولوجيا الوصفية والنقد وغيرها . وتعكس كتاباته التخيلية تغيراً في الأساليب الأدبية خلال حياته الأدبية الطويلة . وقد نفي كرازيفسكي عام ١٨٦٣ ، لكنه استمر في تأثيره على الكتاب المقيمين منهم والمنفيين ، كما ظل على دفاعه عن القضية البولندية بما له من نشاطات متنوعة .

احتفظت الابداعية البولندية ـ الواعية لدورها كشعلة للروح القومية ـ بطاقتها كطريقة في التفكير ، الى ما بعد الفترة التي سادت فيها الظروف السياسية التي نمت فيها . وتكشفت هذه الفترة عن أعمال ذات قيمة فنية رفيعة استطاعت ان تثير اهتمام الكتاب الاجانب . وكان لميكيويكز (Mickiewicz) تأثيره على الآداب السلافية ، وقارنته جورج ساند بجوته وبايرون . وأثبت اسلوب سلوفاكي الشعري أهميته الرئيسية للكتاب في نهاية القرن التاسع عشر ، أما تأثير اسلوب نورويد (Norwid) الشعري فبدأ يظهر بصورة متزايدة في أدب منتصف القرن العشرين ، لكن تورط الحركة الابداعية السياسي أدى الى العصيان المسلح عام ١٨٦٣ الذي انتهى الى الحاق بولندا وجعلها مقاطعة روسية .

الفَصْل الثَّامِن عَشَر

آداب أوروبّا الشرقيّة الأخرى
في القرن التاسع عشر

أدب ليتوانيا

بعد الجمود الذي انتاب الكتابة العلمانية الخلاقة في ليتوانيا في القرن الثامن عشر الذي لم تبرز فيه من بين مجموعات القواعد والاغاني الشعبية سوى قصيدة « الفصول الاربعة » (Metai) (١٨١٨) للشاعر كريستيوناس دونيليتس (Kristijonas Donelaitis) التي تصف حياة القرى. وظهرت في النصف الاول من القرن التاسع عشر حركة جديدة حاولت ان تخلق لغة ليتوانية أدبية ، مشجعة بذلك اهتماماً ابداعياً جديداً بالتاريخ المبكر للبلاد . وطغت موجة التأثير الغربي في أدب هذه الفترة في أعقاب الثورة الفرنسية جلية ، وبشكل بارز في أشعار سيماناس ستانيفيسيا (Simanas Stanevicia) وديونيزاس بوسكا (Dionysas Poska) . وبالرغم من الحظر الروسي على طباعة الكتابة الليتوانية بالاحرف اللاتينية ، استمر هذا الاحياء على يد الأسقف م . فالانسيوس (Bishop M. Valancius) ، الشاعر الذي تعد أعظم اعماله رائعته (Any Ksciu Silelis) (١٨٥٨ - ١٨٥٩) والمترجمة باسم « غابة أنيكسياي » عام ١٩٥٦) . وسعى الأدب جاهداً في هذا العصر لحشد طاقات الليتوانيين في مواجهة السيطرة السياسية الروسية والتأثير الثقافي البولندي .

وأعطت مجلة « الفجر » (Ausra) اسمها للجيل التالي من الكتاب ، وهي أول مجلة دورية ليتوانية حديثة ، أسسها يوناس باسانا فيسيوس (Jonas Basana- vicius) عام ١٨٨٣ ، وطبعت في « ماينور الليتوانية » (Lithuanian Minor) . اما

فينكاس كوديركا (Vincas Kudirka) ـ وهو من المعلقين الرئيسيين وواحد من كتاب القصة القصيرة ـ فقد أصبحت احدى قصائده النشيد القومي لليتوانيا المستقلة. واشتهر اكبر شاعر ليتواني ي . ماسيوليس (I. Maciulis) الذي كان يكتب تحت الاسم المستعار ميرونيس (Maironis) ، بشعره المسرحي والغنائي ، وأطلق عليه لقب « شاعر النهضة الليتوانية ونبيّها » . ومن الاسماء اللامعة الاخرى الفيلسوف والشاعر والكاتب المسرحي : ف . ستوراستا (V. Storasta) الذي كان يكتب تحت الاسم المستعار فيدوناس (Vydunas) ، وي . بيليوناس (I. Biliunas) وهو كاتب حساس للقصة القصيرة ، والناقد الادبي : ي . توماس (I. Tumas) الذي اشتهر باسم فيزكانتاس (Vaizgantas) .

أدب لاتفيا

في منتصف القرن التاسع عشر ، وعبر فترة « اليقظة القومية » توطد الاستقلال الادبي في لاتفيا . وكان مؤلّف الشعر الذي كتبه ي . ألونانس (I. Alunans) وأطلق عليه اسم « اغان قصيرة» (Dzeiesminas) هو الذي أرسى قواعد الشعر الغنائي الحديث في لاتفيا . وأصبح الشعر الشعبي مصدراً للالهام الادبي وهذا ما يتضح في القصائد الغنائية التي كتبها اوزكليس (Auseklis) أو م . كروكزمس (M. Krogzems) وكذلك في القصيدة الملحمية التي كتبها ا . بمبرز (A. Pumpurs) وأطلق عليها اسم « قاتل الدببة » (Lac plésis) (١٨٨٨) . اما اول رواية هامة ، وهي « اوقات المساجن » (Mernieku Laiki) (١٨٧٩) للكاتبين كودزيتس (R. and M. Kaudzites) فصورت حياة الفلاحين في لاتفيا بطريقة واقعية . وبدأت المسرحيات والقصص القصيرة الحديثة انطلاقتها في أعمال ر. بلومانيس (R. Blaumanis) .

وشددت الحركة الحديثة في التسعينات من القرن التاسع عشر على الواقعية ، ولكن شاعر تلك الفترة العظيمة رينيس (Rainis) أو ج . بليكسانس (J. Plieksans) ، تبنى الأسلوب الرمزي ، مستخدماً لغة الشعر الشعبي في وصفه المشاكل المعاصرة . اما زوجته أسبازيا (Aspazija) أو ي بليكسانا روزنبركا (E.

Plieksana, née Rozenberga) فأضطلعـت بالدفـاع عن حقـوق المرأة ، الا ان النزعات الابداعية اخذت بالظهور في أعمالها الأخيرة . وقـدم ي . بوروكس (I. Poruks) الابداعية الجديدة ، في حين تبنى الشعراء « الرمزيون » في العقد التالي نظرية الفن للفن .

أدب استونيا

كانت القصص الاخلاقية والكتيبـات التـي ألفهـا بعض المتحمسـين للغـة والثقافة القومية من البلطيقيين الألمان بداية الأدب المكتـوب في الفتـرة الاستـوفيلية (Estophile) حوالي ١٧٥٠ الى ١٨٤٠ . وكانت المجلة المهتمة بفقه اللغة واسمها « مقـالات في سبيل فهـم أفضـل للغـة الاستـونية » (Beitrage zur Genauern Kenntniss der Ehstnischen Sprache) تضم نماذج من الشعر الشعبي والمقالات ، بما فيها اعمال كريستيان جاك بيترسون (Kristjan Jaak Peterson) اول شاعر قومي استوني. وما هو أدبيٌّ اكثر منها أهمية فملحمة «كلفيبوغ» (Kalevipoeg) (١٨٥٧ - ١٨٦١) وقد ترجم قسم منها في « بطـل استـونيا » (The Hero of Estonia) عام ١٨٩٥ وشطر آخر منها تقليد أصيل ، لكن جزأها الثالث من ابداع ف . رينهولد كروتزوالد (F. Reinhold Kreutzwald) . وهي ملحمة اتسمت بتأثيرها على الحركة الابداعية القومية التي كانت على وشك الظهور . وكانت الشاعرتان ليديا كويدولا (Lydia Koidula) وآنا هافا (Anna Haava) ألمع الادباء الابداعيين الوطنيين ، امـا الروائي الاول فكان يوهان سومـر (Juhan Sommer) الـذي ظهـر كتابـه « لـويج لاوس » (Luige Laus) عام ١٨٤٣ . وظهرت الرواية التاريخية للمرة الاولى عندما قدم ادوارد بورن هوهـي (Eduard Bornhohe) روايتـه « المنتقـم » (Tasuja) عام ١٨٨٠ . واقترب يعقوب بارن (Jacob Parn) في مؤلفه « بيته وسيده »(Oma tuba, oma Luba) من الاسلوب الواقعي الذي ظهـر جلياً في أعمال يوهـان ليف (Juhan Liiv) الأخيرة .

أدب تشيكوسلوفاكيا

الأدب التشيكي : لقد دفعت الميول التاريخية والأثرية للقـرن الثامـن عشر بالعديد من العلماء التشيكيين الى البحث في الأدب والتاريخ القديم لبلادهم وفضلا

عن ذلك كان بعث الوطنية البوهيمية رد فعل طبيعي على النزعات المركزية لحكومة هابسبورغ تحت حكم ماريا تيريزا (Maria Theresa) . وكان هذا يلقى تشجيع الطبقة النبيلة المحلية الناجم عن اهتمامها بقوتها الخاصة . وأصبح يوسف دوبروفسكي (Josef Dobrovsky) واضع قواعد وأسس اللغة الأدبية التشيكية الناهضة . وقد كشف في تاريخه للأدب التشيكي القديم عن النماذج المهملة التي يجدر بالكتاب التشيكيين السير على منوالها . وألف دوبروفسكي باللغة اللاتينية كما كتب بالألمانية ، ولكن عدداً من معاصريه أعادوا اللغة التشيكية الى التداول الأدبي ؛ ومن ابرزهم أنتونين جاروسلاف بوشماير (Antonin Jaroslav Puchmajer) في تقاويمه الشعرية . وفي الوقت نفسه ساعدت التطورات الاجتماعية والسياسية في اواخر القرن الثامن عشر على خلق جمهور للأدب التشيكي . وأخذت المسرحيات المكتوبة بالعامية ، والتي مثلت في براغ بدءاً من ١٧٨٦ ، وبدايات الصحافة التشيكية الحديثة ممثلة بصحف فاكلاف ماتج كراميريوس (Vaclav Matej Kramerius) تتوجه الى طبقة متوسطة جديدة في المدن التشيكية الحديثة الاتساع .

وقنع دوبروفسكي بمهمة وضع قواعد وأسس اللغة التشيكية ، أما يوسف ينجمان (Josef Yungmann) فشرع بتوسيع امكاناتها ليتسنى لها ان تصبح لغة أدبية حديثة ، وتمكن من اتمام ذلك بما قدمه من ترجمات في عدادها ترجمة «الفردوس المفقود» (Paradise Lorst) للشاعر الانكليزي ملتون عام ١٨١١) ، وأهم من ذلك بالقاموس التشيكي - الالماني الضخم (١٨٣٥ - ١٨٣٩) . واستمر احياء الثقافة التشيكية على يد فرانتيسيك بالاكي (Frantisek Palacky) ، الذي كان تاريخه عن بوهيميا ومورافيا آخر الروائع التشيكية الكلاسيكية .

وانجذب بعض السلوفاكيين نحو الاحياء الادبي التشيكي ، يتقدمهم يان كولار (Jan Kollar) الذي كانت مجموعة سونياته الرمزية « ابنة سلافا » (Slavy Dcera) اول عمل رائع بهذه اللغة التي اعيد احياؤها .

وحظيت قصائد « مخطوطة كرالوفي دفور » (Rukopis Kralavé dvorsky) و «مخطوطة زيلينا هورا » (Rukopis Zelenohorsk'y) بمكانة خاصة في أدب تلك الفترة، ويبدو ظاهرياً أنها تعود الى اوائل العصور الوسطى ، ولكنها في الحقيقة

زائفة نظمها شاعر مثير للاعجاب ، لكنه دون رادع خلقي يدعي فاكلاف هانكا (Vaclav Hanka) بالتعاون مع غيره من الشعراء . ورغم ثبوت زيفها في نهاية القرن تقريباً ، كانت لها مميزاتها كنماذج للشعر الابداعي ، كما رددت اصداء من الشعر الشعبي عند السلافيين الجنوبيين .

اما اعظم شعراء الابداعية التشيكية ، ولربما اعظم الشعراء التشيكيين قاطبة ، فهو كاريل هينيك ماكا (Karel Hynek Macha) ، الذي كانت قصائده الغنائية وكتاباته النثرية المتفرقة وملحمته الغنائية (Maj) (١٨٣٦ ، والمترجمة عام ١٩٣٢) باسم «أيار» (May) ، تكشف عن تأثير بايرون وسير والتر سكوت والابداعيين البولنديين ، لكنه كان تأثيراً رائعاً لما فيه من قوة الخيال الشعري والكمال اللغوي .

وصار الاتجاه ضد الابداعية في الاربعينات في القرن التاسع عشر واضحاً عند عدد من الكتاب ، وبخاصة كاريل هافليسك بوروفسكي (Karel Havlicek Borovsky) وبوزينا نيمكوفا (Bozena Nemkova) ، اللذين عنيا بالقضايا العملية وكانا من ألمع كتاب النثر ، وعملا الكثير لتقريب النثر التشيكي من اللغة العادية . كان هافليسك صحافياً وسياسياً ، وتجلى اعظم انجازاته في المقالات النقدية التي دافع فيها عن حقوق التشيكيين في مواجهة الحكم المطلق لاسرة هابسبرغ . وفي القصائد الانتقادية الرائعة ، وبخاصة تلك التي نظمها في المنفى قبل وفاته مثل « الملك لافرا » (Kral Lavra) « ومراثي تيروليس » (Tyrolské elegie) و« تعميد القديس فلاديمير » (Krést Svatého Vladimiaa) وكانت بوزينا نيمكوفا (Bozena Nemcova) أول امرأة تقدم انتاجاً رفيعاً في الأدب التشيكي ، وأخذت شهرتها في الذيوع بعد ان كتبت « الجدة » (Babicka) التي زخرت بتصوير الحياة الريفية في سلسلة من الاسكتشات التي تربط بينها الشخصية الرئيسية . فوصفها دقيق وواقعي ، واللغة متينة ومتميزة وهو أمر جديد في النثر التشيكي .

وكانت أعمال هافليسك (Havlicek) وايربن (Erben) ونيمكوفا (Némcova) ، الذين كانوا جميعاً في القمة في الخمسينات ، جسراً ما بين الفترة الابداعية الاولى للأدب التشيكي المبعوث من جديد ، والنصف الثاني من القرن ، وفيه حاول الكتاب

الذين كانوا يكتبون لجمهور اخذ في الاتساع ان يقدموا ادباً يمكن ان يتبوأ مكاناً مرموقاً في الاداب الاخرى في اوروبا وفي عام ١٨٥٨ ظهر تقويم «ماج» (Maj) المهدى الى ذكرى ماتشا (Mácha) والذي يضم اعمال عدد من الكتاب الشباب من أبرزهم يان نيرودا (Jan Neruda) وفيتيزلاف هاليك (Vitezslav Hálek) . وكانت مجموعة « ماج » (Máj) تضم الروائية الرائعة كارولينا سفيتلا (Karolina Svétlá) أو « يوهانا مازاكوفا » (Johanna Muzákova) والتي تضمنت رواياتها ـ عن مجتمع براغ في اوائل القرن التاسع عشر وعن الريف في بوهيميا الشمالية ـ عناصر ابداعية في الموضوع والحبكة ، ومهارة فائقة في التحليل النفسي . وكانت اهم المواضيع التي عالجتها هي المشاكل الأخلاقية والاجتماعية ولا سيما مكانة المرأة في مجتمع القرن التاسع عشر . وبدأ أدولف هيدوك (Adolf Heyduk) حياته الادبية تحت رعاية مجموعة «ماج»(Maj) ، وثبت شعره الوطني خالداً على مر الايام ، ولا سيما القصائد التي استوحاها من القرابة بين التشيكيين والسلوفاكيين .

الأدب السلوفاكي

لم تبذل ـ حتى القرن الثامن عشر ـ أية محاولة منظمة لوضع أسس لغة أدبية من بين اللهجات السلوفاكية ـ بالرغم من صلتها الوثيقة بالتشيكية ـ التي اكتسبت هوية مستقلة منذ بداية العصور الوسطى . وأدى الانحطاط الذي انتاب اللغة الادبية التشيكية في مطلع القرن الثامن عشر الى ازدياد استخدام الألوان المحلية في النصوص الدينية التي صدرت عن الكاثوليكيين والكالفانيين على حد سواء . وتبلورت هذه النزعات عند انطون بيرنولاك (Anton Bernolàk) في كتاب للنحو والصرف (١٧٩٠) وقاموس مكون من ستة اجزاء (١٨٢٥ ـ ١٨٢٧) وهو الذي وضع أسس لغة أدبية ارتكزت بصورة رئيسية على استعمالات اللهجة السلوفاكية الغربية وتبنى عدد من الكتاب هذه اللغة خلال فترة الوعي القومي الناهض ، من أبرزهم يان هولي (Ján Holly) ، الذي نظم الأشعار الغنائية والقصائد الرعوية القصيرة والملاحم القومية .

كما كتب يوسف اينياك بايزا (Josef Ignác Bajza) الرواية التعليمية « رينيه » (René) ١٧٨٣ ـ ١٧٨٥ بلغة تشبكية مطعمة بالسلوفاكية .

ورفض البروتستانت في سلوفاكيا لغة برنولاك واستخدموا التشيكية في طقوسهم الدينية . وبكل الأحوال ، كان الشعور القومي السلوفاكي ، راسخاً في الأكثرية الكاثوليكية ، لدرجة لم يكن معها سوى احتمال جد ضعيف لتقبل استخدام التشيكية في كتاباتهم . كانت لغة برنولاك السلوفاكية الغربية غير وافية ، ولكن لودوفيت ستير(L'udovit Stur)' وضع أسس شكل جديد للغة السلوفاكية الأدبية ارتكز فيه على لهجات المناطق الوسطى.

وفوراً تبنت مجموعة من الشعراء الموهوبين هذه اللغة . وقدم اندريه سلاذكوفيك(Andrej Slàdkocic) أو اندريه براكساتوريس(Andrej Braxatoris) في سلادكوفيك(Andrej Slàdkovic) (أو اندريه براكساتوريس Andrej Braxatoris) في «مارينا»(Marina) ١٨٤٦ ملحمة قومية تمتاز بالأصالة والحيوية . أما أهم شخصية أدبية فهو يانكوكرال(Janko Kràl) ، الذي غدا اسطورة لما أبلاه في الثورة وحرب (١٨٤٨ - ١٨٤٩) ، وتعتبر أغانيه الشعبية من نوع «الباسد» وملاحمه وأشعاره الغنائية بين اكثر الأعمال الأدبية أصالة في الفترة الابداعية السلافونية .

كان يان كالوبكا (Ján Chalupka) اول كاتب مسرحي سلوفاكي يكتب اعماله باللغة التشيكية ، ومن ضمنها مسرحيته الهجائية « كوكركوفو »(Kocúrkovo) (١٨٣٠) واستخدم يان بالاريك (Jan Palárik) اللغة الأدبية الجديدة في مسرحياته الكوميدية التي عرضت في الخمسينات والستينات ، والتي صورت المجتمع السلوفاكي بأسلوب ساخر ، لكنه يوحي بالتعاطف .

الأدب اليوغسلافي

الأدب الصربي

كان أهم ممثل صربي لحركة التنوير الفلسفية دوسيتي اوبرادوفيك (Dositej Obradović) الذي كان لكتاباته ، وبينها سيرته الذاتية (١٧٨٣) وغيرها ، تأثير عظيم على تطور الأدب الصربي . ويمكننا ملاحظة الكثير من خصائص الابداعية الاوربية في أدب الفترة الواقعة بين ١٨٢٠ و١٨٧٠ ، وخاصة الاهتمام البالغ بالفولكلور والاصرار على توكيد الذاتية القومية . وكان فوك ستيفانوفيك كارادزيك

(Vuk Stefanovic Karadzic) من الشخصيات الأدبية البارزة ، وهـو الـذي حاول اصلاح اللغة الأدبية ، وفعل الكثير لتعزيز الحركة القومية . أما بيتر الثاني بيتروفيك نيجوس (Petar II Betrović Njegos) وهو حاكم « مونتنيجـري » (Montenegrin) فكان شاعراً تتجلى مواهبه على أفضل صورة في قصيدته الدرامية « اكليل الجبل » (Gorski Vijenac) (١٨٤٧) . واسهمـت الاشعـار الغنـائية التـي نظمهـا برانـكو راديسيفيك (Branko Radicevic) في توضيح الابتعاد عن الشعر التعليمي الهادف . ومن المؤلفين الابـداعيين الشبـاب هنـاك بعض الشعـراء الغنـائيين منهـم يوفـان يوفانوفيك (Jovan Jovanović) الذي اشتهر بالاسم المستعـار زمـاج (Zmaj) ودوراً ياكسيك (Dura Jaksic) ولازاكوستيك (Laza Kostić) .

وظهر في الفترة ما بين ١٨٧٠ و ١٩٠٠ ميل نحو الواقعية بلسان داعيتها العظيم سفيتوزار ماركوفيك (Svetozar Marković) مؤسس الاشتراكية في صربيا . وكانت أروع الكتابات القصصية من تأليف لازا لازاريفيك (Laza Lazarević) استاذ القصة القصيرة ، وسيمو ماتافولي (Simo Matavulj) وهو روائي وكاتب قصص قصيرة ، دقيق الملاحظة يتمتع بحس الدعابة الساخر ، وستيفان سريماك (Stevan Sremac) الكاتب الانتقادي الفكه . وكان فويسـلاف اليك (Vojislav Ilić) شاعـراً وصـفياً بارعاً شديد الشبه بالشعراء البرناسيين الفرنسيين .

كان الأدب الصربي عند نهاية القرن التاسع عشر متأثراً بالتيارات الاوربية ، وبخاصة الرمـزيين الفـرنسيين . وهنـاك من الشـخصيات الادبية البـارزة يوفـان دوسيك (Jovan Dučić) وميلان راكيك (Milan Rakić) وهو شاعر وطنـي سوداوي المزاج . وكان فلاديسلاف بيتكوفيك (Vladislav Petkovic) الذي اشتهر باسم ديس (Dis) شاعراً ذاتياً ، وقد انتقى موضوعات تتراوح ما بين الواقعية واللاعقلانية . وتحول النثر من الوصف الموضوعي الى القصص النفسية ذات الخصائص الغنـائية غالباً ، كما في اعمال بيتر كوسيك (Petar Kocić) وايفو سيبيكو (Ivo Cipiko) ولا سيما في أعمال بوريساف ستانكوفيك (Borisav Stankovic) وأكد المؤرخ والناقد الأدبي يوفان سكيرليك (Jovan Skerlić) على المفاهيم الجمالية المستندة الى الايمـان بالمهمـة الاجتماعية والانسانية للفن .

الأدب الكرواتي

كانت نشأة الابداعية في الادب الكرواتي الحديث في الاصلاح الثقافي والقومي الذي أحدثته الحركة الايليرية (Illyrian) (١٨٣٥ - ١٨٤٨) ، التي استهدفت ضم السلافيين الجنوبيين جميعاً الى اتحاد فيدرالي تحت حكم فدرالي بزعامة أسرة هابسبورغ . وكان ليوديفيت جاي (Ljudevir Gaj) أول من استخدم اللغة الستوكافسكية (Stokavski) والحديث الايكافسكي (Ijekavski) كلغة أدبية في كرواتيا ، واستخدم الاملاء الموحد كذلك . ولاقت الاشعار الغنائية الشخصية والوطنية والتأملية رواجاً شعبياً واسعاً ، وأفضل ما يمثلها قصائد ستانكوفراز (Stankovraz) الحساسة المثيرة للمشاعر ، وأغاني بيتر بريرادوفيك (Petar Preradovic) الوطنية ومسرحياته الشعرية ، وأعمال ديمتري ديميتار (Dimitrije Demeter) المسرحية . ومن أفضل الأعمال الشعرية (Smrt smail - Age Cengica) (١٨٤٦ ، والمترجمة باسم «موت اسماعيل غا السنجق» عام ١٩٢٥) للشاعر ايفان مازورانيك (Ivan Mazuranic) .

وقام العديد من المصنفين بجمع الشعر الكرواتي الشعبي الذي ظل مصدر إلهامٍ للكتاب فترة طويلة بعد انتهاء الحركة الايليرية . وأثناء تكوين الخصائص القومية للابداعية الكرواتية لمع اسم الكاتب الكبير اوغست سينوا (August Senoa) وهو شاعر وكاتب مسرحي وناقد وصحافي ، وكان سينوا البارع الأسلوب اول من كتب الرواية التاريخية الكرواتية ، بانه النصير الأول للواقعية التي كانت في اوجها بين ١٨٨١ و١٨٩٥ واهتم الكتاب عهد ذاك بالقضايا المعاصرة ، وخاصة بالأوضاع السائدة بين الطبقات الدنيا . وأهم ممثلي هذه الحركة الشاعر الطبيعي المذهب افجيني كوميسيك (Evgenij Kumicić) وأنتي كوفاسيك (Ante Kovacić) ، وهو كاتب انتقادي ، ومؤلف الرواية المثيرة « في مكتب التسجيل » (U registraturi ١٨٨٨) ، وكزافير ساندور جيالسكي (Ksaver sandor Gjalski) وهو من كتاب القصة القصيرة ، وكاتب روائي مهتم بالأمور السياسية والثقافية وكان الشاعر سيلفي ستراهيمير كرانسيفيك (Silvije Strahimir Kranjcevic) ثائراً اجتماعياً بارزاً ، اتسمت اعماله بغنى في الاخيلة والتنوع الايقاعي .

الأدب السلوفيني

أدت الحركة الابداعية الى تصفية اللغة والأدب في سلوفينيا من الشوائب . وكان أول الابداعيين يرني كوبيتار (Jernej Kopitar) الذي وضع معايير اللغة الأدبية . وساند ماتيا كوب (Matja Cop) المجموعة الشعرية المسماة « غلة كارينولا » (Kranjska Cbelica) (١٨٣٠ - ١٨٣٤ - ١٨٤٨) والتي تتضمن بعض أعمال فرانس بريسيرين (France Presêren) ، وهو واحد من الشعراء الابداعيين السلوفينيين البارزين ممن نظموا اروع القصائد العظيمة باللغة السلوفينية ، وزود أدب بلاده بدم جديد ؛ وقد نشر قصة شعرية هي « التعميد في سافيكا » (Krstpri Savici) (١٨٣٦) ، ومجموعة شعرية واحدة فقط هي « قصائد » (Poezije) (١٨٤٧) ، تتراقص قوافيها بحبه لاحدى النساء ولشعبه وللبشرية جمعاء . وبلغ الأدب السلوفيني في أعماله قمة غير متوقعة في الشعر الاوربي . لقد قدم الابداعيون القصص الشعبية الاولى . وكانوا متحمسين للشعر الشعبي واللغة الادبية الجديدة . وانتهت المعركة القائمة لاقرار الابجدية القومية بانتصار مجموعة كوب - بريسيرين (Cop — Préseren) التقدمية التي هزمت المحاولات المبذولة لاستبدال اللغة الادبية بالايلرية ، وهي خليط من اللهجات الصربية والكرواتية . وأصدر القيادي القومي المحافظ ي . بليويس (J. Bleiweis) صحيفة « الاخبار » (Novice) (١٨٤٣ - ١٩٠٢) . وأبرز محرريها الشاعر العاطفي ذو التعابير الطنّانة ي . فيسيل (J. Vesel) الذي اشتهر باسم (Koseski) وهو بطل القومية السلوفينية خلال ثورة آذار عام ١٨٤٨ . وأغرت الثورة والفترة الدستورية التي تلتها نخبة المفكرين الشباب ببدء تنظيم الجماهير الريفية الناهضة والبورجوازية الوطنية سياسياً وثقافياً ، بالرغم من معارضة الادارة الالمانية . وكان أهم الشعراء والروائيين الذين ساهموا في هذه النهضة القومية يانيز تريدين (Janez Trdina) وفران ايريافيك (Fran Erjavec) ويانيز مينسنجر (Janez Mencinger) الذي اشتهر بقصصه ورواياته القصيرة من نوع النوفلا ، (Novella) والشاعر العظيم سيمون ينكو (Simon Jenko) . اما اكثر الكتاب فاعلية ونشاطاً فهو الناقد فران ليفستيك (Fran Levstik) واضع منهج النثر الأدبي الشعبي الذي أكمله جوزيب يورسيك (Josip Jurcić)

مؤلف اول رواية سلوفينية « الابن العاشر »(Deseti brat) (١٨٦٦) . اما جوزيب ستريتار (Josip Stritar) ، وهو شاعر وروائي وكاتب مسرحي وكاتب مقالات وناقد ، فوجه الكتاب السلوفينيين نحو الآداب الغربية ، وكان لفران ليفيك(Fran levec) مكانته الخاصة كمؤرخ ادبي . واشتهر الشاعر الغنائي الشجي : سيمون جريجورسيك (Simon Gregorcic) بأشعاره الوطنية ؛ كما كتب انطون أسكيرك (Anton Askerc) بعض الأغاني الشعبية السلوفينية الرائعة من نوع «البالاد» وتمثلت الواقعية الاتباعية الجديدة في اعمال فران ديتيلا (Fran Detela) ويانكوكيرسنيك (Janko Kersnik) والروائي ايفان تافكار (Ivan Tavcar) . اما المسرحية فتطورت على خط مواز ، وتجلت في اعمال فران ليفستيك(Fran Levstik) وجوزيب يورسيك (Josip Jarcic) ويوزيه او جرينيك (Joze Ogrinec) وجوزيب فوسنياك(Josip Vosnjak) . وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسست في سلوفينا عدة مجلات نقدية أدبية : « الرسول السلوفيني »(Slovenski glansik) (١٨٥٨ - ١٨٦٨) و« الناقوس »(Zvon) (١٨٧٠ ، ١٨٧٦ - ١٨٨٠) و« الفجر » (Zora) (١٨٧٢ - ١٨٧٨) و« المشعلة » (Kres) (١٨٨١ - ١٨٨٦) و« ناقوس ليوبليانا » (Ljubljanski Svon) (١٨٨١ - ١٩٤١) و« الوطن والعالم »(Dom in svet) (١٨٨٨ - ١٩٤٥) كما تأسست فيما بعد جمعيتان ، كانتا في الوقت نفسه دارين للنشر ، وهما « جمعية القديس موهور » (Mohorjeva Druzba) (١٨٥٢) و« الجمعية الادبية السلوفينية » (Slovenska Matica) (١٨٦٤) بله « جمعية الكتاب المسرحيين » (Dramaticno Drustvo) (١٨٧٢) و« جمعية الكتاب »(Bisateljsko Drustvo) (١٨٧٢) وأصبحت سيلوفيك (Celovec) وماريبور (Maribor) بالاضافة الى ليوبليانا (Ljubljana) مراكز للثقافة السلوفينية .

الأدب المقدوني

كان الادب في مقدونيا في مطلع القرن التاسع عشر محاكاة لمدرسة كليمنت (Kliment) في التنوير الديني في العصور الوسطى . اما الانتاج الحقيقي فكان في الأدب الشعبي وفيما بعد نظم كونستانتين ميلادينوف(Konstantin Miladinov) الشعر الغنائي الاصيل ، كما جمع مع أخيه ديمتري (Dimitrije) مجموعة

ممتازة من الاساطير والأغاني الشعبية ، وهي مساهمة جيدة في تطوير الادب المقدوني القومي .

الأدب اليوناني

كان من الطبيعي أن يؤدي تدمير الحياة القومية اليونانية والحضارة البيزنطية بعد سقوط القسطنطينية بيد الأتراك عام ١٤٥٣ الى توقف الانتاج الادبي اليوناني في المناطق المحتلة . وحافظ المثقفون اليونانيون في المنفى على لغتهم الاصلية أحياناً عندما كانوا يكتبون . ولكنهم غالباً ما كانوا يستخدمون لغة أجنبية . ويمكننا مع هذا تتبع الأدب اليوناني الحديث في اصوله القومية القديمة كالملحمة التي كتبها ديجينيس أكريتاس (Digenis Akritas) في القرن العاشر القصص الشعرية في القرنين الثالث والرابع عشر ، وتاريخ قبرص في القرن الخامس عشر وهو من تأليف ليونتيوس ماخيراس (Léonties Makhairás) الذي كتب باليونانية العامية ، والكتابات المتأثرة بالفرنكيين الذين نظموا الشعر المقفى عندما كانوا يحكمون كريت ورودس وقبرص . واحتل الأتراك كريت عام ١٦٦٩ ، وكان لهذه الجزيرة حتى ذلك الوقت أدب مكين مدهش متأثر بالادب الايطالي اثناء الاحتلال البندقي (الفينيسي) . وتطور الأدب في كريت في الشعر والمسرحية التي ضمت مسرحيات كوميدية وتمثيلية دينية من نوع « الميستري » كان لها بعض المظاهر الحديثة بصورة غير عادية . وهناك كذلك العديد من الأغاني الشعبية الممتعة . وأهم ما في الأمر ان الأدب الكريتي كانت لغته قومية راسخة . رغم ما يداخلها من كلمات فينيسية . ولم يصدر عن الاقسام اليونانية الواقعة تحت السيطرة التركية سوى بعض الأغاني الشعبية والقصائد الغنائية من نوع « البالاد » التي نظمها رجال العصابات . وتعود هذه الأغاني ، ببعض أصولها الى تاريخ قديم جداً ، ظلت منبعاً للالهام في الشعر اليوناني الحديث .

الاساليب الادبية في اللغة اليونانية الحديثة

ورثت اليونانية الحديثة أسلوبين أدبيين هما : القديم المتعمَّد : « الكاثاريفوزي » (Katharevusa) ، والشعبي المفعم بالحياة : « الديموتيكي » (Demotiki) ولقي الأسلوبان تعزيزاً من التأثير النشط للأدبين الايطالي والفرنسي .

وانتهت الحركة الديموتيكية في الثمانينات من القرن التاسع عشر بتحقيق النصر الحاسم للّغة الشعبية في سائر الكتابات ذات الطبيعة الخيالية . وكانت اللغة القديمة التي اعتبرت نقية صافية من جهتها غير ملائمة لانتاج مسرحيات حيّة فعلا ، لكن استخدام « الديموتيكية » واختيار المواضيع المعاصرة أديا الى ظهور مسرحيات فيها طاقة وحيوية ، وبدأت المسرحية القومية بالظهور ، وأول من طرق بابها ج . زينوبولوس (G. Zenopoulos) .

الابداعيون الرومانتيكيون اليونانيون

جعل تحرير اليونان من الاتراك عام ١٨٢٨ عاصمة المملكة الجديدة مركزاً للحياة السياسية والفكرية . وانتقل الفاناريوتيون (Phanariotes) أخيراً الى أثينا ، وهم الذين تجمعوا حول البطريرك المسكوني في القسطنطينية ، وحاولوا ان يتابعوا التقليد البيزنطي الداعي الى الصفاء في اللغة والادب في القرن الثامن عشر ، وأن يربطوه بالآداب الغربية العظيمة . وفي هذا المجتمع الخليط وغير المستقر ازدهرت المدرسة الابداعية في أثينا ، وقد أسسها وحمل لواء زعامتها أليكساندروس سوتسوس (Alexandros Soútsos) الذي درس سابقاً في باريس ، وتأثر بالابداعية الفرنسية ، الا أنه لم يدرك جوهرها . ومع ذلك فالتأثير الذي مارسه على الشعر اليوناني مذهل . وفي الأيام الاولى للمدرسة الابداعية بذل كل الشعراء قصارى جهدهم للنظم في المواضيع الوطنية ، وغالباً ما كانوا ابداعيين الى أقصى حد واستخدموا الأسلوب « الكاثاريفوزي » بصورة رئيسية . ويأتي في طليعتهم أليكساندروس ريزوس رانكافيس (Aléxandros Rizós Rankavis) وهو أبرز الشخصيات الادبية . وذو خصب فكري فذ ، غطت أعماله انماطاً عديدة ، تعتبر انجازات رائعة بالاسلوب القديم .

وكان أخيليفس باراسخوس (Akhilléfs Paráskhos) شاعراً بارزاً في الفترة الاخيرة من هذه المدرسة ، وقد طغى بزخمه البلاغي على معاصريه انجيلوس فلاخوس (Angelos Vláchos) وأليكساندروس فيزانتيوس (Aléxandros Vyzántios) وديمتريوس بابا ريجوبولوس (Dhimitrios Paparrigôpoulos) وجورجيوس فيزينوس

(Geórgios Vizïinós) وجورجيوس باراسخوس (Géorgios Barákhos) الذين غالباً ما كانوا اكثر صدقاً وأرفع تقنية .

المدرسة الأيونية في الشعر

ازدهرت في الجزر الايونية ، التي ظلت تحت الحكم البريطاني حتى عام ١٨٦٤ مدرسة أخرى في الشعر ، شبيهة بالابداعية في أثينا . وكان مؤسس هذه المدرسة وأعظم ممثل لها ديونيسيوس سولوموس (Dhiomisios Solomós) الذي كتب في البداية بالايطالية ، متشيعاً للثقافة التي حصل عليها في ايطاليا ، لكنه سرعان ما تحول الى تفضيل اليونانية ؛ وأظهرت اعماله معالجة للحياة ازدادت عمقاً بشكل تدريجي ، ومع أن عدم استقرار مزاجه منعه من اتمام أي عمل رئيسي فان اشعاره تسيل رقة وانسجاماً لا مثيل لهما في اليونانية الحديثة . بل ليمكن القول انه نقطة تحول في الصراع بين « الكاثاريفوزية » و« الديموتيكية » ، وطغى اختياره للثانية على مسار الشعر اليوناني بعد الحركة «الديموتيكية» في الثمانينات من القرن التاسع عشر ناهيك عن انه قدم بعض الاشكال العروضية الغربية محرراً بذلك الشعر اليوناني من الرتابة التي يسببها استخدام الشعر السياسي ذي الخمسة عشر مقطعاً لفظياً ، والذي استخدم سابقاً بصورة رئيسية . وهناك شاعران آخران من المدرسة الأيونية هما أندرياس كالفوس (Andréas Kálvos) ، الذي تأثر بالاتباعية اليونانية ، واستخدم ضرباً من اللغة الكلاسيكية ، وأريستوتيليس فالاوريتس (Aristotelis Valaorites) وهو شاعر ابداعي متعمق شد اليه معاصريه اعجاباً وتقديراً ، وكان له تأثيره على كوستيس بالاماس (Kostis Palamás) في تبني لغة التخاطب في الشعر ، وبهذا ربط المدرسة الايونية بالمدرسة الجديدة في أثينا .

المدرسة الجديدة في أثينا

شكل بعض الشعراء الشباب حوالي عام ١٨٨٠ جماعة أدبية جاءت رد فعل على « الكاثاريفوزية » المتكلفة ، وعلى نقاط الضعف في الابداعية . وطمح هؤلاء الشعراء الى فن موضوعي ملتزم ، مستلهمين روح اليونان المعاصرة ، ومستخدمين

المصطلحات والتعابير واللغة الحيّة . وبلغ الكاتب أيوينيس بسيخاريس (Ioinnis Psicharis) القمة فيما سمي بالحركة « الديموتيكية » ، وذلك باصداره (To taxidi mou) (١٨٨٨) ، وهو عمل أدبي نثري يستهدف ايقاظ الوعي اللغوي عند اليونانيين .

النثر

كانت الاعمال النثرية قبل القرن التاسع عشر لاهوتية وتعليمية بالدرجة الاولى ، وكانت تلقى دعم وتشجيع الاكليروس والاسر « الفاناريوتية » (Phanariote) في القسطنطينية ، وكذلك مناصرة التجار الأثرياء . وكان أعظم بشير في احياء النثر أدامانتيوس كوريس (Adamantios Korais) ، الذي أثر بعمق على من عاصره من اليونانيين ، وذلك باصداره عدة طبعات لمؤلفين كلاسيكيين ، صدّرها بمقدمات وطنية مثيرة ، ناهيك بالجهود التي بذلها لاصلاح اللغة المكتوبة وتقريبها من اللغة الحية .

واقتصر النثر ـ في العقود الاولى التي سبقت تحرير اليونان ـ بصورة رئيسية على الصحافة والعلم ، وكان الكتاب القلائل الذين قدموا أدباً خلاقاً مبهورين بأعمال سير والتر سكوت (Sir Walter Scott) واليكساندر دوما الاب (Alexandre Dumas Père) وازدهرت الرواية التاريخية بين عام ١٨٢١ و١٨٨٨ ، وأبرزها « سيد الموريا » (Authéntis tou Mòreos) أعمال الكاتب أليكساندروس ريزوس رانجافيس (Alexandros Rizos Rangavis) ، والرواية الانتقادية التاريخية القوية عن البابا جون (Pope Joan) لمؤلفها عمانويل رويديس (Emmanouil Roïdis) ورواية « لوكس لاراس » (Loukis Làras) (١٨٧٩) للكاتب ديمتريوس فيكيلاس (Dhimitrios Vikelàs) وتطورت القصة القصيرة في تلك الفترة كذلك ، وبخاصة على يدي الكاتبين جورجيوس فيزينوس (Georgios Viziinos) وأيونيس كونديلاكيس (Ioànnis Kondylàkis) واضطلع بعض المثقفين البارزين بمهمة تطوير اسلوب كلاسيكي رائع . وكان هناك عملان ذوا أهمية كبرى ، أحدهما عن تاريخ الثورة اليونانية لمؤلفه سبيريدون تريكوبيس (Spyridon Trikoupis) والآخر عن تاريخ الأمة

اليونانية لمؤلفه كونستانتينوس بابـا ريجوبولـوس (Konstantinos Paparrigópoulos) وهما مكتوبان بأسلوب سيال منسجم .

الادب البلغاري

يعود تاريخ الادب البلغاري الحديث الى أواسط القرن التاسع عشر زمن يقظة الوعي القومي . ورافق هذا الحدث ولادة اللغة الادبية البلغارية الحديثة او ما يسمى بـ «نوفوبولغارسكي» (Novobulgarski) ، واعتمدت في نشوئها على اللغة العامية التي كانت دارجة في اللهجات الشرقية . وسبق هذه المرحلة استخدام السلافونية (Slavonic) الكنسية ، وهي من بقايا العصور الوسطى وقد استخدَمت حتـى هذا التاريخ للاغراض الادبية . ومن أئمة كتاب هذه الفترة الاسقف سوفروني(Bishop Sophrony) الذي الف « كتـاب الاحـد » (Nedelnik) ١٨٠٦ ، ويعتبـر اول أثـر بلغاري حديث مطبوع . وهنالك نيوفيت ريلسـكي (Neophyt Rilski) وهـو فقيه لغوي ومؤسس اول مدرسة بلغارية حديثة عام ١٨٣٥ ، وف . أبريلوف (V. Aprilov) وجيروف (N. Gerov) جامع مواد أول معجم ذي قيمة في اللغة البلغارية ، وا . بوغوروف (I. Bogorov) وأخيراً عالم الاثار الروسي ي . فنيلين(Y. Venelin) وكان الاب بيزي (Paisy) من تشيلانداري (Chilandari) رسول الوعي القومي بأجمعه في بلغاريا او ما عرف باسم فوجرا جدانه (Vuzrazhdane) وأنتج « التاريخ السلافي البلغاري » (Istoria Slavyano bulgarska) (١٧٦٢) ومهـد هذا المؤلَّف ـ بدعوتـه الرومانتيكية الى الالتفاف نحو ماضي بلغاريا وبطلبه تأكيد احترام الذات قومياً ـ للنهضة في بلغاريا التي ضمت طلائع كتابها المعاصرين الأكفاء ، الـذين تنوعـت امكاناتهم ، وشملـت كل أشـكال الكتابـة الأدبية من كتـاب ونـاشرين وأساتـذة وثوريين ، عرفوا كيف يعطون عبر اعمال ادبية لا تجارى صورة صادقة عن أمـة تبعث نفسها من جديد . وتعلم هؤلاء الكتاب من الاوضاع التي كانت تتحكم في هذه الفترة ، ومنها فقدان الحريات ، وهيمنة الثقافة اليونانية ، والتأثيرات القوية للنفعية الروسية ، تعلموا أنَّ على الادب ان يحقق الحاجات القومية والاجتماعية . ومما يجدر ذكره ان بعض هؤلاء الكتاب تلقوا ثقافتهم اما في مدينة أوديسا او في موسكو ،

وبتأثير من هذه العوامل مشتركة انصرفوا لصياغة وتأسيس المذهب الواقعي في بلغاريا ، بما قدموا من قصص ومسرحيات مستوحاة من الريف وحياة المدن الصغيرة ، ومنهم د . فوينيكوف (D. Voynikov) وأي بلوسكوف I. Bluskov ، وعلى وجه الخصوص ل . كارافيلوف (L. Karavelov) وف . دروميف (V. Drumev) . اما هـ . بوتيف (H. Botev) فنظم شعراً ثورياً متقد العاطفة بوحي اخلاصه العميق لمثل عليا كالحرية والوطن . وتوفي ـ شأنه في ذلك شأن زميله الشاعر باكوكيرو (Bacho Kiro) عام ١٨٧٦ ضحية الحكم التركي . وهنالك بيتكو سلافيكوف (Petko Slaveykov) ، وهو صحافي مندفع قام بترجمة الانجيل ، وطالب باستقلال البطريركية البلغارية وأمضى سحابة حياته متنقلا بين أماكن بلغارية ومكدونية وحتى في استانبول ذاتها (وهنا يختلف عن بوتيف وكارافيلوف اللذين قضيا حياتهما في المهجر) ، واستمد مواضيعه الشعرية من الفن والأغاني الشعبية اليونانيين ، وهنالك كذلك ج . راكوفسكي (G. Rakovski) ، العلم البارز من أعلام النهضة القومية في تنوع نشاطاته وحيويته ، واستطاع بحماسته وليس بحكمته ان ينبه الكتاب البلغار الى المصدرين الطبيعيين والرئيسيين للكتابة الادبية ، وهما العصور الوسطى بماضيها البراق ، والتراث الشعبي الحي الوفير .

خلق تحرير بلغاريا عام ١٨٧٨ مناخاً أدبياً كان أكثر ملاءمة للنهضة الادبية من القرون الخمسة التي بقيت فيها هذه البلاد تحت الحكم التركي . ويكاد يكون ايفان فازوف (Ivan Vazov) الكاتب الوحيد الذي ربط بين فترتي ما قبل التحرير وما بعده . وعكس انتاجه الخصب في كل افانين الادب الذي بدأ في سبعينات القرن التاسع عشر وامتد حتى عام ١٩٢١ مغطياً كل أوجه حياة بلغاريا ، ماضيها وحاضرها ، مما اكسبه لقب (الشاعر القومي) . وعبر صراعه في سبيل الاستقلال استلهم قوة التصوير ، وأوجد مجمعاً لابطال قصصه في ملحمة مسلسلة بعنوان «ملحمة المنسيين» (Epopeyana Zabravenite) ١٨٨١ ـ ١٨٨٤ وهنالك أقصوصته من نوع النوفلا (novella) وعنوانها « الاعمام » (Chichovtsi) وفيها تصوير واقعي لوجهاء المقاطعات البلغارية ابان حكم الاتراك . وبلغت مواهبه أوجها في القصة البلغارية القومية « تحت النير » (Pod Igoto) (١٨٩٣) التي أتت على وصف الكفاح البلغاري ضد الاتراك وصفاً حياً ، وعملت قصصه القصيرة على تسلية قرائه وامتاعهم ، بينما

اغنتهم بالمعلومات محاضراته عن الرحلات ، والحديث عن ريف بلغاريا وتاريخها . وأكثر مسرحياته شعبية وهي « هوشوفية » (Hushove) ١٨٩٤ تصف المشقة التي قاساها المنفيون الى رومانيا قبل تحرير البلاد . واذا ما أضفنا الى ذلك مسرحياته عن بلغاريا ابان العصور الوسطى ألفينا ان برنامج المسرح القومي في صوفيا الذي تأسس عام ١٩٠٧ يحفل بنشاطاته المسرحية .

وشارك كونستانتين فيليشكوف (Konstantin Velishkov) زميله فازوف فيما رمى اليه من مثل دون ان يستطيع مجاراته في سعة الخيال والقدرة على التحليل . واستطاع فيليشكوف التعبير عن حساسيته الشعرية البالغة في شعر غنائي من نوع « السونت » اوحتها رحلاته الى القسطنطينية وايطاليا . وبحكم كونه نصيراً للتأثيرات الايطالية ساهم في ما كان يعرف آنذاك بأدب المذكرات . ويبرز في هذا المجال ز . ستويانوف (Z. Stoyanov) الذي سجل في كتابه « خلاصات في الثورات البلغارية » (Zapiski po bulgurskite vazstanya) (١٨٨٣ ـ ٨٥) خبرات واقعية عن التاريخ الحديث في ذلك الوقت ، بأسلوب مباشر لم يجاره أحد فيه مذ ذلك الحين في النثر البلغاري .

وعمد كتاب الدولة المستقلة حديثاً الى التمعن بالمظاهر السلبية للمجتمع المعاصر بعين ناقدة بدلاً من الانشغال بتمجيد الماضي بعيداً كان أم قريباً . وتناول س . ميهايلوفسكي (S. Mihaylovski) الفساد في الحياة العامة بالنقد الجارح الذي لا يرحم متوسلا الهجاء والقصص الوعظية والأفكار الانتقادية . وأبرز أهاجيه كتاب عن الشعب البلغاري (Kniga za bulgarskia narod) (١٨٩٧) اتخذت شكل الرمز الفلسفي الاخلاقي . وعلى مستوى أخف وأقل عنفاً في هجائه نجد الكو كونستانتينوف(Aleko Konstantinov) يبتدع في «بيه غانيا» (١٨٩٥)(Bay Ganya) ذات العنوان الفرعي والثانوي «حكايات لا تصدق عن بلغاري معاصر (اثناء رحلاته في اوربا واقامته في وطنه)» ـ الأصل للشخصية الهزلية والمأساوية في آن واحد للفلاح البلغاري الذي يصبح محدث النعمة وديماغوجياً . ويقارن في محاضرته عن الاسفار بعنوان «الى شيكاغو ومنها»(Do Chicago i nazad) (١٨٩٤) بين الثقافات

الأوروبية والأمريكية من جهة ، والثقافة البلغارية من جهة ثانية ، ولم تكن المقارنة دائماً لصالح بلغاريا .

أدب رومانيا

كانت الانتفاضة القومية الشعبية التي قام بها « تيودور فلاديميريسكو» (Tudor Vladimirescu) عام ١٨٢١ أول حدث بارز في القرن التاسع عشر في رومانيا في منطقة والاشيا (Walachia) ، ثم تلا ذلك عودة الحكام الوطنيين . واجتاحت الابداعية أمامها موجة الحركة اللاتينية المتراجعة في الأدب ، وبدأ الادب الحديث في رومانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، واستمد أصوله من الفلسفة الالمانية والثقافة الفرنسية .

اجتاحت حركة اللتننة (Latinism) التي نشأت في ترانسلفانيا مناطق جبال الكارابات (Carpathians) وكان لها تأثيرات جيدة على ثقافة منطقة والاشيا التي استوحت ثقافتها من التراث اليوناني ، ومن ذيول هذا التأثير يأتي الكاتب (الياد رادوليسكو) (Eliade Radulescu) الذي أسس أول جريدة رومانية في والاشيا و«الجمعية الفيلار مونية» (Societatea Filarmonica) عام ١٨٣٣ وهذه بدورها اقامت مسرحاً قومياً في بخارست . وكان رائداً من رواد التأثير الايطالي الذي تبناه جورج آساكي (Gheorghe Asachi) في مولد افيا (Moldavia) ، وأدخل هذا الأخير القصة التاريخية القصيرة ونظم شعراً بالايطالية والرومانية وأسس دورية أدبية باسم آلبينا رومانسكا (Albina Romàneasca) ومن بين المجموعة الكبيرة من الادباء الأقل شأناً والمترجمين الذين أغنوا التراث الابداعي (غريغور الكسندريسكو) (Grigore Alexandrescu) الذي ألف كتابين هما : «الشعر» (Poezii) (١٨٣٢ ، ١٨٣٨ ، ١٨٣٩) «وتأملات» (Meditatii) (١٨٦٣) ويمثلان مجموعة من القصص الخرافية الوعظية والأهاجي المستوحاة من الكتاب الفرنسيين. وكانت المجلة الادبية «داكيا ليترارا» (Dacia Litterara) التي كان يحررها ميهائيل كوجال نيكيانو (Mihail Kogalniceanu) وهو زعيم سياسي بارز وإمام كتاب التاريخ الروماني الحديث ـ عام ١٨٤٠ بداية الاتجاه التقليدي في الادب. وهنالك زعيم آخر من زعماء عام ١٨٤٨

هو آليكو روسو(Alecu Rosso) الذي أغنى الأدب بقصيدة انجيلية منثورة عنوانها «كانتاريا رومانياي»(Cantarea Romanièi) .

ومن كتاب النصف الثاني من القرن التاسع عشر البارزين فاسيلي آلكساندري(Vasile Alecsandri) وميخائيل ايمينيسكو(Mihail Eminescu) . ويشتمل انتاج آلكساندري الخصب على الشعر(Daine Si Lacrimioare) ١٨٥٣ و «ذكرى من مارجريت»(Suvenire Si Margaritarele) ١٨٥٦ ، والنثر «طاقة زهر من فلورنسا» (Buchetiera din Florenta) ومجموعة من المسرحيات (Fintina Blanduziei) «وافيدو»(Ovidiu) و«الطاغية فودا»(Despot Voda) .

كما كشف عن كنوز الفولكلور الروماني في مجموعة من القصائد الغنائية سماها «البالاد»(Balade) (١٨٥٢ ـ ٥٣) ومجموعة اخرى سماها «الشعر الشعبي» (Poezii Populare) (١٨٦٦) . وأرسى الشاعر الغنائي الفلسفي ايمينسكو (Eminescu) قواعد الشعر الروماني المعاصر ، وبالرغم من تأثره بالفلسفتين الهندوسية والالمانية ظل ارتباطه بالتقاليد عميق الجذور . وعمل على النهوض بالشعر الروماني الى ذرى جديدة ، فكان نجماً هادياً في كل وجه من أوجه الثقافة . وتشمل كتاباته قصصاً قصيرة ، ومقالات فلسفية وسياسية .

أدب هنغاريا

تولى كارولي كيسفالودي(Karoly Kisfaludy) زعامة المسيرة الادبية في هنغاريا في بداية القرن التاسع عشر عام ١٨٢٢ عندما أسس مجلة باسم «أورورا»(Aurora) التي ساهم فيها كبار كتاب هذه الفترة ، وكان كذلك من أوائل أعلام الابداعية وأول كاتب مسرحي حقق نجاحاً شعبياً .

وفي الوقت الذي كانت فيه مآسي كيسفالودي(Kisfaludy) المسرحية تلقى الاستحسان في طول البلاد وعرضها ظهرت مسرحية «بانك بان»(Bank Ban) وهي أفضل ما كتب في المأساة للمؤلف «جوزف كاتونا(Josef Katona) التي نشرت عام ١٨٢١ الا أنها لم تلق كبير اهتمام . وهذه المسرحية التي جرت أحداثها في القرن

الثالث عشر ، وكتبت بأسلوب رصين كانت دمجاً فنياً رائعاً بين الصراعات الفردية والقومية ، ونجد تيبورك (Tiborc) أحد أبطالها فلاحاً فقيراً بقي منذ ذلك التاريخ رمزاً للمظلومين .

وكان فيرنك كولكسي (Ferenc Kolcsey) سياسياً معتبراً وخطيباً فصيحاً بلغ نقده الادبي منزلة رفيعة رغم قسوته التي لا مبرر لها . وعالجت قصائده فيما بعد مشاكل أوضاع وطنه ، وامتازت هذه القصائد بالرزانة والقوة فكراً وتعبيراً . والقصيدة المؤثرة التي نظمها بعنوان «الترنيمة» (Hymnus) أصبحت فيما بعد النشيد الوطني للبلاد . وبعد وفاة كيزفالدي تسلطت الاضواء على الكاتب ميهالي فوروسمارتي (Mihaly Vorosmarty) فتزعم الحركة الأدبية ، وشملت نشاطاته كل الأوجه الادبية . ولقي على وجه الخصوص نجاحاً لكتابته ملحمة شعرية طويلة عنوانها «هروب زالان» (Zalan Futasa) ١٨٢٥ التي نظمت بنفس ابداعي دون ان تغفل المشاكل التي وردت بدورها في كثير من أفضل قصائده الغنائية ، وفي مسرحيته الخرافية الرمزية «كسونغور وتوندة» (Csongor és Tunde) ١٨٣٠ .

سبق الشعر المسرحية في الادب الهنغاري بأشواط بعيدة ، كما أن الرواية بدت ثقيلة الخطى في تثبيت دعائمها . وكان ميكلوس جوسيكا (Miklos Josika) ـ وهو تلميذ للسير والترسكوت ـ ، أول روائي ناجح ، وأفضل نتاجه رواية تاريخية بعنوان «آبا في» (Abaffi) ١٨٣٦ ، وقد سجلت نقطة تحول في تاريخ الرواية الهنغارية . وخرج (جوزيف ايوتفوس) (Josef Eotvos) الذي أصبح مفكراً سياسياً بعد ثورة عام ١٨٤٨ ، بروايتين من أحسن الروايات في الأدب الهنغاري : «كاتب عبد القرية» (A Falu Jegyzoje) ١٨٤٥ وهي صورة عن حياة الاقطاع في الفترة التي عاش فيها ، «وهنغاريا عام ١٥١٤» (Magyaroszâg 1514 — Ben) (١٨٤٧) وتتحدث عن انتفاضة الفلاحين بزعامة جيورجي دوزا (Gyorgy Dozsa) وتتمتع هاتان الروايتان بميزات فريدة من حيث رسم الشخصيات على الصعيد الفردي والزمني كما كانتا بيانات سياسية عامة في صالح قضية المظلومين ، وضد المظالم الرهيبة التي أدت الى الثورات ، التي لم يرض «ايوتفوس» (Eotvos) بها حلاً سياسياً .

وعملت الأغاني الشعبية ومجموعات قصائد «البالاد» للكاتبين جانوس ايرديلي (Janos Erdélyi) وجانوس كريزا (Janos Kriza) على اضفاء التأثير على ما أصاب الشعر البلغاري من تطور فيما بعد . فالشعر الجماهيري ، حسب رأي الشاعر ساندور بيتوفي (Sandor Betofi) ، هو الشعر الحقيقي الوحيد . وكان هذا أحد أعظم شعراء هنغاريا الذي ارتقت قصائده الى مصاف روائع الادب العالمي ، وكان مبتكراً عرف كيف يحد من استخدام المواضيع لغة الشعر التقليدية . وتتميز قصائده بسرعة الخاطر ، واستقامة اللغة ، وهو يتناول بمهارة أي موضوع بالمعالجة والنقاش ، كما الهمت قصائده الثورية بعنفها وقوتها الثورة التي حدثت عام ١٨٤٨ ، إذ سحرت قصائده الغنائية الكثيرة لب السامع بجمال البساطة ، وظل فارس الحلبة لا يجارى في هذا الميدان . وكان موته في ساحة المعركة عام ١٨٤٩ ـ وهو في سن السادسة والعشرين ـ خسارة مفجعة للادب الهنغاري .

وشارك جانوس آراني (Janos Arany) الاديب الكبير «بيتوفي» ايمانه بقيمة الشعر الشعبي لكن باسلوب مختلف ، يستمد موضوعاته من التاريخ ويتفهم بعمق الفكر الانساني ، وقد تملكه اعتقاد جازم بأن ما يكتبه يمثل ما يريد الشعب قوله ، وبلغ مرتبة لم يبلغها احد في اللغة الهنغارية . أما قصائده البطولية من نوع «البالاد» فغالباً ما كانت رومانتيكية تتميز بالجزالة والايجاز تميزها قوة الاثارة غير العادية ، كما عكست قصائده الشعرية العظيمة المشاكل الانسانية الأزلية ، وذلك في ثلاثية «تولدي» (Toldi) (١٨٤٧ ـ ٧٩) و«موت بوذا» (Buda Halala) (١٨٦٤) وتجري فلسفة آراني على لسان أبطال رواياته دون استطراد مطول ولا تخلو من فكاهة ذكية .

بقيت المستويات الأدبية الرفيعة التي بلغها كل من بيتوفي وآراني وقفاً عليهما لم يرق اليها أحد طيلة فترة أواخر القرن التاسع عشر. وظلت هنغاريا تحت الحكم النمسوي حتى عام ١٨٦٧ ، بعد أن غلبت على أمرها في ثورة عام ١٨٤٨ . وأعقب الهزيمة قبول بامتعاض للحل الوسط ، وتفاؤل خادع ، وتسليم بالأمر الواقع ، وعودة الى التقاليد البالية الخالية من كل الهام . ومن أصحاب المواهب عهد فترة التراجع (جانوس فايدا)(Janus Vajda) الذي تكتنف أسلوبه الرؤى الكئيبة ، ولم يكن مشهوراً لدى معاصريه ، لكنه أثر في الاجيال التي تلت .

وتأسس عام ١٨٣٧ مسرح قومي لتمثيل المسرحيات المرموقة ، لكن مستواها ظل متـدنياً . بيد أن ملاهي ايده جيجليجيتـي (Ede Szigligeti) كانـت ممتعـة ومسلية ، وابتكر نوعاً خاصاً من المسرحيات حمل اسم «نيب جينمو» (Nepszinmu) التي أبرزت حياة القرية بصورة مثالية ، كما قدم ضروباً من فنون الترفيه لجمهور سعد بمشاهدة مسرحيات خالية من المشاكل ، لكن الهموم الاجتماعية منها والسياسية والدينية ظلت شغل ايمره . مادك (Imre Madach) الشاغل الذي كان مؤلفه بعنوان «مأسـاة الانسـان» (Az ember Tragediâja) (نشر عام ١٨٦١) أحـد امجـاد الادب الهنغاري . وتتبع هذه القصيدة الدرامية مصير الانسان منذ خلقه مروراً بفترات التاريخ ، وانتهاء بمستقبل للعيش في مجمعات اشتراكية ، يكون بعدها الفناء الذي هو نهاية المطاف . ولم تقتصر المسرحية على عرض فكر أصيل عرضاً قاطعاً ، بل كانت أيضـاً ذا تأثـير فعّـال على المسرح ، اذ لا تزال تلقـى استحسـان الجمهـور الهنغاري .

وأظهر أول روائي جيد زيغمونـد كيمينـي (Zsigmond Kemény) ، براعـة فائقة في التحليل النفسي في روايات مثل «الاوقات الكئيبة» (Zord ido) (١٨٦٢) و«المتعصبون» (A rajongok) (١٨٥٨ ـ ٥٩) و«زوج وزوجة» (Férj és no) ونرى شخصياته مندفعة تجاه مصيرها الأسود بفعـل الظـروف والاوضـاع التـي تستتبـع أفعالهم . وغالباً ما كان التحليل يأخذ مكان الحركة في رواياته التي كانت تبعاً لذلك مغلقة بعض الشيء ، تنقصها الشعبية . ومن جهة أخرى كان «موريوكاي» (Mor Jokai) ولا مرية روائياً شعبياً مشهوراً ، وراوية من الطراز الأول استطاع أن يصور ـ بطريقة نابضة بالحياة ـ أي عصر وبيئة . فشخصياته مثالية ، والوصف لم يكن على جانب من الدقة ، بيد ان عالم الاحلام المبني على هذا الشكل كان عالماً حقيقياً . وفي أعماله التي بلغت المئة مؤلف تتناوب الروايات التاريخية مع الاعمال الاخـرى في التركيز على مشاكل المجتمع المعاصر ، يهتـم بكل طبقاتـه . وكان كالمان ميكجـات (Kalman Mikszath) أيضاً على جانب من الشعبية اذ سجـل بملاحظتـه الدقيقـة ، وفكاهته المستترة عيوب المجتمع ، لكن رغم اهتمامه بالسياسة لم يحفل بالاصلاح . وبالرغم من انتماء اعمال جيزا كاردوني (Géza Gardonyi) الهامة الى أوائل القـرن

العشرين من حيث نشرها فهو بالذات ينتمي الى القرن التاسع عشر. ومن رواياته «نجوم ايجر»(Egri Csillagok) (١٩٠١) و «الرجل الخفي»(A Làthatatlan ember) (١٩٠٢) وكلتاهما رائعة السبك .

وأفادت الحياة الادبية في القرن التاسع عشر بشيء من التنظيم ، اذ تأسست جميعتا «كيز فالودي»(Kis faludy) و«بيتوفي»(Petofi) الادبيتان في الأعوام ١٨٣٦ و١٨٧٦ وكانتا على جانب من التأثير بالرغم من بقاء سلطة الاكاديمية الهنغارية التي تأسست عام ١٨٢٥ هي الاولى دون منازع . ومن أهم نقاد الشطر الثاني من القرن بال غيولاي(Pal Gyulai) الذي جمع اصالة الشاعر وبراعة الكاتب بله كونه ناقداً . واستهوى النقد الادبي وتاريخ الادب الهنغاري بعض أفضل العقول بمن فيهم «جينو بيترفي»(Jeno Peterffy) و«فريجيس رايدل»(Frigyes Riedl) .

أدب فنلندا (Finnish)

بالرغم من أن عدداً من الكتاب الموهوبين كتبوا بالفنلندية في القرنين السابع عشر والثامن عشر فلم يبرز للوجود أدب فنلندي بمعنى الكلمة الا على يد الكاتب الشاعر اليكسيس كيفي(Aleksis Kivi) . وكانت رواية «الاشقاء السبعة» (Seitseman Veljesta) أول رواية فنلندية اذ نفحت اللغة الفنلندية اسلوبها الواقعي الممزوج بالفكاهة ، وموضوعها الشعب الفنلندي ، وهما امران أصبحا تقليديين . وكان كيفي شاعراً أيضاً ومن بين رفاقه الشعراء أوغوست آلكفيست أوكسانين (August Ahlqvist Oksanen) و سوونيو(Suonio) واسمه الحقيقي يوليوس كروهين (Julius Krohn) ، وهو شاعر قاس عنيف اللهجة ، وكارلو كرامسو(Kaarlo Kramsu) وج . هـ . ايركو(J . H . Erkko) الذي اعتمد في اسلوبه على الاغاني الشعبية .

وأسس «كارلو بيرجيوم»(Kaarlo Bergbom) عام ١٨٧٢ المسرح القومي الفنلندي ، كما شهدت ثمانينات القرن التاسع عشر تشكيل جماعة من الكتاب الاحرار عرفوا باسم «فنلندا الفتاة»(Nuori Suomi) وانشأوا صحيفة باسم

بايفاليتي (Pàwàlehti) التي اطلق عليها منذ عام ١٩٠٤ اسم هلسنجن سانومات (Helsingin Sanomat) وأدخلوا الواقعية والنقد الاجتماعي بتأثير من الكتاب النروجيين والفرنسيين ، وسبق ذلك وجود بعض وجهات النظر الأدبية المماثلة عرضها المسرحي العظيم مينا كانث (Minna Canth) . ومن بين أعضاء الجماعة الادبية يوهاني آهو (Juhani) ، وهو امام الرواية الشعرية الغنائية التي تتناول جمال الطبيعة . وهناك كذلك آرفيد يارنفليت (Arvid Jarneflet) الذي لفت الانتباه اليه بتأليفه رواية «الوطن الأم» (Isànmaa) ، وتحكي حياة الطلاب ، وفيها حاول تطبيق تعاليم تولستوي في رواياته وحياته الخاصة ، وأعطى صورة خالدة عن والديه اللذين أسهما في حياة فنلندا الثقافية في كتابه «رواية عن والدي» (Vanhempieni Romaani) ومن الكتاب الشباب آينو لاينو (Eino Leino) ، وهو من كبار شعراء فنلندا تعددت مجالاته الادبية : فمنها ما هو خيالي وصوفي كما في «ترانيم مقدسة» (Helkavirsia) (١٩٠٣ ـ ١٦) ومنها ما هو روايات تستعرض مواضيع الساعة ، ومنها ما هو نشرات وصحافة انتقادية .

أدب ارمينيا

شهد القرن الثامن عشر نهضة فكرية وثقافية ، وبحلول منتصف القرن التاسع عشر كان الوقت مناسباً لنشوء ادب ارمني حديث . وعلى كل كانت اللغة الارمنية في حالة فوضى ، وأدت مسألة اي الاشكال الواجب استخدامها لنقل الافكار الجديدة الى مناظرات ومناقشات في منطقتي ارمينيا التركية والروسية . وقامت هذه المناظرات بين أئمة اللغة الكلاسيكية القديمة ، وأولئك الذين يقفون الى جانب اللغات الحية الحديثة . وفي نهاية المطاف انتصر اصحاب الفكرة الثانية ، ونتج عن ذلك كتابة الادب الشرقي بالشكل المعدل للهجة ايريفان (Erevan) . اما الادب الغربي فكتب بالشكل المعدل للهجة استانبول . وتطلع كتاب ارمينيا الى اوربا نشداناً للمُثل والاشكال الادبية . ومن بين الكتاب الذين تشربوا الثقافة الغربية الروائيان الهجاءان هاكوب بارونيان (Hakob Paronian) وايرواند اوتيان (Ervand Otian) ، وكاتب القصة القصيرة الواقعية جريجور زوهراب (Grigor Zohrab) ؛ اما المسرح فنهض على يدي بارونيان (Paronian) الذي ما زالت ملاهيه

تتمتع بشعبية واسعة ، ومن ملاهية « الدوطة »(The Dowry) و« السيد بالتازار » (Master Balthazar) و« طبيب أسنــان من الشرق » (The Oriental Dentist) وبينما نجد الرواية على أضعف ما تكون في أدب ارمينيا الغربية ، تبرز في أحسن أشكالها في أرمينيا الروسية ، حيث استخدمت وسيلة للتعبير عن تطلعات أرمينيا الاخلاقية والاجتماعية والسياسية . وكتـــب ابـــو الادب في ارمينيا ، خاشاتـــور أبـــويان (Khachatur Abovean) رواية بعنـوان « جـــراح ارمينيا »(Wounds of Armenia) ١٨٤١ . واكثر كتاب أرمينيا شهرة هو (Hakob Meliq-Hakobian) هاكوب ميليك هاكوبيان وكان يعرف باسم رافي(Raffi) . ومن الكتاب الشرقيين اوهانيس تومانيان (Hovhannes Thumanian) الـذي نظـم قصائـد قصصية وغنـائية ، امـا ملحمتـه القصيرة آنوش (Anush) فقد جرى اقتباسها للمسرح كاوبرا وتضج بالاغاني التي اصبحت تقليدية . واكثر كتاب المسرح في أرمينيا موهبة هو غابرييل سوندوكيانتس (Gabriel Sundukiantz) الذي صور في مسرحياته مجتمع أرمينيا المعاصر في مدينـة تبيليسي (Tbilisi) وكتبت معظم مسرحياته بلهجـة اهلهـا . ومـن هذه المسرحيات « هولا بالو » (Hullabaloo) و« بيبو » (Pepo) و« المدفأة المحطمة » (The Broken Hearth) .

ونتيجة لانحطاط مدينة استانبول كمركز رئيسي لأدب أرمينيا الغربي (بعـد مـذابـح الربع الاول من القرن العشرين) استُدعي خلق فترة جديدة من التراجع في أدب أرمينيا ، بالرغم من استمرار الادباء الارمن بالكتابة ، وهم مشتتون خارج بلادهم في باريس وبيروت وبوسطن . وهرب بعض الارمن الاتـراك الى الشرق حيث تمتعوا بشيء من الحكم الذاتي . ولاقى أدب ارمينيا القومي بعض التشجيع والتنـظيم في الشرق بعـد تأسيس الجمهـورية الارمنية الاشتـراكية السـوفيتية عام ١٩٣٦ .

الباب السابع

القـــرن العشـــرون

خصائص الفترة

عندما بدأ القرن العشرون ، لم تكن الاوضاع الاجتماعية والثقافية السائدة في اوروبا وأمريكا مختلفة جداً عن تلك التي سادت في منتصف القرن التاسع عشر وأواخره. وكمثال على ذلك، يمكننا تتبع الاستمرارية الادبية في أعمال أربعة من الروائيين الذين كتبوا بالانجليزية في مطلع هذا القرن والفترة التي تلته . فقد اظهر جوزيف كونراد (Joseph Conrad) وتوماس هاردي (Thomas Hardy) وهنري جيمس (Henry James) ود . هـ لورنس (D.H. Lawrence) بوضوح في أعمالهم المتوالية التحول من عالم مستقر نسبياً في أواخر القرن التاسع عشر الى عصر جديد واكب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) . كما يمكننا تتبع يقظة الوعي الجديد في الأدب بأعمال روائية مثل الجزء الاول من كتاب مارسيل بروست (Marcel Proust) « ذكريات الماضي » (Remembrane of Things Past) أو « طريق سوان » (Swann's Way) (١٩١٣) ، وفي « أقبية الفاتيكان » Vatican Cellars لأندريه جيد (André Gide) (١٩١٤) و« اوليس » (Ulysses) لجيمس جويس (James Joyce) (١٩٢٢) و« المحاكمة » (Trial) لفرانز كافكا (Franz Kafka) (الذي نشر عام ١٩٢٥ بعد وفاة مؤلفه) و« الجبل السحري » (Magic Mountain) لتوماس مان (Thomas Mann) .

ان التأثيرات العديدة التي ميزت أكثر كتابات القرن العشرين منذ العشرينات كانت ذات أثر واضح في هؤلاء الكتاب ، اذ انعكس الاهتمام باللاوعي واللاعقلانية في أعمالهم، انعكاسه في نتاج غيرهم من كتاب الفترة نفسها تقريباً. كان المصدران الهامان لهذا التأثير فريدريك نيتشه، (FriedrichNietzsche) ، الفيلسوف الالماني الذي يدين له جيد ومان بالكثير ، وفرويد(Freud) الذي كان لأعماله في التحليل النفسي في العشرينات تأثير بالغ على المفكرين الغربيين . ولم يكن التحول عن معتقدات وأساليب القرن التاسع عشر مقصوراً على الكتاب الروائيين فقط ، فكتاب أندريه بريتون (André Breton) « أهداف السريالية » (Manifeste du surréalisme) (١٩٢٤) أول تعبير رسمي عن حركة دعت الى العفوية والابتعاد الشامل عن التقاليد . وظهر تأثير السريالية بفرويد في تشديدها على الاحلام

والكتابة الذاتية وطرائق لامنطقية أخرى . ورغم كونها ـ كحركة رسمية ـ قصيرة الاجل ، تركت تأثيرها الدائم على الكثير من فنون وأشعار القرن العشرين . إنّ الشعور بالشك وعدم اليقين الذي يتميز به العصر الحديث وتنوع المحاولات في معالجته وتفسيره ونفحه ببعض التماسك الفني كل هذا ينكشف بوضوح في أعمال رينيه ماريا ريلكه (Rainer Maria Rilke) وبخاصة « مراثي دوينو » (Duino Elegies) و« سونيتات الى اورفيوس » (Sonnets to Orpheus) (١٩٢٣) وفي « الارض القفر » (Waste Land) (١٩٢٢) للشاعر ت . س . اليوت (T.S. Eliot) وفي مسرحية للويجي بيرانديللو (Luigi Pirandello) عن التقلبات الذاتية هي مسرحية « هنري الرابع » (Henry IV) (١٩٢٢) .

وذات أهمية بالغة تلك الفترة الدولية والتجريبية في الادب الغربي في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين ، ليس بما انتجته من اعمال عظيمة فحسب ، بل لأنها وضعت نموذجاً للمستقبل كذلك . وان ما ظهر بوضوح في الاعمال الرئيسية لتلك الفترة يعكس الشعور المتزايد بالأزمة والقلق والحاجة الى العجلة وضرورتها وشكوك بما ساد في القرن التاسع عشر من ايمان بالاستقرار النفسي للشخصية الفردية ، والشك العميق بكل الحلول الفلسفية والدينية للمشاكل الانسانية . ولم تكن هذه الخصائص الفكرية الخاصة بالقرن العشرين لتتوقف في حدود الثلاثينات ، وانما امتدت الى المحيط السياسي ، عندما انقسم الكتاب الى فئتين هما المؤيدون للالتزام السياسي في كتاباتهم ، والمقاومون بتحفظ لمثل هذه الهيمنة السياسية على الفن . ولم تؤد الحرب العالمية الثانية الى انهاء الجدل المتعلق بالالتزام السياسي ، فالقضايا التي ما انفكت حية بنفس القوة خلال الستينات وأوائل السبعينات في القرن العشرين ، تشبه تلك التي أدت الى ظهور أدباء بارزين ذوي خيال خلاق في الثلاثينات من القرن نفسه .

قد يكون من المغري ان نفسر ما بدا وكأنه ندرة نسبية للكتاب الكبار في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية كنتيجة حتمية للضغط المتراكم للتطورات التقنية والاجتماعية المقلقة ، والتي عجلت بها الحرب . وفي مثل هذه الظروف المتقلبة المريبة لا يبدو الانقطاع عن الكتابة والقراءة بمفهومهما التقليدي أمراً غريباً بالمرة .

وبالفعل نجد في بعض البلاد المتطورة تقنياً بشكل رفيع ، كالولايات المتحدة الامريكية ، ان الكلمة المطبوعة نفسها بدت لبعض النقاد ، وكأنها فقدت مكانتها المركزية والرئيسية ، وحل محلها في عقل الجماهير ثقافة الكترونية سمعية ـ بصرية لا تحتاج الى المساهمة الفكرية النشطة لجمهور المستمعين . وهكذا مع ان سبل الاتصال ساعدت على خلق ما يشبه الثقافة الشعبية الدولية في عدة بلدان غربية إلاّ انها لم تفعل شيئاً لتجعل الاجابة على مسألة القيمة الأدبية أمراً اكثر سهولة . واذا اخذنا بعين الاعتبار الظروف غير العادية التي يعمل ـ في اطارها ـ الكاتب المعاصر فليس من المدهش ، وقد بزغ فجر الربع الاخير من القرن ، ان نجد صعوبة في تقويم مكانته ، وان نرى ان التجريب الجذري قد ميز عدة حقول من الادب ، وأن الاشكال التقليدية للكتابة بدأت تفقد ضوابطها وتعاريفها ، وغدت أميل الى الانصهار في بعضها بعضاً . فالروايات قد تكتسب بعض مقومات الشعر أو تتحول الى نوع من التحقيق الصحفي اللاقصصي الرفيع ، بينما نجد ان التجريبية في أسلوب المادة الطباعية منحت القصائد مظهر اللوحات الكلامية ، كما غدت الاعمال المسرحية المجردة من حبكتها التقليدية أو ما يشبهها سلسلة من الايماءات او الاحداث المنسقة بعناية . لكن التجريبية الرسمية كانت جزءاً من الصورة فقط ، والقول بأن الكتابة الحديثة منذ الحرب العالمية الثانية هي بالدرجة الاولى تجريبية يعني اننا نتجاهل الخصائص الاخرى التي اكتسبتها الكتابة في مطلع هذا القرن ، والتي لا تزال تعتبر مسائل وقضايا قائمة . ويشعر معظم النقاد الكبار اننا لا نفتقر الى أدب جيد مكتوب ، بالرغم من افتقارنا الى الكتاب الرئيسيين ، ورغم احتمال وجود طبيعة انتقالية لمعظم أعمال هذه الفترة في تنوع أساليبها وموضوعاتها .

الفَصْل الأول

الأدَب الانكليزي في القرن العشرين

كان مطلع هذا القرن فترة تغيرات معقدة ، فقد ترك توحد قوى اجتماعية لم تكن واضحة في البداية أثره على الادب. وعبرت أشعار رديارد كيبلينج (Rudyard Kipling) مثلا بفخار عن التوسع البريطاني فيما وراء البحار ، ولكنها نظرت كذلك باعجاب الى الجد والمهارة الفنية في أواسط العصر الفكتوري ، التي ركن اليها هذا التوسع ، كما سجلت بقلق متواتر الشعور بأنها استبدلت بعصر أصبح فيه الرأسمالي اكثر تمثيلاً لها من الصناعي أو الرائد . وغالباً ما كان كيبلينج في قصصه القصيرة منتقداً ، ليس الفكرة الاستعمارية ، ولكن فشل العيش وفق مثلها . وإذا فالرجل لم يكن استعمارياً سوقياً . لكن كتاباته عكست القلق مثلما عكست المرح في هذه الفترة . ومع ذلك ما ان أهل القرن العشرون حتى نجم شاعر مختلف تماماً هو توماس هاردي (Thomas Hardy) الذي أظهر في مقطوعاته عن حرب جنوبي افريقيا ، الحقائق المتعلقة ببناء الامبراطورية ، وتلك المتعلقة بالحرب وتأثيراتها على الناس العاديين ، سابقاً بذلك الآخرين ومعطياً مثالا لمن تبعه من «شعراء الحرب» في القرن العشرين .

اوائل الروائيين في القرن العشرين

وبدوره أظهر جوزيف كونراد احساساً بالناحية القائمة للتوسع فيما وراء البحار فقد احتوت روايته « لوردجيم » (Lord Jim) (١٩٠٠) صورة بارزة لأحط انواع مغامري ما وراء البحار ، ذلك المغامر التافه القاسي ، نصف التاجر ونصف اللص . وساوت قصة « قلب الظلمات » (Heart of Darkness) (١٩٠٢) بين ما كان قاتماً ووحشياً في افريقيا السوداء البدائية ، وبين الطمع والحقد العشوائي للمستغلين البيض. وسجلت أروع رواياته، وهي «نوسترومو» (Nostromo) (١٩٠٤) كيف عمل الاستعمار الرأسمالي في احدى بلدان امريكا الوسطى على ابدال

البربرية النابضة بالحياة ، بحياة مادية عقيمة خامدة الانفاس . وأعمق السمات المميزة الظاهرة في اعماله هذه ، وفي اعماله الاخرى هي التحرر من وهم مجتمع آذن - رغم اتساعه وقوة نفوذه - بفقدان قيمه ، مجتمع غالباً ما يؤثر الزيف المتقن على القيم الانسانية . ويبدو ان كونراد استنتج في النهاية انه في البحر وحده تستطيع الاستقامة الانسانية الحفاظ على وجودها وان تكتسب شيئاً ذا دلالة . وتجلى هذا بوضوح في رواية « مصادفة » (١٩١٣) (Chance) وهي الوحيدة بين روايات كونراد البارزة التي تجري أحداثها في مجتمع انكليزي عادي في اليابسة والبحر على حد سواء . اما الانقباض والاكتئاب غير العاديين والواضحين في « العميل السري » (Secret Agent) (١٩٠٧) و« بمرأى من الغرب » (Under Western Eyes) (١٩١١) فسببها في الرواية الاولى مادة الموضوع ، وهي القوة القاسية البعيدة النطاق للبوليس الروسي ، وفي الثانية منها الرعب الذي خلفته هذه القوة عند مناوئيها . ولكن الجو القاتم المتوتر في الروايتين ناجم كذلك عن احساس كونراد العميق بأن متطلبات الاخلاص والاستقامة في الادب رغم احتفاظها بحقيقتها - كما كانت دوماً - ، أصبحت في المجتمع الحديث اما محزنة عديمة التأثير أو مهملة كلياً .

ولو ان استجابة كونراد - البولندي الاصل - لمجتمع عصره كان بهذه المسحة من الخيبة التي بلغت درجة القنوط من مصير المثل الانسانية في العالم المعاصر ، فهامٌ ان نجد الشعور نفسه تقريباً عند هنري جيمس(Henry James) الامريكي الذي اغترب عن بلاده . فالعالم الذي صوره جيمس - في سلسلة من الروايات التي كانت انتاجاً أدبياً رفيعاً في مستهل هذا القرن - هو عالم الطبقة الثرية الحاكمة في العصر الادواردي(Edwardian) ، (بيوتات اقطاعيي الريف أو بيوتات المدينة الكبيرة) . وكشفت رواياته تكراراً عن الحقيقة البشعة الكامنة تحت سطح الحياة المعاصرة الرائع : الخبرة الشرهة في « غنائم بوينتون »(The Spoils of Poynton) (١٨٩٧) ، والعلاقات الجنسية غير الشرعية في « ما كانت تعرفه ميسي »(What Maisie Knew) (١٨٩٧) و« السن الحرجة » (The Awkward Age) (١٨٩٩) ، والمادية والانانية في أجنحة اليمامة (Wings of the Dove) (١٩٠٢) و« الطاسة الذهبية » (The Golden Bowl) (١٩٠٤) . اما الوحيدة من القيم غير الواردة على

نحو بينّ في أعمال كونراد ، والتي انجلت واضحة في اعمال جيمس فهي الايمان الراسخ بأهمية الفن ، بأرقى معانيه ، في الحياة . لقد كان هذا مذكراً بشيء كامن وراء كل جهوده ككاتب . وفي دراسته العميقة المميزة لروائيي القرن التاسع عشر الفرنسيين ، وفي اهتمامه بمجموعة أخرى من الكتاب الاوربيين ، وفي افكاره المركزة الراسخة حول مهمة الروائي وفنه ، أظهر جيمس انحرافاً عن الخصائص العامة للأدب الانجليزي في منتصف القرن التاسع عشر .

في تلك الفترة أكمل الادب الانجليزي تقدمه في مجراه الخاص بالدرجة الاولى ، مستقلا عن أية اتجاهات أخرى . لكن تياراً مستمراً من التأثيرات بدأ ينساب منذ عام ١٩٠٠ من الارض الام : اوربا . لقد كانت رغبة جيمس وكونراد بالتفوق كفنانيين دلالة على التأثر بكاتب واع لذاته رفيع الثقافة كجوستاف فلوبير . (Gustave Flaubert) . واجمالا كان تأثير القارة (اوربا) آنئذ عاماً . وكشف فورد مادوكس فورد(Ford Madox Ford) ، ولا سيما في روايته « الجندي الطيب »(The Good Soldier) (١٩١٥) عن إيجاز في السرد القصصي ، وتعقيد في التركيب والبنية يمكن ان يردا الى أصول فرنسية ، كما أظهر سومرست موم(Somerset Maugham) ، وبخاصة في رواية « العبودية الانسانية »(Of Human Bondage) (١٩١٥) تشابهاً مع اميل زولا (Emile Zola) وفلوبير ، (Flaubert) ، اما جون جالزورفي (John Galsworthy) في رواية « فيلاروبين » (Villa Rubein) (١٩٠٠) فتأثر بايفان تورجنيف ، (Ivan Turgenev) ، وهناك كذلك تشابه جلي بين ارنولد بينيت (Arnold Bennett) وزولا ، كما أوضحت « اليوميات » (Journals) (١٩٣٢ ـ ١٩٣٣) المنشورة بعد وفاته .

وكانت هناك تأثيرات أخرى مازجت تلك المؤثرات الاوربية فتأثير تشارلز ديكنز (Charles Dickens) واضح على كونراد ، سواء في خاصية بنية الشخصيات الروائية أو في النوعية الشريرة المرعبة لبعض مشاهده الرائعة . والاكثر دهشة ما نجده غالباً في روايات جورج مور(George Moore) وفورد(Ford) وبينيت (Bennet) من حرارة في الاسلوب أو نزعة عاطفية تذكرنا حتماً بديكنز. وفضلاً عن ذلك فالاهتمام بالكتابات الاوربية لم تؤد الى مجرد تقليد صاغر، اذ قام

جيمس بدراسة فلوبير وتعلم منه ولكنه أدانه بعد أخذ جميع الامور بعين الاعتبار . كما قام ارنولد بينيت بدراسة زولا ، لكنه عزم على تجنب ما اعتبره افتقار زولا الى التعاطف والانسانية . وبطبيعة الحال لم يكن هناك انقطاع عن التقاليد أو الاستمرارية الانجليزية ، فقد اطرى جيمس جورج اليوت كأعظم روائية انجليزية ، كما اعترف بينيت بأنه مدين بالكثير لهربرت سبنسر(Herbert Spencer) ، العالم الاجتماعي من العصر الفكتوري . ومع ان انجازات بينت تعتبر قاصرة اذا قورنت بانجازات جيمس ، فهي أصيلة ، لأنه - اكثر مما فعل روائي آخر في مطلع القرن العشرين - استطاع ان يظهر الوجه الآخر للمجتمع الادواردي الثري : حياة الحرمان والكآبة لدى الطبقات الدنيا ، التي كان لدخولها المعتركين الاجتماعي والسياسي خلال الخمسين عاماً التالية تأثير خطير حتى على الكتابة نفسها . وأصبح ثابتاً الآن ان العديد من الروائيين الذين كتبوا عن الحياة اليومية للطبقتين الوسطى والدنيا منذ الخمسينات من القرن العشرين وما بعد ، كانوا يلتفتون بأفكارهم الى بينيت ، والى هـ . ج ويلز(H . G . Wells) أيضاً ، الذي هو شديد الشبه بـ بينيت ، في أدبه القصصي الواقعي .

وللمؤثرات الاوروبية بصماتها كذلك على أسلوب كاتبين روائيين آخرين كان لاعمالهما صدى عالمي واثر واسع غير مباشر هما جيمس جويس و د . هـ . لورنس . فجيمس جويس (انظر العنوان اللاحق : تأثير الحرب العالمية الاولى والسنوات السابقة للحرب العالمية الثانية») في كتاباته الاولى - وهي الاسكتشات والقصص المنشورة في المجموعة القصصية المسماة (Dubliners) « الدوبلنرز » عام ١٩١٤ - أظهر ارتباطه بالحركة الجمالية التي سادت في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، سواء في سوداويته العرضية أو حذلقته الطفيفة او مفهومه عن الشكل واهميته ، بينما تظهر هذه القصص بله رواية (A Portrait of an Artist as a Young Man) « صورة الفنان كشاب » (١٩١٦) الصلة بالمذهب الواقعي الطبيعي الفرنسي . وهناك أثر مبكر أوربي دائم آخر هو تأثير واقعية ابسن . كل هذه التأثيرات ، بالاضافة الى تأثير الرمزية الفرنسية والى البراعة الفنية الشعرية التجريبية التي طورها آزرا باوند(Ezra Pound) ت . س . اليوت(T.S. Eliot) ، كانت من بين خيوط السدى التي نسج منها

جويس روايتيه « اوليس » (Ulysses) (١٩٢٢) و« يقظة فينيغان » (Finnegans Wake) (١٩٣٩) . وكانت أعمال د . هـ . لورنس (D.H. Lawrence) الرئيسية كأعمال جويس ، منتمية الى فترة متأخرة من حياته نوعاً ما ، كما كانت فرديته الشديدة جلية دوماً فيها ، اما اعجابه بالقصص الروسي في أواخر القرن التاسع عشر ، والذي أصبح متداولا بالانجليزية لأول مرة آنئذٍ ، فجلي في الحساسية الانسانية والتنظيم السلس في أعماله .

اولى التطورات في الشعر الحديث

ليس من الواضح تماماً كيف انبثق الشعر « الحديث » في السنوات الاولى من القرن، وإنما ـ وفي العقود الاولى منه ـ انبثق بالتأكيد بلسان شاعرين من أصل امريكي هما إزرا باوند (Ezra Pound) وت . س . اليوت (T.S.Eliot) اللذين كان شعرهما أكثر من مجرد بديل جذري سريع للواقعية أو للقدرة الفكرية على الابداعية الانهزامية . لقد كان هناك طوال تلك السنين تقاليد محددة للشعر الذي يعالج مواضيع الحياة اليومية ويستخدم اللغة العادية ـ وهذه من خصائص الكثير من الشعر الحديث . وان القصائد التي كتبها هاردي (Hardy) وادوارد توماس (Edward Thomas) ود . هـ لورنس (D.H. Lawrence) في تلك الفترة لم تكن تفتقر الى الحيوية. ان الشعر الذي ظهر في كتب المجموعات الشعرية الجيورجية Georgian على كل حال يبدي تبايناً مفيداً مع ما كان سيصبح الاسلوب الشعري السائد في القرن العشرين. لقد ظهرت هذه المجموعات الى الوجود بسبب وجود احساس بين الشعراء المتذمرين (١٩١٠ ـ ١٩١١) مما انتاب شعرهم من إهمال بالمقارنة مع نتاج الشعراء الراسخين، والذين منهم على سبيل المثال روبرت بردجز (Robert Bridges) وجون ماسفيلد (John Masefield) ولا سيل ابير كرومبي (Lascelles Abercrombie) ولذا قرر روبرت بروك (Rupert Brooke) وادوارد مارش (Edward Marsh) بأن هناك حاجة لجعل الشعر الجديد أقرب الى متناول الناس ، وانتقوا المجموعات مع هارولد مونرو (Harold Munroe) ، رئيس تحرير «مجلة الشعر» (Poetry Review) فضلاً عن جون درنكووتر (John Drinkwater)

وويلفريد ويلسون جبسون(Wilfrid Wilson Gibson) وطمح هؤلاء الى افهام الناس بأن الشعر كان يكتب ، ويمكن شراؤه وقراءته والاستمتاع به . واستخدم بروك ومارش الاسم «جورجي» للايحاء بأن عهداً شعرياً جديداً بدأ مع تبوؤ جورج الخامس(George V) للعرش في عام ١٩١٠ .

ان الشعراء الممثَّلين في المجموعات الشعرية لم يحملوا كلية الدلالات المبشرة بعهد جديد ، مع ان عملهم لا يزال ممتعاً عند القراءة . ويجب ألا نغفل هنا المواهب الحقيقية لروبرت بروك (Rupert Brooke) ، و و . دافيس (W.H. Davies) ووالتر دي لامير(Walter de la Mare) ، وادموند بلندن (Edmund Blunden) ورالف هوجسون (Ralph Hodgson) ولكننا اذا نظرنا الى الشعر ككل وجدنا ان معظم النتاج « الجورجي » مفتقر إلى الحيوية والروح ،متسم بالتكرار ، ونتيجة لذلك أصبحت كلمة « جورجي » تستخدم في غير المفهوم الذي قصده واضعوها : لقد اصبحت تشير الى أدب متأصل في زمنه متطلع إلى الماضي اكثر من تطلعه الى المستقبل . وأشارت حتى اعمال هاردي وادوارد توماس(Edward Thomas) الى المآخذ التي ثبت فيما بعد بأنها لا تقبل الجدل : فكلاهما استلهم الطبيعة والريف ، ولكن هذا كان الى حد ما الهام الحنين والتوق الى الماضي ، لأن الطبيعة لم تعد مصدر الهام عميق بالنسبة لمعظم الشعراء الانجليز الشبان عهد ذاك . ولذا غدت أساليب هؤلاء الشعراء ومواضيعهم سطحية ضحلة على أيدي شعراء أقل موهبة .

لم تكن أعمال د . هـ لورنس مختلفة كلية عن المجموعة الجورجية ، الا انه ـ ومنذ البداية ـ ظهرت أصالته الملفتة للنظر ، واستجابته للتجريبية خارج انجلترا في شعره كما تجلينا في نثره . فأشعاره الاولى مفرغة بالقوالب التقليدية ، لكن منذ حوالي عام ١٩١٥ قادته نظرته العالمية والأصيلة الى نبذ اساليب الشعر الغنائي التقليدية ، في سبيل عفوية خشنة غير مصقولة ، لكنها مرهفة أحياناً ، وهذا ما جعله واحداً من أوائل الشعراء الانجليز الكبار الذين استخدموا الشعر الحر . «والشعر الحر» (Vers Libre) ـ وفق مفهوم تطوره في فرنسا ـ كان يعني استخفافاً

الاولى حيث تتخطى الشخصية الرئيسية فيها أصولها الريفية ، وتكتسب وعياً عصريا حضاريا أو عالميا ، واوضح ما يكون هذا في روايتي «ابناء وعشاق» (Sons And Lovers) (١٩١٣) و «قوس قزح» (The Rainbow) (١٩١٥) .

وعندما ازداد اطلاع لورنس على الحياة العصرية ، اتضح انه ازداد وعياً لاخطارها ، كما طفق يكرس نفسه اكثر فأكثر لمحاولة ايجاد بعض الحلول لها . ويكمن في صلب رواياته الاعتقاد بأن الناس كانوا محرومين من المصادر التقليدية للقوة والتوازن والأصالة والرفعة ، وليس باستطاعتهم استعادتها الا بتوسل الاكتشاف المجدد لمصدر العفوية ، مانحة الحياة ، والتي امتلكوها جميعاً في أعماق انفسهم . كانت معالجة لورنس للجنس تخضع لهذا الفكر وفي المرتبة الثانية منه ، فهو يرى أن الناس يستطيعون في حياتهم الجنسية أن يكونوا على سجيتهم بأصدق صورة ، لان تأثير عصر الآلة يكون محدوداً في هذه المواقف ، وظهر هذا بوضوح تام في بعض قصصه القصيرة ، وخاصة في « دمية القبطان » (The Coptain's Dall) و« الثعلب » (The Fox) . وفي رواية قصيرة هي « سانت مور (St. Mawr) كان لورنس مشدوداً بصورة طبيعية نحو تجارب فنية لا تختلف كثيراً عن تلك التي مر بها باوند واليوت وجويس ، منطلقاً من الاعتقاد بأن أصدق وأقوى مصادر الحيوية يكمن في النفس الانسانية ذاتها . ويكشف عن بعض اتجاهات عصره في رواياته المتأخرة - ذات التركيب السلس المنساب الذي يستند الى تتابع الاحداث - وخاصة في « نساء عاشقات » (١٩٢٠) (Women in Love) التي تمتاز شخصياتها - بالرغم من تفككها الظاهري - بواقعيتها المفرطة وبشخصيتها المميزة .

الا ان لورنس ، كما أدرك بنفسه ، كان ينشد القيم الأعمق في الحياة ، رغم انه لم يبرع في ذلك دوماً . ونجم نجاحه عن كثافة جهوده ، الا ان عمله غالباً ما كان يتكشف عن لجاجة ملحة تتصف بالاكراه والفرض لم يكن ليقبلها عندما يكون صادقاً مع نفسه . ومع هذا فيسرُ علينا أن ننسى اخطاءه ، وأن نتذكر بدلا منها حيويته المذهلة ، وذكاءه الحاد في اغلب الاحيان واحساسه الحقيقي الرقيق بامكانات الخير المتوفرة في الحياة ، ووقفته الغاضبة الى جانب الحقيقة وضد الزيف والرياء .

و . ب . ييتس (W.B. Yeats) كان ييتس هو الآخر مجبراً بدوره على اعادة

تقويم الثقافة المحلية التقليدية بسبب التهديد الـذي جلبتـه الحياة العصرية . وهو نفس ما فعله لورنس . كان عمل ييتس الاول نتاجاً لاسطورة سلتية (Celtre) ، ولمعرفته بحياة الفلاحين الايرلنديين ، ولتأثره بالحركة الجمالية التـي سادت العقـد الأخير من القرن التاسع عشر ، الا انه انجذب بصورة أشد وباستمرار نحو العالم العصري ، وذلك بسبب الدور الذي لعبه في الحـركة المسرحية الايرلنـدية (انظـر العنوان اللاحق « الادب الانجلو ـ ايرلندي ») ، وبسبب « المتاعب » التي عمت ايرلندا قبل وبعد عام ١٩٢٠ ، وعموماً بسبب ادراكه أن القيم التـي كان شديد الاهتمام بها مهددة « بالوضاعة المستجدة » على كل صعيد .

ازداد انزعاج ييتس العميق والناجم عن احساسه بالعيش في عالم معاد ، بعد عام ١٩٢٠ ، مما جعله يعود ثانية ، انما بقوة منضبطة ، الى الايمان بالقوى الخفية ، والى الاهتمام بالفلسفات الاصطفـائية المحـدودة الانتشـار التـي أثـارت اهتمامـه في شبابه . ومن هذه المادة استطاع ان يطور آراءه المتأخرة التي عبر عنها في « رؤ يا » (A vision) (١٩٢٥) ، مؤكداً فيها على ان الحيوية الانسانية هي وحدها الرد على كل ما هو حيواني في الحياة العصرية ، متطلعاً الى المجتمع الايرلندي المنظم في القرن الثامن عشر ، ذلك المجتمع المبني على أساس نمط للعيش راسخ في الارض ، الا انه بشكل رئيسي ارستقراطي ، متكلف خاضع لاسلوب معين .

كتاب آخرون : تجاوب كتاب آخرون ما بين ١٩٢٠ و١٩٥٠ مع ما شعروا بأنه ذروة الأزمة في الامور الانسانية . فقد أظهر ل . هـ . مايرز(L.H. Myers) وبخاصة في « الجذر والزهرة »(The Root and the Flower) (١٩٣٥) ، نفس اهتمام لورنس بما هو حقيقي ، وما هو زائف في الحياة ، الا انه كان يفتقر لموهبة لورنس في طرح الفلسفة بأسلوب قصصي . وحاول جويس كاري (Joyce Cary) ان يعالـج التأثير المدمر للحرب وللحياة العصرية ، مؤكداً على قدرة المشاعر الانسانية البسيطة على التغلب عليها ، وخاصة المشاعر الاجتماعية والأسرية ، وهذا ما نجده في روايتي « فم الحصان »(The Horses Mouth) (١٩٤٤) و« سجين الكياسة »(A Prisoner of Grace) (١٩٥٢) . اما جورج اورويل (George Orwell) فبالرغم من خلفيتـه التقليدية الناجمة عن دراسته في كلية ايتون وخدمته في البولبس الانجلو ـ هندي في

بورما ، استطاع ان يظهر قوة وادراكاً حسياً هما من خصائص كتاباته الشبيهة بالتراجم الذاتية ، عن حياة ضحايا الظلم والاضطهاد ، كما في « بطالة في باريس ولندن » (Down and Out in Paris and London) (١٩٣٣) و« الطريق الى رصيف ويجان البحري » (The Road to Wigan Pier) (١٩٣٧) ، وهي اعمال اتسمت بأسلوبها المباشر البسيط ، والتحرر من مختلف الحذلقات الادبية ، ومن الالتزام بالشكليات . ورفض اورويل الشعور السائد لدى الطبقة الارستقراطية بان على اكتاف « الرجل الانكليزي السيّد » يقع واجب بناء الامبراطورية ، ممهداً بذلك الطريق للكثير من الاهتمامات في الكتابة الانجليزية التي جاءت بعده . اما الروايات التي كتبها بعد الحرب وهي « حديقة الحيوان » (Animal Farm) (١٩٤٥) وألف وتسعماية واربع وثمانون (Nineteen Eighty — Four) (١٩٤٩) والتي عكست بشكل خاص خيبة الامل من روسيا الستالينية كتجسيد للاشتراكية فترسخ في الذاكرة لما فيها من تشاؤم عميق شامل يتعلق بمستقبل الجنس البشري كافة . وكان هناك كاتب بارز آخر من كتاب القصص والمقالات ذات الاهتمامات السياسية الواضحة هو آرثر كويستلر (Arthur Koestler) المجري الأصل ، الذي هاجر الى انجلترا عام ١٩٤٠ . والذي أظهر تشابهاً مع التقاليد القارية (الاوروبية) ، اكثر مما أظهرته معظم الكتابات الانجليزية في تلك الفترة ، كما نجد في رواية « الظلام في الظهيرة » (Darkness at Noon) (١٩٤٠) ، وهي رواية قوية عن « التطهير الستاليني ، وكما نرى في سيرته الذاتية «طفاوة الارض »(Scum of the Earth) (١٩٤١) وفي بعض مقالاته ، ومنها على سبيل المثال « تأملات حول الشفق » (Reflections On Hanging) (١٩٥٦) و «عملية الخلق»(The Act of Creation) (١٩٦٤) .

اتبع شعراء الثلاثينات خطى باوند واليوت في انتقادهم وفي اسلوبهم الذي اعتمد لغة التخاطب الموجزة ، لكنهم على الاغلب لم يتابعوا الجانب الرمزي في اعمالهم وكان هذا الافتقار الجزئي للاستمرارية الادبية دلالة على الاوضاع الاجتماعية والسياسية الجديدة التي انعكست في كتابات الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية . ومنذ اصدار المختارات الشعرية « التواقيع الجديدة » (New Signatures) (١٩٣٢)

شرع - في السنـوات التـالية - و . هـ . أودين (W.H.Auden) وسنيفـن سبنـدر (Stephen Sepndér) ولـويس ماك نيس (Louis MacNeice) وس . داي لويس (C. Day Lewis) يقرضـون الشعـر ذا المضامـين السياسية اليسـارية الواضحـة . وكان هذا انعكاسـاً للحـرب الاهلية الاسبانية ، وللنظـرة المثـالية للاتحـاد السوفياتـي قبـل التطهـير وللجبهـة الشعبية السياسية في فرنسـا . ومـع ان اشعارهـم اكثـر اطنابـاً من اشعـارا ت . س اليوت بله انهم كانوا اكثر منه تقليدية في الاعمال التي كتبها حتى هذه الفترة ، فقد تكشفـت اشعارهـم عن تأثـر باسلـوب جـيرارد مانلي هوبكنـز (Gerard Manley Hopkins) في اشعاره التي نظمـت بـين ١٨٨٤ و١٨٨٩ ونشرت عام (١٩١٨) كما أظهرت تأثراً ببساطة الاسلوب والغنائية الشعرية في اشعار توماس هاردي (Thomas Hardy) . لكن هؤلاء الشعراء لم يأخذوا بغموض هوبكنز وتركيزه وتجربته اللغوية الجريئة ، ولذا اتضح تأثيره بصـورة اسـاسية في السلاسـة الايقـاعية الناجمـة عن استخدام قوالب اوزان غير منتظمة تعـرف باسـم « الايقـاع النـابضي » (Sprung Rhytm) واستخدم شعراء الثلاثينات لغة بسيطة بهدف الوصول الى جمهور اوسع ، ولم يحاولوا ان يكونوا مجرد تمرد متكلف ضد المعتقدات الشعرية التقليدية ، ولـذا تخلى الكثير من شعرهم عن عمق الرؤيا ، وعن العناية بالتفاصيل اللغوية في سبيل التزام صحفي او نظري بالسياسة . وبعد الحرب العالمية الثـانية وجـد ماك نيس (Mac Neice) اخيراً وسيلته في المسرحية الاذاعية اما سبندر (Spender) ، وهـو في بعض نواحيه شاعر ذاتي اكثر من الآخرين ، فقد التفت بانظاره بصورة متزايدة عن الاحوال الخارجية الموضوعية الى التجربة الذاتية غير الموضوعية ، كما اشتهر بعـد عام ١٩٣٩ بنقده المتبصر اكثر من شهرتـه كشاعـر ، وكذلك باشتـراكه في تحـرير المجلات النقدية المؤثرة ومنها « الافق » (Horizon) و« صدام » (Encounter) أمـا داي لويس - وهو أقل شعراء الثلاثينات مغامرة فارتد في اعماله المتأخرة الى اسلوب هادىء تأملي استطرادي اقرب الى « الجورجي » منه الى المعاصر ، بينما تابع اودين (Auden) تطوره كشاعر هام (انظر العنوان اللاحق « الشعر بعـد عام ١٩٤٥ ») وذلك بعد ان اصبح من مواطنـي الـولايات المتحـدة الامـريكية ، وهـو ما فعلـه كريستوفر ايشروود (Christopher Isherwood) (انظر العنوان اللاحق في « المسرحية في النصف الاول من القرن العشرين ») .

المشهد المتغير بعد عام ١٩٣٠ : اذا تحدثنا بشكل عام الفينا ان الحركة الطليعة التي مثلها جويس وباوند واليوت (في اعماله الاولى) وفرجينيا وولف ود . هـ لورنس كانت سائدة لأمد قصير . ولم يقدم ل . هـ مايرز (L.H.Myers) واورويل (Orweil) تجديداً اصيلا في التكنيك ، وغالباً ما كان كاري (Cary) كاتباً روائياً تقليدياً يكتب بأسلوب المؤرخين ، ويدين بالكثير لديكنز . وبدأ الادب القصصي كما بدأ الشعر بعد عام ١٩٣٠ بالابتعاد الواضح عن الماضي القريب ، وباستعادة بعض الاستمرارية مع القرن التاسع عشر والاتجاهات الاسبق في الكتابة الانجليزية لأن الشعراء السياسيين في الثلاثينات كانوا اكثر اهتماما بالمحتوى ، وبجمهور القراء الواسع منهم بالصيغة ، وانتهت فترة التأثير الاوربي القوي واصطبغت الكتابة الجديدة ـ تقريباً دون ادراك لذلك ـ بشيء أكثر شعبية في خصائصه ، وصارت تقرأ ، وكأنها كتبت لجمهور اكبر ، كان اكثر تعصبا واضيق في أفق التفكير .

وظهر تحول ت . س اليوت نحو الكنيسة الانجليزية عام ١٩٢٧ . وبدت دراسته العميقة لدانتي خلال تلك الفترة ، وكأنها نقطة تحول في نثره وشعره على حد سواء ، فالتشديد على الادب كفن ، وعلى حاجة الشاعر الى فصم علاقته بالماضي (المعبر عنها في مقالة « التقاليد والموهبة الفردية » (Tradition and the Individual Talent) (١٩١٧) وفي « الغابة المقدسة » (The Sacred Wood) (١٩٢٠) استبدل بالاهتمام بالعلاقة المتبادلة ما بين الادب والمجتمع والدين والثقافة ، كما نجد في « فكرة مجتمع مسيحي » (The Idea of a Christian Society) (١٩٣٩) و« ملاحظات حول تعريف الثقافة »(Notes Towands the Definition of Culture) (١٩٤٨) . ونجد في اشعار اليوت من « اربعاء الرماد »(Ash Wednesday) (١٩٣٠) الى « الرباعيات الاربع » (Four Quartets) (١٩٤٣) ، ان اعادة تقويمه لازمة الحضارة المعاصرة ، بلغة تجربته الدينية الخاصة ، قادته الى شمول في النظرة الفلسفية والى الحنين المستجد للكتابة الانجليزية في القرنين السابع عشر والثامن عشر . الا ان كثيراً من الناس الذين سلموا بعظمة اليوت المبكرة ، والذين لم يقبلوا آرائه الدينية والكنسية اللاحقة ، وجدوا في اشعاره المتأخرة تجربة روحية جوهرية لم تكن موجودة في اعماله القديمة الاكثر تجريبية .

كان باوند واليوت (في اعمإله الاولى) جزءاً من نخبة هي قلة تكتب كرد فعل على مؤسسة ادبية عقيمة ، وكانت هذه الأهداف نفسها تلقى تأييد المجلات النقدية ، ومنها مجلة « العصر الجديد » (The New Age) (١٩٠٨ ـ ١٩٢١) التي نشرت الكثير من نقد باوند في مراحله الاولى وتضمنت الحركة الادبية في الثلاثين سنة الاولى من القرن مجموعة واسعة من المبادىء الجديدة للكتابة حددها عدد من النقاد الفلسفيين ، ومن أبرزهم ت . ي . هولم (T.E. Hulme) ، كما اشتملت على تقويم جديد للأدب الانجليزي مبني على هذه المبادىء .

ومع مرور الزمن وبعد ان اضحت وجهات نظر الاقلية هذه نفس وجهات نظر الاكثرية اخذت تميل نحو التغير الناجم الى حد ما عن انتشار الثقافة العالية ، وبالتالي نشوء جمهور غفير من القراء من نوعية جديدة . وتسبب بهذاً التبدل التربوي التغيرات الاجتماعية التي من أبرزها تقدم الطبقات المتوسطة الدنيا والطبقات العاملة الى مراقع ارفع شأناً وأوسع تأثيراً في حياة البلاد اخذ يكتب الادب ويقرأه اناس يملكون نظرة جديدة واهتمامات جديدة ، أكثر جدية واستقامة من ذي قبل . وغدت ردة الفعل التي قادها باوند واليوت ضد « البرج العاجي » عند الجماليين امراً مسلماً به كما اصبحت وجهة النظر القائلة بأن الادب يجب ان يكون ذكياً و« سليماً في منطقة » مقبولة بدورها . وكذلك اصبح المفهوم القائل بان اهمية العمل الادبي تتناسب مع ما يلقيه من ضوء على القيم الاخلاقية ، وعلى الكيفية التي يجب ان يعيشها الناس . وتقدمت هذه التغيرات بفضل كتابات ف . ر . ليفز (F.R. Leavis) وهو ناقد مرهف متحمس لا يقبل بالحلول الوسط ، وانتشر تأثير نقده من الثلاثينات وما بعد من خلال تدريسه في جامعة كامبردج ، وعبر مؤلفيه « اتجاهات جديدة في الشعر الانجليزي » (New Bearings in English Poetry) (١٩٣٢) و« التقاليد العظيمة » (The Great Tradition) (١٩٤٨) وكتاباته في مجلة « تفحص » (Scrutiny) كما بدأت في العشرينات حركة نقدية متميزة نوعاً ما توضحت في مؤلفي أي . آ . ريتشاردز (I.A. Richards) « مبادىء النقد الادبي » (The Principles of Literary Criticism) (١٩٢٤) و« النقد العملي » (Pratical Criticism) (١٩٢٩) وتبنت هذه الحركة وجهة النظر القائلة بان الادب ودراسته انضباطان اجتماعيان ، قابلان للتحليل الدقيق شبه العملي .

وبما ان التغيرات وقعت فعلا ، لم يكن للحرب العالمية الثانية من تأثير على الكتابة مشابه لذاك الذي كان للحرب العالمية الاولى. وأحرز ثلاثة فقط من شعراء الحرب (ماتوا كلهم فيها) تفوقاً ثانوياً وهم الون لويس (Alun Lewis) في بضعة قصائد كشفت عن دلالات تبشر بنبوغ مرتقب لم يعش ليتمكن من تطويره ، وسيدني كيز (Sidney Keyes) ، الذي اعطى « ديوان قصائده » (Collected Poems) (١٩٤٥) انطباعاً اعظم مما تسوغه لها مآثره ، وكيث دوجلاس (Keith Douglas) ، وهو الوحيد الذي ابدى استجابة شعرية اصيلة على واقعة الحرب ، كما اظهر عظمة شعرية كامنة .

لم يكن لأي من هؤلاء الشعراء اكثر من تأثير عابر ، وحدث بالفعل التحول الادبي الشامل كانعكاس للتحول الاجتماعي . وكان الشعراء السياسيون في الثلاثينات اقرب الى الوضوح والبساطة بالمقارنة مع باوندواليوت. اما وليام امبسون (Willian Empson) وجورج باركر (George Barker) ودايلان توماس (Dylan Thomas) فأهم من نظم شعراً صعباً نوعاً ما في هذا العقد ومن بين هؤلاء الثلاثة كان باركر وتوماس هما الأكثر رؤى روحياً ، والاقل تأثراً بالاتجاه السائد في الشعر الانجليزي في الثلاثينات .

المسرحية في النصف الاول من القرن العشرين

أظهرت التطورات في المسرحية الانجليزية في السنوات الاولى من القرن العشرين تفاعلا معقداً للقوى المحلية والتأثير الاوربي ولاقت مسرحيات النقد الاجتماعي لهنريك ابسن (Henrik Ibsen) رواجاً كاسحاً على المسرح الانجليزي في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، وكان تأثيرها جلياً على المسرحيات الاولى لجورج برنارد شو. وبمثابرة شو على الكتابة أخذت مادته تبتعد بشكل متزايد عن مادة ابسن ، لان المضمون السياسي الواضح المعالم المطروح بطريقة مرحة ، والمواضيع ذات العلاقة بالاحداث الجارية التي في مسرحياته الاولى ، ومنها « الانسان والانسان الامثل » (Man and Superman) عرضت لاول مرة عام ١٩٠٥ و« ميجور باربارا » (Major Barbara) (١٩٠٥) تحولا الى اهتمامات سرمدية تأملية في رواياته

المتأخــرة ، كما في « العــودة الى ميتــوسيلا » (Back to Methuselah) (١٩٢٢) و« القديسة حنة » (St. Joan) (١٩٢٣) و« جنيف » (Geneva) (١٩٣٨) كما ظهر تأثــير ابســن في مسرحية أخــرى هي « المبعــدون » (Exiles) (١٩١٨) لجيمس جويس . وأظهر جون جالزورثي انه يمكن للهدف التعليمي والموضوع الجاد ـ وهو عنده موضوع العدالــة الاجتماعية ـ ان يعـطيا مسرحـاً جيداً ، وهــذا ما نجـده في « الصنــدوق الفضي » (The Silver Box) (١٩٠٦) و« كفــاح (Strife) (١٩٠٩) و« عدالــة » (Justice) (١٩١٠) . وعالــج هارلي جرانفيل ـ باركر (Harley Granville-Barker) موضوع الصراع بين المسؤ ولية الاخلاقية العامة ، والمسؤ ولية الاخلاقية الشخصية بإحساس ومهارة فكرية ، وذلك في بعض اعماله البـارزة ، وبخاصــة في « ارث فويسي » (The Voysey Inheritance) (١٩٠٥) كما كتبــت « مدرسة مانشستر » للكتاب المسرحيين مسرحيات كانت في افضل الاحوال واقعية ومسرحاً جيداً على حد سواء ، منها على سبيل المثال مسرحية « استيقاظ هنـدل » (Hindle Wakes) (١٩١٢) لستانلي هوتون . (Stanley Houghton) الا ان التطـور الاهم في هذه الفترة تجلي في المسرحية الشعرية ، وجاءت المساهمة الكبرى في هذا المجال من ايرلندا (انظر العنوان اللاحق « الادب الانجلو ـ ايرلندي »)

استمر «ت. س إليوت» في العمل على احياءالمسرحية الشعريةفي الثلاثينات اذ كتب « جريمة في الكاتدرائية » (Murder in the Cathedral) (١٩٣٥) و« اجتماع شمل الاسرة » (The Family Reunion) (١٩٣٩) وقفّى على اثر مبادرته هذه كتاب آخـرون منهــم اودين (Auden) وايشروود(Isherwood) ، الذي شارك في تأليف مسرحيات شعرية سياسية ابرزها « الكلب تحت الجلد » (The Dog Beneath the Skin) (١٩٣٥) و« صعــود فـ٦ » (The Ascent of F 6) (١٩٣٦) والهــم اليوت مجموعة من الشعراء والكتاب المسرحيين الدينيين منهم : رونالد دانـكن (Ronald Duncan) مؤ لف « هــذا طريق الضريح » (This Way is the Tomb) (١٩٤٥) ، ونورمان نيكلسون (Norman Nicholson) مؤ لف « عجوز الجبال» (The Old Man of the Mountains) (١٩٤٦ وكريستوفراي (Christopher Fry) ، الذي تأثر بتشارلز ويليامز(Charles Williams) ، وكان مدافعاً عن المسيحية وذا طاقـة غـير عادية في عرض الافكار اللاهوتية بشكل رمزي في اطار الحياة اليومية ، وهذا ما نجـده في

بالمقتضيات الصارمة للأوزان الشعرية الفرنسية التي كانت تحدد بعدد المقاطع اللفظية . والمهم وفق نظريته هو الايقاع الموسيقي لاعدد المقاطع اللفظية ، وأصبحت بالتالي الوحدة العروضية ممثلة بالعبارة ، وليس بالتفعيلة أو البيت الشعري . واستجاب لورنس لهذا التأثير القاري (الاوروبي) لكن على طريقته الخاصة ، لان الشعر الحر كان بالنسبة له وسيلة لتجسيد الفورية الأساسية غير المتكلفة للتجربة .

واشتملت الحركة المسماة بـ «التصويرية»(Imagism) على ما هو أكثر من النظم ، ومع هذا فان واحداً من مبادىء هذه الحركة كان «ان النظم يتم وفق سياق العبارة الموسيقية وليس وفق سياق الايقاع» ،وكان باوند واليوت من أهم الكتاب المرتبطين بهذه الحركة . أما الذي وفر الخلفية التجريدية للحركة ، فهو الفيلسوف والعالم الجمالي والشاعر ت . إي . هولم(T . E . Hulme) الذي شدد في مقالاته على الاستعمال الدقيق للكلمات ، وعلى التأثير النفسي لتتابع الصور المادية . ومن الكتاب المرتبطين بالحركة أيضاً الشاعر ف . س فلنت ، (F . S . Flint) ، والشاعر والروائي ريتشارد الدينجتون (Richard Aldington) الذي ظهرت أشعاره في المجموعات الشعرية «التصويرية الأربعة» والذي كان احد اعضاء هيئة تحرير «الأناني»(The Egoist) ـ وهي الناطقة غير الرسمية للحركة ـ وزوجته الشاعرة هيلدا دولتيل(Hilda Doolittle) . وقد نشر في مجلة «الشعر»(Poetry) في شيكاغو عام ١٩١٣ أول بيان عن خصائص الحركة التصويرية ، وكان مبنياً على أفكار الايجاز ، ونبذ المغالاة البيانية وصدق الشعور . وكانت الحركة نفسها قصيرة الأجل ، مع أن تأثيراتها جديرة بالاعتبار اذ أظهرت سمة أخرى لرد فعل متنوع ذاتي ضد السطحية والاطناب البياني (حوالي عام ١٩١٠) .

لقد ميز ويليام بتلر ييتس(William Butler Yeats) (قبل عام ١٩٠٠) شيئاً كهذا في شعر القرن التاسع عشر ، وأعلن ان الشعر الحقيقي يمكن ان يكتب اما للعلماء ، أو للفلاحين ، وليس لأحد سواهم . وبقوله هذا اظهر تجاوباً مع حياة الفلاحين الفطرية في بلاده ايرلندا من ناحية ، ومع فرنسا ، كمصدر للمثل الأدبية ، من ناحية أخرى . وتحول ييتس (Yates) عن الشعر الفكتوري

الانجليزي نحو الاعمال المتصلبة للرمزيين الفرنسيين لكنه قطع صلته خلال العقد الأول من القرن العشرين ، سواء في شعره أو في المسرحيات التي كتبها لمسرح كنيسة دبلن ، (Dublin Abbey Theatre) بالطرائق الادبية المميزة ، كتلك التي كان يدين بها لمجموعة الشعراء «قبل الرافائيليين»(Pre — Raphaelites) . وبكل الاحوال لم يكن ليلجأ الى «الحياة العادية» أو «الكلام العادي» عند الطبقات المتوسطة ، وانما لجأ الى أسلوب وجده بين الفلاحين أو الملاكين الايرلنديين المتنفذين والى مثل أعلى صارم للمسرحية الشعرية البعيدة عن الحياة اليومية .

ومنذ حوالي عام ١٩١٠ وما بعد ، شكل باوند (Pound) واليوت (Eliot) حركة الأقلية الرفيعة الثقافة ، التي نظرت الى الرمزيين ، والى الشاعر الفرنسي جول لافورغ (Jules Laforgue) كمثل يحتذى . وعلينا ان ننظر الى شعرهما كرد فعل مدروس على أعمال أكثر تقليدية ومقبولة لدى جمهور واسع من المستمعين المتوسطي الثقافة . زد على ذلك انهما ابتعدا بشكل ملفت للنظر عن الطبيعة وعن الريف ليعرضا مواقف واهتمامات نخبة المفكرين الرفيعة في العاصمة .

تأثير الحرب العالمية الاولى والسنوات السابقة للحرب العالمية الثانية

كان لا بد من ملاحظة شيء في الادب مختلف نوعياً بصورة رئيسية عما جرى قبله ، حتى في فترة مبكرة كتلك التي كتب فيها اليوت «الارض القفر» (Waste Land) (عام ١٩٢٢) . ان ما حاولته هذه القصيدة يقع تماماً خارج اهتمامات واتجاهات الرمزيين ، فقد حاولت ان تصور ورطة حضارة بأكملها ، أو بالاصح انهيارها . ويمكن ملاحظة تغير الاتجاه الرئيسي هذا في الاختلاف الحاد ما بين شعراء الحرب الاوائل أمثال جوليان جرنيفيل (Julian Grenfell) وروبرت بروك (Rupert Brooke) ، وما بين الشعراء المتأخرين امثال سيجفريد ساسون ، (Siegfried Sassoon) وويلفريد أوين (Wilfred Owen) وإيزاك روزنبرج (Isaac Rosenberg)

Rosenberg) . لقد ورث شعراء الحرب العالمية الاولى الاوائل موقفهم من الادب عن الحروب في الماضي وساد أعمال الشعراء المتأخرين منهم شعور مأساوي بالآلام التي سببتها الحرب ، أو انتقاد غاضب موجه ضد الذين أقروا الحرب أو أطالوا أمدها . ويشاطر باوند واليوت فيما نظما من أشعار بعد عام ١٩٢٠ القلق من بلوغ الجنس البشري زمن الأزمة ، معتبرين أن دعوة الشاعر الملحة هي في مجابهتها . وبذلك ارتفع تعبير الشاعر من الانتقاد الاجتماعي الى شيء يقترب من النبوءة . وتحرك ييتس ـ الذي كان على ارتباط شخصي طويل بباوند في تلك الفترة ـ في الايجاهد نفسه ، كما يتضح في قصائده وبخاصة في «القدوم الثاني» (The Second Coming) .

كان للحرب العالمية الاولى تأثيرها الحاسم على الادب القصصي بنفس المقدار على الشعر ، علماً بأن هذا التأثير ظهر على أنماط مختلفة بعض الشيء . فقد شهد مطلع القرن بداية التحرر السياسي الذي أحرز انتصاراً عظيماً في انتخابات عام ١٩٠٦ ، والذي كان مسؤ ولاً في السنوات التالية عن الرفاه الاجتماعي والتقدم المادي في بريطانيا ، راسماً بذلك نموذجاً للمستقبل . وانعكس هذا التحرر في الحياة الفكرية على البيوتات الكبيرة للأسر الارستقراطية الرئيسية ، كما كان على صلة قربى بالمجموعات الأكثر راديكالية امثال اعضاء الجمعية الفابية (Fabian Society) وعلى العموم اطلق اسم بلومسبري «على الكتاب والمفكرين الذين ألفوا هذه الحلقة وهم بياتريس» (Beatrice) وسيدني ويب (Sidney Webb) وجورج برنارد شو (George Bernard Shaw) وفرجينا وولف (Virginia Wolf) واي . م . فورستر (E . M . Forster) . وبلومسبري (Bloomsbury) هو اسم المنطقة الجامعية في لندن التي عاش وعمل العديد منهم فيها . وتشير كلمة «تحرر» في مجال الثقافة خلال تلك السنوات الى حركة كاملة للتحرر والانسانية والاهتمام بالقيم الرفيعة والسامية للحياة .

وانعكس هذا التحرر الفكري في روايات ا . م . فورستر (E . M . Forster) وفرجينا وولف (Virginia Woolf) وقيمها هي بحق قيم المفكر المتحرر نفسها . ورغم ذلك ترك عملهما الانطباع بان هناك ضعفاً في موقفهما يتعذر الدفاع عنه في عالم ما بعد الحرب ، ويتضح هذا الانطباع حتى في رواية «حيث

تخشى الملائـكة ان تطـأ» (Where Angels Fear To Tread) (١٩٠٥) . وهـي من الروايات التي كتبها فورستر قبل الحرب العالمية الاولى . ونجد الشيء نفسه في اولى روايات فرجينيا وولف بعـد الحـرب ، وهـي غرفـة جاكوب (Jacob's Room) (١٩٢٢) ، كذلك نجد عند فورستر اهتماماً بالحرية وبالشخصية الفـردية وتطـور الشخصية ، يمازج كل ذلك الخوف من افتقار هذه الخصائص الى القوة التي تمكنها من البقاء في العالم المعاصر المضطرب . ويتبين بعض القراء الافتقار الى الحيوية والى الايمان الراسخ حتى في أفضل أعمال هذين المؤلفين .

ان النظر الى فرجينا وولف على أنها نموذج للتحرر في المقام الاول أمـر نظـري بحت ، فرواية «مسز دالاوي» (Mrs . Dalloway) (١٩٢٥) تبين الشعور بطغيان المجتمع على الفرد ، أما رواية «نحو المنارة» (To the Lightouse) (١٩٢٧) فتظهر ما عند المفكرين من توتـر وفقـدان للثقـة بالنفس بينما تلمـح رواية «بـين الفصـول» (Between The Acts) (١٩٤١) الى كيفية تأثر حياة الأمة بالبيئة والتاريخ . الا ان ما يعطي هذه الكتب الميزة والقوة هو الشعور الانساني والرهافة النادرة والتجاوب مع عالم الشعور الحدسي والمشاعر العفوية .

وأشارت روايات الدوس هكسلي (Aldous Huxley) الى مرحلـة جديدة من مراحل قلق المفكر المتحرر لدى مجابهته للعالم المعاصر ، ويبدو أنه كان يشك بحقيقة الثقافة التحررية نفسها ، وليس بقدرتها على البقاء فحسب ، ولـذا بدت صورة وكأنها من صنع انسان فقد ايمانه بما كان يصور ، انسان خائف من الدمار الذي يهدد العالم الذي كان يصوره على أيدي دعـاة العنف والأشخـاص المفتقـرين للتفـكير السليم ، وهـذا ما يتضـح في روايتـه الاولى «أصفر الكروم» (Crome Yellow) (١٩٢١) . لم تؤكد روعته وعرضه للمعلومات بشكل فكه وساخر سوى الفـراغ الذي وجده في قلب الحضارة التي كان لا يزال ينتمي اليها . وتبـدو رواياتـه لدى مقارنتهـا بروايات فورستـر وفـرجينيا وولف ، مفتقـرة ، الى الاحســاس بالقيم الانسانية ، والى الاستجابة للحياة استجابة رقيقة ومتعاطفة ، والى الشعـر الحسي بالنسبة (لوولف) ، وهي أمور جعلت أعمالها ايجابية في طبيعتها الاساسية .

والانتقاد الحاد في روايات هكسلي الأخيرة ، والذي يبدو أحياناً هستيرياً تقريباً (وبخاصة في رواية «أعمى في غزة» (Eyeless in Gaza) (١٩٣٦) يجد نظيره في الموقف الساخر الذي وقفه ايفلين وف (Evelyn Waugh) من الثقافة التحررية ، ويتضح هذا في رواياته الانتقادية الثلاث «الانحطاط والسقوط» (Decline And Fall) (١٩٢٨) ، و«حفنة من تراب» (A Handful Of Dust) (١٩٣٤) و«زيارة برايد زهيد ثانية» (Brideshead Revisited) (١٩٥٤) . وضمن هذا المحتوى في الموقف المتطور نستطيع ان نفهم بشكل سليم حقيقة المشاعر التي نلقاها في روايات جراهام جرين (Graham Greene) ، وهي ان حياة الانسان تكون كئيبة قاسية لا جدوى منها عندما تفتقر الى الاحساس الديني عامة ، وكذلك الاحساس بالخطيئة والحاجة الى العناية الالهية خاصة ، وهذا ما نجده في رواياته الثلاث «صخرة برايتون» (Brighton Rock) (١٩٣٨) و«صلب المسألة» (The Heart of The Matter) و«نهاية المطاف» (The End Of The Affair) (١٩٥١) .

ونذكر في أدب هذا العصر كاتباً مختلفاً تماماً هو ت . إي . لورنس (T . E . Lawrence) المعروف باسم «لورنس العرب» والذي اشتهر بكتابه «اعمدة الحكمة السبعة» (Seven Pillars Of Wisdom) (١٩٢٦) ، وهو كتاب ذو أسلوب جاف ، ولكنه رصين ، ويعتبر كترجمة ذاتية موثوقة تتحدث عن الصراع العربي في سبيل الاستقلال عن الاتراك ، والذي لعب فيه الكاتب دوراً رئيسياً .

كانت بعض روايات ويندهام لويس (Wyndham Lewis) الاولى عبارة عن ردود فعل على التغير الاجتماعي ، اتبع فيها الكاتب - الى حد ما - أسلوب هكسلي كما في رواية «قرود الاله» (The Apes Of God) (١٩٣٠) بما فيها من احساس يشعر بالغثيان للتفاهة الكامنة في الكثير من الحياة الفكرية ، ولكن أعمال لويس سجلت احساساً عميقاً وادراكاً تأملياً للحقائق السائدة في مجتمع عصر الالة الحديث أكثر مما سجلته أعمال هكسلي ، ويتضح هذا في رواية تار (Tarr) (١٩١٨) ، ويتجلى اكثر تطوراً في رواياته الثلاث «عيد الابرياء القدسين» (Childermas Self —[1]

(١) يحتفل بعيد «الابرياء المقدسين» - الذي يحيي ذكرى ذبح هيردوت للاطفال - في الثامن والعشرين من شهر كانون الأول .

Condemned) (١٩٢٨) ، و«العصر الانسانـي» (The Human Age) (١٩٥٥ - ١٩٥٦) و«المدان ذاتياً» (١٩٥٤) . لقد آنس لويس في الآلة كما في المدينة خطراً على الذات الانسانية ، لان هناك شيئاً في الانسان نفسه يجعله يستجيب لسيطرة الآلة . ان تبصر لويس في أسس الحياة الحديثة قائم على أساس من العقلانية ورقة الاحساس في آن واحد . وان أعماله لتشكل انجازاً ايجابياً بارزاً .

جيمس جويس (James Joyce) : كانـت اولى انتماءات جويس الى دبلن (Dublin) والى التسعينات من القرن التاسع عشر ، واننا لنجد خلال أعماله كلها ضرباً من الاعتقاد بأن الفن كان ويجب ان يظل ابداً عالماً مستقلا قائماً بذاته . قد يكون جويس مديناً بالواقعية الواضحـة في أعمالـه المتأخـرة لابسـن (Ibsen) ، أو للروايات الفرنسية الواقعية كروايات زولا (Zola) ، الا ان أسلوبه الفـريد يبـدو وكأنـه ناشيء في الدرجـة الاولى عن صلاتـه بباونـد (Pound) واليوت (Eliot) ، والكتاب الفرنسيين الذين أثروا فيهما . بلور جويس في أعماله النثرية المتأخرة الردة عن الكتابة لذوي الثقافة المتوسطة ، الى اسلوب فني يرفض التدنـي الى مستـوى القاريء العادي ، أسلوب تتساوق فيه الافكار متلاحقة واحدة بعد أخرى بشكل يتضح بجلاء انه غير متعمد ، لكنه منظم بشكل دقيق ، وهذا ما نجده في «اوليس» (Ulysses) (١٩٢٢) ويقظة فينيجان (Finnegans Wake) (١٩٣٩) . وقد أدى هذا الى عرض ما بدا كأنه التفكير غير المنظم لشخص يحاول ان ينقل أفكاره جزئياً فقط الى بؤرة الوعي . وقد خلق جويس بتطويره هذا الأسلوب مادة كثيفة من تداعي المعاني مفادها تصوير العقل اثناء انهماكه في العمل . ومع هذا فـ«اوليس» لم تكن عملا ذا أسلوب بارع فحسب ، لان تجربة جويس المستمرة مع اللغة خلقت انطباعاً كاملاً عن الحياة اليومية في مدينـة كبـيرة كدبلن ، وذاك أمـر لا يضارعــه الا القليل في الأدب ، هذا إن وجد ، وهو رائع كذلك لما فيه من ظرف وانسانية متداخلين .

د . هـ لورنس (D . H . Lawrence) : جاء د . هـ . لورنس من الجــزء الشمالي الـداخلي لانجلتـرا ، حيث كانـت الحياة الـريفية تفسـح بسرعـة مكانـاً للتصنيع ، وكان متأثراً بتوماس هاردي . الذي شاركه شيئاً من تجربة رؤية زوال تتخطى النمط القديم من الحياة . وقد ظهر تطوره الذاتي أكثر من مرة في رواياته

« عرين الاسد » (١٩٣١) (The Place Of The Lion) . وطور فراي اسلوباً خاصاً نابضاً بالحياة ، وان يك متكلفاً بعض الشيء ، كما يتضح في افضل مسرحياته وأهمها « السيدة ليست للحرق » (The Lady's Not for Burning) (١٩٤٨) .

اتجاهات الكتابة بعد الحرب العالمية الثانية

الشعر بعد عام ١٩٤٥ :

مثل امبسون (Empson) وتوماس (Thomas) تراجعا عن خط باوند ـ اليوت المبكر اكثر مما مثلا استمراراً له . وتأثر الشعراء المتأخرون بنقد امبسون المبين في مؤلفيه «سبعة نماذج للغموض» (Seven Types Of Ambiguity) (١٩٣٠) «وتركيب الكلمات المركبة» (The Structure Of Comlex Words) (١٩٥١) وتأثروا كذلك بشعره ، الا انهم لم يجاروه بشعوره الحاد الضيق الافق أو بابداعه العقلي ، بل اكتفوا بتبني سخريته الموجزة ولهجته اللامبالية . والملاحظ ان الكثيرين ممن استفادوا من امبسون ، كجون وين (John Wain) ودونالد دافي (Donald Davie) و . د . ج انرايت (D.J.Enright) اقتربوا بشكل متزايد من الشاعر والروائي والناقد روبرت جريفز (Robert Graves) وحافظ جريفز في الشعر خاصة على الاستمرارية الادبية ، مع التقاليد السابقة للكتابة الانجليزية . اما الاستخدام الخلاق للاساطير والتاريخ في رواياته فناجم عن اهتمامات خاصة ناشئة عن سعة معرفة ، كما أوضح بايجاز في مؤلفه «الآلهة البيضاء» (The White Goddess) (١٩٤٨) وأما في مجال النقد فكان رائداً للتحليل الدقيق . الا انه ـ بكل الاحوال ـ انسحب من المعركة الى حد ما ، كما فعل و . هـ . اودين .

كانت اشعار اودين المتأخرة ـ نوعاً ما ـ دينية الايحاء كما هي الحال في اشعار ت . س . اليوت المتأخرة ، وأظهرت اهتماماً فردياً رفيعاً بالمعرفة التاريخية ، وبالبراعة اللغوية كما نتبين في «حول البيت» (About The House) (١٩٦٥) و«مدينة

بلا اسـوار» (City Without Walls) (١٩٦٩) . وحافظـت اشعـاره المتأخـرة على الاستمرارية الادبية مع أشعاره المبكرة من حيث خاصيتهـا الغنـائية واستخدامهـا مفردات وتراكيب تذكرنا بتوماس هاردي أكثر مما تذكرنـا بباونـد واليوت . وأعلن فيليب لاركن (Philip Larkin) عن اعتقاده بان هاردي كان شاعر القـرن العشرين الكبـير الاصيل . وأظهـرت أعمالـه تأثـير هاردي وادوارد تومـاس (Edward Thomas) ، كذلك خاصية «انجليزية» متحفظة بعض الشيء غنائية في اغلبها كما نجد في «الاقل انخداعاً» (The Less Deceived) (١٩٥٥) و«اعراس العنصرة» (The Whitsun Weddings) (١٩٦٤) ومثل روى فوللر (Roy Fuller) الروعـة السلسـة المشذبة لهذه النزعة في أفضل حالاتها ، وبخاصة في اشعاره المتأخـرة الموجـودة في «مجموعة شعرية» (Collected Poems) (١٩٦٢) «وقصائـد جديدة» (New Poems) (١٩٦٨) .

بحلول الستينات صارت الصفات الغالبة في الشعر الانجليزي الحديث هي الادراك السليم الفطن والطابع المنتقى بعناية ، والمهارة الحرفية المنضبطة والـذكاء الحاد، كما نتبين خاصة في الاشعار التي ضمنها أ. الفاريز (A.Alvaris) في مجموعة «الشعر الحديث (The New Poetry) (١٩٥٧) ، والمتضمنـة اعمال شعـراء انجليز هامين من الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية. وصنف ثلاثة من هؤلاء الشعراء مع لاركن كأبرز شعراء تلك الفترة ، رغم انهم نظموا باساليب جد متغايرة وأول هؤلاء توم جن (Thom Gunn) ، مؤلف «شروط القتـال» (Fighting Terms) (١٩٥٤) و«قباطنتـي الحزانـى» (My Sad Captains) (١٩٦١) و«لمسـة» (Touch) (١٩٦٧) ومجموعات اخرى ، وثانيهم تيد هيوز (Ted Hughes) ، مؤلف «الصقر تحـت المطـر» (The Hawkin The Rain) (١٩٥٧) و«ودوو» (Wodwo) (١٩٦٧) و«صيحة» (Crow) (١٩٧١) ، ثم دافي (Davie) مؤلف «اشعار ايسكس» (Essex Poems) (١٩٦٩) . وظهر تأثير أوائل شعر د . هـ . لورنس في معظـم اشعـار هيوز ، بينما تجلت عند جن تأثيرات القارة الاوروبية والكتابة الامريكية . وصنف بعض النقاد المتأخرين الشاعرة الامريكية الاصـل سيلفيا بلات (Sylvia Plath) في منزلةسامية، وكانت تنظم الشعر في انكلترا في هذه الفترة . وهي زوجة الشاعر تيد

هيوز ، وقد تفوقت في عملها الاول الـرقيق «التمثـال الضخـم» (The Colossus) (١٩٦٠) ، الذي كان بشيراً بالانتاج العظيم الذي نشر بعد وفاتها ، حيث تضمن «آرييل» (Ariel) (١٩٦٥) و«عبور الماء» (Crossing The Water) (١٩٧١) ، وهما العملان اللذان جابهت فيهما بمهارة وذكاء احتمالات الموت والنسيان المروعة الشديدة الايلام .

وظهر تأثير الشاعر الامـريكي والاس ستيفنس (Wallace Stevens) في أعمال تشارلـز توملنسـون (Charles Tomlinson) ولا سيما في «منظـر طبيعـي مأهول» (Peopled Landscape) (١٩٦٣) و«طـريق العالـم» (The Way Of a World) (١٩٦٩) الا ان توملنسون تجنب زخرفة ستيفنس اللامعة وتفلسفه ، لذا امتـازت أفضل أعماله بالإحكام الدقيق في الصنعة ، وبصدق ودقـة رؤ ياهـا . وشـاركت اليزابيث جيننغز (Elizabeth Jennings) شعـراء آخـرين في تلك الفتـرة خصـائص البساطة والوضوح والاسلوب المباشر ، كما نتبين في مؤلفيها «طريقة في النظر» (A Way Of Looking) و«قصائد مجموعـة» (Collected Poems) (١٩٦٧) . وهنـاك شاعر آخر احرز نجاحاً مرموقاً في الخمسينات والستينـات هو قس ويلـزي يدعـى ر . س . توماس (R . S . Thomas) الذي كتب «اغنية في نهاية العام» (Song At The Year's Turning) (١٩٥٥) و«بيتا أو المنتحبة» (Pieta) (١٩٦٦) والذي حاكى باسلوبه ورد زورث (Wordsworth) ، الا ان طريقته في الكلام غير المترابط وضعته في الاتجاه السائد للشعر عهد ذاك .

الادب القصصي بعد الحرب

اتضح بعد عام ١٩٤٥ ان ثورة ادبية ثانية كانت على الطريق ، لكنهـا على العموم أقل اثـارة وأدنـى أهمية من ثورة العقـد الثانـي من هذا القـرن . وربمـا باستطاعتنا متابعة التغيير بمقارنة فرجينيا وولف باليزابيث بوون (Elizabeth Bowen) مؤلفة «موت القلب» (The Death Of The Heart) (١٩٣٨) و«حرارة النهار» (The Heat Of The Day) (١٩٤٩) و«انظر الى كل هذه الـورود» (Look At All Those

(Roses ١٩٤١). ولم تكن احاسيس بوون وموضوعاتها مختلفة عن فرجينيا وولف، الا ان اطارها الفكري اقل تماسكاً. وأداؤها أقرب الى الاسلوب التقليدي. أما الاصالة والتجديد الفنيان عند جيل الاوائل فلم يتابعهما احد في الخمسينات والستينات، ما خلا واحدة من جيل الروائيين الاوائل، هي الروائية البارزة آيفي كومبتون ـ بيرنيت(Ivy Compton — Burnett) ، مؤلفة «قساوسة وسادة» (Pastors And Masters) (١٩٢٥) و«العائلة ورب العائلة» (A House And Its Head) (١٩٣٥) و«آباء وأبناء» (Parents And Children) (١٩٤١) و«الحاضر والماضي» (The Present And the Past) (١٩٥٣) . وواضح ان انتاجها المحدود المتميز بعمق المعالجة كان يبحث بأمانة في الحياة العائلية للطبقة المتوسطة العليا في ريف انجلترا في اواخر العصر الفيكتوري لكن الشخصيات والاحداث المطروحة باسلوب تقليدي مركز، والسخرية الصريحة في جديتها في الحوار العنيف الحاد، أمور توحي بعالم من العدوان المحكم والخفي ومن الغرور والحرمان، ومن المحبة والكراهية العائليتين الشديدتي التعقيد، وكنتيجة لهذا كان عملها خالداً ومثيراً الى حد بعيد .

كانت مؤلفات آيفي كومبتون ـ بيرنت على تشابه محدود بالاسلوب الادبي التقليدي والسخرية اللاذعة عند بعض روائيي اوائل القرن العشرين، كفريدريك رولف (Frederick Rolfe) مؤلف هادريان السابع (Hadrian The Seventh) (١٩٠٤) ورونالد فيربانك (Ronald Firbank) ، مؤلف «فيما يتعلق بغرابة اطوار الكاردينال بيرلي» (Concerning The Eccentricities Of Cardinal Pierelli) (١٩٢٦)، وميريديث، (Meredith) ، ذلك الروائي من القرن التاسع عشر . ومع ان هذا يوحي ببعض الاستمرارية الادبية في اعمال آيفي، لكنه يوضح عزلتها بآن معاً . وأصبح الابتعاد عن الطليعيين، وعن أدب رواية الطبقة المتوسطة العليا واضحاً أيضاً بعد الحرب، اذ عالج انجوس ويلسون (Angus Wilson) الاوضاع والاحوال السائدة في الطبقة المتوسطة باسلوب يمازجه الحنو بالسخرية، انما في حبك روائية غير محكمة تستند الى تتابع الاحداث، وشخصيات تذكرنا بشخصيات ديكنز والتزام عام بالاساليب التقليدية، كما نتبين في «المجموعة الخاطئة» (The Wrong

Set) (١٩٤٩) و«الشوكران [1] وما بعد» (Hemlock And After) (١٩٥٢) و«مواقف انجلو ـ ساكسونية» (Anglo — Saxon Attitudes) (١٩٥٦) و«مسألة لا تدعو الى الضحك» (No Laughing Matter) (١٩٦٧) . أما روايات «غرباء وأشقاء» (Strangers And Brothers) (١٩٤٠) و«السادة» (The Masters) (١٩٥١) و«دهاليز القوة» (Corridors Of Power) (١٩٦٤) للروائي سي . ب . سنو (C . P . Snow) ، ورواية «صورة من الحياة الزوجية» (Scenes From Married Life) (١٩٦١) لويليام كوبر (William Cooper) ، فكانت بدورها روايات تقليدية الاسلوب عالجا فيها البيروقراطية والحياة الاجتماعية في عالم الطبقة المتوسطة بعد الحرب . الا ان سنو لم يبلغ خفة وواقعية صور كوبر ، الذي راد ارضاً جديدة في كتابه «مشاهد من الحياة الريفية» (Scenes From Provincial Life) (١٩٥٠) ، بتصويره الهادىء المتراخي والفكه والصريح لحياة الشباب المنعزلين في الأقاليم ، ولكن لا يمكن اعتبار هذا الكتاب على انه مجرد بشير ورائد . وكان انتقاد كوبر الهادىء ناشئاً عن موقف تأييد عام ، ولكن العديد من الروائيين المتأخرين بدوا وكأنهم في ثورة متعمدة على طموحات الطليعيين الاوائل معادين اي شيء تشتم منه رائحة «الرفعة» أو «الزيف» واشهرهم الكاتبان اللذان برزا في الخمسينات ، وهما كنجسلي اميس (Kingsley Amis) ، مؤلف «جيم المحظوظ» (Lucky Jim) (١٩٥٤) و«احصل على فتاة مثلك» (Take A Girl Like You) (١٩٦٠) و«العصبة المعارضة للموت» (Anti — Death League) (١٩٦٦) وجون وين (John Wain) ، مؤلف «اسرع هبوطاً» (Hurry On Down) (١٩٥٣) و«العيش في الحاضر» (Living In The Present) (١٩٥٥) و«السماء الأصغر» (The Smaller Sky) (١٩٦٧) وكنتيجة لذلك أصبحا يعرفان جماعياً في اطار مجموعة من رفاقهما باسم «الشبان الغاضبون» . الا انه باستطاعتنا ان نجد مواقف سابقة مماثلة لهذه في الخلفية الريفية للطبقة الدنيا ، وفي رفض قيم «ذوي الرفعة» لدى كتاب من أوائل القرن العشرين من أمثال بينيت (Bennett) وويلز (Wells) .

---

(١) الشوكران نبات ذو أوراق بديعة وازهار بيضاء سامة .

وتجلى التطور المذهل في أواخر الخمسينات واوائل الستينات في بزوغ ادب قصصي اصيل عن الطبقة العاملة او القريبة منها ، لكن المدهش فعلا هو تأخر حدوث ذلك تلك الفترة الطويلة . وبرز الى الوجود أدب قصصي يعالج حياة الطبقة العاملة يشابه في نظرته وجهة نظر هذه الطبقة ، كما نجد في اعمال جون برين (John Braine) «غرفة على السطح» (Room At The Top) (١٩٥٧) و«الحياة في الأعلى» (Life At The Top) (١٩٦٢) وفي مؤلفات الان سيليتو (Alan Sillitoe) «مساء السبت وصباح الأحد» (Saturday Night And Sunday Morning) (١٩٥٨) و«وحدة عداء المسافات الطويلة» (The Loneliness Of The Long Distance Runner) (١٩٥٩)، وفي «بيلي الافاك» (Billy Liar) (١٩٥٩) لكيث ووترهاوس (Keith Waterhouse) و«يوم السردين» (The Day Of The Sardine) (١٩٦١) لـ سد شابلن (Sid Chaplin) و«نوع من الحب» (A Kind Of Loving) (١٩٦٠) لـ ستان بارستو (Stan Barstow) وقبل كل هؤلاء دافيد ستوري (David Storey) في «هذه الحياة الرياضية» (This Sporting Life) (١٩٦٠) . ومحتمل انه كان هناك قليل من التجديد ، ولربما لا شيء منه في التكنيك ، لكن هذا التطور غير التافه يجب ان ينظر اليه على انه جزء من حركة لتأكيد وجود ثقافة خاصة متميزة لشمال انكلترا ، ولبيان الفرص المتزايدة التي مكنت ابناء الطبقة العاملة من المشاركة في التعليم العالي على مختلف المستويات وكذلك التأثير الذي تركه وصف ريتشارد هوجارت (Richard Hoggart) الدقيق لثقافة الطبقة العاملة الانجليزية في أيامه، وذلك في مؤلفه «فوائد معرفة القراءة والكتابة» (The Uses Of Literacy) (١٩٥٧) . وليس ببعيد ان هؤلاء الروائيين طوروا مواقفهم وتكنيكهم متأثرين بـ وين (Wain) وأميس (Amis) ورفاقهما ولكن بينما عالجت مجموعة الروائيين الاوائل اختيار مواقف معينة في حياة الطبقة المتوسطة كان اهتمام الروائيين الجدد بعملية الارتقاء الى مستوى اعلى في حياة الطبقة العاملة ، أو الانتقال الى الطبقة المتوسطة .

قد يكون هناك روائيون آخرون على ارتباط بهذا الاسلوب الواقعي التقليدي في الكتابة ، بله احياناً ضد ما يجاهرون به . وهكذا نجد لورنس دوريل (Lawrence Durrell) مؤلف «رباعية الاسكندرية» (The Alexandria Quartet) (اربعة

روايات ، ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠) يجاهر بان أدبه القصصي ارتكز على قاعدة النسبية العلمية ، بينما لم يَبْدُ الا القليل من عمله السطحي البريق مؤ يداً لاقواله . ونجم بريق دوريل بصورة رئيسية عن اختياره مدينة اجنبية غريبة الطراز كمسرح لاعماله ، وذلك من رواسب العهد الاستعماري في التاريخ الانجليزي . كان انتوني بيرجس (Antony Burgess) في الفترة نفسها تقريباً يكتب أفضل اعماله «الثلاثية الماليزية» (A Malayan Trilogy) (١٩٥٦ ـ ١٩٥٩) المشحونة بالانتقاد والسخرية والتصوير الحي والقدرة البارزة على الوصف والتي تضمنت احساساً عميقاً بزوال الحكم البريطاني . وبكل الاحوال كانت هذه الاعمال تنتمي الى تقليد واقعي في الفن الروائي شأنها شأن روايات وف (Waugh) الافريقية ، او روايتي جراهام جرين (Graham Greene) «صلب المسألة» (The Heart Of The Matter) (١٩٤٨) و«الامريكي الهادىء» (The Quiet American) (١٩٥٥) ، وتجري احداثها جميعاً في بلدان جنوب شرقي آسيا . أما رواية مالكولم لوري (Malcolm Lowry) المعقدة «تحت البركان» (Under The Valcano) (١٩٤٧) فتعتبر من الاعمال البارزة التي تعكس بصورة غير مباشرة أفول «الحكم» البريطاني . ويشمل انتاج بيرجس (Burgess) المتنوع أعمالا اكثر تجريبية ، منها «البرتقالة الآلية» (١٩٦٢) ، وهي شبه مهزلة من نوع «الفارس» تتميز بالعنف الوحشي .

ان الارتباط في أعمال ايريس مردوخ (Iris Murdock) غير محدد المعالم ، فقد كانت فيلسوفة جامعية بحكم مهنتها ، ظهر تأثير الفكر الوجودي الفرنسي في اولى رواياتها «تحت الشبكة» (Under The Net) (١٩٥٤) ، أما «الفرار من الساحر» (The Flight From The Enchanter) (١٩٥٦) و«الجرس» (The Bell) (١٩٥٨) و«وردة غير رسمية» (An Unofficial Rose) (١٩٦٢) ، وهي من أعمالها المتأخرة ، فبدت أقل عالمية . ولربما ما جعلها أمتع وأعقد كتاب الرواية الانجليزية الذين ظهروا منذ الحرب ، ما بذلته من محاولة في مجال تحركات المشاعر الانسانية العميقة ، كما في «حلم برونو» (Bruno's Dream) (١٩٦٩) ، وايجازها الشعري ، وخصبها الخاص في خلق الشخصيات والاحداث ، وأحياناً ، استخدامها البارز للاساطير القديمة كما في «رأس مقطوع» (A Severed Head) (١٩٦١) و«أحادي القرن» (The Unicorn) (١٩٦٣) .

وعلى كل حال ، بدأ مع ايريس مردوخ اتجاه نحو استمرارية أدبية أخرى في الفن الروائي ، وهي استمرارية اكثر ابداعية ، فلسفية وخيالية بالفعل ، الا انها اقل بروزاً وجلياً للاهتمام لأن طبيعة الحالة اقتضت ان تكون أكثر تنوعاً ، ومع هذا جاءت لتثبت أقدامها بقوة في مواجهة الاستمرارية «الواقعية» . ولا ريب في ان الاخوين باوس (Powys) كانا أبرز الاشخاص في هذا المجال في مطلع هذا القرن .

ان أهم روايات ج . سي . باوس (J . C . Powys) والتي وقعت معظم احداثها في «ويكس» وهي «الذئب سولنت» (Wolf Solent) (١٩٢٩) و «قصة جلاستون بيري» (A Glastonbury Romance) (١٩٣٢) و«رمال ويموث» (Weymouth Sands) (١٩٣٤) ، تذكرنا الى حد ما بأعمال توماس هاردي ، لكن بأصالة في التنويع والغزارة ، وبعمق وقوة ذات فصاحة خالية من البراعة احياناً ، وتطور عميق ومعقد للوعي السامي . وكان لباوس أيضاً تشابه معين مع لورنس ، الذي كان في الواقع أصغر منه ، ولكنه لم يعمر كثيراً . وكان شقيقه ت . ف . باوس (T . F . Powys) يتطور في الاتجاه نفسه كما تدل روايته «خمرة مستر ويستون الجيدة» (Mr. Weston's Good Wine) (١٩٢٧) . وكذلك كان ل . هـ . مايرز (L . H . Myers) في ثلاثيته الهندية «الجذر والزهرة» (The Root And The Flower) .

وعندما تراجعت حركة الطليعيين ، بدا ج . سي . باوس أقل عزلة وأكثر أهمية . وأظهرت روايات ميرفن بيك (Mervyn Peake) طاقة وغنى في الوصف ، وقدرة على خلق الشخصيات الغريبة الهائلة ، فيما يمكن النظر اليه الان كمجاز رمزي طموح للانحطاط والحياة العصرية ، وهذا هو ما تظهره روايات «تيتوس كرون» (Titus Groan) (١٩٤٦) وجورمنجاست (Gormenghast) (١٩٥٠) والرواية الاقل اتقاناً وان كانت لا تقل عنهما روعة «تيتوس بمفرده» (Titus Alone) (١٩٥٩) والتي كتبت خلال مرضه الأخير . ويظهر تأثير باوس على اندرو سنكلير (Andrew Sinclair) في روايته الخيالية «جوج» (Gog) (١٩٦٧) التي تدل على سعة المعرفة ، ويتميز اسلوبها بالتكلف والبذاءة أحياناً . الا ان للكاتب نفسه روايات أخرى أقرب الى التقليدية ، منها «صديقي جوداس» (My Friend Judas) (١٩٥٩) «وتحطيم بمبو» (The Breaking of Bumbo) (١٩٧٠) . كما تظهر فروق مماثلة في روايات جون فاولز (John Fowles) ، كتلك التي نجدها بين روايته الاسطورية

الطمـوح «المجـوسي» (The Magus) (١٩٦٦) وبـين «الجابـي» (The Collector) (١٩٦٥) أو امرأة الملازم الفرنسي (The French Lieutenant's Woman) (١٩٦٩) .

وفي هذا الصـدد نستـطيع ان نذكر رواية ج . ر . ر . تولـكن (J . R . R . Tolkien) «سيد الخواتـم» (The Lord Of The Rings) (١٩٥٤ - ١٩٥٦) وهي من «حكايات الجان» الوصفية المتقنة . كما تميزت معظم أعمال ويليام جولدنغ (William Golding) بخصائصها الخيالية والشعرية ، منها «السقوط الحر» (Free Fall) (١٩٥٩) و«البرج» (The Spire) (١٩٦٤) و«الهرم» (The Pyramid) (١٩٦٧) ، الا ان أنجح أعماله اطلاقاً كانت «سيد الذباب» (Lord Of The Flies) (١٩٥٤) والتي حول فيها القصة التقليدية لمغامرات الاطفال في الجزيرة المجهولة الى قصة خرافية اخلاقية مفزعة تتحدث عن الطبيعة الانسانية الشريرة ، وعن الانحلال والفساد .

ووقف بعض الكتاب خارج الصورة العامة . فالفن الروائي عند صامويل بيكيت الايرلندي الاصل الذي يكتب بالفرنسية (انظـر العنـوان اللاحـق «الادب الفرنسي في القرن العشرين» ، بما في هذا الفن من حنو وقلق وتجارب جريئـة في الاسلوب ، تذكرنا بأعمال صديقه جيمس جويس ، وبالمجددين في الفترة الاولى من هذا القرن . كما كان هناك روائي بارز آخر من روائيي ما بعد الحرب هو انتوني باول (Anthony Powell) ، وقد ظهر وجهها التطور لديه في مسلسله الروائي «موسيقى الزمن» (The Music Of Time) (١٩٥١) ، وفي مجموعات سابقة ، منها «رجال بعد الظهر» (Afternoon Men) (١٩٣١) وفيها نجـد أوجـه شبـه مع أعمال ايفلـين وف الانتقادية ، والتي ركز فيها باول على الحياة البوهيمية في لندن الثلاثينـات ، أمـا مسلسله «موسيقى الزمن» فيذكرنـا بمـارسيل بروسـت (Marcel Proust) و«برباعية الاسكندرية» لدوريل - ان عالم الطبقة الاجتماعية العليا الشاذة أو المريضة الـذي صوره باول كان فريداً في الأدب الروائي لتلك الفترة .

مسرحية ما بعد الحرب (Postwar Drama)

طرأ تغير هام على المسرحية الانجليزية بعد الحرب العالمية الثانية . فطمـح اليوت ان يعيد تقديم نوع من المسرحية الشعرية الى المسرح التجاري ، وبالفعل

صار موقفه بعيداً عن الموقف الكامن وراء أعمإله الشعرية الاولى ، لذلك اعتبرت مسرحياته المتأخرة ـ ومنها «حفلة السكوكتيل» (The Cocktail Party) (١٩٤٩) و«الكاتب الموثوق» (The Confidential Clerk) (١٩٥٣) ـ نوعاً من العمل المميز للمسرح التجاري ، أكثر من كونها مسرحية شعرية بالمفهوم الشعري الطموح . وهكذا ـ حتى اليوت في مسرحياته المتأخرة ـ كان يمثل حركة آخذة بالابتعاد عن الأفكار الطليعية في العشرينات ، باتجاه اسلوب تقليدي النوعية يلقى قبولاً عاماً .

وعلى كل ، فان أهم التطورات المسرحية منذ أواخر الخمسينات وما بعد كانت في المسرحية النثرية ، التي سارت متماثلة الى حد ما مع التطورات في الرواية . وتقدم عدد من الكتاب المسرحيين الشباب يلقون تشجيع «شركة المسرح الانكليزية في الساحة الملكية في غربي لندن» (English Stage Company At The Royal Court West London) ومن معمل جون ليتل وود للانتاج المسرحي في شرقي لندن (Joan Littewood's Theatre Workshop In East London) وعدة مسارح أخرى اقليمية ، ورفض هؤلاء الكتاب في رواياتهم اهتمامات الطبقة المتوسطة وقيمها السائدة في مسرحيات الصالونات الهازلة ، وشرعوا يصورون القيم والمواقف اليومية في حياة الناس العاديين لفترة ما بعد الحرب . وكانت نقطة التحول في بداية هذا التغيير مسرحية جون اوسبورن (John Osborne) «التفت خلفك بغضب» (Lock Back In Anger) (١٩٥٦) وتبعتها «المغني» (The Entertainer) (١٩٥٧) ومسرحيات أخرى وصولا الى «غربي السويس» (West Of Suez) (١٩٧١) . وكان هناك عدد من المسرحيين الاخرين نذكر منهم ارنولد ويسكر (Arnold Wesker) مؤلف «حساء الدجاج مع الشعير» (Chicken Soup With Barley) (١٩٥٨) و«الجذور» (Roots) (١٩٥٩) ، وغالباً ما كانت مسرحياته مفككة ، الا أنها ذات رؤ يا شاملة تعتمد على مواقف سياسية يسارية واضحة ، وجون آردن (John Arden) ، مؤلف «عيشوا كالخنازير» (Live Like Pigs) (١٩٥٨) و«رقصة الرقيب موسجريف» (Sergeant Musgrave's Dance) (١٩٥٩) ، وشيلد ديلاني (Shelagh Delaney) في «طعم العسل» (A Taste Of Honey) (١٩٥٨) وتشارلز وود (Charles Wood) في «عقدة شريط القبعة» (Cockade) (١٩٦٥) ، وهالرولد بنتر (Harold Pinter) مؤلف

«الوكيل»(The Caretaker) (١٩٦٠) ، و«العودة الى الوطن»(The Home coming) (١٩٦٥) . وكان الحوار «اللامعقول» ذو الأسلوب الرفيع غالباً ، وتسلسل الأحداث في مسرحيات هؤلاء الكتاب يوحيان بوجود صلة مع اوجين يونيسكو (Eugene Ionesco) . ويمكن ان يقال ما يشبه ذلك من مسرحيات آن جيليكو(Anne Jellicoe) ، الكاتبة التي كانت مسرحيتاها «العوبة أمي المجنونة»(The Sport Of My Mad Mother) (١٩٥٦) و«المهارة»(Knack) (١٩٦١) ذواتي ابداع وفير ، حيث يتداخل الغناء واللهو والسفاسف في عقدة ذات ادراك نفسي . وكانت الطرق الاكثر تحرراً في الانتاج المسرحي ، ومنها المشاهد المتعددة في وقت واحد الى غير ذلك من الابتكار في التكنيك ، هي السبب والنتيجة معاً للكتابة المسرحية الأكثر تحرراً ، وهذا ما نجده في مسرحية «مدينتهم الذهبية»(Their Very Oun And Golden City) (١٩٦٦) لويسكر(Wesker) وفي «زنبقة في الهند الصغيرة»(A Lilly In Little India) (١٩٦٦) لدونالد هوارث(Donald Howarth) ، أو في مسرحيتي هنري ليفينج (Henry Living) «اية ؟» (١٩٦٥) و«السيدة فوستر شو الصغيرة»(The Little Mrs. Foster Show) (١٩٦٩) .

وأخذت الوقائع والاحتجاجات الاجتماعية المباشرة في منتصف الستينات تفسح الى حد ما المجال للمسرحيات التي أظهرت روحاً شعرية وخيالاً جامحاً ، وحتى اسلوب «اللامعقول» مع ان معظمها كان نثراً . وبين العديد من هؤلاء الكتاب يمكننا الاشارة الى جايلز كوبر(Giles Cooper) مؤلف «العائلة السعيدة» (Happy Family) (١٩٦٧) ، وبيتر تيرسون(Peter Terson) ، مؤلف «ريزرفوي الجبار»(The Mighty Reservoy) (١٩٧١) . وهناك عدد آخر من الكتاب الهامين هم توم ستوبارد(Tom Stoppard) مؤلف «لقد مات روزنكرانتز وجيلدنسترن» (Rosencrantz And Gujildenstern Dead) (١٩٦٨) وبيتر شافر(Petter Shaffer) مؤلف «تمرين الأصابع الخمس»(Five Finger Exercise) (١٩٥٨) و«المطاردة الملكية للشمس» (The Royal Hunt Of The Sun) (١٩٦٤) ، ودافيد ستوري (David Storey) مؤلف «الوطن» (Home) (١٩٧٠) «انظر أيضاً العنوان السابق» «الادب القصصي بعد الحرب» وبيتر نيكولز(Peter Nichols) ، مؤلف «يوم في نهاية جو إج» (A Day In The Death Of Joe Egg) (١٩٦٨) «والصحة العامة للوطن»(The National

Health) (١٩٦٩) ، وجو اورتـون (Joe Orton) ، مؤلف «تسـلية السيد سلـون» (Entertaining Mrs . Sloane) (١٩٦٥) و«الغنيمة» (Loot) (١٩٦٨) . وبرزت أهمية تأثير الكتابـة للمسرحية الاذاعية في هذا المجـال . وكانـت مسرحية «تحـت برميل الحليب» (Under Milk Wood) (١٩٥٣) لديلان توماس (Dylan Thomas) واحدة من أبرز التمثيليات الاذاعية ، ويمكننا الاشارة في السنوات التـالية الى مسرحية باري بيرمانج (Barry Bermange) . الهشة المرعبة «بلا رحمـة» (١٩٦٨) ، ومسرحية بنتـر (Pinter) المثيرة جداً «المنظر» (Landscape) (١٩٦٨) والتي استخدم فيها المونولـوج الداخلي . أما مسرحية روبرت بولت (Robert Bolt) التي لاقت نجاحاً مسرحياً شعبياً وهي «رجل لكل الفصول» (A Man For All Seasons) (١٩٦٠) فكانت واحدة من عدة مسرحيات نجحت كأفلام سينمائية . وبدوره انتج التلفزيون مسرحيات ممتعة منهـا «قف يا نيجـل بارتـون» (Stand Up Nigel Barton) (١٩٦٨) و«صوتـوا ، صوتوا ، صوتوا لنيجل بارتون» (Vote Vote Vote For Nigel Barton) (١٩٦٨) من تأليف دينيس بوتر (Dennis Potter) و«التحدث الى غريب» (Talking To a Stranger) (١٩٦٧) لجون هوبكنز (John Hopkins) ، بالاضافة الى مسرحيات لاقت نجاحـاً شعبياً ، كمسرحية جيريمي ساندفورد (Jeremy Sandford) «كاثي عودي الى البيت» (Cathy Come Home) (١٩٧١) . ان احتمالات التغيير التي تؤثر بشكل عميق على أدب المستقبل وربما تزيد من جاذبيته الزائلة ، بينما تنقص من قيمته الخالدة ، تكمن في هذه العلاقة المتبادلة ما بـين المسرحية ووسائـل نقلهـا للجمهـور ، فضـلاً عن السيطرة المتزايدة للبعد البصري ، في كثير من الأعمال الفنية المسرحية .

الخاتمة : ان نظرة عامة نلقيها على الوضع الأدبي والثقافي في بريطانيا العظمى في اوائل السبعينات ، تظهر لنا بوجه عام انجازات محـدودة ، وتوضـح مبـررات القلق . فقد بدا من السهل تماماً ان نجد كتاباً شبابـاً يبشرون بالعطـاء في مختلف ضروب الكتابة الخلاقة في الخمسينات والستينات الا أن الأمل بنضجهم وتعزيزهم لعملهم جاء على الأغلب مخيباً للرجاء . فهناك افتقـار الى بزوغ أية موهبـة بارزة أصيلة ، ولربما كان هذا ـ لحد ما ـ عائداً الى انعدام الاستمـرارية الأدبية ، فقـد صمت الكتاب الكبار أصحاب الانجازات الرائعة ، أو اغتربوا عن بلادهم سنوات

عديدة مثل اودين (Auden) وجريفز (Graves). ولربما كانت هناك علاقة ما بين هذا الانجاز الأدبي المحدود، وبين الندرة النسبية للكتابة غير الأدبية والتي هي من النوع الذي يوفر جواً يمكن ان تزدهر فيه الكتابة الخلاقة نفسها. فهناك العديد من كتاب النثر في النصف الأول من القرن العشرين، ممن كان عملهم يحمل بعنف ـ نوعاً ما، وبشكل مباشر ـ على المجتمع وعلى الثقافة ككل، وكان هناك كتاب بارزون أثروا الى حد كبير في الحياة الفكرية والثقافية منهم الفيلسوف ج. ي. مور (G. E. Moore)، والعالم النفسي هافيلوك أليس (Havelock Ellis)، والناقد والفيلسوف الجمالي جون ميدلتون مري (John Middleton Murry) والفيلسوف وصاحب النظريات السياسية برتراند راسل (Bertrand Russell)، ورجل الاقتصاد، والمؤرخ الاقتصادي ر. هـ. توني (R. H. Towney) والمؤرخ ج. م. تريفيليان (G. M. Trevelyan). وكان لـ ت. س. اليوت تأثير نقدي وثقافي وشعري كبير، كما بدت كتابات ف. ر. ليفيز ذات أهمية في حقل الفكر الاجتماعي. الا ان الفلسفة والاقتصاد والنقد غدت اكثر اكاديمية او تقنية في النصف الثاني من القرن، وبدا علم الاجتماع وكأنه البديل للفلسفة الاجتماعية، وندرت ـ لفترة طويلة ـ الكتابة السياسية الجيدة، وهكذا، وبالرغم من وجود الكثير من الكتابات الحسنة، فان المناخ الثقافي ككل كان مجزءاً، فيه تخصص، وفيه افتقار الى الاعتبارات التي تقود الى الانجاز العميق الهادف، كما كان ميالا الى اللامبالاة، معادياً للحياة الخيالية. وضمن هذا السياق المشوش علينا ان ندرك سبب الافتقار النسبي الى المرهبة الادبية الفذة والى الانجازات الرائعة.

الأدب الاسكتلندي باللغتين الانجليزية والاسكتلندية

استمر النثر القصصي الاسكتلدني في تركيزه التقليدي على الوصف المادي، وعلى الاعتماد على الحدث أكثر من الاهتمام بالنواحي النفسية، كما نجد في قصص جوَن بوكان (John Buchan). الا أن هناك ما هو أكثر من القصص أصالة،

كأقاصيص اريك لينكليتر (Eric Linklater) الخيالية الفكهة و«جوقة اسكتلندية» (A Scots Quair) (١٩٣٢ - ٣٤) التي كتبها لويس جراسيك جيبون (Lewis Grassic Gibbon) بعاطفة صادقة وروايات نيل جن (Neil Gunn) السلتية الخيالية ، ودراسات روبن جنكنز (Robin Jenkins) الحادة للشخصيات ، واكتشفت المسرحية التي ازدهرت نوعاً ما في كتابات جيمس باري (James Barrie) ، مؤلف «عزيزي بروتوس» (Dear Brutus) (١٩١٧) ، صوتاً قوياً مميزاً في جيمس بريدي (James Bridie) ، الذي جمعت مسرحياته المسلية ما بين الهزل والعظة الاخلاقية ، والظواهر الخارقة للطبيعة باسلوب «اسكتلندي» تماماً .

لكن التغيرات الكبرى ظهرت في الشعر ، فقد أصبحت شخصية هيوماك ديارميد (Hugh Mac Diarmid) العنيفة في العقد الثاني من القرن العشرين ، المحور والحافز لما يسمى بالنهضة الاسكتلندية . وهدفت هذه الحركة الى اعادة الاعتبار الفكري للغة الاسكتلندية والى اختراق الحاجز الذي خلفته هيمنة اللغة الانجليزية ، وذلك باعادة نشر مفردات اللغة الاسكتلندية بعد الركود الذي انتابها بعد الشاعر الغنائي العظيم روبرت بيرنز (Robert Burns) . ان ماك ديارميد صاحب الشعر الموسوعي الجدلي الميتافيزيقي هو الذي نظم بنفسه أفضل القصائد الغنائية منذ عهد بيرنز ، وتبعه شعراء آخرون منهم سيدني جودسير سميث (Sydney Goodsir Smith) ودوجلاس يونج (Douglas Young) ,

وبين الذين كتبوا بالانجليزية برز الشاعر ادوين ميور (Edwin Muir) ، بشعره التأملي المشحون بالأساطير ، أما نورمان ماك كيج (Norman Maccaig) وو . س . جراهام (W . S . Graham) وادوين مورجان (Edwin Morgan) وجورج ماك كاي بروان (George Mackay Brown) وايان كريشتون سميث (Iain Crichton Smith) فكتبوا بمهارة ورسوخ عبارة . أما الشعر التجريبي الرقيق لايان هاملتون فنلي (Ian Hamilton Finlay) فكان طرازاً قائماً بذاته .

ومع ان الاحساس الاسكتلندي بالانفصال كان حقيقياً الى حد لا يمكن تجاهله ، ظلت الانجليزية مسيطرة في النثر وفي حديث المثقفين ، وكان الشاعر

الاسكتلندي المحدث يحتاج الى تجربة عدة أساليب مختلفة حتى يتمكن من ايجاد اسلوب مميز خاص به .

الأدب الانجلو - ايرلندي

اتضحت في نهاية القرن التاسع عشر معالم حركة جديدة . فقد ظهر في العقد الأخير من القرن التاسع عشر كاتبان مسرحيان ايرلنديان هما اوسكار وايلد (Oscar Wilde) وجورج برنارد شو (George Bernard Shaw) . ومع انهما كانا من المسرحيين البارزين في النطاق الانجلو - ايرلندي ، فان أياً منهما لم يكتب عن ايرلندا أو لأجلها . وأخذت حركة جديدة تنمو بسرعة ، ارتبطت الى حد كبير بوعي قومي سياسي راسخ ، وادت الى نهضة أدبية باللغتين الايرلندية والانجليزية على حد سواء ، وان تكن الأخيرة منهما - والتي قادها الشاعر ويليام بتلر ييتس (William Butter Yeats) متأثرة الى حد كبير بأعمال دوجلاس هايد (Douglas Hyde) ، الذي كانت ترجماته عن الايرلندية نموذجاً للهجة الريفية المستخدمة بأسلوب أدبي والتي استخدمتها ليدي جريجوري . وأسس ييتس وليدي جريجوري أول مسرح قومي ايرلندي هو «مسرح آبي (أو مسرح الدير)» (Abbey Theatre) الذي سرعان ما ذاع صيته بفضل مسرحياته جون ميلنجتون سينج (John Millington Synge) الرائعة ، وعلى الأخص «ركاب الى البحر» (Riders to The Sea) (١٩٠٤) و«زير نساء العالم الغربي» (The Playboy of The Western World) (١٩٠٧) تلك الأعمال التي استخدم فيها الكاتب بروعة اللغة المحلية المطورة وطاقتها على يد هايد (Hyde) وليدي جريجوري (Lady Gregory) . وصار المسرح فيما بعد مغرقاً في الواقعية ، وخاصة الواقعية الريفية ، باستثناء مسرحيات شون اوكاسي (Sean O'Casey) الثلاث الرائعة عن أحياء دوبلن الفقيرة ، وهي «ظل حامل البندقية» (The Shadow of a Gunman) (١٩٢٣) و«جونو والطاووس» (Juno and The Paycock) (١٩٢٤) و«المحراث والنجوم» (١٩٢٦) (The Plough and The Stars) .

اما في الشعر فكان هناك الى جانب ييتس ، الشاعر الصوفي والوطني جورج راسل ، كما عاصرهما عدد من الشعراء الشباب من أبرزهم بادريك كولم (Padraic

(Colum مؤلف مقطوعة « سائق القطيع » (Drover) الرائعة ، وهي واحدة من أرق الأشعار في اللغة . وهناك سيموس اوسليفان (Seamus O'sullivan) مؤسس ورئيس تحرير « مجلة دوبلن » (The Dublin Magazine) وكان للحركة الجمهورية بدورها شعراؤها ، وهم ب . هـ . بيرس (P.H. Pearse) وتوماس ماكدونا (Thomas Macdonagh) وجوزيف ماري بلنكت (Joseph Mary Plunkett) الذين أعدموا جميعاً بعد ثورة عيد الفصح عام ١٩١٦ .

وأما في الرواية فهناك قصص تاريخية لأميلي لولس (Emily Lawless) وستاندش جيمي او جرادي (Standish James O'grady) وقصص خيالية لجيمس ستيفنز (James Stephens) ، وبالمقابل كان هناك كذلك جورج مور (George Moore) ، الذي ألحق نفسه لفترة ما بالحركة الثقافية الايرلندية ، والذي كانت أوصافه غير المتسمة بالاحترام لشخصياتها الرئيسية البارزة في « تحية ووداع » (Hail and Farewell) (١٩١١ - ١٩١٤) أمتع من رواياته على وجه العموم .

وبعد جيمس جويس (James Joyce) أعظم الكتاب المحدثين الايرلنديين على الاطلاق ، فعمله شديد الالتصاق بالحياة اليومية في دوبلن ، رغم انه كان معقداً عالمي الايحاء (انظر العنوان السابق « الأدب الانجليزي في القرن العشرين» وكما فعل صديقه صامويل بيكيت (Samuel Beckett) (انظر العنوان اللاحق «الادب الفرنسي في القرن العشرين) - الذي كتب بالفرنسية - غادر جويس ايرلندا الا انه لم يفقد أبداً الخصائص الايرلندية الرئيسية في شخصيته .

أما الكتاب الذين ظلوا في إيرلندا بعد حصولها على الاستقلال عام ١٩٢١ من امثال شون وفالين (Jean O'Fasalain) ، فبلغوا قمة النجاح عند معالجتهم انحسار الكفاح القومي أو نقائص الكنيسة الكاثوليكية الايرلندية كما نجد في «الطائر الوحيد» (Bird Alone) (١٩٣٦) و«عد الى ايرين» (Come Back to Erin) (١٩٤٠) لفاولين . وكانت القصة القصيرة كما كتبها فرانك اوكونور (Frank O'Connor) وليام اوفلاهيرتي (Liam O'Flaherty) أكثر نجاحاً على العموم . وهنا استثناء واحد هو الكاتب فلان اوبرايان (Flann O'Brien) (الاسم المستعار لبرايان اونالين (Brian

(O'Nuallain . الذي أظهر التأثير المباشر لجيمس جويس ، والذي قدم في «عند السباحة طائران» (At Swim — Two — Birds) (١٩٣٩) عملاً تجريبياً رائعاً بخس تقديره .

واستمر المسرحيون بالكتابة عن المسائل الايرلندية ، الا انهم أصبحوا اكثر عالمية في وجهات نظرهم واساليبهم الفنية . وفي « مسرح بوابة دوبلن » (Dublin Gate Theatre) الـذي تأسس عام ١٩٢٨ ، ظهـر مايكل ماك ليامـور (Micheál Madiammôir) ، الذي أعـد حوالي (٣٠٠) مسرحية للانتـاج من بينهـا مسرحيتـه الخاصة « مقابلة سيئة الطالع في ضوء القمر » (Ill Met by Moonlight) (١٩٤٦) ، كما بدأ دونا ماك دونا (Donagh MacDonagh) عملا جديداً بمسرحياته الشعبية الهازلة التي اتّبع فيها الكاتب المسرحي الألماني برتولت بريخت (Bertolt Brecht) ـ الا ان أبرز كتاب المسرحية كان براند ان بيهان (Brendan Behan) مؤلف المسرحية التراجيدية ـ الـكوميدية « الشـخص الغـريب الاطـوار » (The Quare Fellow) (١٩٥٤) ، ومسرحية « الرهينة » (The Hostage) (١٩٥٧) .

ومع انه لم يظهر بين الشعراء خليفـة لـ ييتس ، فقـد أظهـر باتـريك كافانا (Patrick Kavanagh) أصالة وواقعية في « روح للبيع » (A Soul for Sale) (١٩٤٧) و« تعـال وارقص مع كيتـي ستوبلنـج » (Come and Dance with Kitty Stobling) (١٩٦٠) ، كما أظهـر تومـاس كنسيلا (Thomas Kinsella) في « ايلـول آخـر » (Another September) (١٩٥٨) و« الطائف الليلي » (Nightwalker) (١٩٦٧) تفوقاً غير عادي محتوى وشكلا . (انظر العنوان السابق « الأدب الانـكليزي في القـرن العشرين » للتنويهات المستقلة عن يياس وجويس وغيرهما من الكتاب الايرلنديي الأصل) .

الفَصْل الثّاني

الأدَب الكلتي في القرن العشرين

الأدب الويلزي

أدى انشاء جامعة ويلز (١٨٧٢ ـ ١٨٩٣) الى اتساع الآفاق الأدبية . وتمكن رجال من أمثال سير اوين م. ادواردز (Sir Owen M. Edwards) وسيرجون موريس جونز (Sir John Morris-Jones) وامريس أب ايوان (Emrys ap Iwan) الاسم المستعار لروبرت أمبروز جونز (Robert Ambrose Jones) من لفت أنظار الويلزيين الى هويتهم الادبية ، كما وضعوا مقاييس جديدة للضبط اللغوي والصدق الفكري . وتميزت النهضة الأدبية الكبرى التي تلت ذلك باستخدام ت . جوين جونز (T. Gwynn Jones) البارع للأوزان القديمة الدقيقة للتعبير عن الأفكار العصرية ، وباستعمال و . ج . جروفيد (W.J. Gruffydd) الغنائي للأوزان الحرة للتعبير عن ثورته على المجتمع ، وحبه للريف الذي قضى فيه شبابه، كما أظهر . ويليامز باري (R. Williams Parry) موهبة ممتازة في دقة الملاحظة الشعرية ، بينما جمع سيرتوماس باري ـ ويليامز (Sir Thomas Parry-Williams) حباً صوفياً لمسقط رأسه جونيد (Gwynedd) ، وتحليلاً يكاد يكون علمياً لغرائزه وعواطفه فيما يتعلق بمكانة الانسان في الكون . اما الشعراء الأكبر سناً من أمثال سينان (Cynan) الاسم المستعار لـ ا . ايفانز جونز) (A. Evans Jones) وويليام موريس (William Morris) وويل ايفان (Wil Ifan) ويليام ايفانز (William Evans) فتشبثوا بالأساليب الغنائية السابقة ، مع ان العديد منهم ، من أمثال د . جونياليت جونز (D. Gwenallt Jones) وسوندرز لويس (Saunders Lewis) ، اعتمدوا بشكل متزايد على ايقاع ومفردات اللغة العامية . وقام والدو ويليامز (Waldo Williams) وجويليم ر . جونز (Gwilym R. Jones) وبوبي جونز الأصغر (Bobi Jones) وايروس بوون (Euros Bowen) بشكل خاص بتجارب

في الشكل والمحتوى . وتابع عملهم هذا وطوره كتاب من الجيل الأصغر سناً ، كان جوين توماس (Gwyn Thomas) أبرزهم وأخصبهم انتاجاً . ويعكس معظم الشعراء ، الكهول منهم والشباب ، تورطاً مختلفاً في النشاط السياسي الويلزي المعاصر .

وأشار المستوى العالي للمجلة الدورية « اي لنور » (Y. Lienor) (١٩٢٢ - ١٩٥١) الى التقدم الحاصل في حقل النثر ، كان المساهمون فيها بشكل عام منهمكين بعدة نشاطات ، فرئيس تحريرها و . ج . جروفيد (W.J. Gruffydd) شاعر ومنشيء وسوندرز لويس شاعر ومسرحي ورجل سياسة ، اما سرتوماس باري - ويليامز فشاعر وكاتب مقالات ، بينما كان ر . ت . جنكنز (R.T. Jenkins) كاتب مقالات ومؤرخاً . ان هؤلاء الكتاب مع بعض الروائيين وكتاب القصة القصيرة أمثال تيلجا ديفيز (Telga Davies) و ت . رولاند هيوز (T.RowlandHughes) وكيث روبرتس (Kate Roberts) ود . ج . ويليامز ، (D.J. Williams) ، استطاعوا ان يعكسوا بشكل مؤثر حقيقة الحياة في ويلز المعاصرة ، التي كانوا جزءاً منها . فقد كان جون جويلم جونز (John Gwilym Jones) وايلوين فوك أليس (Islwyn Ffowc Ellis) مجددين في الأسلوب والموضوع ، وتبعهم جيل من الكتاب للشباب المتحمسين ، الا ان أحداً منهم لم يبرز حتى الآن . وكان هناك استغراق متزايد وتقدم في النقد الأدبي ، تماماً كما في الآداب الأخرى .

وشهد القرن العشرون بداية المسرحية في ويلز ، كانت في البداية واقعية ، ثم تطورت الى مسرحية شعرية رمزية، وغالباً ما تستند الى مواضيع تاريخية أو اسطورية ، لكن تعالج من خلالها المشاكل الأخلاقية والاجتماعية والنفسية المعاصرة . وأبرز الأسماء في هذا المجال هما سوندرز لويس (Saunders Lewis) وجون جويلم جونز (John Gwilym Jones) ، وفي الجيل الجديد جوينلن باري (Gwenlyn Parry) .

الأدب الاسكتلندي الغالي

ظهر في القرنين التاسع عشر والعشرين مقدار ضخم من العمل النثري في المجلات الدورية على شكل قصص قصيرة ومقالات . والى جانب ذلك كانت هناك ترجمات دينية عديدة من القرن السابع عشر وما بعد ، منها كتاب كالفن (Calvin) الاستجوابي الصيغة والمشتمل على خلاصة العقيدة الدينية عام ١٦٣١ ، وترجمات باللغة الغالية للكتاب المقدس ومزامير كيرك (Kirk) . ونسخته الايرلندية من الكتاب المقدس ، وترجمة ١٨٠٧ الغالية للكتاب المقدس . وهناك ترجمات أخرى تتضمن اعمالا لجون بنيان (John Bunyan) وريتشارد باكستر (Richard Baxter) وتوماس بوستون (Thomas Boston) وفيليب دودردج (Philip Doddridge) . وبين كتاب النثر المجددين هناك في القسم الاول من القرن الكاهن دونالد لامونت (Donald Lamont) ، ودونالد ماك كتشني (Donald Mackechnie) وانجوس روبرتسون (AngusRobertson) اما ابرز القصص القصيرة الحديثة فمن تأليف كولن ماكنزي (ColinMackenzie) وجون مري (JohnMurray) وايان كريشتون سميث (Iaîn Crichton Smith) .

ولم يظهر الا القليل من الشعر الحي في القرن التاسع عشر . وبدأت في القرن العشرين حركة تستهدف تحرير الشعر الغالي من قيوده التقليدية ، اتضحت معالمها في اعمال سورلي ماكلين (SorleyMaclean) وجورج كامبل هاي (George CampbelHay) وديريك تومسون (Derick Thomson) . اما الأعمال المتأخرة في هذا الاتجاه فكانت لدونالد ماك اولي (DonaldMac Aulay) وايان كريشتون سميث .

وكانت هناك مجموعات قيمة من الشعر تعود الى أواسط القرن الثامن عشر ، أولاها مجموعة الكاهن الكساندر بوب (Rev. Alexander Pope) وقام جيروم ستون (Jerome Stone) بجمع أغان شعبية أوسيانية (Ossianic) ، وأدى هذا الحماس في جميع الأشعار الى ظهور مجموعة « قطع من الشعر القديم » (Fragments of Ancient Poetry) (١٧٦٠) لجيمس ماكفرسون (JamesMacpherson) . واستمر هذا العمل في القرن التاسع عشر على أيدي علماء ورجال دين جاءوا بعدهم ، منها على سبيل المثال مجموعة الكاهن الكساندر كاميرون (Rev.Alexander Cameron) والمسماة « اثار

سلتية » (Reliquiae Celticae) (١٨٩٢ ـ ١٨٩٤) والتي ضمت المخطوطة الفيرينجية (Fernaig) وأجـزاء من كتـب كلانرانالـد » (Books of Clanranald) ، وبعض مخطوطات أدنبرة ، وطبعت كلها للمرة الاولى . كما طبعت الأمثال الغالية مع ترجمتها الانجليزية عام ١٧٨٥ ، وهي من اعداد دونالـد ماكينتـوش ، Donald) Macintosh) ، وقد ظهرت طبعة جديدة لها عام ١٩٥١ باشراف م . ماك اينس .M) Macinnes) . امـا مجموعـة فرانسيس تولمي (Frances Tolmie) للأغانـي الشـعبية (١٩١١) ، ومجموعة مارجريت شو (Margaret Shaw) « اغان شعبية وفلوكلور من جنوب يويسـت » (Folksongs and Folklore) of South Uist (١٩٥٥) ، ومجموعـة ج . ل . كامبـل (J . L . Campbell) وف . كولينسـون (F . Collinson) «اغـانٍ شعبية هيبريدية» (Hebridean Folksongs) (١٩٦٩) ، فقد كانت استمراراً للعمل في القرن العشرين . ونشرت مؤسستا «سجلات وأعمال المجتمع الغالي في انفرنس» (Transactions of The Gaelic Society of Inverness) و «دراسات اسكتلندية غالية» (Scottish Gaelic Studies) مواد كثيرة من مصادر مخطوطة وشفهية .

الأدب الايرلندي الغالي

بدأ الاهتمام الأثري باللغة الايرلندية في أوائل القرن التاسع عشر ، وبخاصة ضمن طبقات مثقفة محدودة العدد نسبياً كانت تتحـدث بالانجليزية . وواجهـت الحركة عناءً لأن المتكلمين بالايرلندية كانوا أقلية ، حتى المنادون بالقومية الايرلندية كانوا يتحدثون بالانجليزية . وكنتيجة لذلك قاد « الاحياء » أشخـاص مهتمـون بالآثار أو منادون بالقومية ، لا الأقلية المتحدثة باللغة نفسها . والايرلندية اليوم هي لغة الأقلية في الجمهورية ، لكن لها مكانتها الراسخة في النظام التعليمي .

واجهت الاحيائيين مشكلة كتابة لغة منشطرة الى مجموعة لهجات ، وكانت النتيجة تنوعاً لغوياً كبيراً استمر حتى منتصف القرن العشرين ، عندما وضع قياس حكومي للغة . وكان أول الكتاب المهتمين جدياً بهذا العمل باتريك بيرس (Patrick Pearce) ، وهو أحد قادة ثورة عيد الفصح عام ١٩١٦ ، وبادريك اوكونير (Pâdraic O Conaire) ، الذي ادخل القصة القصيرة الى اللغة الايرلندية . اما كتاب توماس

اوكريوم تين (Tomas O Criomhthain) (١٩٢٩) ، وترجمة « ساكن الجزيرة » (١٩٣٤) ، الذي يروي قصة حياة صياد من منستر (Munster) فيعتبر وثيقة أدبية فريدة . وقد عالج ليام افلاهيرتي (Liam O'Flaherty) القصة القصيرة بأسلوب بارع ، كما كتب بالانجليزية ايضاً (انظر العنوان السابق « الأدب الانجلو - ايرلندي ») وهذا ما فعله مارتن اوكادهين (Máirtin O Cadhain) أيضاً . وبكل الاحوال لم يتميّز - بشكل عام - أي مؤلّف في الرواية والمسرحية باستثناء برندان بيهان(Brendan Behan) في(Giall) (١٩٥٧ وترجمته «الرهينة» ١٩٥٨) . ورغم انه صدر بعض الشعر الغنائي لكن لم يبرز شاعر في مكانة ييتس .

الأدب البريتاني

شهد القرن العشرون نشر قصص جابز ريو (JabezRiou) القصيرة في « عشبة العذراء » (Geotenn ar Werc'hez) (١٩٣٤) ، وكانت قصصاً شديدة الايجاز ، تجمع بصورة رائعة ما بين الحساسية والشكوكية العميقة . وكتب بوون دريزن (Youenn Drezen) واحدة من أفضل الروايات البريتانية الحديثة هي « سيدتنا سيدة الكرمليين » (Itron Varia Garmez) ١٩٤٢ . اما في المسرحية فسادت في النصف الأول من القرن اعمال تانجوي مالامانك(Tanguy Malmanche) (المتوفى ١٩٥٣) ، والتي كانت شبيهة بأعمال بول كلوديل (Paul Claudel) و ج . م . سينج (J.M. Synge) . واستمر العمل المسرحي على يدي بيير هيلياس (Pierre Hélias) ، وهو كاتب شاب موهوبَ كتب المئات من المسرحيات الاذاعية ، كما قدمت له بعض العروض المسرحية ، وكانت كتاباته شعبية ومصقولة الى حد بعيد . اما في الشعر فكان هناك شاعر بارز هو جين - بيير كالوك(Jean-Pierre Calloc'h) ، الذي قتل في الحرب عام ١٩١٧ ، والذي نشرت أشعاره مع ترجمة فرنسية لها عام ١٩٢١ باسم « ركوع »(Aren Deulin) .

واستمرت المحاولات الجادة في مقاومة الكلمات الفرنسية الدخيلة ، مما جعل البريتانية لغة مكتفية ذاتياً ، وتم ذلك بتشجيع العديد من المجلات الأدبية والعلماء امثال مؤلف المعاجم فرانسوا فالي(François Vallée) . ووضع املاء قياسي حكومي

عام ١٩٤١ ، ناجح بعض الشيء . وفي عام ١٩٥١ فسح للغة البريتانية مكان في المدارس الرسمية .

الفَصْـل الثّالث

الأدب الامريكي في القـرن العشـريـن

الكتابة من ١٩١٤ الى ١٩٤٥

ظهرت في السنين الماضية ، خلال الحـرب العالمية الاولى ومـا بعدهـا ، حركات هامة في المسرحية والشعر والأدب القصصي والنقد. وتركت الفترة المشحونة بالأحداث التي تبعت تلك الحرب بصماتها على مختلف انواع الكتب ، لأن الكتاب كانوا وقتها منهمكين في محاولة تفسير الحياة المحيطة بهم . اما الأساليب الأدبية لتلك الفترة فكانت متنوعة بصورة غير عادية ، وكان المؤلفون الكبار في المسرحية والشعر والأدب القصصي يميلون الى التجريب والى الابتكارات الجوهرية في الأسلوب .

التجريب في المسرحية : لم تكن المسرحية لتشكل شكلا أدبياً بارزاً في القرن التاسع عشر ، ومع ذلك فليس هناك نوع من أنواع الكتابة تضمن تجريباً اكثر من المسرحية الجديدة التي انبثقت كانتفاضة ضد المسرح التجاري السطحي المرتجل . ووجد الامريكيون المسافرون الى الخارج في السنوات الاولى من القـرن العشرين مسرحاً حياً مزدهراً في اوربا ، ولدى عودتهم الى الوطن نشط بعضهـم في تأسيس حركة « مسرح صغـير » في كل زاوية من زوايا بلادهـم . واستطـاع الكتـاب المسرحيون بتحررهم من القيود التجارية ، اجراء تجاربهم في الأسـاليب المسرحية وفي طريق الانتـاج . وظهـر في الوقـت المناسـب المنتجـون والممثلـون والكتـاب المسرحيون الذي تدربوا في صفوف الكليات ، وعلى مسارح الجمعيات . وتحولت بعض المجموعات « المسرحية الصغيرة » الى الانتاج التجاري ، كما فعلـت مثـلا مجموعة « ممثلو ميدان واشنطن » (Washington Square Players) التي تأسست عام ١٩١٥ ، واصبحت تعرف باسـم « النقابـة المسرحية » (Theatre Guild) ، والتي قدمـت اول انتـاج لهـا عام ١٩١٩ . وامتـازت المسرحية الناجمـة عن ذلك بروح تحررية ، وبجدية ونضج جديدين .

ان يوجين اونيل Eugene O'Neill ـ أكثر الكتاب المسرحين اثارة للاعجاب في تلك الفترة ـ كان نتاجاً لهذه الحركة ، اذ عمل مع « فرقة ممثلي بروفنستاون » (Provincetown Players) قبل ان تنتج مسرحياته بشكل تجاري . واشتهرت مسرحياته بتنوعها ، فمسرحيات « وراء الأفق » (Beyond the Horizon) (عرض أول ١٩٢٠) و« آنا كريستي » (Anna Christie) (١٩٢١) و« رغبة تحت اشجار الدردار » (Desire Under the Elms) (١٩٢٤) و« الرجل الجليدي قادم » (The Iceman Cometh) (١٩٢٤) صيغت جميعها بأسلوب المدرسة الطبيعية ، بينما أفادت مسرحيتا «الامبراطور جونز» (The Emperor Jones) (١٩٢٠) و«القرد الكثير الشعر» (The Hairy Ape) (١٩٢٢) من الأساليب التعبيرية التي تطورت في المسرحية الالمانية بالفترة الواقعة بين ١٩١٤ و١٩٢٤ ، واستخدم الكاتب كذلك أسلوب تيار الوعي في مسرحية «فاصل غريب» (Strange Interlude) (١٩٢٨) ، كما قدم عملاً يمتاز ببراعة التحليل النفسي ، هو «الحِداد يليق بالكترا» (Mourning Becomes Electra) (١٩٣١) .

وعلى العموم لم يحصل أي كاتب مسرحي على الاطراء الذي حصل عليه اونيل ، الا أن البعض كتب مسرحيات من طراز رفيع ، مما عكس تطور مسرحية جادة متعددة الالوان . فقد كتب مارك كونيللي (Marc Connelly) «فانتازي» متأثرة بمسرحية زنجية شعبية انجيلية هي «المراعي الخضر» (The Green Pastures) (١٩٣٠) . وبدوره أفاد المر رايس (Elmer Rice) ، كأونيل ، من الاساليب التعبيرية في «الآلة الحاسبة» (The Adding Machine) (١٩٢٣) ، ومن اساليب المدرسة الطبيعية في «منظر في شارع» (Street Scene) (١٩٢٩) . أما ماكسويل اندرسون (Maxwell Anderson) الذي بدأ بالواقعية فتحول الى المسرحية الشعرية في مسرحيات منها «الملكة اليزابيت» (Elizabeth The Queen) (١٩٣٠) و«طقم شتوي» (Winterset) (١٩٣٥) ، ثم تحول الى الملهاة (الكوميديا) الانتقادية الموسيقية في «اجازة النيويوركي» (Knickerbocker Holiday) (١٩٣٨) ٧ وقدم روبرت شيروود (Robert Sherwood) أعمالاً بارزة ، فكتب الملهاة في «لم شمل في فينا» (Reunion In Vienna) (١٩٣١) والمأساة (التراجيديا) في «لن يكون هناك ليل» (There Shall Be No Night) (١٩٤٠) . أما كليفورد اوديتس (Clifford Odets) فاستفاد من الصالة ومن

خشبة المسرح على حد سواء لاحداث التأثير المطلوب ، وذلك في مسرحية «بانتظار لفتي» (Waiting For Lefty) (١٩٣٥) التي نادى فيها بوحدة الطبقة العاملة ، كما كتب بأسلوب المدرسة الطبيعية في «استيقظ وغن» (Awake And Sing) (١٩٣٥) . آما ثورنتون وايلدر (Thornton Wilder) ، فاستخدم المشاهد التقليدية والحوار الشعري في «مدينتنا» (Our Town) (١٩٣٨) ثم تحول الى الفانتازي في «جلد أسناننا» (The Skin Of Our Teeth) (١٩٤٢) .

الشعر الجديد : تنوع الشعر ما بين الانماط الشعرية التقليدية وبين الكتابة التجريبية التي انحرفت بشكل جوهري عن أساليب القرن التاسع عشر المحددة ، وحاز الاعجاب النقدي والشعبي معاً في تلك الفترة اثنان فقط من شعراء «نيوانجلند» لم يشتهرا بالتجريبية الفنية هما ادوين ارلنجتون روبنسون (Edwin Arlington Robinson) وروبرت فروست (Robert Frost) . ووجد روبنسون ، الذي ظهر كتابه الاول عام ١٨٩٦ ، ان اشكال القصائد الغنائية من نوع «السونت» و«البالاد» والشعر المرسل غير المقفى كانت كافية للتعبير عن أفكاره ، وحاز في العشرينات على ثلاثة من جوائز بولتزر (Pulitzer) على مجموعاته الثلاث «مجموعة قصائد» (Collected Poems) (المنشورة عام ١٩٢١) ، و«الرجل الذي مات مرتين» (The Man Who Died Twice) (١٩٢٥) ، و«تريسترام» (Tristram) (١٩٢٧) . واستخدم فروست ، مثلما فعل روبنسون ، المقاطع التقليدية والشعر المرسل في مؤلفات مثل «ارادة غلام» (A Boy's Will) (١٩١٣) ، وهو باكورة أعماله) و«شمالي بوسطن» (North Of Boston) (١٩١٤) و«هامبشاير الجديدة» (Nen Hampshire) (١٩٢٣) و«مجال أبعد» (A Further Range) (١٩٣٦) و«تنكرية عقلية» (A Masque Of Reasen) (١٩٤٥) . كان فروست كروبنسون أشهر شعراء جيله ، وقف على المظاهر المأساوية للحياة ، وعلق عليها ، وعلى تعقيدات الوجود الانساني ، كما كان شاكاً بوجود الحلول الملائمة .

ومثلما كانت بداية المسرحية الحديثة في الولايات المتحدة في المسارح الصغيرة كانت بداية الشعر الحديث في المجلات الصغيرة ، ومنها المجلة ذات الأهمية الخاصة «الشعر : مجلة خاصة بالشعر» (Poetry : A Magazine Of Verse) التي أسستها

هاربيت مونرو(Harriet Monroe) في شيكاغو عام ١٩١٢ . وسرعـان ما أصبحـت المنطقة المجاورة شهيرة كموطن لثلاثة شعراء هم فاشيل لنـدسي (Vachel Lindsay) وكارل ساندبرج(Carl Sandburg) وادغارلي ماسترز (Edgar Lee Masters) .ان مزج لندسي للمعتقدات الخرافية والخطابة القومية في اشكال غير منتظمة تشبه القصيدة الغنائية من نوع «الأود» كان مكيفاً بشكل جيد للتقديم الشفوي ، كما ان قراءاته المثيرة من اعماله ساهمت في نجاح مؤلفات مثل «الجنرال ويليام بوت يدخل الجنة ، وقصائد أخرى» (General William Booth Enters Ints Heaven ,And Other Poems) (١٩١٣) و«الكونغو ، وقصائد أخرى»(The Congo And Other Poems) (١٩١٤) أما ساند برج فكتب عن الحياة في النجـود ومـدن الغـرب الاوسـط الأمـريكي ، مستخدماً أسلوب الشعـر الحـر على طريقـة ويتمان (Whitmane) في مؤلفـات مثـل «قصائد شيكاغو»(Chicago Poems) (١٩١٦) و«الشعـب ، نعـم»(The People , Yes) (١٩٣٦) . وأما مجموعة ماستر التي لاقت نجاحاً جماهيرياً ، وهي «مجموعة سبـون ريفـر الشعـرية» (Spoon River Anthology) (١٩١٥) ، فتتـألف من مونولوجات مكتوبة بأسلوب الشعر الحر ، يرددها نساء ورجال القرية الذين تحدث معظمهم بمرارة عن حياتهم الخائبة .

أما الشاعرتان اللتان كتبتا قصائد غنائية تقليدية من نوع «السونت» وقصائد غنائية شخصية قصيرة ، وهما ادنا سانت فنسنت ميليه (Edna St . Vincent Millay) وسارا تيسديل(Sara Teasdale) ، فكانتـا مجددتـين في كونهما شاعرتـين صريحتـين بشكل غير عادي - وذلك طبعاً بالنسبة للمقاييس القديمة . وقد وجـد ثلاثـة من الشعراء الزنـوج ، وهـم جيمس ويلـدون جونسـون (James Weldon Johnson) ولانجستــون هيوز(Langston Hughes) وكاونتــي كولن (Countee Cullen) ، إن القوالب القديمة كانت كافية لمعالجة المواضيع الجديدة ، وبصورة خاصة تلك المتعلقة بمشاكل الزنوج . وعلى العموم ، فمجال التجريب كان رحباً . فبينما خاض كونراد ايكين (Conrad Aiken) تجربة المحاكاة الشعرية حسب الاشكال السيمفـونية التـي غالبـاً ما اختلطـت مع أسلـوب تيار الوعــي ، فان ي . ي . كومنجــز (E . E . Cummings) استخدم بدعا طباعية لينتج أشعاراً كان لها تأثر جديد بديع .

واخترعت ماريان مور(Marianne Moore) نوعاً من الشعر الحر ، مستخدمة اياه بشكل رائع ، مما جعلها واحدة من أبرز الأصوات في شعر الولايات المتحدة الحديث ، كما قدم ستيفن فنسنت بنيت(Stephen Vincent Benét) رواية شعرية مثيرة هي «جسد جون براون» (John Brown's Body) (١٩٢٨) ، أما روبنسون جيفر(Robinson Jeffers) فاستخدم الخيالات العنيفة والشعر الحر أو الشعر المرسل المعدل ، ربما ليعبر عن اكثر وجهات النظر مرارة من قبل شاعر رئيسي في تلك الفترة .

لقد عاش عزرا باوند(Ezra Pound) خارج الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٠٨ ، ما عدا الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية ، والتي اقعده فيها المرض حبيساً في مستشفى سانت اليزابيت في واشنطن من مقاطعة كولومبيا . ومع ذلك كان لباوند تأثير عميق على الكتابة الانجليزية في القرن العشرين ، اذ كان شاعراً ونصيراً وراعياً لغيره من الكتاب (انظر العنوان السابق «الادب الانجليزي في القرن العشرين») . أما أكثر أعماله اثارة للجدل ، والتي قيل انه كان يراجعها في أوائل السبعينات من القرن العشرين ، فكانت «الاناشيد»(The Cantos) ، التي ظهرت اولى حلقاتها عام ١٩٢٥ وآخرها عام ١٩٥٩ تحت عنوان (Thrones : 90 — 109 De Los Contares) .

وعاش اليوت معظم حياته خارج البلاد ، وهو نفس ما فعله باوند الذي يدين له اليوت بالكثير ، وأصبح مواطناً بريطانياً عام ١٩٢٧ . وقد نشر اليوت كتابه الأول «بروفروك ، وملاحظات أخرى» (Prufrock And Other Observations) عام ١٩١٧ ، وفي عام ١٩٢٢ ظهرت «الارض القفر» (The Waste Land) وهي القصيدة التي أحرز بها شهرته الأولى . كان لاليوت تأثير بالغ كشاعر وكناقد أيضاً ، خصوصاً في فترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية . وفي «الرباعيات الاربع» (Four Quartets) (١٩٤٣) وهي العمل الذي يعتبره بعض النقاد أفضل أعماله ، أخذ يبحث في ماضيه ، ماضي الجنس البشري وفي معنى التاريخ الانساني ، عبر صور ذات جمال أخاذ وقوة شديدة الأثر .

كان اليوت الاستاذ المعترف به لعدة أفراد من مجموعات متنوعة من الشعراء الذين كان عملهم مديناً لشعراء القرن السابع عشر الانجليز

الميتـــافيزيقيين وبخاصـــة جون دون (Johne Donne) . وكان تأثيره واضحاً في كتابات ارشيبالدماك ليش(Archibald MacLeish) الذي كانت أشعاره الاولى مشابهة لـ «الارض القفر» في أفكارها وأسلوبها . عبر ماك ليش (Mac Leish) في أشعاره المتأخرة عن ايمان ايجابي بالتقدم الاجتماعي وهـذا مغـاير للموقف الديني الذي دافع عنه اليوت . وأظهر عدد من شعراء الجنوب تشابهاً واهياً وتأثراً بالشعر الميتافيزيقي منهم جون كراورانسوم(John Crowe Ransom) ودونالد ديفيدسون (Donald Davidson) والين تيت(Allen Tate) ، كما كان لهارت كرين (Hart Crane) اسلوب ميتافيزيقي مشابه ، الا ان مواضيعـه كانـت خاصـة به . وهناك عدد من الشعراء الميتافيزيقيين الامريكيين الذين اتصفوا بخصائص فذة في أفكارهم وأساليبهم ، هم لويز بوجـان (Louise Bogan) وليونـي آدامـز (Léonie Adams) ومـــوريل روكيسر (Muriel Rukeyser) ودلمور شوارتـز (Delmore Schwartz) وكارل شابيرو(Karl Shapiro) .

الأدب القصصي

ان المجلات الصغيرة التي ساعدت على تطور الشعر ساهمت كذلك في تطور الأدب القصصي لتلك الفترة ، وذلك بطبعهـا مواد تختلف عن النماذج القديمـة ، وبمهاجمتها الكتابة التقليدية والكتاب الراسخـين . وأقـوى هذه المجـلات مجلتـان يرأس تحرير أولاهما الصحفي الناقد هـ . ل . مينكين(H . L . Mencken) وهي مجلة «المجموعة البارعة»(The Smart Det) ، والتي ترأس تحريرها من ١٩١٤ الى ١٩٢٣ ، والثانية مجلـة «عطـارد الامـريكي»(American Mercury) والتـي شارك مينكين برئاسة تحريرها من ١٩٢٤ الى ١٩٣٣ . وارتقى أحد الكتاب الأثيرين لدى مينكين ، وهو جيمس برانش كابل(James Branch Cabell) سلم الشهـرة برواية «جيرجن»(Jurgen) (١٩١٩) ، التي تهاجم المعتقدات والمؤسسات الامريكية ، كما أطلق بعض الكتاب الأثيرين لدى مينكين أيضاً «ثورة ضد القرية» وهجوماً على الطبيعة الاقليمية الضيقة للحياة في معظم مناطق الريف الأمريكي ، وأبرز هؤلاء شيروود اندرسون (Sherwood Anderson) الذي عالج هذا الموضوع في مجموعتين من القصص القصيرة هما «ونسبرج»(Winesburg) و «اواهايو»(Ohio) (١٩١٩) و «انتصار البيضة»(Triumph Of The Egg) (١٩٢١) .

وبـرزت في عام ١٩٢٠ مدرسـة جديدة في الأدب القصصي ، وذلك بعـد النجاح الذي لاقتـه كتـب من نوع «هـذا الجانـب من الفـردوس» (This Side Of Paradise) لـ ف . سكوت فيتزجيرالد (F . Scott Fitzgerald) و«الشارع الرئيسي» (Main Street) لسنكليرلويس (Sinclair Lewis) . ومال الكتـاب بعـد ذلك باتجـاه الواقعية واسلوب المدرسة الطبيعية في اعطاء صور صريحة للحياة المعاصرة . وكان تصوير الشخصيات والحوافز متأثراً الى حد بعيد بعلم النفس عند سيجموند فرويد (Sigmund Freud) وغيره . وأوضح الأدب القصصي في العقود التالية عن ردود فعل على الأزمنة المتغيرة ، فقد عبرت روايات العشرينات عن خيبة الأمل والتحرر من الوهم والاحتجاج على المؤسسات والمفاهيم الراسخـة ، كما احتـج بعض كتـاب الثلاثينات على النظامين الاقتصادي والسياسي . وقادت الحرب العالمية الثانية عدة روائيين الى رؤ ية بعض مزايا الحياة الامريكية التي كانت خافية عليهم من قبل .

النقاد الاجتماعيو ن

لقد أظهر كتاب ف .سكوت فيتز جيرالد (F . Scott Fitzgerald) «هذا الجانب من الفردوس» (This Side Of Paradise) (١٩٢٠) التحرر والتفسخ الاخلاقـي في امريكـا بعد الحرب العالمية الاولى ، كما كانت رائعته «جاتسبـي العـظيم» (The Great Gatsby) (١٩٢٥) تطوراً أكثر قوة وتماسـكاً حول الموضـوع نفسـه . وكان سنكليرلويس ، كفيتز جيرالد ، في أفضل حالاته كناقد اجتماعي . ان هجومه على ما سماه «فيروس القرية» في مؤلفه «الشارع الـرئيسي» (Main Street) (١٩٢٠) ، وعلى رجال الأعمال العاديين في «بابيت» (Babbitt) (١٩٢٢) وعلى العلماء الماديين في «أروسـميث» (Arrowsmith) (١٩٢٥) ، وعلى دعـاة التمييز العنصري في «الـدم الملكي» (Kingsblood Royal) (١٩٤٧) ، جعل من هذه المؤلفات أعمالاً انتقادية جادة مدعمة بالوثائـق . وميز هذا الاسنـاد الوثائقـي ثلاثية جيمس ت . فـاريل (James T . Farrell) «ستـدس لوينجـان» (Studs Lonigan) (١٩٣٢ - ١٩٣٥) ، وفيها يظهر تأثير الاسلوب الطبيعـي . وأظهـر ريتشـارد رايت (Richard Wright) احتجاجـه على أوضـاع الزنـوج في «اطفـال العـم توم» (Uncle Tom's Children)

(١٩٣٨) و«ابن الوطن»(Native Son) (١٩٤٠) . أما الكاتب الذي أثار الاعجاب كروائي رافض فهو جون دوس باسوس (John Dos Passos) ، الذي لفت اليه الانظار للمرة الاولى برواية «ثلاثة جنود» (Three Soldiers) (١٩٢١) وفيها يرفع صوت احتجاجه على الحرب العالمية الاولى. واستخدم الكاتب أساليب روائية تجديدية مختلفة لمهاجمة المجتمع من جانبه اليساري «تحول مانهاتان» (Manhattan Transfer) (١٩٢٥) ، وثلاثية «الولايات المتحدة الامريكية» «النظير الثاني والاربعون» (The 42 nd Parallel) و(١٩١٩) (Nineteen Nineteen) و«الأموال الطائلة» (The Big Money) (١٩٣٠ - ١٩٣٦) أما كتبه المتأخرة ، وهي هجوم على اليسارين فذات مزايا أدنى . لقد كانت الرؤيا المريرة لعالم لا انساني قاس وأسلوب الكوميديا - المحزنة - خصائص روايات ناتانيال ويست (Nathanael West) الثلاث وهي «حياة بالسوسنيل الحالمة» (The Dream Life Of Balso Snell) (١٩٣١) ، و«مس لونلي هارتس» (Miss Lonelyhearts) (١٩٣٣) ، و«يوم الجراد» (The Day Of The Locust) (١٩٣٩) .

همنجواي وفولكنر وشتاينبك

كان ايرنست همنجواي (Ernest Hemingway) ووليام فولكنر (William Faulkner) وجون شتاينبك (John Steinbeck) ثلاثة من الحائزين على جائزة نوبل ، والذين أظهرت كتاباتهم تحولا عن خيبة الأمل . ان قصص همنجواي القصيرة ورواياته الاولى « الشمس تشرق ايضاً » (The Sun Also Rises) (١٩٢٦) و« وداعاً للسلاح » (A Farewell to Arms) (١٩٢٩) كانت مليئة بالشعور بالخيبة من سنوات ما بعد الحرب ، الا ان الحرب الاسبانية قادته الى الاعتقاد بامكانية العمل الجماعي لحل المشاكل الاجتماعية ، وتجسد هذا الاعتقاد الجديد في « ان تملك ولا تملك » (To Have and Have Not) (١٩٣٧) و« لمن تقرع الأجراس » (For Whom the Bell Tolls) (١٩٤٠) و« الشيخ والبحر » (The Old Man And The Sea) (١٩٥٢) .

وعالج فولكنر ببراعة النواحي الفنية في اساليب رواية الاحداث ، واسلوب تيار الوعي والحبكة المركبة في الرواية في مجموعة اعمال تعنى في المقام الاول بمقاطعة اسطورية في حوض المسيسبي هي « يوكنا باتاوفا » (Yoknapatawpha) . وعرض

الكاتب صورة كئيبة للأوضاع الانسانية عموماً في « الصوت والغضب » (The Sound and The Fury) (١٩٢٩) و« بينما استلقيت احتضر » (As I lay Dying) (١٩٣٠) و« ضوء في آب » (Light in Auguest) (١٩٣٢) و« القرية » (The Hamlet) (١٩٤٠) ، اما القناعات الأكثر تفاؤلا فتجلت في روايتيه « متطفل في الثرى » (Intruder in the Dust) (١٩٤٨) و« آل ريفر » (The Reivers) (١٩٦٢) .

ان نجاح شتاينبك ، الذي تميز بانجازات متفاوتة ، بدأ برواية تاريخية هي « كأس من ذهب » (Cup of Gold) (١٩٢٩) وعبر فيها عن عدم الثقة بالمجتمع ، وعن تمجيد الفرد الفوضوي الذي يمثل متمردي العشرينات . وبكل الأحوال ، تضمنت اعماله اللاحقة ايماناً بامكانية العمل الجماعي ، كما نجد في «معركة مشكوك بنتيجتها » (Dubious Battle) (١٩٣٦) و« عناقيد الغضب» (The Grapes of Wrath) (١٩٣٩) .

أدباء القصص الغنائي

كانت الحركة باتجاه الشعر تطوراً مثيراً في الأدب القصصي ، فالميل الى انتقاء التفاصيل وتحميلها المعاني الرمزية للتوكيد على الأفكار والأحاسيس ، واستخدام النثر الموزون مدّ الادب القصصي بخصائص اكثر غنائية . وأبرز همنجواي وفولكنر وشتاينبك هذا الاتجاه في أشكال عدة . كانت الخاصية الغنائية سائدة في كتابات ويلا كاثر(Willa Cather) ، وبخاصة في « انطونيا لي وحدي » (My Antonia) (١٩١٨) و« الموت يصيب رئيس الاساقفة » (Death Comes for the Archbishop) (١٩٢٧) . اما كاترين آن بورتر (Katherine Anne Porter) التي كانت تنظم بأسلوب الشعراء الميتافيزيقيين فانتهجت اسلوب تيار الوعي في « شجرة الارجوان المزهرة » (Flowering Judas) (١٩٣٠) و« حصان ضعيف ، فارس ضعيف » (Pale Horse, Pale Rider) (١٩٣٩) ، بما فيها من تعقيدات وسفسطة رمزية شعرية . وهناك كاتب بارز آخر هو توماس وولف(Thomas Wolfe) ، وقد الف أربعاً من الروايات الضخمة كانت من حيث التأثير سجلا غنائياً واحداً طويلا عن

حياة الكاتب ، وهي « انظر نحو الوطن ، يا ملاك »(Look Homeward, Angel) (١٩٢٩) و« الوقت والنهر » (Of Time and the River) (١٩٣٥) و« الشبكة والصخرة » (The Web and the Rock) (١٩٣٩) ، و« ليس باستطاعتك العودة الى المنزل ثانية » (You can't Go Home Again) (١٩٤٠) .

النقد : تميز النصف الاول من القرن العشرين بما فيه من انجازات في مجال النقد الأدبي . وبدأت المعركة بين الانسانيين الجدد(Bew Humanits) ، وهم جماعة تؤيد القيم القديمة في تقويم الادب ، وبين مجموعات أخرى كانت تلح على تبني المقاييس الجديدة . ورأس الانسانيين الجدد الكاتب ارفنج بابيت ، (Irving Babbitt) الذي هاجم في كتبه ومقالاته العنيفة الميل الجديد باتجاه المدرسة الطبيعية باعتبارها ذات تأثير مُفسد . اما حامل لواء المعارضة فهو الكاتب المشاكس هـ . ل . مينكين(M . L . Mencken) ، الذي نادى في كتاباته وخاصة في «تحامل» (Prejudices) (١٩١٩ ـ ١٩٢٧) بأن واجب الكتاب هو تقديم الحقيقة العارية عن الحياة . وكان تقدم المدرسة الطبيعية مؤكداً في نهاية الأمر ، مما حرر الادب من عدد من القيود القديمة .

وطبيعي بهذه الفترة التي انتشرت فيها التغيرات الاجتماعية ان يأخذ عدد من النقاد بعين الاعتبار علاقات الادب بالمجتمع والسياسة ، فقاموا بتقييم الكتب على أساس ثابت باعتبارها انعكاسات للمجتمع ، أو تعبير عن الحقيقة الاجتماعية فكتب فان ويك بروكس (Van Wyck Brooks) وفيرنون بارنغتون (Vernon Parrington) دراسات تثير الاعجاب البالغ وهي تتضمن مثل هذه الآراء . أما الناقدان البارزان كنيث بيرك(Kenneth Burke) وادموند ويلسون (Edmund Wilson) فأقل تشديداً على التأثيرات الاجتماعية بل ألقيا الضوء على الأعمال الادبية بتحليلها وارجاعها الى حساسية الكاتب .

بعد الحرب العالمية الثانية

برزت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية كقوة عالمية ، وأصبح بالتالي لأدبها اهتمامات عالمية جديدة . وقد حاز ثلاثة من أبرز روائيي الأمة على جائزة نوبل وهم فولكنر في عام ١٩٤٩ ، وهمنجواي في عام ١٩٥٤ وشتاينبك في عام ١٩٦٢ ، غير ان الجائزة منحت في كل تلك الحالات على

عمل ناجح كتب في سنوات سابقة . وكان هناك كتاب آخرون هامون في الصورة ، من أبرزهم الشعراء فروست(Frost) ووالاس ستيفنز(Wallace Stevens) وماريان مور (Marianne Moore) وي . ي . كمنجــز E . E . Cummings) وويليام كارلـوس ويليامـز(William Carlos Williams) وازرا باونـد(Ezra Pound) ولـكن الظاهر أن أهم أعمال هؤلاء الشعراء كانت في الفترة السابقة . وشهدت الفترة ما بين ١٩٥٥ و١٩٧٢ وفاة فروست وسيتفنز وفولكنر وكنجز وباوند . ان ما هو على وشك الحدوث في كتابات ما بعد الحرب اذاً هو «تغير في الحرس»(Changing og The Guard) ، ولكن يبدو أن هناك اتفاقاً ضئيلاً على من هم أجدر الناس بالخلافة . فقد كان الانتاج الادبي بين عام ١٩٤٥ والسبعينات متميزاً بكثرة التنوع في الأسلـوب والاهداف والمنجزات .

الأدب القصصي

لا يتضح التعدد والتنوع في كتابات ما بعد الحرب بقدر ما يتضح في الرواية والقصة القصيرة . ان العديد من الـكتاب الذين اشتهروا في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، ومنهـم على سبيل المثـال هنـري ميللـر(Henry Miller) وفلاديمير نابوكوف(Vladimir Nabokov) وايدورا ويلتي(Eudora Welty) ومـاري ماك كارثي(Mary Mc Carthy) وجـون تشيفـر(John Cheever) وبرنـارد مالامـود (Bernard Malamud) ورالف اليســون(Ralph Ellison) ووليام بوروز(William Burroughs) وسول بيلو(Saul Bellow) لم يكن يجمعهم من روابط مشتركة سوى أعمارهم ، اذ انهم ولدوا جميعاً قبل عام ١٩٢٠ . والشيء المدهش في هؤلاء الكتاب تنوع انجازاتهم . لقد صار ميللر على ما هو عليه ككاتب أمريكي بارز في الستينات بعد قرار المحكمة العليا بنشر أعماله في الولايات المتحدة ، واحتوت رواياته «مدار السرطان»(Tropic Of Cancer) (١٩٣٤) و«مدار الجدي»(Tropic Of Capricorn) (١٩٣٩) على صور صريحة للتجارب الجنسية التي كان يمكن النظر اليها في الستينات كصفات مميزة للحيوية العامة والصراحة في نثر ميللر . أمـا نابـوكوف ، الـذي أصبح من مواطني الولايات المتحدة عام ١٩٤٥ ، فكان لفتـرة طويلـة استـاذاً في الاسلوب الرفيع والتأثيرات الأدبية المعقدة ، قبل أن يكتسب شهرته أثر نشر «لوليتا»

(Lolita) (١٩٥٥) و«النار الشاحبة» (Pale Fire) (١٩٦٢) . أما رواياته الأخرى المكتوبة بالانجليزية ، ؛ وهي «الحياة الحقيقية لسيباستيان نايت» (The Real Life Of Sebastian Knight) (١٩٤١) و«علامة الزيف واللاشرعية» (Bend Sinister) (١٩٤٧) و «اذا أو حماس : تاريخ أسرة» (Ada Or Ardor : A Family Chronicle) (١٩٦٩) و«بنن» (Pnin) (١٩٥٧) ، بالاضافة الى رواياته التي كتبت أصلاً باللغة الروسية ، ومنها «الدفاع» (The Defense) (١٩٣٠) و«اضحك في الظلمة» (Camera Obscura) (١٩٣٣) و«دعوة الى قطع عنق» (Invitation To A Behea dling) (١٩٣٥) و «الموهبة» (١٩٣٧) ، (The Gift) كفلت لبوكوف سمعته ككاتب متألق . أما يودورا ويلتي (Eudora Welty) ، التي تصنف عادة مع كتاب الجنوب كفولكنر (Feulkner) وفلانيري اوكونور (Flannery O'Connor) وكارسون ماك كالارز (Carson Mac Cullers) ، فحصلت على شهرة فورية لدى صدور مجموعتها القصصية الاولى «ستارة من الخضرة» (A Curtain Of Green) (١٩٤١) وتابعت تقديم أعمال هامة من قصص قصيرة وروايات ، وخاصة في فترة ما بعد الحرب ، ورغم شهرتها ككاتبة تتميز ببراعة الاسلوب خلا عملها من التكلف والمظاهر الشخصية .

واشتهرت ماري ماكارثي كناقدة ، الا أن «أيكات المعهد» (The Groves Of Academe) (١٩٥٢) و«المجموعة» (The Group) (١٩٦٣) و«طيور أمركيا» (Birds Of America) (١٩٧١) كانت روايات غالباً ما عكست ذكاءً انتقادياً حاداً . أما جون تشيفر ، الكاتب الذي ارتبط فترة طويلة بمجلة «النيويوركي» (The New Yorker) ، فألف خمس مجموعات من القصص القصيرة وثلاث روايات ، أظهرت آخرها «ميدان رصاصة» (Bullet Park) (١٩٦٩) تحولاً واضحاً باتجاه وجهة نظر انتقادية رفيعة . ومثلما فعل سول بيلو (Saul Bellow) وبروس جاي فريدمان (Bruce Jay Friedman) وفيليب روث (Philip Roth) وهربرت جولد (Herbert Gold) . وكتب برنارد مالامود (Bernard Malamud) مواضيع يهودية خاصة ، كما في «المساعد» (The Assistant) (١٩٥٧) و«الواسطة» (The Fixer) (١٩٦٦) ، وكذلك في مجموعات قصصه القصيرة ، وأهمها «صور فيديلمان» (Pictures Of Fidelman) (١٩٦٩) . أما موضوع أليسون (Ellison) فكان عن آلام الزنجي الامريكي الذي

يبحث عن «مكانه في التاريخ» ، وكتب اليسون حتى ذلك الوقت رواية واحدة فقط هي «الرجل الخفي»(Invisible Man) (١٩٥٢) التي بلغت مستوى الأدب الأمريكي المعاصر الخالد . أما أول كتب بوروز وهو «الغذاء العاري»(The Naked Lunch) (١٩٥٩) فكان مكوناً من فقرات تصف حياة أحد مدمني المخدرات يعتبر العديد منها فاحشاً . وكان لأسلوبه التجريبي في النثر ولخياله الفريد تأثير على الكتاب الذين جاءوا بعده . أما موضوع بيلو فكان الانسان المعاصر في المدن الأمريكية ، وأبرز ما يتضح هذا في مغامرات اوجي مارش(The Adventures Of Augie March) (١٩٥٣) و«هيرتزوغ»(Herzog) (١٩٦٤) و«نجم السيد سملر»(Mr . Sammler's Planet) (١٩٧٠) ، وامتازت رواياته بالفكاهة والذكاء والحس الهزلي الراقي والصنعة غير العادية .

وكان هناك وعي عام بين هؤلاء الروائيين الامريكيين وغيرهم بأن الأنماط والأساليب وطرق التفكير التقليدية في الأدب الأمريكي لم تعد تعطي نفس الزخم السابق ، أما الروائيون الذين لم يتأثروا بهذا الوعي فذووا تأثير ضئيل ، أو لعله لم يكن لهم أدنى تأثير على القراء في الولايات المتحدة الأمريكية بفترة ما بعد الحرب . ان الفكرة القائلة بأن «معظم الروائيين الامريكيين يرون العالم في سلسلة متوالية من التغيرات الجذرية تتمثل بأفضل صورة في أعمال نورمان ميلر (Norman Mailer) ، ومع أنه يعتبر احد أكثر روائيي الأمة موهبة فكان يدعى «العبقري الذي لم يجد موضوعه بعد» ، ويبدو ان هناك بعض الصحة في وجهة النظر هذه لأنه كتب أربع روايات تعالج أربعة مواضيع مختلفة بأربعة أساليب بالغة التباين ، وهذه الرويات هي «العاري والميت»(The Naked And The Dead) (١٩٤٨) و«شاطىء بارباري»(Barbary Shore) (١٩٥١) و«حديقة الغزال»(The Deer Park) (١٩٥٥) و«حلم امريكي»(An American Dream) (١٩٦٥) . وهناك كاتبان هامان آخران من جيل ميلر هما جيمس جونز (James Jones) ووليام ستايرون (William Styron) . ان باكورتي أعمالهما «من هنا والى الأبد» (From Here To Eternity) (١٩٥١) لجونز ، و«استلق في الظلام»(Lie Down In Darkness) (١٩٥١) لستايرون كانتا روايتين مشهورتين ، ولكن الأعمال التي تبعتهما لم ترق بالجودة مثل

هذه الدرجة العالية ، مع ان ستايرون استطاع ان يذكر القراء بطاقته غير العادية في الخيال ، وذلك في «اعترافات نات تيرنر» (The Confessions Of Nat Turner) (١٩٦٧) ، وهي رواية مثيرة للجدل عن ثورة للعبيد وقعت قبل الحرب . لئن كان هناك اسلوب سائد بفترة ما بعد الحرب في الادب الامريكي لكان الأسلوب التهكمي . فقد هاجم جوزيف هيلر (Joseph Heller) البيرقراطية العسكرية ولا انسانية الحرب بأسلوب تلميحي ساحر كان سلاحه الوحيد في «امسك ٢٢» (Catch 22) . (١٩٦١) . واستخدم الكاتب ذو الموهبة الهزلية المثيرة للاعجاب ، فيليب روث (Philip Roth) ، الأسلوب التهكمي في انتقاد رفاقه اليهود الأمريكيين الذين لا يبالون بآلام الآخرين ، وذلك في «وداعاً يا كولمبوس» (Goodbye Columbus) (١٩٥٩) ، كما قدم بعد ذلك عرضاً هزلياً بالغ السخرية في «شكوى بورتنوي» (Portnoy's Complaint) (١٩٦٩) ، أما دونالد بارتلم (Donald Barthelme) فدحض الأفكار السائدة عن مختلف مظاهر الحياة الحديثة ، وذلك في قصصه القصيرة وفي روايته «ناصع كالثلج» (Snow White) (١٩٦٧) وقدم ج . ب . دونليفي (J . P . Donleavy) في «الرجل النشيط ذو الشعر الزنجبيلي» (The Ginger Man) (١٩٥٥) بطلاً غير منطقي في جميع مظاهره كما كشف في هذه الرواية بالتدريج عن عالم كامل مجنون في حد ذاته .

وظهر بين الروائيين الامريكيين جماعة من الكتاب أطلق عليهم النقاد اسم «أصحاب الفكاهة القاتمة» يأتي في طليعتهم تيري سوذرن (Terry Southern) وكورث فوينجوت الصغير (Kurt Vonnegut, Jr.) وتوماس بنشون (Thomas Pynchon) وككتاب انتقاديين بالدرجة الاولى كانوا قادرين على انتزاع الهزل من أشد المواقف كآبة .

وكان هناك مجموعة من الروائيين الذين لا ينتمون الى أية مجموعة أو تصنيف ، وهم جون أب دايك (John Updike) وويليام غاز (William Gass) وجون بارث (John Barth) وفلانيري ـ اوكونر (Flannery O'Connor) . وعالج أب دايك المواضيع التقليدية كالمراهقة والزواج والاسرة في «اركض أيها الأرنب» (Rabbit, Run) (١٩٦٠) و«القنطور» (The Centaur) (١٩٦٣) ،و«عن المزرعة» (Of TheFarm)

(١٩٦٥) ، و«الأرنب ريدوكس» (Rabbit Redux) (١٩٧١) ، الا ان معالجته هذه المواضيع بأسلوب غنائي دفعته بعيداً عن معاصريه . وأبرز غاز نفسه ككاتب فذ في رواية واحدة هي «حظ اومنستر» (Omensetter's Luck) (١٩٦٦) ، وفي مجموعة قصص قصيرة هي «في أعمق أعماق الريف» (In The Heart Of The Heart Of The Country) (١٩٦٣) . وباصداره «الاوبرا العائمة» (The Floating Opera) (١٩٥٦) و«نهاية الطريق» (The End Of The Road) (١٩٥٨) و«جايلز ، راعي الماعز» (Giles Goat — Boy) (١٩٦٦) و«الوهم» (Chimera) (١٩٧٢) ، استطاع بارث ان يبني شعره حتى غدا كأنه نابوكوف امريكا ، أما روايته «وسيط الماريجوانا المدمن» (Sot — Weed Factor) (١٩٦٠) فكانت عملا مكيناً فيه تصوير بالغ الروعة . وأظهرت فلانيري اوكونر (المتوفاة عام ١٩٦٤) تطورها المستمر كموهبة اصيلة تماماً ، كما يتضح في آخر اعمالها ، وهي مجموعة قصص عنوانها «كل شيء يرتفع يجب ان يتقارب» (Everything That Rises Must Converge) (١٩٦٥) ، وباعتبارها من الروم الكاثوليك كانت تجمع المواهب الهزلية الممتازة الى جانب الاهتمام الديني البالغ بما في القلب الانساني من فساد .

ووسط هذا الفيض من المواهب كان هناك سؤال أدبي ملح في تلك الفترة هو فيما اذا كانت الرواية صيغة ادبية آخذة بالزوال . وحاول الذين اعتقدوا ذلك ان يبرهنوا على أن علماء الاجتماع اضطلعوا بالكثير مما كان ذات مرة الميدان المقصور على الكاتب الروائي، وبصورة خاصةوصف السلوك، والوسط الاجتماعي، والاستقصاء الموضوعي للقيم. ولم يكن من شك بأنه كانت هناك أعمال أدبية غير روائية استطاعت ان تثير الكثير من الاهتمام منها «مع سبق الاصرار والتصميم» (In Cold Blood) (١٩٦٦)، للكاتب ترومان كابوت (Truman Capote) وهي عرض لاغتيال عائلة في كانساس، واعمال متأخرة لجيمس بالدوين (James Baldwin) ونورمان ميلر (انظر العنوان اللاحق «النقد الأدبي والاجتماعي»). وليس ببعيد انه كانت هناك ندرة في الروائع الروائية خلال تلك الفترة، ولربما كانت اعمال سول بيلو (Saul Bellow) المجموعة الروائية الرئيسية الكاملة في تلك الفترة، ومع ذلك استمر الروائيون في

انتاج اعمال ذات خصائص رفيعة، وبعملهم هذا ظل السؤال المتعلق بقدرة الرواية على البقاء كشكل أدبي سؤالاً نظرياً بشكل متزايد.

الشعر :

تحرك الشعراء الذين بلغوا النضج الفني بعد الحرب العالمية الثانية في اتجاهات مختلفة، ومالت احدى المجموعات من الشعراء الى نبذ الغموض المتعمد والسريالية والأساليب الحرة للشعر الامريكي الذي جاء قبلها، وذلك في سبيل تنظيم جدلي أو مسرحي. من هؤلاء ستانلي كيونتز (Stanley Kuntiz)، الذي لم ينل الآن الاشهرة ضئيلة، وقد حاز على جائزة بولتزر عام ١٩٥٩ على «قصائد مختارة» (Selected Poems) (١٩٢٨ ـ ١٩٥٨)، وكارل شابيرو (Karl Shapiro)، الذي غير اسلوبه فيما بعد بشكل قاطع، وحاز على جائزة بولتزر على «الحرف ف وقصائد اخرى» (V-Letter and Other Poems) (١٩٤٥)، ومن الحائزين على هذه الجائزة كذلك روبرت لوول (Robert Lowell) على «قلعة لورد ويري» (Lord Weary's Castle) عام ١٩٤٧، وريتشارد ويلبور (Richard Wiıbur) على «أشياء من هذا العالم» (Things of This World) عام ١٩٥٧، و و.د. سنود غراس (W.D.Snodgrass) على «مسلة القلب» (Heart's Needle) عام ١٩٦٠، وألان دوجان (Alan Dugan) على «قصائد» (Poems) عام ١٩٦٢، ولويس سمبسون (Louis Simpson) على في نهاية الطريق المفتوح (At the End of the Open Road) (١٩٦٤)، وجون بيري مان (John Berryman) على «سبعة وسبعون من الاغاني الرائعة» (77 Dream Songs) عام ١٩٦٥، وآن سكستون (Anne Sexton) على «عش أو مت» (Live Or Die) عام ١٩٦٧، وكان هناك كذلك شاعران بارزان في تلك المجموعة هما راندال جاريل (Randall Jarrell) وتيودور روتيكه (Theodore Roethke).

ويمكن القول ان كل الشعراء الآنفي الذكر يمثلون الشعر الراسخ في الأدب الامريكي في فترة ما بعد الحرب. وكانت هناك عدة عوامل أخرى مؤثرة في الشعر الامريكي. وعلى سبيل المثال، بعض من نهضة الغرب الأوسط الامريكي بدليل ظهور مجموعة شعرية سميت «هارتلاند: شعراء الغرب الأمريكي الاوسط» (Heartland : Poets Of The Midwest) عام ١٩٦٧. والى جانب ذلك حركة مفككة التنظيم نوعاً ما كانت على صلة بهذا الاتجاه يقودها الشاعر روبرت بلاي (Robert

(Bly الذي ترفع عن الأنماط الشعرية الانجليزية ، مطالباً بشعر تحركه الصور والاخيلة مكتوب بأسلوب امريكي محض . وتبين تأثير وليام كارلوس وليامز (William Carlos Williams) في أشعاره المتأخرة على مجموعة «مدرسة الجبل الأسود» (Black Mountain School) وهو اسم مشتق من اسم كلية تحمل الاسم نفسه في ولاية كارولينا الشمالية ، الا انها لم تستمر طويلا ، والعميد المهيمن هو تشارلز اولسون (Charles Olson) ، ومن أبرز أفرادها الشباب روبرت كريلي (Robert Creeley) . وبدأت جماعة تعرف باسم «الوجوديون» (Beats) بالظهور في منتصف الخمسينات على الساحل الغربي ، وبخاصة في سان فرانسيسكو والمناطق المحيطة بها ، ومن أشهر الشعراء الذين كانوا على صلة قريبة أو بعيدة بها : الين جنسبرج (Allen Ginsberg) ولورنس فيرلينجيتي (Lawrence Ferlinghetti) وجريجوري كورسو (Gregory Corso) .

المسرحية : كانت معظم الكتابات المسرحية في فترة ما بعد الحرب هزيلة غير تجريبية ، ولربما كان ذلك بسبب تكاليف الانتاج المتزايدة باستمرار والتي كانت تسمح فقط للأعمال ذات النجاح الفوري الصاعق ان تحقق نجاحاً اقتصادياً . وأظهرت أفضل العقول الشابة افتقاراً واضحاً الى الاهتمام بالمسرح ، وفضل العديد منهم الكتابة للسينما والتلفزيون . وتجلت هذه اللامبالاة واضحة الى الحد الذي دعا «مؤسسة فورد» في أوائل الستينات الى ان تقدم منحاً للروائيين والشعراء كيما يتعاونوا مع الفرق المسرحية . والمسرحية الهامة الوحيدة التي نجمت عن هذا المشروع كانت قطعة مختارة لروبرت لوويل (Robert Lowell) عرضت تحت اسم «المجد القديم» (The Old Glory) عام ١٩٦٤ . وبشكل عام لم تكن تلك السنوات فترة خصوبة في المسرح الامريكي .

برز خلال اعوام ما بعد الحرب كاتبان مسرحيان هامان هما تينسي ويليامز (Tennessee Williams) وآرثر ميلر (Arthur Miller) ، ان تجربة ويليامز في «معرض الوحوش الزجاجي» (The Glass Menagerie) (١٩٤٤) ، والتي استخدم فيها الراوي والخلفيات غير التقليدية والحوار الشعري ، استمرت في «عربة ترام اسمها اللذة» (A Streetcar Named Desire) (١٩٤٧) و«قطة على سطح من الصفيح

الساخـــن» (Cat On A Hot Tin Roof) (١٩٥٥) و«هبـــوط اورفيوس» (Orpheus Descending) (١٩٥٧) و«فجـــأة في الصيف الماضي» (Suddenly Last Summer) (١٩٥٨) و«ليل الاغوانـة» (Night Of The Iguana) (١٩٦١) أمـا ميللـر فجـرب اساليب مختلفة في «كلهم ابنائي» (All My Sons) (١٩٤٧) و«موت البائع» (Death Of A Salesman) (١٩٤٩) و«الاختبار القاسي» (The Crucible) (١٩٥٣) و«منظر من الجسر» (A View From The Bridge) (١٩٥٥) . وبحلول الستينات ظهـرت امارات تدل على أن موهبة هذين الكاتبين أخذت تخبو .

أما بين المسرحيين الامريكيين الشباب فكان الوضع أكثـر مرونـة . لورين هانسبري (Lorraine Hansberry) التي ماتت في ميعة صباها ـ هي واحدة من الكتاب المسرحيين الذين كان يتوقع لهم مستقبل باهـر، وركزت في مسرحياتهـا «زبيب في الشمس» (Raisin In The Sun) على حياة الأسر الزنجية في شيكاغو . كما خبا بسرعة نجم عدد من المسرحيين الشباب ممن كان يتوقع لهم نجاح ملحـوظ ، منهـم جاك جيلبر (Jack Gelber) وفرانك جيلروي (Frank Gilroy) . أما ادوارد ألبي (Edward Albee) فوطد شهرته بمسرحية «من يخاف من فرجينيا وولف ؟» (Who's A Fraid Of Virginia Woolf?) (١٩٦٢) وذلك بعد النجاح الحرج لبعض مسرحياته بعيداً عن برودواي .

وأما من وجهة النظر الادبية ، فانتقـل الجـزء الاكبـر من الاثـارة في كتابـة المسرحية الامريكية بعد الحرب من برودواي (Broadway) الى اماكن اخرى بعيدة عنها . وقدم الكثير من المسرحات الطليعية في الصالات والملاهي . وصار العري نتاجاً مسرحياً في نهاية الستينات ، واضحى الارتجال والاثارة واللامعقول من معالم معظم الكتابات المسرحية في كل مكان تقريباً . وجاء العامل الملهم لهذه الأعمال من المسرحيين الاوروبيين الكبار: امثال صامويل بيكيت واوجين يونيسكو وبرتولـت بريخت الذين راجت مسرحياتهم في الولايات المتحدة بعد عام ١٩٤٥ ـ أكثر مما كان من الكتاب الأمريكيين .

النقد الأدبي والاجتماعي

وصف الشاعر راندال جاريل(Randall Jarrell) فترة ما بعد الحرب في الأدب الامريكي بأنها «عصر النقد» . ولم يحدث ان نتج فعلاً مثل هذه الكمية من النقد الأدبي أو الاجتماعي بأي وقت آخر في تاريخ الأدب الامريكي . ومع ذلك لم يتغير الكثير في النقد نفسه ، بآيفور ونترز(Yvor Winters) وجون كراو رانسوم(John Crowe Ransom) وكلينت بروكس(Cleanth Brooks) وغيرهم ممن تركوا آثارهم في الفترة السابقة كانوا لا يزالون مهيمنين على النقد .

وأصدر ثلاثة من النقاد الأمريكيين تراجم اعتبرت من روائع الثقافة الأدبية . فقد كانت دراسة ليون ايديل(Leon Edel) عن هنري جيمس عملا ابداعياً مثيراً وبارعاً ، وقد كتبها بين ١٩٥٣ و١٩٧٢ في خمسة أجزاء هي هنري جيمس - السنوات غير المجربة(Henry James : The Untried Years) ١٨٤٣ - ١٨٧٠ و«اخضاع لندن»(The Conquest Of London) ١٨٧٠ - ١٨٨١ و«السنوات الوسطى»(The Middle Years) ١٨٨٢ - ١٨٩٥ و«السنوات الغادرة»(The Treacherous Years) ١٨٩٥ - ١٩٠١ و«المعلم»(The Master) ١٩٠١ - ١٩١٦ . أما الترجمة التي كتبها ايرنست صامويلز(Ernest Samuels) عن هنري آدامز(Henry Adams) فبرهان على براعة أدبية رفيعة يندر وجودها في أي عصر، وقد كتبها بين ١٩٤٨ و١٩٦٤ في ثلاثة أجزاء هي «هنري آدامز الشاب»(The Young Henry Adams) و«السنوات الوسطى»(The Middle Years) و«المرحلة الرئيسية»(The Major Phase) . وتعتبر الترجمة التي كتبها ريتشارد المان (Richard Ellmann) عن جيمس جويس(James Joyce) (١٩٥٩) عملاً كاملاً لا يجارى . والى جانب النقاد التقليديين في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، ظهر نوع آخر من النقاد الذين جنحوا الى تحاشي الأمور النظرية البحتة ، وفضلوا معالجة كل عمل جديد أو حركة جديدة بطريقة مباشرة موضوعية وغالباً ما كانت شخصية ، ولم يقيد هؤلاء النقاد أنفسهم بما هو أدبي فحسب ، فقد أكمل ليونيل تريلنج (Lionel Trilling) عملاً هاماً كانت العلاقة بين الحياة والأدب محور اهتمامه الرئيسي

فيه . كما رأى العديد من النقاد في التاريخ والفكر الاجتماعي والسياسة قضايا تقع ضمن نطاق عملهم . ووطد ايرفنج هاو(Irving Howe) شهرته باصدار مؤلفه «السياسة والرواية»(Politics And The Novel) (١٩٥٧) وعكف ألفريد كازين (Alfred Kazin) على كتابة سيرته الذاتية بعد أن أصدر مؤلفه «على أسس قومية»(On Native Grounds) (١٩٤٢) ، وهو عن تاريخ الأدب الأمريكي . أما نورمان بود هورتز(Norman Podhoretz) ، الذي أصبح رئيس تحرير صحيفة «تعقيب» (Commentary) الفكرية عام ١٩٦٠ ، فأعلن صراحة في مؤلفة «العمل والتخريب»(Doings And Undoings) (١٩٦٤) أن القضايا التي يثيرها المؤلفون كانت تثير انتباهه أكثر من كتبهم أحياناً .

وكان ادموند ويلسون(Edmund Wilson) همزة الوصل بين التقليدين النقديين : العلمي والفكري ، وويلسون ناقد ومؤرخ وكاتب مسرحي وروائي ومقرر اجتماع وكاتب رحلات ومؤرخ اخباري ، وبكلمة .. كان أديباً بالغ الكمال ، وقد ترك موته عام ١٩٧٢ فراغاً لا يبدو أنه سيسد قريباً .

وكان الروائي الزنجي جيمس بالدوين(James Baldwin) من بين الكتاب الأخرين الذين انصرفوا عن الاهتمام الكلي بالأدب اذ جمع في كتابيه «مذكرات ابن الوطن»(Notes Of A Native Son) (١٩٥٥) و«النار في المرة القادمة»(The Fire Next Time) (١٩٦٣) ما بين الترجمة الذاتية والنقد الاجتماعي الراديكالي ، وذلك في مقالات رصينة رائعة . أما بول جودمان(Paul Goodman) ، وهو في الأصل روائي وشاعر ، فاشتهر بدراسته عن جيل الشباب بأمريكا في مؤلفه «نمو اللامعقول» (Growing Up Absurd) (١٩٦٠) كما اشتهر بكتابات أخرى جدلية «ويوتوبية» [1] . وعبر نورمان مايلر(Norman Mailer) ـ في مؤلفاته ـ «الاوراق الرئاسية»(Presidential Papers) (١٩٦٣) و«جيوش الليل»(The Armies Of The Night) (١٩٦٨) و«ميامي وحصار شيكاغو»(Miami And The Siege Of Chicago) (١٩٦٨) عن بعض التحقيقات الصحفية الشخصية السياسية المذهلة المنقطعة

---

(١) اليوتوبية : نسبة الى اليوتوبيا او العالم المثالي .

النظير في تاريخ هذا الضرب من الكتابة . واقتطع الروائي والشاعر روبـرت بن وارن (Robert Penn Warren) بعض الوقت من عمله الأدبي ليؤلف «من يدافع عن الزنوج» (Who Speaks For The Negro) (١٩٦٥) وهو كتاب متماسك الحبكة بارع يبرز بوضوح حركة المطالبة بالحقـوق المدنية . وبالفعـل بدا العـديد من المسائـل والقضايا التي ظهرت في أمريكا بعد الحرب ملحاً الى الحد الذي غالباً ما كان يدفع بالأدباء الى معالجتها مباشرة في النقد الاجتماعي .

الفَصْل الرّابع

الأدب الكندي في القرن العشرين

الأدب الكندي ـ الفرنسي

ارتبط تاريخ كندا بالمنبت الثنائي للبلاد ، ولذا ظهر فيها نوع من التوتر التاريخي ما لبث ان صار شيئاً ثابتاً في حضارتها . فكندا التي أسست عام ١٦٠٨ تحت اسم «فرنسا الجديدة» ، ثم هزمت على يد بريطانيا عام ١٧٦٣ ، وتعرضت بعد ذلك لحيوية الولايات المتحدة الفياضة بدءاً من عام ١٨٥٠ ، كانت بآن معاً أثناء بحثها عن هويتها القومية المستفيد والضحية لهذه القوى الثقافية الثلاث من عدة أوجه .

أما في كندا الفرنسية فهناك عاملان داخليان ضاغطان يؤ زمان الموقف ، وهما عقدة الخوف المرضي من الأماكن المغلقة وعقدة الخوف المرضي من الأراضي الشاسعة . وسادت العقدة الاولى في القرنين السابع عشر والثامن عشر ثم في القرن العشرين ، وكان للعقدة الثانية هيمنتها في القرن التاسع عشر ، عندما أخذ الحافز العنيف للتمسك بالماضي يلهب الفكر الرسمي والأدب على حد سواء . وينظر الى هذه الميول المتضاربة بلغة المواضيع الأدبية على أنها الافتخار الوطني ببطولات المغامرين الأوائل ، وبانفصاليي القرن العشرين من ناحية ، وعلى أنها الاطراء الاقليمي لمجتمع ريفي منظم مستقر من ناحية أخرى .

التاريخ والحقول المرتبطة به : لقد وضع فرانسوا كزافييه جارنو (Fraçois - Xavier Garneau) أسس الازدهار التالي في الدراسات التاريخية والأدب الخلاق على حد سواء . فأيقظ كتابه «تاريخ كندا» (Histoire Du Cananda) (١٨٤٥ ـ ١٨٥٢) اعتداداً بالأمة كان هاجعاً من قبل ، كما ألهم الشعراء والروائيين

والمؤرخين الآخرين في ذلك العصر . وكتب روبرت روملي(Robert Rumilly) ، وهو من الذين خلفوا جارنو مؤلفاً تاريخياً يدل على طموحه ، وهو «تاريخ مقاطعة كيبك»(Histoire De La Province De Québec) (١٩٤٠ - ١٩٦٩) ويقع في واحد وأربعين جزءاً .

وتمت دراسة المظاهر العديدة للمجتمع الكندي الفرنسي في كتاب «مقالات عن كيبك المعاصرة»(Essais Sur Le Quebec Contemporain) (١٩٥٣) لمؤلفه ج . س . فالاردو(J . C . Falardeau) وفي مؤلف «مشاكل الثقافة في كندا الفرنسية» (Problèmes Du Culture Au Canada Français) (١٩٦٠) للأب ب . أنجرز(Father P . Angers) وفي سفر «المجتمع الكندي الفرنسي»(French — Canadian Society) (١٩٦٤) لمؤلفيه م . ريو(M . Rioux) وي . مارتان (Y . Martin) . ومن بين العديد من علماء اللاهوت والفلاسفة الذين ساهموا في الفكر الديني هناك لويس ـ أدولف باكيه(Louis -- Adolphe Paquet) ، الذي طور موضوع الرسالة الآلهية للفرنسيين في كندا ، وأطلقت هذه النظرية انعكاسات واضحة السمات على الأدب المحلي في أوائل القرن العشرين . وهناك بحثان شاملان عن كندا الفرنسية في كتاب «روح كندا الفرنسية»(Spirit Of French Canada) (١٩٣٩) لمؤلفه آي . ف . فريزر(I . F . Fraser) ، وفي «الكنديون الفرنسيون من ١٧٦٠ الى ١٩٦٧» (French Canadians : 1760 — 1967) (١٩٦٨) لمؤلفه ميسون ويد(Mason Wade) .

الشعر : كانت أول حركة أدبية في كندا الفرنسية وهي «مدرسة ١٨٦٠ الوطنية» مصطبغة بوعي قومي عميق كان الحماس الديني هو المعين الطبيعي له ، أما مصدرا الالهام الأدبي الرئيسيان فكانا فيكتور هيجو والفونس دي لامارتين . وفي أواخر القرن التاسع عشر حل شارل بودلير والرمزيون مكان الابداعيين ، كما تركز النشاط الأدبي بصورة أكبر حول مونتريال. وسادت التأثيرات السريالية في الثلاثينات من هذا القرن ، أما تأثير الوجودية فلم يظهر الا بعد الحرب العالمية الثانية . وأعطى الشعراء الانطباع بأنهم كانوا ينفعلون ويكتبون باستقلال أكبر مما كانوا يفعلون من قبل .

كان جوزيف أوكتاف كريمازي (Joseph - Octave Cremazie) أول شاعر بارز في كندا الفرنسية وما زالت أشعاره القومية رائجة في السنوات الاولى من القرن العشرين . وأحرز الشاعر لويس فريشيت (Louis Fréchette) نجاحاً ملحوظاً بملحمته القوية المساة «اسطورة شعب» (La Legende D'un Peuple) (١٨٨٧)، بينما قام أتباع كريمازي الآخرون بتمجيد الحياة الكندية وعاداتها الحية في صورها وايمانها الديني . كان هؤلاء الشعراء أسلاف «لوتروار» (Le Terroir) أو «مدرسة كيبك الاقليمية» هم الذين سجلوا المظاهر المتواضعة للحياة في كندا الفرنسية . أما أشهر أفراد هذه المجموعة ، هي الشاعرة بلانش لامونتان بورجار (Blanche Lamontagne-Beauregard) فقد نشرت مؤلفين هما «عبر حقولنا وضفافنا» (Par Nos Chapms Et Nos Rives) (١٩١٧) و«البيت القديم» (La Vieille Maison) (١٩٢٠) .

وأسس جان شاربونو (Jean Charbonneau) وبول دي مارتيني (Paul De Martigny) «مدرسة مونتريال الأدبية» عام ١٨٩٥ . ولم تعد الحياة والطبيعة الكنديتان ، والقومية الكندية مصادر الالهام الرئيسية لهؤلاء الشعراء الذين كانوا رمزيين وجماليين يرغبون بالعيش في حضرة الجمال ، ويحبون تصوير أرواحهم كأشياء جميلة . وقام اميل نليكان (Emile Nelligan) في «القارب الذهبي» (Le Vaisseau D'or) بتصوير روحه ، وكأنها سفينة شفافة منحوتة من الذهب ومحملة بالكنوز ، وعكس بول موران (Paul Morin) التجربة الاوروبية في قصائده المغرقة بالغرابة كقصيدة «الطاووس المزخرف» (Paon D'email) (١٩١١) . وقام لويس دانتان (Louis Dantin) ، وهو الضمير الناقد في هذه المجموعة ، «بنشر علبة كروسو الصغيرة» (Le Coffret De Crusoe) (١٩٣٢) ، أما الفريد دي روشيه (Alfred Des — Rochers) . مؤلف : «تقدمة الى العذارى البلهاوات» (L'Offrande Aux Vierges Folles) (١٩٢٨) فعبر عن روح الشمال العاصفة في «اغنية لريح الشمال» (Hymne Au Vent Du Nord) .

وفي عام ١٨٣٤ أسس روبير شاربونو (Robert Charbonneau) وفرانسوا هرتل (François Hertel) وسان دينيس جارنو (Saint — Denys Garneau) صحيفة أدبية هي «الاغاثة» (La Relève) ومن ثم أكتسب شاربونو شهرته كروائي وكرئيس

للتحرير . أما بالنسبة لجارنو ، ومؤلف «نظرات وألعاب في الفضاء»(Regards Et Jeux Dan D'espacè) (١٩٣٧) ، فكان الشعر وسيلته لسبر اليأس ، ولم تدرك أهمية «يومياته» (Journal) الا في الستينات عندما بدأ احساسه الحاد وأسلوبه المثير يمارسان تأثيراً بالغاً على عدد من الشعراء الذين جاءوا بعده ويتضح في مؤلفات هرتل (Hertel) ومنها «المقطوعات الشعرية والاخفاق التام»(Strophes Et Catastrophes) (١٩٤٣) أنه كان رجلا فكها ذا رؤيا مزدوجة ، ممزقاً ما بين المتع الحسية والاحساس بالخطيئة ، وانبسط المجال رحباً لاشعاره في «قصائد الامس واليوم» (Poèmes D'hier Et D'aujourd'hui) (١٩٦٧) .

والى جانب سان دينيس جارنو كان هناك عدد من الشعراء المحترمين من الجيل السابق ، وهم ألان جران بوا(Alain Grandbois) وآن ايبير(Anne Hébert) ورينا لانييه (Rina Lasnier). كان لآلان جران بوا سيطرة مكينة على الصور الكونية ، وحافظ على براعته منذ اصدار مجموعته الاولى عام ١٩٤٤ وحتى ظهور ديوانه «قصائد»(Poèmes) عام ١٩٦٣ . وأظهرت آن ايبير تقدماً شعرياً مطرداً منذ اصدار مجموعتها «احلام في اتزان» (Les Songes En Equilibre) (١٩٤٢) وحتى ظهور مجموعتها الأقوى والاكثر ايجابية «قصائد»(Poèmes) (١٩٦٠) وكانت العناصر الرمزية والسريالية نفسها متفتحة في كتبها النثرية ذات الأسلوب الشعري ومنها «السيل الجارف» (Le Torrent) (١٩٥٠) و«كاموراسكا» (Kamouraska) (١٩٧٠) . أما ناشدة الكمال رينالانييه ، الشاعرة المسيحية فأفضل قصائدها «ماليمار»(Malemer) المنشورة ضمن مجموعة «حضور الغائب»(Présence De L'absence) (١٩٥٦) ، ولها مجموعة بعدها هي «الشجرة البيضاء»(L'Arbre Blanc) (١٩٦٦) .

وعلى يدي جاستون ميران (Gaston Miron) وبالدرجة الاولى جان ـ جاي بيلون(Jean — Guy Pilon) تأسست أهم حركة شعرية معاصرة وهي «الهيكساجون» (Hexagone) عام ١٩٥٤ في مونتريال ، ولربما كان أفضل وصف لهذه المجموعة النشطة من الشعراء والناشرين هو القول ـ مع المجازفة بالافراط في التبسيط ـ إنهم اكتشفوا مجدداً قيمة الاثارة الجنسية ودمجوها مع الحب الشديد لكيبيك. وأحياناً تكون المحبوبة، بصورة يصعب تمييزها، هي المرأة التي ترمز الى الوطن كما اتحد في

شعرهم الحنان والعنف بشكل يصعب الفصل بينهما . وفيما يلي عدد من أهم الشعراء مع أسماء الأعمال التي تمثلهم : جاك برول (Jacques Brault) في «مذكرات» (Memoire) (١٩٦٥) وجاستون ميران في «حياة النزاع» (La Vie Agonique) (١٩٦٤) و«الرجل المنهك» (L'Homme Rapaillé) (١٩٧٠) ، وبول ماري لابوانت (Paul — Marie Lapointe) في «قصائد مختارة : الأشجار» (Choix De Poemes : Arbres) (١٩٦٠) و«الواقع الحتمي» (Le Reel Absolu) (١٩٧١) وجاتيان لابوانت (Gatien Lapointe) في «انشودة الى سان لوران» (O De Au Saint — Laurent) و«أنا ملك الأرض» (J'appartiens A Terre) و«فارس الثلج» (Le Chevalier De Neige) (١٩٦٣) ، ورولان جيجير (Roland Giguère) في «عهد الكلمة» (L'Age De La Parole) (١٩٦٦) ، وأخيراً فرنان اولي (Fernand Ouellette) في «بلد الصمت» (Pays Sans Parole) (١٩٦٧) .

ويمكننا أن نكون فكرة شاملة عن الشعر الكندي الفرنسي بعدد من كتب المختارات الشعرية ، ومنها : «كتاب اوكسفورد عن الشعر الكندي : بالانجليزية والفرنسية» (The Oxford Book Of Canadian Verse : In English And French) (١٩٦٠) ، وكتاب جاي سيلفستر (Guy Sylvestre) «مختارات من الشعر الكندي الفرنسي» (Anthologie De La Poésie Canadienne Française) (الطبعة الرابعة ، ١٩٦٣) ، وكتاب ج . ر . روي (G . R . Roy) «اثنا عشر شاعراً كندياً فرنسياً حديثاً» (Twelve Modern French Canadian Poets) (١٩٥٨) ، وكتاب جي روبرت (Guy Robert) «شهادة عن سبعة عشر شاعراً» (Tèmoignage De 17 Poètes) (١٩٦٤) ، وكتاب ج . كوتنام (J . Cotnam) «شعراء كيبك» (Poètes Du Québec) (١٩٦٩) ، وأخيراً كتاب آلان بوسكي (Alain Bosqwuet) «قصائد كندية» (Poêsie Canadienne) (١٩٦٦) .

الرواية : لقد اتبع تاريخ الادب القصصي طريقاً موازية لتاريخ الشعر ، فبدأ ابداعياً في منتصف القرن التاسع عشر ، ثم انحدر الى الاقليمية فترة طويلة سبقت تطور الرواية الاجتماعية فيما بعد تحت تأثيرات أسلوب المدرسة الطبيعية ، موفرة بذلك صورة حقيقية عن المجتمع الكندي الفرنسي في المدينة .

وكانت رواية «الباحث عن الثروة» (Le Chercheur De Trésor) (١٨٣٧) ، تبعاً لمؤلفها فيليب اينياس اوسبردي جاسبي (Philippe — Ignace Aubert De Gaspé) ، أول رواية كندية ، وهي تروي قصة عن المغامرات والسحر الأسود . أما أشهر روايات القرن التاسع عشر للكاتب فيليب ـ جوزيف اوبيردي جاسبي (Philippe — Joseph Aubert De Gaspé) ، وهي «الكنديون القدامى» (Anciens Canandiens) (١٨٦٣ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٨٦٤) ، فتصف الحياة الاقطاعية ومأساة الولاء المزدوج الذي سببه غزو البلاد . وصورت رواية «جان ريفار» (Jean Rivard) (١٨٦٢) للكاتب انطوان جيران ـ لاجوا (Antoine Gérin — Lajoie) حياة الرواد الأوائل سابقة بذلك رواية «ماريا شابدلين» (Maria Chapdelaine) (١٩١٦) للروائي لويس هيمون (Louis Hémon) والروايات الأخرى عن حياة الرواد . وكان هذا الموضوع صلب روايات «الهاربين» (Deserter) والتي منها على سبيل المثال «الهارب من الواجب» (Le Déserteur) (١٩٣٤) للروائي كلود ـ هنري جرينيون (Claude — Henri Grignon) ، والتي يطلق فيها لقب «الهارب» على المزارع الذي ينتقل الى المدينة .

وعبر جرمان جيفريمون (Germaine Guèvremont) بطريقة مثيرة عن التفسخ التدريجي الذي انتاب احدى اسر الرواد الاوائل في روايتين عن الحياة الريفية هما «الطارق» (Le Survenant) (١٩٤٥) و«ماري ديداس» (Marie Didace) (١٩٤٧) ، واللتين نشرتا بالانجليزية معاً تحت اسم «الغريب» (The Outlander) عام ١٩٥٠ . وتجلت الموهبة التحليلية لفن الرواية على يدي رانجي (Ringuet) (فيليب بانتون) (Philippe Panneton) اذ قام بدراسة مشكلة الهجرة من الريف الى المدينة بصراحة محببة وذلك في رواية «ثلاثون فداناً» (Trente Arpents) (١٩٣٨ ، والمترجمة عام ١٩٤٠) ، بينما صور في «العملة الزائفة» (Fausse Monnaie) (١٩٤٧) فشل الحياة التافهة في المدينة .

واستغلت الأعمال الروائية التاريخية الاهتمام الطبيعي بالامجاد الماضية ، فرواية «المعاطف الحمراء» (Les Habits Rouges) (١٩٢٣) للكاتب روبر دي روكبرون (Robert De Roquebrune) أحيت ذكريات ثورة ١٨٣٧ ، بينما رجع ليو ـ بول دي

روزيه(Leo — Paul Desrosiers) الى الأيام الاولى للمستعمرة في رواية «المتعنتون» (Les Opiniatres) (١٩٤١) ، والى تجارة الفراء التي كانت رائجة في أوائل القرن التاسع عشر في رواية «المتطوعون للقضية الكبرى» (Les Engagés Du Grand Portage) (١٩٣٨) ، وهي أعمال ذات مواضيع تاريخية تكشف عن تباين في الاسلوب المتبع في أعماله الأخيرة ، كما في «أنت الذي يجب ان تمر» (Vous Qui Passez) ، والواقعة في ثلاثة أجزاء (١٩٥٨ ـ ١٩٦٠) .

وسجلت جابرييل روي(Gabreille Roy) ملاحظاتها عن الحياة في أحياء الطبقة العاملة في مونتريال في رواية نالت شهرة واسعة هي «سعادة عابرة» (Bonheur D'occasion) (١٩٤٥ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «الناي القصديري»(The Tin Flute) عام ١٩٤٧) . وتابعت الكاتبة ببراعة ابرازها للتفاهة المخيبة للآمال في الحياة الحديثة في رواية (الكساندر شينفير) (Alexandre Chenevert) (١٩٥٤ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «امين الصندوق» (The Cashier) عام ١٩٥٥) ـ وفي حين كانت جابرييل روي تصور مونتريال ، كان روجيه لوميلان (Roger Lemelin) يصور الحياة في كيبك ، في ثلاثيته المؤلفة من «عند سفح المنحدر البسيط»(Au Pied De La Pente Douce) (١٩٤٤ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «المدينة التي تحت»(The Town Below) عام ١٩٤٨) و«عائلة بلوف»(Les Plouffe) (١٩٤٨ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٠) «بيير الرائع» (Pierre Le Magnifique) (١٩٥٢) والمترجمة الى الانكليزية باسم «بحثاً عن العظمة» (In Quest Of Splendour) عام(١٩٥٥) ،والتي نجد فيها البطل ممزقاً بين لهفته الى العظمة والاحساس المثبط الناجم عن عجزه .

أما ايف تيريو(Yves Thériault) ، الكاتب الخصب الانتاج ، فتجاوز حدود بيئته في مواضيعه ، فقد عنيت رواية «آرون»(Aaron) (١٩٥٤) بالتوتر القائم في عائلة يهودية تعيش في عالم غير يهودي ، وأما رواية «أجاجك»(Agaguk) (١٩٥٨) فصورت بأمانة وضع اسرة من أسر الاسكيمو في مواجهتها قوانين الرجل الأبيض ، كما أعطت رواية «اشيني»(Ashini) (١٩٦٠) صورة غنائية عن طريقة الهنود في الحياة . كان جيرار بيسيت(Gérard Bessette) مراقباً لاذعاً آخر للمجتمع الكندي

الفرنسي ، واستطاع في روايته «العراك»(La Bagarre) (١٩٥٨) أن يعالج موضوع القوى الاجتماعية المعادية في المدينة الكبيرة . أما في رواية «المكتبي»(Le Libraire) (١٩٦٠ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «ليست للجميع» ، عام ١٩٦٢) فعالج موضوع الرياء في المدينة الصغيرة ، كما عرضت رواية «الحضانة»(L'Incubation) (١٩٦٥) مأساة العزلة الانسانية .

وسبر الروائيون ـ الذين تأثروا بنسب متفاوتة بموررياك(Mauriac) وجيد(Gid) وكامو(Camus) أو بغيرهم ـ أعماق النفس الانسانية . فقد جعل روبير شاربونو (Robert Charbonneau) مسرح دراسته النفسية في مدينة خيالية صغيرة أطلق اسمها على الرواية نفسها «فونتيل»(Fontile) (١٩٤٥) ، واختار أندريه جيرو(André Giroux) حالتين فريدتين لدراساته الثاقبة ، الاولى جريمة عاطفية في رواية «فيما وراء الوجوه»(Au Delà Des Visages) (١٩٤٨) والثانية رجل يقترب من الموت بالسرطان في «الاعماق عطشى دوماً»(Le Gouffre A Toujours Soif) (١٩٥٣)، أما الوحدة واليأس فكانا الموضوعين الرئيسيين عند اندريه لنجفان(André Langevin) في «الهارب من الليل»(Evade De La Nuit) (١٩٥١) وفي «سحابة غبار فوق المدينة» (Poussière Sur La Ville) (١٩٥٣ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٥) ، وهي واحدة من أروع الروايات الفنية التي ظهرت في كندا الفرنسية .

وصورت روايات الستينات الاضطراب المستجد الناجم عن الاهتياج السياسي والروحي ، وأفضل من يمثل هذا الاتجاه ريال بونوا(Réal Benoit) في رواية «أريد شخصاً يصغي الي»(Quelqu'un pour m'écouter) (١٩٦٤) وهوبير أكان(Hubert Aquin) في رواياته المغرقة في التعقيد والصور الغريبة الغامضة الملفتة للانتباه في «الحلقة القادمة»(Prochain Episode) (١٩٦٥) و«لحظة نسيان»(Trou De Memoire) (١٩٦٨) و«التجاوب»(M'Antiphonaire)(١٩٦٩) ، وجاك جودبو (Jacques Godbout) في رواياته الثائرة «السكين على المنضدة»(Le Couteau Sur La Table) (١٩٦٥) و«سلاماً على جيلارنو» (Salut Galarneau) (١٩٦٧) ، وف . ل . بوليو(V . L . Beaulieu) الذي قدم مجموعة قصص عن حياة عائلة بوشمان في روايتيه «جو العالم»(Jos Connaissant) (١٩٧٠) و«الاجداد»(Les

(Grands - Pères ١٩٧١) وجاك فيرون(Jacques Ferron) الكاتب الخصب الانتاج الذي تعتبر رواياته «مكتب المحاسب» (Cotnoir) (١٩٦٢) ، و«سلاماً على ايرلندا» (Le Salut De L'Irelande) (١٩٧٠) من بين أفضل أعماله . أما المراهقة فكانت الموضوع الرئيسي في اعمال ماري كليربليز(Marie — Claire Blais) بدءاً من «الوحش الجميل» (La Belle Bete) (١٩٥٩) ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «الظلال المجنونة» (Mad Shadows) عام ١٩٦٠) واستمراراً في «فصل من حياة ايمانويل» (Une Saison Dans La Vie D'Emmanuel) (١٩٥٩) و«الذئب» (Le Loup) (١٩٧٢) . والمراهقة بدورها هي مادة الموضوع نفسه في أعمال ريجان دوشارم(Réjean Ducharme) ومنها «مسحوق من المسحوقين» (L'Avalée Des Avalés) (١٩٦٦) و«الانف الذي يعوم» (Le Nez Qui Voque) (١٩٦٧) .

المسرحية . كان المسرح أفقر فروع الأدب الكندي الفرنسي انتاجاً ، ومع ذلك تأسست فرق مسرحية ممتازة ، منها : «فرقة سان لوران» (Les Compagnons Du Saint — Laurent) (١٩٣٧ - ١٩٥٢) وفرقة «مسرح العالم الجديد» (Le Théatre Du Nouveau Monde) (١٩٥١) ، و «مسرح الكوميديا الكندية» (Théatre De La Comédie Canadienne) (١٩٥٦) . ونال جراتيان جيلناس (Gratien Gélinas) استحساناً جماهيرياً واسعاً كمؤلف وممثل رئيسي في مسرحيتي «تيت - كوك» (Tit — Coq) (التي نشرت عام ١٩٥٠) و«بوسي والعادلون» (Bousille Et Les Justes) (١٩٦٠ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦١) . وعالج روبير إلي (Robert Elie) موضوع التحسر على النقاء المفقود بأسلوب رمزي في مسرحية «الغريبة» (L'Etrangère) (١٩٥٤) . كما أكد معاصره جاك لانجيران (Jacques Languirand) على هذا الجو في مسرحيتي «الوقحون» (Les Insolites) (١٩٥٦) و«الرحلات الكبرى» (Les Grands Departs) (١٩٥٧) . واكتسب مارسيل دوبي(Marcel Dubé) جمهوراً أوسع في المواضيع الاجتماعية التي طرقها في مسرحيات «مجند بسيط» (Un Simple Soldat) (١٩٥٨) و«فلورنس» (Florence) (١٩٦٠) و«حب تعس» (Pauvre Amour) (١٩٦٩) ، ثم احتل الكاتب المسرحي ميشيل ترامبلي(Michel Tremblay) مكانة دوبي بمسرحيته المشهورة «بنات الحمي»

(Les Belles — Soeurs) (١٩٧١) . وقـدم روبـير جوريك (Robert Gurik) مسرحيات الخيال العلمي في «آبي ٢٩٦٧»(Api 2967) و«لا باليساد» (أي السياج) (La Palissade) (١٩٧١) . وبالفعل، وفر الراديو والتلفزيون مجالاً واسعاً للكتاب المسرحيين الذي تفرغ عدد منهم للكتابة لهذه الاجهزة ، ونستطيع أن نجد نماذج عن فنهم هذا في «مسلسلات كندا الفرنسية»(Ecrits Du Canada Français) التـي بدأ نشرها عام ١٩٥٤ واستمر في السنوات التالية .

النقـد : ظهـر النقـد الادبـي عام ١٩٠٣ على شكل دراسـة قدمهـا لويس دانتـان (Louis Dantin) عن الشاعـر أميل نيلجـان (Emile Nelligan) . وبـكل الأحوال ، كتب الناقـد كاميل روي(Camille Roy) واحـدة من اولى الدراسـات الموضوعية ، ومن بين أهم الأعمال العديدة التي نشرها هذا الناقد «كتـاب تاريخ الادب الكنـدي الفـرنسي» (Manuel D'histoire De La Litterature Canadienne Française) (١٩١٨) . وجعـل جـيرار تـوجـا (Gérard Tougas) كتـاب روي في تاريخ الادب الكندي يبدو من طراز قديم في مؤلفه «تاريخ الأدب الكندي الفرنسي» (Histoire De La Littérature Canadienne Française) (١٩٦٠) ، الـذي أوحـى بدراسات جيدة اخرى مثل «تـاريخ الادب الكنـدي الفـرنسي» (Histoire De La Littérature Canadienne — Française) (١٩٦٨) لمؤلفـه بيسيت جيسـلان باران (Bessette — Geslin — Parent) وكتاب «تاريخ الأدب الفرنسي لكيبك» (Histoire De La Littérature Française Du Quebec) والواقـع في أربعـة أجـزاء (١٩٦٧ - ١٩٦٩) لمؤلفه بيير دي جران بري(Pierre De Grandpré) وكتاب «الادب في كندا الفرنسية» (Literature In French Canada) (١٩٦٧) لمؤلفه جاي سيلفيستر (Guy Sylvestre) . كما كتب جان بيرو(Jean Béraud) تقريراً جيداً عن المسرح في مؤلفه «ثلاثمائة وخمسون عاماً من عمر المسرح في كندا الفرنسية» (350 Ans De Théatre) (Histoire De La Littérature Canadienne - Française) (١٩٦٠)، الذي أوحى كتاباً عن تاريخ القرن التاسع عشر في عشرة مجلدات تحت اسم كتاب كندية سالفة (Les Lettres Canadiennes D'autre fois) (١٩٣٩ - ١٩٥٩)

ونشرت «مجلة جامعة تورنتو الفصلية» (University Of Toronto Quarterly) استعراضاً سنوياً رائعاً للأدب الكندي الفرنسي منذ عام ١٩٣٦ وما بعـد كما وفـر ادريان تيريو (Adrien Thério) مصدراً متمماً للمعلومات في نشرته السنوية «كتـب ومؤلفون كنديون» (Livres Et Auteurs Canadiens) منذ عام ١٩٦١ ، وقدم بول فيزنزكي (Paul Wysznski) نشرته الثقافية «أرشيف الأدب الكندي» (Archives Des Lettres Canadiennes) منـذ عام ١٩٦١ ، ولا تزال هنـاك مجموعـة من النشرات المسلسلة نشطة فعالة .

الفَصْل الخامِس

الأدَب الكَنَدي الانكليزي
من الاتحاد الفيدرالي حتى العشرينات

ان اتحاد مستعمرات القسم البريطاني من امريكا الشمالية في الاتحاد الكونفدرالي الكندي عام ١٨٦٧ ، كان قد سبقه احساس نام بالانتماء القومي وازداد هذا الاحساس قوة باتمام الاتحاد . وكان تشارلز سانجستر (Charles Sangster) اقوى الشعراء في ميوله القومية اذ اعتبر شاعر «البلاط» غير الرسمي في العقد الذي سبق الاتحاد ، الا انه نادراً ما كان يذكر بعد الاتحاد . ووجد تشارلز مير (Charles Mair) مواضيع أشعاره في الحدود الجديدة والتاريخ الكندي التي استخدمها في مسرحيته الشعرية «تيكومسيه» (Tecumseh) والتي نشرت عام ١٨٨٦ . أما القصص التاريخية ، التي كانت دائماً شكلاً أدبياً شائعاً في كندا ، فأفضل ما يمثلها الرواية التاريخية «الكلب الذهبي» (The Golden Dog) (١٨٧٧) لويليام كيربي (William Kirby) التي تعالج مواضيع الاستقامة والفساد في «فرنسا الجديدة» (كندا) .

وفي غضون ذلك بدأت النشرات الدورية شبه الادبية بالظهور ، وأهمها «الاكليل الادبي» (Literary Garland) و«الكندي الشهرية» (Canadian Monthly) و«الأمة» (Nation) الناطقة باسم مجموعة «كندا أولاً» (Canada First) و«الاسبوع» (The Week) وهي أفضلها .

كان السير تشارلز ج . د . روبرتس (Sir Charles G.D. Roberts) أول رئيس تحرير «للاسبوع» ، وقد نظم مع أقرانه بليس كارمان (Bliss Carman) وأرشيبالد لامب مان (Archibald Lampman) ودنكان كامبل سكوت (Duncan Campbell Scott) ، أفضل الأشعار المؤلفة في كندا قبل العشرينات . وفي نتاج أفراد هذه المجموعة نجد الكثير من الاشياء المشتركة بين روبرتس وكارمان اذ كانا

ابني عم، ودرسا معا في المدرسة والجامعة نفسيهما، كما تأثرا بالابداعية الانجليزية، والفلسفة التجريدية المتسامية لكاتب أمريكي من القرن التاسع عشر هو رالف والدو ايمرسون (Ralph Waldo Emerson). كان روبرتس شاعراً اقليمياً بارزاً، لكنما عبر كذلك عن التفاؤل القومي الذي انتشر في نهاية القرن التاسع عشر، وبدا شعره الديني والفلسفي أقل أصالة من «اغاني اليوم العادي» (Songs Of The Common Day) الريفية (١٨٩٣)، والتي تعتبر انعكاساً باهتاً لفكرة وحدة الوجود عند الابداعيين وللفلسفة المتسامية. وبلغ كارمان قمة الاسلوب الابداعي والفلسفة المتعالية في بعض المقطعات والقصائد القصيرة، وغالباً ما كانت قصائده ذات الجمال الكيتسي [1] الزائف مفرطة العاطفية وممجوجة. أما الشاعران الآخران من «مجموعة الاتحاد الكونفدرالي»، وهو الاسم الذي اطلق على هؤلاء الكتاب فهما لامبان وسكوت الأجنبي اللذان كانا صديقين يعيشان في اوتاوا كعضوين في الادارة المحلية. كان شعر لامبان في وصف الطبيعة في اوتاوا، وفي تعليقاته الاجتماعية تعبيراً عن نفس حساسة تشعر بالوحدة. وكان سكوت بدوره انعزالياً متزمتاً بعض الشيء، إلا أنه أصفى شاعرية، وهو كغيره من الشعراء أقليمي، الا ان اقليميته ارتبطت بالبراري الهندية الشمالية البعيدة الشاسعة. رصد قلمه سواء بقصصه وشعره لوصف موقف الانسان ضد الانسان، أو قوى الطبيعة المشحونة ضد الانسان، لكن العنف الواقعي في مواضيعه كان مكتوماً، وغالباً ما أوحى بالغرابة والخيال الجامح.

كان هذا العصر الأول للكتب الأكثر رواجا، وهي هنا روايات رالف كونر القصصية وقصائد «يوكون» (Yukon) الغنائية من نوع «البالاد» لروبرت و. سيرفس (Robert W. Service). وتغنى توم ماك اينس (Tom Mac Innes) أربعين عاماً بمصادر البهجة عند المتشردين البوهيميين بمهارة فاقت كارمان، أما مارجوري بيكتال (Marjorie Pickthall)، الفنانة المرهفة، فجمعت المشاعر الدينية الى جانب المبادىء الجمالية التي سادت في أواخر القرن الماضي، وذلك في أناشيد تاريخية جميلة لكنها ممجوجة أحياناً. كما راجت القصائد العامية التي مزجت الهزل

(١) نسبة الى الشاعر الانكليزي كيتس (Keats).

والروايات العاطفية ذات الطابع الانثوي التي كتبتها لوسي م . مونتجمري (Lucy M . Montgomery) ومنهـا : «آن من جرين جيبلـز» (Anne Of Green Gables) (١٩٠٨) . أما أفضل كتب هذه الفترة فكتاب «صور بهيجة في مدينة صغـيرة» (Sunshine Sketches Of A Little Town) (١٩١٢) لستيفـن ليكوك (Stephen Leacock) ، وهو عبارة عن أناشيد محلية طعمت العاطفة المبالغ فيها بالهجاء الساخر من تفاهة الحياة في أحدى مدن اونتاريو .

الأدب بعد عام ١٩٢٠

ان تأسيس «المنبر الكندي» (Canadian Forum) عام ١٩٢٠ ، وهي دورية ناصرت الرسامين وحركة المسرح الصغير والشعراء الجدد ، كانت دلالة على القومية المتنامية ، وعلى الاهتمام بالفنون الثقافية بعد الحرب العالمية الاولى . وكان ي . ج . برات (E . J . Pratt) أول الشعراء الجدد ، وهو جامح الخيال في : «طبخة الساحـرات» (The Witches Brew) (١٩٢٥) و«الجبابـرة» (The Titans) (١٩٢٦) أما بقية قصائده الطويلة التي نظمها بعد ذلك ، ومنها «الجبار» (The Titanic) (١٩٣٥) و«بريبوف واخوته» (Brébeuf And His Brethren) (١٩٤٠) و«خلف جهاز السرعة» (Behind The Log) (١٩٤٧) فتقصص عن البطولات أظهر فيها معرفة تاريخية وفنية دقيقة ، ومتعة اليزابيثية في استخدامه الألفاظ الجزلة الفخمة .

كان برات شخصية منعزلة ، الا أن تخطيه تقاليد شعراء الفترة الكونفديرالية كان عاملاً مشجعاً للكتاب الشباب المتأثرين عادة باليوت . وأصدر خمسة من هؤلاء ، بالاضافة الى برات مجلدا شعريا باسم «الاقاليم الجديدة» (New Provinces) (١٩٣٦) تجلى فيه تأثير اليوت واضحاً في أشعار أ . ج . م . سميث (A . J . M . Smith) ، وهو الناقد الوحيد في المجموعة ، وكذلك في أشعار ليوكينيدي (Lew Kennedy) ، أما روبرت فنش (Robert Finch) فدان بالكثير لاساتذة اليوت الفرنسيين ، وكان ف . ر . سكوت (F . R . Scott) موثراً جداً في قصائده الهجائية القصيرة ، أما ابراهام موسيس كلين (Abraham Moses Klein) فكان مثقفاً حساساً متعمقاً في تاريخ شعبه . وظهر بعد ذلك شاعران بارزان

هما رايموند سوستر(Raymond Souster) ، وهو من المدرسة التصويرية ، وليونارد كوهين(Leonard Cohen) الذي نظم شعراً استبطانياً مروعاً .

وخلال فترة الركود الادبي في الثلاثينيات ، وأثناء الحرب العالمية الثانية ، نظم ايرل بيرني(Earle Birney) انتقادات اجتماعية وشعراً هجائياً وقصائد عن الحرب (ورواية هزلية عن الحرب هي «تورفي»(Turvey)) . كما كتب قصصاً ووصفاً اقليمياً . أما أعمال ب . ك بيج (P . K . Page) فعنيت بالاقتصاد والسياسة . وكان الناقد لويس دوديك(Louis Dudek) في رواية «شرقي المدينة» (East Of The City) (١٩٤٦) ماركسياً في نقده الاجتماعي أحياناً ، بادي الاغتباط لما في موطنه مونتريال من مشاهد صناعية أحياناً أخرى . وكان ايرفنج ليتون (Irving Layton) ـ وهو من مونتريال أيضاً ـ مناضلاً بروليتاريا ، ومن أتباع المذهب الطبيعي ، وفردياً ، والناقد العنيف للتزمت والعقلانية في كندا . وبدوره كان جيمس ريني(James Reaney) منتقداً للحياة في المدن الصغيرة بشكل ضمني في شعره المعقد . ان الاهتمام الشامل بالرموز والاساطير وبالشاعر الانجليزي ويليام بليك(William Blake) ـ وهو من شعراء القرن التاسع عشر ـ وبالعالم النفسي السويسري كارل جانج(Carl Jung) لعب دوراً في تكوين شعر جاي ماكفيرسون (Jay Macpherson) .

كانت روايات فريدريك فيليب جروف الاولى(Frederick Philip Grove) ، بدءاً من «مستوطنو المستنقع(Settlers Of The Marsh) (١٩٢٥) وحتى «ثمار الأرض»(Fruits Of Teh Earth) (١٩٣٣) ، دراسات عن ارتياد المروج تمتاز بالدقة وبالجو الموحش الى جانب أسلوب هو أبعد ما يكون عن الرقة . وكانت أفضل مؤلفاته كتابين سابقين في وصف المناطق الغربية هما «فوق ممرات النجود» (Over Prairie Trails) (١٩٢٢) و«نهاية العام»(The Turn Of The Year) (١٩٢٣) ونشر مازودي لاروش(Mazo De La Roche) ست عشرة رواية عن عائلة وايت اوك (White — Oak) المشاكسة ، ابتدأت برواية «جالنا»(Jalna) (١٩٢٧) وانتهت برواية «الصباح في جالنا»(Morning At Jalna) (١٩٦٠) ، وتعتبر هذه الرواية أعظم الانجازات الضخمة في الأدب الروائي الكندي . وكتبت ايتل ويلسون

(Ethel Wilson) بحساسية ومهارة عن العواطف والتناقضات الشخصية أما فيليب تشايلد(Philip Child) ، الذي بدأ حياته الأدبية بكتابة الرواية العاطفية التاريخية فما لبث ان تحول عنها الى الواقعية المعاصرة ، كما نجد في «يوم الغضب»(Day Of Wrath) (١٩٤٥) . وكان مورلي كالاجان(Morley Calaghan) من المدرسة الواقعية الانسانية ، تعاطف وصفه مع الاشخاص غير المتكيفين مع المجتمع أو المذهولين معنوياً في مجتمع المدينة . واستخدم هيو ماكلينان(Hugh Maclennan) أساليب المدرسة الواقعية في وصفه الحياة في نوفا سكوتيا(Nova Scotia) كما نجد في روايتيه «ارتفاع البارومتر»(Barometer Rising) (١٩٤١) و«ابن كل رجل»(Each Man's Son) (١٩٥١) ، كما حاول أن يفسر الشخصية القومية الكندية في رواية «العزلتان» (Two Solitudes) (١٩٤٥) ، ووفرت العادات الكندية المنتشرة في المدن الصغيرة جنوبي اونتاريو مادة هزلية لروبرتسون دافيز(Robertson Davies) . وأقوى روايات مردخاي ويتشلر(Mordecai Richler) هي «تدريب دادي كرافيتز»(The Apprenticeship Of Duddy Kravitz) (١٩٥٩) ، التي تجمع بين شخصية حدث لا يتسم بالبطولة ووصف للقسم اليهودي من مونتريال ، باسلوب هزلي وواقعي مثير للشفقة .

وكان هناك روائيان عابران ، أولهما الانجليزي مالكولم لوري(Malcolm Lowry) ، الذي غادر المكسيك ليقضي خمسة عشر عاماً في كندا ، قضى معظمها في مقاطعة كولومبيا البريطانية حيث أكمل روايته «تحت البركان»(Under The Volcano)(١٩٤٧) . وثانيهما«برايان مور»(Brian Moore) ، الذي عاش فترة قصيرة في مونتريال ، التي جعلها مسرح أحداث روايته «حظ جنجر كوفي»(The Luck Of Ginger Coffey) (١٩٦٠) .

الفَصْل السَّادس

الأدَب الاسترالي والنيوزيلندي في القرن العشرين

الأدب الاوسترالي

القومية والتوسع : شهدت العشرون عاماً الأخيرة من القرن التاسع عشر نمواً في الوعي القومي ، كما شهدت الخطوات المتخذة نحو اتحاد الولايات المستقلة . وكانت المواضيع الادبية الشائعة هي مواضيع الاعتداد القومي ، وقيم الحياة الريفية ، والتعاطف مع النضال الذي يخوضه صغار الملاكين ، وخاصة في القصص التي كتبها هنري لوسون (Henry Lawson) وستيل رود (Steele Rudd) (واسمه الفعلي آرثر هوي دافيز (Arthur Hoey Davis) وهناك موضوع آخر هو موضوع أيام أحكام الادانة الخوالي عندما كان السجناء ينقلون من بريطانيا لتنفيذ أحكام الأشغال الشاقة الصادرة بحقهم في استراليا ، وخير مثال على ذلك أربعة مجلدات من الحكايات التي كتبها برايس وارونج (Price Warung) واسمه الفعلي ويليام استلي (William Astley) أما جوزيف فورفي (Joseph Furphy) فوصف الحياة الريفية في الثمانينات من القرن التاسع عشر برواية طويلة أطلق عليها اسم «هذه هي الحياة» (Such Is Life) (١٩٠٣) ، وهي مليئة بتفاصيل الحياة في مزارع الاغنام ، والاحاديث المتبادلة بين الذين يسوقون العجول ، كما نجد فيها العواطف القومية والتفلسف في أمور الحظ والايمان بالقضاء والقدر .

أما جوزيف فورفي (Joseph Furphy) فوصف الحياة الريفية في الثمانينات من القرن التاسع عشر برواية طويلة أطلق عليها اسم « هذه هي الحياة » (Such Is Life) (١٩٠٣) ، وهي مليئة بتفاصيل الحياة في مزارع الأغنام ، والأحاديث

المتبادلة بين الذين يسوقون العجول ، كما نجد فيها العواطف القومية والتفلسف في أمور الحظ والايمان بالقضاء والقدر.

وحافظ لوبسون و « بانجو » باترسون (Banjo » Paterson) على التقليد المزدهر للشعر الغنائي الشعبي من نوع « البالاد » في العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

ورحب الأدباء بالاتحاد الفيديرالي الذي قام عام ١٩٠١ ، وذلك بحماس بالغ تجلى بنثرهم وشعرهم على حدسواء. وعموماً تناقصت المواضيع القومية في السنوات الثلاثين الأولى من القرن العشرين بسبب الوعي المتنامي لما في الحياة الأوسترالية من تعقيد ، والتفت الأدباء الى مشاكل الناس العاديين ، والى الحاجة للاصلاح الاجتماعي . وكان هناك عدد من المؤلفين الذين كتبوا عن الحياة في المدينة والعاملين فيها ، من أبرزهم كاترين سوزانا بريتشارد (Katherine Susannah Prichard) ، التي امتدت رواياتها على مدى أكثر من أربعين سنة ، ولويس ستون (Louis Stone) وادوارد دايسون (Edward Dyson) وكيلي تينانت (Kylie Tennant) (واسمها الحقيقي مسز ل . س . رود) (Mrs. L. C. Rodd) أما أهم الكتّاب الذين حاولوا دراسة حياة سكان البلاد البدائيين وعلاقتهم بالرجل الأبيض ، فهم مسز اينياس جن (Mrs. Aeneas Gunn) وكزافيير هربرت (Xavier Herbert) وكاترين سوزانا بريتشارد . وأبدى الكاتبان مايلز فرانكلين (Miles Franklin) واليانور دارك (Eleanor Dark) اهتماماً بالغاً بالتاريخ وبأيام الاستعمار الأولى كما قدم فانس بالمر (Vance Palmer) روايات بارزة وقصصاً قصيرة ومواضيع نقدية . أما هنري هاندل ريتشاردسون (Henry Handel Richardson) واسمها الأصلي اتيل فلورنس لندساي روبرتسون (Ethel Florence Lindesay Robertson) فكتبت عن أيامها المدرسية في ملبورن في رواية « تحصيل الحكمة » (The Getting of Wisdom) (١٩١٠) ، وعن أيام الدراسة في لايبزيج في رواية « موريس جست » (Maurice Guest) (١٩٠٨) ، كما كتبت عن حياة والدها في ثلاثية « مصائر ريتشارد ماهوني » (The Fortunes of Richard Mahony) (١٩١٧ - ١٩٢٩) ، والتي جمعت في

الجزء الثالث منها وصفاً لحياة المهاجر وظروف العيش في حقول الذهب ، الى جانب الدراسة الرصينة للشخصيات .

كان نجاح الشعراء طفيفاً ، الا أنه أظهر تنوعاً في الأهداف والاهتمامات ، فنظم جون شو نيلسون (John Show Neilson) أشعاراً غنائية رقيقة رائعة ، كما برع فكتور دالي (Victor Daley) في القصائد الابداعية والانتقاد الحاد ، بينما استمرت الأغاني التقليدية من نوع « البالاد » في الأشعار الرائجة التي كتبها س.ج. دينيس (C.J.Dennis) . وكان كريستوفر برينان (Christopher Brennan) في أشعاره الرمزية مديناً للتقاليد الأوروبية ، كما كتب كينيث سليسار (Kenneth Slessor) أشعاراً غنائية درامية مثيرة.

الفترة الحديثة : كثرت المجلات الأدبية أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، كما ازداد جمهور القراء. ومع أن الكتابات الواقعية والوصفية حافظت على مكانتها ، اصبح الكتّاب الأوستراليون منذ الخمسينات وما بعد ذوي نظرة تأملية متفحصة . كان باتريك وايت (Patrick White) أكثر روائيي منتصف القرن العشرين تأثيراً ، وأهم رواياته استرالية بشكل متميز لكننا نلحظ في معالجتها شمولاً في الرؤ ية يتجاوز الحدود القومية . كما يتضح في رواياته « شجرة الانسان »(The Tree of Man) (١٩٥٥) و « فوس » (Voss) (١٩٥٧) و « ركاب في المركبة » (Riders in the Chariot) (١٩٦١) و « المندالة »[1] الصلبة » (The Solid Mandala) (١٩٦٦) و « المشرِّح » (The Vivisector) (١٩٧٠) ، وفي قصصه القصيرة ان استراليا التي تعكسها هذه الأعمال هي نتاج خيال شعري نقدي فذ . وهناك مجموعة أخرى من الروائيين تضم مارتن بويد (Martin Boyd) ، الذي عرض تحليلاً ثاقباً للحياة الانجليزية والاسترالية ، وراندولف ستو (Randolph Stow) الذي جعل مسرح رواياته الرمزية مناطق استرالية مصورة بطريقة رائعة نابضة بالحياة ، وتوماس كينيلي (Thomas Keneally) . واستمرت القصة القصيرة الا أنها احتفظت بتميز قوي للريف مما أدى الى تفاوت غريب بين الحياة كما يعرفها معظم

---

(١) المندالة : رمز الكون عند الهندوس والبوذيين يأخذ بشكل خاص شكل دائرة تحيط بمربع يستعمل للتأمل .

الاستراليين ، والحياة كما صورها الأدب . أما التراجم الذاتية التي كتبها هال بورتر (Hal Porter) فكانت ذات أهمية خاصة لأنها أظهرت التغيرات الطارئة على المجتمع الاسترالي منذ الثلاثينات حتى الستينات من القرن العشرين .

وبقي تقليد الشعر الوصفي ، الا أن شعراء منتصف القرن العشرين بحثوا في مجالات أوسع ممن سبقهم من الشعراء . واشتهر روبرت د. فيتز جيرالد (Robert D. Fitz Gerald) بأشعاره الغنائية التي تثير الجدل الحماسي ، وا. د. هوب (A.D. Hope) بشعره الفكه الذي يحتوي على تلميحات بارعة ، كما اشتهر دوجلاس ستيوارت (Douglas Stewart) بشعره الصريح الجزل ، وجوديت رايت (Judith Wright) بأشعارها الغنائية الحساسة ، أما جيمس ماك أولي (James Mc Auley) فاشتهر بشعره الغنائي التأملي .

وعلى الدوام كان الأدب الاسترالي فقيراً في المسرحية ، ولم تحرز أية مسرحية نجاحاً حقيقياً الا في أواخر الخمسينات وفي الستينات ، وأشهرها « نيدكيللي » (Ned Kelly) (المنشورة عام ١٩٤٣) و « نار على الثلج » (Fire on the Snow) (التي عرضت لأول مرة عام ١٩٤١) وهما من تأليف دوجلاس ستيوارت (Douglas Stewart) ، وهناك مسرحية « صيف الحبيبة السابعة عشرة » (Summer of the Seventeenth Doll) (١٩٥٥) لراي لولر (Ray Lawler) و « يوم من السنة » (One Day of the Year) من تأليف ألن سيمور (Alan Seymour) و « أربع مسرحيات » (Four Plays) (نشرت عام ١٩٥٦) لباتريك وايت (Patrick White) . وبرز مؤخراً عدد من الكتّاب المسرحيين الشباب .

وغدا من العسير على الكتّاب الاستراليين أن يجاروا عالمهم بسبب التوسع السريع للمجتمع الاسترالي في القرن العشرين . والدراسة الدقيقة للتاريخ والمجتمع الاستراليين ، بله اعادة تفسير الأدب الاسترالي هما أفضل ما يمثل روح النقد التي تبلورت واضحة في الخمسينات والستينات من القرن العشرين .

الأدب النيوزيلندي

كانت أوستراليا سباقة على نيوزيلندا بخمسين عاماً من الاستقرار المنظم ، وبدا كأنما هناك ثغرة مماثلة في الوعي القومي ، كانت هي السائدة في معظم القرن الممتد ما بين ١٨٤٠ و١٩٤٠ ومع ذلك كان هناك ازدهار للأدب منذ أوائل الثلاثينات مكن الكاتب الانجلو ـ اوسترالي كولن ماك اينيس (Colin Mac Innes) من أن يبرهن على أن الكتّاب النيوزيلنديين استطاعوا العمل على اظهار بلادهم بصورة « أوضح وأعمق » مما فعل الكتّاب الأوسترالبون .

وترك كتّاب القرن التاسع عشر القليل من الأدب النيوزينلدي الحقيقي للأجيال اللاحقة ، اذ ظل معظم الكتّاب حتى العشرينات من هذا القرن يستهدفون في كتاباتهم القارىء الانجليزي ، ولذا فغالباً ما كانوا يستغلون العناصر من فطرية ودخيلة في بيئتهم ويشوهونها . وكان هناك بعض كتب التاريخ وقصص التراجم الذاتية الجديرة بالاهتمام ، ومنها « نيوزينلدا القديمة » (Old New Zealand) (١٨٦٣) لمؤلفه ف . ي . مانينج (F.E.Maning) و « أولى السنوات في مستوطنة كانتربري » (First Year in Canterbury Settlement) (١٨٦٣) لصامويل بتلر (Samuel Butler) ، و « الحياة في مزارع الأغنام في نيوزيلندا » (Station Life in New Zealand) (١٨٧٠) لليدي ماري آن باركر (Lady Mary Anne Barker) أما أبرز ناظمي الشعر من سكان المستعمرة فكانا الفريد دوميت (Alfred Domett) وجون بار (John Barr) الشاعر الذي نظم باللغة الاسكتلندية .

كانت كاترين منسفيلد (Katherine Mansfield) واحدة من ألمع أسماء هذه الفترة بالرغم من أنها لم تتوقع أن تجد جمهوراً من القراء في بلادها ، فكانت مدينة لمجتمع الرواد النيوزيلنديين كما يتضح في أكثر قصصها رواجاً « عند الخليج » (« At the Bay ») و « حفلة سمر في الحديقة » (« The Garden Party ») (١٩٢٢) . وأنجز كاتبان آخران أعمالاً مميزة في هذه الفترة بالذات هما جين ماندر (Jane Mander) مؤلف قصة « نهر نيوزيلندي » (The Story of a New Zealand

(River) (١٩٢٠) ، وويليام ساتشــل (William Satchell) مؤلف « أرض التائهين » (The Land of the Lost) (١٩٠٢) .

وتمكن بضعة شعراء واثنان أو ثلاثة ناشرين من شق طريقهم بنجاح في أجواء المناخات الأدبية غير الملائمة في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين ، من أبرزهم كاتب القصة القصيرة فرانك سارجيسون (Frank Sargeson) ، والشعراء ا.ر.د. فيربيرن (A.R.D. Fairburn) ور.ا.ك.ميسون (R.A.K.Mason) وألين كيرنو (Allen Curnow) ودينيس جلوفـر (Denis Glover) الـذين تميزت أعمالهـم باكتسابها جمهوراً من أبناء الوطن . وكانت رواية القصة من خصائص الكتابـة في العالم الجديد ، واستخدم سارجيسون هذا ببراعة في حكاياته عن سنوات الكساد الاقتصادي . ولمع روائيان آخران في هذه الفترة هما جون مالجان (John Mulgan) مؤلـف « الرجـل الـوحيد » (Man Alone) (١٩٣٩) ، وتعتبـر رواية نيوزيلندية رائعة بعنوانها ومضمونها ، وجون ا. لي (John A. Lee) مؤلف « أطفال الفقراء » (Children of the Poor) (١٩٣٤) وهي رواية مقلقة للأحاسيس .

وشهدت السنوات منذ بداية الأربعينات ازدهاراً في معظم الأشكال الأدبية ، وخاصة في القصة القصيرة التي كان من بـين أفضـل كتّابهـا رودريك فينليسـون (Roderick Finlayson) وموريس دوجان (Maurice Duggan) وو. ي. مدلتـون (O.E. Middleton) وفيليب ولسون (Phillip Wilson) أما أبرز الشخصيات الأدبية في فترة ما بعد الحرب فهما الشاعر والكاتب المسرحي جيمس ك. باكستر (James K. Baxter) ، والشاعر والمؤرخ كيث سنكلير (Keith Sinclair) . ومن بين أشهر الكتّـاب الـروائيين دان ديفـن (Dan Davin) في « لا يوجـد حوالات » (No Remittance) (١٩٥٩) ، ودافيد بالانتـاين (David Ballantyne) في « عائلـة كاننغهـام » (The Cunnighams) (١٩٤٩) وسيلفيا اشتـون - وورنـر (Sylvia Ashton - Warner) في «العـانس» (Spinster) (١٩٥٨) و «غـرين ستـون» (Green Stone) (١٩٦٦) ، وايان كروس (Ian Cross) في «الغـلام الرائـع» (The God Boy) (١٩٥٧) و «بعد يوم الجنـدي النيوزيلنـدي» (After Anzac Day) (١٩٦١) وجانيت فرايم (Jannet Frame) في «وجـوه في الماء» (Faces in the Water)

(١٩٦١) و « حالة حصــار » (A State of Siege) (١٩٦٦) و « طيور المطـر » (The Rain birds) (١٩٦٨) ، ومــوريس شادبولــت (Maurice Shadbolt) في « بين الرماد » (Among the Cinders) (١٩٦٥) و«غرباء ورحلات » (Strangers and Journeys) (١٩٧٢) ، وأخــيراً موريس جي (Maurice Gee) في « زهــرة خاصــة » (A Special Flower) (١٩٦٥) و « في عرين والــدي » (In My Father's Den) (١٩٧٢) . ان النماء كماً وكيفاً في الكتابة النيوزيلندية ، والاتساع السريع في مجال المواضيع أمران يعكسان وعياً قومياً متصاعداً بسرعة .

الفَصْـل السَّابع

الأدب الافـريقي في القـرن العشـرين

أدب جنوبي افريقيا
الأدب باللغة الانجليزي

كانت أولف شراينر (Olive Shreiner) ، وهـي كاتبـة تحـريرية ضليعـة في الشؤون المحلية والدولية ، أول من كتـب رواية عظيمـة في جنوبـي افريقيا هي « قصة مزرعة افريقية » (The Story of an African Farm) (١٨٨٣) أما ويليام بلومر (William Plomer) فهو أول من طرق موضـوع العلاقـات العنصرية كمادة لأدبه القصصي ، وذلك في رواية « تربوت ولف » (Turbott Wolf) (١٩٢٥) - كما عالجت بولين سميث (Pauline Smith) في « النجـد الصغـير » (The Little Karoo) (١٩٢٥) حياة الأفريكانيين الريفية ، بينما عالجت لورين فان دربوست (Laurens Van der Post) موضوع هجرة الافريقيين الى المدينة في احدى رواياتها ، وهي « في احدى المقاطعات » (In a Province) (١٩٣٤) .

ورسخت رواية «ابكِ يا بلدي الحبيب» (Cry, the Beloved Country) (١٩٤٨) شهـرة آلان بيتـون (Alan Paton) العـالمية ، والتـي عززتهـا كتاباتـه المتأخرة ، كالقصص التي كتبهـا في « عـودي الى البيت يا ديبـي » (Debbie, Go Home) (١٩٦١) . وكان لرواية نادين جورديمـر (Nadine Gordimer) الأولى « أيام الكذب » (The Lying Days) (١٩٥٣) صدى واسع خارج بلادها ، الا أن موهبتها تجلت في القصة القصيرة ، كما يتضح في مجموعتها القصصية « ليست للنشر » (Not for Publication) (١٩٦٥) ، أمـا أحـداث روايتهـا « ضيف الشرف » (A Guest of Honour) (١٩٧١) فتجري خارج البـلاد . وكان دان جاكوبسون (Dan Jacobson) يكتب بتحفظ ودعابة ساخرة ، كما نتبين في رواية « المبتدئون » (The Beginners) (١٩٦٦) وفي مجموعة قصصه القصيرة « أفقـر

جاري » (Beggar My Neighbour) (١٩٦٤) ، أما « اغتصاب تامار » (The Rape of Tamar) (١٩٧٠) فمعالجة قصصية لموضوع من الكتاب المقدس .
وكان بيتر ابراهامز (Peter Abrahams) مؤلف « أعلنوا الحرية : ذكريات من افريقيا » (Tell Freedom: Memories of Africa) (١٩٥٤) روائياً خصب الانتاج ، وهو من الملونين ، وكان منفياً خارج بلاده . واستخدم اليكس لا جوما (Alex La Guma) اللغة الانجليزية الخاصة « بالملونين » ، وهي لغة تدين بالكثير للغة الأفريكانية ، وذلك في قصصه القصيرة ورواياته القصيرة ومنها « نزهة في الليل » (A Walk in the Night) (١٩٦٢) ، ومن مؤلفاته الأخرى « حبل ذو ثلاث طيات » (And a three fold cord) (١٩٦٤) و « بلد الماس » (The Stone — Country) (١٩٦٥) و « في ضباب نهاية الفصل » (In the fog of a season's End) (١٩٧٢) وهناك كتاب معارضون آخرون منهم لويس نكوسي (Lewis Nkosi) مؤلف « الوطن والمنفى » (Home and Exile) (١٩٦٥) ، وهو مجموعة من المقالات ، ومنهم أيضاً ايزاكيال (حزقيال) مفاليل (Ezekiel Mphahlele) الذي غدت روايته التي تعكس حياته والمسماة (Down Second Avenue) (١٩٥٩) أثراً أدبياً خالداً في جنوبي افريقيا . عمل نكوسي ومفاليل وهما افريقيان ، في مجلة « الطبل » (Drum) التي كانت منبراً لأفكارهما ، وهما الآن في المنفى . أما بين الروائيين الشباب فكتب جيليان بيكر (Jillian Becker) عملين هامين هما « السجن » (The Keep) ، و « الاتحاد » (The Union) (١٩٧١) .

ان الدعابة الرقيقة الدافئة ، وهي أمر نادر في كتابة جنوبي افريقيا ، كانت وافرة في أعمال هـ . س . بوسمان ، (H.C.Bosman) ، الذي عالج برقة موضوع افريكانيي المدرسة القديمة في روايتيه « طريق مافكنج » (Mafeking Road) (١٩٤٧) و « برميل جير بيجو » (A Cask of Jerepigo) (١٩٥٧) .
والمسرحيات الوحيدة الهامة بالانجليزية هي مسرحيات أتول فوجار (Athol Fugard) ، ولا سيما « رباط الدم » (The Blood — Knot) (١٩٦٥) و « الناس يعيشون هناك » (People Are Living There) (١٩٧٠) .

وعبر الكثير من شعراء جنوبي افريقيا عن ادراكهم صعوبة ايجاد لغة وأوزان ملائمة لمواضيع جنوبي افريقيا الفريدة . وعبر البعض منهم عن الاحساس بالغربة كبشر وكشعراء ايضاً . وقد عبر جاي بتلر (Guy Butler) عن معظم هذا في قصيدته الرائعة « حنين الى الوطن » (« Home Thoughts ») (١٩٦٥) . وغالباً ما كان ف . سي . سلاتر (F.C. Slater) يصور التجربة في جنوبي افريقيا بطريقة فريدة ، كما في « مرثاة لبقرة ميتة » (« Lament for a Dead Cow ») (من « مجموعة قصائد » (Collected Poems) (١٩٥٧) . أما أعمال الشاعرين الكبيرين روي كامبل (Roy Campbell) ووليام بلومر (William Plomer) فقد جاءت في العشرينات ، وانعكست حياة كامبل المفعمة بالمغامرات في شعره الدافق الذي غالباً ما نلحظ فيه تلويحاً بالخطر . وأشهر أعماله قصيدته الرمزية الطويلة « السلحفاة الملتهبة » (The Flaming Terrapin) (١٩٢٤) . أما ويليام بلومر الشاعر النافذ الملاحظة فكتب بتحفظ ، وخاض تجارب في الايقاع والأسلوب كما نتبين في « ملاحظات للقصائد » (Notes for Poems) (١٩٢٧) و « زيارة الكهوف » (Visiting the Caves) (١٩٣٦) . وهناك شعراء آخرون جديرون بالذكر منهم مازيسي كونين (Mazisi Kunene) وسيدني كلاوتس (Sidney Clouts) ودينيس بروتوس (Dennis Brutus) وف . ت . برينس (F.T. Prince) وروي فوللر (Roy Fuller) ، والشاعر الشاب و . م . متشالي (O.M. Mtshali) ، الذي كان رائعاً خاصة في « أصوات صادرة عن طبل مصنوع من جلد البقر » (Sounds of a Cow hide Drum) (١٩٧١) .

الأدب باللغة الأفريكانية

أصبحت اللغة الأفريكانية في عام ١٧٥٠ متميزة عن أصلها الهولندي بقدر كاف يسمح لنا بتسميتها لغة مستقلة . لكن النصوص الأفريكانية لم تنتشر على كل حال الا بعد ما يزيد عن القرن ، فقد تأسست « جمعية الأفريكانيين الأصليين » عام ١٨٧٥ ، وهي التي نشرت أول جريدة وأول مجلة وأول كتاب باللغة

الأفريكانية . وتسببت الهزيمة في حرب جنوبي افريقيا عن تجديد سريع للدعوة الى ترسيخ اللغة الأفريكانية كلغة قومية . وانتشرت الحركة الثانية للغة الأفريكانية شمالاً بدءاً من اقليم الكاب ، وأخذت هذه اللغة تكتسب بالتدريج سطوتها على اللغة الهولندية ، حتى حلت مكانها عام ١٩٢٥ كلغة رسمية في (ما كان يدعى هنا) اتحاد جنوبي افريقيا . كان ابرز كتاب « الحركة الثانية » شعراء في المقام الأول ، أهمهم أوجين ماريه (Eugène Marais) وجان فرانسوا الياس سيلييه(Jan François Elias Celliers) ، وهو شاعر رعوي ، وجاكوب د. دوتوا(Jakob D. Du toit) وتوتيوس (Totius) الذي كتب بعض أفضل المراثي باللغة الأفريكانية ، وسي . لويز ليبولد (C. Louis Leipoldt) وهو بالدرجة الأولى شاعر حرب . وأحرز اثنان من الروائيين هما جوشيم فان بروجن(Jochem Van Bruggen)وجان فان ميل (Jan Van Melle) نجاحاً في الرواية الواقعية ، أما الروائيان الابداعيان الأولان فكانا د . ف . ماليرب (D.F. Malherbe) وسي . م . فان دين هيفر(C. M. Van den Heever). وفي العشرينات من القرن العشرين اصبحت مسائل الدين والعلاقات الشخصية في المقدمة . كان ف . ب . فان دين هيفر (F.P. Van den Heever) أبرز شعراء هذه الفترة ، وكانت كتاباته غير الملتزمة بالتقاليد ايذاناً بالظهور المفاجيء الرائع للشعر « الجديد » في الثلاثينات من القرن العشرين .

تجلت أهم الأحداث في الأدب الأفريكاني بظهور مجموعة من الشعراء الموهوبين عرفوا باسم « رجال الثلاثينات » (Dertigers) وكان أولهم و. ي . ج . لو (W. E. G. Louw) مؤلف « الأحمق الغني » (Die Ryke dwaas) (١٩٣٤) . وأظهر هذا الشاعر الحساس خصائص أصبحت سمة مميزة للأجيال الجديدة ، وذلك بما عنده من تضارب عنيف بين « الله » و « إله الحب » ايروس . وتبعه أخوه الأكبر ن . ب . فان ويك لو (N. P. Van Wyk Louw) ، وهو فنان مبدع بارز ، كما كان واضع نظريات الحركة الجديدة . وكان كل مؤلف من كتب فان ويك حدثاً ادبياً هاماً ، فقد أبدى براعة فائقة في مختلف الأشكال الأدبية اذ نظم في الأفريكانية أفضل القصائد الغنائية من نوع « الأود » و « السونت » والأغاني الشعبية الحديثة من نوع «البالاد» وقصائد الحب الغنائية ، أما مونولوجه المسرحي «كلب الله»

(Die Hond Van God) (١٩٤٢) ، فعمل لا يجارى في الأدب الهولندي ، كما أصبحت قصيدته الملحمية « راكا » (Raka) (١٩٤١) رمزاً خالداً لا مثيل له .

وفي عام ١٩٤٥ ظهر الشاعر د. ج. اوبيرمان (D. J. Opperman) ، الذي فاق أسلوبه الفني المستويات التاريخية المختلفة ، وكان ممتزجاً مع تنوع آسر في المواضيع والصور والتلميحات التي استمدها من التراث الغربي المشترك ، ويعتبر آدم سمول (Adam Small) الشاعر الأكثر موهبة بين الشعراء الذين كتبوا باللغة العامية الخاصة بملوّني منطقة الكاب .

وتحولت اللغة الأفريكانية من مجرد لغة ريفية الى لغة حضرية تحسن التعبير عن الخيبة ، وعن الضغوط التي يتعرض لها سكان المدينة . وبلغ الكتاب الشباب ، منذ الخمسينات من القرن العشرين وما بعد ، مركزاً مرموقاً في كتابة الرواية والقصة القصيرة والقصيدة المنثورة والمسرحية التجريبية والشعر ، وعلى العموم فقد سببت الروايات الطليعية « لرجال الستينات » نقمة عارمة بين المحافظين . وهناك كتاب شباب ـ من أمثال بريتون بريتونباك (Breyton Bretonback) وانجريد جونكر (Ingrid Jonker) وهما شاعران ، وايتيان ليرو (Etienne Leroux) وأندريه برينك (André Brink) وهما روائيان ـ أعلنوها ثورة ضد ما هو أكثر من مجرد المظاهر الخارجية للمعتقدات الدينية أو الجنسية ، وكانت ثورتهم هذه جزءاً من طريقة جديدة في الحياة . وقام ليرو بدراسة تمهيدية لمعضلة الانسان في بحثه عن الأسطورة ، وان ما يجعل عمله فريداً في اللغة الأفريكانية ذلك الخيال الذي لا ينضب والروح الانتقادية .

وتخلفت المسرحية الأفريكانية ، وأهم المسرحيات هي «جيرمانيكوس» (Germanicus) (١٩٥٦) من تأليف ن. ب. فان ويك لو ، و « بيرياندروس الكورنثي » (Periandros Van Korinthe) (١٩٥٤) لاوبيرمان ، وهما مسرحيتان تقليديتان اسلوباً وموضوعاً . وهناك كاتب يبشر بالخير بين الكتاب الشباب هو ب. ج. دوبليسي (P. G. du Plessis) .

الفَصْل الثّامِن

الأدَب الكاريبي المكتوب باللّغات
الانكليزية والافرنسية والاسّبانية في القرن العشرين

ليس للآداب الكاريبية تقاليد محلية، وذلك بخلاف الآداب في افريقيا، فالهنود الحمر الامريكيون قبل العصر الكولومبي لم يخلفوا لنا سوى بضعة رسوم أو كتابات منقوشة على الصخر، كما ان التقاليد المتوارثة شفاهاً لم تعش حتى عصر الاستعمار الاسباني في القرن السادس عشر. وكان الافارقة الغربيون الذين حلوا مكان الهنود لا تقاليد لهم، ولهذا ظل الأدب الكاريبي طوال اربعمائةسنةفرعاً وتقليداً للنماذج الأدبيةللقوى الاستعمارية، وهي اسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا. ولم يكن الكتاب الكاريبيون، على كل حال، غافلين عن محيطهم، فان رسائل وخطب توسان لوفيرتور(Toussaint — Louverture) ، وهو جنرال ومحرر هايتي، تدل على وعي الكاريبي لهويته الثقافية منذ نهاية القرن الثامن عشر على اقل تقدير. الا ان القول بشكل أدبي متميز لم يكن مقبولا حتى العشرينات من هذا القرن. وكجزء من الحركة العصرية في امريكا اللاتينية، بدأ الكتاب الكاريبيون الاسبانيون والفرنسيون ينفصلون عن المثل الاوربية ويحددون هويتهم مع جماهيرهم وهي في غالبيتها من الزنوج. كان قادة هذه الحركة وغالبيتهم من الشعراء هم لوي باليه ماتوس(Luis Pales Matos) من بورتوريكو(Puertorico) وجاك رومان من هايتي (Jacques Roumain) ونيكولاس جيين(Nicolas Guillen) من كوبا ، وليون داماس (Léon Damas) من غينيا الفرنسية(French Guinea) ، وايمية سيزار من المارتينك (Aimé Cêsaire) . اما جان بريس مارJean Price - Mar ، وهو عالم بالاعراق البشرية من هايتي ، فقد أعلن في كتابه «هكذا تكلم العم»(Ainsi Parla L'oncle) (١٩٢٨) ان هدفه هو ان «يعيد للشعب الهايتي قيمة فولكلوره الحقيقية» . وتمثل الانجاز الذي حققه هذا الدفع الزنجي في استخدام العناصر الايقاعية والنغمية

لشعائر الجزيرة وانماط التخاطب فيها ، وذلك في بناء القوالب الشعرية ، مستخدماً الاساليب الرمزية والسريالية ، وهذا ما تعبر عنه بدقة قصيدة سيزار «العودة الى مسقط رأسي» (Cahier d'un retour au payes natal) (١٩٣٩) والمترجمة الى الانكليزية باسم «العودة الى الوطن» عام ١٩٦٨) .

وقدمت الكاريبية البريطانية التي طورت ادبها القومي بعد عام ١٩٤٥ ، مساهمتها الخاصة في الرواية المكتوبة بلغة العامة ومن هذه الروايات على سبيل المثال «يوم جديد»(New Day) (١٩٤٩) لفيك ريد(Vic Reid) «وشمس اكثر اشراقا»(A Brighter Sun)(١٩٥٢) و«اللندنيون الشاعرون بالوحدة»(The Lonely Londoners) (١٩٥٦) لصامويل سيلفون(Samuel Selvon) ، وفي معقل بشرتي (١٩٥٣)(In The Castle of my Skin) لجورج لامنج(George Lamming) و«المدلك الغامض» (Mystic Masseur) (١٩٥٧) و «منزل للسيد بيسواز»(House For Mr. Biswas) (١٩٦١) للكاتب ف . س . نيبول(V.S.Naipaul) وغيرها . أما في الشعر فتستوقفنا أشعار لويز بينيت(Louis Bennett) في «جامايكا لابريش»(Jamacia Labrish) (١٩٦٦) . ولكن تطور الادب الكاريبي الناطق بالانجليزية كان محافظاً بصورةأساسية ، الا انه عمل باتجاه تعبير«مفتوح» بدلاً من التعبير الشعبي الفطري في أعمال س . ل . د . جيمس (C . L . R . James) من ترايني‍راد (Trinidad) واشعار دريك والكوت(Derek Walcott) من سانت لوتشيا(St Lucia) وعادت أساليب الحركة العصرية الرمزية والسريالية الى الظهور مجدداً في روايات ويلسون هاريس(Wilison Harris) من جويانا(Guyana) وتحاول اشعار ادوارد براثويت (Edward Brathwaite) ان تؤكد على مكانة افريقيا في الكاريبي ، كما نجد في «حقوق المرور»(Rights of Passage) (١٩٦٧) و «اقنعة»(Masks) (١٩٦٨) و «الجزر»(Islands) (١٩٦٩) .

الفَصْل التّاسِع

الأدَب الفرنسي في القـرن العشـرين

أدت الحرب والتغيرات السياسية والاجتماعية الى تعميق الهـوة ما بـين ادبـي القرن التاسع عشر والقرن العشرين في فرنسا، لكن بالاضافة الى ذلك كان هناك مؤثرات خاصة اخرى منها اصلاح نظـام الجامعـات مع ما جاء به من توكيد على الدراســات الحديثــة (١٩٠٢) ، وقــدوم السينما ، وقيام دور النشر القومية ، واختراع «كتاب الجيب» (الطبعة ذات الغلاف الورقي)، واصدار المجلات النقـدية الهامة : «المجلـة الفـرنسية الجـديدة» (La Nouvelle Reuve Francaise) و«الازمنــة الحديثة» (Les Temps Modernes) و«عطارد الفـرنسي» (Le Mercure de Frances) و«دفاتر الجنوب» (Caheirs du Sud) و«الفكر» (Espirt) و«المائدة المستـديرة» (La Table Ronda) و«الرسائـل الحديثــة» (Les Letters Modernes) و«كل شيء» (Tel-Quel)، والتصوير الجديد للانسان كما نادى به فرويد ومن خلفه.

ومع أن التغيير في الادب الفرنسي في القرن العشرين بدأ بمراحل من الثورة والتدمير والتجديد واعادة التقويم، ظلت العبقـرية الفـرنسية القـادرة على متابعة الاستمرارية الادبية محافظة على زخمها، مع الحفاظ على التقدير نفسه للغة الفرنسية والاهتمامات الاخلاقية والحرص على الشكل الادبي ، وهو ما كان دوماً من مميزات الادب الفرنسي . ومع ان باريس ظلت بوتقة ومركزاً للتجريب ، حافظ الادب على خصائصه المميزة وهي ذاتية وريفية في أغلب الاحوال ، اذ بقيت الاقاليم تشـكل الخلفية الرئيسية للملهاة والمأسـاة والادب القصصي والشعـر . واستمـر الادب في الحفاظ على جوهره الفرنسي الاصيل بصورة لا تشوبها شائبة ، غـير أنـه وبسبـب تركيزه على المشاكل العالمية ، غدا ذا تطلعات خارجية ناجحة الى الحد الذي يمكنه

من الاندماج في الاطار العالمي ، وبالتالي مشاركة الادبين الانجليزي والاميركي زعامة اوربا .

الادب القصصي

لقد بدأ بالافول نجم بيير لوتي (Pierre Loti) وهنري بوردو (Henry Bordeaux) وليون بلوي (Leon Bloy) وبيير لويز (Pierre Louys) ومارسيل بريفوست (Marcel Prevost) وهنري دي رينييه (Henri de Regnier) واناتول فرانس (Anatol France) وبول بورجيه (Paul Bourget) ، وهم من الكتاب الذين احتلوا مكانة مرموقة قبل عام ١٩٠٠ . وظهرت بضعة روايات رائعة قبل عام ١٩١٤ . فقد عرض رومان رولان (Romain Rolland) وجهات نظر عصره من خلال الشخصية الرئيسية في مسلسله الروائي العظيم «جان كريستوف» — (Jean Christophe) (١٩٠٤ ـ ١٩١٢). واصبح فاليري لاربو (Valery Larbaud) بعد «فرمينا مركيز» (Fermina Marquez) (١٩١١) و«ا .و. بارنابوت» (A . O . Barnobooth) (١٩١٣)، رائد وواضع نظرية المونولوج الداخلي، التي كانت مبنية على «شجيرات الغار قد قطعت» (Lauriers sont coupés) (١٨٨٧ لادواردوجاردان (Edouard Dujardin) ، والتي تركت تأثيرها على صديقه جيمس جويس. وابتدع جول رومان (Jules Romain) ما اسماه «بالرواية السينمائية» وذلك في «موت شخص ما» (Mort de quelq'un) (١٩١١ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «موت شخص عديم الشأن» عام ١٩١٤)، وأثرت هذه الفكرة (وليس الكتاب) على «الرواية الجديدة» فيما بعد(انظر الفقرات اللاحقة). وطور رومان هذا الاسلوب الى أبعد الحدود في «الرجال ذوو الهمم العالية» (Les Hommes de bonne volonte) والواقعة في سبعة وعشرين جزءا(١٩٣٢ ـ ١٩٤٧ السلسلة المترجمة الى الانكليزية باسم «الرجال ذوو النيات الحسنة» (Men of Goodwill) ١٩٣٣ ـ ١٩٤٦) ، والذي كان له تأثيره على أسلوب جان بول سارتر (Jean - Paul Sartre) .

واستبد بجيل رومان نموذج بالزاك ـ زولا ـ رولان في استخدام التراكيب «الفخمة» بأشكال شتى، حتى في أعمال متعددة الاشكال كالمسلسل

الروائي«كلودين»(Claudine) (١٩٠٠ ـ ١٩٠٣) لسيدوني جابريل كوليت(Sidonie — Gabrielle Collette) ، والمسلسل المحلي «تاريخ عائلة باسكيه»(Chronique des Pasquier) (في عشرة اجزاء والمترجم الى الانكليزية عام ١٩٣٧) لجورج دوهاميل (George Duhmel) . اما الاستخدام الشخصي للتراكيب«الفخمة»فكان في مسلسل كاريكاتوري لمارسيل جوهاندو(Marcel Jouhandeau) هو«مسيو جودو» (Monsieur Godeau) (١٩٢٦ ـ ١٩٥٠). ومن المسلسلات المنزلية الاخرى«الاخوان تيبو» (Les Thibault) (١٩٢٢ ـ ١٩٤٠) لروجيه مارتان دوجار(Roger Martin du Gard)) ، ويقع في ثمانية اجزاء، و«العائلات الكبيرة» (Grandes Familles) (١٩٤٨)، والمترجم الى الانكليزية باسم«ارتقاء سيمون لاشوم»(The Rise of Simon Lachaume) عام ١٩٥٢ ، وكجزء من ثلاثية«نهاية الرجال»(La Fin des Hommes) (١٩٥١) ترجم الى الانكليزية باسم«اسدال الستار»(The Curtain Falls) بين ١٩٥٢ و ١٩٥٩). وسبر فرانسوا مورياك(١٩٥١)(Francois Mauriac) مشاكل الضمير في مسلسل«تيريز ديسكيرو»(Theres Desqueyroux) (١٩٢٧ ـ ١٩٣٥)، واصبح هذا الاستخدام اساسياً او جدليا عند سارتر في «طرق الحرية»(١٩٤٥ ، والمترجم الى الانكليزية بالعنوان نفسه .

ولم يستطع أي من هؤلاء الكتّاب ، على كل حال ، أن يخلق عملاً بارزاً فيه جمال وتعقيد كما فعل مارسيل بروست (Marcel Proust) في « البحث عن الزمن الضائع » (A la recherche du temps perdu) (١٩١٣ ـ ١٩٢٧) (والمترجم الى الانكليزية) بعنوان « ذكريات الماضي » (Remembrance of things Past) بين ١٩٢٢ و١٩٣١) والذي ظل أهم أجزائه ، وهو « جان سانتوي » (Jean Santeuil) دون نشر حتى عام ١٩٥٢ . ان الروايات السبع التي يتكون منها هذا العمل تمثل بحثاً رمزياً عن الحقيقة ، اذ يعيد الروائي الى الأذهان تجارب ماضية في محاولة منه لاسترداد الزمن الضائع . كان بروست وأندريه جيد (André Gide) من الشخصيات الرئيسية في تلك الفترة ، وظلا كذلك حتى عام ١٩٤٠ . لم يكن جيد يثق بنفسه كروائي ولكنه في « أقبية الفاتيكان » (Les Caves du Vatican) (١٩١٤) والمترجمة الى الانكليزية باسم « احتيال في الفاتيكان » (The Vatican

(Swindle (عام ١٩٢٥) ، طور بالفعل مفهوم « الفعل الذي لا مبرر له » الذي كان له يد فضلى على السريالية « وفلسفة اللامعقول » ، وعلى الأدب الوجودي (انما بصورة سلبية) . وفي الوقت نفسه ساهم هذا الكتاب في تركيز الانتباه على موضوع المراهق الفاقد حس المسؤولية الأخلاقية ، وهذا الموضوع أدق تصويراً في رواية « مزيفو النقود » (Les Faux — Monnajeurs) (١٩٢٦) ، والمترجمة الى الانكليزية باسم « سجل ضاربي النقود » (The Logbook of the Coiners) (عام ١٩٥٢) ، وهما الكتابان اللذان مهدا الطريق في أسلوبهما الى «اللارواية» (Antinovel) ، مع أن جيد نفسه كان عندها يفكر بلغة الرواية «الصرفة» (أنظر الفقرات اللاحقة) .

أكثر الكتّاب الفرنسيون المحدثون من استغلال موضوع المراهق المصاب بخيبة الأمل ، وليست الكتب التالية الا أشكالاً مختلفة ممتعة للموضوع نفسه : « جران مولن » (Grand Meaulnes) (١٩١٣ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم « الهائم » (The Wanderer) عام ١٩٢٨ ، لألان فورنييه (Alain — Fournier) ، و « الشيطان في الجسد » (Diable au Corps) (١٩٢٣) والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٣٢ لريمون راديجيه (Raymond Radiguet) و « سيلبرمان » (Silbermann) (١٩٢٢) لجاك دولا كرتيل (Jaques de Lacretelle) و « سيمون المثير للسجن» (Simon le Pathêtique) (١٩١٨) لجان جيرودو (Jean Giraudoux) ، و «الثعبان السام» (Vipère au Poing) (١٩٤٨) ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «الأفعى في قبضة اليد» (Viper in the fist) (عام ١٩٥١) لهيرفيه بازان (Hervé Bazan) والرواية الدالة على اللامبالاة «مرحباً أيها الحزن» (Bonjour Tristesse) (١٩٥٤) لفرانسواز ساغان (Françoise Sagan) .

وهناك روايات عن الحرب العالمية الأولى ظل بعضها حياً بعد انتهاء الحرب ، منها « النار » (Feuœ) (١٩١٦) ، والمترجمة الى الانكليزية باسم « تحت النار » عام ١٩١٧) لهنري باربوس (Henri Barbusse) ، و « حياة

الشهداء » (Vie des martyrs) (١٩١٧) ، والمترجمة الى الانكليزية باسم « الكتاب الجديد عن الشهداء » عام ١٩١٨) ، و « الحضارة »(Civilisation) (١٩١٨) لجورج دوهاميل (Georges Duhamel) ، و « صمت الكولونيل برامبل» (Silences du Colonel Bramble) (١٩١٨ ، والمترجمة الى الانكليزية بالعنوان نفسه عام ١٩١٩) لأندريه موروا (André Maurois) ، و « تحت فيردان»(Sous Verdun) (١٩١٦ ، والمترجمة الى الانكليزية في العام نفسه وبالعنوان ذاته)، وهو كتاب وثائقي لموريس جونوفوا (Maurice Genevoix) . وظهرت هنالك ملامح ثورة واقعية في الرواية ، وذلك في أعمال لويس أراغون (Louis Aragon) بدءاً من « أجراس بال » (Les Cloches de Bâle) (١٩٣٤ ، والمترجمة الى الانكليزية بالعنوان نفسه عام ١٩٣٦)، وانتهاء «بالشيوعيين»(Les Communistes) (١٩٤٩) ، وفي روايات لويس فرديناند سيلين (Louis—Ferdinand Céline) وخاصة في « رحلة الى نهاية الليل »(Voyage au bout de la nuit) (١٩٣٢ ، والمترجمةالى الانكليزيةبالعنوان نفسه عام ١٩٣٤) و « الموت بالتقسيط»(Mort à Crédit) (١٩٣٦ والمترجمة الى الانكليزيةبالعنوان نفسه عام ١٩٣٨) و « عصبة جينيول باند » (Guignol's Band) ١٩٤٣ و « من قصر الى آخر»(D'un château à L'autre) (١٩٥٧ ، والمترجمة الى الانكليزية بالعنوان نفسه) . وتجتمع قوة الملاحظة والخيال الجامح في أعمال الروائيين الاقليميين لتلك الفترة كمارسيل ايميه (Marcel Aymé) . أما أفضل كتابَ هذه المجموعة فهو جان جيونو(Jean Giono) الكاتب الذي تبنّى أسلوباً ستاندالياً جافاً ، وذلك في رواية «الجندي فوق السطح»(Le Hussard sur le toit) (١٩٥٢ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٣) وفي الأعمال التي جاءت بعدها .

وفي غضون ذلك كان هنالك روائيون آخرون هامون فضلوا ارتياد النفس البشرية واكتشاف كنهها ، وأهمهم مورياك في توكيده على الشعور غير المجدي بالاثم وعلى الكآبة الروحية ، وهي أمور نراها كذلك عند جوليان جرين (Julian Green) وجورج برنانوس (Georges Bernanos) وهنري بوسكو (Henri Bosco)

في «مزرعة تيوتيم» (Mas Thèotime) (١٩٤٦ ، والمترجمة الى الانكليزية في العام نفسه وبالعنوان ذاته) . أما هنري دي مونتيرلان (Henry de Montherlant) فقد حلل الانسانية بازدراء في «العزّاب» (Les Célibataires) (١٩٣٤ ، والمترجمة باسم «الفنـاء في كبريائهم» عام ١٩٣٦) ، بينما قام بيير ـ جان جوف (Pierre Jean ـ Jouve) ، المتأثر بالطب النفسي ، بكتابة روايات «شعرية» استطاعت أن توطد مكانتها الى جانب «العقبة» (Cheindent) (١٩٣٣ ، والمترجمة الى الانكليزية و «بيرو صديقي» (Pierrot , mon ami) (١٩٤٢) و «زازي في المترو» (Zazie dans le métro) (١٩٥٩) لريمون كونو (Raymond Queneau) ، وأعمال كوكتو من «البوتوماك» (Le Potomak) (١٩١٩) الى «الأطفال المزعجون» (Les Enfants terribles) (١٩٢٩) ، أو «نادجا» (Nadja) (١٩٢٨) لأندريه بريتون (André Breton) ، أو «فلاح باريس» (١٩٢٦ ، والمترجمة الى الانكليزية بالعنوان نفسه وفي نفس العام) لأراغون (Aragon) أو حذلقة جيرودو الباهتة قليلاً .

أما الوحيد بين العديد من كتاب روايات المغامرات الذي استطاع أن يعطي هذا الشكل الأدبي أهمية فلسفية فهو أندريه مالرو (André Malraux) ، وخاصة في « الظرف الانساني » (La Condition humaine) (١٩٣٣ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم « قدر الانسان » عام ١٩٣٤) .

وفي السبعينات بدت روايات ما قبل ١٩٤٠ أقل أصالة مما كانت تبدو عليه في أيامها ، بالرغم من بعض التجديدات الشكلية لرولان (Rollond) وبروست (Proust) وجيد (Gide) ، والتجربة اللغوية لسيلين (Céline) وجيرودو (Giraudoux) وكونو (Queneau) ، والأساليب الفنية في الحوار عند فاليري لاربو (Valery Larboud) وبيير ـ جان جوف (Pierre - Jean Jouve) وجان شلومبيرج (Jean Schlumberger) وليون ـ بول فارج (Léon - Paul Fargue) . أما «الانفجار» الحقيقي فقد وقع بعد عام ١٩٤٠ .

كانت الرواية التقليدية يهددها من ناحية مفهوم جيد عن الرواية « الصرفة » التي صار فيها الدافع والاحتمال (شبه الواقعية) موضعاً للتساؤل ، وأصبحت عند مارلو وأراغون ـ من ناحية أخرى ـ قريبة الشبه بالكتابة الوثائقية ، حتى لكأنها تشبه

صحافة الدعاية ، مما حدا بسارتر الى المطالبة بأن يتحول الأدب الى كتابة صحفية . واختفى الخيال عملياً من تقارير انتوان دي سانت اكزوبيري — Antoine de Saint) Axupêry) الصحفية عن البطولات في « الطيران الليلي » (Vol de nuit) (١٩٣١)، والمترجمة الى الانكليزية بالعنوان نفسه عام ١٩٣٢). وفي باديء الأمر كان الأدب القصصي خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها «شهادة» أو «شريط أنباء ملهماً » ، كما في أعمال فيركور (Vercors) (الاسم المستعار لجان برولية Jean) Bruller) وأهمها « سكون البحر » (Le Silence de la mer) عام ١٩٤٢) و « أطفىء النور » (Put out the Light) (١٩٤٤) ، وفي أعمال جان لويس كورتيس (Jean - Louis Curtis) وبيير جاسكار (Pierre Gascar) وروجيه فايان (Roger Vailland) في « لعبة غريبة » (Drôle de jeu) (١٩٤٥ ، والمترجمة باسم « اللعب بالنار » عام ١٩٤٨) ، وفي أعمال رومان جاري (Romain Gary) وأندريه شوارتز - بارت (André Schwartz — Bart) وجول روي (Jules Roy) . وأصبح الحد الفاصل ما بين الأدب القصصي والوثائقي أضيق عند سارتر وسيمون دوبوفوار. وكان ألبير كامو بالدرجة الأولى موجهاً أخلاقياً حسب التقليد الفرنسي العظيم ، كما يتضح في كتابه المبهم « الغريب » (L'Etranger) (١٩٤٢ والمترجم عام ١٩٤٦) ، وفي روايته الرمزية « الوباء » ، (La Peste) (١٩٤٧ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم « الطاعون عام ١٩٤٨) وفي « السقوط » La) Chute) (١٩٥٦ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٧) . أما سارتر ، وهو روائي بالرغم منه ، فاستخدم البراعات الحرفية كافة ، وان يكن بطريقة غير متقنة احياناً . وكان كتابه الرائع « الغثيان » (Nausée) (١٩٣٨ ، والمترجم الى الانكليزية عام ١٩٤٩) كراسة فلسفية متسامية بتبصرها وأسلوبها ، أما « طرق الحرية » (Les Chemins de la liberté) فيمكن اعتباره ضرباً من الدعاية التي تحتاج الى جهد الاّ أن فيه مهارة في المواقف ، والتنظيم والتفاصيل الدقيقة ، ونقطة الضعف فيه أنه يفترض اطلاع القارىء بدوره على عمل سارتر الفلسفي « الوجود والعدم » (L'Être et le néant) (١٩٤٣ ، والمترجم الى الانكليزية عام ١٩٥٦) ، وهو العمل الذي أسهم به سارتر في الفكر الوجودي (ان وجودية سارتر

في توكيدها على الانسان « الذي حُكم عليه أن يعيش حراً » ، وعلى حياة الانسان « كعاطفة عقيمة » كانت مبنية على أساس التمييز بين الكائنات غير الواعية التي تعيش في ذاتها ، والكائنات الواعية التي تعيش لذاتها ، وبالتالي فهي حرة بالضرورة . وكان لوجودية سارتر تأثير عميق على العديد من الكتّاب الفرنسيين) .

وعلى كل فقد أظهر ، كما أظهر بروست ، أن الأدب القصصي يمكن أن يكون فلسفة حية ، وهذا صحيح أيضاً بالنسبة لموريس بلانشو (Maurice Blanchot) وجان كايرول (Jean Cayrol) وغيرهما من معاصريه . أما سيمون دوبوفوار (Simone de Beauvoir) التي استحوذت عليها أفكار الغموض والفناء ونظرية المساواة بين الجنسين فبدأت بداية طيبة في « المدعوة » (L'Invitée) (١٩٤٣ ، والمترجمة عام ١٩٥٤) الى الانكليزية باسم «جاءت لتبقى» ، الا أنها لم تحافظ على مكانتها الا بشق النفس سواء في عملها المواعظي « مانداران » (Mandarin) (١٩٥٤ ، والمترجم عام ١٩٥٦) أو في عملها غير العلمي بعض الشيء « الجنس الآخر» —La Deuxième Sex) ١٩٤٩ ، والمترجم الى الانكليزية بالعنوان نفسه عام ١٩٥٣) ، وذلك قبل أن تجد وسيلتها المناسبة في كتابة الترجمة الذاتية . واستطاعت كروائية أن تنجز لمسة فنية أكثر رشاقة في « الصور الجميلة » (Les Belles Images) ١٩٦٦) . لم يكن هؤلاء الكتّاب معنيين بالتجريب في الرواية كشكل أدبي ، ولأسباب سياسية اعتبروها وسيلة لتبادل الأفكار بالدرجة الأولى . وجنباً الى جنب مع جدية هؤلاء سارت الأعمال الأكثر تجريبية عند كونو(Quenau) وجوليان جراك(Julien Gracq) في «شاطىء سيرتة»(Le Rivage des Syrtes) (١٩٥١ ، والمترجم الى الانكليزية باسم «ضفاف سيرته»، وأندريه بيير دي مونديارج (André Pieyre de Mandiargues) في « زنبق البحر » (Le Lis de mer) (١٩٥٦ ، والمترجم باسم « الفتاة تحت الأسد » عام ١٩٥٩) ، وبوريس فيان (Boris Vian) في « خريف في بيكين » (L'Automme à Pekin) (١٩٤٧) ؛ وسيرج جروسار (Serge Groussard) ، وموريس بلانشو(Maurice Blanchot) في توماس الغامض » (Thomas l'obscur) (١٩٤١ ، نسخة جديدة معدلة ١٩٥٠) .

كانت روايات ما بعد الحرب بالغة التأثر بفرانز كافكا (Franz Kafka) وفرجينيا وولف ووليام فلولكنر وأرنست همنجواي وارسكين كالدويل Erskine) Caldwell) وجون دوس باسوس (John Dos Passos) لكن رغم ذلك جاءت الضربة الفرنسية للرواية الراسخة أو التقليدية ، والتي أطلق عليها أسماء عديدة منها « اللارواية » أو « الرواية الجديدة » ويمكن القول بأن البداية كانت عام ١٩٥١ في أعمال الكاتب الايرلندي المولد صامويل بيكيت (Samuel Beckett) وبخاصة بروايتيه «مالوي» (Malloy) وموت مالون » (Malone Meurt) اللتين كتبهما بيكيت بالفرنسية وترجمها عام ١٩٥٥ و١٩٥٦ ، رغم أن ناتالي ساروت (Nathalie Sarraute) سبقته الى ذلك في «انتحاءات» (Tropismes) التي ظهرت عام ١٩٣٨ (والتي ترجمت الى الانكليزية بالعنوان نفسه عام ١٩٦٣) وفي «مارتورو» (Martereau) التي تبعتها عام ١٩٥٣ . وهاجم «الروائيون الجدد»(New Novelist) القصة والحبكة الروائية والشخصية والشكل الأدبي والأسلوب والمعنى والتسلسل الزمني للأحداث وتحليل الفكر والشعور ، محللين الحقيقة الى عناصرها الأساسية ، هازئين بالزمن . وما تبقى كان رواية تعتمد مبدأ «قم بالأمر بنفسك» (Do - it - your self) ، يعمل فيها القراء الممتازون انطلاقاً من المعطيات ، ولذا فان الاتصال المباشر ما بين الروائي والقارىء كان محظوراً . وهكذا كان «البطل» مبهماً في «التبدل»(Modification) (١٩٥٧ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «أفكار ثانية» عام ١٩٥٨) لميشل بوتور(Michel Butor) وكان التسلسل الزمني للأحداث مشوشاً في «طرق الفلاندز»(Routes des Flandres) (١٩٦٠ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦١) لكلود سيمون ، (Claude Simon) ، وكانت الحقائق الضرورية والتفاسير محتبسة في «العراف»(Le Voyeur) (١٩٥٥) و «الغيرة»(La Jalousie) (١٩٥٧) لآلان روب ـ جرييه(Alain Robbe - Grillet) ، وكان الزمن متحولاً متبدلاً في «غداء في المدينة»(Diner en Ville) (١٩٥٩ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٠) باسم حفلة غداء لكلود موررياك(Claude Mauriac) ، كما أن «شرعية» التحليل النفسي كانت مهملة في صورة «شخص مجهول»(Portrait d'un inconnu) (١٩٤٧ ، والمترجمة الى الانكليزية «صورة رجل مجهول» عام ١٩٥٨)

لناتالي ساروت(Nathalie Sarraute) . ان مصطلح «مدرسة النظرة» (Ecole du regard) الذي أطلق على روب ـ جرييه (Robbe - Grillet) وجان ريكاردو (Jean Ricardou) وكلود أولييه (Claude Ollier) قصد منه أن هؤلاء الكتاب اكتفوا بمجرد عرض المظهر السطحي للأشياء . لكن اذا كانت «الرواية الجديدة» مجرد نص فيلم ، وورائعتها هو الفيلم الذي يدعى «العام الماضي في ماريان باد» (L'Année dernière à Marienbad) لما كنا نتوقع لها أي تقدم ونجاح . ويعتقد البعض بأن جان كايرول (Jean Cayrol) وروبير بينجيه (Robert Pinget) ومارجريت دورا (Maeguerite Duras) كانوا على صلة بهذه الحركة أحياناً ، وهو أمر غير صحيح بالنسبة لدورا .

أما جمهور العامة فكان في غضون ذلك يشجع الكتاب الذين لم يكونوا تجريبيين الى هذا الحد ومن بينهم هنري توماس (Henri Thomas) وجان كو (Jean Cau) والبلجيكية فرانسواز ماليه جوريس (Françoise Mallet - Joris) ومارجريت يورسينار (Marguerite Yourcenar) وجويه كابانيس (José Cabanis) وبرنار بينجو (Bernard Pingaud) وادمون شارل ـ رو (Edmunde Charles - Roux) وروجيه بيروفيت (Roger Peyrefitte) .

المسرح : كان المسرح الفرنسي عند مطلع هذا القرن مزيجاً ما بين الرمزية الجديدة والواقعية الاجتماعية ، ولم يتحرر الا بعد ثلاثين عاماً . قام جورج فيدو (Georges Feydeau) وهو من الكتّاب الهزليين البارزين بأعمال جيدة عن طريق الاحياء والترجمة . وأصبح كتاب مسرحيات « مشاكل » الصالونات متخلفين عن العصر ، الا أن هذا الشكل الأدبي استمر حتى عند سارتر في « الباب الموصد » (Huis - Clos) (عرض أول ١٩٤٤ ، والمترجمة الى الانكليزية بعنوان «لا مخرج » عام ١٩٤٦) ، وبدا أن استمرار هذا النوع محتمل ما دام هناك أناس ومشاكل وصالونات . واحتفظت الرمزية العاطفية عند موريس ماتيرلنك (Maurice Maeterlink) بسحر مؤقت ، كما نتبين في « مونافانا » (Monna Vanna) (١٩٠٢) و « العصفور الأزرق » (L'Oiseau bleu) (١٩٠٨ ،

والمترجمة الى الانكليزية باسم « الطائر الأزرق » عام ١٩٠٩) ، ولكن الكاتب المسرحي العظيم الوحيد الخالد في التقليد الرمزي كان بول كلوديل(Paul Claudel) ولم يظهر من يخلف رومان رولان (Romain Rolland) في المسرح التاريخي أو ادمون روستان (Edmond Rostand) في المسرحية الشعرية .

ابتدأ مسرح القرن العشرين وتحته قنبلة موقوتة ، قنبلة لم تنفجر الا بعد خمسين سنة ، وهي مسرحية ألفريد جاري (Alfred Jarry) « أوبو ملكا » (Ubu Roi) (١٨٩٦) ، التي اعتبرت فيما بعد بشيراً للسريالية ومسرح اللامعقول . وفيما عدا ذلك كانت هذه الفترة مشهورة بصورة رئيسية بالاصلاحات التي أدخلها كبار مديري الانتاج وأهمهم جاك كوبو (Jacques Copeau) ولويس جوفيه(Louis Jouvet) وشارل دولان (Charles Dullin) وجاستون باتي (Gaston Baty) وجورج بيتوييف (Georges Pitoëff) وجاء بعدهم جان - لويس باروت(Jean — Louis Barrault) وأندريه بارساك (André Barsacq) وجان فيلار (Jean Vilar) وجان داستيه (Jean Dasté) وجورج فيتالي (Georges Vitaly) وروجيه بلان (Roger Blin) . وأعيد تنظيم مسارح الدولة بعد عام ١٩٤٤ ، وأهمها الكوميدي فرانسيز ، ومسرح اوديون (المعروف ايضاً باسم « صالة لوكسمبرج ») ، والمسرح الوطني الشعبي ، ومسرح الأمم (سارة برنار) . كما قدمت الدولة منحاً للفرق الاقليمية .

ان المسرحيات الدينية لكلوديل (Claudel) ، والتي لها جذور عميقة عند شكسبير والمسرح اليوناني التقليدي والمسرح الاسباني المتأخر ، كانت تميل الى أن تكون تاريخاً أو أعمالاً بانورامية (شاملة الرؤ ية) ، طافحة بالتقاليد المسرحية ، حتى بدت لفترة طويلة وكأنها لا تصلح للتمثيل . مثلت مسرحيتا « بشارة مريم » (L'Annonce faite à Marie) (والمترجمة الى الانكليزية باسم « أنباء جلبت الى مريم») و « الرهينة » (L'Otage) في باريس عامي ١٩١٢ و١٩١٤ على التوالي ، ثم عرضتا بعد ذلك بوقت قصير في الولايات المتحدة ولندن ، الا أن هناك مسرحيات أخرى لم تعرض الا في الأربعينات . أما كلوديل ، بما امتلك من احساس غريب بالابهة المعروضة على المسرح وتسلسل السلطة وطبقيتها ، والهزل

الماجن ، والتحليل النفسي الموجع والخيال الخلاق ، والتخيل العنيف ، واللغة الجزلة الممزوجة بالدعابة الريفية غير المشذبة ، فقد اقترب من التأليف الاليزابيتي ، ولم يظهر لكلوديل خلفاء، الا أن بعض الكتاب كميشيل دوجيلدير ود Michel de) Ghelderode) وجيد في « أوديب » (Oedipe) (التي نشرت عام ١٩٣١ وترجمت الى الانـكليزية باسـم « أوديب وتيسيوس » (١٩٥٠) ، لم يستطيعوا تجنـب تأثيره .

وعلى العموم ، كان التجريب في المسرحية التي تعرض على خشبة المسرح من عام ١٩٢٠ وحتى ١٩٤٠ أقل مما تسمح به الظروف ، فمسرحية « ثديا تريسياس » (Mamelles de Tirésias) (١٩١٧) تعتبر تجديداً لمسرح جاري ، أما الدادائية والسريالية فقد فشلتا في التأثير على المسرح . وكانت مسرحيات جيرودو (Giraudoux) المشحونة بالفكاهة مفتقرة الى العمق والكثافة ، فما كتب من ملهاة منها (أمفتـريون ٣٨) (Amphitryon 38) (١٩٢٩) و« الفاصـل » (Intermezzo) (١٩٣٣ ، والمترجمة الى الانـكليزية باسـم « المسحـور » عام ١٩٥٠) و « مجنونـة شايو » (La Folle de Chaillot) (١٩٥٤ والمترجمة الى الانـكليزية بالعنوان نفسه عام ١٩٤٧)، ومن مسرحيات جادة أهمها «حرب طروادة لن تقع » (Guerre de Troie n'aura pas lieu) (١٩٣٥ ، والمترجمة الى الانكليزية بعنوان «نمر عند البوابات» عام ١٩٥٥)، سرعان ما فقدت نكهتها الموضوعية ، رغم أنها كانت لا تزال صالحة للتمثيل . وينطبق هذا ايضاً على كوكتو، اذ أن مسرحياته الشعرية التي استخدم فيها مختلف الحيل المشهدية على نحو بارع ، صارت تبدو بارعة وغامضة اكثر مما يجب . أما مسرحيات ارمان سالاكرو (Armand Salacrou) فلـم تعـد تحظـى بالاهتمام ، وهـي مسرحيات عدمية (نهلستية) ، استخدمت فيها الفنون السينمائية ، وكانت تتراوح ما بين الأعمال السريالية الجديدة والمسرح التجاري . وقدم سالاكرو أفضل أعماله في « ليالي الغضب»(Les Nuits de la colère) (١٩٤٦) . التي أعدت بالانجليزية تحت عنوان «رجال الظلام» عام ١٩٤٨) و «أرخبيل لونوار»(L'Archipel Lenoir) (١٩٤٧) . وبدأ جان أنـوي(Jean Anouilh) ككاتـب مسرحـي جاد ، كان يسلي النـاس

ويصدمهم بما يكفل له الحفاظ على شعبيته ، ومع أن عبقريته في المسرح التقليدي جعلته يبدو سطحياً أحياناً ارتكزت سمعتـه مكينـة على «جنتيجونـي» (Antigone) (١٩٤٢) و «القبرة» (L'Alouette) (١٩٥٣ ، والمترجمة الى الانكليزية بنفس الاسم عام ١٩٥٥) و «بيكيت» ، أو «شرف الالــه» (Becket ou l'honneur de dieu) (١٩٥٩ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٢ بالعنوان نفسه) .

وفي غضـون ذلك مر «مسرح الفـريد جاري» (١٩٢٧) لأنتونـان ارتـود (Antonin Artaud) وروجه فيتراك (Roger Vitrac) دون ان يلتفت اليه احد، مع انه قدم «مسرح القسوة» الذي وضع فيه ارتو نظرياته عن «الأحـداث» و«الحـوادث» وكان هذا المسرح مسؤ ولاً عن انتاج مسرحيات لأرتـو (Artaud) وفيتراك وريمـون آرون (Raymond Aron) وكلها اعمال من السريالية الجديدة.

وكان ابرز المهيمنـين على المسـارح التجـارية في تلك الفتـرة مارسيل آشـار (Marcel Achard) وستيف باسـور (Stève Passeur) وهنـري لينورمـان (Henri Lenormand) وادوار بورديه (Edouard Bourdet) مؤلف «الأوقـات الصعبة» (Les Temps Difficiles) (١٩٣٤)، وساشاجيتـري (Sacha Guitry) المؤلف والمخـرج والنجم الرئيسي في العديد من الكوميديات الثانوية، والكاتب الممتع مارسيل بانيول (Marcel Pagnol) مؤلف «توبـاز» (Topaze) (١٩٢٨) و«ماريوس» (Marius) (١٩٢٩) ـ وكان جول رومان (Jules Romains) كاتباً فكهـاً لامعـاً، وكان تفرغـه لكتابة الرواية خسارة للمسرح. وهناك كتاب روائيون ـ مسرحيون آخرون يفتقرون الى هذا الحس المسرحي منهـم موررياك وجيونـو وجيد. امـا اعظـم مسرحيي هذا الجيل، والذي يمكن اعتباره خليفة لكلوديل من بعض الوجوه، فهو هنري دومونترلان (Henry de Montherlant) آخر الأحياء في التقليد الرمـزي الاتباعـي، واكتسبـت المسرحيات التي كتبهـا بعد الحرب شهرة عالمية وخاصـة «الملكة الميتة» (La Reine morte) (١٩٤٢) والمترجمة باسم «ملكة بعد الموت» عام ١٩٥١)، و«استاذ سانتياجو» (Le Maître de Santiago) (١٩٤٧، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥١)، و«بور ـ رويال» (Port-Royal) (١٩٥٤) و«كاردينـال اسبـانيا» (Le Cardinal d'Espagne) (١٩٦٠).

أما مسرح ما بعد عام ١٩٤٠ فظهر بصورة مضطربة . وقدم الجناح اليساري الوجودي في البداية مسرحيات رمزية ذات حماس سياسي وفلسفي منها «الذباب» (Les Mouches) (١٩٤٣، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٤٦) و«الايدي القذرة» (Les Mains Sales) (١٩٤٨ ، والمترجمة الى الانكليزية بالعنوان نفسه عام ١٩٤٩) و (Les Séquestres d'Altona) (١٩٥٩ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «الخاسر يربح» عام ١٩٦٠) و «نيكراسوف» (Dekrassov) (١٩٥٩) وكلها لسارتر ، كما قدم «الأفواه اللامجدية» (Les Bouches Inutiles) (١٩٤٥) لسيمون دوبوفوار ، و «كاليجولا» (Caligula) (١٩٤٥) و «سوء تفاهم» (Le Malentendu) (١٩٤٤ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٤٨ بالعنوان نفسه) و «العادلون» (١٩٤٩) لكامو . لكن المسرح كان بالنسبة لهم منبراً دعائياً حتى انهم ، رغم كل ما لديهم من موهبة ، كانوا يتطلعون الى مسرحيات «المشاكل» التي كانت تقدم في مطلع هذا القرن . اما جان جنيه (Jean Genet) فكان اكثر منهم أصالة ، اذ استطاع ان يخلق مسرحاً معقداً ، لا طبيعياً ولا اجتماعياً ، شاعرياً انتقادياً ، الا انه أقل ارتباطاً بالتقاليد المسرحية ، وأهم اعماله «الرقابة الشديدة» (Haute Surveillance) (١٩٤٩ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٤) بعنوان «ساعة الموت» و «الخادمات» (Les Bonnes) (١٩٤٧ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٤) و «الستائر» (Les Paravents) (١٩٦١ ، والمترجمة الى الانكليزية بالعنوان نفسه عام ١٩٦٢) . لكنْ هناك مسرح اكثر منه تقليدية هو المسرح الشعري لجاك اودي بيرتي (Jacques Audiberti) مؤلف (Quoat - quoat) (١٩٤٦) وميشيل دوجيلدير ود (Michel de Ghelderode) الذي بدأت مسرحياته الثلاثون تمثل عام ١٩٤٧ مع انها كتبت ما بين ١٩١٨ و١٩٣٧ ، وهنري بيشيت (Henri Pichette) في «التجليات» (Les Epiphanies) (١٩٤٧) ، وجان فوتييه (Jean Vauthier) في «كابتن بادا» (Le Captaine Bada) (١٩٥٢) وجورج شحادة (Georges Schéhadé) في «الرحلة» (Le Coyage) (١٩٦١) وفرنسوا بيت دو (François Billetdoux) في «اذهب الى منزل توربي» (Va donc chez Torpe) (١٩٦١) وغيرهم من الكتاب . وكان للعديد من هذه المسرحيات خصائص المسرح التجريبي .

(Quoat-quoat) (١٩٤٦) وميشيل دوجيلـديرود (Michel de Ghelderode) الـذي بدأت مسرحياته الثلاثون تمثل عام ١٩٤٧ مع انها كتبت ما بين ١٩١٨ و١٩٣٧، وهنـري بيشيت (Henri Pichette) في «التجليات» (Les Epiphanies) (١٩٤٧) ، وجـان فوتييه (Jean Vauthier) في «كابتـن بادا» (Le Captaine Bada) (١٩٥٢) وجورج شحادة (Georges Schéhadé) في «الرحلة» (Le Voyage) (١٩٦١) وفرانسوا بيت دو (François Billetdoux) في «اذهب الى منزل توربي»(Va donc chez Törpe) (١٩٦١) وغيرهم من الكتاب. وكان للعديد من هذه المسرحيات خصائص المسرح التجريبي.

لقد ثبت ان عام (١٩٥٠) كان نقطة تحـول، وذلك عنـد انتـاج مسرحيات «المغنية الصلعـاء» (Cantatrice chauve) (والمترجمـة الى الانـكليزية بعنوان «مغنية السوبرانو الصلعاء عام ١٩٥٨) لاوجين يونيسكو (Eugène Ionesco) و«المناورتـان الكبرى والصغـرى» (Grande et la petite manœuvre) و«الغـزو» لآرثـر أدامـوف (Arthur Adamov) .

ان ما أطلق عليه اسم «اللامسرح» كان بالفعل «مسرحاً صرفاً» متخلصاً من التقاليد صريحاً وتجريدياً، شعرياً وانما بشكل غير متقن، كيفياً وتخيلياً . واستطـاع يونيسكو المتأثر بكافكا وجاري، ان يصور الحقيقي و«اللامعقول» معاً كاريكاتورياً، مجسداً الخيالات الدفينة، وغالباً ما كان يتوصل الى العلاقـات الاجتماعية العميقـة ويعتبر الخالق الأول لمسرح اللامعقول. وفعل اداموف (Adamov) الكاتب التعبيري الشيء نفسه في «كرة الطاولة» (Le Ping-pong) (١٩٥٥). امـا بيكيت(Beckett) فتوصل الى شمولية اعظم، مع انه كان يرفض التنفيس المأساوي، وهذا ما نتبينه في «بانتظـار جودو» (En attendant Godot) (١٩٥٣، والمترجمـة الى الانـكليزية عام ١٩٥٤) والمسرحيتـين المكتوبتـين بالانجليزية «الأيام السـعيدة»(Happy Days) (١٩٦١ ، والتي انتجت بالفرنسية باسم «آه ، تلك الأيام السعيدة»، Oh ! Les) (Beaux Jours عام ١٩٦٣) و «المسرحية»(Play) (١٩٦٣ ، والتي انتجت بالفرنسية باسم «الملهاة»(Comédie) عام ١٩٦٤) وهناك مسرحيون آخرون ناجحون في هذا التيار الجديد منهم مارجريت دورا(Marguerite Duras) في «الميدان»(Le Square)

(١٩٥٩) وروبير بنجيه(Robert Pinget) في «رسالة ميتة»(Lettre morte)·(١٩٦٠) والمترجمة الى الانكليزية بعنوان «بلا جواب» ١٩٦١) ورولان دوبيلار(Roland Dubillard) في مأساته الباروكية «بيت العظام»(La Maison d'os) (١٩٦٢) . لقد بدا ان التجريبية الفرنسية التي كانت في الطليعة المسرحية منذ عام ١٩٥٠ ، قد أخذت تفقد صلتها بعامة الناس في اوائل السبعينات .

الشعر : في اواخر القرن التاسع عشر كان الشعر منقسماً بالفعل ما بين الاتباعية الجديدة للشعر «الصرف» والمكتوب بقوالب تقليدية وبين شعر «الكلام العادي» المكتوب عادة بالشعر الحر. واستمرت هاتان النزعتان في القرن العشرين، ترافقهما دعوة الى الترتيب الشعري كانت تنطلق بين حين وآخر. وكان افضل الشعراء لا يثقون بالبلاغة او الفصاحة ، مع ان الشعراء الرئيسيين في الفترة الأولى من القرن، وهم اميل فيرهايرين (Emile Verhaeren) وكلوديل (Claudel) وفرانسيس جام (Françis Jammes) وبول فور (Paul Fort) وشارل بيجي (Charles Péguy) لم يفشلوا في ان يكونوا الطليعة فقط، لكنهم عانوا بأنفسهم من الاطناب الذي كان من خصائص هيجو. اما كلوديل المتأثر بآرثر رامبو(Arthur Rimbaud) الى حد بعيد. فاستخدم شكلاً أدبياً صار معروفاً باسم «الشعر الكلوديلي» الذي يتكون من شطر طويل غير منطبق على موازين العروض، وهو عادة غير مقفى، وقد طوره كلوديل وتبناه بعض الشعراء الذين جاءوا بعده. وكان هناك شعراء اكثر تقيداً، وهم جوزيه ماريا دوهيريديا (José Maria de Heredia) وهنري دورينييه (Henri de Régnier) وجان موريا (Jean Moréas) والبير سامان(Albert Samain) وفرنان جريك (Fernand Gregh) وقد نظموا في القرن العشرين. الا ان الرمزية الاتباعية (بالمقابلة مع الرمزية الابداعية عند جول لا فورج (Jules Laforgue) ورامبو وغيرهما)، وجدت ممثليها الاخيرين العظيمين في بول فاليري (Paul Valéry) ، الذي نظم «الحورية الشابة» (La Jeune Parque) (١٩١٧) و«الفتنة» (Charmes) (١٩٢٢) والذي خلص الشعر من البلاغة والمصاحبة الاجتماعية اثناء استخدامه له كميدان لابحاثه في العمل الخلاق، وفي سان جون بيرس (Saint-John Perse) الذي كان

متأثراً بهوميروس ولوكريتيوس (Lucretius)، والذي طور ابيات الشعر الكلوديلي، واستخدمها في تقديم شعر عميق يجنـــح الى الميتافيزيقية.

جمع جييوم ابولينير (Guillaume Apollinaire) الميول المعاصرة، بينما كان يلفت الانتباه الى الاتجاهات الجديدة كما في «الكحول» (Alcools) (١٩١٣) و«الاحاجي» (Calligrammes) (١٩١٨) وزادت المجموعات التي نشرت بعد وفاته من شهرتـه. وتمكنت معادلته الشعرية من التوفيق ما بين الفكر والشكل الادبي الاتباعيين، وبين الحماس الابداعي والحدس، والتعبيرية والتجريبية من كل نوع، وكان الى جانبـه شعراء اتوا بأساليب جديدة للتعبير تحت تأثير المدرسة التكعيبية، وهم ماكس جاكوب (Max Jacob) واندريه سالمون (André Salmon) وبيير ريفيردي (Pierre Reverdy) وغيرهم. وقد ساعد ابولينير ايضاً في اطلاق العنان لقوى الدادائية والسريالية عن طريق تمجيد الماركيز دوساد (Marquis de Sade) وجاري (Jarry) ورامبو (Rimbaud)

ومع انه يوجد بين السرياليين بعض الشعراء الذين يمكن الاستمتاع بقـراءة شعرهم مثل اندريه بريتـون (André Breton) ولـويس اراغـون (Louis Aragon) وفيليب سوبولت (Philippe Soupault) وبنجامـان بـيريه (Benjamin Péret) فقـد اصبح بول اليوار (Paul Eluard) زعيماً للحركة السريالية، عندمـا قام عام (١٩٣١) بتحديد الفرق بين «النص السريالي» او الوثيقة، وبين «القصيدة السريالية» التـي اوضح فيها ان عمل النص هو ان يوسع ويتقن ويعطى شكلاً ثابتاً. وكانت اعمال اليوار شخصية الى حد بعيد فيها ذاتية وكبح ومـع ذلك كانـت عالمية في سهولتهـا الممتنعة. وفي حين لم يستطع بريتون وروبير ديسنوس (Robert Desnos) التغلب ابداً على المبالغة في البلاغة فان اراغون فعل هذا من حيث لا يتوقع احد، كما نتبين في «الحسرة» (Le Crève-cœur) (١٩٤١، والمترجمة الى الانكليزية بالاسم نفسه)، وهذا ما فعله ايضاً بيير ريفـيردي، وبيير جان جوف (Pierre-Jean Jouve) في مجمـوعتيه «عَـرَق الـدم» (Sueur de sang) (١٩٣٣)، (والمترجمـة باسـم «العـرق الدامـي») و«المجد» (Gloire). وبالرغم من ذلك فان الحركة السريالية التحررية بدت مخيبة للآمال، مظهرة أن البيانات والفلسفة اللاعقلانية، وحتى الخيال الجديد لا تستطيع

ان تنتج شعراً ما لم تأخذ الشكل الأدبي والأسلوب والهدف ووسائل تبادل الأفكار بعين الاعتبار. وهكذا فاننا نجد ان الشعر النثري السريالي كان على الأغلب اكثر امتاعاً. وهنا نجد ان الشاعر السريالي الهامشي هنري ميشو (Henry Michaux) قد ساهم بعمل تعبيري ممتع في «الليل يتحرك» (La Nuit remue) (١٩٣٤)، بينما طور رينيه شار (René Char) اسلوباً اكثر تقليدية في قصيدته «المبكرون في النهوض» (Les Matinaux) (١٩٥٠، والمترجمة الى الانكليزية بالعنوان نفسه)، وفي قصائده المنثورة واقواله المأثورة كذلك. ومن الآخرين الذين يقفون بعيداً عن التيار الى حد ما نجد ان جان كوكتو، بالرغم من مواهبه العظيمة كان اكثر نفعية من ان ينضج كما ينبغي ولم يستطع مطلقاً ان يتفوق على عمله السابق «الأغاني البسيطة» (Plaint-Chant) (١٩٣٣). بينما بذل جول سوبر فييل (Jule Supervielle) جهده في تطوير قلق معين بفكاهة واحساس، فشل في نظم شعر ممتع فعلاً.

ولم يظهر في الفترة التالية للعام (١٩٤٠) اي شاعر فرنسي ذي مكانة عالمية، رغم ان جاك بريفير (Jacques Prévert) وفرانسيس بونج (Françis Ponge) وريمون كونو (Raymond Queneau) كانوا شعراء ممتعين.

ومع ان عروس الشعر الفرنسي بدت في حالة ركود، استمرت كتابة الأعمال التقليدية ذات المستوى الرفيع عند موريس فامبير (Maurice Fombeure) وإيف بون فوي (Yves Bonnefoy) والكزاندر تورسكي (Jean Tardieu) وأندريه فرينو (André Frénaud) وجان فولان (Jean Follain) وهنري توماس (Henri Thomas) وجورج كلانسييه (George Clancier) وألان بوسكيه (Alain Bosquet) ومارك ألين (Marc Alyn). ولم يُظهر الشعراء الفرنسيون المعاصرون القليل من حب المخاطرة الذي نجده في الرواية والمسرحية، ولم يكن هناك في اوائل السبعينات الا علامات قليلة تدل على انهم اصبحوا ذوي نظرة اوروبية او عالمية. والحقيقة المؤسفة ان اللاعقلانية اضعفت الشعر الفرنسي منذ ابولينير، وان ما كان يفتقر اليه هذا الشعر هو «روح الخيال الخلاقة».

النقد الأدبي: كان للنقد الفرنسي نزعة تاريخية جامحة، اذ تابع علماء عديدون التاريخ «العلمي» للأدب، الذي صاغه جوستاف لانسون (Gustave Lanson)

ودعمه بالمراجع المفيدة. وكان الانجاز الرئيسي في هذا المجال «مجموعة بلياد» (Pléiade) «لتاريخ الآداب» (Histoire des Littératures) (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨) وهي دراسة عالمية اشرف على تحريرها ريمون كونو(Raymond Queneau) . وفي مواجهة الطرائق التاريخية كانت تقف الانطباعية، بادئة بـ ريمي دي جورمون (Rémy de Gourmont) وجول لوميتر (Jules Lemaitre) وعلى صلة بها كان النقد «الهاوي» الذي هو جزء هام من عمل الكتاب المبدعين امثال بروست وجيد وفاليري لاربو وبول فاليري وبول ليوتو (Paul Léautaud) وموريس بلانشو وآلان روب ـ جرييه (Alain Robbe-Grillet) وسارتر. وفي الستينات بلغ التعارض ما بين النقد التجريبي والنقد الاكاديمي مرحلة الأوج في الجدال القائم بين النقاد «الجدد» الذين يمثلهم رولان بارت (Roland Barthe) وجورج بوليه (Georges Poulet) وجان بيير ريشار (Jean-Pierre Richard) وجان ـ بول ويبير (Jean-Paul Weber) وغيرهم من النقاد المتأثرين بالاساليب النفسية، والطرائق البنيوية عند ليو سبيتزر (Leo Spitzer) وجاستون باشلار (Gaston Bachelard) من جهة، وبين ريمون بيكار (Raymond Picard) الممثل الرئيسي للنقد التقليدي الاكاديمي، من جهة اخرى. ومع ان الجدال ظل دون نتيجة، كان من الواضح ان بعض النقاد الشباب، امثال اولئك الذين هم على صلة بالمجلة النقدية «كل شيء» (Tel Que) كانوا يقدمون بالفعل مساهمات هامة في المناقشات الأدبية في فرنسا.ولسوء الحظ لا يوجد في فرنسا مدرسة نقدية حديثة قادرة على تثبيت مصطلحات فنية نقدية مناسبة كما هي الحال في بريطانيا والولايات المتحدة. فالاسلوب الجديد القابل للتأثير كان اسلوب «البانوراما» (النظرة الشاملة) النقدية، التي تجمع بين النقد والنصوص، والتي ابتدعها جايتان بيكون (Gaëtan Picon) وجورج كلانسييه (Georges Clancier) و ج. روسولو (J. Rousselot) وجانين مولان (Jeanine Moulin) . (انظر العنوان السابق «الادب الكندي في القرن العشرين: الأدب الكندي ـ الفرنسي»، والعنوان اللاحق «الأدب البلجيكي في القرن العشرين ـ ادب القسم الفرنسي من بلجيكا»).

الأدب البروفانسي :

من بين الكتّاب البروفانسيين الذين اشتُهروا خلال النصف الأول من القرن

العشرين، والذين نشر بعضهم جزءاً لا بأس به من عمله قبل عام ١٩٩٠ يتوجب علينا ان نذكر فالير برنار (Valère Bernard) وهو من مارسيليا وله «اسطورة ايسكلارموندا» (La Legenda d'Esclarmonda) (١٩٣٦) وماريوس اندريه (Marius André) وبروسبير استيو (Prosper Estieu) وانتونان بيربوسك (Antonin Perbosc) وهو شاعر كان يكتب بلغة الأوك وله «لوكو اوسيتان» (Lo Got Occitan) (١٩٠٣) وفيلاديلف دو جيرد (Phildelphe de Gerde) وهو من البيرينيه، وميكو كاميلات (Miqeu Camelat) وهو من البيرينيه ايضاً واشتهر بقصيدته الرعوية «بيلين» (Beline) (١٨٩٩) التي كانت نسخة جاسكونية مطابقة لقصيدة «ميريو» (Mirèio) لميسترال (Mistral) .

وهناك كتاب بروفانسيون معاصرون لمن ذكرنا يقطنون منطقة كامارج (Camargue) في دلتا نهر الرون ، اشتهر منهم جوزيف داربو (Joseph D'Arbaud) وهو مؤلف بارز للقصص (وأشهرها «وحش الفاكاريس» (La Bestio Dou Vaccarès) المكتوبة بروح ملحمية) وناظم قصائد (وأشهرها «لولوسي دارلية» (Lou Lausié D'Arles) (١٩١٣) ، وفولكو دي باروزنسيلي - جارون (Folco de Baroncelli — Jaron) وماريوس جوفو (Marius Jouveau) ولفت سولي أندريه بير (Sully — André Peyre) الانظار اليه ، اذ كان يكتب باللغات البروفانسية والفرنسية والانجليزية . وكان مقدراً لبول فرومان (Paul Froment) (١٨٧٥ - ١٨٩٨) أن يصبح شاعر كيرسي (Quercy) العظيم لولا أنه مات شاباً ، واحتل مكانه شاعر ريفي ديني هو جول كوبين (Jules Gubaynes) مؤلف «رجل الله» (L'Ome De Dieu) ، وهي قطعة من روائع الشعر الكهنوتي . وتمكن ب . ل . جرينيه (P . — L . Grenier) ، وهو فنان بارز ، من احياء لغة ليموزان الكلاسيكية ، واشتهر ج . ب . شيز (J.B.Chèze) وهو من المنطقة نفسها بمقطوعته الرقيقة «أميرة في البرج» (Una Princessa Dins La Tor) (١٩٣٢) . أما البير بيستور (Albert Pestour) وهو من ليموزان ، فأثبت أنه شاعر ملهم وبخاصة في (Rebats Sur L'autura) و«لوتورا آنفيبلادا» (L'Autura Enviblada) وهناك من بين الكتاب البروفانسيين البارزين الذين ولدوا عند نهاية القرن التاسع عشر تقريباً

ب . ايسافيل(P . Eyssavel) ور . روكيت(R . Rouguette) ومواطنتهم مارسيل اخلاصهــم للتقليد الميستــرالي ، ويطلــق عليهــم اســـم «البر وفـــانسيين» ، وفئة Rousillon) . وينقســـم الكتـــاب المعـــاصرون الى فئتـــين ، فئـــة الـــذين ظلـــوا على اخلاصهم للتقليد الميسترالي ، ويطلق عليهم اسم «البروفـانسيين» ، وفئـة الذين استهوتهم الأفكار العصرية ويطلق عليهم اسم «الاوكسيتانيين» . ومع ذلك كان هناك غيرهم من الشعراء منهــم ج . مـوزات(J . Mouzat) وس . كامبــرو (C . Campreux) وس . جـــاليتيه (C . Galtier) ول . كورد (L . Cordes) وم - ب . دولافـــوويت (M . — P . Delavouet) ور . ميجـــان (R . Méjean) ور . نيللي (R . Nelli) ور . لافون (R . Lafont) وب . مانسييه (B . Manciet) وشعراء آخرون أقل شهرة ، الا أنهم جميعاً يحملون الدلالـة على الحيوية الدائمـة للشعر الاكسيتاني في كل منطقة من المناطق التي تتحدث بلغة الأوك .

الفَصْل العَاشِر

الأدَب الايطالي في القرن العشرين

الوعي القومي عند
غابر ييل دي أنونزيو
(Gabriele D'Annunzio)

حلت الأفكار القومية ذات الميول العدوانية مكان الأفكار العالمية المسالمة في ايطاليا عند بداية القرن العشرين ، واستبدلت محاولات توحيد ايطاليا ، أو ما اطلق عليه بالايطالية اسم (Risorgimento) ، بالأنانية المتفشية بين الطبقات المتوسطة ، واستعيض عن أولويات المجتمع بمحاولات تمجيد الفرد . وكان غابرييل دي أنونزيو (Gabriele D'Annunzio) الممثل الرئيسي لهذه الردة الى تفكير القرن التاسع عشر اذ كانت حياته وفنه مزيجاً من أفكار جاكوب بوركارت (Jacob Burckhardt) عن «انسان عصر النهضة» الكامل «وعن الانسان الأمثل الذي أبدعه فريدريك نيتشه» (Friedrich Nietzche) ، ولكن عمل أنونزيو الادبي تميز بعدم القدرة على التمييز ما بين الحياة والفن . وكان أنونزيو يعطي أفضل ما عنده عندما يكتب عن نفسه ، كترجمته الذاتية في روايته (Il Piacere) (١٨٨٩ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «ابن المتعة» عام ١٨٩٨) ، وفي أشعاره الناضجة ومذكراته واعترافاته الاخيرة ، وكان يعطي أسوأ ما عنده عندما يعرض مثله فوق الانسانية على هيئة شخصيات ، لكن مفاهيمه «الشهوانية ـ البطولية» ، كما عرفها بنفسه ألهبت معاصريه الشباب الذين طابقوها على الشخصية الفاشية الغامضة والمرعبة .

النقد عند بنيديتو كروش

(Benedetto Croce)

بالرغم من الشهرة العالمية التي كانت لأنونزيو ، فمهمة تنظيم الثقافة الايطالية ونقل الحياة الفكرية الى الاجواء الحديثة وقعت على عاتق بنيديتو كروش (Benedetto Croce) في مؤلفاته السبعين ومجلته النقدية نصف الشهرية «النقد» (La Critica) (١٩٠٣ ـ ١٩٤٤) . ولربما كان النقد الأدبي أبرز أعمال كروش ، فقد عرضه ونقحه في مقالاته ، وكتبه خلال مرحلة امتدت على مدى نصف قرن تقريباً . وابتدع كروش طريقة في التقدير الجمالي مستقلة عن الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والمضمون العملي ، وهي طريقة ذات اكتفاء ذاتي الى الحد الذي جعلها تفقد حساسيتها، وساعد على اساءة تفسيرها اولئك النقاد المؤمنون «بالفن الصرف» أو النقاد المنغمسون في تقديرات لا تستند الى دليل عن انطباعاتهم الجمالية . ونجح نقد كروش أبعد مما كان يرمي اليه كروش نفسه ، مما أدى الى خنق صوت مدرسة جديدة في «النقد التاريخي» ، والى طمس المحاولات الساعية لاحداث نظريات ذات علاقة بالأسلوب أو بعلم الاجتماع .

كانت معتقدات كروش تقتضي ضمناً شجباً للمفاهيم الفاشية ، ولذا افترق عن صديق عمره جيوفاني جنتيل (Giovanni Gentile) صاحب نظرية «المثالية المطلقة» في التطور السياسي ، والتي بررت قيام «الدولة المطلقة» وبالتالي بررت قيام النظام الفاشي . ورغم ذلك لم يتعرض كروش البتة لمضايقات الفاشية المزعجة ربما لأن الدكتاتور بنيتو موسوليني (Benito Mussolini) أراد أن يقدم نموذجاً عن تسامحه مع المعارضين ، ولأن كروش كان من المحافظين المتنورين ، ولم يعاد جدياً طموحات الطبقة المتوسطة العليا الايطالية التي تلاعبت بها الفاشية . وقد أثبتت مفاهيم كروش أنها غير ملائمة للظروف المتغيرة التي استجدت بعد انهيار الفاشية ، وبالتالي أضاع الكثير من اعتباره ، ولكن مجموعة أعماله الكاملة الضخمة في الفلسفة والنقد والتاريخ ، والتي تتميز بالثقافة الغزيرة والدعابة والفطرة السليمة ما زالت تعتبر أعظم عمل فكري في تاريخ الثقافة الايطالية الحديثة .

الاتجاهات الادبية قبل الحرب العالمية الاولى

عندما بدأ كروش عمله الشاق كانت الحياة الادبية تدور بصورة رئيسية حول المجلات النقدية مثل «ليونـاردو» (Leonardo) (١٩٠٣) و«هرمـز» (Hermes) (١٩٠٤) و«لافـوش» (La Voce) (١٩٠٨) و«لاسيربـا» (La Cerba) (١٩١٣) ، وهي مجلات أسسها وأشرف على تحريرها جماعات صغيرة نسبياً . كانت النزعتان الادبيتان الرئيسيتان هما «الغسقية» (Crepuscolarismo) التي كانت تفضل الاسلوب العامي للتعبير عن ذكريات الاشياء الماضية الحلوة ، كما في أعمال جويدو جوزانو (Guido Gozzano) وسـيرجيو كورازينـي (Sergio Corazzini) «والمسـتقبلية» (Futurismo) التي كانت تنفر من الفن التقليدي وتتطلب حرية تامة في التعبير ، وكان زعيمها فيليبو توماسو مارينيتي (Filipo Tommaso Marinetti) ، رئيس تحرير مجلة «الشعر» (Poesia) ، وهي مجلة نقدية عالمية متطورة . وكانت هاتان الحركتان جزءاً من تقليد اوروبي معقد في التحرر من الوهم والثورة ، «فالغسقية» ورثـت التشاؤم المتـكلف عن الشعـراء الرمـزيين الفـرنسيين والفلمنـكيين ، ولعبـت «المستقبلية» دورها فتـرة في تاريخ الـطليعيين الاوروبيين الغـربيين، متطـورة عن الشاعـرين الفـرنسيين ستيفـان مالارمـي (Stéphane Mallarmé) وجييوم أبولينـير (Guillaume Apollinaire) وحتى الحركات التكعيبية والسريالية والدادائية . ورغم كونهما على طرفي نقيض بشكل واضح كانتا تشتركان في الاحساس بالاشمئزاز من لغة دي أنونزيو (D'Annunzio) المنمقة البليغة التي حاولوا ان يحرروا أنفسهم منها ، وهنا يظهر التناقض جلياً في انهم اشتقوا منها عنـاصر أسلوبهـم كاستفـادة «الغسـقيين» من عنصر الحالـة «الغسـقية» في قصيدة دي أنونـزيو «قصيدة الجنـة» (Poema Paradisiaco) (١٨٩٣) واستفادة «المستقبليين» من «النظـريات الجـديدة» وأهمها تطابق الفن مع العمل ، والبطولة والسرعة (Laus Vitae) والاستخدام الحر للكلمات ، وكلها متضمنة في قصيدة دي أنونزيو» .

«العودة الى النظام»

ان الرغبة في العودة الى «النظام» بعـد الحـرب العالمية الاولى جعلـت من

الاسهل على النظام الفاشي أن يفرض نوع «النظام» الذي يريده . أما المجلة النقدية «الدائـرة» (La Ronda) التـي أسسهـا فنسنـزو كارداريللي (Vincenzo Cardarelli) ورفاقه عام ١٩١٩ فقامت بالدفاع عن العودة من الانتقائية الفوضوية الى المظاهـر السليمة في التقاليد الايطالية . وبدأت الاتباعية الجديدة نوعاً أدبياً جديداً أطلـق عليه أسماء مختلفة منها «النثر الفني» وما يسمى بالايطـالية «الزافـيرو» (Elzeviro) و«كبيتولو» (Capitolo) ويتوقف هذا الادب على الاستخدامات الاسلوبية التي كانت اعتبارات المحتوى فيها غير ذات شأن . وعندما عارضـت الديكتاتـورية الفـاشية التعبير الحر عن الأفكار ، أصبح أسلوب الكتابة أكثر أهمية من نوعيتها . وبصرف النظر عن أعمال بضعة من كتاب القصص الجيدين كريكاردو باتشيللي (Riccardo Bacchelli) ، وعن منح جائزة نوبل لعام ١٩٢٦ للروائي السرديني جرازيا ديليدا (Grazia Deledda) فأبرز حدث في أواخر العشرينات كان أكتشاف ايتالـو سفيفـو (Italo Svevo) الذي كان يمكن لمواهبه ان تظفر بتقدير أبكر لو لم يكن يعمل خارج المؤسسة الأدبية . وكانت «اعترافات زينو» (La Coscienza Di Zeno) (١٩٢٣ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٣٠) أشهر رواياته ، وهي تحفة رائعة بما فيهـا من تبصر نفسي ودعابة وتشاؤم . وقد ظهر في الثلاثينات روائيون جدد يبشرون بالخير منهـم ، ألبيرتـو مورافيا (Alberto Moravia) وكورادو ألفـارو (Corrado Alvaro) وكارلو برناري (Carlo Bernari) . كانت ايطاليا منعزلة فكريا ، ولم يبق من أهمية في الأدب الايطالي الحديث سوى أعمال الكاتب المعادي للفاشية والمنفي عن وطنه انـازيو سيلوني (Ignazio Silone) . ولـكن عندمـا ظهـرت روايتـاه «فونتامـارا» (Fontamara) (١٩٣٠ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٣٤) و«خبز وخمر» (Pane E Vino) (١٩٣٧) بعد الحرب في ايطاليا ، كان الجمهور غير مستسيغ لاسلوبها أو للحالة النفسية التي تعرضانها .

لويجي بيرانديللو (Luigi Pirandello)

ازدادت هيمنة لويجي بيرانديللو (Luigi Pirandello) على المسرحية التي حاول بعض الكتاب المسرحيين والمنتجين ان يخلصوها من الصيغ الواقعية عتيقة الطراز ،

ومن النظريات الحديثة في التفوق الانساني. ومن الملاحظ ان تجربة بيرانديللو الخاصة مع «اللاواقعية» ، من خلال حياته العائلية المفجعة وجنون زوجته ، مكنته من رؤ ية حدود الواقعية . استهل بيرانديللوعمله بكتابة القصة القصيرة التي حاول ان يستكشف فيها التفكك في الشخصية ، والافتقار الى وسيلة للاتصال بين الافراد ، والحدود غير الواضحة بين التعقل والجنون أو بين الواقعية والمظهر ونسبية الحقيقة ، ثم تحول الى المسرحية عندما حثته شخصياته ـ على حد قوله ـ أن يعطيها الحياة على المسرح . أدرك بيرانديللو أن لا معقولية الحياة يمكن ان يعبر عنها بصورة أفضل بالانتقال من الفورية في النثر القصصي الى المسرحية ، والتي هي نوع أدبي بعيد بالفعل عن الواقعية ، بحيث نجد ان العلاقة الغامضة بين الممثلين والشخصيات التي يمثلونها وبين الشخصيات والناس الحقيقيين ، وبين الحقيقة والخيال توفر استعارة تشبيهية يستطيع عبرها الكاتب أن يوضح تناقضات الوجود الانساني .

وكيما يتمكن من مضاعفة التجزئة في مستويات الواقعية ، حاول بيرانديللو ان يحطم البنى المسرحية التقليدية ، وان يتبنى بنى جديدة ، منها المسرحية ضمن المسرحية في «ست شخصيات تبحث عن مؤلف» (Dei Personaggi In Cerca D'autore) (١٩٢١ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٢) ومنها الارتجال المكتوب في «الليلة نرتجل» (Questa Sera Si Recita A Sogetto) (١٩٣٠ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٣٢) . لقد كانت هذه طريقة لتحويل التفكك في الواقعية من مستوى المضمون الى مستوى الشكل ، والوصول من ثم الى وحدة شبه تامة بين الافكار والبناء المسرحي . ان مسرحيات بيرانديللو بما فيها «هنري الرابع» (Enrico IV) (١٩٢٢ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٠) والتي تعتبر أفضل مسرحياته ، تحتوي على مناقشات منطقية ، كان العديد من النقاد بمن فيهم كروش مخطئين في اعتقادهم انه أراد بها التعبير عن فلسفة متماسكة ، في حين انه استخدم المنطق كرمز مسرحي أي كعلاقة ثابتة في تقلبات الوجود الانساني .

الحركة الهرمزية

لقد عانى الشعر في الفترة الفاشية من عملية انكماش ، متأثراً من ناحية بالرمزية الفرنسية بما فيها من ايمان بالقوى الرمزية للكلمات ، ومن ناحية أخرى تحت ضغط الظروف السياسية المتغيرة بعد الحرب العالمية الاولى التي انحدر خلالها الادب . وقام العديد من شعراء جيل الحرب الذين سئموا التعابير التقليدية والبليغة بالبحث عن تعابير جديدة ، فحاول «المستقبليون» (Futuristi) التخلص من اللغة المنمقة في اسلوبهم بارساله ينطلق على سجيته بينما قام غيرهم من أمثال كاميلو سباربارو (Camillo Sbarbaro) بصقل أسلوب انتفت منه العناصر غير الضرورية ، وهذا ما نراه في «البيانو» (Pianissimo) (١٩١٤) و«قشطات» (Trucioli) (١٩٢٠) ونتج عن هذه الجهود شعر يجمع الشحنات الموسيقية للالفاظ مع الكبت العاطفي ويتكون بصورة رئيسية من عبارات مجزأة تعززت فيها الكلمات بمعزل عن سياق الكلام وبتمزق الروابط بين تركيب الجمل ومعاني الكلمات . وأدى هذا الغموض الناتج عن ذلك الى تعويض الشعراء عن فقدان قدرتهم على التأثير في مجتمع خانع للديكتاتورية ، بأن حولهم الى نخبة خاصة وسمح لبعضهم ان يعبر عن تشاؤمه تلميحاً كما نجد في أشعار اوجينيو مونتالي (Eugenio Montale) . وان اسم هذه الحركة «الهرمزية» (Ermetismo) يلمح الى طموحاتها الارستقراطية ، والى نظريتها وتطبيقاتها المقصورة على فئة قليلة . وحاول زعيم هذه الحركة جوزيبي اونجاريتي (Giuseppe Ungaretti) ان يشحن كل كلمة في قصائده الاولى بطاقة من المعنى مما أدى الى جعل الاهتمام بالنواحي التقنية يطغى على العاطفة ، منتجاً بذلك أشكالاً أدبية ذات أساليب رفيعة . وهكذا فان ما بدا ثورة العشرينات ثبت فيما بعد انه مجرد وجه آخر للتقليد الشكلي ، وعلى هذه الخلفية من التحسين والغموض واللاواقعية حافظت قصائد امبرتو سابا (Umberto Saba) البسيطة المؤثرة على سحرها الآني .

حركة الواقعية الجديدة وما بعدها

بدأت أسوار البرج العاجي الهرمزي تتقوض خلال الحرب العالمية الثانية ، وأصبح أسلوب اونجاريتي بيناً لدرجة جعلت من المتعذر التعرف على ملامحه

المميزة . أما سلفاتوري كوازيمودو(Salvatore Quasimodo) فتبنى أسلوباً ملتزماً (Engagé) جديداً حاز على اعجاب النقاد ، وتبعه آخرون على طريق الواقعية الاجتماعية .

ظهرت بشائر هذا التطور عند بعض الكتاب تحت ظل الحكم الفاشي ، فقد كتب ألبيرتو مورافيا عام ١٩٢٩ اتهامات مريرة للآمبالاة الاخلاقية عند الطبقات المتوسطة في «اللامبالون»(Gli Indifferenti) (١٩٣٢) ، كما كتب كارلو برناري (Carlo Bernari) رواية عن الطبقات العاملة هي «ثلاثة عمال»(Tre Operai) (١٩٣٤) وأصدر سيزار بافيسي (Cesare Pavese) «الحصادون»(Paesi Tuoi) (١٩٤١ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦١) ، كما كتب اليوفيتوريني(Elio Vitorini) «أحاديث في صقلية»(Conversazione In Sicilia) (١٩٤١ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٤٨) - وكان كل هؤلاء بلا ريب مبشرين بتطور أدبي جديد . واسترشدت الواقعية الجديدة في فترة ما بعد الحرب بهؤلاء الكتاب وببعض الظواهر الاخرى في أدب الولايات المتحدة الامريكية ، وبخاصة ويليام فولكنر وارسكين كالدويل وجون شتاينبك وجون دوس باسوس وايرنست همنجواي ، الذين ترجم أعمالهم فيتوريني وبافيسي بالدرجة الاولى . وكان الكتاب مجابهين بثروة من المادة غير المستعملة ، كانت هناك مشاكل الجنوب الاقتصادية والاجتماعية التي وصفها كارلو ليفي(Carlo Levi) بكل روعتها في صوره الشعرية الأخلاقية الاجتماعية للناس في اقليم لوكانيا المتخلف الواقع في جنوب ايطاليا ، وذلك في «المسيح توقف في ايبولي»(Cristo Si è Fermato A Eboli) (١٩٤٥ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٤٧) ، كما وصفها روكوسكوتيلارو(Rocco Scotellaro) في(Contadini Del Sud) (١٩٥٤) وفرانشيسكو جوفيني(Francesco Jovine) في «الارض المقدسة»(Le Terre Del Sacramento) (١٩٥٠) . وتطرق فاسكو براتوليني(Vasco Pratolini) الى مشاكل الكادحين من سكان المدن في صوره للطبقات العاملة في فلورنسا في كتابيه «قصة عشاق مساكين»(Cranache Di Poveri Amanti) (١٩٤٧ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٤٩) و«ميتيللو»(Metello) (١٩٥٥) كما تعرض لها بيير باولو بازوليني(P . P . Pasolini) في حكاياته عن عالم الرذيلة والاجرام في روما ، وذلك في «حياة العنف»(Una Vita Violenta) (١٩٥٩) . وأثارت ذكريات كفاح الشمال

الصناعي ضد السيطرة الفاشية والنازية مشاعر فيتوريني وبافيسي ، وبيبي فينوجليو (Beppe Fenoglio) ، كما كان هناك قصص حزينة عن الحرب الخاسرة أعاد سردها جوزيبي بيرتو(Giuseppe Berto) وماريو ريجوني ستيرن(Mario Rigoni Stern) . ولما لم يكن هناك من حاجة لايجاد حبكة روائية ، أصبح العديد منشغلين بالاهتمام بالتفاصيل الفنية .

أما كارلو كاسولا(Carlo Cassola) ، الذي كان من عدة نواح بشيراً بالرواية الجديدة(Nouveau Roman) في فرنسا ، فقد أفرغ قصصه من العمل الروائي التماساً للموضوعية القصصية ، وهذا ما تجسده رواية «أشجار الغابة قد قطعت»(Il Taglio Del Bosco) (١٩٥٩) ، وبدا غير بارع في الخيال بتسجيله كل حدث مهما كان تافهاً . وتبدت هناك نزعة مشابهة في أعمال مورافيا الاخيرة ، مع أن ميله الشديد لاستطلاع النفس الانسانية حال دونه ورسم شخصيات غير ممتعة . وبدأ بافيسي يستخدم صوراً متواترة كالتلال المغطاة بالضباب ، والطرق الريفية المتعرجة والشوارع الفارغة في المدن وشواطىء البحار المجدبة ، كرموز تدل على كفاح الكاتب بغية التوصل الى تفاهم مع العالم الذي يعيش فيه ، واستخدم هذه الرموز فيما بعد المخرج السينمائي ميكالنجو انطونيوني(Michelangelo Antonioni) كرموز تدل على غربة الانسان . أما ايتالو كالفينو(Italo Calvino) فتحول الى كتابة القصص الخيالية الغريبة مثل(I Nostri Antenati) (١٩٦٠ ، وهي ثلاث قصص ترجمت الى الانكليزية بعنوان «البارون في الاشجار» (١٩٥٩) و «الفارس الذي لا وجود له» و «الفيكونت الممزق» (١٩٦٢) . ثم تحول بعد ذلك الى اخضاع قصص الخيال العلمي لسلطان القيم الاخلاقية ، كما في «المهزلة الكونية»(Le Cosmicomiche) (١٩٦٥ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٨) و«ت . صفر»(Ti Con Zero) (١٩٦٧ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٩) . وتحول فيتوريني الذي شله القلق بسبب الاسلوب الى النقد والى تشجيع الكتاب الصغار . وهكذا أصبح الادب الملتزم مهتماً بالعقل والروح ، كما تراخت قبضته على الواقعية . وأثرت هذه النزعة على المسرح كذلك ، فتحول اوجوبيتي(Ugo Betti) من الأمور العملية المتعلقة بالعدالة الاخلاقية والمسؤولية التي عالجها في

أعماله الاولى ، الى عرض المشاكل الميتافيزيقية الخبيئة في شخصياته ، والتي اضفت على مسرحياته الاخيرة سحرها الغامض .

وكنتيجة للعودة الى الحالة السوية بعد مرحلة الفقر الفكري ، غمرت الافكار الغربية ايطاليا . وتميزت المناقشات الفكرية باتساع الأفق وحدة الذهن حتى وجد الفنانون أن من الافضل لهم أن يعيشوا عليها من ان يعيشوا على مشاكل الحياة الحقيقية . وأخذ الكتّاب بصورة متزايدة يفسرون الأمور في ضوء الأفكار النقدية الجديدة . فقصص دينو بوزاتي(Dino Buzzati) الرائعة «سهب التتار»(Il Deserto Dei Tartari) (١٩٤٠ ، والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٢) و«ستون قصة» (Sessanta Racconti) (١٩٥٨) تذكرنا بكافكا ، أما لغة كارلو اميليو جاداً(Carlo Emilio Gadda) المليئة بالتوريات البارعة وغير البارعة أحياناً ، وبالكلمات النادرة والسوقية والمنحوتة فتدل على التأثر بجيمس جويس . وأظهرت الحاجة الى العودة الى المصادر الطبيعية اللهفة التي تحول بها القراء في أواخر الخمسينات الى الروايات التاريخية العتيقة الطراز ، والتي لا يوجد بينها سوى مؤلفين ذوي قيمة دائمة كان قد كتبهما النبيل العقلي جوزيبي توماسي دي لامبيدوسا(Giuseppe Tomasi Di Lampedusa) في فترة سابقة وهما «رواية النمر»(Il Gattopardo) (١٩٥٨ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٠) و«خمس قصص من فرارا»(Sinque Stori Ferraresti) (١٩٥٦ ، والمترجمة بعنوان «نظرة عامة على فرارا» عام ١٩٦٢) التي أعدها للنشر جيورجيو باساني(Giorgio Bassani) . وعززت الاتجاهات في الستينات موقف التهاء الادب بنفسه ، والتي عبر عنها مورافيا بالرموز في «الاعتبار»(Attenzione) (١٩٦٦ ، والمترجمة الى الانكليزية باسم «الكذبة» عن كاتب يكتب عن كتابته لاحدى رواياته) .

ولا يبدو أن هذه النرجسية الادبية أنتجت أفكارا عديدة جديدة، وكما فشلت الواقعية الجديدة في التغلب على القيود الايديولوجية والجمالية في واقعية القرن التاسع عشر. كذلك بدت حركة الطليعيين الجدد، وحركة التجريبية الجديدة في الستينات وأوائل السبعينات عاجزتين عن الاتيان بالجديد الذي لم تأت به السريالية والدادائية اللتان سبقتاهما بأكثر من نصف قرن . وأثبتت أشعار ادواردو سانجوينيتي(Edoardo

وايليو باجليارانـي (Elio Pagliarani) والفـريدو جيوليانـي (Alfredo Giuliani) وجورجيو مانجانيللي (Georgio Manganelli) أنها عاجزة عن الوصول الى الجمهور في السبعينات، وهو عين ما حدث للحركة الهرمزية في الثلاثينات.

ووقعت هذه الحركات في تناقض مزعج، فقد رفض أعضاؤهـا الادب الملتـزم بالطبقات باسم المثل الديمقراطية والثورية من ناحية، وقادتهم - من ناحية أخرى - محاولاتهم رفض اللغة الفصحى - التي تعتبر كتجسيد وأداة للثقافة البورجـوازية والسيطرة السياسية - الى الابتعاد عن الاكثرية الساحقة من جمهور القراء، وحولتهم الى طبقة أدبية خاصة أكثر انغلاقا على نفسها، من المؤسسة التي كانوا يرغبون في تدميرها.

وعلى كل، فان بعض الروائيين الأقل ميلا لتفحص مشاعرهم ولاتخاذ المواقف الفكرية المتطرفة كانوا اجمالا أكثر نجاحا من الطليعيين في التعبير عن أزمة الرأسمالية الصناعية، منهم اوتيرو اوتييري (Ottiero Ottieri) في (Donnarumma all'assalto) (١٩٥٩) وباولوفولبوني (Paolo Volponi) في «النصب التـذكاري» Il memoriale (١٩٦٢) وجيوفاني تستـوري (Giovanni Testori) في «المصنـع» (Il fabbricone) (١٩٦٣) ولـوتشيو ماسترونـاردي (Lucio Mastronardi) في (A casa tua ridono) (١٩٧١).

الفصل الحادي عشر

الأدب الاسباني في القرن العشرين

جيل عام ١٨٩٨ : قبل عام ١٩٠٠ ولفترة امتدت اكثر من عقدين ظهرت في اسبانيا موجة من السعي وراء التحليل الاجتماعي والسياسي في الادب ، وذلك ما أوحى للكاتب آنجيل جانيفت (Angel Ganivet) بكتاب « أفكار اسبانية » (١٨٩٧ والمترجم الى الانكليزية بعنوان «اسبانيا ـ عرضاً وتحليلاً» عام ١٩٤٦ ويعتبر عمله هذا من أفضل ما كتب عن الهوية الاسبانية في البحث التحليلي .

وبدأت الفترة الامبراطورية عام ١٤٩٢ ، وانتهت نهاية مفجعة ابان اندلاع الحرب الاسبانية الامريكية عام ١٨٩٨ مما حدا بالاسبانيين المفكرين للاعتقاد بان الوقت قد حان لتشخيص عللهم في محاولة منهم لايقاظ عقليتهم مما انتابها من تراخ . وأدخل الى الرواية الاسبانية عنصر جديد هو جدية الهدف كما ارتقت المقالات الفلسفية والنفسية والانتقادية ، واتخذت أبعاداً جديدة . وشكّل كتاب القصة والمقالة ما اسماه الكاتب الاسباني آزورين(Azorin) ـ (وهو الاسم المستعار للكاتب خوسيه مارتينيز رويز(José Martinez Ruiz) ـ بجيل عام ١٨٩٨ وقوامه جماعة عملت على اعادة احترام الآداب الاسبانية في الخارج .

وقام ميجيل دي أونامونو (Miguel de Unamuno) الذي سيطر على المسرح الأدبي مدة جيل كامل بدراسة المشكلة القومية دراسة دقيقة في خمسة مقالات في كتابه « حول صفاء الاسلوب الاسباني » (En torno al casticismo) (عام ١٨٩٥) و« حياة دون كيشوت وسانشو » (Vida de Don Quijote y sancho) (عام ١٩٢٧) ، ودرس مشكلة الخلود في اعظم اعماله أهمية ، وهو « الشعور المأساوي في الحياة » (Del sentimiento trâgico de la vida) (١٩١٣ ، والمترجم الى الانكليزية بعنوان « الشعور المأساوي في حياة الناس والشعوب ١٩٢١) ، وكان اونامونو(Unamuno) محرضاً اكثر منه مفكراً متماسك الافكار ، حينما هدف الى رمي بذور عدم الاستقرار

الروحي . وكانت القصة بالنسبة اليه وسيلة لطرح أسس الشخصية على بساط البحث ، وتتضمن رواياته « نيبيلا » (Niebla) (١٩١٤ والمترجمة الى الانكليزية باسم « الضباب » عام ١٩٢٩) و« آبيل سانشيز » (Abel Sânchez) (١٩١٧ (Trés novelas cjemplares y une prólogo) و« ثلاث قصص تحذيرية ومقدمة » (١٩٢٠) .

وانصرف اهتمام آزورين (Azorin) لاعادة شرح القيم الادبية السابقة ، كما اهتم بالريف الاسباني في كتابه « الروح القاشتالية » (El alma castellana) (١٩٠٠) و« طريق دون كيشوت » (La ruta de Don Quijote) (١٩٠٥) و« الكلاسيكي والمحدث » (Clâsicos y modernos) (١٩١٣) . ويعتبر أزورين فناناً نقدياً ورساماً للمصغرات بالغ الحساسية ، وأسهم مساهمة كبرى في افراغ البلاغة من عوامل الفساد التي اعترت الكثير مما كتب في القرن التاسع عشر . كما تطور الفيلسوف خوسيه أورتيجاري جاسيت (José Orteger y Gasset من كاتب انتقادي ونفسي في كتابه « تأملات حول دون كيشوت » (Meditaciones del Quijote) (١٩١٤) الى مهتم بالمشاكل القومية في كتابه « اسبانيا الرخوة » (La Espana invertebrada) وانتهى الى مهتم بالمشاكل العالمية في كتابيه « الموضوع الحديث » (El tema de nuestro tiempo) (١٩٣١) و« ثورة الجماهير » (La rebelión de las masas) (١٩٢٩ وترجم الى الانكليزية عام ١٩٣٢) .

رفض الكاتب بيو باروخا (Pio Baroja) التقاليد والدين وعبادة الفرد ، ونادى بالعمل الاجتماعي الفعال في كتبه « العِرق » (La raza) و« الصراع من اجل البقاء » (La lucha par la vida) (١٩٠٤) ، و« آلام عصرنا » (Agonias de nuestro tiempo) (١٩٢٦) ، وكلها محاولات جادة لاثارة الشعور بالاستياء تجاه الاوضاع المادية . ولم يكن الكاتب فيستني بلاسكو ايبانيز (Vicente Blasco Ibânez) بأقل منه اندفاعاً ، الا انه كان ذا موهبة قصصية أعظم.وبوجهة نظر فوضوية كتب حول مشاكل اجتماعية معاصرة ، كما في كتابيه « قبو النبيذ » (La bodega) (١٩٠٥ وترجم الى الانكليزية عام ١٩٢٣) و« الرعاع » ١٩٢٧) . ونال شهرة عالمية بظهور روايته « فرسان الرؤيا الاربعة » (Los cuatro jinetes del apocalipsis) (١٩١٦ وترجمت الى

الانكليزية عام ١٩١٨) ، وتدور حوادثها في الحرب العالمية الاولى . اما ريكاردو ليون (Ricardo león) وهو صاحب اسلوب قصد ان يكون منمقاً فجهد متمسكاً بالقيم المسيحية التقليدية لمجتمع تهدده المادية .

يطلق اصطلاح « الكتّاب الجدد » (novecentistas) على كتاب مطلع القرن العشرين الذين هدفوا لتجديد المفاهيم الجمالية والفكرية كردة فعل تجاه التفاعل والتورط العاطفي الشديد الذي مارسه من سبقهم مباشرة من كتاب مع حوادثهم وشخصياتهم .

القصة : اتخذت القصة بظهور الكاتب رامون بيريز دي آيالا (Ramón Pérez de Ayala) شكلاً فنياً مصقولاً ومنتدى للنقاش الفلسفي . وتعتبر روايته « بيلا رمنو وآبولونيو » (Belarmino y Apolonio) عرضاً للنقاش القديم بين الايمان والعقل مقرباً شخصياتها من الرمزية ، تماماً كما فعلت رواية « تيجري خوان » (Tigre Juan) في معالجتها الموضوع التقليدي للشرف . اما اسلوب الكاتب جابريل ميرو (Gabriel Miró) في تقديم نثر وصفي كامل فقد عاق العمل في رواياته ، الا انه ظل فناناً رائعاً في اختيار الكلمة - ووقعت الرواية كشكل ادبي تحت تأثير أوورتيجا اي جاسيت (Ortega y Gasset) الذي دعى الى أسس للفن الصافي خلو من الامور الشخصية ، وذلك في كتابه «تجريد الفن من الانسانية» (La deshumanizacion del arte) (١٩٢٥ وترجم الى الانكليزية عام ١٩٤٨) ، وبتحليله الرواية كشكل فني تنبأ بانحطاطها . وفي العقد الذي تلا حاول بنجامين هارنس (Benjamin Jarnés) مع كتاب آخرين - وان لم يبلغ ذروة النجاح - تطبيق الاسلوب الفني الصرف على الرواية ، وكانت اعمال هارنس نماذج رائعة للرواية السريالية في اسبانيا ، كما اشار كتاب « امان » (Iman) (١٩٢٩ والمترجم الى الانكليزية بعنوان «رحلة الى الجحيم ١٩٣٤») - الذي كتبه رامون خوسيه ساندر والذي يعتمد على الخبرات العسكرية في مراكش الى العودة الى الواقعية والنقد الاجتماعي . وأهتم الكتاب اهتماماً بالغاً بالاوضاع الانسانية بكل ما فيها من رعب ، كما أهتم بالبحث عن مبدأ فلسفي واخلاقي مرض .

أظهرت الروايات التي صدرت بعد الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ انها كانت خالية من المحتوى ، كما عكست خيبة الامل . فقد ابتدع الكاتب كاميلو خوسيه سيلا (Camilo José Cela) أسلوبـاً واقعياً يصف فيه عنف اهـل القـرى بتفـاصيل مرعبـة ، وذلك في رواية « عائلـة باسـكوال دوارتـه » (La familia de Pascual Duarte) (عام ١٩٤٢ والمترجمة الى الانجليزية عام ١٩٤٦) «خلية النحل» (La colmena) (عام ١٩٥١ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٥٣) فوضعت بأسلوب اكثر التصاقاً بعالمنا البؤسَ والشقاء اللذين خلفتهما الحرب الأهلية في مدريد .

المسرحية : بحلول القرن العشرين حققـت المسرحية نشاطـاً جديداً بتأثـير الكاتب جاسينتو بينافينتي اي مارتينز (Jacinto Benavente y Martinez) الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٢ ، الذي اتصفت مسرحياته بالمهـارة والفكاهـة ، وبعد فترة من الانفعال والتهكم أظهر اهتماماً بالجماليات ثم بالاخـلاق فيما بعـد . وبالمقارنة نجد ان الكاتب جريجوريو مارتينيز سيرا (Gregorio Martinez eSierra) ظل وفياً للجو الاسباني التقليدي الذي أضفت عليه الرعوية والرومانتكية ـ وهما صفتان تأصلت جذورهما في واقع الحياة في اسبانيا ـ متعة حسية بالطبيعة والحياة . ومن مسرحياته « مسرح الاحلام » (Teatro de ensueno) (١٩٠٥) و« مملكة الاله » (El reino de Dios) (١٩١٦) . واذا لم يكن هناك من شيء جديد قدمـه الاخـوة سيرافين (Serafin) ويواكين الفاريز كوينيترو (Joaquín Álvarez Quintero) الى الفن المسرحي فان العديد من ملاهيهـم المسرحية الانـدلسية المفعمـة بالحيوية لم تعـدم التسلية والمتعة. ا اما فدريكو جارسيا لوركا (Federico Garcia Lorca) فتبوأ مكانة رفيعة بين معاصريه ، وكانت مسرحياته شعرية اكثر مما هو مألوف بتقديمه مشاعـر ثابتة ، وزخماً جعل من الشخصيات رموز شاعرية لعجـز الانسـان المأسـاوي عن التحكم بمصيره . واتصف شعر لوركا المسرحي بما يجمع بين العصري والتقليدي ، الشخصي والعالمي ، السريالي والطفولي . ووصفت مسرحياته اقصى حدود العاطفة فيما يختص بالموضوع التقليدي للشرف في اسبـانيا ، وذلك في مسرحيات « عـرس الدم» (Bodas de sangre) ١٩٣٣ والمترجمة الى الانـكليزية عام ١٩٣٩) و «يرمـا»

(Yerma) ١٩٣٤ و«منـزل بيرنـــارد آلبـــا» (La casa de Bernarda Alba) ١٩٣٦) والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٤١) .

ونجد ان الدافع الى التجديد الذي نلمسه في فن الرواية بعد الحرب الاهلية قد فشل في الوصول الى المسرح رغم محاولة انتونيو بويرو فاليخو (Antonio Buero Vallejo) في انعاش المسرحية عبر استخدام النقد الاجتماعي ، ورغـم قيام ميجـل ميهورا (Miguel Mihura) بتقديم مسرح اللامعقول . واستمر العرض الذي أطلق عليه اسم « المشهد الصغير » (Género Chico) (وهو عبارة عن مسرحية قصيرة مفعمة بالحيوية ترافقها الموسيقى اغلب الاحيان) لفترة طويلة يسحر عامة النـاس الـذين كانت جل مواضيع العرض ومشاهده مستمدة من طريقة حياتهم . وبرز في هذا النوع من العروض ريكاردو دي لافيجا (Ricardo de la Vegar) وكارلوس آرنيكس (Carlos Arniches) .

الشعر : أدخل روبن داريو (Rubén Dario) اكبر شعراء امـريكا الـلاتينية الحركة العصرية الى اسبانيا عام ١٨٩٢ . وكانت بوجه عام ردة فعل تجاه البرجوازية المادية للقرن التاسع عشر ، وبحثاً عن قيم للحياة اكثر التصاقاً بالناحية الجمالية . وعملت حركة داريو العصرية على اغناء منابع الشعر الاسباني بالموسيقـى ، وعلى وجه الخصوص بتجديده الجريء في الجرس والاوزان الشعـرية ، وعلى يديه بلـغ الشعر الاسباني مرحلة النهضة .

وكان احتكاك الحركة العصرية بجيل عام ١٨٩٨ شبه منعدم ، فمعظم اتباع الحركة العصرية كانوا شعراء اندلسيين هدفهم تحقيق الذات والجمال الخفي وزخرفة الاسلوب ، فيما عدا الروائي رامون ماريا ديل فالـه اينـكلان (Ramon Maria del Valle Inclan) الـذي جسـد في «سوناتاتـه» (Sonatas) (١٩٠٢ ـ ١٩٠٥) الاربـع مراحل حياة بطله اينكلان الاربع ، وكان جيل ١٨٩٨ يضم في غالبيته اناساً من الشمال انحصر جل اهتمامهم بالمضمون .

ووجد خوان رامون خيمينيز (Juan Ramón Jiménez) وهـو كاتـب آخـر نال جائزة نوبل عام ١٩٥٦ أن الشعر بالنسبة اليه ليس تراجعاً وانما هو تمثيل للحقيقة ذاتها ، ولدى محاولته جاهداً وضع يده على النفحة الشعرية لكل لحظة تمر ، غدا

أسلوبه ـ المنمق اصلا ـ فاقد المعنى . وباستخدامه كل مرتكزات الحركة العصرية أصبح ذا تأثير بالـغ على الجيل الصاعـد ، ويمثـل الاخـوان ماشـادو(Machado) الانقسام الاندلسي القشتالي تمثيلا جيداً : ففيما يتعلق بمانويل (Manuel) كان دائم الاخلاص لوطنه اشبيلياً ، ويمثل الحركة العصرية ، بينما منح انطونيو قلبه لسوريا (Soria) في قشتالة القديمة ، وتحدث في كتاباته عما يعتلج في اعماق روح الشاعر ، كما تحدث عن روح قشتالة التي لا تتغير .

تزايدت شهرة لوركا الشعرية باضطراد بعد موته . وكان شاعراً كما كان كاتباً مسرحياً ، وتحدث في شعره عن جوهر الأمور ، واظهر من خلاله كيف ان بمقدور القصائد من نوع « البالاد » والاغاني الشعبية ان تغذي المشاعر وتلهبها . وكشفت أنضج قصائده قدرة الالهام الذي استوحاه من الاندلس والتراث الشعبي .

وعملت الحرب الاهلية على سوق العديد من الشعراء المشهورين الى المنفى وأشهرهم لويس سيرنودا(Luis Cornuda) . وفي الشعر الـذي أتـى فيما بعـد كان الاتجاه السائد سياسياً ، أو يميل ناحية « الواقعية الاجتماعية » ، كما في اعمال آنجيل جونزاليز (Angel González) وخوسيه آنجل فالنته (José Angel Valente) وبـلاس دي اوتيرو(Blas de Otero) .

الفَصْل الثّاني عَشَر

الأدب البرتغالي في القـرن العشـريـن

شهدت فترة الانتقال من الحكم الملكي الى الحكم الجمهوري في البرتغال عام ١٩١٠ حافزاً لاعادة النظر في الادب . وأكثـر ما يرتبـط ذلك بشـخص أوبورتـو (Oporto) وكتابـه «بعـث البرتغـال» (Renascença Portuguesa) . وكان الكاتـب ليوناردو كوايمبرا (Leodanrdo Coimbra) فيلسوف هذه الفترة ، وانتـونيو سـيرجيو (Antonio Sérgio) ناقدها ومؤ رخها ، كما كان من شعرائها ماريو بيراو (Mârio Beirào) وأغوستو كاسيمـيرو (Augusto Casimiro) وجـواو دي باروس (Joâo De Barros) الذين تبنوا ما كتبه (Saudosismo) تيكسيرا دي باسـكويس (Teixeira De Pascoais) واتخذوه مفتاحاً لاستعادة الأمة عظمتها ، وسرعان ما تبين عدم جدوى مثل هذا الحنين المفرط الى الماضي . وبزعامة انتونيو ساردينيا (Antonio Sardinha) المؤ رخ والشاعر ، عملت الحركة «التكاملية» بدأ من عام ١٩١٣ لصالح التقـاليد الكاثوليكية الملكية . واعتبر الشاعر فرناندو بيسوا (Fernando Pessoa) مؤ لف كتاب (Mensagem) عام ١٩٣٤ أعظم شاعر ملهم في عصره وذلك بعد وفاته ، وتجلى تأثيره على تقدم فن الشعر دون التقيد بحركة من الحركات الادبية . وهنالك كاتب آخر مرموق هو خوسيه ريجيو (José Regio) وهو كاتب مسرحي يعتد به كما كان شاعراً دينياً مندفعاً . وكشف شعر ميجل تورجا (Miguel Torga) وكذلك قصصه ومجلداته حول سيرته الذاتية ايمانه بفضائل الانسان الفطرية .

ويتقدم آكويلينو ري بيرو (Aquilino Ribeiro) كتاب القصة بغزارة انتاجه ، وتمحورت مواضيعه حول موطنه بيرا (Beira) واقترنت سعادته في الحياة بشعور يساير هذه السعادة جنباً الى جنب ، وهو اقتناعه بفكرة الفنـاء والموت . وكان (ج . م فيريرا دي كاستـر و) (J . M . Ferreira De Castro) صاحـب كتـاب «الغابـة» (A

(Selva ‏(١٩٣٠ والمترجم الى الانكليزية عام ١٩٣٤) ـ وهو كتاب مستوحى من حياته عندما كان يعمل عاملاً في مزرعة للمطاط في الامازون . وكاتباً لامعاً في عصره وانصب اهتمامه على المشاكل الاجتماعية . وهنالك أيضاً الكاتب الرحالة (ج . باسو دي آركوس)(J . Paço De Arcos) الذي اشتهر بأسفاره ودقة ملاحظته . ومن كتبه «آنا باولا» (Ana Paula) ‏(١٩٣٨ و«انسيداد» (Ansiedade) ‏(١٩٤٠) وكتاب(Tons Verdes Em Fudo Escuro) ‏(١٩٤٦) . واتحد الاتجاهان النفسي والاجتماعي في كتاب (باسكوا فيليز)(Pascoa Feliz) ‏(١٩٣٢) وكتاب (Onde A Noite Se Acaba) ‏(١٩٤٦) لمؤلفها (رودريجز ميجويز)(Rodrigues Migueis) . ومن بين كتاب الرواية الذين عالجوا مشاكل المستعمرات الافريقية (كاسترو سورمينيو)(Castro Soromenho) ، وكاتبة رواية مرموقة تنتمي الى فترة ما بعد الحرب هي (اوغوستينا بيسالويز)(Augustina Bessa Luìs) التي قدمت في كتابها «سيبيلا»(Sibila) ‏(١٩٥٥) دراسة نفسية هي غاية في التعقيد .

وفي التاريخ والنقد الادبي ظهرت اعمال بارزة ، وعبر هذه المؤلفات أصبح الأدب والتاريخ البرتغاليان معروفين بشكل أفضل في الفترة الاخيرة .

الفصل الثالث عشر

أدب امريكة اللاتينية في القرن العشرين

روبن داريو (Rubén Dario)
واتباع الحركة المعاصرة
١٨٨٨ ـ ١٩١٠

كان هنالك نوع من الاستقرار سياسياً واقتصادياً سمح بتكون وعي عالمي للحياة والآداب نتجت عنه الثورة ضد ناظمي الشعر الرومانتيكيين والمبالغين في العاطفة الذين كانوا يملؤون صفحات كتب المختارات الشعرية القومية . بدأت الثورة الادبية بتجنب الكتاب الشباب ـ كل بمفرده ، وعلى صعيد الامريكتين ـ الدخول في الدوامة الفكرية المحلية ، وذلك بهدف اكتساب حيوية جديدة عن طريق الاستزادة من المنبع الاساسي للأفكار والكتابات العالمية . وكان الشباب ـ الذين حملوا لواء الكآبة والتشاؤم وانغلقوا على انفسهم عن كل ما يحيط بهم ، واضعين انفسهم في عوالم مصطنعة من صنعهم ـ فئة انتقالية أطلق عليهم الجيل السابق تهكماً اسم (المحدثين) ، فقد عالجوا مواضيع غريبة مثل الماضي القديم والشرق البعيد وعوالم الطفولة والافيون . وكانت الجمال ربتهم ، والفن من أجل الفن كان مبدؤهم .

ومن بين أبرز المحدثين الاوائل هنالك المكسيكي (جوتيرز ناخيرا)(Gutiérrez Najera) الذي أظهرت مرثياته الشعرية ، وقصصه وصوره النثرية الموزونة باعتدال خير ما يمثل الميل الى الانتقال من الرومانتيكية الى العصرية . وهناك المؤلف الكولومبي (خوسيه آسونسيون سيلفا)(José Asunción Silva) الذي نظم مجموعة

شعرية هي على صغرها على جانب كبير من التأثير والاهمية وهناك الكاتب (جوليان ديل كازال) (Julian Del Casal) الذي اتصفت كتاباته بالكآبة ، وزميلـه المواطـن (خوسيه مارتي) (José Marti) الذي كان يعتبر شهيداً ورمزاً لنضال كوبا من أجل الحرية ضد الاسبان ، والذي رفعه اسلوبه النثري الملهم ، وشعره الصادق والسهل الممتنع فوق كل المدارس والحركات الادبية .

الا أن الحركة العصرية لم تلق كامل ازدهارهـا الا بزعامـة (روبـن داريو) (Rubén Dario) من نيكاراغوا (توفي عام ١٩١٦) ، الذي نشر مجموعته الشعـرية والنثرية بعنوان «آزول» (Azul) في تشيلي عام ١٨٨٨ ، وأعتبـرت حجـر الـزاوية للحركة العصرية في امريكا اللاتينية . وكان كتابه «النثر المبتذل» (Prosas Profanas) الذي نشر عام ١٨٩٦ يمثل لفترة ما ذروة الانهزامية والتهرب من الواقـع والعـالمية لاحـدى مراحـل هذه الحـركة . وحينما انكمشـت الامبراطـورية الاسبـانية عام ١٨٩٨ ، وخففت العواطف أزمة عدم الثقة المتبادلة بين اسبانيا ومستعمراتها لقرون عديدة ، عمد (داريو) الى صياغة الاغاني التي تمجد حياة الشعوب التي تتكلـم الاسبانية وتطلعاتهـا . وكان كتابـه «أنـاشيد الحياة والأمـل» (Cantos De Vida Y Esperanza) (١٩٠٥) مزيجاً من أحسن أشكال العصرية مع مواضيع أكثر ديمومة تتناول ما يهم أمريكا اللاتينية . وعمل اتباعه وخصوصاً أولئك الـذين كانـوا من الفترة التجـريبية الانهـزامية المبـكرة على تشـكيل جماعـة تحمـل اسمـه ، ودعيت «الروبندارية» (Rubendarismo) غير أن العديد من معـاصري (داريو) كانـوا من ذوي المميزات غير العادية : فمنهم (آمادو نيرفو) (Amado Nervo) المكسيكي الذي برزت صوفيته في كتابه «سـيرينيداد» (Serenidad) (١٩١٤) وكتابـه «الارتقـاء» (Elevación) (١٩١٧) ، وخوسيه سانتـوس شوكانـو (José Santos Chocano) من بيرو (١٨٧٥ - ١٩٣٤) الذي عملت ميوله الامريكية المتعالية على التمهيد لظهور كتاب «آلما أمريكا» (Alma América) (١٩٠٦) و«ريكاردو جيمس فراير» (Ricardo Jaimes Freyre) البوليفـي (١٨٧٢ - ١٩٣٣) الـذي استقـى من الاساطـير الاسكاندينـافية في كتابـه «كاستـاليا باربـارا» (Castalia Barbara) (١٨٩٩) ، و«جويرمو فالنسيا» (Guillermo Valencia) الكولومبي الذي أبرز ميله الكلاسيكي في

كتابه «ريتـوس» (Ritos)(١٨٩٨) وفيلسـوف الاورغـواي وكاتـب مقالاتهـا خوسيه انـريك رودو (José Enrique Rodó) الـذي أبـرزه كتابـه «اريل» (Ariel) (١٩٠٠) المترجم الى الانكليزية عام ١٩٢١) على انه الناقد الرئيسي والمروِّج لمثـل «الحـركة المحدثة» .

وبعد موت داريو ظهر ليوبولدو لوجونـز (Leopoldo Lugones) من الارجنتـين الذي تزعم الحركة المحدثة منذ فجر عهدها حتـى آخـر مراحلهـا، من العشـوائية القومية التي تخبطـت بهـا . أمـا انـريكوي جونزالـز مارتينـز (Enrique Gonzàlez Martinez) فكان موجهاً شديد الحساسية للاتجاهات الشعرية في بلـده المكسيك . وهنالك جوليو هيريرا اي ريسيغ (Julio Herrera Y Reissig) من اوروغواي الذي كان من المحدثين الرمزيين المبرزين . الا أن الغالبية العظمى للمحدثين من المنطقة الامريكية التي تتحدث الاسبانية استمرت في ولعها بألمعية وسحر الفاظ كتاب داريو «النثر المبتذل» .

أما في البرازيل ـ حيث اللغة البرتغالية هي لغة البلاد ـ فلم تستطع ردة الفعل تجاه الشعر الابداعي أن تأتي بالالوان الغنية للحركة المحدثة في امريكا الاسبانية . ووقف بعض شعراء البرازيل الذين استهوتهم الرمزية الفرنسية موقف التحدي من اتباع الحركة البارناسية البرازيلية بسبـب أسلوبهـم الشعـري الخـالي من التفاعـل الذاتي، والذي يعتمد على الشكليات، غير أن حركة رمزية كالبارناسية لم تجد لها مكاناً في البرازيل . والبارناسية كما هي ملخصة في شعر ريموندو كوريا (Raimundo Corréia) والبرتودي اوليفيرا (Alberto De Oliveira) وأولافو بيلاك (Olavo Bilac) لم يطرأ عليها أي تغيير الا بحلول «عشرينات هذا القرن الصاخبة» للحركة المحدثة في البرازيل .

الأدب الطليعي : (١٩١٨ ـ ١٩٣٠)

أحدث الرعب وإراقة الدماء اللذان سببتهما الثورة المكسيكية ما بين ١٩١١ ـ ١٩١٧ هزة في أوساط الأقلية المثقفة أدت الى تبين العبء الذي أثقل كاهل الجماهير المغمورة ، وقد وجد كل من الهنود والخلاسيين من يدعم قضيتهم من المناصرين .

ورفض المتحررون من الشباب معتقدات الحركة المحدثة والأوصاف اللفظية للمشاهد والأنماط المحلية تقليداً منهم للحركة الواقعية في أوروبا ، ولأساليب المدرسة الطبيعية ، وذلك بهدف إبداع المواضيع والشكل الأدبي والنفحة الشعرية وجودة اللغة . ولتحقيق هذه الأشياء ، أثبتت أمريكا اللاتينية بدليل لا لبس فيه انها بلغت مرحلة النضج . ورسمت الحرب الأهلية الاسبانية مع الحربين العالميتين الأولى والثانية منظوراً وبعداً أوروبياً وعالمياً لأمريكا في تحديد مكانها في المسكونة . فالكساد الذي ساد العالم الى جانب سياسة الدولار عملاً على تغذية أفكار فلاسفة الاقتصاد ، بما أوجد مخرجاً من محنة الاستعمار . وكان أدب أمريكا اللاتينية بمثابة الضريبة الباهظة للقلق الذي انتابها في اكتشاف ذاتها وتأكيدها.

ولم يلبث زعماء الحركة المحدثة أمثال داريو (Dario) ونرفو (Nervo) ولوجونز (Lugones) أن بادروا بعيد عام ١٩٠٠ الى التراجع عن بدعهم الأكثر غرابة وشكلية ، والتحول الى الأشكال التقليدية والصدق والبساطة . وعلى كل لم يرفض اتباعهم رفضاً باتاً النظم الشعري المزخرف ، ولم يرفضوا كذلك، اللغة والمصادر التي لا حصر لها للمواضيع التي اتتهم من الحركة المحدثة . ومن هؤلاء برزت جماعة متميزة من النساء استمتع الناس بقصائدهن الغنائية اكثر مما استمتعوا بأعمال الشعراء الرجال في النصف الأول من القرن العشرين . فالحب في مظاهره الرفيعة الملتهبة ، والحنين الى الأم ، والاحتجاج الاجتماعي ، تكون العمود الفقري لمواضيع الشاعرات ديلميرا أوغوستيني (Delmira Augustini) والفونسينا ستورني (Alfonsina Storni) وخوانا دي ايبار بورو (Juana de Ibarbourou) وغابريبلا مسترال (Gabriela Mistral) التي حازت على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٥ . وتتفرع أغاني انريكو دي بانشيز (Enrique Banchs) الشعرية البسيطة مباشرة من تقاليد الحركة المحدثة،وكذلك الشعر التجريبي لأحد المكسيكيين الذاتانيين ، وهو رامون لوبيز فيلا لردي (Rom'on Lôpez Velarde) والتعبير الصوفي للشاعر الغواتيمالي رافاييل آريفالوماتينيز(Rafael Arévalo Martinez) ، والمجموعة المتتابعة للقصائد الغنائية من نوع « السونت » التي كانت نتاج أحد المشاهد الاستوائية في كتاب « أرض الميعاد » (Tierra de promisiôn) (١٩٢١) لمؤلفه الكولومبي

خوسيه اوستاسيو ريفيرا (José Eustasio Rivera) ، والأشعار المتطرفة في عرقية جرسها للشاعر الكوبي المولد نيكولاس غويين (Nicolas Guillên) . وبعودة القوالب والمواضيع التقليدية للأدب بعد الحركة المحدثة انغمست بعض الفئات ممن يتبعون الموجات العدمية (النهيلستية) ، التي ظهرت بعد الحرب الأولى ، بنظم الشعر الحر ، وبلغت بهم الجرأة حد استخدام الصور الأدبية الغامضة التي اعطت انطباعاً مغلوطاً عن طابع فكري هادىء . وقام عدد من التجريبيين الطليعيين الذين أطلق عليهم اسم (Ultaistas) بنظم الأشعار ذات الطابع السياسي الاجتماعي وقام فيسنتي هويدوبرو (Vicente Huidobro) من تشيلي بوضع أسس لحركة مثل هذه الحركات التي لم تدم طويلاً وسماها «بالابداعية» (Creacionismo) وذلك في اسبانيا عام ١٩١٨ . واعتمدت انطلاقة هذه الحركة التي ترتكز على نكران الماضي الشعري ، الا أنها لطفت بالميل نحو النزعات التقليدية والتعلق بالماضي القومي الذي جعل الأخيلة المبتكرة لدى الكاتب الأرجنتيني يورجي لويس

بورجيس (Jorge Luis Borges) أقل تعرضاً للتهم التي تصمها بالغموض والتي وجهت الى جماعة الأدب الطليعي بمن فيهم أصحاب حركة (Ultraista) التي بدأها (بورغيس) في بيونس أيرس عام ١٩٢١ . ويمثل سيزار فاليخو (César Vallejo) من بيرو التحول من الحركة العصرية المحدثة الى التأكيد الماركسي لجماعة الفوقيين (Ultaïstas) في ثلاثينات هذا القرن . ومن بين الذين تبنوا الماركسية الكاتب التشيلي الشديد الذاتية بابلو نيرودا (Pablo Neruda) ، وهو أديب آخر نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٧١ ، وبدا أن تأثيره في عصره سيكون على قدم المساواة مع داريو والشاعر لويس دي جونغورا (Gôngora) من القرن السابع عشر . وفي أثناء اقامة اسبوع الفن الحديث في سان باولو ١٩٢٢ انطلقت صيحة الثورة الأدبية مدوية من جانب الطليعيين ، تلك الصيحة التي يطلق عليها عادة اسم الحركة المحدثة ، وأعلنت تحررها من « المجمعية » ومن نير الثقافة الاستعمارية ، واستمر ذلك حتى حلول الأزمة العالمية عام ١٩٢٩ اذ عمد النظام السياسي الجديد عام ١٩٣٠ بزعامة جيتوليو بارجاس (Getùlio Vargas) الى تهدئة العدوانية التي نجمت عن عدم التمسك بالتقاليد من جانب أصحاب هذه

الثورة . ورغم تحريض دعاة الاطاحة بالمعتقدات الذين ظهروا في أوروبا ، ظل الهدف الأول لاتباع الحركة المحدثة البرازيلية متجسداً بوضع الأفكار والحياة القومية في قالب حديث . وفي هذه الفترة العصيبة كان البحث عن الذات واعادة تقويم الجماليات وتحليل الحاضر في البرازيل ، وافادت هذه الفترة في انها كانت بمثابة شيء ، عمل بعد طول انتظار على تطهير ما فسد ، وانجبت رجالاً لهم أهميتهم في الأدب البرازيلي أمثال ماريو دي آندرادي (Mârio de Andrade) الشاعر الملهم والعالم الموسيقي والأب الروحي للحركة ، وكذلك مساعدة أوزولد دي آندرادي (Oswald de Andrade) وهو ناقد وشاعر ملحمي ورونالد دي كارفاليو (Ronald de Carvalho) ، ومانويل بانديرا (Manuel Bandeira) الذي كُرِّس أعظم شعراء البلاد الغنائيين المحدثين . وتميز شعر معاصري الحركة المحدثة واتباعها بالانشغال في المشاكل الاجتماعية والميتافيزيكية ، وبالاندفاع الذي لا يعوقه شيء نحو التعبير عن الذات ومن هؤلاء يورجي دي ليما (Jorge de Lima) وسيسيليا ميريلس (Cecilia Meireles) وأوغوستو فردريكو شميت (Augusto Frederico Schmidt) .

أدب الاحتجاج الاجتماعي

خلافاً للتطور غير العادي للرواية في البرازيل تُرك أمرها في أمريكا الاسبانية ، بالدرجة الأولى للملهمين من أتباع الواقعي الفرنسي اميل زولا الذي عاش في القرن التاسع عشر. وكتب فدريكو جامبوا (Federico Gamboa) المكسيكي رواية « سانتا » (Santa) (١٩٠٣) ، وتحكي قصة مومس من الأقاليم تذكرنا برواية « نانا » لزولا ، وبالتعاون مع الكاتب بالدوميرو ليللو (Baldomero Lillo) من تشيلي تمّ التوصل الى توازن فني للقصة التي تتناول موضوع الاحتجاج الاجتماعي . كما قام كتّاب الرواية الذين أتوا فيما بعد ، وكتّاب المقالة ، وكتّاب القصة القصيرة بوضع أساليب جديدة وأكثر أثراً ، استوحوها من كتّاب اشتهروا بابتكاراتهم في مجال الأسلوب الأدبي كالروائي الايرلندي جيمس جويس (James Joyce) والنمسوي فرانز كافكا (Franz Kafka) .

واعتبر كل من مارتي (Marti) وجونزالز برادا (Gonzàlez Prada) الرائدين الأولين من المفكرين الواعين لمسؤ ولياتهم في توجيه الأمريكتين البرتغالية والاسبانية في عالم يتغير بسرعة مذهلة . وهاجم الكاتب روفيو بلانكو فومبونا (Rufino Blanco Fombona) من فنزويلا المستبدين في بلده هجوما انفعالياً أكثر منه متوازناً في مؤلفيه « الرجل الحديدي » (El hombre de hierro) (١٩٠٧) و « الرجل الذهبي » (El hombre de oro) (١٩١٦) ، كما كان في طليعة مهاجمي الاستعمار الأمريكي الشمالي بتحريض مناضل ارجنتيني هو مانويل أوجارته (Manuel Ugarte) الذي عملت كتاباته مثل « مستقبل امريكا اللاتينية » (Provenir de América Latina) (١٩١١) و « مصير قارة » (Destino de un continente) ١٩٢٣ بالتعاون مع ما كتبه فرانسيسكو جارسيا كالديرون (Francisco Garcia Calderon) من بيرو على تصور امريكا اللاتينية وصية المستقبل على التقاليد اللاتينية . وكان كل من ريكاردو روخاس (Ricardo Rojas) الناقد والمؤرخ الأدبي الأرجنتيني وخوسيه فاسكونسيلوس (Jose Vasconcelos) الفيلسوف والمربي المكسيكي المثير للجدل يبذلان جل اهتمامهما على المظاهر العرقية والثقافية لأسرة امريكا اللاتينية ، من بين الأمم جميعاً . وجعل الفونسو رايس (Alfonso Reyes) الشاعر والأستاذ والناقد الأدبي المكسيكي من المقالة طاقة زاخرة بالحيوية .

وتبرز عظمة وسعة المشهد الأمريكي بأحسن صورها وأروعها في القصة القصيرة والرواية . وجعلت السنوات غير المشجعة التي تلت الغاء الرق عام ١٨٨٨ ، وكذلك انشاء الجمهورية عام ١٨٨٩ ، جعلت البرازيليين الجدليين يحللون وطنهم الذي يعاني من القلق والاضطراب على أنه مزيج غير عادي من الانسان والأرض والمناخ . وكشف اقليدس دادونيا (Euclides da Cunha) ، وهو مهندس في الجيش وصحفي ، أسس الحياة البرازيلية ، في ملحمة غير قابلة للتصنيف أسماها « أوس سيرتويس » (Os Sertôes) (١٩٠٢ والمترجمة الى الانكليزية بعنوان «عصيان في الأراضي الخلفية» عام ١٩٤٤) وفيها يدلي بأول احتجاج مكتوب في صالح الانسان البرازيلي المنسي،ذلك الانسان المنبثق من الأراضي الخلفية للبلاد . وفي روايته « أرض الميعاد » (Canaà) (١٩٠٢) ، المترجمة الى

الانكليزية عام ١٩٢٠ بالعنوان نفسه) وهي رواية افكار ركز الكاتب (خوسيه بيريرا داجراسا آرانيا)(José Pereira da Graça Aranha) على ما تركته الهجرة الأوروبية الأخيرة من تأثيرات على هذا الطراز من الانسان البرازيلي . كما أظهرت مجموعة قصصية بعنوان «أوروبيس»(Urupês) (١٩١٨) للكاتب خوسيه بنتو مورتيرو لوباتو (José Bento Morteiro Lobato) إن المثقفين ما زالوا جادين في البحث عن سمات وطنية ، ذلك البحث الذي فسح المجال واسعاً أمام ظهور الحركة المحدثة في عشرينات هذا القرن .

وأنجبت النزعة الثقافية الاقليمية الجديدة للمدرسة الشمالية الشرقية في البرازيل كتاب نثر موهوبين ومكرسين ، من بينهم جيلبرتو فراير(Gilberto Freyre) عالم الاجتماع الذي أتى كتابه «منزل سنزالا الفخم» (١٩٣٣)(Casa Grande e Senzala) والمترجم الى الانكليزية بعنوان «الأسياد والعبيد» (١٩٤٦) ، كأساسات تساعد على فهم طبيعة الاقليم . كما أتى خوسيه لينس دوريجو(Jose Lins do Rêgo) على وصف الصراع بين النمطين القديم والحديث في الحياة بأسلوب مغرق في الذاتية والاثارة ، وذلك في مجموعته الكلاسيكية (قصب السكر) وفي كتابه «بيدرا بونيتا»(Pedra Bonita) (١٩٣٨) . وقدم (يورجي آمادو)(Jorge Amado) الى البرازيل بعضاً من أحسن ما كتب في الأدب البروليتاري في أمريكا اللاتينية في مؤلفاته «الكاكاو»(Cacau) (١٩٣٣) ، و «جوبيابا»(Jubiabâ) (١٩٣٥) ، و «أرض الغضب»(Terras do Sem - Fim) (١٩٤٢ والمترجم الى الانكليزية عام ١٩٤٥) . وجاء كتاب «آنجوسيتا»(Angustia) (١٩٣٦) لمؤلفه جراسيليانو راموس (Graciliano Ramos) تأكيداً لحقيقة ان الصراع الفردي الداخلي قد سبر غوره هؤلاء «الاقليميون» الجدد بكل مهارة وحذق . وكان اريكو فريسيمو(Erico Verissimo) أحد الكتّاب العالميين القلائل في أمريكا اللاتينية ممن تميزوا . ويظهر ذلك في كتابيه «تأمل زنابق الحقل»(Olhai os Lirios do Campo) (١٩٣٨) والمترجم الى الانكليزية عام (١٩٤٧) و «الزمن والريح»(O Tempo e o Vento) (١٩٥٠ والمترجم الى الانكليزية عام ١٩٥١) . وأشهر كتاب تمخضت عنه الثورة المكسيكية هي رواية طبيب في جيش احدى عصابات (بانشوفيلا) الثورية اسمه ماريانو آزويلا(Mariano Azuela) ١٩١٥ (ترجمت الى الانكليزية عام ١٩٢٩) بعنوان «المسحوقون»(Los de

(Abajo) والتي استوحاها من حياة المعسكر . وانفرد هذا المؤلف بتسجيل تاريخ الثورة منذ كانت في أطوارها الأولى حتى بلغت ما بلغته من تعقيدات اجتماعية . وبدءا من أواخر عشرينات هذا القرن وما بعد ، استطاع كل من مارتن لويس جوزمان(Martin Luis Guzman) وجريجوريو لوبيز إي فوينتس(Gregorio Lôpez y Fuentes) وخوسيه روبن روميرو(José Rubén Romero) أن يعطوا المعالجة التي قدمها آزويلا أبعادها الحقيقية .

لم تكن شخصية الرجل الهندي للقرن العشرين المتمثلة في بطل الملحمة المسماة « لا آروكانا » (La Araucana) شخصية بطل لا يهادن ، كما لم يكن رمزاً للثورة ضد الاستبداد الاسباني ، وأقل من كل هذا لم يكن « المتوحش النبيل » الذي يجوب بيداء أمريكا الرومانتيكية الموحشة ، وإنما كان ضحية تأثيرات اقتصادية وسياسية عميقة الجذور ، تلك التأثيرات التي أبقت الجماهير عبيداً أذلاء للمؤسسات الاستعمارية . ووجد هذا الأدب الهندي (Indianista) الجديد ترحيباً في ميدان أدب القصة ، وذلك في رواية « عصافير بلا عش »(Aves sin nido) (١٨٨٩ ، ترجمت الى الانكليزية عام ١٩٠٤) ، لمؤلف من بيرو يدعى كلوريندا ماتودي تورنر (Clorinda Matto de Turner) كما وجدت القضية الهندية من يدفع بها الى الأمام على يد جونزالز برادا (Gonzâles Prada) ، وهو أول من بشر بالحزب الذي نادى بالاصلاح الاجتماعي لصالح الهنود ، وسمي هذا الحزب بـ (الائتلاف الشعبي الثوري لأمريكا اللاتينية) (Alianza Popular Revolucionaria Americana) عام ١٩٢٣ . وقارب يورجي اكازا (Jorge Icaza) الناطق باسم المدرسة المغرقة في الواقعية في الاكوادور من الانتحار الجمالي(Aesthetic Suicide) في رواياته التي تسيطر عليها الروح الجماهيرية واللغة الصافية ، كما يتبين في «القرويين»(Huasipunigo) (١٩٣٤) والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٤) . وبزوال حكم رؤساء القبائل المحليين في القرن التاسع عشر لم ينته الصراع بين قوى الطبيعة والمؤثرات الاقتصادية القوية ، بين الريف متمثلاً في سهول البامبا(Pampa) والمدينة ، إذ جرى البحث جدياً ، وبشكل منقطع النظير عما تقدمه الأرض

والطبيعة من أعطيات ، كالقطعان في البامبا ، والقصدير والنحاس والنيترات في الجبال والصحراء ، والمطاط واللوز في المناطق المدارية . وأصبح الصراع بين الطرفين أشد حدة عندما انبرى الانسان يقاتل أخاه أنانية منه للتفرد بامتلاك الطبيعة .

أما في المراكز الأكثر نمواً وتمدناً ، فقد عمل الاقتصاد الصناعي الحديث على ممارسة السيطرة على مصير الجماهير . وأوحى الصراع ما بين القديم والحديث في سهول البامبا في الأرجنتين والأوروغواي بصفحات يلفها الوصف الكئيب ، لكاتب القصة القصيرة الأورغواني جافيير دي فيانا (Javier de Viana) واستوحى منه ارغواني آخر هو كارلوس ريلس (Carlos Reyles) التصوير النفسي للأطرزة القروية في كتاب « الوطن الأم » (El terruño) (١٩١٦) ، وهنالك قصة بسيطة فكاهية عن حياة فلاحي البامبا ، ويدعون بالجاوشو (Gaucho) للأرجنتيني بينيتو لينش (Benito Lynch) ، وملحمة نثرية عن حياة الجاوشو مزدانة بالخيال التصويري بعنوان « دون سيجوندو سومبرا » (Don Segundo Sombra) ، وهي بدورها للأرجنتيني ريكاردو جويرالدز (Ricardo Guiraldes) (١٩٢٦) والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٣٥) . ويقدم رومولو جاليجوس (Romulo Gallegos) وصفاً شعرياً مسرحياً لقوى مماثلة تعمل في آلانوس (llanos) ، أي في سهول فنزويلا .

وظهر فنانان في المناطق المدارية نطقاً باسم مجموعة متزايدة من صغار الكتاب الذين أوجدوا فكرة (الغابة الاستوائية)(Jungle) ، يدعى أولهما هوراشيو كويروجا (Horacio Quiroga) من أوروغواي ويعد من الطراز الأول ، في فن القصة القصيرة ، والتفوق في الوصف الدرامي «للتشاكو»(Chaco) وغابة ميسيونز (Misiones) في الأرجنتين . وثانيهما خوسيه أوستاسيو ريفيرا(José Eustasio Rivera) من كولومبيا الذي يمثل عمله النثري الوحيد : «الدوامة»(La Vorâgine) (١٩٢٤ والمترجم الى الانكليزية عام ١٩٣٥) استنكاراً عنيف اللهجة ضد عمليات الابتزاز في الأمازون الأعلى في فترة الازدهار التي أحاطت بانتاج المطاط في بداية العقد الأول من القرن العشرين .

وفي رواية (La maestra normal) (١٩١٤) استطاع الروائي الأرجنتيني مانويل جالفيز(Manuel Galvez أن يلتقط مشاهد التفاهة والرتابة الدائمتين في حياة سكان المراكز الاقليمية الأصغر ، قبل دخول أساليب التصنيع وتحطيمها الأساليب الاستعمارية القديمة . أما التشيليون الأقل حظاً فيمثلهم كاتبان بارزان وهما روائي اسمه يواكين ادواردز بيللو(Joaquin Edwards Bello) ، وكاتب القصة القصيرة مانويل روخاس(Manuel Rojas) . وبرز صراع الانسان ـ مرة أخرى ـ مع الدوافع الباطنية العميقة من جهة ـ ومع ما يحيط به من جهة أخرى في روايات التشيلي ادواردو باريو(Eduardo Barrios) ، وكذلك في القصص «التشخيصية» للكوبي الفونسو هيرنادز كاتا(Alfonso Hernandes Catà) .

وغالباً ما التفت كتّاب أمريكا اللاتينية الى الماضي سواء في تحليلهم الوجود الفردي ، أو الجماعي ، مما يتجلى في رواية أمجاد دون راميرو و(La gloria de Don Ramiro) (١٩٠٨ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٢٤) التي كتبها أنريكو رودريجيز لاريتا(Enrique Rodriguez Larreta) الأرجنتيني المعروف باسلوبه في الكتابة . وعموماً تعتبر هذه الرواية أحسن ما كتب من الروايات التاريخية باللغة الاسبانية .

الاتجاهات الحديثة : تميز الربع الثالث من القرن العشرين بالانشغال المتزايد بمشاكل الانسان باعتباره ضحية قوى تبعث على الغربة من الشعور بالوحدة ، وتحقيق الذات والكرب والشر ، كما تميزت الفترة بالنية الجادة لايجاد أشكال وأساليب جديدة ، وقبل كل شيء أظهرت لغة جديدة أكثر ملاءمة للمطالب التي فرضتها الاهتمامات الأيديولوجية والاجتماعية والروحية التي أخذت تزداد تعقيداً. ووجدت هذه الاهتمامات في المقالة وسيلتها المباشرة للتعبير،اذ طرأ على المقالة بشكلها الأدبي تحسين لا يستهان به ، اضطلع به كتاب لا يقلون جدارة في المجالات الأدبية الأخرى ، عن كفاءاتهم في ميدان المقالة . واتخذ الاهتمام فردياً وجماعياً من التحليل شكلاً متدرجاً بدءاً من تشريح الكاتب الأرجنتيني ايزاكويل مارتينز استرادا (Esequiel Martinez Estrada) لعيوب بلده بشكل لا رحمة فيه في كتابه « البامبا تحت الأشعة السينية » (Radio — Grafia de la pampa) (١٩٣٣ والمترجم الى

الانكليزية عام ١٩٧١) وانتهاء بالتحليلات الأكثر عمقاً وتنوعاً للمكسيكي اوكتافيو باز(Octavio Paz) في كتابه «متاهة العزلة»(El Laberinto de la Soledad) (١٩٥٠ والمترجم الى الانكليزية عام ١٩٦١) . وانتقل الشعر من مرحلة التأكيد على التجريب والهرمزية الى مرحلة أخرى تنشد الجواب على نفس الاهتمامات بأسلوب أكثر شفافية وذاتية .

الا أن إحياء الأسلوب القديم للشعراء القدامى هو الذي استحوذ على مشاعر الجيل الجديد الذي لم يكن مؤهلاً بعد للمشاركة في تكريم اللامعين من الأدباء الكبار أمثال نيرودا (Neruda) (قصائد مختارة ١٩٧٠) وباز (Paz) .

وبعد أن كانت المسرحية حتى عهد ذاك أخبى الألوان الأدبية بريقاً رغم نجاحها في شد الانتباه العالمي للكاتب الأوروغواني فلورنسيو سانشيز (Florencio Sànchez) في مجموعة مسرحيات كتبها عام ١٩٦١ ، الا أنها خرجت من المسرح الوطني التقليدي الذي يمثل الاطرزة والتقاليد المحلية لتتبنى طرقاً وأساليب حديثة . ونتج عن ذلك مجموعة غريبة من المحاولات التجريبية التي قلبت الأفكار الجديدة على أوجهها ، وأخذت ما يلائمها ، تلك الأفكار التي تساوت في تنوعها مع ما قدمه كتاب المسرحية الأمريكيون أمثال ادوارد ألبي (Edward Albee) وتينسي وليامز (Tennessee Williams) فنجم عن ذلك مسرح انغمس في بدع السريالية والتهكم السياسي والاجتماعي ، وتصوير الغضب والاحتجاج ، الى جانب التصوير الجامد للعبث . وأول المحدثين في مضمار المسرح كان البرازيلي جوراس كامارجو(Joracy Camargo) الذي كتب (Deus lhe Pagne) (١٩٣٢) ا والمكسيكي رودولفو أوزيغلي (Rodolfo Usigli) الذي كتب « تاج الظلال » (Corona de sombra) عام ١٩٤٣ وترجم الى الانكليزية عام ١٩٤٦ و (El gesticulador) ومن الجيل الأصغر هنالك سباستيان سالازار بوندي (Sebastian Salazar Bondy) من بيرو وايميليو كارباليدو (Emilio Carballido) من المكسيك ، وأوزوالدو دراجون (Osvaldo Dragun) من الأرجنتين ويوركي دياز (Jorge Dïaz) من تشيلي ،وخوسيه تريانا (José Triana) من كوبا . وكان هؤلاء يكسبون شهرة عالمية سريعة . ويقف آريانو سواسونا (Ariano Suassuna) البرازيلي فوق الجميع في مسرحية « محاكمة

الوغد » (Auto da compadecida) (١٩٥٥ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٣) التي تعتبر اقتباساً معقولاً للمسرح الشعبي لشمال شرقي البرازيل .

واحتلت القصة النثرية الصدارة على المسرح الأدبي لأمريكا اللاتينية ، وكان هذا النوع الجديد من القصة ، يعمل على إسماع الصوت عالياً بصـدد اهتمامـات الجيل في متاهة مربكة من الأساليب ، تلك الأساليب التي شنت هجوماً لا هوادة فيه على القالب الروائي من جهة ، والبنية اللغوية من جهة أخرى ، وقد سبق ظهور النثر القصصي « الجديد » القصة النثرية على يد جماعة صغيرة من الكتّاب برزوا في مجالات أدبية أخرى ، ويتمثل ذلك خاصة في قصص الأرجنتيني يورجـي لويس بورجس (Jorge Luis Borges) التي اتصفت بالعقلانية وبكونها غير عادية ، كما في قصصـه «المتاهـات» (Labyrinths) (١٩٦٢)، و «الألف وقصص أخرى» (The Alph and Other Stories) (١٩٣٣ ـ ١٩٦٩ والمترجمـة الى الانـكليزية عام ١٩٧٠) . ومـن الطـراز السريالي نجـد رواية السيد « الـرئيس » (El Sanor Presidente) (١٩٤٨ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٣ للكاتب ميجـل آنجـل استورياس (Miguel Angel Asturias) الغواتيمالي الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٧ . ومن بين الذين تبنوا أسلوب جيمس جويس (James Joyce) في كتابة الـرواية نجـد المكسيكي أوغوستـين يانيز (Augustin Yânez) في روايتـه « حافـة العاصفة» (Al filo del agna) (١٩٤٧ والمترجمـة الى الانـكليزية ١٩٦٣) . ونـرى الروايات الأيديولوجية والفلسفية لدى الأرجنتيني ادواردو ماليا(Edwardo Mallea) في روايتي «خليج السكون» (La bahia de silencio) (١٩٤٠ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٤٤) و «سيزول كل ما هو أخضر» (Todo Verdor Perecera) عام ١٩٤١ والمترجمـة الى الانـكليزية عام ١٩٦٦) . كما نجـد « الـواقعية السحـرية » لدى الكوبي آليخو كاربنتر (Alejo Carpentier) في « الخطوات المفقودة » (Los pasos perdidos) (١٩٥٣ والمترجمة عام ١٩٥٦) ويتصف الأسلـوب النثـري للكاتـب البرازيلي جواو جويماراس روزا (Joao Guimaraes Rosa) بالغموض وعدم الصقل في روايته « على الشيطان أن يدفع الثمن في الأراضي الخلفية » (١٩٦٣). ونجـد النثر الجديد أيضاً في رومانسيات البرازيلي يورجي آمـادو (Jorge Amado) الـذي

تبنى أسلوب القاص الفرنسي (رابليه) في روايات« كبـريلا وكلوفـو وسـانيلا » (Gabriela, Cravo e Canela) (١٩٥٨ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٢) وبناء على ما أسسه هؤلاء الرواد في فن القصة الجديدة ، استطاع الجيل الأصغر سناً أن يوطد دعائم رواية القصة في الستينات من هذا القرن التي تبعث القوة وتدعو الى التحدي . ومـن بـين هؤلاء الـروائيين من الأرجنتـين أرنستـو ساباتـو Ernesto) Sàbato) مؤلف رواية (Sobre hêroes y tumbas) (١٩٦١) ويوليو كورتـــازار (Julio Cortazar) مؤلف رواية «رايويلا»(Rayela) (١٩٦٣ والمترجمة الى الانكليزية باسم «الحجلة» ١٩٦٦) . والمكسيكي كارلوس فوينتس(Carlos Fuentes) الـذي ألف رواية «موت آرتيميو كروز»(La muerte de Artemio Cruz) (١٩٦٢ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٤) والكولومبي جابرييل جارسيا ماركويز(Gabriel Garcia Màrquez) الذي كتـب «مئـة عام من الوحـدة»(Cien anos de soledad) (١٩٦٧ والمترجمة عام ١٩٧٠) وماريو فارجاس لوسا(Mario Vargas Losa) من بـيرو ولـه روايتان هما «وقت قدوم البطـل»(La Ciudady los perros) (١٩٦٣ والمترجمـة الى الانكليزية عام ١٩٦٦) و «البيت الأخضر»(La casa Verde) (١٩٦٥ والمترجمة الى الانكليزية عام ١٩٦٨) .

الفصل الرّابع عشر

الأدب الالماني في القرن العشرين

قام الأدب الألماني في القرن العشرين بتأمل ما يحيط به من مظاهر غير مؤكدة من روحية وسياسية واجتماعية . وأدى الشعور المبكر بعدم الرضا عن القوالب الأدبية التقليدية الى القيام بتجارب على القوالب الجديدة في محاولة لتجنب العقم ، وبهدف احياء المقاصد اللغوية التي تجلت على شكل قوى مهيمنة على الأدب الحديث ، وتطور الكثير مما كتب في أوائل القرن العشرين من اسلوب القرن التاسع عشر لحركة الطبيعيين التي جعلت من أبسط التفاصيل موضوعاً أدبياً .

الانطباعية : تظهر بدايات الحركة الانطباعية ذات صلة وثيقة بالحركة الطبيعية ، وأبدى الكتاب الذين عاصروا نهاية القرن الماضي مدى تأثير الحركة الطبيعية اثناء تطورهم الأدبي . وتستدعي الانطباعية في أصلها مزاجاً أوحالة فكرية معينة عن طريق التأكيد على الانطباع الذي يخلفه شيء من الأشياء في الشخص الذي يراقب هذا الشيء . وقد أورد الشاعر ديتلف فون ليلينكرون (Detlev Von Liliencron) مثالاً مبكراً عن هذا ، تماماً كما فعل ريتشارد ديهمل (Richard Dehmel) حينما استطاع أن يخلق جواً بتوسل نماذج صوتية ، رغم ان مادته كانت مغرقة في الواقعية ولم تكن أعمال الكتّاب الذين تأثروا بالرمزية خالية من عناصر الانطباعية . وكان للشاعر ستيفان جورج (Stefan George) خليفة الرمزية الفرنسية أكبر الأثر على الكتّاب الآخرين ، كما كان شعره الرزين الوقور الهادىء النبرة يهدف الى تأكيد الفخامة في الشعر الذي كان بالنسبة اليه على صلة بالدين ، وبسبب ما يكتنف اشعاره من غموض لا يمكن فهمها الا طبقاً لتعابير في الاطار الذي تنتمي اليه . وفي عام ١٨٩٢ أسس هذا الشاعر مجلة باسم «مجلة الفن» (Blätter fur die

(Kunst) بغية نشر نتاج اتباعه . ومن بين الذين استهوتهم أعماله نرى فريدريك جوندولف (Friedrich Gundolf) وايرنست برترام (Ernest Bertram) وكلاهما من النقاد ، والشاعر كارل فولف سكيهل (Karl Wolfskehl) . وعارض النمساوي هوجو فون هوفمان ستال (Hugo Von Hofmannsthal) الذي تتميز انطباعيته بأصولها الرومانتيكية ، في الانضمام الى حلقة ستيفان جورج ، وعالج أحاسيسه بتحليل دقيق عبر شعره ذي الجرس الموسيقي وكان يتملكه الاعتقاد بأنه ليس بمستطاع اللغة نقل الأحاسيس نقلاً أميناً ، ويوضح هذا الرأي في مقالة كتبها عام ١٩٠٢ بعنوان «رسالة اللورد كاندوس» (Chandos - Brief) ترجمت الى الانكليزية عام ١٩٥٢ . وتحدثت مسرحياته التي كتبها في تسعينات القرن التاسع عشر عن الجمالي عندما يواجه واقع قصور الكلمات عن التعبير من جهة ثانية . أما مسرحياته التي ظهرت فيما بعد مثل «جدرمان» (Jederman) التي نشرت عام ١٩١١ ومسرحية مقتبسة عن «افري مان» (Everyman) و «مسرح سالزبرغ العظيم للعالم» (Das Salzburger Grosse Weltheater) (١٩٢٢) فذات نفحة دينية ، ومقتبسة عن الأسلوب «الباروكي» (Baroque) (المنمق الذي ساد في القرن السابع عشر) والمسرح الوسيط ، وله أيضاً ملهاة بعنوان «الرجل المحرج» (Der Schwierige) ، وفيها يعالج مشكلة رجل مثقف تثقله التقاليد الاجتماعية . ويعود نجاحه الكبير على الصعيد الجماهيري الى تأليفه مجموعة نصوص لأوبرا لحنها الموسيقار ريتشارد شتراوس (Richard Strauss) مثل أوبرا (Der Rosenkavalier) عام ١٩١١ . ونظراً لوعيه التراث الثقافي الأوروبي والمسؤولية الأخلاقية ، كان يتمتع بادراك عميق للقضايا الأخلاقية في أعماله .

وهنالك كاتب نمساوي آخر جدير بالاعتبار هو آرثر شنيتزلر (Arthur Schnitzler) الذي أورد وصفاً للانحطاط الذي انتاب فيينا قبل عام ١٩١٤ ، ويقدم له تحليلاً عميقاً لحياة الانسان الداخلية . ومن الكتّاب الباحثين في الثقافة النمساوية والمحللين لها كان روبرت موزل (Robert Musil) الذي تفحص في روايته الخالدة « رجل بدون صفات » (Der Mann ohne Eigenschaften) (١٩٣٠) - ١٩٤٣) مسألة عدم الاستقرار في العصر الحديث ، وفضح القيم المزيفة في المجتمع ،

وتناولت قصص أخرى له التحلل الذي انتاب الانسان في مواجهة النكسة الثقافية ، ومنها « ثلاث نساء » (Drei Frauen) (١٩٢٤) ، و « تورلس الشاب » (Die Verwirrungen des Zöglings Törless) (١٩٠٦) . وارتقى موزل سلم الشهرة ببطء ، وانقضى اكثر من عشر سنوات بعد موته قبل أن يعرفه الناس شخصية ادبية مرموقة في الأدب الألماني . ولم يختلف الكاتب هرمان بروخ (Hermann Broch) عن موزل في أن رواياته لم تقدر حق قدرها الا بعد موته عام ١٩٥١ . وتحكي احدى ثلاثياته المسرحية «الذين يسيرون وهم نائمون» (Die Schlafwandler) (١٩٣١ ـ ١٩٣٢) قصة انحدار القيم في المجتمع الحديث ، وتكمل مؤلفات الياس كانيتي (Elias Canetti) مثل (Die Blendung) عام ١٩٣٥ التقاليد الرمزية ، وتحلل اثر المجتمع الجماهيري على الفرد .

وكانت مدينة براغ مركزاً آخر للكتابة ، فقد عاش فيها وكتب كل من فرانز كافكا (Franz Kafka) وراينر ماريا ريلكه (Rainer Maria Rilke) وفرانز فيرفل (Franz Werfel) ، وصديق كافكا ماكس برود (Max Brod) وغوستاف مايرنك (Gustav Meyrink) وكانت أعمالهم تميل الى الاقتصار على قلة من الناس متأثرة تأثراً عميقاً بالرمزية .

الرمزية : لا يختلف ريلكه (Rilke) عن معظم كبار الشعراء الغنائيين في زمنه بأنه مدين للرمزية . فشعره الرخيم الذي رفعه الى مصاف كبار شعراء المانيا الغنائيين مدّ رؤيته الشعرية للواقع بقوة أخاذة . ويتجلى ذلك على أوضح ما يكون في مؤلفه « سجل الساعات » (Das Stunden — Buch) عام ١٩٠٥ الذي يحوي وصفاً في البحث عن الصحة الروحية في مدينة تسيطر عليها العدوانية . ويتمثل مفهومه عن العالم والله والموت في البحث عن الكمال الفني . وفي مجموعته « قصائد جديدة » (Neue Gedichte) (١٩٠٧ ـ ١٩٠٨) لم يعد يتحدث عن رد فعل الشاعر الذاتي تجاه العزلة النفسية ، وانما رغب في أن يضمّن تقويماً موضوعياً للواقع عبر خلق جديد للأشياء التي صادفها في الفن والطبيعة ، كما تناول ريلكه دراسة حول الحس الفني متوسلاً تحليل شخصية مصابة بالعصاب ، وذلك في كتابه « ملخصات مالته لوريدز

بريجه » (Die Aufzeichnungen des Malte Laurlds Brigge) ١٩١٠ ، كما لخص صراعاته الروحية في قصائده العشر التي يحويها كتابه « مراثي دوينو » Duineser) Elegien) ١٩٢٣ بشعر معقد وعنيف . ويرمز في « أغنية الى أورفيوس » Die) Sonétte an Orpheus) ١٩٢٣ الى مقدرة الشعر ممثلاً في شخص أورفيوس على تغيير مشاكل الوجود ، ومحاولة هذه القوة تبرير الواقع .

وكان للرمزية تأثيرها كذلك على كتاب النثر ومنهم توماس مان Thomas) Mann) الذي حاول استخدام الرمز والأسطورة في قصص تبدأ بالتحليل السريري للحالات العقلية والجسمية لرجل عصري . وتتسم شخصيات مان بالانطباعية ، غير أن هذه الانطباعات تصبح افكاراً تحمل في طياتها قوة اللاشعور . وتأثرت اعماله بالفيلسوفين شوبنهاور ونيتشه ، ومع ذلك فتصوير للتبدل الاجتماعي ، وتأثير الأيديولوجية كان جزءاً لا يتجزأ من القصة وعلى الدوام ، كان مان منشغلاً بقضية وضع الفنان في المجتمع . ويرمز الفن في اعماله الأولى الى الانحلال والى صقل مبالغ فيه لم يعد مقبولاً . غير أنه في كتابه «الجبل المسحور» Der) Zauberberg) عام ١٩٢٤ لا يختلف عن ريلكه في تأكيد عناصر الفن البناءة . وقد سبرت رواياته العظيمة مختلف أوجه الحياة في عصره ، مثل « بودن بروكز » (Buddenbrooks) ١٩٠٠ وتدور حول المجتمع البورجوازي، والجبل المسحور التي تعالج الفساد الفكري ، والدكتور فاوست(Doktor Faustus) عام ١٩٤٧ وتتناول الشخصية والعقلية الالمانيتين في ظل الرايخ الثالث ، كما تدور رواياته القصيرة من نوع «النوفلا»(Novella) حول الموضوع نفسه مثل «تونيو كروجر» (Tonio Kroger) «وتريستان»(Tristan) وظهرت كلتاهما عام ١٩٠٣ . و «موت في فينيسيا»(Der Tod in Venedig) عام ١٩١٢ وأهم ما يميز مان ، الفكاهة اللفظية الساخرة والغموض ، لأن أسلوبه المعقد ليس إلا انعكاساً لتفكيره المعقد ، ودراسته لتاريخ الفكر . ويظهر آخر عمل له وهو «اعترافات فيليكس كرول» (The Confessions of Felix Krull) ١٩٥٤ الذي كتبه بأسلوب فكِه ، شكه الذي طغى على كل أعماله ، ويناقش هذا الشك ما اذا كان الجري وراء الجمال ومن بعده الجري وراء الثقافة والفن ليس الا وهماً كبيراً .

وتأثر «هيرمان هيس» (Hermann Hesse) بالرومـانتيكية الجـديدة وركز على صراع الانسان الروحي ، وتصور اعماله الروائية الناجحة بما فيها «بيتر كامن زيند» (Peter Camenzind) ١٩٠٤ أولى هذه الروايات صراع الأفراد في عالم معادٍ لرقـة الشعور ، كما تسبر أغوار اللاشعور والتوازن ما بين الحس الشهواني والـروح . وعالج الصراع ما بين العالم البورجوازي والشخص اللامنتمي الحساس في كتاب «ذئب البربري» (Der Steppenwolf) عام ١٩٢٧ وتوصل الى وجـوب ترك النفس ترضـخ للخيال الجامـح . وفي رواية «لـودي حامـل شهـادة الماجستـير» (Das Glasperlenspile) عام ١٩٤٣ يضع على بساط البحث كل ما تهدف اليه المدنية . وقد نظم هيس الشعر وكتب القصص القصيرة ، وأشهرها قصة «كنولب» (Knulp) ١٩١٥ .

اما روايات الكاتبة ريكاردا هوخ (Ricarda Huch) فلا تختلف عـن قصص توماس مان وأخيه هاينرخ مان (Heinrich Mann) في تأكيدها على استقلالية الفـرد وكرامته . وبعنف هاجم هاينرخ مان المفاسد السياسية والاجتماعية في الروايات التي كتبها مثل «البروفسور اونرات» (Professor Unrat) ١٩٠٥ و «دعي الوطنية» (Der Untertan) عام ١٩١٨ .

المذهب التعبيري : كان أسلوب (هاينريخ مان) المبهج قد أستبق المذهـب التعبيري ، وهي الحركة البارزة في الأدب الألماني اثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها مباشرة . وأكدت الحركة التعبيرية على الأهمية التي تكمن في لب الأشياء ، وليس على أشكالها الخارجية ، ولذا لم تتناول وصف الحياة في مسارها ، بل نظـرت في استدعاء حالات عقلية معينة . وفي مسرحيات فرانك فيدكنت (Frank Wedekind) نرى أن المثالية البورجوازية تتعرض لتشهير فاضح وتعتبر هذه المسرحيات أول ما بشر بالاسلوب التعبيري . غير أن أول مسرحية تعبـيرية حسـب المفهـوم الكامـل للحركة ، هي مسرحية «الشحـاذ» (Bettler) ١٩١٢ لمؤلفهـا يوهـانس راينهـارت زورجه (Johannes Reinhard Sorge) وفيها تظهر الشـخصيات المسرحية تجريدات تتفاعل مع بعضها بعضاً ، وهي تحاكي مسرحيات بعض الكتاب الآخرين أمثـال فالتر هيزن كليفر (Walter Hasenclever) وبول كورنفلد (Paul Kornfeld) وفريتز

فون اونرو(Fritz Von Unruh) وارنست بارلاخ(Ernest Barlach) المثال ، وأوسكار كوكوشكا(Oskar Kokoschka) الرسام ، في أنها تتميز ببحثها عن جوهر الأشياء وعن الافكار التي تتوارى خلف الشخصية ، ومعنى الحياة الروحية في الحياة . وكتب ارنست تولر(Ernest Toller) مسرحيات سياسية مستخدماً الاسلوب التعبيري مثل مسرحية «مخربو الآلات» (Die Maschinenstürmer) ١٩٢٢ . وانتقل جورج كايسر(Georg Kaiser) زعيم كتاب المسرح التعبيري في أسلوبه من المذهب «الطبيعي» مروراً بالتعبيري حتى انتهى الى أسلوب تقليدي كامل النضوج ، بينما عمد كارل سترنهايم(Carl Sternheim) الى اسقاط قناع الادعاءات البرجوازية باستخدامه التهكم اللاذع للغة المعاصرة .

ولم يكن لشعر المذهب التعبيري هو الآخر أي عائد فهو يترابط عن طريق قوة التداعي الفكري . ومن أبرز شعرائه ارنست ستادلر(Ernst Stadler) وجورج هايم(Georg Heym) وجورج تراكل(Georg Trakl) وفرانز فرفل(Franz Werfel) ويوهان بيخر(Johannes Becher) وأوغست شترام(August Stramm) وتيودور داوبلر(Theodor Daubler) وجوتفريت بن(Gottfried Benn) وايلسه لاسكر شيللر (Else Lasker — Schuler) ومات رؤساء هذه الحركة الشعرية وهم هايم وتراكل وستادلر في سن الشباب .

وأظهر شعر تراكل القرف من المدينة الحديثة ، أما هايم وستادلر وشترام فسيطر عليهم خوف مصدره الوجود المتمدن للانسان ، وغالباً ما كانوا يعبرون عن رؤاهم للمصير المحتوم بشعر يتصف بالغرابة والتركيز . وتأتي أشعار بن الأولى والكئيبة التي تتحدث عن الموت ، على وصف معاناة الانسان بأسلوب سريري ، كما تميز شعره العدمي الذي كتبه فيما بعد بغموض اللغة . وقد تخلى بن عن مذهبه التعبيري كما فعل جان (هانز) آرب(Jean (Hans) Arp) وايفان جول(Yvan Goll) وغيرهما من الشخصيات البارزة التي كانت تدور في فلك هذا المذهب .

وتحدث كافكا ، الذي لم يشتهر الا بعد موته ، عن الفرد في عالم من الاضطراب تسحقه قوى لا يمكن معرفة مداها . وبينت اعماله الروائية ـ كتلك

التي نشرت بعـد موتـه مثـل «المحاكمـة» (Der Prozess) ١٩٢٥ و«القلعـة» (Das Schloss) عام ١٩٢٦ - التنافر بـين الطمـوح وضـعف التفـكير ، بأسلـوب كاريكاتوري فكه . وتعمد أن يكون غامضاً في حديثه عن شعـور الشـخصيات المسرحية بالذنب ومعارضتهم النظام السائد .

أدب ما بعد التعبيرية
والواقعية الاجتماعية

بعيد عام ١٩٠٠ فسحت الحركة التعبيرية المجال للواقعية الاجتماعية التي أمل الكتاب من خلالها الوصول الى الموضوعية . أما المواضيع التـي عولجـت فكانـت بالدرجة الاولى الحرب العالمية الاولى وما نتج عنها . ومن القصص التي سجلت أحداث الحرب ومجتمع ما بعد الحرب قصة آرنولد زفايج (Arnold Zweig) وعنوانها «قضية الرقيب جيرشا» (Streit Um Den Sergeantem Grischa) عام ١٩٢٧ وقصة الكاتب آريك ريمارك (Erich Remarque) «كل شيء هادىء في الجبهة الغربية» (Im Westen Nichts Neues) عام ١٩٢٩ ، وكذلك اعمال (هانز فالادا) (Hans Fallada) واسمـه الحقيقـي رودولف ديتـزن (Rudolph Ditzen) وايريك كيستنـر (Erich Kastner) وظلت هذه الموضوعية الجديدة مستمـرة في أعمال آنـا سيجهـرز (Anna Seghers) وكارل زوكماير (Carl Zuckmayer) في كتـابيه «قبطـان كوبينـك» (Hauptmann Von Kopenich) عام ١٩٣١ و«جنـرال الشيطـان» (Des Teufels General) التي اخرجـت عام ١٩٤٦ وجمـع الفـريد دوبلن (Alfred Doblin) بـين الوثائقية والتحليل النفسي ، بينما قام ارنسـت يونجـر (Ernest Junger) بسبـر غور التعقيدات النفسية للتكنولوجيا والمدنية الحديثة . وفي كتاب يونجر «على الصخور الرخامية» (Auf Den Marmorklippen) عام ١٩٣٩ - وهو نقـد للـرايخ الثالـث - يتكشف عجزه من ناحية الخيال عن تصور الشخصية الفردية . وكشفت أشعار أخيه فريدريش (Freidrich) وكذلك نثره عن مهارة غنائية وقصصية فائقة .

أدب الرايخ الثالث

عمل الرايخ الثالث على وقف استمرار الحياة الادبية في المانيا . وفي العهد النازي ، كان الكتاب أمام خيارين : إما ان يغادروا المانيا طوعاً أو يطردوا منها كرهاً، وكانوا مجبرين على التزام الصمت، أو يقضى عليهم. ولم يقدر للكتابة الجيدة أن تطفو على السطح الا بعد الحرب العالمية الثانية . وأقتصرت المعية كتاب أمثال أ . جـ . كولبن هاير (E . G . Kolbenheyer) وفريدريك بلانك (Friedrich Blunck) وهانس غريم (Hans Grimm) على التبجح بمدرسة نقاء الدم والقومية الألمانية . وترتكز أهمية روايات هانز كاروسا (Hans Carossa) التي تحكي سيرته الذاتية في التأكيد على حاجة الفرد الى تحسين امكاناته المخبوءة باتباعه التقاليد .

الادب بعد الحرب العالمية الثانية

استمر الكتاب المعترف بهم في نشر انتاجهم بعد الحرب العالمية الثانية . كما ترسخت شهرة كتاب أمثال كافكا وموزيل بشكل نهائي، وبرزت الى الوجود أشعار جيرترود كولمار (Gertrud Kolmar) وييسه تور (Jesse Thoor) ولاسكر شيللر (Lasker — Schuler) . وشجعت المحاولات لتحرير لغة الشعر الغنائي من أسر القوالب التقليدية على عدم الالتزام بطرق التعبير المعتادة . وعبرت جماعة من الشعراء أمثال انجبورج باخمان (Ingeborg Bachmann) وجونتر آيخ (Gunter Eich) وفالتر هولرر (Walter Hollerer) وكارل كرولوف (Karl Krolow) وهاينز بيونتك (Heinz Piontek) عن فوضى العصر باستخدامهم قوالب تجريبية . وأبرز الشعراء ممن كانت لهم أهميتهم بعد عام ١٩٤٥ بول كيلان (Paul Kelan) ، ويدين شعره بالكثير للشاعر تراكل والحركة التعبيرية ،وعمل على وصف الواقع بأسلوب قصد به أن يكون مبهماً ومعقداً .

ويعتبر برتولد برخت(Bertolt Brecht) عملاق المسرح الأوروبي ، فهو شاعر وصاحب نظريات في المسرح ومنتج مسرحيات . وغريب ان ظلت معظم أعماله زهاء الثلاثين عاماً قبل أن تنال شهرتها العالمية . وأول مسرحياته الناجحة «قرع الطبول في الليل»(Trommeln In Der Nacht) التي مثلت عام ١٩٢٢ . أما أشعاره وأغانيه المنشورة تحت عنوان «كتب في الورع»(Hauspostille) عام ١٩٢٧ والاوبرا الانتقادية : «أوبرا الثلاثة بنسات»(Die Dreigroschenoper) عام ١٩٢٨ فيعود تاريخ كتابتها جمعياً الى عشرينات القرن الحالي ، حينما كان يطور نظريته حول «المسرح الملحمي» وحول نقده الاجتماعي الذي انتهى به الى الماركسية . واثناء حكم الرايخ الثالث عاش برخت في اسكندينافيا اولاً ثم في الولايات المتحدة ، وكتب في هذين البلدين ما أشتهر من أعماله «الأم الشجاعةوأولادها» (Mutter Couragé und ohre Kinder)عام ١٩٤١ و«حياة غاليليو» (Leben Des Galilei) عام ١٩٤٣ و«دائرة الطباشير القوقازية»(Der Kaukasische Kreidekreis) التي ظهرت على المسرح في برلين عام ١٩٥٤ . وكان كشاعر يتصف ببساطة الاسلوب وقوة الايحاء ويتميز ككاتب مسرحي بنفاذ البصيرة والفطنة اللاذعة ، الا انه كصاحب نظريات في المسرح كان يدعو الى المزج بين الموعظة والتسلية .

وحظي كتاب المسرح السياسي الألمان الذين تأثروا خطى برخت بالاهتمام في العالم أجمع : ومنهم رولف هوخهوث(Rolf Hochhuth) في مسرحية «المندوب» (Stellvertreter) عام ١٩٦٣ وهاينار كيبهارت (Heinar Kipphardt) في مسرحية «جول براند»(Joel Brand) عام ١٩٦٥ وكاتبان آخران على غاية من الشهرة هما بيتر فايس (Peter Weiss) وجونتر جراس (Gunter Grass) . وهنالك عمل جدلي كتبه فايس بعنوان «التحقيق»(Die Ermittlung) عام ١٩٦٥ حول محاكمة أوشفيتز (Auschwitz) التي جرت بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥ . وفي مسرحية «ماراساد» (Marat — Sade) عام ١٩٦٤ يصور فايس الصراع بين الفردية والاشتراكية ويصور في الوقت نفسه مستويات عديدة من الواقع . أعتنق فايس المبادىء السياسية كمفكر يساري ذي صبغة متطرفة . ومعظم أعضاء المجموعة التي دعت نفسها تلك الآونة

«بالعصبة ٤٧» ان لم نقل كلهم شاركوا فايس مبادئه . وضمت هذه العصبة كتاباً مشهورين أمثال جراس وهانس ماجنوس (Hans Magnus) واينزن بورجر (Enzen Berger) واينجه بورج باخمان (Ingeborg Bachmann) وهاينريش بول (Heinrich Boll) وألفريد آندرش (Alfred Andersch) . وتناول بول بالتحليل المشاكل النفسية لفترة ما بعد الحرب في مؤلفيه : «بيت بدون حراسة» (Haus Ohne Huter) عام ١٩٥٤ و«معتاد على الليل» (Und Sagte Kein Einziges Wort) ١٩٥٣ وانتقد الحياة البورجوازية في «صمت الدكتور موركه» (Doktor Murkes Gessammeltes Schweigen) عام ١٩٦٣ و«المهرج» (Ansichten Eines Clowns) ١٩٦٣ . ومنح عام ١٩٧٢ ، جائزة نوبل للآداب . وركزت مسرحيات جراس وأشعاره ورواياته وعلى الأخص «طبل الصفيح» (Die Blechtrommel) ١٩٥٩ الانتباه على المقومات التافهة والغريبة للحياة . ومن الكتاب الموهوبين كان هانس نوزاك (Hans Nossak) ورودولف هاجل ستانجه (Rudolf Hagelstange) وزيغفريد لينتز (Siegfried Lenz) وبيتر هاندكه (Peter Handke) ويوهان بوبروفسكي (Johannes Babrowski) . وانفرد كل منهم بتحليل بعض أوجه المجتمع المعاصر، بأسلوب للتعبير خاص به .

ooo

الفَصْل الخَامِس عَشَر

الأدب السويسري في القرن العشرين

يميل كثير من المؤلفين الذين كتبوا بالألمانية الى الاعتقاد بأن معـايير التقـاليد والتحرر ليس من المستحيل الجمع بينهما ،وهم بذلك يستنيرون من فكرة عدم الثقة بالمواقف وحيدة الطرف التي سادت سويسرا . ودعا بعض كتـاب الـرواية أمثـال

هـ . ا . مـوزر(H . A . Moser) وروبـرت فايزي(Robert Faesi) وهاينـريش فيدير ر(Heinrich Federer) ومعهم آخرون الى تأمل العالم بشكل عام . وفي مجال التـاريخ والآداب كانـت هنـالك حركة انسـانية عالمية تعمـل على الظهـور ، من شخصياتها كارل . ج . بوركهارت(Carl J . Burkhardt) وفريتز أرنست(Fritz Ernest) وشخصيات أخرى . وبالرغم من اصابـة كارل سبتلـر(Carl Spitteler) بعض الشهرة في بداية القرن لكتابته ملحمة «الربيع في اولمبيا»(Der Olympische

Fruhling) (١٩٠٠ ـ ١٩٠٦) ونيلـه جائـزة نوبـل عام ١٩١٩ فان روبـرت فالسر (Robert Walser) الذي كشف في رواياته عن مشاعر المسحوقين ، كما كشف عن التفكير غير المتناغم مع الواقع ، ومعه زميله آلبين زولينجر(Albin Zollinger) قد نالا تقديراً رفيعاً بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة . وكانت ملاهي كورت جوتـز (Curt Gotz)حادة الفكاهة ، غير ان المحاولات الرائعة في الشكل المسرحي جرت على يد ماكس فريش(Max Frisch) وفريدريش دورنمات(Friedrich Durrenmatt) وكان لأعمالهما التأثير البالغ على المسرح والتأليف الالمانيين . فمسرحيات فريش «غنّ الآن من جديد» (Nun Singen Sie Wielder) عام ١٩٤٦ وآنـدورا (Andorra) عام ١٩٦١ ، ومسرحيات دورنمات «الزيارة»(Besuch Der Alten Dame) عام ١٩٥٦

و«الفيزيائيون» (Physiker) عام ١٩٦٢ كانت جميعاً مسرحيات «أخلاقية» (Morality) حديثة . وقام دورنمات مثل زميليه آيخ (Eich) وباخمان بتجارب، على المسرحيات الاذاعية ليوجه نقده ضد عقم الحياة الحديثة متبعاً أسلوب فريش في روايته «ستيللر» (Stiller) عام ١٩٥٤ و«هوموفابر» (Homo Faber) عام ١٩٥٧ . أما قوته الابداعية وحسه الأصيل في الملهاة ورؤيته الغريبة لتفاهات الحياة فقد عكست ادراكا واعيا لعالم متفكك .

أدب سويسرا الفرنسية

من أهم الكتاب السويسريين الذين كتبوا بالفرنسية في القرن العشرين س . ف راموز (C . F . Ramuz) الذي كتب روايات تميزت بالخيال الجامح عن الحياة بين أصحاب الكروم ورعاة جبال الالب . وأظهر جونزاج دو رينولد (Gonzague De Reynold) الرابطة الداخلية بين أقسام سويسرا التي تتحدث الالمانية والفرنسية في القرن الثامن عشر ، وأتى على وصف بلاده كافة في كتابه «المدن والبلاد السويسرية» (Citês Et Pays Suisses) في الأعوام ١٩١٤ ـ ١٩٢٠ .

ونظراً لأن معظم نشاطات أدب القرن العشرين تحققت في كانتون جنيف (اقليم جنيف) كان لأدب سويسرا الفرنسية المعاصر مظهر العالمية وذلك لتمييز ما هو على وجه الخصوص ذو طابع سويسري كالنثر الذي كتبه هنري فالوسيون (Henry Valotion) والشعر الذي نظمه جيلبيرت ترولييه (Gilbert Trolliet) . كما نجد وجهة نظر أوروبية مميزة في مقالات دينيس دي روجمون (Denis De Rougemont) . أما راموز (Ramuz) وليون سافاري (Léon Savary) فقد استخدما في نثرهما مواضيع سويسرية الطابع .

الفصل السادس عشر

الأدب الهولندي في القرن العشرين

كان كتاب احياء الأدب في ثمانينات القرن الماضي في هولندا كتاباً فرديين بالأساس ، غير أنه برز في الجيل التالي اهتمام جديد بالمشاكل الفلسفية والاجتماعية ، وتميز شعر احدى الشاعرات الاشتراكيات ممن أحتل المركز الأول وتدعى (هنرييت رولان هولست فان دير شالك) (Henriette Roland Holst — Van Der Schalk) بالرغبة في تحقيق العدالة والمحبة . ونالت مسرحيات هيرمان هايرمانز (Herman Heijermans) الاشتراكية شهرة عالمية . وكتب شأن زميله اسرائيل كيريدو (Israel Querido) وصفا للحياة في أمستردام بروايات ذات أسلوب قصصي مركز . وكانت هنالك جماعة من الروائيين ممن يجمعون في مذهبهم الأدبي بين الواقعية والطبيعية ، يكتبون في هذه الفترة ، ومنهم مارسيليوس ايمانتس (Marcellus Emants) وب . أ . دوم (P . A . Daum) وأوغو ستادي ويت (Augusta De Wit) . ومن الكتاب الروائيين الكبار كان آرثور فان شندل (Arthur Van Schendel) احد اتباع الحركة الرومانتيكية الجديدة ، والكاتبة لويز ماري آن كوبيروس (Louise Marie Anne Couperus) .

ومن الشعراء المجلّين آدريان هولست (Adriaan Holst) وج . س . بلووم (J . C . Bloem) وب . ن فان آيك (P . N . Van Eyck) ، وهو شاعر فلسفي وكاتب مقالة . وبعد انتهاء الحرب العالمية مباشرة برز شاعران هما هندريك مارسمان (Hendrik Marsman) ، وكان ينادي بالشعر المرسل ، ويمثل المذهب الحيوي (Vitalist) ، وج . ج شلاور هوف (J . J . Slauerhoff) المتشائم الذي طاف العالم بحثاً عن شيء لا يمكن الحصول عليه ، وتأسست المجلة الأدبية فوروم (Forum) عام ١٩٣٢ بجهود مينو تيربراك (Menno Ter Braak) وادجار دوبيرون

(Edgar Du Perron) وهما زعيما حركة هدفت الى استبدال المظهر البراق السطحي بالأصالة ، وحذرا من الخطر الألماني قبل نشوب الحرب .

وأهم كتاب هولندا في منتصف القرن العشرين سيمون فيست دايك (Simon Vestdijk) الذي كان في الأصل مرتبطاً بهيئة تحرير مجلة فوروم . ومن الكتاب البارزين الآخرين فردينان بوردفايك (Ferdinand Bordewijk) وألبرت هيلمان (Albert Helman) واكثر الشعراء أصالة جيرت أخترבورغ (Gerrit Achterberg) الذي استشفت قصائده الحدود ما بين الحياة والموت .

وابان الحكم النازي كان على الأدب الحر اما ان يتوقف عن الانتاج ، واما ان ينشر خلسة . اما الجيل الجديد الذي برز بعد عام ١٩٤٥ فتبنى أسلوباً يجمع بين التجريبية واللاعقلانية مقترباً بذلك من اللامعقول ، ويمثله الشعراء ليو فرومان (Leo Vroman) وهانز لودآيزن (Hans Lodeizen) وروميو كامبرت (Remeo Campert) والشاعرة ايلين فارموند (Ellen Warmond) التي رفض تجربتها شعراء ستينات هذا القرن . وأظهر روائيو ما بعد الحرب تأثير الاحتلال النازي في مجالات مختلفة . فقد عالجت آنا بلامان (Anna Blaman) الوحدة من نظر وجودية ، بينما اهتم آدريان فان ديرفين (Adrian van der Veen) بالعلاقات الانسانية . وارتكزت الروايات والقصص القصيرة التي كتبها كل من ماريا ديرموت (Maria Dermout) وهـ . ج فريدريسي (H.J. Friedericy) في مضمونها على مذكرات لفترة من الحياة في القسم الهولندي من جزر الهند الشرقية ، كما كشفت اعمال سيمون كار ميجلت (Simon Carmiggelt) وآنتون كولهاس (Anton Koolhaas) عن فكاهة لاذعة . وظهر تأثير الوجودية في كتابات جماعة « الشباب الغاضب » وتتألف من فيلم فردريك هرمانز (Willem Frederik Hermans) وجيرار كورنيلس فان هيت ريف (Gerard Kornelis van het Reve) الذي عبر عن البوح الذاتي اليائس في اعماله التي ظهرت في الستينات .

الفَصْل السّابع عَشَر

الأدب البلجيكي في القرن العشرين

أدب الفلاندر

في بداية القرن العشرين جاهدت جماعة من الكتاب باعتمادها على الرومانتيكية الجديدة بغية الوصول الى نوع من الفن تكون مشاعر الفرد عبره ذات اهمية شاملة . ونادى زعيم هذه الجماعة اغوست فيرمايلين (August Vermeylen) في مقالاته وروايته الرمزية «اليهودي التائه» (Die Wandelende Jood) ١٩٠٦ بالعقلانية الممزوجة بالمثالية . ونشر عمانويل دوم بوم (Emmanuel de Bom) رواية نهاية القرن وتحت عنوان «حطام» (Wrakken) عام ـ!ـظ كما انتج الفريد هيجن شايت (Alfred Hegenscheidt) مسرحية نهجت نهج فاغنز (Wagner) تحت عنوان «ستار كاد» (Star Kadd) عام ١٨٩٨ . وشكلت الاشعار والكتابات التي كتبها كاريل فان دي فوايستاين (Karel van de Woestijne) سيرة ذاتية رمزية لشخص يحب اللذة ، عالي الثقافة ، ويعاني الانهاك من هذا العالم ، ويجهد وراء الانفصام الروحي . اما عمله الأدبي الذي هو اعتراف انفعالي بضعف الانسان فيمثل احد منجزات الرمزية الاوروبية . وقد جعل ستاين ستروفلز (Stijn Streuvels) من مناظر منطقة الفلاندر الغربية عالمه الصغير ، بينما تميز الروائي وكاتب المسرحية والمقالة هرمان تايرلنك (Herman Teirlinck) بعمله المصقول بالحسية والخيال والمفردات ذات الجرس الموسيقي .

وبلغت الحركة الطبيعية ذروتها بظهور القصص والمسرحيات الزاخرة بالطاقة التي كتبها سايرل بايسه (Cyriel Buysse) كما بلغت الرواية المحلية ذروتها في قصص بروجيه (Bruges) الخلابة لمؤلفها موريتس سابّه (Maurits Sabbe) ، وكذلك في المعالجة المفعمة بالحيوية للحياة في مدينة انتورب (Antwerp) للكاتب لود بايكل مانز (Lode Baekelmans) . وعدا فيرمايلين فإن الكاتب الذي يمثل اكبر طاقة

للتأثير الفكري في عصره هو القس سيريل فيرشايفه (Cyriel Verschaeve) لأن أشعاره ومسرحياته ومقالاته كانت تعبيرات انفعالية لنظرته الأوغوستينية [1] المركّزة .

وتقدمت الجمعية التي أسمت نفسها « البستان » (Boomgaard) ، والتي تضم اندريه دي ريدر (André de Ridder) وبول جوستاف فان هيكه (Paul Gustave van Hecke) بسمة فردية جديدة ، وجهدت ان تكون علمية ، ودافعت عن موقف يكون اكثر اهتماماً بالثقافة وحباً لها . وينتمي الى هذا الجيل الروائي اللطيف جان فان نايلن (Jan van Nijlen) .

ادب الفلاندر بعد الحرب العالمية الاولى

كان هنالك انتعاش جديد للقصة المحلية ذات التصوير الرائع . فالقصص التي الفها كل من فيلكس تيمرمانز (Felix Timmermans) مثل « » (Pallieter) عام ١٩١٦ وارنست كلايس (Ernest Claes) مثل « وايتي » (De witte) اشتهرت خارج اقليم الفلاندر ، ويستدل من اشعار اوغست فان كاوفيلرت (August van Cauwelaert) وكتابات فرانز دي بيكر (Franz de Backer) إن الجيل الذي ساهم في الحرب كان يؤكد على مسألة حياته اكثر من تأكيده على الأدب . الا ان اتجاهاً كُشف اول ما كُشف اثناء الاحتلال الالماني قد وجد له مخرجاً في الحركة التعبيرية الثورية . ونشرت مجلة أدبية بعنوان « الفضاء » (Ruimte) بيانها الرسمي الذي ينص : أن على الاخلاق ان تفضل الجماليات ، كما يجب ان يفضل الفن الجماعي الفن الفردي . وظهرت التعبيرية بأجلى مظاهرها في الشعر الغنائي والمسرح . ويقف شعر فايس موين (Wies Moens) ممثلا لهذا الاتجاه وأشهر شعراء الغناء اللامعين لهذه الحركة بول فان اوستاين (Paul van Ostaijen) الذي عبّر عن ايمانه بالانسانية في كتابه « الاشارة » (Hete Sienjeal) عام ١٩١٨ ، ولكنه سرعان ما انساق في مشكلات الدادائية ، وتبنى اسلوب الجرس الكلامي ، وكتب شعراً صافياً يرتكز على الكلمة والجرس بالاضافة الى نثره وشعره الغريبين . وكان خصمه

---

(١) نسبة الى القديس اوغسطين (٣٤٥ - ٤٣٠ م) .

اللدود هو أوربين فان دي فورده(Urbain Van De Voorde) الذي كتب «الشعر الخالد» التقليدي ونادى به . وهب شعراء احدى المجلات الأدبية وهي «النبع الصغير»('t Fonteintje) (١٩٢١ - ١٩٢٤) يعارضون التعبيرية ، ومن بينهم ريشارد مين(Richard Minne) وموريس رولان(Maurice Roelants) ، وينادون بحب الحياة بصيغ تقليدية . وأعطت التعبيرية المسرح حياة جديدة إذ أصبح المسرح الشعبي الفلاندري في عشرينات هذا القرن من المسارح الطليعية في أوروبا . وارتفع مستوى المسرحية على يد هرمان تايرلنك(Herman Teirlinck) عندما ظهرت مسرحية «رجل بلا جسم»(De Man Zonder Lijf) وأنتون فان دي فيلدة(Anton Van De Velde) في مسرحية «تايل»(Tijl) عام ١٩٢٥ .

وبحلول عام ١٩٣٠ بدأ مد الحركة التعبيرية بالانحسار واعطيت الرواية حقها اذ استبدلت الرواية المحلية بتلك التي تتناول التحليل النفسي ، وأول من قدمها رولانت(Roelants) في روايته «جيئة وذهاباً»(Komen En Gaan) ١٩٢٧ . واندفع جيرار فولشاب(Gerard Walschap) للكتابة بحماس حول مشاكل الانسان الاخلاقية والدينية والاجتماعية ، كما كتب لوده زيلينز(Lode Zielens) عن حياة الفقراء . وضمت الواقعية الجديدة مارسيل ماتياس(Marcel Matthijs) ونوربير ادجار فونتاين(Norbert Edgard Fonteyne) واندريه ديمتس(André Demedts) . ومنذ عام ١٩٣٠ أصبح الانسان محور الأدب وغدا الكتاب أمثال فيليب دي بيليسيين (Filip De Pillecijn) وموريس جيليامس(Maurice Gilliams). وهذا الأخير شاعر لا بأس به - اصحاب أسلوب رائع كما هم كتاب أدب نفسي . فالكاتب ذو الاسلوب اللاذع فيللم ايلشوت(Willem Elschot) ، والمتشكك ريمون برولز(Raymond Brulez) والانساني المتحرر من الوهم مارينكس جييسن(Marnix Gijsen) يعتبرون جميعاً بشكل من الاشكال مراقبين محايدين للضعف البشري .

ولم يقف التغيير عند حد القصة فقط ، وانما تعداها الى الشعر الذي بدأت شخصيته تأخذ شكلا آخر حوالي العام ١٠٣٠ . ووضع الشعراء الشخصانيون (أصحاب مذهب الشخصانية)(Personalistic) أصول النغمة الشعرية الجديدة ، وهم من جماعة (القوالب الشعرية) ، وينتمي اليها بيتر جيرت باكنكس(Pieter

(Geert Buckinx ورينيه فيربيك(René Verbeek) ، فقد كانوا مطلعين على أدب رامبو(Rimbaud) الفرنسي ، وعبروا عن حيويتهم ونشاطهم عبر صور شعرية من نوع جديد . كما كان هناك كتاب لهم شخصيتهم المستقلة أمثال الشاعر الديني آلب (Albe) وأسمه الحقيقي رينات أ . جوستنس(Renaat A . Joostens) ، والكاتب الحيوي برت ديكورت(Bert Decorte) و«الوثنيان النبيلان» كاريل يونكهير(Karel Jonckeere) وهيرويغ هينزن(Herwig Hensen) وجميعهم عادوا الى التراكيب التقليدية والشعر الموزون .

أدب الفلاندر بعد الحرب العالمية الثانية

كان الكتاب البارزون في الحرب العالمية الثانية ، وفي فترة ما بعد الحرب ، هم الروائيون ، وكان التلوين في المواضيع والاساليب الادبية ملفتاً للنظر في الرواية . فالروايات الكاثوليكية التي قدمها الكاتبان بول لوبو(Paul Lebeau) وغاستون دوبريبروز(Gaston Dubribreux) وأعمال الواقعي الساحر يوهان دين (Johan Daisne) وزميله هوبير لامبو(Huber Lampo) ، والواقعية الاشتراكية للكاتب لوي بول بون(Louis — Paul Boon) في رواية «الطريق الى الكنيسة»(De Kapellekensbaan) ١٩٥٣ ، ووجودية يان فال رافينز (Jan Walravens) ، وروايات هوجو كلاوز(Hugo Claus) التجريبية انما هي نماذج عما نقول ، وآخر ثلاثة من هؤلاء الكتاب ينتمون الى جماعة تحرير مجلة كانت تدعى «الانسان والزمن» (Tijd En Mens) التي اتصفت بما كانت، تتصف به فترة ما بعد الحرب من فوضى وثورة وتجريبية . وبدءاً من خمسينات هذا القرن كان للتجريبية تأثير بالغ على الانتاج الادبي . وانتقل الشعر نحو السريالية والتجربة اللغوية من جهة ، ويمثل ذلك هوجو كلاوس وآلبرت بونت ريدر(Albert Bontridder) ثم نحو الشعر «الحسي» من جهة ثانية وهو الذي يعطي الكلمة محور الاهمية ، ويمثل ذلك بول دوفري(Paul De Vree) ومجلته الطليعية (الطاولة المستديرة)(De Tafelronde) ، وكان الشعر ـ من جهة أخرى ـ يتطور نحو الارتباط والواقعية الجديدة ، وبمعنى آخر الشعر الذي يركز على مواضيع مأخوذة من الحياة والتجربة . وأدى الاتجاه التجريبي

في الرواية الذي بشر به دين (Daisne) وبون (Boon) الى نشوء أسلوب نثري جديد في الكتابة مبني في ترابطه إما على مبدأ التشتت والتداعي الذي يعتمد على تيار الوعي ، ومن كتابّه هوجورايس (Hugo Raes) وايفو ميكييلز (Ivo Michiels) ، أو انه يتألف من نصوص مركزة ذاتياً ، وتدور في معظمها حول عملية الكتابة ذاتها . ومن كتاب هذا الاسلوب ويلي روجمان (Willy Roggeman) ودانيل روبرختس (Daniel Robberechts) . وبكل الاحوال ، أثبت هذا الاسلوب الذي أنعشته الآراء والاساليب الأدبية الجديدة انه خصب الانتاج اذ ظهر في شعر جوس دي هايس (Jos De Haes) وبول سنويك (Paul Snoek) وكذلك روايات الانساني وارد رايسلنك (Ward Ruyslinck) الناقدة ، بله روايات جيف جي ريرتس (Jef Geeraerts) العنيفة التي استوحاها من المستعمرات ، ومن خبراته في الكونغو البلجيكي آنذاك .

وفي المسرحية هنالك ثلاثة تطورات يمكن ملاحظتها : أولها اخراج مسرحيات يوهان دين (Johan Daisne) وهرويج هنسن (Herwig Hensen) الأدبية ، وثانيها شعبية الانتاج الضخم للمسرحية التي كتبها جوزيف بون (Jozef Boon) ١٩٣٨ بعنوان «مسرحية الدم المقدس» (Het Heiligbloedspel) ، وثالثها النجاح الذي أصابته المسارح الطليعية الصغيرة والمسرحيات الجديدة التي كان بعضها تجريبياً ومن كتابها كلاوس (Claus) وباس ستركس (Pie Sterckx) وتون برولن (Tone Brulin)

أدب القسم الفرنسي من بلجيكا فترة ما بين الحربين العالميتين

في فترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ظهر جيل جديد من البلجيكيين الذين كتبوا بالفرنسية ، واذا ما أخذنا روايات أندريه بايون (André Baillon) ألفينا دقة ملاحظتها لشؤون الحياة الى جانب الشعور بالشفقة الذي نستشفه من الكتابة . وعالج جان توسول (Jean Tousseul) المعاناة الانسانية ، بينما كتب شارل بليسنيه (Charles Plisnier) روايات تحليلية مثل «الزيجات» (Marriages) ١٩٣٦ و«لاشيء للصدف» (Nothing To Chance) . ومن الروائيين

(Juin ومـود فرير (Maud Frere) ومــاري نيكولاي (Marie Nicolai) ، ونالت فرنسواز ماليه جوريس (Françoise Mallet — Joris) نجاحاً سريعاً على روايتيها في « المتاهــة » (Le Rempart des beguines) ١٩٥٣ و « الشــخصيات » (Les Peronnages) ١٩٦١ وتتحدث الأخـيرة عن فرنسـا في عهـد لويس الثالـث عشر بأسلوب مقتضب ، واتساع في الأفق .

أما الشعر فعاد في قصائده العروضية يتحدث عن مواضيع الحياة التي لا ينتهي النقاش حولها كالحب والولادة والموت ، كما يتحدث عن مواضيع آنية تتضمن تلك التي كانت تشغل أوروبا المعاصرة . وبرز من المسرحيين جورج سيون (Georges Sion) الذي ألّف في مجال الملهاة والمسرحيات الدينيةوالتاريخية ،وترجم عن شكسبير كما برز شارل بيرتن (Charles Bertin) في مسرحية « الخطّاب » (Prétandants) ١٩٤٧ ، وهي إعادة شرح مستحدث لقصة أوليس (Ulysses) ومثلت في الخارج بعنوان « حبّ في المتاهة » (Love in a Labyrinth) أما جان موجان (Jean Mogin) الـذي نجحــت مسرحياتــه في كل من باريس وبروكســل فقــد تقصى مواضيع « الوجود » و « اللاوجود » . وهناك ايضاً جوزيه اندريه لاكور (José — André Lacour) ورومان سانفيك (Romain Sanvic) (١٨٨٣ ـ ١٩٥٧) الـذي اقتبس مسرحيات انكليزية وامريكية لتعرض على مسارح بروكسل.

وكانت النشرات الأدبية التـي اعتبـرت اجهـزة لجمعيات الكتّـاب السياسية والأدبية ذات تأثيرعميق ،وعلى الأخص مجلة (صحيفة الشعراء) (Le Journal des Poètes) التي أسست عام ١٩٥٢ مؤتمراً نصف سنوي للشعراء والنقـاد ينعقـد في مدينة كنوك لو زوت (Knocke — le — Zoute) .

الأدب الفالوني في بلجيكا (Walloon)

استكشف الأدب الفالوني مسالك جديدة في القرن العشرين ، إذ قام جيش من العلماء بدراسات على اللهجات المحلية ، واتسعـت الامكانـات الأدبية لهـذه اللهجات نتيجة توحيد قواعد التهجئة وقواعد اللغة ، وكذلك نتيجـة المحـاولات التي قام بها اميل لومبرور (Emile Lempereur) وبعض الكتّاب الآخرين بهـدف

ايجاد مصادر جديدة للالهام . والى جانب عدد من الكتّاب المتمرسين أمثال كاتب النثر الموهوب جوزيف كولوزيت (Joseph Calozet) من مدينة نامـور (Namur) وكانت هنالك الأجيال الجديدة التي سعت الى تحقيق وحـدة متماسـكة بـين الفـكرة والأسلوب ، ويمكن الاشارة الى الاعلام التالية في قائمة الشعراء فرانز ديواند يلاير (Frans Dewandelaer) وروبــرت جراف (Robert Grafe) وويلي بال (Willy Bal) وهنري كوليت (Henri Collette) واميل جيّار (Emile Gilliard) وجان جيوم ومارسيل هيكتر (Marcel Hicter) وألبرت ماكيه (Albert Maquet) وجـورج سمال (Georges Smal) وجينــي دينفرنــو (Jenny D'Invérno) . ومــن الــذين نالــوا الاستحسان لبراعتهم في فن السرد أو في كتابة الرواية ليون ما هي (Léon Mahy) وديودونيه بوفري (Dieudonné Boverie) وليون ماريه (Léon Maret) وتتضمن قائمة كتاب المسرحية فرنسوا رولان (François Roland) وجول ايفـرارد (Jules Evrard) وجـورج شارل (Georges Charles) وشــارل هنــري دوراش (Charles - Henri Derache) وفرنســوا ماسيه (François Masset) وج . راتميس (J . Rathmés) . واستمـر عمـل كتّـاب اللهجــات بمساعــدة جمعية الأدب الفالونــي (Sociégé de Littérature Wallonne) وفروعها ومراكز النشر التابعة لها في مدن : لييج (Liège) ، نامــور (Namur) ، مونس (Mons) ، لا لوفيير (La Louvière) ، نيفيل (Nivelles) ، وبروكسل (Brussele) .

الفصل الثامن عشر

الأدب الاسكندنافي في القرن العشرين

النروج

تعرض الكتاب الكبار في النروج في تسعينات القرن الماضي الى حملة مركزة شنها عليهم الجيل الجديد . والبيان الرسمي الذي زخر بالأفكار الجديدة كان عبارة عن مقالة نشرت عام ١٨٩٠ في مجلة العصر الجديد (Samtiden) لكاتبها كنوت هامسون (Knut Hamsun) وطالبت المقالة التي حملت عنوان : « من الحياة اللاواعية للعقل » بشد الانتباه لما هو فردي وخاص اكثر من الانتباه الى ما هو نموذجي . وضاق هامسون ذرعاً بتأكيد عصره على المشاكل الاجتماعية ، وكانت رواياته الأولى امثلة على هذه الأفكار : « الجوع » (Sult) ١٨٩٠ ، « أسرار » (Mysterier) ١٨٩٢ و « بان » (Pan) ١٨٩٤ ، أما رواياته التي أتت فيما بعد مثل « نمو التربة » (Markens Grode) عام ١٩١٧ فكانت أقل تطرفاً الا أنها أظهرت تهكماً لاذعاً . ونال (هامسون) جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٠ .

وازدهر الشعر الغنائي في هذه الفترة على يد سيجبيورن أوبست فيلدر (Sigbjorn Obstfelder) الذي كان على صلة وثقى بالحركة الرمزية . وهنالك نيلز كوليت فوكت (Nils Collett Vogt) الذي أنتج أحسن أشعار الغنائيين في تسعينات القرن الماضي . وعلى صعيد المسرح عبر جونار هايبرغ (Gunnar Heiberg) عن الروح الجديدة للعصر في مسرحيات « الملك ميداس » (Kong Midas) ١٨٩٠ و « حديقة جرت » (Gert's Garden) ١٨٩٤ و « الشرفة » (Balkonen) ١٨٩٤ و « مأساة الحب » (Kjaerlighetens tragedie) ١٩٠٤ ، وكان يجمع بين الفكاهة الناقدة ورشاقة الشعر الغنائي . أما هانز كينك (Hans Kinck) فشاطر هامسون الاهتمام

اللامعين ماري جيفير(Marie Gevers) والكاتب كثير الرؤ ى فرانز هلينز(Franz Hellens) ، أما جورج سيمينون(Georges Simenon) فقد لون القصص البوليسية بعمق نفسي غير عادي .

وتميز شعر هذه الفترة بالتجريب المتزايد على الاسلوب ، وبظهور تطور للشعر الكلاسيكي الجديد ، الذي تميز بسلاسة رائعة . واستطاع هنري ميشو (Henri Michaux) الذي تأثر بالسريالية ان يحدث ثورة في اللغة الشعرية ، كما أوجد مارسيل تيري(Marcel Thiry) انسجاماً بين الشعرين التقليدي والمعاصر ، واذا ما أضفنا جيو نورج(Géo Norge) الى القائمة رأينا ان كل هؤلاء كانوا انصاراً للاستخدام التجريبي للكلمة . والشاعر بالنسبة لجماعة أخرى كان يرأسها اوديلون جان بيريه (Odilon — Jean Périer) ـ وهو شاعر أصيل يتميز بالوضوح ، وكان هدفه أن ينقل أحاسيسه بتداخل الحياة اليومية عن طريق رسالة مقدسة ـ يجب ان يحرر نفسه من الارتباطات الشخصية ويحقق وسطاً شفافاً يستطيع عبره أن يرى بوضوح ما تخفي الحياة وراءها من ارباكات وفوضى .

أما على صعيد المسرح فكتب فرديناند كروملينك(Fernand Crommelynck) هزليات عنيفة السخرية مزخرفة بالشعر ، واستطاع ميشيل دي جيلدير ود(Michel de Ghelderode) أن يدهش الجمهور بقصة حبه لرسم شخوص وأوضاع فيها مفارقات تاريخية ، وبشخصيات على المسرح لا تختلف عن الدمى ، وأخيراً أعطى هيرمان كلوسون(Herman Closson) الحوادث والشخصيات التاريخية مفهوماً جديداً .

التطورات الأدبية بعد الحرب العالمية الثانية

أصبحت الرواية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، أقل اقليمية من قبل ، وغالباً ما كانت تجري حوادثها في بلد أجنبي ، وعموماً وضعت الرواية الحركة في خدمة تحليل ردود فعل الشخصيات تحليلاً نفسياً في اوضاع شبه مصطنعة ، واهتم بقضية الانسان اهتماماً خاصاً كل من ألبرت آي جيسبارس (Albert Ayguesparse) وبيير دوموز (Pierre Demeuse) وهوبر جوين (Hubert

بالناحية اللاعقلية في سلوك الانسان . ويتصف كينك بالقوة ونفاذ البصيرة . وأثبت في كل من المسرحية الشعرية « سائق الماشية » (Driftekaren) ١٩٠٨ ، وروايته الطويلة « الانهيار الجليدي » (Sneskavlen brast) ١٩١٨ بأنه أعمق تحليلاً وتأملاً من هامسون .

وكانت المنجزات الحقيقية للأدب النرويجي في النصف الأول للقرن العشرين في الرواية والشعر الغنائي . فالمسرحية لم تكن بارزة ، هذا اذا استثنينا مسرحيات جونار هايبرغ (Gunnar Heiberg) ونوردال جريج (Nordhal Grieg) . وكانت النزعة الاقليمية في العقود الأولى من القرن العشرين عنصراً هاماً ، وخاصة في مجال الرواية ، اذ عمل الكتاب على تبني لغة تلونها اللهجات فارتبطوا بذلك بمنطقتهم . وكتب كرستوفر أوبدال (Kristofer Uppdal) عملاً رائعاً وهو من الاقليم وسط شمال منطقة (تروندیلاغ ((Trondelag) ، ويتألف عمله هذا من حلقات روائية تقع في عشرة أجزاء عنوانها « الرقص خلال عالم الوهم » (Dansen Gienom skuggeheimen) . وعالجت الرواية أيضاً الصراعات التي نشأت عن انتشار التصنيع ، الأمر الذي عانت منه النروج بعد الدول الأوروبية . وكان اكثر الكتّاب تحسساً بالبروليتارية اوسكار براتن (Oskar Braaten) ، غير ان يوهان فالكبرجت (Johan Falkberget) يفوقه كفنان ، واتصفت كتاباته بالتفهم والعمق التاريخي حيال مشاكل عمال المناجم في روروس (Roros) في كتابه كرستيانوس سكستوس (Christianus Sextus) (١٩٢٧ ـ ١٩٣٥) زيغريد أوندست(Zigrid Undest) ، التي نالت جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٨ فوضعت أحداث رواياتها في عصور مختلفة وانصب الاهتمام فيها على النظر في ولاء النساء ضمن اطار الدور الذي يلعبنه في المجتمع . وهنالك رواية تاريخية طويلة بعنوان « كريستين لافرانس داتر » (Kristin Lavransdatter) (١٩٢٠ ـ ١٩٢٢) وتعد من روائع الأدب النرويجي . وتأثرت روايات زيغريد التي كتبت في وقت متأخر تأثراً عميقاً بتحولها الديني الى مذهب الكاثوليكية الرومانية . ومن هذه الروايات « البستان المهجور » (Gymnadenia) ١٩٢٩ و « الشجرة المحترقة » (Den braendende busk) ١٩٣٢ . وكشف اولاف دون (Olav Duun) ، وهو الآخر من اقليم وسط

الشمال ، عن عمق بصيرته في الحياة ورأى فيها صراعاً لا نهاية له ، وذلك في حلقات روايات تقع في ستة أجزاء ، وتسرد قصة أسرة فلاحية على مدى أربعة أجيال وعنوانها « سكان يوفيك » (Juvik folke) ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥ .

وقبل الحرب العالمية الأولى ، كانت هنالك مجموعة من الشعراء الغنائيين المبرزين أمثال هرمان ويلدنفي (Herman Wildenvey) ، أولاف بول Olaf (Bull) تور أورياسايتر (Tore Orjasaeter) وأولاف آوكروست Olav (Aukrust) . وفي فترة ما بين الحربين العالميتين ، برز عدد من الكتّاب الملتزمين اجتماعياً منهم : الشاعر آرنولف أوفرلند (Arnulf Overland) والروائي والناقد سيغورد هوويل (Sigurd Hoel) وكاتبة المسرح والناقدة هيلجة كروج Helge (Krog) ونوردال جريج (Nordhal Grieg) . وبعد الحرب العالمية الثانية كتب تاربي فساس (Tarjei Vesaas) سلسلة رائعة من الروايات منها الرواية الرمزية « بيت في الظلام » (Huset i morkret) ١٩٤٥ و « الجسور » (Bruene) ١٩٦٦ . وقامت الكاتبة كوراساندل (Cora Sandel) بمساهمة رئيسية في الأدب في ثلاثيتها « آلبرت » (Alberte) ١٩٢٦ ـ ١٩٣٩ ، واستمرت في الكتابة ، كما فعل آكسل سانديموز (Aksel Sandemose) الذي كان كاتباً تجريبياً ، وكذلك يوهان بورجن (Johan Borgen) الذي اشتهر بقصصه القصيرة وبثلاثيته التي عنوانها: « ليليلورد » (Lillelord) ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ وبسيرته الذاتية (مملكة الطفولة) (Barndommens rike) ١٩٦٥ .

أدب السويد

كانت السنوات الأولى للقرن العشرين فترة انحطاط وتشاؤم في الأدب السويدي ويمثل هذا المزاج الأدبي هالمار زودربرج (Hjalmar Zoderberg) وبو برجمان(Bo Bergman) . ورائعة زودربرج هي القصة القصيرة «أقصوصة تاريخية» (Historietter) كتبها عام ١٨٩٨ وفيها مزج رائع للمهارة في التحليل النفسي من جهة ، والأسلوب التهكمي من جهة ثانية ، واذا ما أضفنا عدداً آخر من رواياته مثل «شباب مارتن بيرك»(Martin Birck Sungdom) عام ١٩٠١ ، و «الدكترر جلاس»

(Doktor Glas) وجدنا أن زودربرج سيد الكتابة النثرية في السويد . كما كتب برجمان قصصاً قصيرة لاتنسى، الا أن مجاله الحقيقي كان الشعر الغنائي ، وتطورت مقدرته في سلسلة من المجموعات ابتداء بـ «الدمى المتحركة»(Marionetterna) ١٩٠٣ وانتهاء بـ «المملكة»(Riket) ١٩٤٤ .

واقترن تطور الرواية بأسماء كتّاب أمثال غوستاف هيلستروم(Gustaf Hellström) ولودفيك نورد ستروم (Ludvig Nordström) وايلين فاجنر(Elin Wägner) وزيغفريد زيفرتز (Sigfrid Siwertz) . وكان لعمل هيلتسروم في الصحافة في أوروبا والولايات المتحدة وانكلترا أثر ملموس عليه . وظهرت في أعماله المشهورة عناصر منها السخرية والتفاصيل الدقيقة ، كما في أشهر رواياته «لوكهولم صانع التخريمات عنده فكرة»(Snormakare Lekholm far en ide) ١٩٢٧ . أما زيفرتز فيتميز بأسلوب أكثر رشاقة إذ بدأ كشاعر غنائي . وكان لفلسفة هنري برغسون أثر حاسم في شخصيته، وانعكس هذا الأثر في كتابه « العاطل » (En flanör) ١٩١٤ ، الا أن أرسخ أعماله قيمة هي روايته البطولية « سيلامب » (Selambs) عام ١٩٢٠ والمترجمة الى الانكليزية تحت عنوان « مع التيار » (Downstream) عام ١٩٢٢ ، وهي قصة عائلة تدور في ستوكهولم أثناء الحرب العالمية الأولى ، ونظراً لأن نورد ستروم يضج بالحيوية بفكاهة حادة رفيعة المستوى ، نرى ذلك محققاً في بعض أحسن أعماله « بوهيميا المدينة الصغيرة » (Landsorts - bohème) ١٩١١ ، وكذلك في قصصه القصيرة مثل « الصياد » (Fiskare) ١٩٠٧ . وهنالك الكاتبة ايلين فاجنر (Elin Wagner) التي نادت بالمساواة بين الرجل والمرأة وآمنت باللاّعنف وكانت جد متحمسة لهذين المبدأين ، ومن أكثر أعمالها اصالة رواية عن الفلاحين بعنوان « آزاهانا »(Asa — Hanna) ١٩١٨ . وكان بالمار برغمان (Hjalmar Bergman) أكثر الروائيين شهرة في عشرينات هذا القرن ، وقد كتب بخيال جامح وطاقة لا تهدأ سلسلة طويلة من القصص ، يدور قسم كبير منها في منطقة (فادكوبنج) (Wadköping) وبعضها الآخر في ايطاليا . وفي كتابه تاريخ لويفن (Loewenhistorier) عام ١٩١٣ يصف بطلاً مغموراً لا عقلانياً ومتهوراً وفاشلاً . ويصف في قصته « قضيبك وعصاتك »

(Farmor och var Herre) عام ١٩٣٧ احدى الشخصيات النسائية المشهورة من اللواتي أعجب بهن . وهناك رواية هجائية بعنوان « زهرة الاله » (Markurells i Wadköping) ١٩٢٤ ، ومسرحية بعنوان سويدن هيلمز (Swedenhielms) التي مثلت عام ١٩٢٥ ، وهي احدى المسرحيات الهزلية السويدية القليلة ، كما تعتبر - بالاضافة الى عمله السابق - أشهر أعماله .

وتطورت في هذه الأثناء الرواية التي تحكي قصص البروليتاريا على يد كتاب مهتمين ببؤس الطبقة العاملة ، ومن أهمهم مارتن كوخ (Martin Koch) وايفارلو جوهانسون (Ivar Lo — Johannson) وهناك بشكل خاص نقد جارح لأوضاع الطبقة العاملة يتمثل في قصص كتبها يان فريد جارد (Jan Fridegard) . وكتب فيلهلم موبرج (Vilhelm Moberg) روايات عن حياة الفلاحين ، غير أنه أحرز أعظم النجاح لكتابته ملحمة نثرية تتألف من أربعة فصول ، وتحكي قصة مجموعة من المهاجرين السويديين الى شمالي أمريكا ، وهي بعنوان « المهاجرون » (Utvandrana) (١٩٤٩ - ١٩٥٩) . وتطورت الرواية التي تحكي السيرة الذاتية على يد كتاب أمثال آيفيند جونسون (Eyvind Johnson) في سلسلة سميت « رومانن أوم أولوف (Romanen om Olof) (١٩٣٤ - ١٩٣٧) وهاري مارتنسون (Harry Martinson) في روايته « القراص المزهر » (Nasslorna Blomma) ١٩٣٥ و « المخرج » (Vagenut) ١٩٣٦ . وكتبت الكاتبة آجنس فون كروسنسيتيرنا (Agnes Von Krusenetjerna) وصفاً لمحيطها الأرستقراطي ، وأتت على تحليل النفسية المتحللة وذلك في دورياتها الروائية ، وثلاثيتها المساة « توني » (Tony) (١٩٢٢ - ١٩٢٦) . وبلسلة « فروكنارنا فون باهلن » (Fröknarna Von Pahlen) (١٩٣٠ - ١٩٣٥) . وكان هاري مارتنسون عضواً في جماعة تشكلت حوالي عام ١٩٣٠ من خمسة كتّاب يؤمنون بمبدأ الفطرانية (Primitivist) ثم ما لبث أن تحول الى واحد من أحسن شعراء العصر الغنائيين ، فالتصوير الحسي والشعور بوجود الطبيعة أمران يميزان أعماله . وقد حاول احياء الملحمة الشعرية في كتابه « آنيارا » (Aniara) ١٩٥٦ وهي قصة رمزية لرحلة مركبة فضائية .

وأشْهَرُ الكتّاب السويديين الذين أحرزوا شهـرة عالمية هو بار لاجركفيست (Pär Lagerkvist) الذي نال جائـزة نوبـل للآداب عام ١٩٥١ ، وكان في شبابـه مبتكراً جريئاً ، ثم عمل على تطوير أسلوبه الكتابي الذي ينتزع الاعجاب ، كما في روايته المجازية القزم (Dvärgen) (١٩٤٤)، وله كذلك مجموعـة شعـرية ينتمـي أسلوبها الى التعبيرية بعنوان « الألـم » (Angest) ١٩١٦ ، ومسرحيات تعبـيرية كتبها في وقت مبكر من حياته مثـل « سر السماء » (Himlens hemlighet) ١٩١٩ التي تعكس ما حدث في سنوات الحرب العالمية الأولى . أما لاجركفيست فكتب رواية عن سيرته الذاتية بالاضافة الى ما نظم من شعر عاطفي الا أن الموضوع الذي نراه في كل أعماله يتجلى في بحثه عن قيم دينية لها أهميتها ، وغالباً ما كان يتحدث عنها صراحة .

كان للعديد من أحسن الكتّاب السويديين يد في تطور الشعر الغنائي، ومن أبرزهم فيلهلم ايكيلوند (Vilhelm Ekelund) الذي كان في شبابه داعية للرمزية في السويد ، وأصبح فيما بعد كاتباً للأمثال والأقوال المأثورة ، وترك في هذا أثراً بليغاً على تطور النزعة العصرية في الأدب . ومن بين أكثر الشعراء شهرة دان اندرسون (Dan Andersson) وبيرغر زيورغ (Birger Sjöberg) الذي لحـن معظـم أغـانيه بنفسـه ، وهيلمار جولبـرغ (Hjalmar Gullberg) وفي أشعـار (جولبـرغ) نراه يحاول الموازنة ما بين الالتزام الديني ، والثقافة التقليدية ، وذلك بتوسل الفكاهة والنقد . وابتدع برتل مالمبورغ (Bertil Malmberg) أسلوباً للنزعة العصرية أكثر التصاقاً بفئة معينة من الناس ، وطور هذا الأسلـوب جماعـة من الشعـراء دعيت بـ (جيل أربعينات القرن العشرين) ، وكانت تضم ايريك لينـده جرن Erik) Lindegren) وكارل فينبرغ (Karl Vennberg) ، ونظـراً لتأثرهـم بالشاعـر الانـكليزي ت. س. اليوت من ناحية الأسلـوب ، عبـرت كتاباتهـم عن الألـم وضعف الايمان مقتربين بذلك من الوجودية الفرنسية . وتعتبـر قصـة لينـد جرن « رجل بلا طريق » (Mannen utan Väg) ١٩٦٩ نموذجاً لسعي هذا الجيل خلف ايجاد معنى لهذه الحياة . وأكثر الروائيين شهرة في أربعينات هذا القرن لارز آهلين (Lars Ahlin) الذي اهتم ببحث الانسان عن الفضيلة من خلال الحب والاذلال ، وذلك في أعماله التي منها « أموت كيف أشاء » (Min dödär min) ١٩٤٥ .

وأعظم شعراء القرن العشرين الغنائيين هو جونار ايكلوف Gunnar) Ekelöf) . وكانت مجموعته الشعرية الأولى « جئنا متأخرين على الأرض » Sent) pa Jorden) تعتبر تبشيراً بالسريالية في الأدب السويدي . ومرّ تطور ايكلوف فيما بعد في مراحل متعاقبة من الرومانتيكية والتشكيك الموجه ضد الشعر ، وعبر عن ذلك كله بثلاثية تمتزج فيها السيرة الذاتية مع الصوفية الشرقية ، وسمي أول هذه الثلاثية بـ «ديوان أمير ايمجيون» (Diwan över Fusten ov Emgion) ١٩٦٥ .

كانت ستينات هذا القرن فترة التزام اجتماعي وسياسي في الشعر والقصة على حد سواء . وجاء ذلك كرد فعل لأدب اربعينات وخمسينات هذا القرن الذي صب جل اهتمامه على القالب الفني والمعالجة الفردية للحياة . ومن المواضيع الشائعة آنذاك حرب فيتنام والهجمات الشرسة على نظام دولة الرفاهية في السويد وأستمرت المحاولات الفردية في الشعر الغنائي من قبل اوستن سيوستراند (Osten Sjostrand) وتوماس ترانشترومر (Thomas Transtromer) ، كما عبرت الكاتبة بريجيتا تروتزغ (Birgitta Trotzig) في رواياتها عن خبرة بالحياة مفعمة بالمرارة ، وتظهر فيها الكاثوليكية الرومانية في أقوى تعبير .

الأدب الفنلندي باللغة السويدية

شهدت عشرينات هذا القرن ازدهاراً آخر في الأدب السويدي الفنلندي نتيجة لتطور الحركة العصرية في الشعر التي بدأتها الكاتبة ايديت زودرجران Edith) Sodergran) التي نظمت أشعاراً خيالية ، هي أقرب الى الشعر الحالم . ومن بعدها أتى ايلمر ديكتونيوس (Elmer Diktonius) الذي تميزت أشعاره التي قصد ان تكون جزلة الايقاع بمسحة سياسية ثورية . وهنالك جونار بيورلنغ (Gunnar Bjorling) وأسلوبه الذي تميز بالجمل المتقطعة ، ورابي انكل (Rabbe Enckell) الذي نظم شعراً انطباعياً في وصف الطبيعة ، وهاجار أولسن (Hagar Olsson) الذي كتب روايات شعرية ، ومقالات تدعم الحركة العصرية . وما لبث الشعر ان غدا يتميز بالاوزان الحرة ، الأبيات غير المقفاة ، والصور التعبيرية العنيفة . وتبنى مثل هذا

الاسلوب جيل آخر من أصحاب الحركة المعاصرة ، ومن شخصياته سولفيج فون شولتز (Solbeig Von Schonltz) ، ورالف بارلند (Ralf Parland) ، ايفا ويكمان (Eva Wichman) وبوكاربلان (Bo Carpelan) . وخلال الستينات من القرن الحالي كانت هنالك ردة فعل ضد الحركة المعاصرة ، من أبرز مناهضيها مجلة دورية أدبية كانت تسمى «ف . ب . ت» (F . B . T) وجماعة كانت تلتف حولها ممن كانوا يمقتون تمسك دعاة العصرية بالقيم الجمالية ، والتفاتهم الى الفردية ، ووسعت هذه الجماعة من مجال النقاش الاجتماعي والنقدي . ومن أبرز شعرائها لارس هولدن (Lars Huldén) وكلايس اندرسون (Claes Andersson) .

ومن بين كتاب النثر في القرن العشرين تيتو كوليانـدر (Tito Colliander) وكوران ستينوس (Coran Stenius) اللذان عبرا عن وجهة نظر دينية . وظهرت المسرحية على يد فالنتين كوريل (Valentin Chorell) والرواية النفسية على يد أوسكار بارلاند (Oscar Parland) ، كما اشتهر توف جانسون (Tove Jansson) عالمياً على انه كاتب للأطفال . ومن بين الكتاب الاصغر سناً كريستر كيهلمان (Christer Kihlman) وآندرس كليف (Anders Cleve) ، وتتضمن قائمة النقاد والمؤرخين الادبيين يريوهرن (Yrjo Hirn) وجوران شيلدت (Goran Schildt) .

أدب الدانمارك

قامت في الدانمرك حوالي عام ١٨٧٠ حركة أدبية جديدة بزعامة جورج براندز (Georg Brandes) ، ونتج عنها أدب حديث (ينتمي الى أحدى الحركتين : الطبيعية أو الواقعية) . وأحدث كتابه المسمى «أهم التيارات في أدب القرن التاسع عشر» (Hovedstromninger I Det 19 De Aarhundredes Litteratur) ١٨٧٢ - ١٨٩٠ ضجة كبرى ، وفيه يصف نشوء الرجعية وهزيمتها . وكان له تأثير على الكاتب هنريك ابسن والكاتب أوغست سترندبرغ (August Strindberg) ، وكتب أعمالاً أدبية في النقد والبحث مفصحاً فيها عن أفكار وآراء راديكالية ، بينما نرى أن ما كتبه عن بعض العظماء أمثال شكسبير وجوته وفولتير ويوليوس قيصر وميكالنجو يكشف تأثره بفيلسوف ألمانيا نيتشه الذي طور لديه فلسفة لها صبغة الراديكالية

الارستقراطية . ومن اتباعه ينس بيتر جاكوبسون (Jens Peter Jacobsen) الذي كتب قصتين تعتبران نموذجاً للحركة الطبيعية الدانمركية ، وهما القصة القصيرة «موجنز» (Mogens) والرواية ماري جروبه (Fru Marie Grubbe) ، بينما تناولت روايته «نيلز ليهنه» (Niels Lyhne) ١٨٨٠ وبعض قصصه القصيرة بالبحث مسألة الأحلام ، ومقابلتها بالحقيقة الواقعة . وهنالك هولجر دراخمان (Holger Drachmann) أكبر الشعراء الغنائيين في تلك الفترة الذي قام فيما بعد بردة فعل ضد براندز ، ووقف شعره ونثره على مواضيع تتعلق بحياة البحر .

وعالج أعظم روائيي الدانمارك هنريك بونتوبيدان (Henrik Pontoppidan) في البداية موضوع الظلم الاجتماعي ، والمشاكل السياسية والاخلاقية والدينية التي عاصرها ، وذلك في قصصه القصيرة . كما كانت الدانمارك في أيامه موضوع أعظم أعماله التي تضم ثلاث روايات في حلقات وهي «أرض الميعاد» (Der Forjaettede Land) ١٨٩١ - ١٨٩٥ و«بيتر المحظوظ» (Lykke — Per) ١٨٩٨ - ١٩٠٤ و«مملكة الموتى» (De Dodes Rige) ١٩١٢ - ١٩١٦ وفيها يقوم بتحليلات دقيقة لشخصية الدانمارك قومياً . وهنالك روائي آخر هو «هرمان بانج» (Herman Bang) الذي أظهر اهتماماً بالاشخاص اللامنتمين الى هذه الحياة ، كما أهتم بالمغمورين من الناس ، وتظهر مهارة اسلوبه الذي هو انطباعي بالدرجة الاولى ، في أحسن رواياته «على جانب الطريق» (Ved Vejen) ١٨٨٦ و«تاين» (Tine) ١٨٨٩ و«البيت الابيض» (Det Hyvide Hus) ١٨٩٨ . ومن أتباع براندز كذلك كارل جيلروب (Karl Gjellerup) الذي عارضه فيما بعد ، ومن أحسن رواياته «الطاحونة» (Mollen) ١٨٩٦ التي تتصف بجمالها الشاعري الا ان المثالية الميتافيزيكية في قصصه المتأخرة تسببت عن تحول القراء عنها .

ومن الكتاب البارزين في نهاية القرن جوستاف فيد (Gustav Wied) الذي كتب مسرحيات هزلية عن آلهة الغابات والحيوانات (Satyr Plays) وقصصاً مشحونة بالسخرية المرة ، ومنها «حقد الحياة» (Livsens Ondskab) ١٨٩٩ و«كناج ستد» (Knagsted) ١٩٠٢ . ولا ننسى فيلهلم توبسو (Vilhelm Topsoe) ، وهو من الواقعيين المتحفظين . و«بيتر نانسن» (Peter Nansen) الذي كتب قصصاً تشابه ما

كتبه الفرنسي (غي دي موباسان) ، و«كارل ايفالد» (Carl Ewald) الذي اعتمدت قصصه عن الطبيعة على الفلسفة الداروينية ، و«كارل لارسن» (Karl Larsen) الذي صور باسلوبه جو مدينة كوبنهاجن وسكانها بدقة متناهية ، كما أن هنالك العديد من كتاب المسرحية ومنهم ادوارد براندز (Edward Brandes) ، وأوتو بينزون (Otto Benzon) وجوستاف ايسمان (Gustav Esmann) وسفين لانج (Sven Lange) وآينار كريستيانسن (Einar Christiansen) وهنري ناتانسن (Henri Nathansen) .

وحدثت في تسعينات القرن الماضي حركة ابداعية جديدة تناولت الشعر مؤكدة على قيمة العاطفة والخيال . وتزعم هؤلاء الشعراء الرمزيين يوهانس يورجنسن (Johannes Jorgensen) الذي أرتد الى الكاثوليكية الرومانية بدءاً من عام ١٨٩٦ وحظيت أعماله النثرية بشهرة واسعة ، ومنها «قصص رمزية ذات فقرى اخلاقي» (Lignelser) ١٨٩٨ ، ومجموعة كتب عن الاسفار ، وعن حياة القديسين ، وعن سيرته الذاتية . ومن شعراء هذه الفترة فيجو ستوكنبرغ (Viggo Stuckenberg) الذي كتب معبراً عن استسلامية حزينة ، وسوفوس كلاوسن (Sophus Claussen) الذي تفصح قصائده الغامضة عن المشاهر الحسية وحب الطبيعة المتمثل في وحدة الوجود وتظهر الجمالية الرفيعة . ثم هيلجه رود (Helge Rode) ، وهي كاتبة متصوفة كتبت مسرحيات ونقداً هاجمت فيه العقلانية ، ولودفيج هولشتاين (Ludvig Holstein) الذي كان أقرب الى العرف الكلاسيكي للشعر الابداعي .

وفي نهاية القرن الماضي ساهمت نساء عديدات في الحركات الادبية ، ومنهن جيريث ليمكه (Gyrithe Lemche) التي كتبت حلقات روائية بعنوان «ادواردز جاف» (Edwardsgave) وآجنس هيننجسن (Agnes Henningsen) وهي كاتبة لامعة أبدت اهتماماً بتجربة المرأة المتحررة ، وكارين ميكائيليس (Karin Michaëlis) التي كتبت في التحليل النفسي واشتهرت بروايتها «العصر الخطر» (Den Farlige Alder) ١٩١٠ .

وأعظم كاتبين روائيين في مستهل القرن العشرين كانا مارتن أندرسن نيكسو (Martin Andersen Nexo) ويوهانس فيلهم بينسن (Johannes Vilhelm Jensen) . أما أعمال نيكسو (Nexo) فجاءت بوصف حياة الفقراء في ملحمتيه «بيله الفاتح»

(Pelle Erobreren) ١٩٠٦ ـ ١٩١٠ و «دتــه ابنــة الانســان» (Ditte Menneskebarn) ، في ثلاث مجلدات ١٩١٧ ـ ١٩٢١ وتعتبر هذه القصص أعظم الملاحم عن حياة البروليتاريا ، كما تعتبر مذكراته من أجود ما كتب في اللغة . أما جنسن الذي كان بدوره شاعراً غنائياً أصيلاً وكاتب مقالة غزير الانتاج فكتب قصة تقع في ستة أجزاء بعنوان «الرحلة الطويلة» (Den Large Rejse) ، وهي ملحمـة انسانية طموحة وتمتد حوادثها من عصر القردة حتى فترة اكتشاف أمريكا . واشتهر كذلك بمؤلفه «قصص من هيمرلند» (Himmerl ands Historier) التي كتبهـا اعتماداً على ذكرياتـه عن منطقـة جوتلانـد (Jutland) الشمالية ، وقصتـه «سقـوط الملك» (Kongens Fald) ١٩٠٠ ـ ١٩٠١ وأجزاء تسعة من «الاساطير» (Myter) . وتضم قائمة من الروائين لهذه الفترة جاكوب كنودسن (Jakob Knudsen) الـذي انصـب اهتمامه على المشاكل الاخلاقية والمسيحية آخذا بعين الاعتبار اللامسـاواة الانسـانية والحاجة الى السلطة ، و (هارالد كيده) (Harald Kidde) ، وهو كاتـب انطوائـي يتسم اسلوبه بالحزن ، وكنود هيورتو (Knud Hjorto) ، وهو كاتب لامع أجاد في الروايات النفسية .

وهنالك ثلاثة شعراء لهم أهميتهـم ، وخلفيتهـم الخاصة من منطقة جوتلند (Jutland) ، وهـم ييبه آكيار (Jeppe Aekjaer) الذي يذكر بالشاعـر الاسكتلنـدي روبرت بورنز (Robert Burns) من ناحية الشهرة ، ويوهان سكيولد برغ (Johan Skjoldborg) وتوغر لارسن (Thoger Larsen) . كما أتت روايات ماري بريغندال (Marie Bregendahl) وهاري زويبرغ (Harry Zoberg) بأحداث وأمكنة من منطقة جوتلند . ومن بين الروائيين البارزين ي . آنكر لارسن (J . Anker Larsen) واوتو رونغ (Otto Rung) ويوهانس بوكهولتز (Johannes Buchholtz) وتيت يانسن (Thit Jensen) وآستريد أهرنكرون كده (Astrid Ehrencron — Kidde) .

ومن أهم الشعراء توم كريستنسون (Tom Kristensen) الذي كتب روايات لا تقل جمالاً عن شعره ، ومنها «زخرف الحياة» (Livets Arabesk) ١٩٢١ و«الخراب» (Haervaerk) ١٩٣٠ و«أوتـو جلشتـت» (Otto Gelsted) و«اميل بونليكه» (Emil Bonnelycke) و«هانـز هارتـويج سيدورف» (Hans Hartvig Seedorff) و«هارالـد برجستـت» (Harald Bergstedt) و«كاي فريس موللـر» (Kai Friis Moller) و«بيير

لانج» (Per Lange) . ومن بين الروائيين الذين تجدر الاشارة اليهم بعد الحرب العالمية الاولى ياكوب بالودان (Jacob Paludan) الذي كتب بعض الروايات الجيدة ، منها «طيور حول المصباح» (Fugle Omkring Fyret) ١٩٢٥ ويورجن شتاين (Jorgen Stein) ١٩٣٢ - ١٩٣٣ التي ترجمت الى الانكليزية عام ١٩٦٦ . وكذلك هانز كيرك (Hans Kirk) الذي كتب «صيادو السمك» (Fiskerne) ١٩٢٨ ، وهي تمثل الواقعية الاجتماعية بأجلى صورها . أما هيرالد هيردال (Harald Herdal) تلميذ نيكسو (Nexo) فقد فضح النفاق الاجتماعي في رواياته التي تحكي قصص الطبقة الكادحة . ونجد في مواضيع يورجن نيلسن (Jorgen Nielsen) الكراهية المكبوتة والذنب والخوف لدى فلاحي جوتلند . وتحدث هـ . س . برانر (H . C . Branner) ، وهو كاتب روائي مسرحي وقصة قصيرة له أهميته، عن الشعور بالوحدة بين الناس ، وخطر استعمال القوة . وهناك مؤلف آخر ينتمي الى هذه المجموعة ، هو كنود زوندربي (Knud Sonderby) صاغ أفكاره باسلوب ذكي وتفهم عميق . وأشتهر نيس بترسون (Nis Petersen) ، وهو شاعر وروائي بروايتيه «شارع صناع الصنادل» (Sandalmagernes Gade) ١٩٣١ و«الحليب المسفوح» (Spildt Maelk) ١٩٣٤ . وهنالك كارن بليكسن (Karen Blixen) وأسمه الحقيقي ايزاك دينسن (Isak Dinesen) وهو كاتب ارستقراطي يتميز بتهكم لاذع ، وحساسية فائقة ، وقد كتب بالانكليزية قصصاً مثل «سبع قصص قوطية» (Seven Gothic Tales) ١٩٣٤ ، «خارج افريقيا» (Out Of Africa) ١٩٣٧ ، و«حكايا الشتاء» (Winter's Tales) ١٩٤٢ و«آخر الحكايات» (Last Tales) ١٩٥٧ . وهنالك روايتان مشهورتان لكتاب من جماعة فايروايز (Faeroese) ، وهما «باربارا» (Barbara) ١٩٣٩ التي ترجمت الى الانكليزية عام ١٩٤٨ لمؤلفها يورغن فرانتز ياكوبسون (Jorgen — Frantz Jacobsen) ، و«الموسيقيون التائهون» (De Fortabte Spillemaend) ١٩٥٠ . وهي رائعة وليام هاينسن (William Heinesen) . ومن بين الروائيين المرموقين في ثلاثينات القرن العشرين «موجنز كليجارد» (Mogens Klitgaard) الذي كتب أول رواية له عن الموظفين الكادحين ، ويأتي أيضاً هانز شيرفج (Hans Scherfig) وهو كاتب فكه ومشهور بهجائه الاجتماعي ، ومارتن الفرد هانسن (Martin Alfred Hansen) ، وقد كتب روايات نفسية ، من أحسنها

«الكاذب» (Logneren) ١٩٥٠ وكنوث بيكر (Knuth Becker) وآجي دونز (Aege Dons) وليك فيشر (Leck Fischer) . وأخيراً بيتر فرويشن (Peter Freuchen) الذي جاءت معظم رواياته عن خبراته ومغامراته في المنطقة القطبية .

وتأثر جيل كتاب المسرح الدانماركي لفترة ما بعد الحرب العالمية الاولى بالتعبيرية الالمانية والرمزية ، كما تأثروا بـ لويجي بيرانديللو (Luigi Pirandello) وسيجموند فرويد (Sigmund Freud) ، ومن هؤلاء زفن كلاوزن (Sven Clausen) وزفند بوربرج (Svend Borberg) . وأظهر كاي مونك (Kaj Munk) امكانات رائعة في أحسن مسرحياته ، كما عمل على احياء مسرح البطولة لكل من شكسبير وشيلر ، ومن مسرحياته «المثالي» (En Idealist) ١٩٢٨ التي ترجمت الى الانكليزية عام ١٩٥٣ تحت عنوان و«هيرود الملك») و «الكلمة» (Ordet) ١٩٣٢ وكلها تهتم بمشاكل الانسان والاله . ويعتبر عمل كييلد آبيل (Kjeld Abell) نقطة انفصام عن المسرحية الطبيعية ، كما أن وجهة نظره الراديكالية تختفي تحت حواره الذكي الفكه . وأكثر مسرحياته أهمية «اللحن التائه» (Melodien Der Blevvack) ١٩٣٥ و «آنا صوفي هيدويج» (Anna Sophie Hedvig) ١٩٣٩ و «أيام على متن غيمة» (Dage Pâ En Sky) ١٩٤٧ و «الصرخة» (Skriget) . ويأتي س . ي . سويا (C . E . Soya) ثالث كتاب المسرح المرموقين في هذه الفترة ، وهو الى جانب ذلك روائي وكاتب قصة قصيرة رائعة ، وأثبتت بعض تجاربه المسرحية الجريئة نجاحاً منقطع النظير .

ووجد العديد من شعراء ما بعد الحرب في «أجزاء من مذكرات» (Fragmenter Af En Dagbog) ١٩٤٨ للكاتب بول لاكور (Paul La Cour) بياناً جمالياً ، وقد تأثر لاكور بالشعر الفرنسي المعاصر . ثم يأتي ينس أوغوست شاد (Jens August Schade) وهو فطراني مثقف ، كان له بدوره تأثير هام ، كما كان للشعراء الذين وافتهم المنية في سن مبكرة الأثر نفسه أمثال جوستاف مونش بيترسون (Gustaf Munch — Petersen) ومورتن نيلسن (Morten Nielsen) . وبعد التحرير عام ١٩٤٥ كان هناك احياء للشعر ، وأصبحت مجلة «هيريتيكا» (Heretica) الوجودية اللسان الناطق لجماعة من الكتاب الشباب الذين رأوا في الفيلسوف المسيحي (فيلهلم جرونبج) (Vilhelm Gronbech) جدهم الروحي . وهنالك اثنان

من الشعراء الفطاحل من خارج حلقة مجلة (هيريتيكا) ، أولهما هالفدان راسموسن (Halfdan Rasmussen) الذي قرض بدوره شعراً لا معقولاً رائعاً ، وثانيهما اريك كنودسن (Erik Knudsen) وهو الى جانب كونه شاعراً كاتب مسرحي لامع ، لاذع اللسان . وقام كلاهما بدراسة المشاكل المعاصرة ، ووقفا ضد اللاعقلانية واللافكرية المتمثلة في حركة (هيريتيكا) ، وكان توف ديتلفسن (Tov Ditlevsen) شاعراً هاماً آخر وروائياً وكاتب قصة قصيرة غير ملتزم . ورغم أن آلبرت دام (Albert Dam) كان ينتمي الى جيل سابق ، فقد نشر أحسن أعماله النثرية في خمسينات القرن العشرين وستيناته . ومن بين الكتاب الشباب العصريين لحقبة خمسينات وستينات القرن العشرين يأتي كلاوس ريف بييرج (Klaus Rifbjerg) الاكثر شهرة كشاعر وكروائي ومن كتاب النثر الآخرين والمشهورين للحقبة نفسها : هانز لينجبي يبسن (Hans Lyngby Jepsen) وليف باندورو (Leif Panduro) وبول اوروم (Paul Orum) وويلي زورنسون (Villy Sorensen) وسيسيل بودكر (Cecil Bodker) وبيتر زيبرج (Peter Seeberg) وايريك آلبايك ينسن (Erik Aalbaek Jensen) وتوركيلت هانسن (Thorkild Hansen) وأولا ريوم (Ulla Ryum) وزفن هولم (Sven Holm) وتاج سكوهانسن (Tage Skou — Hansen) وبيتر رونيلت (Peter Ronild) وزفن آج مادسن (Svend Age Madsen) وبير هويولت (Per Hojholt) وكريستيان كامبمان (Christian Kampmann) وآندرز بودلسن (Anders Bodelsen) وهانز يورجن نيلسن (Hans Jorgen Nielsen) وفاجن لوندبي (Vagn Lundbye) وهنريك ستانجيروب (Henrik Stangerup) .

كما ازدهر الشعر بدوره في خمسينات وستينات القرن العشرين ، وأهم الشعراء الذين تجدر الاشارة اليهم : فرانك يايجر (Frank Jaeger) وتوركيلت بيورنفيج (Thokild Bjornvig) وأوله زارويج (Ole Sarvig) وأوله فيول (Ole Wivel) ويورجن جوستافا براند (Jorgen Gustava Brandt) وأوفه آبيلد جارد (Ove Abildgaard) وروبرت كوريدون (Robert Corydon) وايفان مالينوفسكي (Ivan Malinoski) وليزه زورنسن (Lise Sorensen) ويورغن زونه (Jorgen Sonne) وبيني آندرسون (Benny Andersen) وبول بوروم (Poul Borum) واينجر كريستنسن (Inger Christensen) .

وأحسن من كتب للمسرح في خمسينات وستينات القرن العشرين : ارنست برون أولسن (Ernest Bruun Olsen) وفين ميتلنج (Finn Methling) وايريك كنودسن (Erik Knudsen) وليف باندورو (Leif Panduro) وكلاوس ريف بييرج (Klaus Rifbjerg) .

أدب آيسلندا

حتى أواخر سبعينات القرن الماضي لم يكن هناك من تطور في كتابة النثر في آيسلندا بالمعنى الصحيح للكلمة وبدأت بتلك الفترة جماعة من الشباب عملها الادبي متأثرة بأفكار الناقد الدانمركي جورج براندز، ولسوء الحظ لم يكن تمثلهم لافكار براندز منهجياً صحيحاً ، الأمر الذي أدى الى أعمال أدبية اتصفت بالانطوائية وتكبيت الذات ، ويعتقد كتاب هذه الاعمال الادبية بأنهم كتبوها بوحي من الواقع . وجاءت أعمال الكاتب آينار كواران (Einar Kvaran) على هذا النسق ، لكن اتضح فيما بعد انه روائي ماهر متمكن .

وأظهر عدد من كتاب هذه الفترة ملاحظة دقيقة للشخصية الانسانية ، كما أبدوا فهماً للمشاعر الانسانية ، ولشظف الحياة في ريف ايسلندا ، ومن هؤلاء الكتاب : يون تراوستي (Jon Trausti) واسمه الحقيقي جودموندور فاجنوسون (Gudmundur Magnusson) الذي نظم عقد رواية في حلقات وتقع في أربعة أجزاء ، اطلق عليها اسم «كوخ على الجبل» (Heidarbŷlid) ١٩٠٨ ـ ١٩١١ . وجونار جونارسون (Gunnar Gunnarsson) الذي كتب «كنيسة على الجبل» (Kirken Pâ Bjerget) ١٩٢٣ ـ ١٩٢٨ وقد كتبها بالدانمركية ، وجودموندور هاجالين (Gudmundur Hagalin) .

وأبرز كتاب النثر المحدثين هالدور لاكسنس (Halldór Laxness) الذي نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٥ . وتبدو أعماله الادبية الجيدة التي لم يكتبها الا بعد سنين عديدة من التنقل والغربة بأنها متأثرة بارتداده الى الكاثوليكية الرومانية ، واطلاعه على الافكار الشيوعية . وأهم أعماله «سالكا فالكا» (Salka Valka) ١٩٣٦

و«الشعب المستقل» (Sjâlfstaet Fôlt) ۱۹۳٥ و«جرس آيسلندا»(Islandsklukkan) ۱۹٤۳ و«جيربلا»(Gerpla) ، وعمل لاكسنس على اعادة استخدام اللغة القومية كواسطة حساسة للسرد القصصي .

وتميز الكاتب توربرغور توردارسون(Thôrbergur Thôrdarson) بالاستقلالية والتركيز على الذات والفردية والنقد اللاذع ، وقد كتب مقالات منها «رسائل الى لارو»(Bsêf Til Lâru)عام ۱۹۲٤ ورواية قصيرة من نوع السير الذاتية بعنوان «البالغ الحكمة»(Ofvitinn) ۱۹٤۱ . ظذ!ظ . ومن الروائيين الآخرين آولافور يوهان زيغوردسون(Olafur Jóhann Sigurdsson) الذي كتب مؤلفه الاول «ظلال المزرعة» (Skuggarnir âf Baenum) ۱۹۳٦ ، ونال منذ البداية قبولاً حسناً . وهناك أيضاً آجار توردارسون (Agnar Thôrdarson) الذي قام بمحاولة بالغة التأثير حينما كتب قصته «الديك يصيح مرتين»(Haninn Galar Tvisvar) ۱۹٤۹ . وفي فترة الستينات ظهر كاتب ضليع جديد في منطقة (سفافا ياكوبزدولتر(Svava Jakobsdóltir) أظهر في روايته «النزيل»(Leigjandinn) عام ۱۹٦۹ بأنه من ذوي الاسلوب الرصين ، وبأنه كاتب ذو بصيرة نافذة في الجانب الاكثر حلكة من النفس الانسانية .

وفي الشعر برز بمطلع القرن العشرين شعراء غنائيون مثل تورستاين ايرلنغسون (Thorsteinn Erlingsson) الذي تحولت رقته الشعرية فيما بعد الى نغمة أقوى في العمل الشعري المسمى «صوت العصور»(Aldaslagur) ۱۹۱۱ ، وكذلك في ملحمة لم تكتمل هي «آيدورين»(Eidurinn) أو «القسم» . ونجد لدى آنيار بنيديكتسون(Einar Benediktsson) أسلوباً مزخرفاً يجنح أحياناً الى الفخامة كما في «في محراب ربات الشعر»(Idisarhöll) ومن الشعراء الغنائيين أيضاً ستيفان ج ستيفانسون(Stephan G . Stephansson) وهو مزارع منفي عن موطنه الى كندا . وكان شاعراً أكثر مرارة تأثر بالواقعية التي اعتبرت في ايسلنده بانها من بنات افكار جورج براندز غير أن مؤلفه «الليالي المؤرقة»(Andvökur) ۱۹۰۹ - ۱۹۳۸ تكشف روحاً حساسة وسيطرة كاملة على الكلمة .

ومن أبرز شعراء آيسلندا : ديفيد ستيفانسون (David Stefansson) وهو شاعر تقليدي تتميز أعماله بالبساطة والاحساس ، وذلك في : «ليس هناك كنيسة»

(Kirkja Fyrirfinnst Engin) ، وفي «الموت الاسود» (Svarti Daudi) . وشاطره في تبني هذا المنهج توماس جود موندسون (Tomas Gudmundsson) ويون هليجاسون (Jon Helgason) الذي ألف كتاباً ممتازاً بعنوان «من الجنوب» (Ur Landsudri) ١٩٣٩ . أما الكاتب ستاين ستاينار (Steinn Steinarr) وأسمه الحقيقي آدالستاين كريستموندسون (Adalsteinn Kristmundsson) فمجدد بعض الشيء ، استخدم أساليب الشعر المرسل في كتابه «اللهيب يشتعل أحمر» (Raudur Loginn Brann) ١٩٣٤ ، وكان تأثره عميقاً بالسريالية ، وأنعكست نظرته العدمية في ديوانه «رحلة بدون أمل» (Ferd ân Fyrirheits) عام ١٩٤٢ . وكان لدى أورن آرنارسون (Orn Arnarson) واسمه الحقيقي ماجنوس ستيفانسون (Magnùs Stefànsson) فكاهة نادرة تجلت في كتابه «قصيدة أودي القوى» (Rimur Af Oddi Sterka) ١٩٣٨ . ويتمتع سيجوردور ايفارسون (Sigurdur Ivarsson) بالميزة نفسها، وقد ألف كتابين أصبحا في عداد الاعمال الكلاسيكية ، وهما «نحن نبتسم» (Vjer Brosum) عام ١٩٢٩ و«الاعمال تتكلم» (Verkin Tala) ١٩٣٠ . وقام شاعران شابان بنشر أعمالهما الادبية في الستينات ، وهما هانز بترسون (Hannes Pétursson) وآينار براجي (Einar Bragi) ، فأظهرت حساسية بالغة ، ومهارة في تكييف اللغة الايسلندية مع الاوزان الاوربية الجديدة .

وجدياً بدأت المسرحية في آيسلندا بالتطور على يد (يوهان سيجور يونسن) (Johann Sigurjônsson) الذي فاز بأول نجاحاته في مسرحية «آيفيند ساكن التلال» (Fjalla — Eyvindur) ١٩١١ ، وأتبعها بمسرحية «لوفتور الساحر» — (Gardra Loftur) ١٩١٥ ، واعتمدت كلتاهما على قصص شعبية أصيلة . ولاقت مسرحية «هادا بادا» (Hadda Padda) ١٩١٤ لمؤلفها جودموندور كامبان (Gudmundur Kamban) استحسان جورج براندز ، وظل على أهميته الادبية في المسرح الاسكندينافي في طيلة الخمس والعشرين سنة التي تلت، ولا نجد بعد (كامبان) الا قليلاً من المسرحيات الجيدة ، رغم وجود بعض المسرحيات ذات الشأن لأدباء مثل ديفيد ستيفانسون (David Stefànsson) في مسرحيته : «البوابة الذهبية» (Gullna Hlidid) ١٩٤١ وياكوب يونسون (Jakob Jônson) في «تيركيا جودا» — (Tyrkja

(Gudda التي نشرت عام ١٩٤٨ وآجنار توردارسون(Agnar Thórdarson) في ملهاته الانتقادية عن الحياة العصرية في ريكيافيك(Reykjavik) وهي بعنوان «الطاقة الذرية وشعبية النساء»(Kjarnorka Og Kvenhylli) ١٩٥٧ . وفي مسرحية «ساعة الكوكو» (Ganksklukkan) ١٩٦٢ . وقام هذا الأخير بصياغة مسرحية رصينة حول أثر الحياة العصرية في تجريد الانسانية من مضمونها .

الفَصْل التَّاسِعَ عَشَر

الأدب الروسي والسوفيتي في القرن العشرين

سيطـرت على الأدب السوفييتـي في السنـوات الأولى من القــرن العشرين محاولات الكتاب والسياسيين التوصل الى تفاهم مع الأيديولوجية الجديدة . ولاقى الكتّاب الأوائل الذين ترعرعوا على التقاليد الأدبية الدارجة في القرن التاسع عشر معارضة الكتّاب الذين نذروا أنفسهم لدعم الأفكار السياسية الاجتماعية الجـديدة قبل ثورة ١٩١٧ وبعدها . وبعـد تأسيس الحـزب الشيوعـي ظهـرت حركة أدبية يسارية الاتجاه يدعمها الحزب هدفت الى تحقيق انتاج ادبي يعمل على دعم الأفكار الشيوعية. وفي الوقت نفسه تزايد القلق حيال حرية التعبير، وبقي هذان الأمران المتضاربان في ظاهرهما مواضيع رئيسية للنقاش ، وعلى أساسهما كان الكاتـب في الاتحاد السوفياتي إما أن يعطي الموافقة الرسمية على أعماله الأدبية أو لا يعطاها .

أوائل القرن العشرين في روسيا :

«الرمزية» : تزعم فلاديمير سولوفيوف(Vladimir Solovyov) في روسيا حركة احياء التـراث الشعـري المنبثـق عن الحركة الرمزية للقرن التاسع عشر . وعبر شعره عن معتقده بأن العالم ليس سوى مجموعة من الرموز تعبر عن حقائق ميتافيزيكية . أما الشاعران فاليري بريوسف(Valery Bryusov) وكونستانتين بالمونت (Konstantin Balmont) فكانا أكثر موهبة ، ويقف الكسندر بلوك (Aleksandr Blok) كأعظم شعراء هذه الحركة وقد دمج في كتابه « الاثنا عشر » (Dvenadtsat) ١٩١٨ مسألتي الثورة والاله بشكل رُئوي تكتنفـه الروعة والغموض ، وفيه يصبح اثنا عشر رجلاً من الجيش الأحمر رسـلاً للعالـم الجديد يتقدمهم السيد المسيح . ومن بين الشعراء الرمزيون الآخرون فيا شيسلاف ايفانـوفيتش ايفانـوف (Vyacheslav Ivanovich Ivanov) وفيودور سولوغـوب (Fyodor Sologub) وأندريه بيلي (Andrey Bely) ، وقد عمل كل من هؤلاء على

تكييف مجال معرفته طبقاً لمفهومه للواقع. فقد صرح ايفانوف الذي كان عالماً يونانياً بوجود شبه تام بين شخصية السيد المسيح وديونيسيوس (Dionysus) إله الخمرة اليوناني . أما بيلي فيلسوف الحركة البارز فتغلغلت افكاره الفلسفية في روايات تُذكّر بغوغول ودويستوفسكي .

الحركة « المستقبلية » في روسيا (Futurism) : في عام ١٩١٠ عمل الأديب الروسي فيكتور كليبنكوف (Viktor Klebnikov) على تأسيس حركة أدبية شعرية من أكثر الحركات ثورية . وصدر بيان يعلن تأسيس حركة (المستقبلية) ممهوراً بتوقيع الأديب فلاديمير ماياكوفسكي (Vladimir Mayakovsky) الذي كان متوقعاً أن يصبح شاعر البلاط آنذاك . وظهر هذا البيان تحت عنوان « صفعة في وجه الذوق العام » (Poshchochina obchertvennomu vkusu) . وهدف اتباع هذه الحركة الى أن ينبهوا الناس باتباع أسلوب الصدمات. وانتظم ماياكوفسكي في البداية تحت راية النظام السوفيتي . وتظهر قصصه الانتقادية التي كتبها في فترة متأخرة خيبة أمله في البيروقراطية السوفيتية ، ومنها « الفسفس » (Klop) عام ١٩٢٩ و « الحمّام » (Banya) عام ١٩٣٠ . ويعزي انتحاره عام ١٩٣٠ الى هذه الخيبة السياسية . وبدأ بوريس باسترناك (Boris Pasternak) كسابقه واحداً من شعراء الحركة المستقبلية . وبحلول عام ١٩١٧ نشر معظم أشعاره في ديوان اسماه « أختي : حياتي » (Sestra moya zhizn) عام ١٩٢٢ .

أدب ما بعد الثورة

كانت الثورة حافزاً لتجارب لامعة ، وسرعان ما برزت الجماعات الأدبية المتنازعة بصورة خاصة حول رفض التراث الأدبي للقرن التاسع عشر لصالح ثقافة برولیتارية ، وشيئاً فشيئاً تحول الأدب أسلوباً وموضوعاً الى قصص عن الحرب الأهلية تتصف بالواقعية والعنف . مثال اسحاق بابل (Isaac Babel) في حكايات عن القوازق بعنوان : « الفرسان الحمر » (Konarmiya) عام ١٩٢٦ والكسندر فادييف (Aleksandr Fadeyev) في قصته « التسع عشرة » (Razgrom) عام ١٩٢٧ ، وكلاهما ساهم في التأكيد على الواقعية .

ومن بين الكتّاب الذين اهتموا بقضية الصراع بين القديم والحديث ، أولئك الذين أطلق عليهم تروتسكي لقب : «رفاق طريق الثورة» نجد كونستانتين فيدين (Konstantin Fedin) وليونيد ليونوف (Leonid Leonov) ويوري أوليشا (Yury Olesha) والناقد فالنتين كاتاييف (Valentin Katayev) .

أدب خطة السنوات الخمس والواقعية الاشتراكية

احتدم الصراع بين « رفاق طريق الثورة » الذين نادوا بتقرير خلاق للمصير، وبين كتّاب الجناح اليساري الذين كانوا يجادلون في سبيل أدب بروليتاري يخدم الحزب الشيوعي ، حتى بلغ درجة من المرارة استدعت رفض اللجنة المركزية الاعتراف بأي من هاتين الجماعتين . وفي بدء العمل بخطة السنوات الخمس عمد الحزب، الى الأخذ بيد « الرابطة الروسية للكتّاب، البروليتاريين » أو ما يطلق عليه اختصاراً اسم ر.ا.ب.ب (R.A.P.P) وجماعات أخرى تنتمي الى الجناح اليساري مشجعاً بذلك المواضيع التي تتحدث عن البناء والجماعية . وقامت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بحل « الرابطة الروسية للكتاب البروليتاريين » عام ١٩٣٢ ، وكان هنالك اقتراح بضم سائر الجماعات الأدبية في اتحاد واحد . ولهذا تأسس اتحاد وطني للكتّاب الروس عام ١٩٣٤ ، واقتُرِح مبدأ جديد من « الواقعية الاشتراكية» لتوجيه الجهود الخلّاقة . وكان متوقعاً من الأدب أن يبرز الواقع في مراحل تطوره الثوري ، مما يعني عملياً وجوب الاشادة بأهداف الحزب العقائدية . وكان هناك نوع من التسامح خلال فترة الانتعاش الاقتصادي هذه وهياج «الجبهة الشعبية» . واستغل هذا التسامح أقدر كتّاب روسيا ، مثل ميخائيل شولوخوف (Mikhail Sholokhov) وليونوف (Leonov) . ونجد شخصية (ميلخوف) وهو بطل قصة شولوخوف «الدون الهادىء» وتتمتها «الدون يجري الى البحر» (Tikhy Don) ١٩٢٨ - ١٩٤٠ ، نجد هذه الشخصية تبقى شخصية القوقازي الأبيض المأساوية . ولا يختلف الأمر بالنسبة لنيكولاي اوستروفسكي (Nikolay Ostrovsky) في مسألة خلق شخصية «الرجل السوفيتي الجديد» كما في قصته «والفولاذ سقيناه» (Kak Zakalyalas stal) ١٩٣٢ - ١٩٣٤ ، وحذا حذوه أكثر الكتّاب . وطالب

الحزب بابطال قصص ايجابيين ومواضيع يسودها التفاؤ ل من شأنها أن تضع الجهود البطولية في قالب رومانتيكي بهدف تكريس الشيوعية . وعمد نقاد الأدب الى تقليد بعضهم بعضاً لاصرارهم على مفهوم الحزب «للواقعية الاشتراكية» . وعملت حملات التطهير الستالينية على تصفية بعض الكتّاب ، أما القسم الآخر ، ومنهم الكاتبة آنا آخماتوفا(Anna Akhmatova) ، وهي شاعرة من الدرجة الأولى ، وتتمتع بمقدرة شعرية رائعة ، أما بوريس باسترناك(Pasternak) أكثر شعراء الاتحاد السوفياتي شهرة ، فلزم الصمت المطبق .

أدب الحرب ١٩٤٣ - ١٩٤٥

ساهم عديد وافر من الكتّاب خلال الحرب العالمية الثانية في الشعور المتحمس للدفاع عن الوطن ، وأوكلت اليهم مهمة تغطية أخبار الحرب كمراسلين في الجبهة . وفي هذه الفترة خفت رقابة الحزب ، وشعر الكتّاب بحرية التعبير والتركيز على مشاعر أثارتها مأساة الحرب ، وأكثر الروايات شهرة « عائلة تاراس » (Nepokorennye Semya Tarasa) ١٩٤٣ لمؤلفها بوريس جورباتوف Boris (Gorbatov) و « أيام وليال » (Dni i nochi) ١٩٤٣ - ١٩٤٤ لمؤلفها كونستانتين سيمونوف (Konstantin Simonov) و «الحرس الفتي» (Molodaya gvardiya) ١٩٤٦ لمؤلفها فادييف (Fadeyev) ، وهي قصة تروي النشاطات السرية لجماعة الشيوعيين الشباب ، أبان الاحتلال الألماني . وأفضل مسرحيات هذه الفترة هي «الغزو»(Nashestvige) ١٩٤٢ و «ليونوشكا»(Lyonushka) ١٩٤٣ لمؤلفها ليونوف (Leonov) وأكثرها شهرة ما كانت تفضح بشكل مثير نقاط ضعف الجيش الأحمر ، كما في «الجبهة»(Front) ١٩٤٢ لمؤلفها د . الكسندر كورنيشوك(Aleksandr Korneychuk) والروس (Russkiye lyudi) ١٩٤٢ لسيمونوف . وكان الشعر أصدق من عبر عن الحرب . وأحسن الأشعار الغنائية ما كتبها باسترناك ، وأولغا برجولتز (Olga Bergolts) ومارجاريتا آليجر (Margarita Aliger) وسيمولوف . وأحسن ما قرض من المقطوعات الشعرية الطويلة ما نظمها آلكسندر تفاردوفسكي (Aleksandr Tvardovsky) ونيكولاي تيخونوف (Nikolay Tikhonov) وفيرا اينبر (Vera Inber) .

الجدانوفية ، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٣ (Zhdanovism) : بدأ الأمل يتلاشى في امكانية تمديد الحزب الشيوعي مدة الحرية المبدعة التي ولدتها فترة الحرب ، إذ أصدرت اللجنة المركزية للحزب سنة ١٩٤٦ مرسوماً ينص بأن على الفن بكل أشكاله أن يستوحي الأوضاع السياسية ويفهم على ضوئها . وظاهر أن هذا المرسوم كان من عمل آندريه جدانوف (Andrey Zhdanov) خليفة ستالين المنتظر والمفوض الثقافي غير الرسمي . ومن بين كل الكتّاب افردت أعمال كل من آخما توفا (Akhmatova) وميخائيل زوشتشنكو (Zoshchenko) لتهاجم هجوماً وحشياً . ومع أن فكرة الواقعية الاشتراكية لم ترفض أصبح المعتقد الأساسي في الأدب يمثل روح الحزب . وأطلق اصطلاح « الجدانوفية » (Zhdanovshchina) على هذه السياسة وما تمخض عنها من كتابات عقيمة . واتخذ بعض الكتاب من مواضيع الحرب ملاذهم ، وكونت هذه المواضيع مادة لعديد من الروايات أهمها « قصة رجل حقيقي » (Povest o nastoyashchem cheloveke) ١٩٤٦ لـ : بوريس بوليفوي (Boris Polevoy) و « العاصفة » لِـ : ايليا اهرنبورغ (Ilya Erenburg) و « في سبيل عظمة السوفييت » (Zvlast Sovetov) ١٩٤٩ ، لِـ : فالنتين كاتاييف (Valentin Katayev) و «شجرة البتولا البيضاء» (Belaya beryoza) ١٩٤٧ لمؤلفها ميخائيل بوبنوف (Mikhail Bubennov) . وجاءت بعض الروايات تلبية لرغبة الدولة في أن ينصرف الأدب للبحث في اعادة البناء بشكل سلمي ، ومن هذه الروايات « السعادة » (Schastye) ١٩٤٧ لـ بيوتر بافلنكو (Pyotr Pavlenko) و « فارس النجمة الذهبية » (Kavaler Zolotoy zvezdy) ١٩٤٧ لـ سيميون بابايفسكي (Semyon Babayevsky) ، أما ثلاثية الكاتب فيدين (Fedin) فهي أحسن ما كتب من روايات فترة ما بعد الحرب وهي « الأفراح المبكرة » (Pervye radosti) ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦) و « صيف غير عادي » (Neobyknov ennoye leto) ١٩٤٨ و « المشعل » (Kostyor) ١٩٦٢ .

أدب ما بعد ستالين

في أعقاب موت ستالين عام ١٩٥٣ ازدادت المواضيع التي انتقدت الركود الأدبي ازدياداً واسعاً سواء من ناحية كميتها أو الصراحة التي اتصفت بها . وكان

الكتّاب متأهبين لحمل لواء المعارضة ، وجـاءت مسرحية ليونيد زورين Leonid) (Zorin « الضيوف » (Gosti) ١٩٥٤ دحضاً لادعاء أن التركيب الطبقي زال الى الأبد . وهاجم كل من الشاعرين برجولتز (Bergolts) واينبـر (Inber) المدرسـة الشعرية المسماة « المجرفة البخارية» (Steam shovel) ، كما قام باسترناك عام ١٩٥٤ بتقديم أول شعر أصيل له منذ فترة الحرب ، وهو عبارة عن عشر قصائـد أدخلها فيما بعد في روايته « دكتور جيفاكو » (Doctor Zhivago) ١٩٥٧ . وأعطى اهرنبرغ اسماً للمعارضة وللانشقاق وتركيزاً عليه في مسرحيتـه « ذوبـان الجليد» (Ottepel) ١٩٥٤ ، التـي سلطـت الأضـواء على مأسـاة الفنـان في ظل حكم ستالين . وفي المؤتمر الثاني للكتّاب الذي عقد في نفس العام وُجّه توبيخ رسمـي للكتـاب والنقـاد المسيئـين . وكان ما قام به الـرئيس نيكيتـا خروشـوف Nikita) (Khrushchev من كشف لجرائم ستالين عام ١٩٥٦ أن أيقظ المعارضة ضد الرقابة على الأدب ، وأتت أحسن الأعمال الأدبية التي ظهرت عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ تدين الستالينية والنفاق في الحياة السوفيتية . ونتج عن العمل المضاد الذي قام به الاتحاد السوفيتي ضد الثورة الهنغارية عام ١٩٥٦ أن جعل هذه الأعمال الأدبية تبدو وكأنها جزء من هجوم منظم على السلطة . وتبعاً لذلك ، طلب الاداريون في اتحاد الكتّاب من الأدباء أن يعترفوا علناً بخطئهم ويعلنوا تراجعهم . وأثار نشر رواية « دكتور جيفاكو » لِـ (باسترناك) في أوروبا الغربية عام ١٩٥٧ موجة أخرى من الاستنكار غير أن الكتّاب استمروا في مطالبتهم بحرية أوسـع . ولاقـت جماعـة « الشبـاب الغاضب » ومـن بينهـم الشاعـر ايفجينـي يوفتشنـكو(Yevgeny Yevtushenko) معارضة شديدة من جانب « المحافظين » الذين رموا بثقل ضغوطهم على عديد من الزعماء في اجتماع لهيئة اتحاد الكتـاب عام ١٩٦٣ وحملوهـم على شجـب مواقفهـم والتراجع عنها . وحينما ترك خروتشوف السلطة عام ١٩٦٤ صرحت هيئة الحزب بأنها تصر على التطابق بين الأدب ومعتقدات الحزب رغم وجـود شيء من الحـرية المسموح بها في الشكل والمحتوى الأدبيين . وعلى ضوء هذه المنطلقـات قام الجيل الجديد المتحرر ببذل الجهود من أجل تعبير فردي مغاير « للواقعية الاشتراكية » .

ومـن أعظـم كتـاب النثـر موهبـة : الكسنـدر سولجنيتسـن Aleksander) Solzhenitsyn) وفيكتور نيكراسوف (Viktor Nekrasov) ويوري كازاكوف Yury)

(Kazakov وفاسيلي آكسيونوف (Vasily Aksyonov) ويوري ناجيبين (Yury Nagibin) وفلاديمير تندرياكوف (Vladimir Tendryakov) . أما سولجنيتسن فأطبقت شهرته الآفاق لاعطائه وصفاً حياً ومدعوماً بالحقائق عن معسكرات الاعتقال في فترة حكم ستالين، وهذا ما نجده في روايته « يوماً من حياة ايفان دنيسوفيتش » (One Day in the Life of Ivan Denisovitch) ١٩٦٢ . وفي أعمال أخرى مثل « الدائرة الأولى » (The First Circle) ١٩٦٨ و « جناح السرطان » (Cancer Ward) ١٩٦٨ نجد أن سولجنيتسن وطد نفسه كاتباً متمكناً وموهوباً ، وانتهت به هذه الأعمال الأدبية الى نيل جائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٠ . لكن لم يسمح له باستلام الجائزة ، كما لم يسمح بنشر العمل الأدبي الذي كتبه بعنوان « آب ١٩١٤ » (August 1914) ، والذي يعتبره سولجنيتسن أعظم ما أنتج ، انما نشرت هذه الرواية في البلاد الغربية في أوائل السبعينات بالانكليزية والروسية معاً ، فقد تم نشرها في باريس عام ١٩٧١ وترجمت الى الانكليزية عام ١٩٧٢ ، على أنها أولى حلقات سلسلة من الروايات التي تدور احداثها حول الحرب العالمية الأولى . ونشر آكسيونوف (Aksyonov) عام ١٩٦٠ أول قصصه « الزملاء » (Kollegi) ، وتميز عمله بالمقدرة على الكتابة البليغة بالعامية الروسية ، وبما فيه من طاقات غير عادية في الوصف الأدبي . واشتهر من بين العديد من الشعراء الجيدين آندريه فوزنيسنسكي (Andrey Voznesensky) ويوفتشنكو (Yevtushenko) . اذ نظم أولهما شعراً تجريبياً ثابت الجودة والمستوى الرفيع . وقد اعطى التركيز الرائع على التجارب اللفظية مظهرا خادعاً يوحي بالفكاهة التي تعتمد البراعة اللفظية أساساً لها . وكان اهتمام هذا الشاعر منصباً على مشاكل المجتمع الحديث . اما يوفتشنكو فكان شاعراً اكثر شذوذاً ، وأقل موهبة ، الا أن شعره كشعر فوزينسنكي اهتم بالمشاكل الشخصية والاجتماعية . وبعد عام ١٩٦٠ كان دائم التنقل من بلد الى آخر ، وربما أكثر الشعراء شهرة في روسيا الحديثة . ومن بين الشعراء الموهوبين الأقل شهرة ، يمكننا ذكر ايفجيني فينوكوروف (Yevgeny Vinokurov) وبيلا آخمادولينا (Bella Akhmadulina) . الا أن الدرجة التي سمح بها للكتاب بالانشقاق وعدم الامتثال تأرجحت بعد أن سجن كاتبان ثانويان هما اندريه سينيافسكي (Andrey Sinyavsky) ويولي دانييل

(Yuly Daniel) (عام ١٩٦٦) بسبب نشرهما ـ في الخارج ـ مؤلفات تنتقد الاتحاد السوفياتي .

ان التناوب في حلول فترات تتصف بالتسامح الجزئي في الرقابة تتبعها فترة انضباط عقائدية شديدة القسوة ، كان صفة ملازمة للحياة الأدبية في روسيا ، وتشير كل الدلائل إلى استمرار الوضع في المستقبل على هذه الصورة .

أدب أوكرانيا : (Ukrainian)

إن أفضل المنجزات الأدبية لأوكرانيا منذ بدء القرن العشرين حتى ثورة ١٩١٧ نجدها في شعر ايفان فرانكو (Ivan Franko) ليزيا أوكرانيكا (Lesya Ukrainka) ، وكذلك في الاعمال النثرية لـ ميخائيل كوتسيوبنسكي (Mikhail Kotsyubinsky) وفاسيلي ستيفانيك (Vasily Stefanyk) وأولغا كوبي ليانسكايا (Olga Kobylyanskaya) وماركو شيرمشينا (Marko Cheremshina) وليس مارتوفيتش (Les Martovich) وأوسيب ماكوفي (Osip Makovey) وستيبان فاسيلشنكو (Stepan Vasilchenko) . وأعطت الثورة معايير أدبية جديدة : فمن شعراء الواقعية الاشتراكية نجد بافلوتيشينا (Pavlo Tychina) وفلاديمير سوسيورا (Vladimir Sosyura) وميكولا باجان (Mikola Bezhan) ومكسيم ريلسكي (Maxim Rylsky) . وفي أواخر عشرينات هذا القرن انشئت مدرسة للرواية الاجتماعية ، من مؤسسيها أندريه جولوفكو (Andrey Golovko) وبيوتر بانش (Pyotr Panch) ويوري يانوفسكي (Yury Yanovsky) كما نشأت مدرسة أخرى للفكاهة الأدبية الاوكرانية من خلال روايات أوزتاب فيشنيا (Ostap Vishnya) ، وكانت المأساة (التراجيديا) التي كتبها ميكولا كوليش (Mikola Kulish) بعنوان «٩٧» '97' عام ١٩٢٤ ومسرحيات أخرى مواضيعها تاريخية أو معاصرة لمؤلفها الكسندر كورنيشول (Aleksandr Korniychuk) تستقطب جمهوراً واسعاً من المشاهدين . وفي أوكرانيا الغربية التي كانت يومئذ قسماً من بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، كان الأدب الثوري بدوره يتطور هناك ، ومن كتابه ستيبان تودور (Stepan Tudor) وبوتر كوزلانيوك (Pyotr Kozlanyuk) والكسندر كافريليوك (Aleksandr Gavrilyuk) ويارسلاف جالان (Yaroslav Galan) .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية دخلت الأدب مواضيع جديدة تصلح للكتابة ، منها الوطني والانساني ، والشاجبة للحرب . وأوجد السكندر جونشار (Aleksandr Gonchar) صورة ملحمية واسعة للحياة القومية في كتابه «حملة الاعلام» (Znamenostsy) عام ١٩٤٧ . كما أصاب الكسندر دوفجنكو (Aleksandr Dovshenko) نجاحاً حينما عمل رساماً ومنتجاً سينمائياً ومسرحياً وروائياً ووكيلاً للدعاية والاعلان . وأوجد ميخائيل ستيلماخ (Mikhail Stelmakh) هو الآخر صورة ملحمية واسعة للحياة القومية ، كما فعل ميخائيل شولوخوف (Mikhail Sholokhov) ، وذلك في ثلاثية كتبها بعنوان «العائلة الكبرى» (Velikaya Semya) . وظهر جيل جديد من الشعراء وكتاب النثر والمسرحيين تركزت معظم مواضيعهم حول الأحداث المعاصرة .

أدب ليتوانيا (Lithuanian)

في عام ١٩١٨ نال شعب ليتونيا الاستقلال وركز الكتاب على تطوير الثقافة القومية، وشيئا فشيئا تحقق نوع من الثقافة في الأدب .

ويعتبر البعض الروائي وكاتب المسرحية ف . كريفه ميكيفيشيسوس (V . Kréve — Mickievicius) أعظم كتاب ليتوانيا ، كما حقق ج بالترو شايتس (J . Baltrusaitis) الشهرة كشاعر غنائي . ومن الأسماء البارزة الأخرى : ف . ميكو لايتس بيوتيناس (V . Mykolaytis — Putinas) الذي يعتبر رائد الرواية الحديثة في ليتوانيا ، وب سرووغا (B . Sruoga) وك . بينكيس (K . Binkis) وكلاهما شاعر وكاتب مسرحية ، وج سافيكيس (J . Savickis) الروائي وكاتب القصة القصيرة ، والشاعر ف . كيرشا (F . Kirsa) وكاتب المسرح ب . فاي شيوناس (P . Vaisiùnas) وأ . سينيوس (I . Seinius) الروائي وكاتب القصة القصيرة ، وس . شيورلي اونيين (S . Ciurlioniene) الروائي وكاتب المسرح ، وب . برازجيونيس (B . Brazdzionis) وهو شاعر تزعم جيل الشباب .

وحينما احتل الاتحاد السوفيتي ليتوانيا ، كان على الكتاب أن يسيروا في الخط الشيوعي . أما اولئك الذين كانوا يعيشون في العالم الحر ، وعددهم (مئة) فقاموا

بمحاولة لدفع تطور الأدب القومي الى الأمام . ونجح استخدام أساليب جديدة للتعبير الأدبي في الشعر الفلسفي للشاعر (أ . نيكا نيليوناس) — (A . Nyka Niliùnas) في أناشيد ج . ميكاس (J . Mekas) الرعوية ، وفي روايات م . كاتيليشكيس (M . Katiliskis) . وفي ليتوانيا تراث شعبي غني ، وأكثر أنواع الكتابة الأدبية استحساناً فيها هما القصة القصيرة والشعر الغنائي .

أدب لاتفيا (Latvian)

أعطت ثورة عام ١٩٠٥ الشعب في لاتفيا خبرة عاطفية بالغة الأهمية ، ففي ذلك العام حاولت لاتفيا الخلاص من الوصاية الاستعمارية الروسية منها والالمانية . وسيطر الشعر الغنائي في تلك الآونة . ونجد أن العالم الاخلاقي للشعر الشعبي ولد من جديد في نظم الشاعر الكبير كارليس سكالبه (Kàrlis Skalbe) وقصصه الخرافية . وظهر جيل جديد من الكتاب بحصول لاتفيا على استقلالها عام ١٩١٨ . أما الكاتب ج . أكيورا تورز (J . Akuraters) فنجح في رسم نفسه أو أبطال رومانتيكيين ، وتتحدث هذه الشخصيات بمثل أخلاقية مستوحاة من روح فلسفة نيتشه ، وكانت أشعاره الغنائية جزلة ومرتجلة . وبوحي من الحركة الطبيعية الفرنسية والروسية وضع الكاتب أوبيتيس (A . Upitis) أبطال الطبقة العاملة في مصاف الأبطال المثاليين . ونظم الشاعر أ . فيرزا (E . Virza) واسمه الحقيقي أ . ليبكنس (E . Lieknis) أشعاراً غنائية مغرقة في الكلاسيكية . وفي قصيدته النثرية «ستراوميني» (Strauméni) عام ١٩٣٣ يشيد بالمزرعة التي تعتمد النظام المسيحي . ونجد الاسترسال العاطفي بالشعر الغنائي قد انتظم على يد ج . جونسودار بنش (J . Jaunsudrabins) الذي كتب أحسن رواياته على شكل ثلاثية هي ايجا وآتبالس وزيما (Aija , Atbalss , Ziema) . وفسحت الحرب العالمية الاولى المجال واسعاً أمام مواضيع تصلح للاعمال الادبية كقصة «كارش» لمؤلفها ك . شترالس (K . Stràls) ١٩٢٢ ـ ١٩٢٧ وكفيلوشالوكا (Kvélosa Loka) عام ١٩٢٢ لمؤلفتها آنا بريجادر (Anna Brigader) و«دفيسيلو بوتينس» (Dvèselu Putenis) ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ لمؤلفها أ . جرينز (A . Grins) ووجد جو ما بعد الحرب

في قصص ج . ايزيرينش (J . Ezerins) وك . زارينش (K . Zarins) القصيرة الجيدة الحبكة طريقاً للتعبير . وحاول ج . فازيليس (J . Veselis) ان يوفق بين روح العصر وروح شعر لاتفيا الشعبي ، وهذا ما تحقق بنجاح في شعر زينايدا لازدا (Zinaida Lazda) وآندرايس ايجليتيس (Andrejs Eglitis) وكذلك في شعر فيرونيكا ستريلرته (Veronika Strèlerte) التي يقترب اسلوبها من أسلوب الكلاسيكية الفرنسية ، غير أنها استخدمت نعوتاً وأوصافاً على طريقة الشعر الفولكلوري للاتفيا .

ووجد شعب لاتفيا من الصعوبة بمكان تحقيق نظرة موحدة للعالم في القرن العشرين ، ولهذا تحول كما تحول غيره نحو دقائق التحليل النفسي ، ويظهر تأثير فرويد في قصص م . بندروب (M . Bendrupe) كما قام أي . آدامسونز (E . Adamsons) بوصف مرض العصاب الذي يعاني منه رجل العصر الحديث . أما آنشلافز ايجليتس (Anslavs Eglitis) فوجد متعة غامرة في تصوير خصلة انسانية معينة والتأكيد عليها بشكل كاريكاتوري في العمل الادبي الواحد . واستطاع م . زيفرتس (M . Ziverts) وهو أحسن كتاب المسرح المعاصر في لاتفيا ان يطور مسرحية طويلة من فصل واحد تنتهي بمناجاة رائعة ، كما في المأساة التاريخية التي كتبها بعنوان «فارا» (Vara) ١٩٤٤ .

بقي عدد من الشعراء على حالهم من التأثر بالاغاني الشعبية ، أو أنهم يستوحون منها المواضيع ، الا ان أ . تشاكس (A . Caks) واسمه الحقيقي أ . شادارانيس (A . Cadarainis) ابتكر اسلوباً جديداً يصف فيه جو المناطق الريفية مستخدماً الشعر الحر ، والصور المبالغ فيها . وأحسن أعماله حلقة من القصائد الغنائية من نوع «البالاد» عنوانها «حدودنا هي الابدية» وتحكي قصة (Muzibas Skartie) عام ١٩٣٨ رماة من لاتفيا في الحرب العالمية الأولى . وتحسس تأثيره جيل الناشئة من الشعراء الذين هاجروا الى الغرب بعد الحرب العالمية الثانية .

ويتضمن شعر (فيلتا سينكير) (Velta Snikere) بعض مقومات السريالية ، ويذكرنا نظمها الشعري بالصيغ الشعرية للاتفيا القديمة ، تلك الصيغ التي تردد في الطقوس السحرية . وكان للدمج الذي حدث بين شعر أ . تشاكس التصويري

والتجربة الحياتية في المدن الأمريكية الكبيرة ان مهد لظهور شعر ل . تاونس (L . Tauns) وج . سالنس (G . Salins) . ومن المحتمل أن يكون شعر تشاكس أكثر تقدمية من أن يجد صدى في أعمال شعراء لاتفيا الحاليين . غير ان ثلاثة من الشعراء الموهوبين ، هم فيزمابلشفيكا (Vizma Belsevica) وو . فاشييتس (O . Vacietis) وأ . زيدونيس (I . Ziedonis) خرجوا بتعبير فردي عن عوالم تجاربهم الذاتية مقيدة بضغوط خارجية . أما في الغرب فقد تفتحت آفاق جديدة في شعر أستريد ايفاسكا (astride Ivaska) واينا كروايتيه (Aina Kraujiete) وبايبا بيشول (Baiba Bicole) . وفي مجال الكتابة النثرية نجد أ . بيلز (A . Bels) وهو كاتب مرموق في لاتفيا برع في تصوير الحقيقة من أوجه مختلفة،وفي الغرب تحولت الكاتبة ايليزة شكيبسنا (Ilze Skipsna) من الوجودية الى الرمزية المغرقة ، التي تعمل في مستويات عديدة كما في روايتها «ينابسوليتاس زيمس» (Neapsolitàs Zemes) عام ١٩٧١ .

أدب ايستونيا

خلال الفترة الحرجة التي جرت فيها محاولة لجعل المنطقة روسية ما بين عام ١٨٩٠ و١٩٠٦ ، تمثلت الواقعية التي تبناها الأدباء أحسن تمثيل في الادب الايستوني على يد يوهان لييف (Juhan Liiv) . وانحسر أفق الواقعية وحلت محلها (جماعة الابداعية الجديدة لايستونيا الفتاة) التي تزعمها الشاعر جوستاف سويتز (Gustav Suits) وهو الذي اطلق شعار (المزيد من الثقافة الأوروبية . كونوا ايستونيين ولكن حافظوا على أوروبيتكم) . وهذا يعني بالنسبة لـ سوتيز واتباعه مزيداً من الاهتمام بالشكل. وباندلاع ثورة عام ١٩١٧ ظهرت جماعة سيورو (Siuru) التي سميت باسم طائر خرافي في الأساطير الفنلندية ـ اليوغرية . ووقف شعراء الابداعية الجديدة ضد تأكيد (سوتيز) على التمسك بالشكل . وظهرت فعّاليتهم وزخمهم العاطفي بشكل جيد على يد هنريك فيزنابو (Henrik Visnapuu) الذي قام بالتعاون مع ماري أوندر (Marie Under) بتدعيم امكانات الشعر الغنائي في اللغة الاستونية على أوسع مدى . وفي ثلاثينات هذا القرن عمل تجديد الواقعية على جعل الشعر اكثر التصاقاً بالحياة ، الا ان الشعر البارز الوحيد لهذا التجديد لم يكن أكثر

منَ وصف للحياة العصرية في المدينة كما في أعمال يوهان سوتيسته(Juhan Sütiste) واسمه الحقيقي شوتز(Schütz) . ونرى من ناحية أخرى ان جماعة آربوجاد (Arbujad) - هي الاخرى اقتبست اسمها من كلمة ذات أصل اسطوري - التي ظهرت في أواسط الثلاثينات من القرن العشرين ، تؤكد على المظاهر الجمالية والفكرية للأدب . ومن شعرائها البارزين بيتي آلفر (Betti Alver) التي استخدمت مهارتها الفائقة في الصور الرمزية في قصيدتها «التراب والنار» (Tolm ja tuli) عام ١٩٣٦ . وهنالك الكاتبة هايتي تالفيك (Heiti Talvik) التي تنبأت عام ١٩٣٧ بعملية الابادة الجماعية في قصيدتها «يوم الحساب» (Kohtupäev) وأيضاً اوكو ماسينغ (Uku Masing) وهو شاعر ديني متصوف ، وبرنارد كانجرو (Bernard Kangro) الذي أصبح فيما بعد الشاعر الغنائي المرموق في المنفى .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية سيق أكثر من نصف كتاب ايستونياً الى المنفى وكانت أشعارهم تعكس روح التشاؤم ، كما عند كانجرو او الحنين الى ايستونيا كما في شعر المنفى الذي نظمه الشاعر فيزنابو وشيئاً فشيئاً ظهر جيل جديد من الشعراء الانتقاديين ويمثلهم كاليوليبك (Kalju Lepik) وهو كاتب تجريبي كتب عام ١٩٦٥ «المروج الصفراء» (Kollased nommed) ، وهنالك الشاعر الارتيابي آرنو فيهاليم (Arno Vihalemm) الذي اتى عمله مطعماً بالتهكم الذاتي . وأخيراً هنالك صاحب ملحمة « أجراس كنيسة القديس بطرس »(Peetri Kiriku Kellad) ، وهو الكاتب ايفار جرونتال(Ivar Grunthal) . ولم يظهر الا كمية ضئيلة من الشعر في استونيا أيام واقعية ستالين الاشتراكية الاّ انه ظهر شعراء جدد في الستينات تبنوا اساليب غربية . ومن بين هؤلاء يان كروس (Joan Kross) وايلين نيت(Ellen Niit) وآين كاليب (Ain Kaalep) وماتس ترات (Mats Traat) .

وكان النثر بدوره متأثراً بالحركات الأدبية الرائجة في اوروبا . وتمثلت واقعية بداية القرن في النقد الاجتماعي للكاتب لييف في مؤلفه « عشر حكايات »(Kumme lugu) ١٨٩٣ وفي نقد ا ارنست بترسون (Ernest Peterson) للظلم الاجتماعي في روايته « الدمامل » (Boils) ١٨٩٩ - ١٩٠١ ومن بين الروائيين الواقعيين البارزين : ادوارد فيلده (Eduard Vilde) الذي كتب ثلاثية تاريخية هاجم فيها

النظام الاقطاعي الالماني ـ البلطيكي ، كما قام بالهجوم نفسه في قصته «بائع الحليب من مايكولا » (Mäeküla) piimamees ١٩١٦ ، وفيها يعالج كذلك العلاقة بين مالك الارض والأقنان . وينتمي فريدبرت توغلاس (Friedebert Tuglas) الذي ادخل الانطباعية والرمزية الى جماعة (استونيا الفتاة) التي انتمى اليها ؛ بينما كان اوغوست غايلت (August Gaïlıt) كاتب نثر مرموقاً من جماعة سيورو . ومن بين جماعة الابداعية الجديدة ، والذين انقلبوا الى المدرسة الواقعية ، فيما بعد نجد آنتون تامسار (Anton Tammsaare) الذي كتب سجلا نفسياً اخلاقياً بعنوان « الحقيقة والصواب » (Tode ja Oigus) ١٩٢٦ ـ ١٩٣٣ . وكتب البرت كيفيكاس (Albert Kivikas) عام ١٩٣٦ قصة عنوانها «أسماء على لوح من الرخام» (Nimed marmortahvlil) وتحكي قصة الحرب من اجل التحرير ، وأوغست، مالك (August Mälk) الذي تركزت موضوعاته على أشياء تتعلق بالملاحة ، وأخيراً هناك أوغوست جاكوبسون (August Jakobson) .

ووجد الروائيون في المنفى الالهام الذي استوحوه من الحقيقة التي كانوا يعيشونها وهم في المنفى . وأبرز موضوعين تناولتها الأقلام كانا تجارب الحرب ومشاكل التكيف مع بيئات جديدة . ومن بين كتاب المنفى : غايلت ، مالك ، كيفيكاس ، ريستيكيفي(Ristikivi) ، بيدرو كروستن (Pedro Krusten) كارل رومور (Karl Rumor) يوهان يايك (Juhan Jaik) ، ايوالد ماند(Evald Mänd) فاليف أوي بويو(Valev Uibopuu) . وتضم قائمة الكتاب الجدد آرفو ماجي(Arvo Mägi) الناقد وكاتب المقالة والمسرحية ، كما تضم الروائيين ايلمار تالفه(Ilmar Talve) وايلمار جاكز (Ilmar Jaks) وهلجانو (Helga Nou) وايلين تونا (Elin Toona) . وآخر ثلاثة كتاب من هذه القائمة أظهروا انفتاحاً نحو العالم في اعمالهم . وشهدت كتابة القصة في ايستونيا في فترة ما بعد الحرب انحطاطاً يشبه ما جدت للشعر وسرعان ما فسح التأثير المثبط الذي خلفته الواقعية الاشتراكية المجال لمهارة ادبية اوسع مما مكّن الروائيين الشباب أمثال آرفوفالتون (Arvo Valton) اين فايتما (Enn Vetemaa) وماتي أونت (Mati Unt) ان ينعموا النظر في مشاكل الشيوعية ، ويبدؤوا تجربتهم في الأسلوب الادبي . اما النشاطات المسرحية فكانت

قليلة ،الا ان اثنين من كتـاب المسرحية الاوائـل وقفـاً في المقدمة ، اولهما اوغسـت كيتزبورغ (August Kitzberg) الذي كتب في الملهاة والمسرحيات الجادة ، وثـانيهما هوجو رودسيب (Hugo Raudsepp) الذي كانت مسرحياته الواقعية والرمزية تجسيداً للنقد الاجتماعي .

الفَصْل العِشرُون

آداب أوروبّا الشرقية الأخرى وشرق البحر المتوسط في القرن العشرين

أدب بولندا

نتج عن الفترة التي أعقبت ثورة عام (١٨٦٣) اتجاه ادبي دعي بـ (الحركة الايجابية) ، وعكس ميلاً عملياً وردود فعل ضد الرومانتيكية ، وكان لظهور الطبقة المثقفة في بولندا الروسية والنمسوية اكبر الأثر في تسارع انضاج الفكر الادبي . وكان للنشرات الأدبية اهمية خاصة في بذر الأفكار الجديدة ، وبخاصة « المجلة الاسبوعية المصورة » (Tygodnik Illustrowany) التي تأسست عام ١٨٥٩ . وكانت النتيجة الطبيعية للنظرة الايجابية الآنفة الذكر ان النثر تبوأ مكانة رفيعة في المجال الأدبي . وقد رفع الكسندر شفيتو شوفسكي (Aleksander Swietochowski) صوته مع الاصوات الأخرى من مدرسة وارسو الأدبية بوجهات نظر تعارض الأرستقراطية والهيئات الدينية . وذلك في مجلته الأسبوعية برافدا (Prawda) . وتبوأ الصحفي بولسلاف بروس (Boleslaw Prus) واسمه الحقيقي الكسندر جلوفاكي (Aleksander Glowacki) مركزاً ممتازاً بين الروائيين البولنديين . وتقدم روايته « الدمية » (Lalka) ١٨٩٠ صورة معقدة عن حياة البورجوازيين في وارسو . كما تعكس روايته «فرعون والكاهن» عام ١٨٩٧ الكثير من الطموح في محاولتها احياء جو مصر القديمة ، وتتضمن عرضاً مبطناً للمشاكل السياسية التي لا يمكن نشرها .

وكتبت داعية الاصلاح الاجتماعي ايليزا اورزيسكوفا (Eliza Orzeszkowa) حول تحرير المرأة ، وجهل الفلاحين . وأظهرت كتبها عمقاً في التحليل النفسي ، وحساً رفيعاً في الاسلوب .

ونال هنريك زينكيفيتش (Henryk Sienkiewicz) عام ١٩٠٥ جائزة نوبل للآداب ، وكانت اعماله في النقد الأدبي مقدمة للنظريات الجمالية الايجابية ، كما أظهرت قصصه القصيرة ادراكاً واعياً لأوضاع العصر ، وواقعية صلبة . اما روايته الشهيرة « كوفاديس » (Quo Vadis) ١٨٩٦ فترجمت الى عدة لغات ، وهي رواية تاريخية تحكي قصة روما تحت حكم نيرون .

وعند نهاية هذه الفترة ، وجدت الحركة الطبيعية لنفسها مكاناً بشكلها الأكثر مرونة ، كما هو واضح في قصص آدولف ديجاسنسكي (Adolf Dygasinski) التي اكتسبت شهرتها لتصويرها حياة الحيوانات ، مثل قصة « الارنب » (Zajac) ١٩٠٠

التي يمكن مقارنتها بقصص روديارد كيبلنج (Rudyard Kipling) . وهنالك جابريلا زابولسكا (Gabriela Zapolska) ، وهي ناقدة للنفاق الاجتماعي في روايات تنتمي إلى المدرسة الطبيعية ، وتتفوق في حوارها ومواقفها الدرامية في مسرحيات مثل «حلوقية السيدة دولشكا» (Moralnóść Pani Dulskiej) ١٩٠٦ .

وجادت هذه الفترة بشاعرين هامين هما آدم آسنيك (Adam Asnyk)، وهو شاعر غنائي متأمل يمتاز بالمهارة في الشكل الأدبي ، وماريا كونو بينشكا (Maria Konopnicka) ، وهي ناظمة شعر عاطفي يتعلق بالمسحوقين .

وضمت حركة (بولندا الفتاة) جماعات مختلفة متنافرة الميول ، وألفت بينها فكرة الوقوف ضد الحركة الايجابية ، كما ألفت بينها الرغبة في العودة الى الخيال في الأدب . ومن هنا أتتها التسمية الثانية (الابداعية الجديدة) . ومن روادها الشاعر آنتوني لانغ (Antoni Lange) ، وزينون برزيسمشكي (Zenon Przesmycki) واسمها الحقيقي مريم (Miriam) المحررة لمجلة رمزية اسمها الكمّيرا (Chimera) . وقام كلا الأديبين بترجمات عن عدد من اللغات الأخرى ، وعبّرا عن منطلقات جمالية في مقالات انتقادية . أما المساهمة الفعالة التي قام بها برزيسمشكي من أجل تطوير الأدب المعاصر ، فتجلت في اكتشافه اعمال كيبريان نورفيد (Cyprian Norwid) أبرز مجددي اللغة الشعرية في بولندا في القرن الماضي ، ويمكن من وجهة نظر التجريب الأدبي ، والأصالة الفنية ، مقارنته بالشاعر ايزرا

باوند (Ezra Pound) وبالأحرى بالشاعر جيرارد ماني هوبكنز Gerard Manley)
Hopkins) .

وحقق (كازيمير تيتماير) (Kazimierz Tetmajer) شعبية في كتابه « الشعر » (Poezje) ، المفعم بالحنين ، غير أن كتابته النثرية تزخر بزخم أكبر ، وهي أكثر دقة في الملاحظة . ويحوي مؤلفه « حكايات جبال تاترا »(Na skalnym Podhalu) ۱۹۰۳ ـ ۱۹۱۰ مادة فولكلورية موضوعة بأسلوب أدبي . وهنالك شاعرظريف من أصل فلاحي هو يان كازبروفيتش (Jan Kasprowicz) ، ساهم مساهمة فعالة تجاه الأدب البولندي ، وذلك في البناء الشعري لقصائده الغنائية الطويلة . وفي القصائد التي تضمنها مجلده « الى العالم المحتضر » (Ginqcemu swiatu) استخدم كازبروفيتش أسلوب التداعي الفكري ، والاقتباس ، والرجع الموسيقي في الشعر والأوزان الشعرية الحرة التي بشرت بأسلوب (ت. س. إليوت) . ونظم رائد التعبيرية والسريالية تاديوش ميشنسكي (Tadeusz Micinski) قصائد ومسرحيات شعرية فلسفية وصوفية ، أهمها ديوان شعر عنوانه : « في شفق النجوم » (Wmroku gwiazd) عام ۱۹۰۲ ومسرحية بعنوا ن كينياز باتيومكن Kniaz) Patiomkin) عام ۱۹۰٦ . وكان الشاعر الغنائي ليوبولد ستاف (Leopold Staff) ، الذي يظهر عمله المتنوع مهارته الفنية ينتمي في هذه الفترة الى حركة (بولندا الفتاة) ، مع أن بعض أحسن أعماله قد ظهرت فيما بعد .

أما استانيسلاف برزيبيجوفسكي (Stanislav Przybyszewski) فكان من زعماء دعاة الأفكار الجمالية الجديدة للحركة ، وعمل في تحرير مجلة أدبية اسمها (الحياة) (Zycie) . وعبر ستيفان جيرومسكي (Stephen Zeromski) عن اهتمام بالغ بالعدالة الانسانية والحرية القومية في أعمال واسعة الانتشار، غير أن الافراط في اعتماده على التوثيق الواقعي كثيراً ما أضعف من قيمة ما قام به من أعمال ادبية فيما بعد . واقتبس الكاتب فلاديسلاف ستانيسلاف ريمونت (Wladyslaw Stanislaw Reymont) ـ وهو من أصل فلاحي ـ أسلوب المدرسة الطبيعية في سبيل خلق رؤ يا لحياة الفلاحين في رواية ملحمية في حلقات عنوانها « الفلاحون »(Chlopi) ۱۹۰۲ ـ ۱۹۰۹) في اربعة مجلدات ونال عليها جائزة نوبل عام ۱۹۲٤ . وأكثر

الروايات تأثيراً في هذه الفترة « حياة وأفكار زيجمونت بودفيليبسكي » (Zywot i mysli Zygmunta Podfilipskiego) عام ١٨٩٨ لمؤلفها جوزيف فايسنهوف (Jozef Weyssenhoff) ، التي قدمت صورة تهكمية لشخصية الأناني في المجتمع . كما صورت قصة فاكلوف بيرنت (Waclow Berent) «الخشب العفن» (Prochno) انحطاط الحياة والفن في أواخر القرن التاسع عشر بأسلوب لا يخلو من السخرية اللاذعة وذلك في العام ١٩٠٣ . أما عمله الأدبي «بذار الخريف» (Ozimina) ١٩١١ فرواية رمزية بشرت بالتراكيب الأدبية التي تعتمد التداعي والأسلوب القصصي التي اتبعها جيمس جويس في روايته «أوليس» . وتركزت روايته الأحجار الحية» (Zywe Kamienie) على تجانس ثقافة القرون الوسطى ، ومركز بولندا من هذه الثقافة . وهنالك تجربة جريئة سبقت الرواية التي تعتمد التحليل النفسي في أوروبا بعدة سنين ، وهي قصة بالوبا (Paluba) ١٩٠٣ لمؤلفها (كارول ايرزيكوفسكي) (Karol Irzykowski) ، وفيها نجد الدافع والسلوكية عرضة للتحليل من وجهات نظر مختلفة تدعمها وترسخها بكل مهارة تحليلات الكاتب كما لو أن الأمر دراسة علمية . وكان ايرزيكوفسكي الى جانب ذلك ناقداً ، وهو في قصته «ربة الشعر العاشرة» (Dziesiata muza) عام ١٩٢٤ أول من أهتم بالسينما كشكل فني .

وأكد الناقد المرموق ستانيسلاف برزوزفسكي 'Stanislaw Brzozovsti' أن على الناقد ان يمثل الوعي الأخلاقي لعصره ، ويحلل ضعف أدب الفترة في قصته أسطورة بولندا الفتية 'Legenda Mlodej Polski' عام ١٩٠٩ ، ويقدم الحجة على وجهة نظره بوجوب تكامل كل الاعمال من مادية وتقنية وفنية وفكرية .

وكان ستانيسلاف فسبيانسكي (Stanislav Wyspianski) فناناً وكاتباً مسرحياً نابغاً أعاد في مسرحياته صياغة عناصر من المأساة الكلاسيكية والأسطورة والدراما الرومانتيكية لبولندا والتاريخ القومي ، وذلك في كلٍّ معقد . ونجد في مسرحيته « العرس » (Wesele) عام ١٩٠١ حكاية خيالية عن ماضي بولندا وحاضرها ومستقبلها المشحون بالمشاكل ، كل ذلك على شكل مسرحية تقليدية من مسرحيات الدمى المتحركة . وتعتبر تحفة في تلميحهاتها المثيرة ومأساويتها وفكاهتها .

وتميز أدب هذه الفترة بالاحتكاك المباشر بآداب أوروبا الغربية ، الا أن بعض الكتاب أمثال فسبيانسكي رجعوا الى الابداعية البولندية بحثاً عن لغة شعرية جديدة .

أدب بولندا المستقلة

كان لاستقلال بولندا عام ١٩١٨ تأثير مصيري على الأدب البولندي . وتميزت الفترة ما بين عامي ١٩١٨ و١٩٣٩ بالغنى والتنوع والاحتكاك المتزايد بالآداب الأوروبية وخاصة عبر نشر العديد من الترجمات . وساد الشعر الغنائي لفترة عقد كامل بعد عام ١٩١٨ . وارتبطت مجلة أدبية اسمها (رأس النبع)(Zdroj) بصلات قربى مع المدرسة التعبيرية الالمانية . وشكلت مجموعة من الشعراء في وارسو جماعة أسمت نفسها جماعة سكاماندر (Skamander) مستوحية هذه التسمية من مجلتها الشهرية التي كانت تصدرها ، وجمعت بين أعضائها الرغبة في صياغة لغة شعرية تنسجم والحياة العصرية . وترأس الجماعة يوليان تورويم Julian) Tuwim) ، وهو شاعر جياش العاطفة ، يتمتع بحس لغوي ، وخلال الحرب العالمية الثانية نظم في البرازيل والولايات المتحدة سيرته الذاتية شعراً بعنوان « أزاهير من بولندا » (Kwiaty Polskie) (١٩٤٩) . ومن بين جماعة سكاماندر نجد يان ليكون (Jan Lechon) وكازيميرز فيرجنسزكي (Kazimierz Wierzynski) وكلاهما ماتا خارج بولندا بعد الحرب العالمية الثانية ، وانتوني سلونمسكي Antoni) Slonimski) وياروسلاف ايفاجكيفيتش (Jaroslow Iwaszkiewiez) الذي اشتهر كذلك بكونه كاتباً نثرياً غزير الانتاج . ومن بين مشجعي هذه الجماعة شاعرتان هما ماريا يازنور زيفسكا بافليكوفكا(Maria Jasnorzewska — Pawlikowska) وكازيميرا ايلا كوفيشوفنا (Kazimiera Illakowiezowna) . وهناك فلاديسلاف برونيفسكي (Wladyslaw Broniewski) وهو شاعر ذو ميول يسارية عنيفة ، وقد أصبح سيد الغناء الشعري الثوري ،يعبر من خلاله عن التورط في المشاكل العقائدية والاجتماعية السائدة .

ومن الكتاب المرموقين بوليسلاف ليزميان (Boleslaw Lesmian) الذي اشتهر شعره التعبيري ـ الرمزي بابتكار الألفاظ، والصور الحسية ، والمحتوى الفلسفي ، وكلها أشياء بشرت بالوجودية . ولم ينشر سوى ثلاثة دواوين لها أهميتها « المرج »

(Laka) عام ١٩٢٠ و « الشراب العاتم » (Napôjcienist) (١٩٣٦) و « حكاية الغابة » (Dziejba Lesna) (١٩٣٨) التي نشرت بعد وفاته ، غير أنه عرف بين معجبيه كأعظم شعراء بولندا الغنائيين شهرة في القرن العشرين .

وسارت الحركات الأدبية التجريبية الأخرى مثل (المستقبلية) في تيار الاتجاهات الثورية للشعر وبخاصة في روسيا وايطاليا . وهنالك جماعة أكثر أصالة سميت بـ (طليعيو كراكوفكا) (Awangarda Krakowska) وبزعامة تاديوش بايبر (Tadeusz Peiper) قدمت أعمالاً أدبية ضئيلة الكم الا أنها بالغة التأثير من حيث احياؤها أساليب شعرية جديدة . وبرز اثنان من المقربين لهذه الجماعة هما يوليان برزيبوس(Julian Przybos) وآدم فاجيك(Adam Wazyk) ، ولم يكن هذا الأخير على اتصال وثيق بالحركة ، واشتهر كشاعر هام لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . ويعتبر جوزيف تشيكوفيتش (Jozef Czechowicz) أيضاً شاعراً مرموقاً لأنه تمثل العناصر التقليدية والمحلية ، وطبقها على الأسلوب الجديد .

وبلغت كتابة النثر مكانتها الرفعية في العقد الثاني للاستقلال . وتنتمي القصص الأولى للكاتبة زوفيا نالكوفسكا(Zofia Nalkowska) الى حركة (بولندا الفتاة) الأدبية ، وهدفت الى أبراز نفسية المرأة ، ثم ما لبثت هذه الكاتبة ان تحولت الى معالجة مواضيع أخرى جاهدة في سبيل الوصول الى الموضوعية في السرد القصصي والبساطة الفنية . وهنالك اثنتان من الأديبات المشهيرات هما (زوفيا كوساك سوزوكا) (Zofia Kossak — Szezucka) وأشتهرت برواياتها التاريخية ، وماريا كونشيفيك زوفا(Maria Kuncewiczowa) التي كتبت روايات نفسية . وأستخدم يوليوس كادن باندروفسكي (Juliusz Kaden — Brandrowski) أسلوب الواقعية التجريبية في روايتيه «الأجنحة السوداء» (Czarne Skrzydla) ١٩٢٨ - ١٩٢٩ و «ماتيوش بيجدا» (Mateusz Bigda) عام ١٩٣٣ التي عالجت مواضيع سياسية واجتماعية . كما استخدم ميشيل كورومانسكي (Michal Choromanski) الأساليب التجريبية في السرد القصصي بقصته «الغيرة والدواء» (Zazdro꜀sc I Medycyna) ١٩٣٣ ، وكانت ذائعة الصيت لتحليلها الشخصية تحليلا سريرياً . ومن الكتاب الذين أجادوا في اظهار دقائق الادراك برونو شولتز (Bruno

Schulz) الـذي كتـب «حـوانيت القرفـة»(Skelpy Cynamonowe) عام ١٩٣٤ ، وتذكرنا كتاباته النثرية بكتابات (كافكا) .

أما تاديوش زيلينسكسي بوي(Tadeusz Zelénski Boy) فكان ناقداً أدبياً ، أهتم بكتابة سير العظماء والكتابة النفسية أكثر من اهتمامه بالأمور الأدبية ، وقـدم تقويمات جديدة لمعظم مشاهير التاريخ . ومثل المقالة الأدبية يان باراندوفسكي(Jan Parandowski) الذي اتخذ من الثقافات الـكلاسيكية للرومـان واليونـان موضوعـه الرئيسي ، واشتهر كذلك لكتابته عام ١٩٣٠ رواية عن أوسكار وايلد بعنوان «ملك الحياة» (Krol Zycia) . وأثـار فيتولـد جومبـر وفيتش(Witold Gombrowicz) عام ١٩٣٧ هجوماً كاسحاً على التقاليد الاجتماعية والفكرية في كتابـه «فـيردي دوركه» (Ferdydurke) وتجلت فيه مقدرته على الانتقاد بما يذكرنا بـ الفريد جاري(Alfred Jarry) ، وعملت ماريا دابر وفشكا(Maria Dabrowska) على اشباع الرغبة في كتابة الـرواية ، المسلسلـة في مؤلفهـا «أيام وليال» (Noce Dnie) ١٩٣٢ - ١٩٣٤ في أربعة مجلدات وهو مثال رائع في اللغة البولنـدية الحديثـة عن الـرواية التسـجيلية التاريخية في أسلوب ملحمي ، وتدور حول تطور الطبقة المثقفة البولندية التي تنتمي الى المستوى العالي من الطبقة الوسطى .

وبقيت المسرحية - في هذه الفتـرة - أضـعف الأشـكال الأدبية ، وعـادت بأساليبها الى حركة بولندا الفتاة ، وخاصة في شكلها الرمزي الـذي مثلـه كارول هوبـرت روستفورفسـكي(Karol Hubert Rostworowski) وجـيرزي زانيافسـكي (Jerzy Szaniawski) . ونـرى أن مسرحيات ستانيسـلاف ايجنـاسي فيتـكيفتش (Stanslaw Ignacy Wlitkiewicz) التجريبية ذات شأن لأنها عبرت بالدرجة الأولى - عن منطلقات جمالية مناهضة للواقعية ، وعمل على تطوير الكثير من أفكار جماعـة (الطليعيين) ، كما طبق مبادىء الصيغة المطلقة على الرسم والمسرحية ، وكان نصيراً لحركة في الأدب البولندي عرفت باسم «الكارثية»[(١)] (Catastrophism) ، عمل على نشر أفكاره في مسرحيات تجمع فيما بينها عناصر السريالية والتحريف الغريب ، وما

(١) حركة تزعم أن بعض الظواهر الجيولوجية والبيولوجية تسببها كوارث او تغيرات مفاجئة وعنيفـة في الطبيعة .

عرف فيما بعد (في مسرحيات يوجين اونيسكو (Eugene Ionesco) مثلا الذي بشّر به فيتكيفيتش الى حد ما) بمبرح اللامعقول ، وفعل فيتكيفتش ذلك نتيجة شعوره المتوقد بفكرة تحلل الثقافة الاوروبية التي تهددها الايديولوجيات الاستبدادية ، بله محاولة فرض التجانس في المجتمع الكبير . وكانت رواياته تعبيراً عن هذه الفلسفة ومنها «وداعاً للخريف» (Pozegnanie Jesient) عام ١٩٢٧ و «الشراهة» (Nienasycenie) ١٩٣٠ . واسترعت أعماله الانتباه في الخارج بعد الحرب العالمية الثانية ، وتجلت في ترجمات مثل «المجنون والراهبة ومسرحيات اخرى» عام ١٩٦٨ .

أدب بولندا بعد عام ١٩٤٥

كان للحرب العالمية الثانية وما خلفته من آثار ، وكذلك تجربة الاحتلال وقيام الجمهورية الشعبية عام ١٩٤٥ أن أثرت تأثيراً حاسماً في شخصية الأدب البولندي ، ومن ثمراتها ظهور كتاب المهجر الذين ذاعت شهرتهم ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، منهم شعراء حركة سكاماندر الغنائيون الذين كانوا أعضاء في الحركة الطليعية ومنهم تشيزلاف ملوز (Czeslaw Milosz) الذي نال جائزة اوروبا للآداب لقصته «المغتصبون» (Zdobycie Wladzy) التي ظهرت في الفرنسية عام ١٩٥٣ وفي البولندية عام ١٩٥٥ . وسجل العديد من كتاب المهجر خبراتهم في سجون المانيا وروسيا ومعسكرات العمل الاجباري . وأكثر الأعمال لصوقا بالأدب الحقيقي كانت «العالم المتمزق» (Inny Swiat) عام ١٩٥٣ للكاتب جوستاف هيرلنج جيرود جنسكي (Gustaw Herling — Grudzinski) ، وعمل آخر للكاتبة هيرمينيا ناجليروفا (Herminia Naglerowa) عنوانه «سبرافا جوزيفاموستا» عام ١٩٥٣ (Sprawa Jozefa Mosta) . وهنالك جيرزي بيتر كيفيتش (Jerzy Pietrkiewicz) الذي نشر باكورة أعماله في بولندا اثناء الحرب العالمية الثانية ، وبالدرجة الأولى كتب بالانكليزية فيما بعد روايات مثل «الحبل الكثير العقد» (The Knotted Cord) عام ١٩٥٣ و«العزلة» (Isolation) عام ١٩٥٩ . كما نشر فيتولد جومبروفيش (Witold Gombrowicz) أعماله التي كتبها بعد الحرب في الخارج ، وذاع صيته لتأليفه عدداً من الروايات مثل «عبر الاطلنطيك» (Trans — Atlantyk) عام ١٩٥٣

و«الخلاعة»(Pornografia) عام ١٩٦٠ و«العالم» ، (Kosmos) عام ١٩٦٥ وأكسبته الأخيرة جائزة العالم للآداب . كما نشر خارج بولندا مسرحية «الزواج»(Slub) عام ١٩٥٣ ، وثلاثة أجزاء من مذكراته تحت عنوان «دزنيك» (Dziennik) ١٩٥٧ - ١٩٦٦ . وعالج جومبروفيتش بسائر أعماله ولا سيما في رواياته مواضيع فلسفية ونفسية بأسلوب نقدي يعتمد السرد القصصي ، وفيها يقدم بياناً يوضح تقاليد الحياة العصرية وثقافتها وذلك بالتأكيد على العناصر الغريبة واللاعقلانية في الطبيعة الانسانية .

وشهدت بولندا في السنين التي تلت الحرب مباشرة نشر أعمال أدبية كتبت في فترة الاحتلال أو ألفها كتاب كانوا في معسكرات الاعتقال أو في السجون . ومن المواضيع السائدة مسألة محاولة الوصول الى نقاط اتفاق مع الفاشية والحرب . ويتمثل ذلك في قصص تاديوش بوروفسكي(Tadeusz Borowski) القصيرة ، وكان سجيناً في أوشغيتز(Auschwitz) ، وكشف النقاب عن انحطاط الانسانية وانحدارها في مجموعات قصصية نشرت عام ١٩٤٨ ، ومنها «وداعاً يا ماري»(Pozegnanie Z Maria) و«العالم الحجري»(Kamienny Swiat) التي نشرت بالانكليزية عام ١٩٦٧ بعنوان «هذا هو الطريق الى فرن الغاز سيداتي سادتي ، وقصص أخرى»(This Way For The Gas Ladiesand Gentlemen And Other Storiés) . ونجد في قصص أدولف رودينشكي(Adolf Rudnicki) الذي عالج مواضيع فلسفية وأخلاقية ، استخدامه النثر الغنائي والتعريج على ذكر ويلات الحرب في قصة «شكسبير» (Szekspir) عام ١٩٤٨ و «هروب من جازنا بولانا» (Ucieczka Z Jasnej Polany) عام ١٩٤٩ وهنالك موضوع آخر طرح على بساط البحث ، هو مسألة فحص المجادلات الأخلاقية التي رافقت التغيرات السياسية والاجتماعية ، لفترة ما بعد الحرب ، وعلى وجه التخصيص الوضع المأساوي للمتآمرين الشباب الذين تورطوا في الكفاح ضد النظام السياسي الجديد ، ونجد ذلك في رواية «رماد ولآلىء» (Popiól I Diament) لمؤلفها جيرزي آندبيفسكي (Jerzy Andrzejewski) عام ١٩٤٨ .

ولاقى الأدب الواقعي الاجتماعي رواجاً في الفترة بين ١٩٤٩ - ١٩٥٤ ، وحاول الكتاب محاكاة أدباء القرن التاسع عشر الواقعيين ، وظهر طراز جديد من

الأبطال القصصين هم الرجال والنساء العاديون المنشغلون بنشاط بالعمل المثمر ، كما جرى التأكيد على العناصر الأخرى في المشهد الاجتماعي ، تلك العناصر التي خدمت تقديم فكرة عن التقدم الثوري،وأهم كتاب هذه الفترة ليون كروشكوفسكي (Leon Kruczkowski) وكان داعية للرواية الماركسية في فترة ما قبل الحرب . ونالت مسرحياته نجاحات واسعةحينما عرضت المسارح خارج بولندا ومنها : «الالمان» (Niemcy) عام ١٩٤٩ و«أول أيام الحرية» (Pierwszy Dzién Wolnosci) . أما كازيميرز براندیز (Kazimierz Brandys) الذي يعطينا تطوره نموذجاً عن اتجاهات ما بعد الحرب في الأدب البولندي ، فقد نشر رواية ملحمية مسلسلة بعنوان «بين الحربين» (Miedzy Wojnami) ١٩٤٧ - ١٩٥١ كما كتب - في العام ١٩٥٤ - رواية من الواقع الاجتماعي عنوانها «مواطنون» (Obywatele) .

ومن كتاب الواقعية الاجتماعية في هذه الفترة ، والذين تجنبوا التورط في السياسة كونستانتي ايلد يفونز جالجنسكي (Konstanty Ildefons Galczynski) الذي جمع بين الشعر الغنائي والخيال الجامح الغريب . وهنالك أيضاً المفكر ميجسلاف ياسترون (Mieczyslaw Jastrun) الذي انحاز في أعماله الاخيرة الى الوجودية ، ويتجلى ذلك في مجموعة المقالات التي كتبها بعنوان «أسطورة البحر المتوسط» (Mit Srodziemmomorski) عام ١٩٦٢ . وحملت لواء المعارضة ضد الواقعية الاشتراكية جماعة من الكتاب الكاثوليكيين كانت تضم آنتوني جولوبييف (Antoni Golubiew) وهو كاتب رواية ملحمية على شكل حلقات بعنوان «بولسلاف شروبري» (Boleslaw Chrobry) ١٩٤٧ - ١٩٥٤ وتضم أيضاً جيرزي زافييسكي (Jerzy Zawieyski) وهو كاتب مسرحيات وناثر ، وهانا ماليفسكا (Hana Malewska) وهو كاتب للرواية التاريخية . وأستخدم تيودور بارنيشكي (Teodor Parnicki) من الصراع بين الثقافات خلفية بغية الوصول الى تحليل للمشاكل المعاصرة ، عبر روايات تاريخية جرت حوادثها بالدرجة الأولى في فترة المسيحية الأولى ومنها «نهاية الاتفاق بين الأمم» (Koniec Zgody Narodów) ١٩٥٥ و«قصة خرافية جديدة» (Nowa Basn) ١٩٦٢ - ١٩٧٠ في ستة مجلدات و«لا أمرأة سوى بياتريس» (Tylko Beatrycze) عام ١٩٦٢ .

وتجلى ضعف حركة الواقعية الاشتراكية في محاولتها فرض شكل سياسي على الكتابة المبدعة ، وكذلك تجنبها المواضيع النابعة من الصراعات المعاصرة ، ونشأ هذا الضعف الى حد ما عن النظام الستاليني الخانق . وفي الفترة بين عامي ١٩٥٤ - ١٩٥٥ بدأ الكتاب يتناولون نقاط الضعف هذه بالنقد والمجابهة ، شأن الكاتب اندرييفسكي (Andrzejewski) الذي قدم أفكارا ومشاكل معاصرة في روايتين تجمعان بين المعالجة المجازية والتاريخية ، وهما : «رجال محاكم التفتيش» (Siemnosci Kryja Ziemie) عام ١٩٥٧ و «أبواب الجنة» (Bramyraju) عام ١٩٦٠ ، وانتقد براندیز (Brandys) الستالينية في رواية «ابناء ورفاق» (Matka Krôlow) عام ١٩٥٧ .

وكان للانفراج السياسي بعيد عام ١٩٥٦ أن مكن الكتاب من تجديد الاحتكاك مع الغرب . وبدأت نتيجة لذلك مرحلة من التطور والتجريب استخدمت فيها المقالة وسيلة للنقاش والتعليقات الفلسفية والفكرية ، وازداد نشاط الهجاء الأدبي ، وحلل تاديوش بريزا (Tadeusz Breza) الحياة المعاصرة وافكارها ، بكتابة تقرب في براعتها من كتابة مارسل بروست الفرنسي ، ويتمثل ذلك في قصة «البوابة البرونزية» (Spizowa Brama) عام ١٩٥٩ ، وهي وصف حاذق للحياة في الفاتيكان . واستمر الكتاب في اهتمامهم بالحرب العالمية الثانية ، كما يتجلى في روايات «السيل الأسود» (Czarny Potok) عام ١٩٥٤ لمؤلفها ليوبولود بوتشكوفسكي (Leopold Buczkowski) و «جيل ١٩٢٠ في كولومبيا» (Kolumbowie — Rocznik 20) عام ١٩٥٤ لمؤلفها رومان براتني (Roman Bratny) و «ترنوديا» (Tren) عام ١٩٦١ لمؤلفها بودان تشيشكو (Bohdan Czeszko) . واختار العديد من الكتاب المعاناة التي ترتبت على فترة الحرب موضوعا لكتاباتهم ونجد ذلك عند تاديوش كونفيكي (Tadeusz Konwicki) في كتابه «سفر احلام من أجل زمننا الحاضر» (Sennik Wspolezesny) عام ١٩٦٣ . كما تبرز رواياته الجديدة المواضيع نفسها مركزة حول المشاكل المعاصرة ، ومن هذه الروايات «الارتقاء» (Wniebow Stapienie) و «لا شيء أو لا شيء» (Nic Albo nic) عام ١٩٧١ . أما يوليان سترايكوفسكي (Julian Stryykowski) ، في روايتيه «أصوات في الظلمة» (Glosy W Ciem Nosci) عام ١٩٥٦ و «الفندق» (Austeria) عام ١٩٦٦ ، فكرر آراء الجالية اليهودية في بولندا القائلة : إن العالم قد انتهى ، واعطى هذه الآراء مفهوما عالميا .

وأستمر عدد من كتاب فترة ما قبل الحرب في نشر كتاباتهم ، ومنهم الشاعر ليوبولد ستاف (Leopold Staff) والشاعرتان كازيميرا ايلاكوفيشوفنا (Kazimiera Illakowiczówna) وماريا دابروفشكا (Maria Dabrowska) التي توطدت شهرتها عام ١٩٥٥ لنشرها مجموعة من القصص القصيرة عنوانها «نجمة الصباح» (Gwiazda Zaranna) وسلسلة من المقالات النقدية عن الروائي جوزيف كونراد (Joseph Conrad) . وكذلك الروائية ماريا كونشفيشوفا (Maria Kuncewiczowa) والروائي والشاعر وكاتب المسرح ياروسلاف ايفاشكيفيتش (Jaroslaw Iwaszkiewicz) الذي نشر رواية ملحمية بعنوان «الشهرة والمديح» (Slawa I Chwala) ١٩٥٦ - ١٩٦٢ .

وألف عدد من الكتاب في خمسينات وستينات هذا القرن أعمالاً نثرية تتفاوت ما بين الروايات السياسية للكاتب يرزي بوترامنت (Jerzy Putrament) والروايات النفسية التي تعالج السلوك الانساني للكاتب ستانيسلاف ديجات (Stanislaw Dygat) بينما كانت روايات ستانسلاف ليم (Stanislaw Lem) ، وهو أفضل من يمثل أدب القصة العلمية الجادة في بولندا ـ تتجه نحو المستقبل في تطلعاتها . وفي سياق بحثهم عن ركيزة اخلاقية للحياة ، غالباً ما كان الكتاب الشباب امثال ماريك نوفاكوفسكي (Marek Nowakowski) ينعمون النظر في عالم اولئك الناس الذين يعيشون على هامش المجتمع ومنهم المنبوذون ، وكذلك تلك الفئة التي لا تستطيع التكيف مع مجتمعها . ومن الكتاب الاحدث سناً ممن يسترعون الانتباه سلافومير مروجيك (Slawomin Mrozek) الذي ذهب الى المنفى بعد الأزمة السياسية لعام ١٩٦٨ ، وفي اعماله المسرحية كما في قصصه نجد احساساً دقيقاً بالهجاء وبما هو غريب اذ انه استخدم الزخرف الكاريكاتوري في التعبير عن فلسفة الحياة في وجهيها المحلي وغير المحدود بزمن معين ، وقد عبر عن كل هذا في مسرحيات مثل «الشرطة» (Policja) عام ١٩٥٨ و«بعيداً في عرض البحر» (Na Pelnym Morzu) عام ١٩٦١ و«تشارلي» (Karol) ١٩٦٢ ومسرحية «التعري» (Striptease) ١٩٦٢ . وفوق كل هذا «تانجو» (Tango) عام ١٩٦٥ أكثر مسرحياته شهرة . كما عبر عن ذلك بقصص جمعها في كتاب اسماه «الفيل» (Slón) عام ١٩٥٧ أما الملهاة التي كتبها فتنتمي الى مسرح اللامعقول ، وتتميز بمحاكاتها التهكمية ولغتها الرفيعة الاسلوب .

وتنبـع أهمية الشـعر في الفترة الثانية لما بعد الحرب من تمكنه من التعبير عن الفـكر الفلسفـي . وكان ستافسـلاف يرزى ليك (Stanislaw Jerzy Lec) شاعـراً هجائياً مرموقاً لحكمته التشكيكية الفلسفية وذلك في كتابه «افكار تنقصها العنـاية» (Myslinieuczesane) الذي ظهر عام ١٩٥٧ . وهناك زبغنيف هربرت (Zbigniew Herbert) في كتابه «دراسة موضوع» (Studium Przedmiotu) ١٩٦١ ، وهو عبارة عن مجموعة نالت شهرة واسعة ، بله انه كان يمثل الشعر العقلانـي . وربمـا كان تاديوش روزوفيتش (Tadeusz Rôzewicz) أكثر الشعراء امتاعاً ، وذا تأثـير عميق على الشعراء الغنائيين الشبـاب ، واذا ما تتبعنـا اعمالـه الادبية بدءاً من مجموعتـه الأولى : «المشكلة» (Niepokôj) عام ١٩٤٧ وانتهاء بـ «الصوت المجهول» (Glos Anonima) ١٩٦١ وجدنا انه صبّ جل اهتمامه على المواضيع الاخلاقية . كما كتب مسرحيات شبيهة بمسرحيات (يونسكو) ، ومنها «اوجه القلق» (Swiadkowie Albo nasza Mala Stabilızacja) عام ١٩٦٢ ، وأخـرى نشرت مع قصائـد بعنـوان «الفهرس الذي يعتمد نظام البطاقة» (Kartoteka) ١٩٦١ ونجد كذلك ان مشكلات العصر هيمنت على شعر فيسلافـا زيمبورسـكا (Wislawa Szymborska) العقلانـي التهكمي ، وقد جمعته في ديوان اسمته «الملح» (Sôl) ١٩٦٢ ، ولهـا عمـل آخـر بعنوان «مئة وسيلة للتسلية» (Sto Pociech) عام ١٩٦٢ .

وتميز الشعر الغنائي لجيل الشعـراء الـذين ولـدوا حوالي عام ١٩٣٠ بتنـوع الاهداف والاساليب الأدبية ، فمن ناحية نجد ان الاعمال الأدبية التي كانت مصدر جدل ونقاش لشعراء امثال ميرون بيالوزيفسكي (Miron Bialoszewski) أظهـرت تجريبية متطرفة ، ونجد من ناحية ثانية شاعراً مثـل ارنسـت بريل (Ernest Bryll) يؤكد على القوالب الشعرية التقليدية . وأتجه بعض الشعراء امثال تاديوش نوواك (Tadeusz Nowak) ويرزى هارازيمـوفيتش (Jerzy Harasymowicz) في استلهـام الوحي من ثقافة الطبقة الفلاحية ، وفضل البعض الآخر العودة الى العصر الباروكي عصر الزخرف الكلامي الذي ساد في القرن الثامن عشر ، وأشكال الاتباعية الجديدة مقلدين بذلك الشاعر ت . س . اليوت ، وخرجـوا من كل ذلك كلـه بشعـر تلميحي يتصف بسعـة المعرفـة ، ومنهـم ياروسلاف م . ريميكيفتش (Jaroslaw M . Rymkiewicz) وهو ذائع الصيت ، كمترجم للشعر الانكليزي والأمريكي .

وربما كان ستانسلاف جروشوفياك(Stanislaw Grochowiak) أحسن من يمثل شعراء الجيل الجديد ، وهو الذي ابتدع الاسلوب الشعري المعبر ، الذي يعتمد على المتناقضات التي ترد فجأة ، كما يعتمد على التشديد المدروس حيال مظاهر الحياة الغربية .

وتتضمن قائمة النقاد وكتاب المقالة آرتور ساندور(Artur Sandauer) ويان كوت(Jan Kott) وهو الآن في الولايات المتحدة وأشتهر كتابه «شاعرنا المعاصر شكسبير»(Szkice O Szekspirze) وترجم الى عدة لغات ونوقش طويلاً ، وهناك كازيمير فيكا(Kazimierz Wyka) ويان بلونسكي(Jan Blónski) .

وعملت حوادث ١٩٦٨ على اجبار عدة كتاب بولنديين على الهجرة ، ونشر انتاجهم في الخارج وبهذا يكونون انضموا الى اولئك الذين تركوا بولندا في السابق امثال تشيتسلاف ميلوز(Czeslaw Milosz) ، وهو الآن في الولايات المتحدة ، وفيتولد جومبروفيتش(Witold Gombrowicz) الذي توفي في سويسرا . ورفع بعض الكتاب راية التحدي ضد الرقابة المتزايدة على الأدب ، ومنهم يرزي اندريفسكي (Jerzy Andrzejewski) الذي نشر روايته «الاستئناف»(Apelacja) عام ١٩٧٠ في باريس . ومنع آخرون من نشر اعمالهم الأدبية امثال بول ياسينيكا(Pawel Jasienica) وستيفان كيزيلوفسكي(Stefan Kisielewski) . ومع ان التغيير الذي حدث في كانون الاول من عام ١٩٧٠ تناول الحياة السياسية والثقافية ـ وكان يحمل في طياته الأمل في مزيد من الحرية الخلاقة ـ ظل سائدا طيلة هذه الفترة ذلك الشكل الاساسي المحدود للحرية عن التعبير والتجريب ، وكذلك حرية البحث عن قوالب أدبية جديدة ، ذلك البحث الذي بدأ عام ١٩٥٦ .

أدب تشيكوسلوفاكيا
أدب التشيك

بحلول سبعينات القرن الماضي كان الشعر التشيكي قد وطد دعائمه راسخة في الشعر والرواية ، غير ان المسرحية كان عليها ان تنتظر قليلاً . وتبلورت الحياة

الادبية حول جماعتين كانتا مرتبطتين بنشرتين أدبيتين هما «لومير»(Lumir) و«اليقظة» (Ruch) أكدت الأولى منهما على ضرورة تبنـي الاسلـوب الاوروبـي في الأدب التشيكي بينما انصرفت الثانية الى أهمية المواضيع والتقاليد القـومية . ومـن زعماء الاتجاه العالمي كان ياروسلاف أوشليكي (Jaroslav Vrchlicky) واسمه الحقيقي اميل فريدا (Emil Frida) ، وربما كان أغزر الكتاب التشيك انتاجاً . وأظهرت أشعاره الغنائية سيطرة مدهشة على اللغـة ، كما أن هنـاك مجموعـة ضخمـة من الملاحـم التاريخية تحوي أفضل أعماله الأدبية . ويحتمل ان يكون أهم أثر له قد تحقق عملياً عن ترجماته العديدة لمشاهير كتاب أوروبا ، كما كان واسطة في ايجاد لغـة شعـرية عصرية للتشيكية . ووحدت النزعة العالمية أيضاً من يعبر عنها في شعر اوشليكي الذي يحوي ملاحم وأشعاراً غنائية تنتمي الى الابداعية الجديدة ، رغم أن رواياته وقصصه ولا سيما القريبة من شكل السيرة الذاتية ، مثل «جان ماريا بلوجار»(Jan Maria Plojhar) ، هي في حد ذاتها أكثر اصالة .

ومن الشخصيات البـارزة في جماعـة (اليقظـة) ، كان سواتـو بلـوك تشيك (Svatopluk Cech) الذي أستوحى عمله من حبه لبلده وتقـاليده ، ومـن انسـانية متحررة . ومن أعماله المشهـورة «تحـت ظل شجـرة الليمـون»(Ve Stinu Lipsy) وأعطى فيه صورة بسيطة ومعبرة عن حياة التشيك الـريفية ، كما أوجـد شخصية السيد بروتشيك(Mr . Broucek) في أهاجيه النثرية ، تلك الشخصية التي انتقدت جهالة الطبقة المتوسطة للشعب التشيكي .

وأبرزت الرواية التشيكية في الربـع الأخـير من القـرن العشرين ميلا نحـو الواقعية في الوصف ، ذلك الميل الذي كان على أوضح ما يكون في أعمال اثنين من كتاب الرواية التاريخية هما : آلـويس يراشيك(Alois Jiràsek) وزيغمونـد فينتـر (Zikmund Winter) الـذي لم تكن رواياتـه ، مثـل «مستـر كامبانـوس»(Mistr Kampanus) ، سوى انتاج ثانوي بالنسبة لاعماله كمؤرخ . وقدم كلاهما صورة رومانتيكية للتاريخ التشيكي ، غير ان تفـاصيل هذا التجـديد التاريخـي الادبـي اعتمدت في كلا المثالين على البحث العلمي .

وأستعرضت روايات (يراشيك) تاريخ التشيك الكامل ، انتهاء بالفترة التي

كان يعيش فيها وظهرت فنيته في أحسن صورها في كتابته رواية عن فترة الانحطاط القومي وهي بعنوان «الظلام»(Temno) .

وكانت الاتجاهات الجديدة في العقد الاخير من القرن الماضي هي المسؤولة عن تشكيل الشعر في تشيكوسلوفاكيا . ونجد انتونين سوفا(Antonin Sova) يكتب شعراً غنائياً بمضمون اكثر حذقاً وشكل أشد تعقيداً . وشهدت نهاية القرن أفضل ما انتج اثنان من مشاهير شعراء التشيك ، وهما اوتاكار بريزينا(Otakar Brezina) واسمه الحقيقي فاسلاف يبيافي(Vaclav Jebavy) وبيتر بيزروتش(Petr Bezruc) واسمه الحقيقي فلاديمير فاشيك(Vladimir Vasek) . وعبر بريزينا عن ديانة شخصية يؤمن بها بلغة ذكيةوأصيلة ،وتأثر من أتى بعده من الشعراء بالبنية الشعرية التي كان يستعملها بما فيها الأوزان الحرة . أما بيزروتش فكان شاعراً اقليمياً ، يسيطر عليه شعور باضطهاد تشيك سيليزيا(Silesia) .

وكان لردة الفعل النقدية الموجهة ضد المثل الرومانتيكية لحركة الاحياء القومي في تسعينات القرن الماضي ان أوحت بكتابات ت . ج مازاريك(T . G . Mazaryk) التاريخية والاجتماعية . وظهر أسلوب من النقد الأدبي أكثر تمكناً وثقافة في أعمال فرانتيشك زافرشالدا(Frantisek Xaver Salda) الذي تميزت تراجمه عن أشهر كتاب بلاده بحس مرهف ، كما لم يستطع أحد ان يكتب مثلها .

وأنبسط المجال واسعاً أمام الكتاب التشيكيين بنشوء الدولة التشيكوسلوفاكية المستقلة عام ١٩١٨ . وظهرت أحسن منجزات الأدب التشيكي في هذه الفترة ، وخصوصاً في مجال الشعر الغنائي ، المختلف والمتنوع . وحققت الدراما ذاتها عبر مسرحيات كارل تشابيك(Karel Capek) الانتقادية المثالية ، وعبر الموهبة ذات الوجوه المتعددة للكاتب فرانتيتشك لانجر(Frantisek Langer) . وجدت الرواية الواقعية التي تتحدث عن حياة العاصمة (براغ) من يعتني بها العناية اللازمة على يد كارل ماتي تشابك تشود(Karel Matej Capek — Chod) وعلى يد (ايجنات هرمان) (Ignat Hermann) الذي اتصف بخفة الروح والمعالجة ،غير ان كتابة الرواية بلغت ذروتها في أعمال ثلاثة كتاب هم كاريل تشابيك وايفان اولبراخت(Ivan Olbracht) واسمه الحقيقي كميل زيمان(Kamil Zeman) وفلاديسلاف فانكورا(Vladislav

(Vancura . كتب تشابك قصصاً خيالية ودراسات نفسية كما كتب قصصاً عادية مثل الثلاثية «هردوبال» (Hordubal) و «بوفترون» (Povetron) و (Obycejny - Zivot) ١٩٣٣ - ١٩٣٤ و (Krakatit) ١٩٢٤ و (Valka Smloky) ١٩٣٦ . وتعرض أحسن مسرحياته مشاكل المجتمع الآلي المركزي للقرن العشرين ، منها «ر . يو . ر» (R . U . R) عام ١٩٢٠ التي اقتبست منها كلمة (روبوت) أو الرجل الآلي المشهور وأدخلت الى اللغة الانكليزية ، و «مسرحية الحشرة» (Ze Zivota Hmyzu) ١٩٢١ . وفي مسرحياته التي كتبها فيما بعد نرى ان فكرة السلام واللاعنف فسحت المجال لقبول القيام بالواجب الوطني ، كما نجد في اعمال (اولبرخت) البالغة النجاح خلفية روتينية[١] . وتعهد نافشورا بالعناية اسلوباً معقداً وذا طابع خاص ، ونجح فيه نجاحاً لائقاً . وتتميز روايات يان اوتشناشك (Jan Otcenasek) من بين سائر الروايات التي عالجت موضوع الحرب العالمية الثانية وموضوع اقامة حكومة شيوعية ، بأنها اكثرها تأثيراً . وكان الشعر الغنائي لادب التشيك في القرن العشرين بين الاعوام ١٩١٨ - ١٩٤٠ أحسن ما انجز في هذه الفترة . ومن الاعمال البارزة كتابات جوزيف هورا (Josef Hora) وفرانتشك هالاس (Frantisek Halas) وفيتسلاف نيزفال (Vitezslav Nezval) وياروسلاف سايفرت (Jaroslav Seifer) .

أدب السلوفاك (Slovak)

أستمر منبع القوة في أدب السلوفاك يتدفق من الشعر الغنائي ، وقد عمل هويز دوسلاف (Hviezdoslav) الشاعر البارز لفترة ما قبل الحرب وأسمه الحقيقي بافول اورجاك (Pavol Orszàgh) على اغناء لغة السلوفاك الشعرية بتوسل عمل فيه الكثير من الأصالة ، وكذلك عن طريق الترجمات وخصوصاً من اللغات : الانكليزية والروسية والالمانية والهنغارية . ومن الشعراء الآخرين البارزين الموالين

(١) الروتينيون هم شعب روسي قليل العدد يسكن جنوب روسيا واجزاء من الشمال الغربي من النمسا والجزء الشرقي من تشيكوسلوفاكيا .

لروسيا والمعجبين بها سفيتو جار اوربان فايانسكي (Svetozar Hurban Vajansky) وايفان كراسكو (Ivan Krasko) واسمه الحقيقي يان بوتو (Jân Botto) الذي كانت دواوين شعره من بين أحسن منجزات أدب السلوفاك ، وهما ديوانان اولهما «الليل والوحدة» (Nox Et Solitudo) ١٩٠٩ وثانيهما «الشعر» (Verse) ١٩١٢ .

ومن زعماء الشعر الغنائي بعد الحرب العالمية الأولى مارتن رازوس (Martin Razus) يانكو بيسنسكي (Janko Jesensky) وأميل بولسلاف لوكاتش (Emil Boleslav Lukac) ويان سمرك (Jan Smrek) واسمه الحقيقي يان تشي تييك (Jan Cietek) ويان بونيتشان (Jan Ponican) ولاكونوفوميسكي (Laco Novomesky) . وفي مجال الرواية نجد قصصاً ريفية للروائية تيمرافا (Timrava) واسمها الحقيقي بوزينا سلانشيكوفا (Bozena Slancikova) وكتب ميلو اوربان (Milo Urban) سجلا تاريخياً ضخماً عن سلوفاكيا في القرن العشرين . وهناك أيضاً شعر مارجيتا فيجولي (Margita Figuli) المنثور ، وهو من الاشعار الغنائية الرائعة . ووجدت مشاكل الحرب العالمية الثانية ، وقيام الحكومة الشيوعية في أعقابها تعبيراً ذاتياً حياً في أعمال لاديسلاف مناتشكو (Ladislav Mnacko) والفونس بيدنار (Alfonz Bednar) .

أدب يوغوسلافيا

أدب الصرب

سار الكتاب الصربيون في فترة الحربين العالميتين على خطى الحركات الادبية الاوربية كالتعبيرية والحركات الاخرى ، ومنهم ميلوس كرنيانسكي (Milos Crnjanski) وتحقق دمج الخط الواقعي مع الخط المعاصر في اعمال ايفو آندريتش (Ivo Andrie) الحائز على جائزة نوبل . ومن الكتاب الآخرين الذين حظوا بالشهرة كدعاة للتوجيه الفلسفي والواقعي نجد ايزاك ساموكوفيليا (Isak Samokovilja) وفيليوبيتروفيتش (Veljko Petrofie) . ولاقت التجريبية الشكلية والكتابات الانطوائية معارضة عنيفة في ثلاثينات هذا القرن ، فيما كانت المشاكل السياسية والاجتماعية على أشدها .

وعالج الادب الصربي مواضيع الحرب اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ،

وخصوصاً في الفترة التي تلتها مباشرة . كما استمر الادب في تبني اتجاهات ثلاثينات القرن العشرين في مظاهره الفكرية واجراءاته .

وبرز في خمسينات وستينات هذا القرن كتاب جدد يختلفون في المواضيع والاساليب التي استخدموها ، تلك الاساليب التي عكست اتجاهات ادب اوربا الغربية . وكتب الشاعر والروائي اوسكار دافيتشو (Oskar Davico) حول وضع الفرد في المجتمع الشيوعي ، كما عالج المشاكل المتعلقة باقامة الدولة الاشتراكية . وكان برانكو كوبيك (Branko Copić) احد اعظم مشاهير الكتاب الذين الفوا للاطفال واليافعين كتباً ظهرت بعد عام ١٩٤٥ ، ومن اعماله الهامة روايات مثل « الانفجار » (Prolom) و١٩٥٢ و «البارود الاخرس» (Gluvi Barut) ١٩٥٧ . ومن الكتاب الآخرين البارزين ميهايلو لاليتش (Mihailo Lalić) ودوبريكا كوزيتش (Dobrica Cosić) والكاتب الاصيل ميودراغ بولاتوفيتش (Miodrag Bulatović) ومعهم الشاعر فاسكو بويا (Vasko Popa) وشاعر الطبيعة ستيفان رايكوفيش (Stevan Raïckovič) وميو دراك بافلوفتش (Miodrag Pavlović) ودوشان كوزتيتش (Dusan Kostić) .

أدب كرواتيا

كان الشعر اهم الاشكال الادبية في الادب الكرواتي في النصف الاول من القرن العشرين اذ عالج مسألة بعث الجمال الطبيعي والصراع النفسي ، والبحث عن معان اكثر عمقاً وكل هذا يُرى في اعمال فلاديمير فيدريتش (Vladimir Vidrić) وفلاديمير نازور (Vladimir Nazor) ، كما يمكن ملاحظة ذلك لدى كتاب النثر امثال ميلوتين سيهلار (Milutin Cihlar) ودينكو شيمو نوفيتش (Dinko Simunović) وكاتب المسرحية ايفو فونيوفيتش (Ivo Vojnovic) . انعكس تأثير التعبيرية في منتصف القرن العشرين في سلسلة من الاعمال الادبية التي استخدم فيها اصحابها المونولوج الداخلي ، والاستقصاء في التحليل النفسي ، واسلوب تيار الوعي . وترعرعت الواقعية الاجتماعية بين انصار الكفاح القومي من اجل التحرر في الحرب العالمية الثانية ، وقوي ساعد المعارضة ضد الاشكال المتماثلة في التعبير والادب ، كما اصبح

الادب اقل تقييداً ، ومن ابرز من يمثل الحركة المعاصرة في الشعر الكرواتي ميروسلاف كرليجا (Miroslav Krleza) وتين (Tin) واوغستين اويفيتش (Augustin Wjević) وآنتون برانكو شيميتس وهو شاعر يتميز بالعمق في تبيان اختلافات الاشياء تميزه بالوعي الاجتماعي . وظهر النثر الحديث على يد سلافكوكولار (Slavko Kolar) ، وهو كاتب قصة قصيرة اهتم بحياة الفلاحين وكفاح الانصار ؛ واوغوست سيزاريتش (August Cesarec) الذي يصف حياة الطبقة العاملة . والشعراء الغنائيون البارزون هم د . شيزاريتش (D. Cesarec) و د . تاديانوفيتش (D. Tadijanović) والناقد المسرحي رانكو مارينكو فيتش (Ranko Marinković) .

أدب سلوفينيا

كان من ثمرات ظهور الحركة المعاصرة في سلوفينيا في اوائل القرن العشرين ، ان وصل الادب السلوفيني ذروته للمرة الثانية ، اذ كانت المرة الاولى في عهد بريزيرن (Préseren) ما بين ١٨٠٠ و١٨٤٩ . وعمل أتباع الحركة المعاصرة على نفخ الشعر بحياة جديدة عبر الاستعارات الفنية ، والايقاع المفعم بالحياة ، وفي غير الشعر آثروا على اسلوب الحركة الطبيعية في الوصف نثراً اكثر حساسية ، وموقفاً من العالم اكثر ذاتية . ومن الذين عملوا على تأسيس هذه الحركة بالاضافة الى الشاعرين الشابين دراجوتين كيتيه (Dragotin Kette) ويوسب مورن (Josip Murn) والشاعر الفحل اوتون جوبان تشيك (Oton Zupancic) الذي يتميز بفخامة الاسلوب وبالمشاعر القومية وايفان كانكار (Ivan Cankar) ، وهو صاحب اسلوب متمكن استطاع ان يربط المعاناة البشرية وتطلعاتها بالنقد الاجتماعي الجارح . وارتقت مقومات الواقعية والطبيعية في الاعمال النثرية ومسرحيات كزافير ميشكو (Ksaver Mesko) والويز كرايجر (Alojz Kraigher) وزوفكا كفيدروفا (Zofka Kvedrova) وفران س . فينزجار (Fran S. Finžgar) واذا جاز لنا ان نقارن الفينا اهتمام جوبانتشك (Zupancić) بالمحسنات اللفظية يقابله شعر (آلويز جرادينك Alcjz Gradnik) الغنائي التأملي المؤثر والمعبر بالرغم من قلة بريقه وألوانه ، وعلى وجه الخصوص قصائده في الحب .

وظهر التوتر النفسي والاجتماعي الذي اعقب الحرب العالمية الاولى واضحاً في شعر توني سيلشكار (Tone Seliskar) وميران يارك (Miran Jarc) وآنتون فودنيك (Anton Vodnik) التعبيري ، ذلك النوع من الشعر الذي كان مسيطراً آنذاك ، كما ظهر في مسرحيات سلافكو جروم(Slavko Grum) . وكانت التعبيرية اقل ظهوراً في ادب القصة : لان روايات ايفان بريجلي (Ivan Pregelj) التاريخية كانت ذات جذور رومانتيكية بالرغم من نفحها اسلوب الزخرف الباروكي ، بينما عمد فرانز بيفك (France Bevk) - وهو كاتب قصة غزير الانتاج - الى إظهار رؤى واقعية ونفسية . وأعظم من يمثل هذه الفترة من الكتاب البارزين الشاعر الشاب سريشكو كوزوفيل (Srećko Kosovel) الذي وصف مخاوف الكينونة والموت بلغة صريحة وبسيطة كما عالج مشكلة انقسام شخصية الرجل العصري المصلوب بين حقبتين تاريخيتين .

وانتعشت كل من الرواية والقصة بنمو الواقعية الاجتماعية (حوالى ١٩٣٠) وخصوصاً من خلال اعمال يوش كوزاك (Jus Kozak) وميشكو كراينيك (Misko Kranjec) وبريجيهوف فورانك (Prezihov Voranc) وسيريل كوزماتش (Ciril Kosmać) الذي التفت في كتاباته نحو الحياة اليومية للبسطاء من اهل الريف . واوحت الصراعات الاجتماعية التاريخية بحبكات قصصية ومواضيع تصلح لأعمال براتكو كريفت (Bratko Kreft) المسرحية ، كما تصلح لشعر ايجو جرودن (Igo Gruden) وميل كلوبتش (Mile Klopćić) ، واذا كان هناك من شعر (كشعر ادوارد كوكبيك((Edward Kocbek) انار الطريق للوصول الى موقف اكثر ذاتية واستبطاناً ، فهنالك شعر آخر (كأغاني بوجو فودوشيك) (Bozo Vodušek) (اللاذعة) اظهر تحرراً جاداً من الوهم . وفي فترة ما بين الحربين العالميتين دخلت المعايير الاخلاقية والنفسية مجال النقد الادبي على يد يوسيب فيدمار (Josip Vidmar) كما دخلت المعايير الايديولوجية الاجتماعية على يد ا . برنشيش (I. Bernćić) .

وفي ابان الحرب العالمية الثانية وبعدها . ظل الكتاب الذين نشطوا قبل الحرب متعلقين بتقاليد الواقعية بالرغم من ان بعضهم عمل على توسيع او تعميق مجال مواضيعهم . وينطبق ذلك بشكل خاص على الشاعر كارل ديستوفنيك كايوه (Karl Destovnik-Kajuh) الذي قتل في الحرب ، وكذلك على الشاعر والمسرحي

ماتيو بور (Matej Bor) وايفان بوتريش (Ivan Potrc̀) وميرامهيليتش (Mira Mihelic̀) وكلاهما كتب في النثر وفي المسرحية . ولا يختلف النثر الذي كتبه كل من دانيلو لوكار (Danilo Lokar) وبوريس باهور (Boris Pahor) اختلافاً جوهرياً عن هذه الحركة بالرغم من تجديداتها وهنالك اتجاه يعتمد المجازية ، وهو اكثر ذاتية ظهر في شعر كين فيوتنيك (Cene Vipotnik) وفرانس بالان تيتش (France Balantic̀) ولا سيما جوزيه اودوفيتش (Jośe Udovict) الذي تتطلع اليه اجيال ما بعد الحرب ، وهي بصدد محاولاتها الادبية .

أدب مكدونيا

عهدت الجمهورية المكدونية التي تأسست بعد عام ١٩٤٤ في الاتحاد الفيدرالي اليوغوسلافي الى العالم ب . كوينسكي (B. Koneski) بتديل اللغة المكدونية بحيث تصبح لغة الادب الرسمية ، ومنذ ذلك الحين شرعت الثقافة القومية بالنمو بحرية . ومن الكتاب الذين برزوا في خمسينات وستينات هذا القرن نجد الشعراء ج . تودوروفسكي (G.Todorovski) وس . ايفانوفسكي (S. Ivanovski) وم. ماتسكي (M. Mateski) و ب . بوبوفسكي (P. Popovski) وكاتبا المسرحية م . كاشول (M. Caśule) و ت . آرسوفسكي (T. Arsovski) .

أدب بلغاريا

في تسعينات القرن الماضي بدأت التحديات تجاه مدرسة الكتاب القدامى ، يشنها الكتاب الشباب الذين اطلق عليهم اسم (الأوروبيون) ، وكان في نيتهم الارتفاع بالفن من ضيق الأفق وتخليصه من الصراعات السياسية الاجتماعية .وقامت بقيادة هذه الحملة مجلة « الفكر » (Misúl) التي أسسها كروستو كروستيف(Krústo Krústev) أول من أكد على اهمية الوجدان الجمالي ، من النقاد البلغاريين . وقام احد افراد جماعة تلك المجلة : (بنشوسلافييكوف) (Pencho Slaveykov) بتوسيع قاعدة التقليد الابداعي للشعر البلغاري ، وساعد في خلق لغة شعرية معقدة . وقد أورثه تأثره بالفيلسوف نيتشه تمجيد المآثر البطولية ، وكتب « اغاني ملحمية » (Epicheski pesni) ١٨٩٦ ـ ١٨٩٨ عن عمالقة البشرية الروحيين الذين كان يجلّهم ويحترمهم ، ومنهم دانتي ، وبتهوفن وشيللي وجياكومو ليوباردي(Giacomo Leopardi) . وتظهر افكاره في مقالاته وفي ديوان شعره يتحدث فيه عن سيرته الذاتية ، ويناقش اشعاراً غير مسندة لكتابٍ خياليين ، والديوان بعنوان « على جزيرة السعداء» (Na ostrova na blazhenite) عام ١٩١٠ اما اشعاره القصصية « بويكو » (Boyko) و« راليتسا » (Ralitsa) عام ١٨٩٣ فتعطي المواضيع الشعبية مفهوماً نفسياً . وكان اعظم عمل قام به ، ولم ينته منه هو كتابه «اغنية الدم» (Kursvava pesen) ١٩١٣ ويعتبر ملحمة تتحدث عن تاريخ بلغاريا ومصيرها . وهنالك بتكو تودوروف(Petko Todorov) ، الذي أوجد القصة القصيرة الابداعية في بلغاريا ، وكان اكثر تطرفاً من سلافيكوف في اعتقاده بان الأدب قادر على ان يكفي ذاته بذاته ، وفي كل اعماله نجده يبدي موهبة شعرية شفافة ففي كتابه « اغان ريفية » (Idilii) عام ١٩٠٨ يستوحي اشعاره النثرية من التراث الشعبي ، كما يستوحي من الاساطير البلقانية في مسرحيات اخرى عديدة امها « البناؤون » (Zidari) . وعملت تيارات ادبية طليعية في بداية القرن العشرين على تشجيع مرحلة حديثة ترتبط بالحركة الرمزية في الشعر الغربي . وتميز شعر كيريل ستوف (Kiril Khristov) باباحيته المرحة وبقدرته الغنائية ، وذلك في ديوانه « اناشيد الفجر » (Himni na Zorata) عام ١٩١١ وعمل ب . يافوروف (P. Yavorov) وهو

عضو في جماعة (الفكر) جهد طاقته في هذه الفترة لكي يحسن الامكانات الصوتية للغة البلغارية ،وليجعلها تنبض بالحياة وتستثير الطاقة الشعرية . وعكست اعماله نشاطه الروحي المتحفز دائماً ، ورغم ان مسرحياته كانت تبشر بكثير من الخير كان شعره الغنائي أفضل منجزاته . ويمكن تتبع أصداء يافوروف في شعر ديمكو ديبيليانوف (Dimcho Debelyanov) الحسي والموسيقي ، وكان لموته في الحرب العالمية الاولى ان جعله رمزاً لخيبة امل المثقفين المأساوية . وألهمت الرمزية نيكولاي ليليف (Nikolay Liliev) وتيودور ترايانوف (Teodor Trayanov) في شعر فترة ما بعد الحرب .

وفي الوقت ذاته استمر الخط الواقعي في اعمال كتاب امثال آنتون ستراشيمروف (Anton Strashimirov) و جـ . ستاماتوف (G. Stamatov) قاموا بتشويه سمعة مجتمع العاصمة صوفيا بقصصهم التهكمية . وكان ستراشيميروف عيناً فاحصة للمجتمع المعاصر ، ومن أحسن قصصه عن حياة الفلاحين قصة « نزاع كوشالوفو » (Kochalovskata) (١٨٩٥) ، كما كتب روايات مثل « ايام الخريف » (Yesenni dni) ١٩٠٢ و « مفترق الطرق » (Krustoput) ١٩٠٤ و« اللقاء » (Sreshta) ١٩٠٨ . ومن مسرحياته « مصاص الدماء » (Vampir) ١٩٠٢ و« الحماة » (Svekûrva) ١٩٠٦ . كما صور معاصره ايلين بلين(Elin Pelin) الحياة الريفية في منطقته بطريقة فكهة وانسانية ، وذلك في « رازكازي » (Razakazi) ١٩٠٤ والتي ترجمت الى الانكليزية عام ١٩١١ بعنوان « قصص » وفي رواياته القصيرة « عائلة جيراك » (Geratsite) عام ١٩١١ و« الارض » (Zemya) عام ١٩٢٨ . وقد تفوق يوردان يوفوكوف (Yordan Yovkov) الروائي وكاتب المسرحية في وصف آثار الحرب وهو أول روائعه «زيمليانسي» (Zemlyatsi) عام ١٩١٥ ، وتعرض قصصه القصيرة « اساطير ستارو بلانينسكي » (Staroplaninski legendi) عام ١٩٢٧ و« امسيات في فندق آنتيموفو » (Vecheri V Antimovskiya khan) عام ١٩٢٨ تبصراً عميقاً في الفكر البلغاري ، وتعتبر روائعه كلاسيكية في السرد القصصي .

وظهر اليسار الادبي في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، على يد عدد من

الشعراء الذين ماتوا شباباً بشكل مفجع ، منهم جيو ميليف (Geo Milev) الذي ارتد الى الماركسية الثورية ، وخريستو سمير ننسكي (Khristo Smirnenski) ثم فيما بعد الشاب الموهوب نيكولا فابتساروف (Nikola Vaptsarov) الـذي مات شهيداً اثنـاء المقاومة ضد النازية ، ولكن بعد ان بشر في قصائده بفجر الاشتراكية وعصر الآلة كما في « اغان الى المحرك » (Motorni pesni:) عام ١٩٤٦ و« اشعار مختارة »(Izbrani Stihotvoreniya) عام ١٩٤٦ .

وبما ان فترة ما بين الحربين شهدت عظمة النثر الادبي على يد ايلين بيلـين (Elin Pelin) ويوفوكوف ،فقد ادخل الجيل الجديد تحسينات فنية على التصوير الواقعي للحياة في بلغاريا ، كما عملت بعض النشرات الادبية الموثوقة على تحقيق الوصول الى مستويات ادبيةرفيعـة ،ومـن هذه الـدوريات هايبـريون (Hyperion) ١٩٢٠ - ١٩٣١ الرمزيةوزلاتوروج (Zlatorog) ١٩٢٠ - ١٩٤٤ . وكانت الاعمال الخيالية الصوفية التي أثارت ذكريات القرون الوسطى في بلغاريا للكاتب نيكولاي راينوف (Nikolay Raynov) ، تمثل الابداعية الجديدة في بلغاريا احسـن تمثيل . وهنـالك نوع من الدمج الناجح بين الشعر التقليدي منه والتجريبي ، نجده في اعمال ايليزا فيتا باجريانا(Elisaveta Bagryana) .

وأقتصر تشجيع النظام الشيوعي الـذي قام عام ١٩٤٤ على الكتابـات التـي طرقـت مواضيع اطلقـت عليهـا نظـريات السـوفيات الجمالية اسـم (الـواقعية الاشتراكية) . وكان من الصعب نتيجة لذلك تقويم اعمال العديد من الكتاب نظراً لتماثل الهدف في الاعمال الأدبية بالرغم من ان روايات د . ديمـوف (D . Dimov) ود . تاليف(D . Talev) لاقت رواجاً عالمياً وخصوصاً ما كتبه تاليف عن مكدونيا في القرن التاسع عشر . وكان النقاد الادبيون في ستينات هذا القرن ما زالوا منشغلين في اعادة تقويم الماضي حسب النظريات الماركسية ، الا ان هذا بعـد زوال عبـادة الاشخاص التي ابتدعتها الستالينية ، بدا وكأن الأمر غدا الـزامياً وسـط ثروة من المواهـب الشابـة . وكانـت الاصالـة الأدبية لكل من بلاجا ديميتروفا (Blaga Dimitrova) وليوبومير ليف تشيف(Lyubomir Levchev) وآسين خريستو فوروف

(Asen Khristoforov) ونيكولاي خايتوف(Nikolay Khaytov) ويوردان راديشكوف (Yordan Radichkov) بشائر حسنة بمستقبل أفضل .

أدب اليونان

كان للتغييرات الاجتماعية الاقتصادية الهامة التي مرت على اليونان في نهاية القرن التاسع عشر انعكاس على آدابها عام ١٨٨٨ إثْر نشر(To Taxidi Mou) للكاتب يوانيس بسيخاريس (Joannis Psicharis) ، كما أثرت هذه التغييرات في تطوير الحركة الشعبية التي تعتبر مسؤ ولة عن تغيير شكلي النثر والشعر اليونانيين المعاصرين ، وكان من ثمرات الصراع الطويل بين ما هو أدبي وما هو لغوي ان كانت الغلبة للغة العامية .

النثر : التفت الكتاب في هذه الفترة الى القرية اليونانية يستلهمون منها مواضيعهم ربما لانه لم تكن هناك مدن كبيرة ، اذا ما استثنينا آثينا ، كما كان الأمر في ثمانينات القرن الماضي ، وأصبح هذا النثر الجديد ريفياً بالدرجة الاولى ، وبقي هذا الاتجاه سائداً حتى نهاية القرن الماضي عندما تطورت حياة المدينة . ومع انه وجدت رواية ريفية قديمة للكاتب بافلوس كاليجاس (Pavlos Kalligas) عام ١٨٥٥ بعنوان «تانوس فليكاس» (Thanos Vlekas) الا انه لم يقم آلسكندروس بابادياماديس (Alexandros Papadiamadis) وآندرياس كاركافيتاس (Andréas Karkavitsas) بكتابة حكايات عن القرية وصيادي السمك الآ في الثمانينات من القرن الماضي . وكان بابادياماديس اعظم كاتب قصة قصيرة في اليونان المعاصرة ، وتعتبر روايته «القاتلة» (I Fonissa) قصة رائعة اذ دخل نفسية سكان الجزر وعالج الأحداث التي تتحكم في حياتهم بأسلوب قديم الى حد ما . ولا تقل قصص كاركافيتاس قوة عاطفة عن سابقه ، لكن أعظم منجزاته كانت رواية واقعية بعنوان «الشحاذ» (I Zitianos) . وهنالك عمل آخر في هذه الفترة على جانب من الأهمية ، وهو رواية بشكل سيرة ذاتية بعنوان (I Zoi Kai O Thanatos To Karabela) لكاتبها كونستانتينوس تيوتوكيس (Konstantinos Theotokis) تتسم بالأهمية لواقعيتها وعمق تبصرها .

وتحقق التقدم في مجال رواية المدينة بمؤازرة ترجمات لعدد من الروايات الفرنسية وخاصة ما كان للكاتب (اميل زولا) وتبناها كل من (بسيكاريس) وجريجوريوس كزينو بولوس (Gregorios Xenopoulos) وكان لروايات (بسيكاريس) تأثير بالغ، رغم ما فيها من أخطاء في التراكيب ورسم الشخصيات وأكثرها نجاحاً قصة(To Oneiro Tou Yianniri) ١٨٩٧ . وقام كزينو بولوس بنشر بعض أعماله مسلسلة في صحف اثينا ، وكان عليه ان يكيف فنه بهدف كسب العيش . وأحسن قصصه(Foteini Sandri) و(Stella Violanti) . ويليه مرتبة كونستانتينوس (Konstantinos) خريستو مانوس (Christomanos) الذي كتب كارنينا كوكلا(Kerenia Koukla) وكونستانتينوس كاتزوبولوس(Konstantinos Chatzopoulos) وهو أول من أنتج رواية رمزية يونانية بعنوان «الخريف»(Fthinoporo) ١٩١٧ .

وبعد الحرب العالمية الاولى ، حينما كان النثر العامي في طور النضوج ، اكتسح ستراتيس ميريفيليس (Stratis Mirivilis) المجتمع الأدبي بأول رواية من ثلاثيته عن الحرب ، وهي بعنوان «الحياة في القبر»(I Zoi En Tapho) و«المعلمة الذهبية العينين»(I Daskala Me Ta Khrisa Matia) والأخيرة بعنوان (I Panagia i Gorgona) ١٩٥٥ . وكتب كذلك قصصاً أقصر تمتاز بالقوة والاصالة . وتدفق أسلوبه الشعبي حيوية ، بمقوماته من شعر غنائي ولهجة محلية . وأصاب ايلياس فينسيزيس(Elias Venezis) نجاحاً مبدئياً مرموقاً لكتابته قصة(To Noumero 31328) وتتناول الحياة من وجهة نظر سجين حرب ، وتتضمن اعماله الرئيسية رواية «ايوليا»(Aeolia) الزاخرة بذكريات الطفولة .

وأعظم كتاب ثلاثينات هذا القرن موهبة هو كوزماس بوليتيس(Kosmas Politis) واسمه الحقيقي ب . تافيلوديس(P . Taveloudis) الذي أثبت جدارة في القصة الطويلة في «ايرويكا»(Eroica) عام ١٩٣٨ وهي قصة عصابة من الاطفال ، وكذلك في «ليمونوداسوس»(Lemonodassos) و«جيرية»(Gyri) وكثيراً ما تناول «جورجيوس ثيوتوكاس»(Georgios Theotokas) في كتاباته الاشكال الادبية ، وذلك باسلوب شعبي بسيط متدفق ، ومنها رواية طويلة بعنوان «آرجو»(Argo) عام ١٩٣٦ .

وبقي أثر الجيل القديم واضحاً على الجيل الجديد من كتاب ما بعد الحرب العالمية الثانية ، الذين برز منهم نيكوس كازانتزاكس (Nikos Kazantzakis) الذي عاد الى كتابة الرواية بعد ممارسة طويلة بقرض الشعر وكتب الاسفار والمسرحيات والمقالات ، وأظهر براعة في استخدام هذه الوسيلة كما في «زوربا اليوناني» (Zorba The Greek) و«المسيح يصلب من جديد» (Christ Recrucified) و«الحرية والموت» (Freedom And Death) . ونشرت بعد موته روايته التي تحكي قصته الذاتية «بيان الى جريكو» (Report To Greco) .

وغالباً ما كان الأدب يحقق نصيبه من الجدارة عبر عمود في احدى صحف اثينا بين سطوره معالجة حدث يومي معين ، بأسلوب فكه أو غنائي ، وتخطى مثل هذا الادب الأمور الصحفية بفضل كتاب أمثال ب . نيرفاناس (P . Nirvanas) واسمه الحقيقي بيتروس آبوستوليدس (Petros Apostolides) وسبيروس ميلاس (Spiros Melas) .

وبرز في ستينات هذا القرن كتاب رأسمالهم حسن استخدامهم النثر ومقدرتهم الخيالية من بينهم فاسيليس فاسيليكوس (Vasilis Vassilikos) ورروديس بروفيلينجيوس (Rodis Provellengios) ونيكوس كازداجليس (Nikos Kazdaglis) وكوستاس تاختسيس (Kostas Takhtsis) .

الشعـر : كان كوستيس بالاماس (Kostis Palamâs) شخصية مرموقة في الحركة الشعبية وصورت اعماله العديدة والهامة حياة اليونان العصرية ، كما صورت استمرارية تاريخ اليونان والتقلبات الاجتماعية والروحية لاواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وربما كانت قصيدته الفلسفية الطويلة «اغاني الغجرالاثنتا عشرة» (Dodecalôgos Tou Giftou) ١٩٠٧ أعظم منجزاته ، بلـه الملحمـة الغنائية المسماة «مزمار الملك» (I Flôgera Tou Vasilia) ومجموعته الشعرية الغنائية (حياة لا تتغير) التي اذاعت شهرته في العالم الغربي ، وعلى ما يبدو كانت منابع تأثيره من أدب يوناني . وتوصل شعراء هذه المدرسة الى سبر غور الامكانات المتعلقة بالقوالب اللغوية الدارجة ، واستخدام الرمزية والشعر المرسل .

وبعد بالاماس يأتي انجيلوس سيكليانوس (Angelos Sikelianôs) كشخصية قيادية في الشعر اليوناني المعاصر . وتمتد جذور شعره المكين الى تربة مدرسة آثينا

الجديدة ، لكن فكره سار باتجاه اكثر غموضاً . وعلى ضوء صوفية ديونيسيوسية[1] رأى تاريخ اليونان وطبيعتها .

وكونستانتين كافافي (Constantine Cavafy) واسمه الحقيقي كونستانتينرس كفافيس (Konstantinos Kavâfis) هو الشاعر اليوناني الوحيد الذي بقي غير متأثر بمدرسة آثينا الجديدة ، وعالج الامجاد المأساوية لليونان في العصر الهليني ، كما عالج مراحل انحطاطها . وقد مزج في اعماله الذكريات التاريخية والخبرات الشخصية ، بشكل يصعب التمييز بينها . وتعكس تطلعاته المأساوية ، وشهوانيته وتهكمه الاتجاهات الحديثة في الثقافة الغربية الأمر الذي أضفى على كتاباته شهرة واسعة .

وفي غمرة الشعراء العديدين الذين كتبوا في اليونان بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، برز نيلوس كازانتساكيس (Nikos Kazantzakis) الذي كانت شهرته كروائي أكبر منها كشاعر ، ونظم ملحمة فلسفية بعنوان «اوديسة»(Odyssey) بلغت أبياتها (٣٣٣٣٣) بيتاً ، كما اشتهر جورج سيفيرس (George Seferis) الذي نال على قصائده جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٣ . ومن المعاصرين الآخرين اوديسيوس ايليتيس (Odysseus Elytis) وجون ريتسوس (John Ritsos) اللذان نظما شعرهما باليونانية .

أدب رومانيا

يعود الأدب الروماني للقرن العشرين في أصوله الى القرن التاسع عشر . وعاصرت بعض الشخصيات الهامة كلا القرنين ، وأنشأت ضروباً من الأدب ، وجماعات أدبية وأساليب في النقد أستمرت خلال القرن العشرين . وهكذا نرى «تيتو مايوريسكو» (Titu Maiorescu) يشير الى اعادة تقويم الاستعمالات الأدبية ،

---

(١) نسبة الى ديونيسيوس الاريوباغيسي (Dionysius The Areopagite) احد تلاميذ القديس بولس . وقد أدعى كاتب عاش في القرن الخامس الميلادي وحاول ادخال عناصر صوفية من الافلاطونية الجديدة الى المسيحية بانه ديونيسيوس الاريوباغيسي وقد نجح في ادعائه طيلة القرون الوسطى .

ويعتبر مؤسس حلقة أدبية عام ١٨٦٣ اسمها جوينميا(Junimea) ، تلك الحلقة التي وقفت ضد الاهتمام بالشكل على حساب المضمون . وهنالك ايون لوكا كاراجيالي(Ion Luca Caragiale) الذي توفي عام ١٩١٢ لكنه يمت للقرن العشرين بصلة متينة لانه أوجد الملهاة الاجتماعية الرومانية ، وكذلك باربوستيفانسكو(Barbu Stefânescu) الذي أرسى المسرحية القومية التاريخية ، وموزس جاستر(Moses Gaster) الذي أشتهر بريادته في بحث اصول الأدب الشعبي الروماني .

ووجدت الحركات الأدبية لاوروبا بقسميها الشرقي والغربي انعكاساتها برومانيا في بداية القرن العشرين . وكانت هنالك مجلة أدبية أسست عام ١٩٠١ واسمها أساليب رومانية(Viata Românească) تدعو الى الجماعية الاشتراكية وتعتنق مبادىء سياسية واجتماعية . وسار الناقد كونستانتين دو بروجيانو جيريا(Constantin Dobrogeanu Gherea) على خط كارل ماركس في نظرياته ، بالرغم من ان حياة الغرب العصرية أثرت على الكتاب الرومانيين . كما ان الرمزية تبدو واضحة في اعمال اوفيد دينوسيانو(Ovid Denusianu) وضوحها لدى الشاعرين ايون مينوليسكو (Ion Minulescu) وجورج باكوفيا(Georghe Bacovia) ، بينما نجد آخرين يميلون الى الانطباعية ومنهم أي . لوفينيسكو(E . Lovinescu) ونيكولاي دافيديسكو (Niculae Davidescu) الذي هدف الى بعث تاريخ العالم من جديد في ملحمته «أنشودة الانسان» (Cântecul Omului) ١٩٢٨ - ١٩٣٧ .

أدب رومانيا بعد الحرب العالمية الأولى

بدأت الرواية تنافس الشعر الغنائي في فترة الوحدة الوطنية برومانيا بعيد الحرب العالمية الأولى. واستلهم الكتاب مواضيعهم من المجتمع او من الأحداث الأخيرة، وأهمها احداث الحرب. وكتب ليفيو ريبريانو (Liviu Rebreanu) عن حاجة الفلاحين الى الأرض والاستقلال، وفي كتابه «الثورة» (Rascoala) ١٩٣٢ يصف الانتفاضة التي قام بها الفلاحون في ترانسلفانيا عام ١٧٨٤ . وبوحي من اشتراك رومانيا في الحرب العالمية الأولى يخرج عمله الرائع «غابة المشانق»(Padurea spînzuratilov) عام ١٩٢٢ .

وعالج ايضاً كل من سيزار بيتريسكو (Cezar Petrescu) والشاعر مينوليسكو (Minulescu) مشكلة الحرب بينما تابع كتّاب آخرون اهتمامهم بالقطاعات المختلفة للمجتمع، اذ يصف ايونيل تيودوريانو (Ionel Teodoreanu) زوال الحياة التي تعتمد الأب كرئيس للعائلة، بينما كتب فيكتور بوبا (Victor Popa) حول موضوعات ريفية، وقام ج.م. زامفيريسكو (G.M. Zamfirescu) بوصف الحياة في ضواحي بوخارست، وامتاز وصف د.د. باتراشكانو (D.D. Patrascanu) للحياة السياسية بالفكاهة. وفي مطلع هذا القرن نجد الكاتب الواقعي الكبير ميخائيل سادوفيانو (Michail Sadoveanu) الذي شكل مع زميله آي. أ. براتسكو فوينشتي (I.A. Bratescu - Voinesti) حلقة ارتبطت بالجيل القديم، وكان له اثر خطير على تطور النثر الأدبي. وركز في كتاباته على اهمية الفلاح في المجتمع، ومنح عام ١٩٢٤، الميدالية الذهبية للسلام لتناوله بالوصف دور الفلاحين في الحرب في «روايته» (Mitrea Cocor).

وساهم العلماء والفلاسفة والنقاد والمترجمون في ادب هذه الفترة. وعمل عالم الآثار فاسيلي بارفان (Vasile Parvan) على تخليد جيل الحرب من الشباب الذين قاموا بتضحياتهم، وذلك في كتابه «بارنتاليا» (Parentalia) كما أسس المؤرخ نيكولاي ايورغا (Nicolae Iorga) مجلات ادبية، وكتب في المسرحية والشعر والنقد، وقام الجغرافي س. ميهدينتي (S.Mehedinti) واسمه الحقيقي سوفييا (Soveja) بتحرير مجلة ادبية والف قصصاً عن القرية. وكتب لوسيان بلاغا (Lucian Blaga) في المقالة الفلسفية والشعر، بينما قام جالا جالاكتيون (Gala Galaction) بترجمة الأنجيل ونظم شعراً صوفياً وكتب قصصاً مستوحاة من الأنجيل. وكان الشعر الغنائي اكثر الأنواع الأدبية رقياً في الأدب الروماني الحديث. وتبين اعمال نيشيفور كراينيك (Nichifor Crainic) التنوع في الأسلوب، الذي يتضح من ميله الديني التقليدي. وهذا التنوع بادٍ في طراز قصائد آي. باربو (I.Barbu) التي تستلهم اشكالها من علم الرياضيات وفي تأثير الشعرين الغنائيين الألماني والفرنسي في اشعار آيون بيلات (Ion Pillat). وتعود شهرة تيودور آرجيزي (Tudor Arghezi) لجودة التعبير التي ضمنها شعره الغنائي. وان مقالاته النثرية التي كتبها بين عامي ١٩٣٥ - ١٩٣٦ واشعاره

التي منها «كلمات مناسبة» ,(Cuvinte potrivite) عام ١٩٢٧ ، و«زهور عفنة» (Flori de mucegai) ١٩٣١ ، و«اشعار المساء» (Versuri de Scarâ) ١٩٣٥ ، كانت كلها علامات بارزة في الأدب الروماني .

تطورات الأدب الروماني بعد الحرب العالمية الثانية :

استمر عدد من مشاهير الكتاب في كتاباتهم بعد الحرب العالمية الثانية . وبلغ آرغيزي مستويات جديدة في الشعر الغنائي عام ١٩٠٧ في اغنية يشيد فيها بارادة الانسان على العيش والكفاح في سبيل الحرية . وانضم جيوبوجزا (Geo Bogza) الى حركة الواقعية الاشتراكية . واصبح ميخائيل بينيوك (Michail Beniuc) على حد تعبيره «قارع طبول العصر الجديد» ، وأشاد بمنجزات فترة ما بعد الحرب بما نظم من شعر حماسي . وكشفت اشعار ديموستين بوتيز (Demostene Botez) فيما بعد عن تفاؤل عميق ، مع ان قصائده التي نظمها في فترة ما قبل الحرب تتحدث عن كآبة الحياة في الريف . ووقف الشاعر اوجين جيبليانو (Eugen Jebeleanu) معارضاً ضد الموضوعات والأحداث المعاصرة . ومن بين الذين وقفوا في الطليعة اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية تتقدم ماريا بانوش (Maria Banus) التي تتحدث عن الكفاح من اجل السلام وميرون باراشيفسكو (Miron Paraschivescu) ، وهو شاعر غنائي استوحى موضوعاته من التراث الشعبي ، ومارسيل برسلاشو (Marcel Breslasu) ، وهو كاتب معقد الاسلوب ، تتميز موضوعاته باتساع آفاقها .

ومن بين كتّاب المسرحية اوريل بارانجا (Aurel Baranga) الذي عالج مشاكل الحياة العصرية ، وهوريا لوفينسكو (Horia Lovinescu) الذي بينّ في مسرحياته المواقف الفكرية المتغيرة ، واخيراً م . دافيد وجلو (M. Davidoglu) الذي كتب مسرحيات تجري حوادثها في المناجم والمعامل .

وعالجت الرواية ايضاً في فترة ما بعد الحرب مواضيع محلية . وكتب زاهاريا ستانكو (Zaharia Stancu) روايات حول الحياة في القرية الرومانية في عهود ماضية . اما اوسيبيو كاميلار (Eusebiu Camilar) فقد ادان الفاشية ادانة عنيفة في روايته «الضباب» (Mist) .

أما بصدد المقالة والنقد الأدبـي فاهتـم بهما كل من كالينسـكو(Calinescu) وميخائيل راليا (Michail Ralea) الذي نشر كتباً تتحدث عن الاسفـار، كما كتـب اعمالاً فلسفية ونفسية. واهتم كذلك بالمقالة والنقد تيودور فيانو(Tuedor Vianu) الذي كشف عن معالجة مادية ومنهجية بعد ان شايع المدرسة الجمالية بادىء الأمر. ومن النقاد الذين بدأت شهرتهم في خمسينات هذا القرن: بول جورجيسكو(Paul Georgescu) واوفيد كر ومالنيكيانو(Ovid Crohmalniceanu) وسيلفيان يوسيفسـكو (Silvian Iosifescu) الـذي كتـب دراسـة عن الـرواية الر ومـانية، وديميتـر و ميكو (Dumitru Micu) الذي ألف كتابا عن الـر واية الحديثـة في رومـانيا ١٩٥٩ . وفي انكلترا عمل ميرو ن جر يندريا(Miron Grindea) محر را في المجلة الأدبية العالمية «آدم» (Adam) .

أدب هنغار يا

كان الثلث الأخير من القرن التاسع عشر في هنغاريا فترة انحطاط ادبي اعتمد الكتّاب اثناءها مثلاً اجتماعية وسياسية اخذت سبيلها نحو الزوال والعقم. وكانت الغالبية العظمى من كتّاب هنغاريا يتحدرون من الأسر النبيلة، ويؤ لفون جزءاً من الطبقة المتوسطة ولم يتسن للطبقة المتوسطة الدنيا ان تتقدم الى الطليعة الا في نهاية القرن التاسع عشر. واصبحت المجلة الأدبية التـي اسسهـا جوزيف كيس(Jozef Kiss) عام ١٨٩٠ والتي دعيت «الأسبوع» (A Hêt) النفير الذي نفخ فيه العديد من الأدباء ومنهم الخبير المسرحـي سلطـان آمبـروس (Zoltan Ambrus) ، وهـو تلميذ للأديب الفرنسي (موباسان) .

وقد سجل عام ١٩٠٦ نقطة تحول حينما طلع اندره آدي (Andre Ady) على الهنغاريين «بالانـاشيد الجـديدة للفتـرة الجـديدة». وكان لأفـكار (آدي) السياسية الثورية ان جعلت من العسير على بعض فئات المجتمع ان تقرّ بعبقريتـه، اذ كان شاعراً غنائياً أصيلاً شكلاً ومضموناً، واستطاع تجديد شباب اللغة الهنغارية والفكر الشعري. وفي عام ١٩٠٨ اخذت بالظهور نشرة ادبية يسـارية بعنـوان «الغـرب» (Nyugat) كان يحررها هوجـو اجنوتـوس (Hugo Ignotus) وايرنـو اوزفـات(Erno

(Osvat ، لكن لا يجوز المغالاة في تقويم اثر هذه النشرة ، اذ اقتصر عملها على التوفيق بين عباقرة أفذاذ والنهوض بمستوى الأدب الهنغاري . ومن بين الكتّاب الذين ارتبطوا بمجلة (الغرب) ميخالي بابيتز(Mihàly Babits) الذي أصبح عام ١٩٢٩ محرراً ، وهنالك آخرون امثال ديزو كوزتولاني (Dezsô Kosztolanyi) وهو اول الانطباعيين في الشعر الهنغاري والكاتب المتمكن في القصة القصيرة ، وآباردتوت(Arpâd Tôth) وجيولا يوهاز (Gyula Juhasz) التي رفعت صوتها بالاحتجاج على بؤس الوحدة والمظلومين في المجتمع . اما زيجموند موريس(Zsigmond Moricz) فكان روائياً عظيماً اذ كان وصفه لحياة الريف تصويراً رائعاً للريفيين واسيادهم . وتعرض اعماله ، التي تزخر بالقوة مجتمعاً مضطرباً بلغت فيه الصراعات الانسانية والعواطف المتأججة قمتها . وتقف مارجيت كافكا (Margit Kaffka) كأول روائية ذات شأن في هنغاريا . ويمكن تتبع ثلاثة منابع للأدب الهنغاري بدءاً من عام ١٩٠٨ : اولها جماعة مجلة (الغرب) الأدبية التي ذكرناها آنفاً ، وثانيها الأدب الرسمي الذي دونه الكتّاب الوطنيون المحافظون ، وثالثها ادب النزهة المتسم بالسطحية وهدفه التسلية . ومن كتّاب المجموعة الثانية الهامين (فيرينك هيرشيج) (Ferenc Herczeg) وهو كاتب روايات ومسرحيات جيدة . اما النموذج الثالث فيتضمن عدداً من كتّاب المسرح كالانطباعي ديتسو تسوموري (Dezso Szomory) ومينيهرت لينجييل(Menyhêrt Lengyel) الذي نال كتابه «الاعصار» (Tâjfun) عام ١٩٠٧ ، شهرة عالمية ، واخيراً فيرينك مولنار (Ferenc Molnâr) الذي تمتع بموهبة غير عادية . وتضاءلت كثيراً اهمية مجلة (الغرب) بعد الحرب العالمية الأولى ، وكسب كبار كتّاب وشعراء هذه الجماعة الاعتراف الرسمي ، كما خفّت حدة الصراع التي جابههم بها التقليديون من رجالات الادب . وهنالك ديتزو زابو (Dezso Szabô) وهو صاحب روايات وقصص قوية ومدهشة ، وتميزت اعماله بانسلاب العاطفة بالهجوم الحاقد على كل شيء ، وان كنا نجد ما يبرر له ذلك احياناً . ويعتبر لايوس كاساك(Majos Kassâk) ، أول كاتب بارز من أوساط الطبقة العاملة وتمدنا رواياته وسيرته الذاتية باصدق وصف لها ، وكان في الوقت ذاته راعي الشعر الطليعي في هنغاريا .

وشهدت فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ازدهاراً في الآداب

الهنغارية، وتمثل الشعر بشخصية آتيلا جوزيف (Attila Jozsef) الذي تصوّر قصائده الرفيعة والعميقة الفكر ألمَ الانسان المعاصر في عصر الآلة كما تعبّر عن افكاره الاشتراكية والعاطفية. وتفوق لورينتز شابو (Lorinez Szabo) بدقة الملاحظة وبكونه مترجماً موهوباً لأعمال الشعراء الأجانب. وبلغ شعر ميكلوس رادنوتي (Miklos Radnoti) الذي توفي عام ١٩٤٤، ذروة المأساة بما كتب من قصائد ممتازة في معسكر الماني اثناء احدى مسيرات الموت التي قضى هو نفسه فيها. ووجد جيولا ايلييس (Gyula Illyés) ـ الذي اعتبره البعض افضل شاعر هنغاري في منتصف القرن العشرين ـ في حياة الفلاحين مصدر الهامه.

اصبحت الرواية في هنغاريا كما في أي مكان آخر الشكل الأساسي في التعبير الأدبي. وقام ما بين الحربين العالميتين كتاب تناولوا البرجوازية الهنغارية بالوصف الحي، ومنهم لايوس زيلاهي (Lajos Zilahy) وفيرينك كورمندي (Ferenc Körmendi) وساندور ماراي (Sandor Marai). كما كتب آرون تاماسي (Aron Tamâsi) عن الحياة في ترانسلفانيا. وربما كانت روايات بال شابو (Pâl Szabô) ويانوس كودولايني (Jânos Kodolânyi) و(جوزيف دارفاس) (Josef Darvas) الواقعية، وقصص بيتر فيريس (Pêter Veres) التي استمدها مباشرة من حياة الفلاحين، في عداد افضل الأعمال التي تحمل رسالة اجتماعية. وتركت مشاكل الاشتراكية تأثيرها على بعض الكّتاب حتى في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، وسرعان ما اصبحت فيما بعد الاعتبارات الاجتماعية والسياسية شغل الناس الشاغل، كما غدت العمود الفقري للموضوعات الأدبية لسنين عديدة. وتقريباً حاول كل الروائيين والشعراء الكبار تجربة الكتابة للمسرح لكن أفضل ما انجز في هذا المجال مسرحيات لازلو نيميت (Lâszlo Nêmeth) التاريخية.

ومع تزايد الاهتمام بالآداب في القرن العشرين، سار النقد الأدبي وتاريخ الأدب جنباً الى جنب ونما نتاجهما باستمرار، وابرز الشخصيات شهرة: يانوس هورفات (Jânos Horvath) وهو عالم جليل سار بالبحث الأدبي الهنغاري الى قمته، وهناك جيورجي لوكاش (György Lukâcs) وهو صاحب نظريات أدبية ماركسية، اكسبته اعماله في النقد وعلم الجمال شهرة عالمية.

أدب فنلندا

من الكتّاب الفنلنديين في نهاية القرن الماضي توفو باكالا (Tuevo Pakkala) الذي اصبحت قصصه عن الطفولة من الروائع؛ ويوهان ليناكوسكي (Johannes Linankoski) الذي كتب رواية بلغت الحد الأقصى من الشيوع وكانت بعنوان «انشودة الزهرة الحمراء» (Laula tulipunaisesta Kukasta) عام ١٩٠٥ وفيها يصف مغامرات حب لدون جوان فنلندي، كما كتب رواية جيدة الحبكة عن حياة الفلاحين، ووضعت آينو كالاس (Aino Kallas) مسرح قصصها في استونيا واحسن مؤلفاتها ملاحم نثرية قدمت باسلوب قديم تتحدث عن الحب المحرم. مثل «باربارا فون تسن هوزن (Barbara Von Tisenhusen) عام ١٩٢٣ و«ايروس السفاح» (Reign Pappi) عام ١٩٢٦ و«عروس الذئب» (Sudenmorsian) عام ١٩٢٨.

وتابع كثير من الكتّاب تقليد التصوير الشعبي، لكن بروح اكثر انتقادية، وفي اعقاب الحرب الأهلية عام ١٩١٨ عم اتجاه في النقد الذاتي. ومن أبرز كتّاب النثر الفنلنديين جويل ليتونن (Joel Lehtonen) الذي اتت قصته «بوتكي نوتكو» (Putki-Notko) ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ غنية بالألوان والفكاهة والنقد اللاذع حيال دراسة عن حياة الريفيين الفقراء. وانتقدت آخر رواياته «كفاح الأرواح» (Henkien taistelu) ١٩٣٣ الأوضاع المعاصرة انتقاداً مراً. واستخدم فولتر كيلبي (Volter Kilpi) المونولوج الداخلي في روايته العظيمة في «بهو الاستالو» (Alastalon Salissa) عام ١٩٣٣، ؛ كما عاد في حوادث القصة الى الوراء بله الوصف المفصل الدقيق الذي يسرد حوادث لا تستغرق اكثر من ست ساعات كتبها في (٩٠٠) صفحة. وكان كيلبي من دعاة الرواية التجريبية. وقد وضعه اهتمامه بمشكلة الزمن ومشكلة بعث الماضي، الى جانب بروست وجيمس جويس. اما قصص هايكي توبيلا (Heikki Toppila) فتضع حياة الناس في خلفية من الخرافات، وكانت كتاباته تترك اثراً مقبضاً للنفس. ويرسم ف. أ. سيلانبا (F.E.Sillanpää) شخصياته من وجهة نظر بيولوجية وذلك استكمالا للبيئة التي يعيشون فيها، واحسن رواياته «الوراثة اللطيفة» (Hurskas Kurjuus) عام ١٩١٩ و«الخادمة سيليا» (Nuorena nukkunut) عام ١٩٣١. ونال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٩. ومن الشعراء البارزين في هذه

الفترة الشاعر المتأمل والمتشائم والاكاديمي فيكو آنيترو كوسيكينيمي (Veikko Antero Koskenniemi) واوتومانينن (Otto Manninen) سيد الأسلوب المقتضب والمترجم اللامع.

وفي منتصف عشرينات هذا القرن ظهرت جماعة من الكتّاب الشباب اسمت نفسها «حملة المشاعل» (Tulenkantajar) واتخذت لنفسها شعاراً يقول «افتحوا النوافذ لأوروبا» ، وغدت المواضيع الغريبة على الأدب ذات النزعة الرومانتيكية التي تتحدث عن المدنية الجديدة وكتابة الشعر المرسل أموراً مألوفة لدى هذه الجماعة . وظهرت منطلقاتها الأساسية في الأشعار المبكرة للشاعرة كاتري فالا (Katri Vala) وكانت بادىء ذي بدء مبشرة بمبدأ اللذة الحسية ، ثم تحولت الى النقد الاجتماعي والاشتراكية . ومن زعماء حملة المشاعل : اولافي بافولاينن (Olavi Paavolainen) وهو كاتب مقالة ورحلات ومحلل اجتماعي ، انتقد المانيا الهتلرية في الثلاثينات . وآخر ما قام به من اعمال أدبية نشرت له هي مذكرات حرب بعنوان «مناجاة حزينة» (Synkka Yksinpuhelu) عام ١٩٤٦ ، اما ما قام به ميكا والتاري (Mika Waltari) من منجزات فكانت قصصاً قصيرة ورواية بعنوان «سنوحي المصري» (Sinuhe egyptilänien) عام ١٩٤٥ ، ورغم ان حوادثها وضعت في مصر القديمة ، الا انها تعكس التحرر من الوهم الذي ساد فترة ما بعد الحرب .

ومن بين الشعراء البارزين في السنوات ما بين الحربين العالميتين: اونو كايلاس (Uuno Kailas) وكارلو ساركيا (Kaarlo Sarkia) وارتد كلاهما الى مبادىء الشعر الكلاسيكية والأوزان الشعرية التقليدية، نظم الأول «الموت والنوم» (Sleep and Death) ، ونادى بمبادىء اخلاقية صارمة. اما الثاني فكان متزمتاً من ناحية الأسلوب وامتاز كذلك ببحث عن الجمال بالغ الحساسية. ولم يتبينّ الناس أن اروهيلا كوسكي (Aaro Hellaakoski) و ب. موستابا (P. Mustapää) شاعران مجيدان الا بعد الحرب العالمية الثانية، وساعد كلاهما في توسيع قاعدة الاسلوب التقليدي وخصوصاً في الايقاع الموسيقي.

ومن كتّاب النثر البارزين بينتي هانبا (Pentti Haanpää) وتويفو بيكانين (Toivo Pekkanen) وفي قصصه القصيرة نرى هانبا يمعن بصيرته في حياة الفقراء،

ويثبت وفق ذلك إنه صاحب اسلوب متين يتمتع بروح من السخرية لا نجدها لدى غيره بينما صور بيكانين "العامل في المصنع، ويعتبر معظم الناس ان قصته «طفولتي» (Lapsuuteni) عام ١٩٥٣، وتدور حول طفولته في عائلة من الطبقة العاملة ـ تحفة ادبية.

ومن الممكن ملاحظة عدة اتجاهات ادبية في السنين التي سبقت مباشرة الحرب العالمية الثانية، كالابداعية الزاخرة بالالوان والتحليل النفسي، والنقد الاجتماعي اللاذع. وفي عام ١٩٣٦ تشكلت جماعة من الكتّاب اليساريين عرفت باسم «الاسفين» (Kiila) ولم تظهر اهم كتاباتهم الا بعد الحرب. مثال ذلك رواية الفي سترفو (Elvi Sinervo) بعنوان «فيليامي فايهدوكاس» (Viljami Vaihdokas) عام ١٩٤٦، وجدت الأفكار اليسارية من يعبّر عنها في اعمال هانبا في مؤلفات احسن كاتب مسرحي لهذه الفترة وهو هيلا ووليوكي (Hella Wuolijoki) الذي تعاون مع برتولد برخت في عامي ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ في كتابة مسرحية «بونتيلا وفارسه ماتي» (Herr Puntila und sein Knecht Matti) ومثلت عام ١٩٤٨.

كانت الحرب العالمية الثانية منطلقاً لفترة انتقالية. فالجيل الذي بدأ الكتابة قبل الحرب أو أثناءها جابه ازمة قل من عاش اثرها، ومن شخصيات ذلك الجيل الشعراء اروهيلا كوسكي (Aaro Hellaakoski) و ب. موستابا (P.Mustapää) واسمه الحقيقي مارتي هافيو (Martti Haavio)، و آل تيني (Aale Tynni) و فيليو كاجافا (Viljo Kajava) و آرفو تورتيانن (Arvo turtiainen). وسرعان ما ظهرت مدرسة من الشعراء الشباب تبنت الأوزان الحرة، وفقدان القافية، والخيال الرمزي، والمواضيع اللاشعرية التي اتت بها الحركة العصرية. واشترك زعماء هذه المدرسة ومنهم بافوهافيكو (Paavo Haavikko) الذي اصدر عام ١٩٦٨ «قصائد مختارة»، وهو بدوره كاتب نثر ومسرحيات تجريبية فيها بعض الشذوذ، اشتركوا في عدم التورط بأي التزام أسياسياً كان ام دينياً، كما اشتركوا في تشكيكهم بالنسبة للتطلعات واهتمامهم بمشاكل التعبير الغنائي، وكانت فترة الخمسينات غنية خلاقة بفضل شعراء امثال هيلفي يوفونين (Helvi Juvonen) و ايفا ليزا مانر (Eeva-Lisa Manner) و توماس آنهافا (Tuomas Anhava) وله قصة بعنوان «تحرك ببطء في الظلام» (In the Dark Move

(Slowly عام ١٩٦٩، و بنتـي هولابـا (Pentti Holappa) ولاسي نومـي (Lassi Nummi) .

اما النثر فحدث فيه تطوير مشابه الا انـه كان بطيئاً، واصبـح الأسلـوب الموضوعي المقيد هو الاسلوب المألوف في القصة، ومثال ذلك اسلوب ايليا بينانين (Eila Pennanen) وايفا جوين بيلتو(Eeva Joenpelto) . ونتج عن هذا الاسلوب نثر ذو فعالية وتأثير بفضل ما قام به آنتي هيري (Antti Hyry) من كتابة قصتيه : «الربيع والخريف» (Kevättä ja syksyä) عام ١٩٥٨ و«المدرسة الابتدائية» (Alakoulu) عام ١٩٦٥ ، واتبع هيري الاسلوب السلوكي في رسم شخصياته .

وكشف كتاب آخرون عن طرق جديدة ومنهم فيجو ميري (Veijo Meri) في رواياته الغريبة عن الحرب التي تذكرنا باسلوب تشابلن ومنها «حبل مانيلا»(Mnilla koysi) عام ١٩٥٧ . وهنـاك الكاتبـة ماريا ليزا فاريتـو (Marja Lisa Vartio) التـي مزجت بين الواقعية والخيال الجامح. اما الاسلوب القصصي الأكثر تقليدية فقد تبناه فاينولينـا (Vainö Linna) وهـو كاتـب رواية حربية بعنـوان «الجنـدي المجهـول» (Tuntematon sotilas) عام ١٩٥٤، و«هنـا تحـت نجمـة القطـب» (Taällä Pohjantähden alla) ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢ وهي رواية طويلة تحوي نقداً اجتماعياً .

وتبنّى شعراء الستينات بالدرجة الأولى اسلوباً صريحاً حوارياً، له صفـات شعر المدينة، ووقفوا بثبات تجاه المسائل السياسية والاجتماعية. واهم من اشتهر منهم بينتي ساريكوسكي (Penti Saarikoski) وماتي روسي (Matti Rossi) ، واكد كل من الشاعرين آنسلـم هولـو (Anselm Hollo) وفاينـو كيرستينـا (Vaino Kirstinä) على التجريب اللغوي. واكثر الأعمال المسرحية أهمية في فترة الستينات «اوبرا لابـوا» (Lapualaisoopera) عام ١٩٦٦، لمؤلفها آرفو سالو (Arvo Salo) ، وهـي مسرحية موسيقية سياسية حولَ الحركة الفاشية في فنلندا خلال الثلاثينات. اما في النثر فان التجريب الفكري والرومانتيكية الجنسية، والقصة الوثائقية، والأساليب القصصية التقليدية، ومعالجة امور الحياة اليومية بواقعية طبيعية؛ كانت من الملامح البارزة في هذه الفترة. ومن اهم الكتّاب الجدد: هانوسلامـا (Hannu Salama) وألبـو روث (Alpo Ruuth) .

ثبت المراجع
أعمال المقدمات العامة

- فرناند بالدن سبرجر (Fernand Balden Sperger) ويرنر ب . فريدريش (Werner P . Friederich) ثبت المراجع عن الأدب المقارن (Bibliography Of Comparative Literature) (١٩٥٠ ، أعيد طبعه عام ١٩٦٠) .

وهو تغطية شاملة للآداب مرتبة أبوابه حسب الكاتب والبلد ونوع الأدب والموضوع - الخ .

- أنتوني بريت جيمس (Antony Brett — James) ، «التيارات الثلاثة : أربعة قرون من آداب انكلترا وفرنسا والمانيا ١٥٣١ - ١٩٣٠» :(The Triple Stream : Four Centuries Of English French And German Literature) 1531 — 1930 (١٩٥٣) .

ويحتوي على جداول مفيدة مرتبة ترتيباً زمنياً .

- جون . م . كوهن (John M . Cohen) ، «تاريخ الأدب الغربي» (A History Of Western Literature) طبعة منقحة (١٩٦٣) وهو كتاب يحتوي مادة ونقداً مفيدين .

هوراشيو سميث (Horatio Smith) (اشراف على التحرير) ، «قاموس كولومبيا للأدب الاوروبي الحديث» (Columbia Dictionary Of Modern European Literature) (١٩٤٧) .

ويحتوي على أكثر من ألف من المواضيع ، والمقالات النقدية والتراجم مع ثبت للمراجع .

- ويليام ف ثرال (William F . Thrall) وأديسون هيبارد (Addison Hibbard) ، ملخص الأدب (A Handbode To Literature) ، راجعة س . هيوهولمان (Hugh Holman) (١٩٦٠) وهو تغطية ممتازة للمصطلحات والحركات الأدبية .

ـ رينيه ويليك (Rene Wellek) تاريخ النقد الحديث ١٧٥٠ ـ ١٩٥٠ (A History Of Modern Criticism : 1750 — 1950) في أربعة مجلدات ويتناول النظريات في كبريات الدول الأوروبية منذ عصر النهضة .

الأدب الانجليزي والانجلوايرلندي

ـ ف . و . بيتسون (F . W . Bateson) (اشراف على التحرير) ثبت مراجع كمبردج للأدب الانجليزي (The Cambridge Bibliography Of English Literature) ويقع في أربعة أجزاء (١٩٤١) «وملحق» باشراف جورج واتسون (George Watson) (١٩٥٧) .

ـ ثبت مراجع كمبردج الجديد للأدب الانجليزي (New Cambridge Bibliography Of English Literature) الجزء الثالث (١٩٦٩) والجزء الثاني (١٩٧١) باشراف جورج واتسون ، والجزء الرابع (١٩٧٢) بأشراف آر . ويليسون (I . R . Willison) .

ـ ألبرت س . بو (Albert C . Baugh) ، مشرف على التحرير ، «تاريخ انجلترا الأدبي» (A Literary History Of England) طبعة ثانية منقحة (١٩٦٧) ويقع في أربعة أجزاء في طبعته ذات الغلاف الورقي (١٩٦٧) .

وهـ عمل معترف به كمرجع .

ـ دافيد ديتش (David Daiches) تاريخ نقدي للآدب الانجليزي (A Critical History Of English Literature) ، جزأن (١٩٦٠) ، وتقع طبعته ذات الغلاف الورقي في أربعة اجزاء (١٩٦٨) .

ـ بوريس فورد (Boris Ford) (اشراف) ، «دليل بليكان في الأدب الانجليزي» (The Pelican Guide To English Literature) طبعة منقحة في سبعة أجزاء ١٩٦١ ـ ١٩٦٤ وهو مؤلف يركز على الناحية النقدية اكثر من الناحية التاريخية ويتضمن ثبوتاً للمراجع ذات فائدة .

ـ سير بول هارفي (Sir Paul Harvey) (اشراف) كتاب اكسفورد المرافق للأدب الانكليزية (The Oxford Companion To English Literature) طبعة رابعة منقحة وهو مرجع رئيسي .

ـ جورج سامبسون (George Sampson) (اشراف) ، موجز كامبردج في تاريخ الأدب الانكليزي (The Concice Cambridge History Of English Literature) ، طبعة ثالثة منقحة (١٩٧٠) وهو الى حد ما يكمل ويصحح كتاب «تاريخ كمبريدج الأدب الانجليزي» (Cambridge History Of English Literature) ويقع في ١٥ جزءاً (١٩٠٧ ـ ١٩١٦ ، ١٩٣٢) .

وهو أهم كتب التاريخ العامة في الأدب ، وقد نسخ استعماله الا انه مفيد لدراسة بعض الفترات .

ـ ف . ب . ويلسون (F . B . Wilson) وبونامي دوبريه (Bonamy Dobree) (اشراف) تاريخ اكسفورد للأدب الانكليزي (The Oxford History Of English Literature) خطط له ان يكون في ١٥ جزءاً (١٩٤٧ ـ) .

ـ ستيفن ل . جوين (Stephen L . Gwynn) «الأدب والمسرحية الايرلندية في اللغة الانكليزية» (Irish Literature And Drama In The English Language) (١٩٣٦) .

الآداب السلتية

ـ دوجلاس هايد (Douglas Hyde) ، تاريخ ايرلندا الأدبي من العصور الاولى وحتى أيامنا الحاضرة (A Literary History Of Ireland From Earliest Times To The Present Day) طبعة جديدة مع مقدمة بقلم برايان و . كويف (Beian O . Cuiv) (١٩٦٧) وهو عمل رائد .

ـ كورت وتيج (Kurt Wittig) ، التقليد الاسكتلندي في الأدب (The Scottish Tradition In Literature) (١٩٥٨) ولربما كان بامكاننا اعتباره أفضل دليل عام .

ـ توماس باريس (Thomas Parry) وعنوانه بلغة ويلز الاصلية (Hanes Llenyddiaeth Gymraeg Hyd, 1900) طبعة ثالثة عام ١٩٥٣ .

والمترجم الى الانكليزية باسم «تاريخ الأدب الويلزي» (A History Of Welsh Literature) (١٩٥٥) وهو التاريخ الحديث الموثوق الوحيد .

ـ هـ . م . و . ن . ك تشادويك (H . M . And . N . K . Chadwick) ، الآداب القديمة في اوروبا (The Ancient Literatures Of Europe) الجزء الاول (١٩٣٢) ويتضمن معالجة شاملة للأدب السلتي .

الأدب الانكليزي في الولايات المتحدة وكندا واوستراليا ونيوزيلاندا

ـ روبرت اي . سبيللر (Robert E . Spiller) (اشراف) تاريخ الأدب في الولايات المتحدة (Literary History Of The United States) الطبعة الثالثة جزءان (١٩٦٣) . وهو عمل عام معتمد .

ـ ماركوس كونيلف (Marcus Cunliffe) ، «أدب الولايات المتحدة» (The Literature Of The United States) طبعة ثالثة (١٩٦٧) .

ـ فيرنون ل . بارنجتون (Vernon L . Parrington) ، «التيارات الرئيسية في الفكر الأمريكي» (Main Currents In American Thonght) ويقع في ثلاثة أجزاء (١٩٢٧ ـ ١٣٠) وأعيد طبعة في مجلد واحد ، عام ١٩٥٨ وهو دراسة رئيسية لخلفيات الأدب .

ـ آرثر هـ . كوين (Arthur H . Quinn) (اشراف) «أدب الشعب الأمريكي» (The Literature Of The American People) (١٩٥١) . والتر بلير (Walter Blair) وتيودور هونبرجر (Theodore Hornberger) وراندال ستيوارت (Randall Stewart) (اشراف) «أدب الولايات المتحدة» (The Literature Of The United States) الطبعة الثانية جزءان (١٩٦٦) .

ـ كارل ف . كلينـــك (Carl F . Clinck) (اشراف) ، «تـــاريخ الأدب في كنـــدا : الأدب الكنـــدي باللغـــة الانـــكليزية» (Literary History Of Canada : Canadian Literaturein English) (١٩٦٥) .

ـ هنـــري م . جـــرين (Henry M . Green) ، تاريخ الأدب الاوستـــرالي الصرف والتطبيقـــي (A History Of Australian Literature Pure And Applied) جزئان (١٩٦١) .

ـ اريك هـ . ماك كورميك (Eric H . Mccormick) «أدب نيزولاندا» (New Zealand Literature) (١٩٥٩) .

الأدب الفرنسي والبروفانسي

ـ جيوفري بريرتون (Geoffrey Brereton) ، «مختصر تاريخ الأدب الفرنسي» (A Short History Of French Literature) (١٩٥٤) وهـو دراسـة شاملـة مختصرة بالمراجع الرئيسية .

ـ لويس ف . كازاميان (Louis F . Cazamian) «تاريخ الأدب الفرنسي» (A History Of French Literature) (١٩٥٥) وهو تاريخ مكتوب بعناية ويحـوي تقيماً لكل كاتب على حدة مع تراجم قصيرة .

ـ باتـريك اي . شـارفيه (Patrick E . Charvet) (اشراف) «تـاريخ فرنسـا الأدبي» (A Literary History Of France) ويقع في ستة أجزاء (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠) .

ـ وجـــون كروتشانـــك (John Cruikshank) (اشراف) «الأدب الفـــرنسي وخلفياته» (French Literature And Its Background) ويقع في ستة أجزاء (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) وهما دراسة تاريخية شاملة .

ـ و . ج . مور (W . G . Moore) ، «المنجزات الفرنسية في الأدب» (The French Achievement In Literature) (١٩٦٩) .

ـ دانييل سي . هاسكيل (Daniel C . Haskell) ، «الأدب واللغة البروفانسية مع التاريخ المحلي لجنوب فرنسا» (Provençal Literature And Language Including The Local History Of Southern France) (١٩٢٥) وهو مزود بالمراجع .

الأدب الايطالي

ـ جون هـ . وتيفيلد (John H . Whitfield) ، «المختصر في تاريخ الأدب الايطالي» (A Short History Of Italian Literature) (١٩٦٠) وهو كتاب مفيد ، يمكن الاعتماد عليه وتجدر قراءته .

ـ فرانسيسكو دي سانكتيس (Francesco De Sanctis). وعنوانه بالايطالية (Storia Della Letteratura Italiana A Cura Di Bene Detto Croce) الطبعة الرابعة ، جزأن (١٩٥٩ ، والمترجم الى الانكليزية باسم «تاريخ الأدب الايطالي» (١٩٦٠) ويقع في مجلدين .

ـ روبرت اندرسون هول (Robert Anderson Hall) «مختصر تاريخ الأدب الايطالي» (A Short History Of Italian Literature) (١٩٥١) .

ـ ايرنست هاتش ويلكنز (Ernest Hatch Wilkins) ، «تاريخ الأدب الايطالي» (A History Of Italian Literature) (١٩٥٤) .

الآداب الاسبانية والبرتغالية
والآداب في امريكا اللاتينية

ـ ريتشارد اي . تشاندلر (Richard E . Chandler) وكيسيل شفارتز (Kessel Schwartz) «التاريخ الجديد للأدب الاسباني» (A New History Of Spanish Literature) (١٩٦١) .

- ر . و . جونـز(R . O . Jones) (اشراف) «تـاريخ اسبـانيا الادبـي» (A Literary History Of Spain) ويقع في ثمانية أجزاء (١٩٧١ - ١٩٧٢) ويكاد يعتبر من من أفضل الاعمال وجدير بالاطلاع عليه .

- جورج ت . نورثـوب (George T. Northup) « مقدمـة الى الادب الاسباني » (An Introduction to Spanish Literature) طبعة ثالثة راجعها نيكولسون ب آدامز (Nicholson B. Adams) (١٩٦٠) وهو تاريخ جيد جدير بالقراءة .

- اوبري ف . بيل(Aubrey F. Bell) ، « الادب البرتغالي » (Portuguese Literature) (١٩٢٢ ، واعيد طبعه عام ١٩٧٠) . وهو عمل جيد مزود بمراجـع واسعة .

- آرثر تيري(Arthur Terry) ، « الادب الكاتالاني »(Catalan Literature) (١٩٧٢) .

- هـ ف . ليفرمور (H.V. Livermore) و . ج انتويسـل(W.J. Entwistle) (اشراف) البرتغـال والبـرازيل : مقدمـة » (١٩٥٣)(Portugal ans Brazil: An Introduction) ويحتوي على ثبت بالمراجع الادبية للدراسات والترجمات من البرتغالية الى الانجليزية .

- ألفريد كويستر(Alfred Coester) ، « تاريخ الادب في امـريكا الاسبـاتية » (The Literary History of Spanish of Spanish America) طبعـة ثانية (١٩٢٨ ، واعيد طبعها عام ١٩٧١) .

- جان فرانكو (Jean Franco) « مقدمة الفي الادب الامـريكي الاسبانـي » (An Introduction to Spanish-American Literature) (١٩٦٩) وهـو دليل هام في الاعمال الادبية منذ ايام الاستعمار وحتى ايامنا هذه .

الآداب الالمانية والسويسرية والهولندية والأدب الافريكاني

- جيثـر وبيل (Jethro Bithell) ، ألمانيا : « كتـاب مرافـق للدراسـات الالمانية » (Germany: A Companion to German Studies) طبعة خامسـة منقحـة

(١٩٥٥) مجموعة من المقالات لعدد من الكتاب دراسة جيدة للخلفيات الأدبية .

ـ جون . ج . روبرتسون (John G. Robertson) « تاريخ الأدب الالماني » (A History of German Literature) « طبعة سادسة » ١٩٧٠ وهو مرجع هام يسهل التوصل الى التواريخ والحقائق .

ـ جيلبرت ووترهاوس (Gilbert Waterhouse) ، وأكمله هـ . م . ويدسون (H.M. Waidson) ، « مختصر تاريخ الادب الالمانـي » (A short History of German Literature) طبعة ثالثة منقحة (١٩٥٩) . وهو من أفضل الملخصات .

ـ اليكس ناثان (Alex Natan) ، « أدباء سويسرون » (١٩٧٠) . (Swiss Men of Letters) . وهو عبارة عن اثنتي عشرة مقالة تأتي على كل جوانب الأدب .

ـ تيودور ويفرز ، (Theodoor Weevers) ، شعر هولنـدا في مضمونـه الأوربـي عام ١٩٣٠ . (١٩٦٠) (Poetry of the Netherlands in Its European Context) .

ـ س . م فان دين هيفر (C.M. Van Den Heever) وتيودورج . هارهـوف (Theodore J. Haarhoff) ، منجـزات الافـريكان (The Achievement of Afrikaans) (١٩٣٤) . و« لغة الافريكان اصلها ونموها » (١٩٣٦) (Afrikaans: Its Origin and Development) .

الآداب السكندنافية

ـ ايلنياس ل . بريد دورف (Elias L. Bredsdorff) وبريتامورتنسـن (Brita Mortensen) ورونالد بوبرول (Ronald Popperwell) « مقدمة في الأدب السكندنافي منذ العصـور القديمة وحتـى يومنـا هذا » . (An Introduction to Scandinafian Literature, from the Earliest Times to Our Day) (١٩٥١) وهو دراسة مقتضبـة ومفيدة .

ـ هارالدبـاير (Harald Beyer) « تـاريخ الادب النرويجي » (A History of Norwegian Literature) (١٩٥٦) ولربمـا كانـت هذه أفضـل دراسـة باللغـة الانجليزية .

ـ الريك جوستافسون ، (Alrek Gustafson) « تاريخ الادب السويدي » (١٩٦١) (History of Swedish Literature) وهو أفضل ما كتب في التاريخ النقدي للأب بالانجليزية ، وهو مزود بملحق للمراجع فيليب م . ميتشل (Phillip M. Mitchell) « تاريخ الادب الدانمركي » (١٩٥٧) .

ـ ستيفان آينارسون (Stefan Einarsson) « (١٩٥٧) (A History of Islandic Literature) .

الأدب السلافي وآداب اوربا الشرقية

ـ موريس ب لاين (Maurice B. Line) « ثبت المراجع للأدب الروسي المترجم الى اللغة الانجليزية الى عام ١٩٠٠ » (A Bibliography of Russian Literature in English Translation to 1900) وقد صدر بدون الدوريات عام ١٩٦٣ .

ـ ويليام ادوارد هاكينز (William Edward Harkins) « قاموس الادب الروسي » (Dictionary of Russian Literature) صدر عام ١٩٥٦ واعيد طبعه عام ١٩٧١ .

ـ هيلين موشنيك ، (Helen Muchnic) « مقدمة في الأدب الروسي » (An Introduction to Russian Literature) طبعة عام منقحة عام (١٩٦٤) .

ـ تشيسلاف ميلوز (Czeslav Milosz) « تاريخ الأدب البولندي » (١٩٦٩) (The History of Polish Literature) وهو عمل ممتاز لشاعر بولندي ومؤ رخ في الأدب فذ .

ـ اليانور ادواردز ليدبتر (Eleanor Edwards Ledbetter) « الادب البولندي المترجم الى الانكليزية » (١٩٣٢) (Polish Literature un English Translation) .

ـ مانفريد كريدل (Manfred Kridl) « دراسة عامة للأدب والثقافة البولنديين » (١٩٥٦) (A Survey of Polish Literature and) .

ـ فرانتسـك شودوبـا (Franstisek Chudoba) ، Xulture » دراسـة موجـزة للأدب التشيكي « (A short Survey of Czech Literature) (١٩٢٤ ، اعيد طبعه ١٩٦٩) .

ـ بول سلفر (اشراف) (Paul Salver) » مقتطفات من الأدب التشيكي « (An Anthology of Czechoslovak Literature) (١٩٢٩ ، اعيد طبعه عام ١٩٦٩) .

ـ د . سيشمانوف (D. Shishmanov) » دراسة عامة في الأدب البلغاري « (A Survey of Bulgarian Literature) (١٩٣٢) .

ـ انطون باراك (Anton Barac) » تاريخ ادب يوغوسلافيا « (A History of Yugoslav Literature) (١٩٥٥) .

ـ هوراس لنت (Horace G. Lunt) » دراسة عامة في الأدب المكدوني « (A Survey of Macedonian Literature) (١٩٥٣) .

ـ يانكو لافرين (Janko Lavrin) وانطون سلودنياك (Anton Slodnjak) القمم الشعرية لأمة صغيرة مقتطفات من اشعار سلـوفينيا الغنـائية (The Pamassus of a small Nation: An Anthology of Slovene dyries) الاصدار الثاني عام ١٩٦٥ وهو عبارة عن ترجمات انكليزية مع مقدمة .

ـ بافل بوبـوفتش (Pavle Popovie) » ادب السـلافيين الجنـوبيين (١٩١٧) (The Literature of the Southern Slavs) .

ـ جاكوب شتاينبـرغ (Jacob Steinberg) (اشراف) » مقدمـة في الأدب الروماني « (Introduction to Rumanian Literature) (١٩٦٦) . وهو مقتطفـات من أحسن ما كتب في النثر لأربع وعشرين كاتباً .

ـ تيبور كلانيك زاي (Tibor Klaniczay) وجوزيف زودر (Joseph Szauder) وميكلوس زابولشي (Miklos Szabolesi) تاريخ الأدب الهنغاري (١٩٦٤) (History of Hungarian Literature) .

ـ هلمار هافـو (Hlmar Havu) ، » مقدمـة في الأدب الفنلنـدي : كتـاب

مطالعــات » (١٩٥٢) . (An Introduction to Finnish Literature: A Book of Readings) ويحوي ترجمات مع مقدمة وتعليقات .

أدب ارمينيا

- اي . آرش دوريان ، (E. Arch Dourian) ، « تـاريخ الأدب الارمنـي (١٩٣٣) . (The History of Armenian Literature) .

الأدب اليوناني واللاتيني

- يوليوس أ . بيور (Julius A. Bewer) ، « ادب العهد القـديم في تطـوره التاريخـــي » (The Literature of the Old Testament in Its Historical Development) ، طبقة ثالثة (١٩٦٢) .

- سانفورد س . يودر (Sanford C. Yoder) ، شعر العهد القديم (١٩٤٨) (Poetry of the Old Testament) وفيه مقدمـة مفيدة ومجموعـــة مختـــارة من شعـــر الانجيل .

- م . ج أندرســـون (M.J. Anderson) « المسرح الــكلاسيكي وتأثـــيره » (١٩٦٥) (Classical Drama and Its Influence) وهو عبارة عن مجموعة من المقالات بقلم علماء كبار بشمل مظاهر المسرح الكلاسيكي والمسرح الاوروبي .

- ج . و . أتكنز (J.W.H. Atkins) « النقد الأدبي في القـديم » (Literary Criticism Antiquity) ، الجــزء الثانـــي « النقـــد الرومانـــي اليونانـــي » (Graeco-Roman) (١٩٣٤) أعيد طبعه ١٩٦١ .

وربما اصبح قديماً بحاجة للتجديد الا انه دراسة شاملة تستحق الاهتمام .

- مارجريت بيبر (Margarete Bieber) « تاريخ المسرح اليوناني والروماني » (The History of the Greekand Roman Theatre) طبعة ثانية منفحة (١٩٦١) .

- جيبلبـــرت هاييت (Gilbert Highet) ، « التقـــاليد الــكلاسيكية » (١٩٤٩) ، (The Classical Tradition) . .

- ر . ر بولغار (R.R. Bolgar) ، التراث الكلاسيكية ومآثره » (١٩٥٤) . (The Classical Heritage and Its Beneficiaries) وهما عملان موثوقان يتتبعان التأثير الذي تركه الكتاب الكلاسيكين بعد موتهم .

موزز هاداس (Moses Hadas) « تاريخ الأدب اليوناني » (١٩٥٠) (A History of Greek Literature) وهو سرد مفيد .

- جيلبرت موراي (Gilbert Murray) « تاريخ ادب اليونان القديم » (١٨٩٧) واعيد طبعه عام ١٩٦٦ . وهو دليل عام بالرغم من تاريخ تأليفه .

- هربرت ج روز (انظر الأصل صفحة ٢٣٣ من النص المطبوع)

- سيربول هارفي (Sir Paul Harvey) (كتاب اكسفورد المرافق للأدب الكلاسيكي) ، (١٩٣٧) (The Oxford Companion to Classical Literature) وهو مرجع رئيسي .

- موريس بلات ناور (Maurice Platnauer) اشراف خمسون عاماً من الدراسات الكلاسيكية (Fifty Years of Classical Scholarship) (١٩٥٤) . ويضم مراجع هامة .

- س . م بورا (C. M. Bowra) ، « شعر اليونان الغنائي من الكهان حتى سيمونيدس » (Greek Lyric Poetry from Alcman to Simonides) (١٩٦١) . وهو دراسة مثيرة للجدل ولكنها تدل على تفهم عميق ، وله أيضاً كتاب بعنوان « علامات مميزة في الأدب الأغريقي » (Landmarks in Greek Literature) (١٩٦٦) .

- روبير فلاسولير (Robert Flaceliere) « تاريخ الأدب اليوناني » (A Literary History of Greece) (١٩٦٤) وهو دراسة عامة منظمة مقروءة للأدب القديم .

- روبرت جريفز (Robert Grauves) ، « الاساطير اليونانية » (The Greek Myths) ، جزءان طبع عام ١٩٥٧ . ويمتاز بعلمه وبوجهات نظر مؤلفه التأملية .

ـ موزز هاداس (انظر الاسماء الملحقة)

ـ هربـرت . ج . روز (Herbert J. Rose) « ملخص الأدب اليونانـي من عصره هو ميروس حتى فترة لوقيانوس » (A Handbook of Greek Literature from Homer to the Age of Lucian) ١٩٥٠ و« ملخص الأدب اللاتينـي من العصـــور القديمة حتى موت القديس اوغسطين » (A Handbook of Latin Literature from the Earliest Times to the Death of St. Augustine) طبعـــة ثالثـــة (١٩٥٤) وهما عملان موثوقان .

ويليام بير (William Beare) « المسرح الروماني » طبعة ثالثة منفحة (١٩٦٤) (The Roman Stage) وهو عمل موثوق حول المسرح في فترة الجمهورية .

ـ مايكل جرانت (Michael Grant) « الأدب الروماني » (١٩٥٤) (Roman Literature) وهو سرد مقتضب الا انه ممتاز .

ـ ويليام ا . ليدلـو (William A. Laidlaw) « الأدب اللاتينـــي » (١٩٥١) (Latin Literature) وهو مقدمة ممتازة .

ـ جون وايت داف (John Wight Duff) « تاريخ روما الأدبي » (A Literary History of Rome) طبعتان ثانية وثالثة ، نشرهما ا . م . داف (A.M. Duff) عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤ في مجلدين .

وهما مقدمة ممتازة تحوي دراسات شاملة وعالية الثقافة مع ملاحق المراجع .

العصور الوسطى

ـ هـ . م تشادويك (H. M. Chadwick) ، « عصر البطولة » (The Heroic Age) (١٩١٢) وأعيد طبعه ١٩٦٧ . وهو عبارة عن دراسة مقارنـة تشمـل آداب وثقافات اليونان والتوتون والسلاف والسلت .

ـ اي . ك . تشامبرز (E.K. Chambers) ، « مسرح العصور الوسطـى » (The Medieval Stage) ، (١٩٠٣) وهو جزءان ، ويعتبر مرجعاً هاماً .

ـ و . ت . هـ . جاكسون (W.T.H. Jackson) ، « أدب العصور الوسطى » (١٩٦٠) ، (The Literature of the Middle Ages) ويحوي مراجع مفيدة .

ـ تشارلز و . جونز (Charles W. Jones) اشراف « ادب العصور الوسطى المترجم » (١٩٥٠) (Medieval Literature in Translation) ويضم مقتطفات جيدة جديرة بالقراءة س . لوويس (C.S. Lewis) « مجاز الحب » (The Allegory of Love) (١٩٣٦) . وأعيد طبعه عام ١٩٥٨ . وهو دراسة نقدية جيدة للحب في البلاطات في أدب العصور الوسطى .

ـ روجر . س . لويس (Roger S. Loomis) « الادب الأرتري في العصور الوسطى » (١٩٥٩) (Arthurian Literature in the Middle Ages) وهو دراسة ممتازة .

أدب العصور الوسطى اللاتيني

ـ ارنست ر . كورتيوس (ERnest R. Curtius) « الأدب الاوروبي والعصور الوسطى اللاتينية » (European Literature and the Latin Middle Ages) (١٩٥٣) ، وهو دراسة هامة .

ـ تشارلز هـ . هاسكنز (Charles H. Haskins) « النهضة في القرن الثاني عشر » (The Renaissance of the Twelfth Century) (١٩٥٧) ، وهو عمل نموذجي .

ـ موريس هيلين (Maurice Helin) « تاريخ أدب العصور الوسطى اللاتينية » (A History of Medieval Latin Literature) طبعة منقحة (١٩٤٩) .

ـ م . ل . و . ليستنر (M.L.W. Laistner) « الفكر والأدب في أوروبا الغربية عام ٥٠٠ الى عام ٩٠٠ » (Thought and Letters in Western Europe, A.D. 500 to 900) ١٩٥٧ .

ـ فريدريك ا . رايت (Frederick A Wright) و ت . ا . سنكلـيـر (T.A. Sinclair) « تاريخ الأدب اللاتيني المتأخر منذ اواسط القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع عشر » (١٩٣١) (A History of Later Latin Literature from the Middle of the Fourth to the End of the Seventeenth Century) وهو دراسة عامة مفيدة .

الأدب الفرنسي

ـ جيسي كروزلاند (Jessie Crosland) « أدب فرنسا في العصور الوسطى » ، (١٩٥٦) (Medieval French Literature) .

ـ ماري د . ليج (Mary D. Legge) « الادب الأنجلو نورماندي وخلفيته » (١٩٦٣) (Anglo Norman Literature Its Background) .

الأدب الانكليزي

ـ ستانلي ب . جرينفيلـد (Stanley B. Greenfield) « تـاريخ نقـدي لأدب الانجليزية القديمة » (١٩٦٥) ، (A Critical History of Old English Literature) ويليام ب . كر (William P. Ker) ، أدب انكلترا في العصور الوسطى (Medieval English Literature) (١٩١٢) ، أعيد طبعـه عام (١٩٦٢) وهـو مقدمـة مسنـدة ومفيدة .

ـ ويليام ل . رنيويك (William L. Renwick) و هـ . اورتون ، (H. Orton) « مقدمـات في الأدب الانجليزي » (Introductions to English Literature) الجـزء الاول « بدايات الأدب الانجليزي حتى سكلتون عام ١٥٠٩ » (The Beginnings of English Literature to Skeltin) ، طبعة ثانية منقحـة (١٩٥٢) . وهـو كتـاب معتمد .

ـ ماجريت شلاوك ، (Margaret Schlauch) ، « أدب انجليترا في العصور الوسطـى » وأسســه الاجتماعية « (English Medieval Literature and Its Social Foundations) (١٩٥٦) ، وأعيد طبعه عام ١٩٧١ وهو مقدمة نقدية رائعة .

ـ كنيث سيزام (Kenneth Sisam) ، « دراسـات في تاريخ أدب الانجليزية القديمـة » (Studies in the History of Old English Literature) (١٩٥٣) . وهـو عمل نقدي جيد .

ـ جون اي . ويلز (John E. Wells) « ملخص عن الكتابات في الانجليزية الوسطى من عام ١٠٥٠ حتى عام ١٤٠٠ » (A MANUAL OF THE Writings in Middle English, 1050-1400) (١٩١٦) مع تسعة ملحقات وهـو عمـل يعتمـد به كمرجع . ويحوي قوائم شاملة وملخصات وأوصاف .

ـ دوروثي وايتلـوك (Dorothy Whitelock) . بدايات المجتمـع الانجلييزي (The Beginnings of English Society) الفصول ٩ و١٠ (١٩٥٢) . وهـو دراسـة خلفية مفيدة .

ـ ريتشـارد م . ويلسـون (Richard M. Wilson) « أدب اللغـة الانجليوية الوسطـى في مرحلتـه المبـكرة » طبعـة ثالثـة (١٩٦٨) (Early Middle English Literature) وهو عمل متقن . و« أدب انكلترا الضائـع في العصـور الوسطـى » (Lost Literature of Medieval England) (١٩٧٠) . وهــو عمــل كلاسيكي في المجال الذي يبحث فيه .

ـ شارلــز ل . رن ، (Charles L. Wrenn) « دراسـة في أدب الانجليزية القديمة » (١٩٦٧) (A Study of Old English Literature) وهو دراسة عامة ممتازة .

ـ دافيد م . زيمر (David M. Zesmer) ، « دليل الأدب الانجليزي من فترة بيوولف مروراً بتشوسر المسرح في العصور الوسطى » (١٩٦١) (Guide to English Literature from beowulf Through chaucer and Medieval Drama) .

ـ سانـت جون د . سيمـور (St. John D. Seymour) ، « الادب الانجلـو ايرلندي من عام ١٢٠٠ حتى عام ١٥٨٢ » ، (١٩٢٩) (Anglo-Irish Literature, 1200-1582)

الأدب السلتي

اليانورنوت (Eleanor Knott) وجيرار مورفي (Gerard Murphy) ، « أدب ايرلندا المكبر » (١٩٦٦) . (Early Irish Literature)

الأدب الألماني

- جون نايت بوستوك (John Knight Bostock) ، « ملخص حول أدب اللغة الألمانية الرفيعة القديمة » (١٩٥٥) (A Handbook on Old High German Literature) وهو مرجع رئيسي .

- موريس اوكونيل والش ، (Maurice O'connel Walshe) « أدب المانيا في العصور الوسطى » (Medieval German Literature) (١٩٦٢) . وهو مرجع مفيد جداً .

بول سالمون (Paul Salmon) « الأدب في المانيا في فترة العصور الوسطى » (Literature in Medieval Germany) (١٩٦٧) .

وهو أفضل مقدمة باللغة الانجليزية حول هذا الموضوع .

أدب اسكاندينافيا

- جابرييل تورفيل بيتر (Gabriel Turville-Petre) ، عصر اسكاندنيافيا البطولي » (The Heroie Age of Scandinavia) (١٩٥١) . و« أصول الأدب الايسلندي » (١٩٥٣) (Origins of Icelandic Literature)

الأدب الايطالي

- أدوولف ر . جاسباري (Adolf R. Gaspary) « تاريخ الأدب الايطالي المبكر حتى دانتي » (History of Early Italian Literature to the Death of Dante ترجم الى الانجليزية (١٩٠١)

الأدب الاسباني

ـ اوتيس هـ . جرين (Otis H. Green) « الفكر الأدبي لاسبانيا في العصور الوسطى وعصر النهضة » (١٩٧٠) (The Literary Mind of Medieval and REnaissance Spain) وهو يتألف من ١٢ مقالاً لعالم بارز .

ـ ا . د ديرموند (A.D. Deyermond) تاريخ الأدب في اسبانيا (A Literary History of Spain) « الجزء الأول » العصور الوسطى »(The Middle Ages) (١٩٧١) . وهو مقدمة جيدة مزودة بالمراجع .

أدب اليونان

ـ ف . هـ . مارشال (F.H. Marshall) وجون مافروجورداتول (John Mavrogordatol) « الادب البيزنطي »(Byzantine Literature) ، في « بيزنطة » (Byzantium) (١٩٤٨) تأليف ن . هـ . بينز (N. H. Baynes) و هـ . سانت ل . ب موس (H. St. L.B. Moss) .

الأدب الروسي

ـ ديمتري شزهفسكي (Dimitri Chizhevsky) « تاريخ الادب الروسي من القرن الحادي عشر حتى نهاية العصر الباروكي » (١٩٦٠) (History of Russian Literature, from, the Eleventh Century to the End of the Baroque) .

ـ ن . ك . جودسي ، (N.K. Gudzii) « تاريخ الأدب الروسي المبكر » (History of Early Russian Literature) ، الترجمة الانجليزية للطبعة الروسية الثانية (١٩٤٩ وأعيد طبعها عام ١٩٧٠) .

عصر النهضة

ـ ايرنست كاسيرر (Ernest Cassirer) وبول و . كريستلر (Paul O . Kristeller) وجون هـ . راندال (John H . Randall) «فلسفة الانسان في عصر

النهضـة» (١٩٤٨)(The Renaissance Philosophy Of Man) وهـو مجموعـة من المقتطفات من كتابات تعود الى فلاسفة النهضة .

- جوزيف أ . مـازيو(Joseph A . Mazzeo) «النهضـة والثـورة : اعـادة تكوين العقـل الاوروبـي»(Renaissance And Revolution : The Remaking Of European Thought) (١٩٦٦) وهو دراسة لخفيات الادب مفيدة .

- هنري و . تايلور(Henry O . Taylor) «الفكر والتعبير في القرن السادس عشر» (Thought And Expression In The Sixteenth Century) جزءآن (١٩٢٠) وأعيد طبعه عام ١٩٥٩ ، وهو كتاب معتمد وجيد .

الأدب اللاتيني

- روبرتو فايس(Roberto Weiss) «فجر الانسانية في ايطالي» (١٩٤٧)(The Dawn Of Humanism In Italy) و«الحركة الانسانية في انكلترا خلال القرن الخامس عشر» ، (Humanism In England During The Fifteenth Century) (١٩٤١) وهما من أفضل ما أنتج في هذه المواضيع .

الأدب الايطالي

- برنارد فاينبرغ(Bernard Weinberg) «تاريخ النقد الأدبي في عصر النهضة الايطـالية» (A History Of Literary Criticism In The Italian Renaissance) (١٩٦١) ، جزءآن ، وهو عمل لا بستغنى عنه لمن يهمه الموضوع .

جيفرسون ب . فليتشر(Jefferson B . Fletcher) «أدب النهضة الايطالية» (١٩٣٤) . (Literature Of The Italian Renaissance) .

ـ جون أ . سيمونــدز (John A . Symonds) «النهضــة في ايطــالي» (Renaissance In Italy) ويقع في سبعة أجزاء (١٨٧٥ ـ ١٨٨٦) والطبعات الأخيرة معتبرة وممتعة الا أنها تحتاج الى رفد باعمال تاريخية أكثر حداثة .

الأدب الفرنسي

ـ كاثلين باتلر (Kathleen Butler) «تاريخ الأدب الفـرنسي» (A History Of French Literature) (١٩٢٣) ، جزءآن . أعيد طبعه (١٩٦٦) .

ـ آرثـر أ . تيللي (Arthur A . Tilley) ، «أدب النهضــة الفــرنسية» (The Literature Of The French Renaissance) جزءآن (١٩٠٤) و«دراســات في عصر النهضة الفرنسية» (١٩٢٢) (Studies In The French Renaissance) .

ـ برنارد فاينبرغ (Bernard Weinberg) (اشراف) «الشعر الفـرنسي في عصر النهضة» (١٩٥٤) (French Poetry Of The Renaissance) وهو مرجـع للخلفيات جيد القراء .

الأدب الاسباني

ـ اوتيس هـ . جرين (Otis H . Green) «اسبانيا والتقاليد الغربية : الفكر القشتالي في الأدب من قصة السيد حتى كالديرون» أربعة أجزاء (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦) (Spain And The Western Tradition : The Castilian Mindin Literature Fram El Cid To Calderon) وهو كتاب جدير بالقراءة ومرجع موثوق .

ـ ر . و . جونـز (R . O . Jones) «تـاريخ اسبـانيا الأدبـي» (A Literary History Of Spain) الجزء الثالث «العصر الذهبي للنثر والشعر»: (The Golden Age : Prose And Poetry) (١٩٧١) . وهو مقدمة رائعة .

ـ ادوارد م . ويلسون(Edward M . Wilson) ودنكان موير(Duncan Moir) «العصر الذهبــي للدرامــا» (The Golden Age : Drama) (١٩٧١) وهــو قراءة اساسية .

الأدب الانكليزي والأنجلو ـ ايرلندي

ـ ميوريل سي . برادبروك(Muriel C . Bradbrook) نمو وبنية الملهاة في عصر اليزابيت (The Growth And Structure Of Elizabethan Comedy) (١٩٥٥) و«مـواضيع وتقــاليد المأســاة في عصر اليزابيت» (Themes And Conventions Of Elizabethan Tragedy) (١٩٣٥) وأعيد طبعه عام ١٩٥٧ ، ويعتبران من أحسن ما كتب من أعمال نقدية حول المسرح في تلك الفترة .

ـ دوجلاس بوش(Douglas Bush) «تقاليد النهضــة والمثيولــوجيا في الشعــر الانــكليزي» (Mythology And The Renaissance Tradition In English Poetry) طبعة ثانية (١٩٦٣) . وهو دراسة هامة .

ـ باتريك كراتويل(Patrick Cruttwell) «مرحلة شكسبير ومكانتها في شعــر القرن السابع عشر» (The Shakespearean Moment And Ets Place In The Poetry Of The 17 Th Century) (١٩٥٤) . وهو دراسة للفكر وطريقة التعبـير في نهـاية القرن السادس عشر ، والبحث ليس مقتصراً على شكسبير .

ـ مادلـين دوران(Madeleine Doran) ، «محـاولات في الفـن : دراســة في الشكل الأدبي في المسرح الاليزابيثي» (Endeavours Of Art : A Study Of Form In Elizabethan Drama) (١٩٥٤) ، وهو عمل رئيسي في النقد الأدبي حول الدراما .

ـ اونا م . ايليس فيرمور(Una M . Eliis — Fermor) ، «الدراما الجاكوبية» (The Jacobean Drama) ، طبعة رابعة (١٩٦١) ، وهو دراسة نقدية ممتازة .

ـ سي . س . لويس(C . S . Lewis)05 «أدب انكلترا في القـرن السـادس عشر بدون المسرحية» (English Literature In The Sixteenth Century Excluding Drama)

(١٩٥٤) . ولربما كان هذا أحسن مجلد في سلسلة «تاريخ اكسفورد للأدب الانكليزي»(Oxford History Of English Literature) وهو دراسة شاملة رائعة .

ـ فرانك ويلسون(Frank P . Wilson) «الأدب لاليزابيثي والجاكوبي» (Elizabethan And Jacobean) (١٩٤٦) . ويعالج مواضيع أدبية مختلفة .

ـ سنت جون د . سيمور(St . John D . Seymour) ، «الأدب الانجلو ايرلندي ١٢٠٠ ـ ١٥٨٢»(Anglo — Irish Literature) (١٩٢٩) .

الأدب الالماني

ـ ارتشر تيلور(Archer Taylor) «مسائل في تاريخ المانيا الأدبي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر» (١٩٣٩)(Problems In German Literary History Of The Fifteenth And Sixteenth Centuries) .

أدب القرن السابع عشر

ـ ماريو براز(Mario Praz) ، صدر اولاً بعنوان(Studi Sul Concettismo) جزأن (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ، والمترجم الى الانكليزية باسم «دراسات في الصور البديعية السائدة في القرن السابع عشر» ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨ (Studies In Seventeenth Century Imagery) . وهو عمل نموذجي قراءته ممتعة .

ـ جويل اي . سبنجارن(Joel E . Spingarn) ، «مقالات نقدية عن القرن السابع عشر» (Critical Essays Of The Seventeenth Century) ثلاثة أجزاء (١٩٠٩) وأعيد طبعه عام ١٩٥٧ . وفيه مجموعة جيلة من المقالات مع مقدمة نقدية طويلة .

الأدب الانكليزي والأدب الأمريكي

ـ كلينيت بروكس(Cleanth Brooks) «الوعاء المتقن الصنع»—(The Well Wrought Urn) (١٩٤٧) . وأعيد طبعه عام ١٩٦٣ وهو عبارة عن دراسات دقيقة لاعمال كتبها عدد من الكتاب بأشراف ناقد مرموق .

ـ دوجلاس بوش(Douglas Bush) ، «الأدب الانكليزي في أوائل القرن السابع عشر ١٦٠٠ ـ ١٦٦٠»(English Literature In The Earlier Seventeent Century) طبعة ثانية منقحة (١٩٦٢) . وهو عمل جيد مزود بمقدمات ومراجع .

ـ هـ . ف . د . دايسون (H . V . D . Dyson) وج . اي . بت (J . E . Butt) «اغسطيون وروما نطيقيون ، ١٦٨٩ ـ ١٨٣٠»(Augustans And Romantics, 1689 — 1830) (١٩٦١) طبعة ثالثة منقحة وهو مؤلف قياسي مزود بمقدمات وثبت بالمراجع مشروح .

ـ ت . س . اليوت(T . S . Eliot) «مقالات مختارة» طبعة ثالثة ، (١٩٥١) . وهو مرجع رئيسي بالنسبة لعصر النهضة والقرن السابع عشر .

ـ هـ . ج . سي . جريرسون (H . J . C . Grierson) ، «التيارات المتعاكسة في الأدب الانكليزي في القرن السابع عشر» (١٩٥٨) ، —(Cross Currents In 17 Th Century English Literature) وهو دراسة لا غنى عنها .

ـ فيكتور ي . هاريس(Victor I . Harris) «انتهى كل ترابط»(All Coherence Gone) (١٩٤٩) ، وأعيد طبعه عام ٩١٦٦ ، ويدور حول الخلفية الفلسفية .

ـ ريتشارد ف . جونز(Richard F . Jones) «القرن السابع عشر : دراسات في تاريخ الفكر والأدب الانكليزي من بيكون وحتى بوب» (١٩٦٥)(The Seventeenth Century : Studies In The History Of English Thought And Literature From Bacon To Pope) وهو دراسة جيدة للخلفية الفلسفية والمواقف حول الاسلوب .

- لويس ل . مارتـز (Louis L. Martz) «شعـر التأمـل» (The Poetry Of Meditation) (١٩٥٤) ، وهـو عمـل نقـدي ممتـع حول الشعـر الميتافيزيقـي والباروكي .

- مارجـوري هـ . نيكلسـون (Marjorie H. Nicolson) «العلـم والخيال» (Science And Imagination) (١٩٥٦) .

- جيمس ر . سوذرلانـد (James R. Sutherland) «الأدب الانـكليزي في أواخـر القـرن السابـع عشر» (English Literature Of The Late Seventeenth Century) (١٩٦٩) ، ويحتوي على ثبت جيد بالمراجع .

- أي . م . و . تيليارد (E. M. W. Tillyard) «الصـورة الاليزابيثية للعالم» (The Elizabethan World Picture) (؟ذ!ظ) ، وأعيد طبعه عام ١٩٦٦ ، وهو ذو منهج قديم الا انه يعتبر قراءة جيدة للخلفية الادبية .

- روزمونـد توف (Rosemond Tuve) «الصـور البـديعية الاليزابيتية والميتافيزيقية» (Elizabethan And Metaphusical Imagery) (١٩٤٧) وهو أفضل ما كتب في هذا الموضوع .

- سيسيلي ف . ويدجوود (Cicely V. Wedgwood) «الأدب الانكليزي في القرن السابع عشر» (Seventeenth — Century English Literature) طبعة منقحة ، (١٩٧٠) ، وهو دراسية قصيرة شاملة .

- باسيل ويللي ، (Basil Willey) «الخلفـة الفلسـفية للقـرن السـابععشر» (The Seventeenth Century Background) (١٩٣٤) وهو دراسة ممتازة حول الخلفة الفلسفية .

- بيري ج . ميللر (Perry G. Miller) «فكر نيوانكلانـد من المستعمـرة الى المقاطعــة» (The New England Mind : From Colony To Province) (١٩٥٣) ، و«فـكر نيوانكلانـد : القـرن السابـع عشر» (The New England Mind : The Seventeenth Century) (١٩٣٩) وأعيد طبعـه عام ١٩٦١ ، وهما مرجعـان موثوقان .

الأدب الفرنسي

- أنطوان آدام(Antoine Adam) ، العظمة والخيال : دراسة في الأدب الفرنسي والمجتمع ١٦٠٠ - ١٧١٥ وقد ترجم الى الانجليزية عام ١٩٧٢ ، (Grandeur And Illusien : French Literature And Society) وهو دراسة شاملة وتاريخ متعمق لادب الفترة .

- ناتان اديلمان(Nathan Edelman) (اشراف) «ثبت نقدي بالمراجع في الأدب الفرنسي»(A Critical Bibliography Of Freuch Literature) ، الجزء الثالث «القرن السابع عشر»(The Seventeenth Century) (١٩٦١) .

- جان جاك ديموريه(Jean Jacques Demorest) ، «دراسات في أدب فرنسا في القرن السابع عشر»(Studies In Seventeenth — Century French Literature) (١٩٦٢) .

- ويليام د . هيوراث(William D . Howarth) «تاريخ أدب المسرح الفرنسي في القرن السابع عشر» (A History Of French Dramatic Literature In The Seventeenth Century) ويقع في تسعة أجزاء (١٩٢٩ - ١٩٤٢) وأعيد طبعه عام ١٩٦٦ .

- فيليب ج يارة(Philip J . Yarrow) «تاريخ الأدب الفرنسي» (A Literary History Of France) «الجزء تلثاني» القرن السابع عشر بين ١٦٠٠ - ١٧١٥ (The Seventeenth Century, 1600 — 1715) (١٩٦٧) وهو قراءة جيدة للخلفية .

الأدب الالماني

- روي باسكال(Roy Pascal) «الأدب الالماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر» (١٩٦٨) ، (German Literature In The Sixteenth And Seventeenth Centuries) وهو أحسن مقدمة لهذه الفترة باللغة الانكليزية .

القرن الثامن عشر

- ليليان ر . فيرست(Lilian R . Furst) «الابـداعية كما تتبـدى لعلاقاتهـا» (Romanticism In Perspective) ١٩٦٩ عن الحركة الابـداعية في فرنسـا وانكلتـرا والمانيا .

- جون ب . هولستيد (John B . Halsted) (اشراف) «الابـداعية» (Romanticism) (١٩٦٩) مجموعة من المقتطفات والمقالات الهامـة كتبهـا عدد من الشخصيات القيادية البارزة في الحركة الابداعية في اوروبا الغـربية ، مع مقدمـة طويلة وجدول زمني .

- بول هازار ، (Paul Hazard) «الفكر الاوروبي في القرن الثامن عشر عام» ١٩٦٣ (European Thought In The Eighteenth Century) .

- دانييل مورنييه(Daniel Mornet) ، تطور الأدب والثقافة في القرن الثامن عشر عام (The Development Of Literature And Culture In The XvIIIth Century) (١٩٥٤) . وهو دراسة شاملة .

- شاملـة ماريو براز(Mario Praz) «العـذاب الابداعـي طبعـة ثانية عام ١٩٧٠ . عمل رائع ويعتبر الآن مصدراً موثوقاً في هذا الحقل .

- جون ج . روبرتسون(John G . Robertson) ، «دراسـات حول نشـوء النظرية الابداعية في القرن الثامن عشر» (Studies In The Genesis Of Romantic Theory In The Eighteenth Century) (١٩٢٣) وقد أعيد طبعه عام ١٩٦٢ .

الآداب الانكليزية والاسكتلندية والامريكية

- جيمس ل . كلبفورد(James L . Clifford) (اشراف) «الأدب الانكليزي في القرن الثامن عشر : مقالات حديثة في النقد» (Eighteenth — Century English Literature : Modern Essays In Criticism) (١٩٥٩) ويتألف من احدى وعشرين مقالة حديثة .

ـ هـ . ف . دايسون (H . V . Dyson) وج . إي . بت (J . E . Butt) «الاغسطيون والابداعيون من ١٦٨٩ ـ ١٨٣٠» (Augustans And Romantics, 1689 — 1830) طبعة ثالثة منقحة (١٩٦١) مع مقدمات وبيان نقدي بالكتب المتصلة بالموضوع والتعليق بالحواشي عليها .

ـ آرثر ر . همفريز (Arthur R . Humphreys) عالم الاغسطيين : الحياة والأدب في انكلترا في القرن الثامن عشر» (The Augustan World : Life And Letters In Eighteenth Century England) (١٩٥٤) .

ـ ساموبل جونسون (Samuel Johnson) «حياة الشعراء الانكليز» (Lives Of The English Poets) ويقع في أربعة أجزاء (١٧٨١) طبعة قياسية باشراف جورج بيربك هل (George Birkbeck Hill) في ثلاثة أجزاء عام ١٩٠٥ ، أعيد طبعها عام ١٩٦٨ . ويعتبر من أفضل الاعمال النقدية عن تلك الفترة .

ـ مارجوري هـ . نيكولسون (Marjorie H . Nicolson) ، «نيوتن يطلب عروس الشعر» (Newton Demands The Mase) (١٩٤٦) يبحث في تأثيرات العلم على الأدب .

ـ وبنامي دوبريه (Bonamy Dobree) الأدب الانكليزية في مطلع القرن الثامن عشر : ١٧٠٠ ـ ١٧٤٠ (English Literature In The Garly Eighteenth Century, 1700 — 1740) (١٩٥٩) وتحتوي على بيان شامل بالكتب المتصلة بالموضوع .

ـ جورج شيربورن (George Sherburn) و . د . ف . بوند (D . F . Bond) «اعادة الملكية والقرن الثامن عشر ١٦٦٠ ـ ١٧٨٩» (The Restoration And Eighteenth Century, 1660 — 1789) طبعة منقحة (١٩٦٧) وهو كتيب جيد .

ـ ايان ب . وات (Ian P . Watt) «نشوء الرواية» (١٩٥٧) (The Rise Of The Novel) مع مقدمة جيدة ، خصوصاً عن ديفو (Defoe) وريتشادرسون (Richardson) وفيلدنج (Fielding) . .

- باسيل ويللي (Basil Willey) ، «خلفيات القـرن الثامـن عشر» (The Eighteenth Century Background) (١٩٤١) ، وهـو عمـل رئيسي عن خلفيات الفترة .

- دافيد كريج (David Craig) «الأدب الاسكتلندي والشعـب الاسكتلنـدي ١٦٨٠ - ١٨٣٠» (Scottish Literature And The Scottish People) (١٩٦١) وهو دراسة شاملة جيدة ومفيدة .

- موزز سي تايلـر (Moses C . Tyler) «تـاريخ الأدب الامـريكي ١٦٠٧ - ١٧٦٥» (A History Of American Literature 1607 — 1765) ويقـع في مجلـديق (١٨٧٩) و«التـاريخ الادبـي للثـورة الامـريكية ١٧٦٣ - ١٧٨٣» (The Literary History Of The American Revolution, 1763 — 1783 ويقـع في مجلـدين أيضـاً ١٨٩٧ وقد أعيد طبع الكتابين عام ١٩٦٦ . وهما دراسة تاريخية مفيدة عن فتـرة المستعمرات والجمهورية في أول عهدها .

الأدب الفرنسي

- ارنست كاسيرر (Ernest Cassirer) «فلسفة حركة التنوير» عام ١٩٥١ (The Philosophy Of The Enlightenment) .

- ليستـر ج . كروكر (Lester G . Crocker) «عصر الأزمـة» (The Age Of Crisis) (١٩٥٩) .

- جورج ر . هيفنز (George R . Havens) «عصر الافـكار» (The Age Of Ideas) (١٩٥٥) ، وهو تقرير ممتع عن الفترة ، الدراسة فيه من خلال تراجم .

- روبرت نيكلاوس (Robert Niklaus) «تاريخ فرنسـا الأدبـي» (A Literary History Of France) ، الجزء الثالث ، «القرن الثامن عشر ١٧١٥ - ١٧٨٩» (The Eighteenth Century, 1715 — 1789) (١٩٧٠) وهو عمل عام جيد .

الادب الألماني

- والتر هـ . بروفورد(Walter H . Bruford) «المانيا في القرن الثامن عشر : الخلفية الاجتماعية للاحياء الادبية» (Germany In The Eighteenth Century : The Sacal Background) (١٩٣٥ ، وأعيد طبعه عام ١٩٥٩) وهو عمل شامل جدير بالثناء .

- هنري ب . جارلاند(Henry B . Garland) ، «العاصفة والضغط» (Storm And Stress) (١٩٥٢) مع مقدمة وافية .

- وليام د . روبسون سكوت (William D . Robson — Scott) الخلفية الأدبية للاحياء القوطي في المانيا : فصل في تاريخ الذوق الأدبي (The Literary Background Of The Gothic Revival In Germany : A Chapter In The History Of Taste) (١٩٦٥) وهو كتاب عن تاريخ الفن بالاضافة الى تاريخ الأدب .

- ارنست ل . ستال (Ernst Stahl) وو . ي . يول (W . E . Yuill) «الأدب الالماني في القرنين الثامن والتاسع عشر» (German Literature Of The Eighteenth And Nineteenth Centuries) ١٩٧٠(أفضل مدخل بالانكليزية» .

الأدب الايطالي

- فيوليت باجيت(Violet Paget) ، «دراسات عن القرن الثامن عشر في ايطالي» (Studies Of The Eighteenth Century In Italy) طبعة ثانية (١٩٠٧) .

الأدب الاسباني

- روبرت ي . بيليسية(Robert E . Pellisier) «حركة الاتباعية الجديدة في اسبانيا خلال القرن الثامن عشر» (The Neo — Classic Movement In Spain During The XVIIIth Century) (١٩١٨) .

- نيجل جلندنبخ(Nigei Glendinning) «تاريخ اسبانيا الادبي» (A Literary

(The Eighteenth Century) «القرن الثامن عشر» الجزء الرابع History Of Spain)
(١٩٧٢) وهو دراسة شاملة ممتازة .

القرن التاسع عشر

- جورج براندس (Georg Brandes) «الارواح الخلاقة في القرن التاسع عشر» (Creative Spirits Of The Nineteenth Century) ١٩٢٣ وأعيد طبعه عام ١٩٦٧ .

- بنديتو كروتشه (Benedetto Croce) «الأدب الاوروبي في القرن التاسع عشر» (European Literature In The Nineteenth Century) ١٩٢٤ وأعيد طبعه عام ١٩٦٧ . جانكو لافرن ، مظاهر .

- جانكو لافرن (Janko Lavrin) «مظاهر من وايلد الى بيراندللو» (Aspects Of Modernism : From Wilde To Pirandello) ١٩٣٥ وأعيد طبعه عام ١٩٦٨ .

- جون لوكاس (John Lucas) (اشراف) «الأدب والسياسة في القرن التاسع عشر» (Literature And Politics In The Nineteenth Century) (١٩٧١) .

الأدب الانكليزي والأدب الامريكي

- ميير هـ . ابرامز (Meyer H . Abrams) ، المرآة والمصباح : النظرية الابداعية والتقليد النقدي (The Mirror And The Lamp : Romantic Theory And The Critical Tradition) (١٩٥٣) وهو دراسة عن النظرية النقدية الابداعية ، مع الانتباه الى جذورها الالمانية .

- ريتشارد د . ألتيك (Richard D . Altick) «الناس والأفكار في العصر الفيكتوري» (Victorian People And Ideas) (١٩٧٢) .

- و . التون (O . Elton) «دراسة شاملة للأدب الانكليزي» ١٧٨٠ - ١٨٢٠ (A Survey Of English Literature 1780 — 1830) ويقع في مجلدين (طـظ!ظ(و«دراسة شاملة للأدب الانكليزي ١٨٣٠ - ١٨٨٠» (A Survey Of English

(Literature, 1830 — 1880 ويقع في مجلدين (١٩٢٠) ويعالج كل كاتب على حدة بدلاً من ان يكون دراسة شاملة عامة .

ـ والتر ي . هوتـون (Walter E . Houghton) الاطـار الفـكري في العصر الفيكتـــوري ١٨٣٠ ـ ١٨٧٠ (The Victorian Frame Of Mind 1830 — 1870) (١٩٥٧) وهو دراسة شاملة مفيدة .

ـ فرانـك ر . ليفيز (F . R . Leavis) «اعـادة تقييم : التقليد والتطـوير في الشعـــر الانـــكليزي» (Revaluation : Tradition And Developmant In English Poetry) (١٩٣٦) وأعيد طبعه عام ١٩٦٣ . وهو عمل نقدي هام .

ـ ويخصص «تاريخ اكسفورد عن الأدب الانكليزي» (The Oxford History Of English Literature) ثلاثة أجزاء لهذه الفترة المجلد التاسع «١٧٨٩ ـ ١٨١٥» (١٩٦٣) ، والمجلد العاشر «١٨١٥ ـ ١٨٣٢» (١٩٦٤) والمجلد الحادي عشر عن العصر الفيكتوري . وهو مفيد كمسح دراسي ولكن أهميته النقدية ضعيفة .

ـ ج . ويلسون نايت ، (G . Wilson Knight) «القبة المضاءة بالنجوم» (The Starlit Dome) (١٩٤١) عمل نقدي ممتاز عن الابداعيين .

ـ جورج م . يونج (George M . Young) «انجلترا في العصر الفيكتوري : صورة عن العصر» (Victorian England : «ortrait Of And Age) طبعـــة ثانية (١٩٦٠) وهو عمل معتمد .

ـ فرانسيس و . ماتياسن (Francis O . Matthiessen) «النهضة الامـريكية» (American Renaissance) (١٩٤١) وأعيد طبعه عام ١٩٦٨ . وهو عمل مهم لما فيه من دراسة عن الكتاب الرئيسيين في تلك الفترة .

ـ جاي مارتن (Jay Martin) ، «حصاد التغيير : الأدب الامريكي ، ١٨٦٥ ـ ١٩١٤» (Harvests Of Change : American Literature, 1865 — 1914) (١٩٦٧) وهو دراسة نافعة .

ـ آرثر هـ . كوين (Arthur H . Quinn) ، «تاريخ المسرحية منذ البدء وحتى

الحرب الاهلية» (A History Of The American Drama From The Beginning To The Civil War) (١٩٢٣) و«تاريخ المسرحية الامريكية منذ الحرب الاهلية وحتى يومنا هذا» (A History Of The American Drama From The Civil War To The Present Day) طبعة معدلة (١٩٣٦) وأعيد طبعه عام ١٩٦٤ وهو افضل معالجة شاملة للموضوع .

- ماريو براز (Mario Praz) «أفول نجم البطل في الأدب القصصي الفيكتوري » (The Hero in Eclipse in Victorian Fiction) (١٩٥٦) .

الأدب الفرنسي

- باتريك ي. شارفيه (Patrick E. Charvet) ، تاريخ فرنسا الأدبي (A Literary of France) « الجزء الرابع » القرن التاسع عشر ١٧٨٩ - ١٨٧٠ (The Nineteenth 1789 — 1870) (١٩٦٧) . وهو مدخل جيد للموضوع جدير بالقراءة .

- مرسيل ريمون (Marcel Raymond) . « من بودلير وحتى السريالية » (From Baudelaire to Surrealism) طبعة منقحة (١٩٥٧) وهو أعظم معالجة نقدية لتلك الفترة باللغة الانجليزية .

- ألبير تيبوديه (Albert Thibaudet) « تاريخ الأدب الفرنسي من عام ١٧٨٩ حتى الوقت الحاضر » (Histoire de la littèrature française de 1789 à nos jours) (١٩٣٨) ويعتبر أفضل تاريخ نقدي.

الأدب الالماني

- جورج براندس (Georg Brandes) الترجمة الانكليزية بعنوان « التيارات الرئيسية في أدب القرن التاسع عشر » (Main currents in 19 th Century Literature) ، المجلد السادس « المانيا الفتية » (١٩٠١ - ١٩٠٥) (The Yong Germany 1901 — 1905) وهو عامل شامل وأساسي في الأدب الأوربي المقارن .

. رونالد ب. جراي (Ronald D. Gray) « التقليد الالماني في الأدب ١٨٧١ ـ ١٩٤٥ » (The German Tradition in Literature, 1871 — 1945) (١٩٦٥) وهو دراسة ممتعة مع اشارة خاصة الى المؤلفين الجدد توماس مان ورينيه ماريا ريلكه .

الأدب الايطالي

ـ انطونيو كيبيتشو (Antonio Cippico) « العصر الابداعي في الأدب الايطالي » (The Romantic Age in Italian Literature) (١٩١٨) .

الأدب الاسباني

ـ انطونيو كيبيتشو (Antonio Cippico)

الأدب الاسباني

ـ دونالد ل. شو (Donald L. Shaw) « تاريخ اسبانيا الأدبي » (A Literary History of Spain) ، الجزء الخامس ، « القرن التاسع عشر » (The Nineteeth Century) (١٩٧٢) وهو دراسة شاملة جيدة .

ـ ادجار ا. بيرز (Edgar A. Peers) « تاريخ الحركة الابداعية في اسبانيا » (A History of the Romanric Movements in Spain) جزءآن (١٩٤٠) وله طبعة موجزة عام ١٩٥٠ . وهو دراسة شاملة .

الأدب الاسكنديناڤي

ـ برايان و. داونز (Brian W. Downs) « الأدب النرويجي الحديث ١٨٦٠ ـ ١٩١٨ » (Modern Norwejian Literature, 1860 — 1918) (١٩٦٦). أول كتاب بالانجليزية عن الفترة الاتباعية ، وهو دراسة ممتازة مع المصادر المعتمدة .

- ريتشارد بك (Richard Beck) « تاريخ الشعراء الايسلانديين من ١٨٠٠ الى ١٩٤٠ » (١٩٥٠) (History of Icelandic Poets, 1800 — 1940) .

- ستيفان اينارسون (Stefan Einarsson) « تاريخ كتّاب النثر الايسلانديين » (من ١٨٠٠ الى ١٩٤٠) (١٩٤٨) . (Hustory of Ocelandic Prose Writers, 1800 — 1940) .

الأدب الروسي والأدب البولندي

- م آي اولجن (M. I. Olgin) « الدليل الى الأدب الروسي ١٨٢٠ - ١٩١٧ » (A Guide to Russian Literature, 1820 — 1917) (١٩٢٠) وأعيد طبعه عام ١٩٧١ .

- جوليان كرزايزانوفسكي (Julin Krzyzanowski) « الأدب البولندي الابداعي » (Polish Romantic Literature) (١٩٣٠) .

القرن العشرون

- اريك اورباخ (Erich Auerbach) ، « المحاكاة » (Mimesis) (١٩٤٦ ، والمترجم الى الانجليزية عام ١٩٥٣) . وهو كتاب يتتبع تطور الواقعية من العصور القديمة وحتى الحديثة .

- كلينث بروكس (Cleanth Brooks) وروبرت بن وارين (Robert Penn Warren) (أشراف على التحرير « فهم الشعر » (Understanding Poetry) « الطبعة الثالثة » (١٩٦٠) . و « فهم الأدب القصصي » (Understanding Fiction) الطبعة الثانية (١٩٥٩) وكلينث بروكس وروبرت ب. هيلمان (Robert B. Heilman) « فهم المسرحية » (Understanding Drama) طبعة منقحة (١٩٤٨) وهي كتب مختارات مع تحليل للنصوص ، ومقدمات ثمينة ، خصوصاً في دراسة الكتابة الحديثة ، مع انها غير محددة بالأدب في القرن العشرين .

- جورجي لوكاكس (Gyorgy Lukacs) « دراسات في الواقعية الأوروبية » (Studies in European Realism) (١٩٥٠) وهو عمل هام لناقد ماركسي بارز .

- رينيه ويليك (Rene Wellek) وأوستن وارن (Austen Warren) « نظرية الأدب » (Theory of Literature) الطبعة الثالثة (١٩٦٣) . وهو عمل نظري عام ، يفيد خصوصاً كدليل للأدب الحديث .

- كلود مورياك (Claude Mauriac) « الأدب الجديد » (The New Literature) (١٩٥٩) .

- ستيفن سبندر (Stephen Spender) « صراع المحدث » (The Strugsle of the Modem) (١٩٦٣).

- ادموند ولسون (Edmond Wilson) « حصن اكسل » (Axel's Castle) (١٩٣١) و « المفكرون مرات ثلاث » (Triple Thinkers) طبعة منقحة عام ١٩٤٨ .

الآداب الانجليزية والأوسترالية والجنوب افريقية والأمريكية

- والتر ألين (Walter E. Allen) « التقليد والحلم » (Tradition and Dream) (١٩٦٤) وهو يغطس الأدب القصصي بعد ١٩٢٠ . جيروم هـ. بكلي .

- جيروم هـ. بكلي (Jerome H. Buckley) « المزاج الفيكتوري » (The Victorian Temper) وهو دراسة نقدية شاملة . أنظر أيضاً تتمته في « انتصار الزمن » (The Trimph of Time) (١٩٦٦) .

- دافيد ديتشيز (David Daiches) ، « العصر الحاضر بعد ١٩٢٠ » (The Present Age After 1920) طبعة منقحة (١٩٥٨) . وهو كتيب مفيد .

- ريتشارد المان (Richard Ellmann) وتشارلز فيديلسون (Charles Feidelson) (اشراف على التحرير) « التقليد الحديث : خلفيات الأدب الا

الحـديث » (The Modern Tradition: Bockgrounds of Modern Literature)
(١٩٦٥) مناقشات حول الشخصيات الأدبية الرئيسية .

- جورج س. فريزر (George s. Fraser) « الكاتب الحديث وعالمه » (The Modern Writer and His World) طبعة منقحة (١٩٦٤) وهو دليل نقدي ممتاز.

- فرانك ر. ليفيز (F.R.Leavis) «احتمالات جديدة في الشعر الانجليزي» (New Bearings in English Poetry) طبعة منقحة (١٩٥٠) . مع مقدمة حافزة .
مقدمة حافزة .

- جون ر. تايلر (John R. Taylor) « الغضب وما بعد » (Anger and After) طبعة منقحة (١٩٦٣). وهو كتاب يعالج المسرحية الانكليزية المعاصرة.

- أليك د. هوب (Alec D. Hope) « الأدب الأوسترالي ١٩٥٠ - ١٩٦٢ » (Australian Literature, 1950 — 1962) وهو دراسة شاملة كتبها شاعر أوسترالي بارز.

- نادين جورديمار (Nadine Gordimer) وليونيد ابراهامز (Lionel Abrahames) (اشراف على التحرير) « الكتابة اليوم في جنوب افريقيا » (South African Writing Today) (١٩٦٧) .

- ألفريد كازين (Alfred Kazin) « على أسس قومية : شرح للأدب النثري الأمريكي المعاصر » (On Native Grounds: An Interpretation of Modern American Prose Literature) طبعة منقحة (١٩٦٥) وهو تاريخ نقدي مفيد جدير بالقراءة. هنريك سترومان ، الأدب الأمريكي في القرن العشرين » الطبعة الثالثة (١٩٦٥).

- ويلارد ثورب (Willard Thorp) « الكتابة الأمريكية في القرن العشرين » (American Writing in the Twentieth Century) (١٩٦٠) .

- بول وست (Paul West) ، « الرواية الحديثة » (The Modern Novel) الطبعة الثانية ، وتقع في مجلدين (١٩٦٥). وهو دراسة شاملة للكتابة الأوروبية والأمريكية منذ عام ١٩٠٠ .

ـ مورثون د. زابل (Morton D. Zabel) (اشراف) ، « الآراء الأدبية في امريكا » (Litarary Opinion in America) طبعة منقحة (١٩٥١) .

الأدب الفرنسي

ـ جون فلتشير (Joh, Fletcher) (اشراف) ، « القوى المؤثرة في المسرحية الفرنسية الحديثة » (Forces in Modern French Drama) (١٩٧٢).

ـ موريس نادو (Maurice Nadeau) « تاريخ السريالية » (The History of Surrealism) (١٩٦٥) مع ثبت للمراجع ومقتطفات من المؤلفين السرياليين والمراجعات والبيانات .

ـ جوستين اوبرايان (Justin O'brien) « الأدب الفرنسي المعاصر » (Contemporary) (١٩٧١) وهو مقالات في مواضيع مختلفة .

ـ والاس فولي (Wallace Fowlie) « المرشد الى الأدب الفرنسي المعاصر من فاليري الى سارتر » (A Guide to Comtemporary Frech Literature from Valêry to Saryre) (١٩٦٥) .

ـ جون سايمون (John Simon) « النقد الفرنسي الحديث » (Modern French Criticism) (١٩٧٢) .

الأدب الايطالي

ـ لاندر ماكلنتوك (Lander MacClintock) عصر بيرانديللو (١٩٥١) (The Age of Pirandello) .

ـ سيرجيو باسيفيشي (Sergio Pacifici) « المرشد الى الأدب الايطالي المعاصر : من المستقبلية الى الواقعية الجديدة » (A Guide to Contemporary Italian Literature: From Futurism to Neorealism) (١٩٦٢) .

الأدب الاسباني وأدب أمريكا اللاتينية

ـ بول إلي (Paul Ilie) « النهــج السريالي في الأدب الاسبانــي » (The Surrealist Mode in Spanish Literature) (١٩٦٨). تقرير مفيد، وأول بحث في السيريالية الاسبانية.

ـ ج . ج . براون (G. G. Brown) « تــاريخ اسبــانيا الأدبــي » (الجــزء السادس) « القرن العشرين » (The Twentieth Century) (١٩٧٢).

وهو واحد من أحدث وأشمل الدراسات .

ـ جون م. كوهن (John M. Cohen) (اشراف على التحرير) ، « الكتابة في امــريكا الــلاتينية اليوم » (Latin American Writing Today) (١٩٦٧) . ترجمات من النثر والشعر بالاسبانية والبرتغالية عن الأرجنتينية والبرازيلية والشيلية والكولومبية والكوبية والمكسيكية والبيروفية والأوروغوانية .

ـ جون ا. نيست (John A. Nist) « الحركة الحديثة في البرازيل : دراسة ادبية » (the Modernist Movement in Brazil A Literature Atudy) (١٩٦٧) . وهو دراسة شاملة .

الأدب الالماني

ـ جتيرو بيتيل (Jethro Bithell) « الأدب الالماني الحديث ١٨٨٠ ـ ١٩٥٠ » (Modern German Literature, 1880 — 1950) طبعـة ثالثـة (١٩٥٩). وهـو من أعمال المصادر المفيدة من الطبيعية الى السريالية ، ويتضمن كتاب ما بعد الحرب في النمسا.

ـ اوجســت كلــوس (Augest Closs) (اشراف) « مقدمــات الى الأدب الالماني » (Introductions to German Literature) الجزء الرابع « الأدب الالماني في القــرن العشرين » (Twentieth Crntury German Literature) (١٩٦٩). وهــو أفضل تقديم باللغة الانكليزية .

ـ والتـر هـ. سوكيل (Walter H. Soke) الكتـاب في تطرفهـم : المذهـب التعبـيري في الأدب الالمانـي في القـرن العشرين «The Writer in Extremis: (Expressionism in Twentrith — Century German Literature) (١٩٥٩).

الأدب البلجيكي

ـ فيرنـون مالينسـون (Vernon Mallinson) « الأدب البلجيكي الحـديث » ١٨٣٠ ـ ١٩٦٠ « (Modern Belgian Literature) (١٩٦٦) .

الأدب الاسكندنافي

ـ هيلجـي ج. توبسـو ـ جنسـن (Helge G. Topsoe — Jensen) « الأدب الاسكندنـافي من برانـدس حتـى يومنـا هذا «(Scandinavian Literature from Brandes to Our Day) (١٩٢٩) .

الأدب السلافي والآداب الأوروبية الشرقية

ـ ماكس هيوارد (Max Hayward) وليوبولـد لابيدز (Leopold Labedz) (اشراف على التحرير) ، « الأدب والثـورة في روسيا السـوفيتية من ١٩١٧ الى ١٩٦٢ « (Literature and Revolution in Soviet Russia, 1917 — 1962) (١٩٦٣).

ويستند الى مساهمات في ندوة عقدت في اوكسفورد عام ١٩٦٢، ويشتمـل على مقدمة هامة تعتبر دراسة شاملة للفترة .

ـ فلاديمير ماركوف (Vladimir Markov) « المستقبلية في روسيا «(Russian Futurism) (١٩٦٩) .

أول دراسة من نوعها ، وهو كتال يجدر الاطلاع عليه .

ـ مارك ل. سلـونيم (Mark L. Slonim) « الأدب الـروسي السوفيتـي :

الكتّـاب والمشـاكل ١٩١٧ - ١٩٦٧ » (Soviet Russian Literature: Writers and Problems, 1917 — 1967) طبعة جديدة ١٩٦٧ .

وهو دراسة شاملة مع تقييم نقدي وملاحظات حول المراجع .

- جليب ستـروف (Gleb Struve) « الأدب السوفيتـي أيام لينـين وستالـين ١٩١٧ - ١٩٥٣ (Russian Literature Under Lenin and Stalin, 1917 — 1953) (١٩٧١) .

وهو تحليل دقيق للأدب الروسي اثناء وبعد الثورة .

الأدب الروسي السوفييتي ١٩١٧ - ١٩٥٠ »

(Soviet Russian Literature, 1917 — 50) (١٩٥١) .

« الأدب الروسي السوفييتي ١٩١٧ - ١٩٥٠) (Soviet Russian Literature, 1917 — 50) (١٩٥١) .

وهو ثبت بالمراجع ممتاز للأعمال المترجمة الى الانكليزية حتـى ١٩٥٠ . وهـو دراسة شاملة مفصلة - انظر أيضاً دراساته الأخرى عن كتّاب أو أعمال معينة .

- آدام جيلـون (Adam Gillon) ولـودفيك كريزيزانوفسـكي (Ludwik Krzyzanowski) (اشراف) ، « مقدمة الى الأدب البولندي الحديث : مختارات من الأدب القصصي والشعـر » (Introsuction to Modern Polish Literature : An Antholigy of Fiction and Poetry) (١٩٦٤) .

ويتضمن مقدمة تاريخية قصيرة عن الأدب البولندي وتراجم قصيرة .

- ايوالـد اوسيزر (Ewald Asers) وج . ك . مونتجمـري (J. K. Montgomery) (اشراف وترجمـة) ، « الشعـر التشيكي الحـديث » (Modern Czech Portry) (١٩٥٦) .

- كلارنس ا . مانينغ (Clarence A. Manning) ورومان سمـول - ستـوكي

(Roman Smol — Stocki) « تاريخ الأدب البلغاري الحديث » (the History of Modern Bulgarian Literature) (١٩٦٠).

- أنتي كاديك (Ante Kadic) « الأدب العربي المعاصر » (Contemporary Serbian Literature) (١٩٦٤) و « الأدب الكرواتي المعـاصر » (Contemporary Croation Literature) (١٩٦٠) .

- سي . ا. تريبانيس (C. A. Trypanis) (صياغة) ، « الشعـر اليونانـي في العصور الوسطى والشعـر اليونانـي الحـديث » (Medieval and Modern Greek Poetry) (١٩٥١).

ويتضمن مبثتاً بالمراجع مستفيضاً عن عدد من الشعراء اليونانيين الحديثين .

- باسيل مونتيانـو (Basil Munteano) « الأدب الرومانـي الحـديث » (Modern Rumanian Literature) (١٩٣٩).

الفهـــرس

هذا الكتاب

يقدم لنا هذا الكتاب صورة متكاملة ومختصرة لتطور العلوم والفنون والآداب الغربية مع لمحة عن تراجم مشاهير الكتّاب والأدباء الذين ساهموا في تطوير الآداب الغربية منذ نشأتها وحتى عصرنا الحاضر. كما يلقي الضوء على التأثير المتبادل بين ثقافات الشعوب الغربية وأثرها في نموّ ثقافة العالم وحضارته وما عمل حولها من ترجمات وبحوث ودراسات، مع وصف تاريخي لأساليب الكلام ومنازع إنشائه وصياغته ومذاهبه ومدارسه ومناهجه في مختلف العصور الأدبية ولكل شعب من الشعوب التي تنتمي الى عالم الغرب، شاملاً أسماء الأدباء من كتّاب وشعراء وعلماء وفلاسفة وأشهر ماكتبوه باللغات الاوروبية بدءاً من الإغريقية القديمة وانتهاءً باللغات التي تتحدث بها شعوب أوروبا والأمريكيتين.

والكتاب هو مجرّد دليل يتلمس به الطالب، في مختلف كليات الآداب، والدارس طريقه للوصول الى المعرفة بالآداب الغربية وأخذ فكرة عنها يساعده في انتقاء مصادره للاستزادة من العلم في هذا المجال، كما أنه زاد مفيد للمثقف يفتح أمامه آفاق مواطن الأدب ومناهله في الغرب.

ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا الكتاب يغني المثقف عن مطالعة مائة كتاب من الكتب المختصة بالآداب الغربية.

